

النَّظْمُ الْعَمَّانِيُّ وَتَطَبِيقَاتُهَا

فِي بِلَادِ الشَّامِ

فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ / التَّاسِعِ عَشَرَ الْبِلَادِيِّ

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
(٢٠١٧/١٠/٥٥٤٤م)

٩٥٦,١

البخيت ، محمد عدنان  
التنظيمات العثمانية وتطبيقاتها في بلاد الشام في القرن ١٣هـ  
/ ١٩م / تحرير محمد عدنان البخيت ، حسين محمد القهواتي -  
عمان الجامعة الأردنية ، ٢٠١٧م .  
(٨٤٤) ص .  
ر.إ.: ٢٠١٧/١٠/٥٥٤٤م

الواصفات : بلاد الشام/ التاريخ الإسلامي

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا  
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية .

حقوق الطبع والنشر والتوزيع ملك الجامعة الأردنية



النَّظْمُ مِنَ الْعَمَلِ نَبِيَّةٌ تَطْبِيقَاتُهَا

فِي بِلَادِ الشَّامِ

فِي الْقَرْنِ الْثَالِثِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ / الْتَّاسِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ

المؤتمّر الدّولي العاشر لتاريخ بلاد الشّام

٥ رَجَب ١٤٣٨هـ / ٢ نَيْسَانَ ٢٠١٧م

المجلد الثّاني

مُحَرَّرٌ

محمد عدنان البخيت حينم العتقواتي

منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشّام

الجامعة الأردنية - عمّان ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

يَعُدُّ كثير من الباحثين وأهل الاختصاص أن التنظيمات الخيرية العثمانية التي شهدتها ولايات الدولة تمثل الحضور العثماني الشامل في أراضي السلطنة ، كما أنها أرسّت الأسس لبناء الدولة الوطنية فيما بعد على أنقاض تلك الأراضي ، بحيث دخلت قواعد جديدة لإدارة الدولة اعتماداً على إعادة تفسير الشريعة بما يتوافق مع النظم الأوروبية الجديدة التي شقت طريقها إلى الفكر الإصلاحى العثماني ، أضف إلى ذلك أن القائمين على الأمر أفادوا كثيراً من وسائل الاتصالات الجديدة ، مثل : التلغراف ، ومكاتب البريد ، وشق الطرق ، وبناء شبكة من الخطوط الحديدية ، ربطت الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية . وشهدت البلاد العثمانية إنشاء مئات المدارس وعدد من الجامعات السلطانية والأجنبية ، ودرّبت قوات الجيش على نمط الجيوش الأوروبية ، والجيش الألماني خاصة ، وتبادلت إستانبول السفراء مع الدول الأوروبية المهمة ، وسمحت لعشرات القناصل الأجانب ، وفي ما بعد المحليين ، بالعمل في المراكز التجارية . من هنا ، كان تدفق السلع الغربية على الأسواق وفي المدن الكبرى ، وشيّدت سرايا في مراكز الولايات والمتصرفيات ، وأُحصي السكان ، وأنشئت المحاكم النظامية والشرعية والمحاكم الخاصة بالطوائف المسيحية واليهودية . وبِذا ، فقد حلّت المواطنة العثمانية قانونياً محلّ تنظيمات الملل والأقليات التي جُنّد أبنائها في القوات العثمانية على غرار أبناء المسلمين . وعليه ، فقد تضمّن هذا المجلّد بين دفتيه بحثاً تناولت معظم هذه الأفكار ، وعلى الرغم من أهميتها ، فهي بحاجة ماسة إلى الاستكمال وسد الفجوات والثغرات ، وإننا إذ ننشرها لنأمل أن يبادر الباحثون من جيل الشباب خاصة لمعالجة الجوانب الأخرى على ضوء المصادر الجديدة التي تحتفظ بها البلديات والإدارات الحكومية في دول بلاد الشام .

وبعدّ ، فيسرّني أن أشكر زملاء أصحاب البحوث ، والزملاء الذين

حرروها ، ونضدوها وعملوا على إخراجها بعد فهرستها على هذا النحو العلمي .  
وخير ما نختم به عملنا هذا قوله تعالى : ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ ، سورة آل  
عمران ، الآية : ( ١٣٦ ) .

«محمد عدنان» البخيت  
مركز الوثائق والمخطوطات

٣ ربيع الأول ١٤٣٩هـ /  
٢٢ / ١١ / ٢٠١٧ م .

## محتويات المجلد الثاني

المقدمة

- محمد عدنان البخيت \_\_\_\_\_ ٥
- ١ . انعكاسات التنظيمات الخيرية العثمانية في القرن التاسع عشر على وضع طرابلس الإداري-السياسي وعلى الزعامات السياسية في أريافها
- ١١ \_\_\_\_\_ فاروق احمد حبلص
- ٢ . دور التجارة الدولية في التنظيمات العثمانية على السواحل الشامية
- ٦١ \_\_\_\_\_ الياس جرجس جريج
- ٣ . صيدا في عصر التنظيمات العثمانية ١٨٣٩ - ١٩١٨م
- ٨٥ \_\_\_\_\_ طلال ماجد المجذوب
- ٤ . نتائج تنظيمات الأراضي العثمانية الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ١٨٦٩-١٩١٨م
- ١٣٣ \_\_\_\_\_ أمين أبو بكر
- ٥ . ملكية الأراضي في «قضاء الناصرة» ١٨١٠-١٩١٨م
- ١٧٩ \_\_\_\_\_ حسين منصور
- ٦ . «التعليم الابتدائي في ولاية بيروت»
- ٢٤١ \_\_\_\_\_ خالد عبد القادر الجندي
- ٧ . التعليم في شرقي الأردن خلال الحقبة ١٨٦٠-١٩٢٠م
- ٢٨٩ \_\_\_\_\_ جورج فريد طريف الداوود
- ٨ . مولانا خالد النقشبندي وعلاقته مع الدولة العثمانية
- ٣٨٣ \_\_\_\_\_ جواد فقي علي / كامران جمال محمد

- ٩ . فرنسيس فتح الله مرّاش الحلبي وفكره الإنساني الحديث
- ٤٢٥ \_\_\_\_\_ علي الشرع
- ١٠ . تجربة أبو خليل القباني المسرحية في سوريا وعلاقتها بالسلطة  
العثمانية الحاكمة في القرن التاسع عشر
- ٤٨١ \_\_\_\_\_ يحيى سليم عيسى البشتاوي
- ١١ . الزراعة في منطقة الكفارات في لواء بني كنانة في إربد وأدواتها  
الفلاحية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر «حقبة  
التنظيمات العثمانية»
- ٥٠٩ \_\_\_\_\_ ضيف الله عبيدات
- ١٢ . الصرة الهمايونية للقبائل العربية الموجودة على طريق الحج ضمن  
مناطق الأردن الحالي في القرن التاسع عشر الميلادي
- ٥٧٥ \_\_\_\_\_ محمد عبد القادر خريسات / رابعة مزهر شاكر
- ١٣ . تطور العمران والتجمعات الحضرية على امتداد محطات الخط  
الحديدي الحجازي في محافظة المفرق
- ٦٢٣ \_\_\_\_\_ عبد المجيد رجوب
- ١٤ . ملامح من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في شرقي الأردن  
في ضوء كتابات الرحالة. في القرن التاسع عشر الميلادي
- ٦٥٥ \_\_\_\_\_ غيداء خزنة كاتبي / نصر محمود الشقيرات
- ١٥ . The Struggle For Reform: An Inside Perspective on the  
Administrative and Political Problems in Mount Lebanon and  
Their Impact on the Implementation of the Tanzimat
- ٧٢٠ \_\_\_\_\_ Tuba Yildiz

- ٧٢١ ————— اسماء المشاركين حسب حروف الهجاء
- ٧٢٣ ————— الفهارس
- ٨٣١ ————— قائمة منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام



## انعكاسات التنظيمات الخيرية العثمانية في القرن التاسع عشر على وضع طرابلس الإداري-السياسي وعلى الزعامات السياسية في أريافها

فاروق أحمد حبلص (\*)

مقدمة

شهد القرن التاسع عشر سلسلة من القوانين والإجراءات والتدابير الإدارية التي اتخذها سلاطين بني عثمان بهدف تقوية دولتهم والنهوض بها ، وإزالة الذرائع التي تدرّعت بها الدول الأوروبية للتدخل في شؤونها الداخلية . بدأت هذه الإجراءات في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) بإصلاح المؤسسة العسكرية ، والقضاء على الانكشارية في سنة ١٨٢٦م ، والمباشرة ببناء جيش نظامي جديد . ثم صدر خط كلخانة سنة ١٨٣٩م ، وخط التنظيمات الخيرية سنة ١٨٦٥م ، في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) ، وتلي ذلك صدور القانون الأساسي سنة ١٨٧٦م في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) . ثم أعقب ذلك سلسلة من الإصلاحات في القضاء والمحاكم .

ولا شك في أن هذه التنظيمات قد أدت إلى إصلاح المؤسسة العسكرية ، وإلغاء نظام الالتزام<sup>(١)</sup> ، واستحداث إدارة مدنية ومالية جديدة في الولايات .

(\*) أستاذ ، الجمهورية اللبنانية .

(١) الدستور العثماني : ترجمة نوفل نوفل ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٣٠١هـ ، ٢م ، ١م ، ص ٣ .

وسأشير إليه في الهوامش اللاحقة : الدستور ، ١م .

وكذلك نصّت القوانين الجديدة على ضمان حياة الأشخاص والأموال : «ويلزم أن تنظر دعاوى أصحاب الجرائم بعد الآن علناً بوجه التدقيق بمقتضى القوانين الشرعية ، وقبل أن يصدر الحكم لا يجوز إعدام أحد أصلاً لا خفياً ولا جلياً ، وإذ بالفرض وقع أحد بتهمة أو قباحة وكان ورثاؤه أبرياء الذمة من تلك التهمة والقباحة لا يحرمون من حقوق إرثهم بواسطة ضبط أمواله»<sup>(١)</sup> . وقد أدت هذه الإصلاحات إلى الحدّ من الرشوة والفساد والظلم والسخره والتكاليف الإقطاعية الشاقة . وأصبحت الضرائب تجبى بالعدل ، ومنح الجميع الحرّية الدينية<sup>(٢)</sup> ، وأعلنت المساواة بين جميع الطوائف ، وسمح لغير المسلمين بدخول الوظائف العسكرية ، ومنح الدستور سنة ١٨٧٦م<sup>(٣)</sup> .

تزامناً مع هذه الإصلاحات ، أجرت الدولة العثمانية سلسلة من التعديلات على التقسيمات الإدارية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، تمثلت بتوسيع ولاية وتقليص أخرى أو إلغائها واستحداث ولاية جديدة . وقد كان لهذه التعديلات انعكاسات سلبية على بعض المدن الشامية ، مثل طرابلس ، وصيدا اللتين خسرت كل منها دورها الريادي كمركز ولاية امتد نفوذها على مناطق واسعة وشمل عدّة ألوية وأقضية . في حين أفادت مدن أخرى ، مثل بيروت ، التي أصبحت مركز ولاية يمتد نفوذها على أجزاء واسعة من الساحل الشامي . وكذلك ازداد نفوذ دمشق بعدما ألحقت بها مجمل مناطق الداخل الشامي .

وسأحاول في هذا البحث تتبّع الوظيفة الإدارية التي أعطيت لمدينة طرابلس بموجب التقسيمات الإدارية الجديدة في بلاد الشام في عصر التنظيمات ، وتبيان

(١) الدستور العثماني ، م ١ ، ص ٣-٤ .

(٢) المصدر نفسه : م ١ ، ص ٧ .

(٣) فاروق حبلص تاريخ عكار الإداري والاجتماعي والاقتصادي ١٧٠٠-١٩١٤م ، دار الدائرة ودار لحد

خاطر ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ٦٤-٦٥ . وسأشير إلى هذا المرجع في الهوامش اللاحقة : حبلص :

تاريخ عكار .

انعكاسات ذلك على وضعها السياسي في الساحل السوري وعلى الزعامات السياسية في أريافها .

ولعاجة الموضوع بمنهجية علمية وموضوعية محايدة ، لا بدّ من الاعتماد على المصادر الرسمية العثمانية ، كسالنامات ولاية سورية وسالنامات ولاية بيروت ؛ حيث نجد التفاصيل الدقيقة للتقسيمات الإدارية داخل كل ولاية . بالإضافة إلى سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس العائدة إلى المرحلة الممتدة من ١٦٦٦-١٩١٨م ، وفيها نجد «البيورلديات» الموجهة إلى متصرف طرابلس التي تساعدنا في معرفة تبعية طرابلس الإدارية وتصنيفها الإداري بين ولاية أو سنجق أو قضاء ، كما أنها تساعدنا في معرفة التقسيمات الإدارية داخل ولاية طرابلس في مرحلة ما قبل التنظيمات . بالإضافة إلى ذلك فقد اعتمدت على سجلات المحكمة الشرعية في حلبا ، وتشكل هذه المصادر المرتكز الرئيس للبحث ، وفيها الكلمة الفصل في التصنيفات الإدارية لمدينة طرابلس إبان الحكم العثماني .

وحول هذه المصادر ، لا بد من الإشارة إلى أن معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية في طرابلس صور سنة ١٩٨٣م ، بالتعاون مع هيئة حماية التراث في طرابلس ، أربع نسخ من عدد من هذه السجلات . وجمعت المصورات في ٨٦ مجلداً على نحو عشوائي مختلف عن ترتيبها الأصلي ، فجمعت صور سجل وقسم من سجل آخر في مجلد واحد ، وأعطيت الصفحات المصورة أرقاماً جديدة غير أرقامها الأصلية . لذلك فإن أرقام المجلدات المصورة تختلف عن أرقام السجلات الأصلية ، وفيها نواقص بسبب ضياع بعض الصور . إضافة إلى ذلك ، فإن السجلات العائدة إلى المرحلة من ١٨٧٦-١٩١٨م ، لم تصوّر ، وقد اعتمدت الدراسة على النسخ الأصلية لسجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، وعددها ١٠٤ سجلات ، وهي محفوظة في دار المحكمة الشرعية في طرابلس ، وهي تتضمن وثائق متنوعة ومبعثرة وغير مبوبة وغير مصنّفة : (أحوال شخصية للمسلمين ، حبس أوقاف وإيجارها ،

بيورلديات ، فرمانات ، بيع عقارات ، إيجار عقارات ، تعيين موظفين ، محاسبة ولاية وملتزمين ، حجج تتعلق بأهل الذمة في طرابلس ، تلزيم مقاطعات ، وثائق تتعلق بالأجانب المقيمين في طرابلس . . . ) .

#### - الإطار الجغرافي لنفوذ طرابلس السياسي والإداري قبل سنة ١٨٣١م .

اختلف الباحثون في الأرشفة العثمانية في تاريخ إنشاء ولاية طرابلس ، فرأى بعضهم أن العثمانيين أنشأوا هذه الولاية لعدة أشهر من سنة ١٥٢١هـ<sup>(١)</sup> ، ورأى آخرون أن إنشاءها لم يكن قبل سنة ١٥٧٩م<sup>(٢)</sup> . وبصرف النظر عن هذا التباين ، تدلّ سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس أن هذه المدينة كانت مركز ولاية منذ سنة ١٥٧٩م وحتى الحملة المصرية على بلاد الشام سنة ١٨٣١م ؛ . ذلك أنها تتضمن فرمانات تعيين ولاية عليها ، وحجج تلزيم هؤلاء للمقاطعات التابعة لها ، وبيورلديات صادرة عنهم ووثائق تتعلق بالمتسلمين للمدينة<sup>(٣)</sup> .

وكانت ولاية طرابلس حتى القرن الثامن عشر تمتد على مساحات واسعة من الساحل والداخل السوري ، وكانت تضمّ سنجق طرابلس وسنجق حمص وسنجق حماه وسنجق سلمية وسنجق جبلة<sup>(٤)</sup> ، ما يعني أن العثمانيين جعلوا مدينة طرابلس قاعدة لإدارة مناطق واسعة من سورية ، تمتد من رأس البسيط

(١) عبد الرحيم أبو حسين : لبنان والإمارة الدرزية ، دار النهار ، بيروت ٢٠٠٥م ، ص ٢٣ . وسأشير إليه

لاحقاً : أبو حسين : لبنان والإمارة الدرزية .

(٢) فاضل بيات ، التنظيم الإداري العثماني وتطوره في طرابلس الشام ١٥١٦-١٨٣٢م ، ورقة قدّمت إلى

مؤتمر إشكاليات كتابة تاريخ لبنان في العصرين الوسيط والحديث ، كلية الآداب طرابلس ، الجامعة

اللبنانية ، آذار ٢٠١٦م ، ص ٧-٨ .

(٣) فاروق حبلص : أبحاث في تاريخ ولاية طرابلس ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ،

بيروت ٢٠٠٧م ، ص ٦٦ . وسأشير إليه لاحقاً : حبلص : أبحاث .

(٤) عصام خليفة : نواحي لبنان في القرن السادس عشر ، بيروت ٢٠٠٤م ، ص ٣٨ . وسأشير إليه لاحقاً :

خليفة : نواحي لبنان .

شمالاً إلى فتوح بني رحال جنوباً ، ومن أعالي جبال لبنان الشمالية إلى جزء من البقاع الشمالي حيث تتسع عند مدينة القصير شرقاً لتصل إلى الصحراء عند مدينة تدمر<sup>(١)</sup> .

وبعد تفاقم العصيان الدرزي في جبل الشوف ، أقدمت الدولة العثمانية على سلخ سنجق صيدا-بيروت عن ولاية دمشق وألحقته بولاية طرابلس لبضع سنوات (١٥٩٣-١٥٩٥م)<sup>(٢)</sup> ، ما يعني أن الحدود الجنوبية لهذه الولاية وصلت إلى إقليم التفاح ، مروراً ببيروت وصيدا وجبل الدروز والمتن وكسروان والجرد والغرب والشوف وجزين<sup>(٣)</sup> .

يتبين من سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس العائدة إلى القرن الثامن عشر ، أن الحيز الجغرافي لولاية طرابلس بدأ بالتقلص في ذلك القرن ؛ فبعدها فصلت عنها سناجق حمص وحماه وسلمية ، أصبحت تقتصر فقط على سنجق طرابلس وسنجق جبلة الذي أصبح يعرف بسنجق اللاذقية بعدما نقل مركزه إلى هذه المدينة . ذلك أننا لا نجد في هذه السجلات وثائق تتحدث عن أوامر ومحاسبات ومراسلات إدارية موجهة من والي طرابلس إلى متسلمي هذه السناجق في ذلك القرن ، علماً أنها تضمّنت أوامر ومحاسبات موجهة إلى قائم مقام سنجق اللاذقية سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م<sup>(٤)</sup> . إضافة إلى أن «مالك عثمانية خريطة سي» تبين أن ولاية دمشق كانت سنة ١٧٢٦م تمتد شمالاً إلى

(١) ينظر الخريطة ١ .

(٢) أبو حسين ، لبنان : ص ١١١ ، ١٣٤-١٣٥ . ينظر الخريطة ٢ .

(٣) فاروق حبلس : الجذور التاريخية للكيان اللبناني ١٥١٦-١٨٣١م ، مكتبة السائح طرابلس لبنان ٢٠١٦م ، ص ٢٨ . وسأشير إليه لاحقاً : حبلس : الجذور .

(٤) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس : سجل ٥ ، تاريخ ١١٢٧هـ ، ص ١٢٥ . وسأشير إلى هذه السجلات لاحقاً : سجل ط .

حدود ولاية حلب<sup>(١)</sup>، ما يحمل على الاستنتاج أن ألوية سلمية وحماه وحمص الفاصلة جغرافياً بين ولاية حلب وولاية دمشق، أصبحت تابعة إدارياً لهذه الأخيرة، ولم تعد تابعة لولاية طرابلس في القرن الثامن عشر. وقد استمر هذا الوضع بعد عودة العثمانيين إلى بلاد الشام سنة ١٨٤٠م، بدليل أننا لا نجد في البيورلدي الذي وجّهه والي طرابلس وصيدا أحمد باشا زكريا سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م إلى نواب الشرع في المدن التابعة لإدارته، ذكراً لنواب الشرع في سلمية وحمص وحماه، في حين أنه ذكر نواب طرطوس وطرابلس واللاذقية وبيروت وصيدا وصور وجبيل والبترون<sup>(٢)</sup>.

ومن جهة أخرى، تقدّم لنا سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس معطيات تدلّ على أن هذه المدينة استمرت مركز ولاية طيلة القرن الثامن عشر وصولاً إلى سنة ١٨٤١م، يستثنى من ذلك مدة الحكم المصري (١٨٣١-١٨٤٠م)<sup>(٣)</sup>؛ ذلك أن هذه السجلات تتضمن فرمانات تعيين ولاية طرابلس، وعقود تلزيم المقاطعات التابعة لها، وبيورلديات صادرة عن هؤلاء الولاة، ووثائق متعلقة بالمسلمين، وهي جميعها تذكر صراحة اسم والي طرابلس، مما يفيد أن هذه الأخيرة كانت ولاية في ذلك التاريخ.

غير أن قيود سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس العائدة إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تدلّ على أن نفوذ ولاية طرابلس تقلص في تلك المرحلة في مقابل تنامي نفوذ ولاية دمشق وولاية صيدا، كما تبين أن بعض هؤلاء نجح في ضمّ منصب ولاية طرابلس إليه في سنوات عديدة، بحيث

(١) عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م، دار المعارف بمصر

١٩٦٩م، هامش ص ٦٢. وسأشير إليه لاحقاً: عوض: الإدارة العثمانية.

(٢) سجل ط، ٥٦، تاريخ ١٢٥٥-١٢٥٨هـ-١٢٥٩-١٢٦٠هـ، ص ٥٠.

(٣) سجل ط، ١، تاريخ ١٠٧٧-١٠٧٨هـ/١٦٦٦-١٦٦٧م، إلى سجل ط، ٥٩، تاريخ ١٢٤٧-١٢٤٨-

أصبحت تسند تارة إلى والي صيدا وأخرى إلى والي دمشق<sup>(١)</sup> .  
وبصرف النظر عما إذا كانت ولاية طرابلس تحت إمرة وال مستقل ، أو في  
عهدة والي دمشق أو والي صيدا ، فإن سلطتها في تلك المرحلة كانت تمتد من  
ناحية جبيل جنوباً إلى حدود اللاذقية شمالاً ، وكان واليها يرسل متسلمين عنه  
لإدارة سنجق اللاذقية<sup>(٢)</sup> ، ويلزّم مقاطعات سنجق طرابلس ، فيعطي التزام

(١) في العقد الأخير من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ، أصبحت الدولة  
العثمانية تسند ولاية طرابلس لوالي صيدا أو والي دمشق بدلاً من تعيين وال أصيل عليها . ومن  
ولاة صيدا الذين أسندت إليهم ولاية طرابلس في تلك المرحلة ، أحمد باشا الجزائر الذي وليّ عليها  
سنة ١٢٠٨ / ١٧٩٣م (سجل ٣٣ ، تاريخ ١٢٠٦-١٢٠٧-١٢٠٨هـ ، ص ٤٩) ، وسنة ١٢١٨ /  
١٨٠٣م (سجل ط ، ٣٦ ، تاريخ ١٢١٥-١٢١٦-١٢١٧-١٢١٨هـ ، ص ٣٣) ، وسليمان باشا الذي  
عين والياً عليها من ١٢٢٨-١٢٣٥هـ / ١٨١٣-١٨٢٠م (سجل ط ، ٣٩ ، تاريخ ١٢٢٨-١٢٢٩هـ ،  
ص ١٤-١٣ . وسجل ط ، ٤٠ ، تاريخ ١٢٢٩-١٢٣٠هـ ، ص ١٩ . وسجل ط ، ٤١ ، تاريخ ١٢٣٠-  
١٢٣١هـ ، ص ٤٢ . وسجل ط ، ٤٢ ، تاريخ ١٢٣١-١٢٣٢هـ ، ص ١٧٨ ، ١٢٦ . وسجل ط ، ٤٣ ،  
تاريخ ١٢٣٢-١٢٣٣هـ ، ص ١٧٧ ، ٢٤٣) . وعبد الله باشا الخزندار الذي وليّ عليها سنة ١٢٣٥هـ /  
١٨٢٠م (سجل ط ، ٤٥ ، تاريخ ١٢٣٥هـ ، ص ٨٩-٩٠ ، ٢١٦ . ومن ولاة الشام الذين تولوها : والي  
الشام عبد الله باشا العظم من ١٢١٦-١٢١٧-١٢١٨هـ / ١٨٠١-١٨٠٢-١٨٠٣م (سجل ط ، ٣٦ ،  
ص ٤٥ ، ٤٩ ، ١٠٨ ، ١٤٧) ، ويوسف باشا الكنج سنة ١٨٠٨ (حيدر أحمد شهاب : لبنان في عهد  
الأمراء الشهابيين ، تحقيق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت  
١٩٦٦م ، ج ٢ ، ص ٥٣٥) ، ودرويش حسن باشا سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م (سجل ط ، ٤٨ ، تاريخ  
١٢٣٨-١٢٣٩ ، ص ٨٤) .

(٢) سجل ط ، ٥ ، ص ١٢٥ .

نواحي جبيل والبترون<sup>(١)</sup> والهرمل<sup>(٢)</sup> وجبة بشري<sup>(٣)</sup> والزاوية<sup>(٤)</sup> ومقاطعة ثلثي الكورة<sup>(٥)</sup>، للأمراء الشهابيين، ومقاطعة ثلث الكورة للأمراء الأيوبيين<sup>(٦)</sup> ومقاطعة عكار للبكوات المراعبة<sup>(٧)</sup>. وتبين سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس أن هذا الوضع استمر حتى سقوط بلاد الشام بيد والي مصر محمد علي باشا سنة ١٨٣١م.

### - سياسة العثمانيين في إدارة بلاد الشام بعد سنة ١٨٤٠م

بعد عودة العثمانيين إلى بلاد الشام سنة ١٨٤٠م، واجهوا تحديات جديدة تمثلت بحالة الوعي النسبي التي ولّدتها الإدارة المصرية في هذه المنطقة وبخاصة

(١) سجل ط، ١٨، تاريخ ١١٧٥-١١٧٧هـ، ص ١١٥. وسجل ٢٢، تاريخ ١١٧٩-١١٨٠هـ، ص ١٤٣.

ينظر الخريطة ١.

(٢) سجل ط، ١٨، ص ١١٥.

(٣) سجل ط، ١٨، ص ٢١٣.

(٤) سجل ط، ٢٦، تاريخ ١١٨٧-١١٨٨-١١٩٠هـ، ص ٨٤.

(٥) سجل ط، ٢٢، ص ١١٤، ١٦٧، ١٩٣. وسجل ط، ٢٦، ص ٨٣، ٨٤، ٦٩. تقع الكورة جنوبي

مدينة طرابلس.

(٦) سجل ط، ٦، تاريخ ١١٣٥-١١٣٦-١١٣٧-١١٤١هـ، ص ١٦٦، وسجل ط، ٢٧، تاريخ ١١٩٢-

١١٩٣هـ، ص ٥٥، ٢٨. وسجل ط، ٢٨، تاريخ ١١٩٤هـ، ص ٤٩. وسجل ط، ٢٩، ص ٩٨،

١٠٨. وسجل ط، ٣٠، تاريخ ١١٩٨-١١٩٩-١٢٠٠هـ، ص ٢٣١. وهي قسم من الكورة ملاصق

لطرابلس، وتضم قرى: ددة، قلمون، كفرقاهل، برغون، بدبهون، أنفة، زكرون، بلمند، رأس

مسقا، نخلة)

(٧) سجل ط، ٥، ص ١٠٤، وسجل ط، ١٤، تاريخ ١١٦٨-١١٦٩هـ، ص ١٣٠. وسجل ط، ٣٢،

تاريخه ١٢٠٣-١٢٠٥-١٢٠٦هـ، ص ٤٠، وسجل ط، ٣٣، ص ٢٠٠. وسجل ط، ٣٦، ص ٨٣.

ينظر الخريطة رقم ١.



لدى النصارى ، ويتغلغل نفوذ الدول الأوروبية في الإمارة الشهابية بخاصة<sup>(١)</sup> ، وبلاد الشام بصورة عامّة . فقد سعت هذه الدول ، وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا وروسيا ، إلى تحويل سلطة العثمانيين على جبل لبنان (الإمارة الشهابية) ، إلى سلطة صورية ، لكي يبقى لها التأثير المباشر في مكانه . ويبدو أن الدولة العثمانية عمدت إلى مواجهة هذا التدخل بإجراء سلسلة من التعديلات على التقسيمات الإدارية في سواحل بلاد الشام بحيث تتمكن من زيادة رقابتها عليها . لذلك بدت التقسيمات الإدارية في هذه المنطقة غير مستقرّة من سنة ١٨٤٠م حتى سنة ١٨٨٧م . وقد تمثّلت هذه التعديلات بسلخ لواء عن ولاية وضمه إلى أخرى ، أو فصل قضاء عن سنجق وضمه إلى سنجق آخر أو لولاية أخرى ، وإلغاء ولاية وضمها إلى أخرى . إلى جانب ذلك اعتمدت الدولة العثمانية نظماً إدارية جديدة مكنتها من ربط ولايات بلاد الشام بالعاصمة إسطنبول مركزية صارمة بدلاً من نظام الالتزام الذي كان أشبه بإدارة محلّية الذي كان معمولاً به في القرنين السابقين لعصر التنظيمات . وبذلك استطاعت الدولة العثمانية الإمساك بزمام الأمور في بلاد الشام ، على الرغم من تزايد تدخل الدول الأوروبية فيها ، وتمكنت من إدارة الحالة السياسية فيها والاحتفاظ بها إلى سنة ١٩١٨م .

#### - الأوضاع العامّة في ولاية طرابلس سنة ١٨٤٠م .

كان عدم استقرار التقسيمات الإدارية والتصنيف الإداري في بلاد الشام ، الأكثر حدوثاً ووضوحاً في ولاية طرابلس ، والأكثر تأثيراً في وضع مركز هذه الولاية (أي مدينة طرابلس) الإداري في عصر التنظيمات ، وذلك لسببين : أولاً : لأن أجزاء واسعة من الإمارة الشهابية ، المنطقة الأكثر حساسية بالنسبة

(١) محمد أحمد ترحيني : الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١م ،

ص ٩-١٥ . وسأشير إليه لاحقاً : ترحيني : الأسس التاريخية .

للعثمانيين ، كانت تابعة إدارياً لولاية طرابلس .  
ثانياً : لأن دور مدينة طرابلس الاقتصادي أصابه تراجع ملحوظ في الربع الثاني من القرن التاسع عشر .

فعند عودة العثمانيين إلى بلاد الشام ، كانت المناطق الساحلية فيها مقسمة بين ولايتي صيدا وطرابلس . وكانت الأراضي التي امتدت عليها الإمارة الشهابية في القرن التاسع عشر ؛ أي مناطق النفوذ الأوروبي ، موزعة بين هاتين الولايتين . وكان القسم الأكبر منها يتبع ولاية صيدا ويخضع لسلطة واليها الذي كان يلتزم الشهابيين جباية ضرائبها : (كسروان ، المتن ، الجرد ، الغرب ، الشوف ، إقليم الخرنوب ، إقليم التفاح ، جزين ، والشقيف)<sup>(١)</sup> . أما مقاطعات (جبيل ، البترون ، جبّة بشري ، الزاوية ، الهرمل ، وثلثي مقاطعة الكورة) التي شكّلت القسم الشمالي من الإمارة الشهابية ، فكان الأمراء الشهابيون يحصلون على التزامها من والي طرابلس<sup>(٢)</sup> ويبدو أن التبعية الإدارية المزدوجة لمقاطعات الإمارة الشهابية بين ولاية صيدا وولاية طرابلس ، لم تعد تخدم السياسة العثمانية بعد سنة ١٨٤٠م ، ولم تعد تفي بغرض تشديد الرقابة على تحركات القناصل الأوروبيين فيها . لذلك رأت الدولة حصر السلطة فيها بيد وال واحد ؛ إما والي صيدا أو والي طرابلس .

في هذه الأثناء كانت ولاية صيدا ما تزال تحتفظ بإدارة مقاطعات واسعة في فلسطين ، في حين كانت ولاية طرابلس قد خسرت سناجق حمص وسلمية وحماه ، ولم تعد تضم سوى سنجقي طرابلس واللاذقية ، بالإضافة إلى أن سلطة واليها على المقاطعات الجنوبية منها كانت قد تحولت إلى سلطة شكلية

(١) سجلات المحكمة الشرعية في صيدا : سجل أحداث ١١١٠هـ ، صفحاته غير مرقمة . وسأشير إليه : سجل ص ، أحداث .

(٢) كان الأمير بشير الشهابي الثاني يلتزم هذه المقاطعات من والي طرابلس ، ينظر وثائق التزام مقاطعة ثلثي الكورة ومقاطعة جبّة بشري في سجل ط ، ٤٥ ، ص ٣٧٧ .

أو صورية منذ أن دخلت في التزام الأميرين يوسف الشهابي وبشير الشهابي الثاني .

بالإضافة إلى ذلك ، كان مركز هذه الولاية ؛ أي مدينة طرابلس ، قد فقد ، منذ العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، كثيراً من دوره الاقتصادي وبخاصة في قطاع التجارة الخارجية . وتصف تقارير القناصل الفرنسيين في هذه المدينة أوضاع التجارة فيها في الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، فتذكر تراجع حركة المرفأ ونقل القنصليات البريطانية والفرنسية منها سنة ١٨٢٣م و ١٨٢٤م<sup>(١)</sup> . كما ذكر نائب القنصل الفرنسي في طرابلس السيد غير أن هذه المدينة شهدت سنة ١٨٢٧م تراجعاً في الصادرات والواردات مقارنة مع العام ١٨٢٥م<sup>(٢)</sup> .

في هذه الأثناء كانت الأوضاع الداخلية في طرابلس في حالة ترد مستمر ، بعدما تحولت المدينة إلى ساحة لمعارك متتالية دارت بين فرق اليرلية وفرق القابي قول المرابطة فيها طيلة المرحلة الممتدة من ١٨٩٤-١٨٠١م<sup>(٣)</sup> . ويتبين من الوثائق الرسمية أن هذه الاضطرابات أدت إلى وصول قادة فرق الانكشارية إلى السلطة فيها (أصبحوا متسلمين)<sup>(٤)</sup> لكنهم ما لبثوا أن اقتتلوا على منصب المتسلمية ، الأمر الذي انعكس على المدينة بإضطرابات أمنية وفوضى عارمة . ولم تكد المدينة تخرج من هذه الفتن حتى بدأت تعاني الاضطراب وفقدان الأمن جراء تمرد متسلمها مصطفى أغا بربر المتكرر ضد ولاة دمشق الذين

(1) Adel Ismail: Documents diplomatiques et consulaires relatifs à l'histoire du Liban, Beyrouth, imprimerie catholique, 1976. T. 3, PP. 181-182.

(2) Ibid., T. 3, pp. 61-63.

(٣) ينظر تقرير القنصل الفرنسي فيها أوغست أندريا وخلفه السيد غيز سنة ١٨١٢م في كتاب :

Adel Ismail: op. cit. t. 4, pp. 335-367

(٤) سجل ط ، ٣٤ ، تاريخ ١٢٠٧-١٢٠٨-١٢٠٩ هـ ص ١١٦ ، وسجل ط ، ٣٦ ، ص ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٩ ،

أسندت إليهم ولايتها في الربع الأول من القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>. هذه الظروف التي مرّت بها طرابلس ، جعلت من بقائها ولاية مشروعاً خاسراً في نظر العثمانيين . لذلك ساروا باتجاه إلغائها وضمّها إلى والي صيدا ، لتقوية نفوذ هذا الأخير وتمكينه من تشديد الرقابة على تحركات القناصل الأوروبيين في جبل لبنان .

#### - التغييرات الإدارية التي مرّت بها طرابلس في عصر التنظيمات:

بعد عودتها إلى كنف الدولة العثمانية سنة ١٨٤٠م ، تغير تصنيف طرابلس الإداري أكثر من مرّة ، حتى إنه بات بوسع الباحث في تاريخ الإدارة العثمانية فيها القول إن وضع طرابلس الإداري لم يعرف الاستقرار ، وأنه كان في حالة تبدّل دائم ، تتمثّل بإلغاء تصنيفها كولاية أولاً ، ثم جعلها مركز سنجقية تأرجحت تبعيتها بين ولاية صيدا وولاية سورية ثم ولاية بيروت ، هذا فضلاً عن تقليص المساحة الجغرافية لهذا السنجق أحياناً وتوسيعها أخرى . ويمكن تسجيل أربعة تعديلات أساسية على وضعها وتصنيفها الإداري في عصر التنظيمات ، وهي :

#### أولاً- إلغاء ولاية طرابلس:

يبدو أن ولاية طرابلس لم تعد تستحوذ على اهتمام العثمانيين بعد عودتهم إليها سنة ١٨٤٠م ، ذلك أن قيود سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس لا تتضمّن أي فرمان تعيين وال متفرّغ لها خصيصاً ، بل إن البيورلديات وسائر أنواع المراسلات الرسمية المدونة في هذه السجلات تبين أنه منذ عودة العثمانيين إلى بلاد الشام وحتى سنة ١٨٦٤م ، أصبحت ولاية طرابلس تسند إلى والي صيدا الذي بات يعرف في المراسلات الرسمية ، بوالي «إيالتي صيدا

(١) فاروق حبلص : تفسير آخر لظاهرة بربر آغا حاكم طرابلس ، جريدة الحياة ، ١٢ك٢٠٠٢ ، ١٩٩٢م .

وطرابلس»<sup>(١)</sup> في بعض السنوات ، أو والي «إيالة صيدا»<sup>(٢)</sup> وحسب ، في سنوات أخرى من تلك الحقبة .

هذا التعريف الرسمي للولاية الذين حكموا طرابلس في تلك المرحلة والذي ورد في الوثائق الرسمية العثمانية ، له دلالات مهمة بالنسبة للباحث في ظل غياب قرارات واضحة بتشكيل ولاية وإلغاء أخرى . فمصطلح والي «إيالتي صيدا وطرابلس» يدل حتماً على أن طرابلس كانت ما تزال ولاية في سنوات ذكره في الوثائق الرسمية ، مثلما يعني تماماً أن صيدا كانت مركز ولاية . كما أن مصطلح والي «ولاية صيدا» وحسب من غير ذكر طرابلس الوارد في أوامر إدارية مرسله من والي صيدا إلى قائم مقام سنجق طرابلس ، يدل على أن طرابلس لم تكن ولاية ، وأنها كانت ملحقة إدارياً بولاية صيدا في سنوات صدور هذه الأوامر .

في هذا المجال نجد في سجلات المحكمة في طرابلس أن مصطلح والي «إيالتي صيدا وطرابلس» قد ورد في بيورلديات صادرة عنه في السنوات الآتية : في ٢٧ شعبان ١٢٥٦هـ / ١٩ أيار ١٨٤١م<sup>(٣)</sup> ، و ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م<sup>(٤)</sup> ، و ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م<sup>(٥)</sup> و ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م<sup>(٦)</sup> ، وفي ١٣ صفر سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م<sup>(٧)</sup> ، و ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م<sup>(٨)</sup> .

(١) سجل ط ، ٥٦ ، ص ٣٥-٣٦ .

(٢) سجل ط ، ٥٧ ، تاريخ ١٢٥٥-١٢٥٨-١٢٥٩-١٢٦٠هـ ، ص ٤٩ .

(٣) سجل ط ، ٥٦ ، ص ٣٥-٣٦ .

(٤) سجل ط ، ٥٧ ، ص ٧٩ .

(٥) سجل ط ، ٥٨ ، تاريخ ١٢٦٠-١٢٦٢-١٢٦٣هـ ، ص ٨٤ .

(٦) سجل ط ، ٥٨ ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٧) سجل ط ، ٥٨ ، ص ٢٥٥ .

(٨) سجل ط ، ٦٢ ، تاريخ ١٢٦٨-١٢٧٩هـ ، ص ١٥٥ . ينظر نص البيورلدي في الملحق ١ .

على خلاف ذلك نجد في هذه السجلات أن مصطلح ولاية صيدا من غير ذكر طرابلس قد ورد في بيورلديات تتضمن تعليمات وأوامر مرسلة من والي «إيالة صيدا» وحسب إلى سنجقية طرابلس ، وذلك في السنوات ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م<sup>(١)</sup> ، ٢ ربيع الأول سنة ١٢٦٣هـ/٢-٢-١٨٤٧م<sup>(٢)</sup> ، والشيء نفسه نجده في وثيقة عائدة لسنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م<sup>(٣)</sup> .

هذه المعطيات تمكننا من استنتاج النقاط الآتية :

١- خلافاً لما ذكر بعض الباحثين<sup>(٤)</sup> ، لم يقدم العثمانيون على إلغاء ولاية طرابلس فور عودتهم إلى بلاد الشام سنة ١٨٤٠م ؛ ذلك أنها كانت تظهر في سنوات وتحتفي في أخرى لتعود وتظهر مجدداً ، ما يدل على عدم استقرار تصنيفها الإداري ، وتردد العثمانيين في اتخاذ قرار نهائي بشأن إلغائها قبل صدور قانون تشكيل الولايات سنة ١٨٦٤م .

٢- أن إسناد ولاية طرابلس إلى والي صيدا في بعض السنوات ، لا يعني إلغاءها . ذلك أن تعيين شخص على أكثر من ولاية في آن ، كان أمراً شائعاً عند العثمانيين في القرن التاسع عشر ، ولم يكن يعني قط أن الدولة ألغت الولاية المسندة إلى والي ولاية مجاورة لها . نذكر من ذلك مثلاً أن الدولة كانت سابقاً قد عينت أحمد باشا الجزائر والياً على ولايات صيدا وطرابلس والشام في آن<sup>(٥)</sup> .

(١) سجل ط ، ٥٧ ، ص ٤٩ .

(٢) سجل ط ، ٥٨ ، ص ٢٥١ .

(٣) سجل ط ، ٦٩ ، تاريخ ١٢٧٦-١٢٧٨هـ ، ص ٣٥٠ .

(٤) ذكره عبد العزيز عوض أن ولاية طرابلس اختفت عن التقسيمات الإدارية في بلاد الشام بعد عودة العثمانيين إليها سنة ١٨٤٠م وأصبحت لواءً تابعاً لصيدا (ينظر : عوض ، الإدارة العثمانية ص ٦٥) .

(٥) سجل ط ، ٣٦ ، ص ٣٣ . حيث نجد بيورلدي موجه من الجزائر إلى متسلم طرابلس ومقوقع بعبارة «أحمد باشا الجزائر والي صيدا والشام وطرابلس حالاً» .

٣- من جهة ثانية نلاحظ أن العثمانيين لم يعينوا في تلك المرحلة والياً واحداً متفرغاً لولاية طرابلس في سنوات تصنيفها كولاية ، بل كانوا يسندونها دائماً إلى والي صيدا ، ما يدل على تحوّل اهتمامهم عنها إلى ولاية صيدا . وتجدر الإشارة هنا إلى أن والي صيدا وطرابلس كان يتخذ مقرّ إقامته الدائم في صيدا ، كما يتبيّن من البيورلديات الصادرة عنه ، حيث كانت تختتم في نهايتها بعبارة «أصدرنا بيورلدينا هذا من ديوان استقلالنا ومشيرانية صيدا وملحقاتها»<sup>(١)</sup> ، الأمر الذي يعكس تهميش دور طرابلس .

## ثانياً- تبدلات التبعية الإدارية والإمتداد الجغرافي لسنجق طرابلس

١٨٤٠-١٩١٨م

### أ- تحويل طرابلس إلى سنجقية تابعة لولاية صيدا:

في سنوات إلغاء ولاية طرابلس كما رأينا ، كانت مرتبة مدينة طرابلس تتدنى إدارياً ، وكان تصنيفها الإداري يهبط ليقصر على مركز سنجقية تابعة إدارياً لولاية صيدا .

ويتبيّن من بيورلدي مرسل من والي صيدا إلى قائمقام سنجاق طرابلس سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م ، أن هذا السنجق كان يضمّ ستة أفضية ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من نصّ هذه الوثيقة :

«أمر كريم مشيري من والي صيدا وطرابلس وملحقاتهما صادر على موجب فرمان العالي .

رفعتلو أفندي : إنه لقد صار شرف صدور فرمان عالي . . . . . بخصوص المرابحة . . . وواصلكم طيّبه ستة صور بمقدار القضاوات التابعة سنجاق طرابلس . . . في ٩ ن ١٢٦٨هـ»<sup>(٢)</sup> . لكن الوثيقة لا تأتي على ذكر هذه الأفضية .

(١) سجل ط ، ٥٧ ، ص ٧٩ .

(٢) سجل ط ، ٦٢ ، ص ١٥٥ . ينظر نص البيورلدي كاملاً في الملحق رقم ١ .

ب: تقليص الامتداد الجغرافي لسنجق طرابلس؛

ومن جهة أخرى ، فقد تقلّصت مساحة سنجق طرابلس في تلك المرحلة من الجهتين الشمالية والجنوبية . فسلخ عنه قضاء حصن الأكراد من الشمال وألحق بولاية الشام<sup>(١)</sup> ، كما سلخت عنه من الجنوب مقاطعات جبيل والبترون وثلثي مقاطعة الكورة ، ومن الشرق مقاطعات الزاوية وجبّة بشري والهامل ، التي ألحقت بقائمقامية النصارى عند إنشاء نظام القائمقاميتين في ٧ كانون الثاني سنة ١٨٤٢م ، إثر الفتنة الطائفية التي وقعت في جبل لبنان سنة ١٨٤١م<sup>(٢)</sup> . وقد رأى بعض الباحثين أن ضمّ هذه المقاطعات إلى قائممقامية الموارنة جاء إرضاء لبطرك الموارنة وسفراء بعض الدول الأوروبية<sup>(٣)</sup> .

(١) عوض : الإدارة العثمانية ص ٦٥ .

(٢) ترحيني ، الأسس : ص ٤٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٧-٥٨ . وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه على خلاف ما ذكر الترحيني من أن والي صيدا أسعد باشا أقدم على سلخ الكورة وجبيل وإهدن وبشري عن دائرة صلاحية قائم مقام النصارى وجعلها مرتبطة بوالي صيدا (المرجع نفسه ، ص ٥٦) ، تدلّ سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس أن هذه المناطق كانت قبل إنشاء نظام القائمقاميتين ، تابعة إدارياً إلى ولاية طرابلس ، وكان ولاية طرابلس يلزمونها لمشايخ بني حمادة من ١٦٦٦-١٧٦٠م (ينظر : سجل ط ، ١ ، ص ١١ ، ٥٥ . وسجل ط ، ٢ ، تاريخ ١٠٧٨-١٠٧٩هـ ، ص ٧٨ ، وسجل ط ، ٣ ، تاريخ ١٠٨٨-١٠٩٦هـ ، ص ١٢٩ . سجل ط ، ٦ ، ص ٦ . سجل ط ، ٧ ، تاريخ ١١٤٣-١١٤٤هـ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٦ ، ٢٠٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٠ ، سجل ط ، ٩ ، تاريخ ١١٥٨-١١٦٠هـ ، ص ١٣٩-١٤١ . وسجل ط ، ١٠ ، تاريخ ١١٥٩-١١٦٠ ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ . وسجل ط ، ١١ ، تاريخ ١١٦١-١١٦٢هـ ، ص ٧٠ . وسجل ط ، ١٢ ، تاريخ ١١٦٣-١١٦٤هـ ، ص ١٤٤-١٤٧ . وسجل ط ، ١٤ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ . وسجل ط ، ١٥ ، تاريخه ١١٧٠-١١٧١هـ ، ص ١٥٣ ، ٢٢٠ . وسجل ط ، ١٨ ، ص ١٧-١٨) ، وبعد القضاء على حكم آل حمادة أصبح ولاية طرابلس يلزمون هذه المناطق للأمير يوسف الشهابي (سجل ط ، ١٨ ، ص ٢١٥ ، ٤٠ ، ٤٧) ، وللأمير بشير الشهابي الثاني من بعده (سجل ط ، ٤٥ ، ص ٣٧٧) .



وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العديد من الباحثين ذكروا أن مقاطعة الكورة ألحقت بكاملها بقائمقامية النصارى سنة ١٨٤٢م<sup>(١)</sup>، في حين تدل الوثائق أن الكورة كانت قبل تلك السنة مقسّمة إلى مقاطعتين؛ مقاطعة ثلث الكورة وأنفة وكانت تلزم للأمرء الأيوبيين<sup>(٢)</sup>، ومقاطعة ثلثي الكورة وكانت تلزم للأمير بشير الشهابي الثاني<sup>(٣)</sup>. وقد ألحقت مقاطعة ثلثي الكورة بقائمقامية النصارى التي أنشئت في تلك السنة، في حين بقيت مقاطعة ثلث الكورة تابعة لولاية طرابلس كما يتبيّن من المقطع الآتي من نصّ وثيقة: «المعروض على جنابكم الكريم دام لكم العز والتكريم، هو أنه قد ادعى لدينا المير عبد الواحد الحبوش من أهالي قرية بدبهون التابعة لمقاطعة ثلث الكورة من أعمال طرابلس الشام على الذمي جرجس ولد الذمي موسى عبود من أهالي قرية شكا التابعة لثلثي الكورة من أعمال جبل لبنان مقررًا في دعواه...»<sup>(٤)</sup>.

وعند إنشاء متصرفية جبل لبنان سنة ١٨٦١م، سلخت مقاطعة ثلث الكورة عن سنجق طرابلس، ما عدا بلدة القلمون، وألحقت بمتصرفية جبل لبنان، كما يتبيّن من بروتوكول متصرفية جبل لبنان. فقد جاء في المادة الثالثة من نظام لبنان الصادر في ٩ حزيران ١٨٦١م، «أن الجبل يقسم إلى ست مقاطعات إدارية وهي: الكورة بما فيها الجهة السفلى<sup>(٥)</sup> وباقي قطع الأرض المجاورة الأهلة بالروم الأرثوذكس ما عدا بلدة القلمون الكائنة على ساحل البحر،

(١) ترحيني، الأسس، ص ٥٦.

(٢) سجل ط، ٣٠، ص ٢١٣.

(٣) سجل ط، ٤٥، ص ٣٧٧.

(٤) سجل ط، ٦٢، ص ٨٨. ينظر نص الوثيقة كاملاً في الملحق رقم ٢.

(٥) كانت تعرف سابقاً بمقاطعة ثلث الكورة، وكانت تقع في التزام الأمرء الأيوبيين في الفترة ١٧٢٣-

١٨٢٨م. ينظر فاروق حبص: الإمارة الأيوبية في الكورة، إعلاميا، طرابلس لبنان، ٢٠٠٣م، ص

٥٨-٥٩. وسأشير إليه لاحقاً: حبص: الإمارة.

وكلّ سكانها تقريباً من المسلمين» (١) .

إذن شهدت طرابلس في المرحلة ١٨٤١-١٨٦١م، تغييرات ملحوظة في وضعها وتصنيفها الإداري، وفقدت من ثم سلطة الإشراف على المقاطعات التي سلخت عنها، وهي: مقاطعة جبيل، ومقاطعة البترون، ومقاطعة جبّة بشري، ومقاطعة الزاوية، ومقاطعة الكورة، ومقاطعة حصن الأكراد. أي أن نفوذ طرابلس الإداري تقلّص في هذه المرحلة إلى نصف ما كان عليه سابقاً .

### ج- إلحاق سنجق طرابلس بولاية سورية؛

بعد فتنة ١٨٦٠م الطائفية في جبل لبنان، ونجاح تجربة متصرفية جبل لبنان، واستقرار الأوضاع الأمنية والسياسية هناك، لم يعد لولاية صيدا دور مهم في ضبط الأوضاع في هذا الجبل الذي أصبح يرتبط مباشرة بالعاصمة إسطنبول. غير أن أخطاراً أخرى كانت تتفاعل في الساحة الشامية، وتثير قلق العثمانيين. منها منخططات الساسة الفرنسيين التي كانت ترمي إلى إنشاء دولة

(١) نقلاً عن ترحيني، الأسس: ص ٤٢٦-٤٢٧ .

- في عصر التنظيمات شاع مصطلح سنجقية ومصطلح لواء، وكانا بنفس المعنى والدلالة. ففي بيورلدي تشكيل ولاية سورية استخدم مصطلح لواء (ينظر صورة البيورلدي في الملحق ٣). أما في سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، فقد استخدم مصطلح سنجاجي، (ينظر سالنامه ولاية سورية ١٢٩٣). .

- في عصر التنظيمات شاع مصطلح سنجقية ومصطلح لواء، وكانا بنفس المعنى والدلالة. ففي بيورلدي تشكيل ولاية سورية استخدم مصطلح لواء (ينظر صورة البيورلدي في الملحق ٣)، أما في سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، فقد استخدم مصطلح سنجاجي (ينظر سالنامه ولاية سورية ١٢٩٣هـ). .

إسلامية في بلاد الشام بإمرة الأمير عبد القادر الجزائري<sup>(١)</sup>. ومنها أيضاً مواقف إسلامية في بلاد الشام مستاءة من الحكم العثماني بعد إصدار خط كلخانة سنة ١٨٣٩<sup>(٢)</sup>. في هذا الوقت كانت الدولة بصدد إعادة تقسيم ولاياتها على كامل أراضيها وإعادة تنظيمها استكمالاً لحركة الإصلاحات التي كانت قد بدأت بها منذ القضاء على الانكشارية سنة ١٨٢٦م. وفي غمرة ورشة إعادة التقسيمات الإدارية في بلاد الشام، يبدو أن العثمانيين رأوا أن توسيع ولاية الشام بضمّ ولاية صيدا لها، يساعد في تقوية نفوذ واليها وتدعيم سلطته وتمكينه من مواجهة الأخطار المحدقة بدولتهم هناك. وبالفعل فقد تمّ تشكيل ولاية واحدة سنة ١٨٦٤م، ضمّت ولايتي الشام وصيدا وعرفت بولاية الشام، كما نلاحظ من المقطع الآتي من بيورلدي تشكيلها:

«صورة البيورلدي الكريم الصادر من حضرة دولتو أفندينا محمد رشدي باشا المعظم، بإحالة قائممقامية لوا طرابلس الشام وتوابعها لعهدة لياقة سعادتو حسين حميد بك المفخّم أدام الله تعالى وجوده...»

افتخار الأكاير والأكارم جامع المحامد والمكارم صاحب الرتبة الثانية الممتازة عزتلو حميد بك أفندي المحوكة لعهدة لياقته الآن قائممقامية طرابلس الشام واللاذقية وملحقاتهما... لما أضحت إدارات الممالك المحروسة السلطانية في صورة مستوفية منتظمة حق الانتظام... وبناء عليه الآن قد صار تشكيل مثلها في قطعة عربستان مركبة من إيالتي الشام الشريف وصيدا والقدس الشريف وملحقاتهم، وسميت بإيالة سورية... ولما كانت هذه الولاية منقسمة إلى سبعة أقسام أحدهم طرابلس الشام واللاذقية وتوابعهما، وكان جل المرغوب تعيين العمال المتصفين بالدراية وحسن الإدارة ليكون قائمقاماً لهذا القسم،

(١) ترحيني، الأسس: ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) عبد الرؤوف سنو: النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١م، بيسان،

بيروت ١٩٩٨م، ص ٣٥-٣٧. وسأشير إليه لاحقاً: سنو: النزاعات.

وكنت أنت أيها البيك المومى إليه متحلياً بحلية الدراية والاستقامة استنسب أن تتحول لعهدة وإدارة القائمقامية المذكورة على وجه أن يكون مركزها في نفس طرابلس الشام التي يجب أن تقيم بها ، وتجري إدارة أحكام هذه القائمقامية بمقتضى منطوق التعليمات والنظامات . . . . . طبق منطوق الأمر العالي شرف صدره في أوائل شهر ذي القعدة الشريف سنة إحدى وثمانين بعد المائتين والألف . . . . . صدر مرسومنا هذا من ديوان ولاية سورية الجليلة ليجري العمل بمقتضاه وإعملوا بمقتضاه وأعلموه وإعملوا بموجبه واعتمدوه في ١٣ ذي الحجة ١٢٨١هـ .<sup>(١)</sup>

يتبين لنا من هذا المقطع من البيورلدي المعطيات الأساسية الآتية :

- ١- إنشاء ولاية سورية سنة ١٨٦٤ م .
- ٢- إلغاء ولاية صيدا وضمها وسناجقها إلى ولاية سورية في تلك السنة .
- ٣- أن طرابلس بقيت مركز لواء (سنجقية) وألحقت بولاية سورية .
- ٤- أن سنجقية اللاذقية اختفت وألحقت بلواء طرابلس .
- ٥- أن مركز لواء طرابلس - اللاذقية حدد في مدينة طرابلس (طرابلس نفسها) .

#### د- توسيع سنجق طرابلس ثم تقليصه:

إذن ، بعد ضمه إلى ولاية سوريا ، جرى توسيع سنجق طرابلس من الشمال على نحو ملحوظ ، وأصبحت حدوده الشمالية تصل إلى رأس البسيط ، ويضم خمسة أفضية ، هي : قضاء طرابلس ويتبعه القرى العشر والأسكلة وناحية الضنية وناحية أرواد وناحية طرطوس ، وقضاء اللاذقية ، وقضاء جبلة ، وقضاء صافيتا ، وقضاء عكار<sup>(٢)</sup> . أمّا قضاء حصن الأكراد الذي سبق وسلخ عنه ، فقد

(١) سجل ط ، ٧٢ ، تاريخ ١٢٨١-١٢٨٣هـ ، ص ١٣١ . ينظر نصّ البيورلدي كاملاً في الملحق ٣

(٢) سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٨٣هـ . وسالنامه ولاية سورية ١٢٩٦هـ ، ص ٧٧ ، ٨٠-٨٢ ، ٨٥-٨٦ .

بقي في ذلك التاريخ تابعاً لسنجق حماه<sup>(١)</sup>. غير أن حدود سنجق طرابلس الشمالية لم تبقى ثابتة لمدة طويلة كما يتبين من سالنات ولاية سورية في تلك المرحلة. ففي سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م، أعيد تشكيل لواء اللاذقية الذي كان ألغي سنة ١٨٦٤م، وألحقت به أفضية اللاذقية وجبله وصهيون والمرقب<sup>(٢)</sup>، وبذلك فصلت هذه المناطق عن لواء طرابلس الذي أصبح يقتصر فقط على أربعة أفضية، هي: قضاء طرابلس<sup>(٣)</sup>، وقضاء عكار<sup>(٤)</sup>، وقضاء صافيتا<sup>(٥)</sup>، بالإضافة إلى قضاء الحصن<sup>(٦)</sup> الذي أعيد ضمّه إليه في تلك السنة.

ويبدو من سالنات ولاية سورية العائدة إلى ما بعد سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م، أن لواء طرابلس احتفظ بحدوده ولم يطرأ عليه تعديلات قبل فصله عن ولاية سورية وضمّه إلى ولاية بيروت<sup>(٧)</sup>.

#### هـ- طرابلس سنجقية تابعة ولاية بيروت:

كانت مدينة بيروت مركز سنجقية تابعة ولاية سورية سنة ١٨٦٤م<sup>(٨)</sup>. غير أن تزايد أهميتها بعد نمو الحركة التجارية في مينائها في أواسط القرن التاسع عشر، وحساسيتها جرّاء تزايد تغلغل النفوذ الأجنبي فيها، وبعدها عن دمشق

(١) سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٨٣هـ. وسالنامة ولاية سورية ١٢٩٦هـ، ص ٧٧، ٨٠-٨٢، ٨٥-٨٦.

(٢) سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٨هـ، ص ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٦) المصدر نفسه، ١٧٥.

(٧) ينظر مثلاً سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٩هـ.

(٨) سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٨، وسالنامة سورية لسنة ١٢٩٩هـ.

مركز ولاية سورية ومقر إقامة واليها ، دفعت الدولة العثمانية إلى تحويلها في سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م<sup>(١)</sup> إلى ولاية تضمّ السناجق الآتية : سنجق بيروت ، وسنجق عكا ، وسنجق نابلس ، وسنجق طرابلس ، وسنجق اللاذقية<sup>(٢)</sup> . ويتبين من سالنات ولاية بيروت أن سنجق طرابلس بقي كما كان قبل إلحاقه بهذه الولاية ، واحتفظ بالأقضية الآتية : قضاء طرابلس ، وقضاء عكار ، وقضاء صافيتا ، وقضاء الحصن<sup>(٣)</sup> .

### - انعكاسات التقسيمات في عصر التنظيمات على الدور السياسي والإداري لمدينة طرابلس :

كانت طرابلس في عصر ما قبل التنظيمات مركز ولاية مترامية الأطراف ، وكان نفوذها الإداري والسياسي يمتد على منطقة واسعة ، يحدها شمالاً اللاذقية ضمناً ، وجنوباً جبيل ضمناً ، وشرقاً خط يمتد على رؤوس جبال لبنان الشمالية نزولاً إلى الهرمل وحمص وتدمر وسلمية . وكانت طرابلس تشكل المرجع الإداري للعائلات السياسية (الإقطاعية) الحاكمة في مقاطعات تلك المناطق . ومع تقلص حدودها الإدارية في عصر الالتزام<sup>(٤)</sup> ، ظلت طرابلس المرجع الإداري للمقاطعات الواقعة في المناطق الممتدة من نهر إبراهيم جنوباً إلى اللاذقية ضمناً من الشمال ، والهرمل ضمناً من الشرق . وكان ولايتها يتحكمون الحالة السياسية في هذه المقاطعات ، عبر اختيار ملتزمي جباية ضرائبها من هذه العائلة أو تلك . وبمعنى آخر كانت طرابلس محور الحالة السياسية في هذه المناطق ، ومحط رحال الطامحين إلى الحصول على مركز إداري رفيع (ملتزم ،

(١) عوض ، الإدارة العثمانية ، ص ٧٢ .

(٢) سالنات ولاية بيروت لسنة ١٣١١هـ . وسالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣٢٤هـ .

(٣) سالنات ولاية بيروت لسنة ١٣١١هـ ، ص ١٥٤ .

(٤) يستثنى منها مدة حكم محمد علي باشا المصري في بلاد الشام ١٨٣١-١٨٤٠م .

صاحب مالكانة . . . ) ، وقبله التجار والحرفيين في أي من هذه المقاطعات (١) . إضافة إلى ذلك بلغ نفوذها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، حدّ ترجيح كفة الأمراء الشهابيين المتنافسين للحصول على حكم الإمارة الشهابية ، وذلك من خلال تلزيم أحدهم مقاطعات جبيل والبترون وجبّة بشري والهرمل وثلثي الكورة . وتجدر الإشارة إلى أن ولاية طرابلس تمكّنوا من خلال هذا التلزيم من أداء دور ملحوظ في الصراع بين ولاية عكا وولاية الشام (٢) .

غير أن سلخ مقاطعات جبيل والبترون وجبّة بشري والهرمل وثلثي الكورة عن طرابلس في عصر التنظيمات ، قد قضى على نفوذ ولايتها في تلك المقاطعات التي أصبحت تدور في فلك قائممقامية النصارى ١٨٤٢-١٨٦٠م ،

---

(١) كان على الملتزم الحضور إلى ديوان والي طرابلس أو إرسال من ينوب عنه في إجراء عقد الالتزام ، كما كان يتوجب عليه الحضور إلى المحكمة الشرعية لتسجيله ، ينظر عقود الالتزام في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس .

(٢) سنة ١٧٧٩م ، أقدم والي طرابلس عثمان باشا المرعبي بمد ملتزم جبيل الأمير حيدر الشهابي بجيش من طرابلس لطرده خصم هذا الأخير الأمير أحمد الشهابي ، (حبص : الجذور ، ص ١٧٢) . وبعد وفاة الأمير ملحم الشهابي اختلف أخواه أحمد ومنصور على الحكم ، ثم خرج ابنه الأمير يوسف مطالبا بحقه في إمارة والده . في هذا الوقت كان الخلاف على أشده بين والي دمشق عثمان باشا الكرجي ، ووالي صيدا محمد باشا العظم ، فاستغلّ والي دمشق هذا الخلاف ، وأعلن دعمه للأمير يوسف ، وأوعز إلى ابنه محمد باشا ، الذي كان والياً على طرابلس ، بإعطائه التزام جبيل والبترون وجبّة بشري سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م . وهكذا بدأ الأمير يوسف حكمه من المقاطعات التابعة لطرابلس ، ثم تمكّن من التزام المقاطعات الواقعة في الإمارة الشهابية وإزاحة حليف خصمه والي صيدا عن الإمارة (حبص : الإمارة ، ص ١٢٠-١٢١) .

ومتصرفية جبل لبنان ١٨٦١-١٩١٨ م ، سياسياً وإدارياً واقتصادياً واجتماعياً<sup>(١)</sup> . وقد كان لاستمرار هذا الوضع لأكثر من نصف قرن من الزمن أثره السلبي في العلاقة بين طرابلس وهذه المقاطعات . وما تزال ذبول هذا الإجراء قائمة حتى يومنا الحاضر ؛ ذلك أن سكان هذه المناطق لا يرتادون طرابلس اليوم ، بل يتوجهون إلى بيروت للتعليم والعمل والتسوق .

غير أن إلغاء ولاية طرابلس ، وتحويل طرابلس المدينة إلى مركز سنجقية حسب ، تابعة إدارياً تارة إلى صيدا وتارة إلى دمشق ، وأخرى إلى بيروت ، كان بمثابة الضربة الأشد قسوة على نفوذها الإقليمي . فبعدما كانت مرجعية إدارية لمنطقة شاسعة ، وعلى اتصال مباشر بالعاصمة إسطنبول ، أصبحت اتصالاتها بالعاصمة تمرّ لزاماً بصيدا أو دمشق أو بيروت . وكان عليها لزاماً الحصول على موافقة المسؤولين في هذه المدن ، لرفع مطالبها إلى عاصمة الدولة العثمانية . وبذلك تباعدت المسافة بين المسؤولين في العاصمة وفعاليات المدينة ، ما أثر في مكانتها هناك .

ليس هذا حسب ، بل إن فعاليات سنجق اللاذقية ، ارتبطت كذلك بصيدا ودمشق وبيروت ، وأصبحت بغنى عن طرابلس ، ما أضعف نفوذ هذه الأخيرة فيها .

ومن جهة أخرى فقد كان لإلغاء نظام الالتزام في بداية عصر التنظيمات ، انعكاسات سلبية على العلاقة بين العائلات السياسية في الأقضية التي بقيت

(١) تدل دفاتر شركة الخواجات مخاييل جبور ، وهي شركة تجارية أدت دوراً رئيساً في الاقتصاد في جبل لبنان في منتصف القرن التاسع عشر ، على العلاقات الاقتصادية لهذه الشركة مع قرى عديدة في الكورة والبترون وجبيل (ينظر سيمون عبد المسيح : التحولات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الكورة في منتصف القرن التاسع عشر ، بحث نشر في أعمال المؤتمر الأول لتاريخ الكورة ، بعنوان : «جوانب من تاريخ الكورة في العهد العثماني ، إعلاميا ، طرابلس لبنان ١٩٩٩م ، ص ١١٥-١٦٥) وسأشير إليه : عبد المسيح ، التحولات .



تابعة لسنجق طرابلس ، وهي قضاء الحصن وقضاء صافيتا وقضاء عكار ؛ ذلك أن القوى السياسية في هذه الأفضية التي كانت تسعى فيما سبق ، إلى التقرب من المسؤولين في طرابلس للحصول على التزام مقاطعاتها ، لم تعد بحاجة لهؤلاء بعد إلغاء هذا النظام واعتماد إدارة جديدة تعتمد الانتخابات للفوز بالمراكز الإدارية الرفيعة .

### - انعكاسات التنظيمات في الأفضية التي سلخت عن طرابلس الكورة مثالاً:

أدى فصل الكورة عن طرابلس وضمها إلى قائممقامية الموارنة سنة ١٨٤٢م ، إلى تغيرات جذرية في بنيتها السياسية والاقتصادية ، وكانت له انعكاسات واضحة على علاقة هذه المنطقة بحيطها وعلى دور عائلاتها السياسية العريقة كالأمراء الأيوبيين ومشايخ آل العازار .

فإلحاقها بقائمقامية الموارنة أدخلها في متاهات النظام الطائفي الذي عانت منه هذه القائمقامية ، وأدى إلى تهميش دور العائلات السياسية فيها ؛ ذلك أن مجلس إدارة القائمقامية الذي وضعه شكيب أفندي إلى جانب القائمقام لمساعدته في تدبير الأمور المالية والقضائية ، كان يضمّ عضوين عن كل طائفة (قاضي ومستشار) يمثلانها في هذا المجلس الذي ينتخب أعضاؤه من قبل القائمقام ووالي صيدا بموافقة مطران الطائفة<sup>(١)</sup> . والملاحظ أن هذا المجلس لم يضمّ أحداً من أبناء الكورة لا أرثوذكسياً ولا سنياً ولا شيعياً ولا مارونياً<sup>(٢)</sup> ، ما

(١) نظام شكيب أفندي ، نقلًا عن فيليب وفريد الحازن : المحررات السياسية ، جونية ١٩١٠م ، ص ٢١٨-

(٢) كان أعضاء قائممقامية الموارنة : الشيخ يعقوب البيطار وكيل قائممقام الموارنة ، والشيخ جرجس أبي صعب مستشار ماروني من المزرعة ، والشيخ حسين الخطيب قاضي مسلم من رأس الحصن ، وسلمان مرهج قاضي روم من الشوير ، وعثمان حسامي مستشار مسلم من جبيل ، ومنح أبي رسام =

يدلّ على تهميش العائلات السياسية فيها في تلك المرحلة ، والقضاء على دورها التاريخي في إدارة منطقتها .

#### ١- تقلص ملحوظ في دور الأمراء الأيوبيين؛

قبل عصر التنظيمات ، حكم الأمراء الأيوبيون الكورة في الفترة ١٧٢٣-١٨٣١م<sup>(١)</sup> ، بل إنهم تمكنوا في ذلك التاريخ من توسيع منطقة التزامهم لتشمل مقاطعتي البترون وجبّة بشري أحياناً<sup>(٢)</sup> . وبعد سلخ مقاطعة ثلثي الكورة عن طرابلس ، تغيرت أحوال هؤلاء ولم يبق لهم نفوذ سوى على جزء صغير من الكورة ، عرف بناحية الكورة الشمالية التي بقيت على تبعيتها لطرابلس . ليس هذا حسب ، بل إن نفوذهم في تلك الناحية تقلص بشكل ملحوظ . ذلك أن الأمير الأيوبي الذي كان أشبه بحاكم محلي منفرد في ناحيته في عصر الالتزام ، تحوّل إلى مديراً للناحية الشمالية<sup>(٣)</sup> ، لا سلطة له على الأمور القضائية والمالية في مديريته .

أما الأيوبيون القاطنون في قرى مقاطعة ثلثي الكورة (رأس نحاش ، الهري

= مستشار روم من رأس المتن ، وحسن هندية مستشار متوالي من القصير ، وإبراهيم جهامي قاضي روم كاثوليك من الساحل ، وعلي بلوط قاضي درزي من المتن ، وعبد الله أبي خاطر مستشار كاثوليك من زحلة ، وعلي أبي قيدبيه مستشار درزي ، وخلييل القرداحي كاتب أسرار المجلس الماروني ، والخوروي أرسانيوس الفاخوري قاضي ماروني من بعدا . (ينظر ترحيني ، الأسس : ص ٤١٧) .

(١) حبلص : الإمارة ، ص ٥٣-٥٩ .

(٢) سجل ط ، ٧ ، ص ١٦٩ ، حيث نجد حجة التزام الأمير أحمد الأيوبي لمقاطعة البترون ومقاطعة جبّة بشري ، إضافة إلى مقاطعة الكورة .

(٣) جرجي تامر : الهدية الوطنية في نظامات لبنان والأثار الدستورية ، مطبعة متصرفية جبل لبنان ، ١٩٠٩م ، ص ٢٠٥ . وسأشير إليه : تامر ، الهدية .

وبدنايل وبتعبورة وحامات وإجدعبرين) التابعة لقائمقامية الموارنة ، فقد حرموا من أي منصب إداري أو سياسي فيها .

ومع إلحاق كامل الكورة بمتصرفية جبل لبنان ، أبعد جميع الأمراء الأيوبيين عن المراكز الإدارية الرفيعة بسبب حصر حق تمثيل قضاء الكورة في مجلس إدارة المتصرفية بالأرثوذكس فقط<sup>(١)</sup> من غير سائر الطوائف فيها ، وكذلك حصرت وظيفة قائمقام الكورة بالأرثوذكس أيضاً<sup>(٢)</sup> . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المتصرف داود باشا كان قد أوجد قاعدة تقضي بتعيين القائمقامين من الأمراء فقط ، لكنه لم يعين أحداً من أبناء الكورة الأمراء الأيوبيين في هذا المنصب ، واختار الأمير حسن شهاب من خارج الكورة بعدما اعتنق هذا الأخير المذهب

---

(١) المادة ٢ من بروتوكول لبنان سنة ١٨٦٤ م . ويتبين من أسماء الذين مثلوا الكورة في مجلس إدارة المتصرفية أنهم كانوا جميعاً من الطائفة الأرثوذكسية ، وهم : خليل الجاويش (ينظر أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية ، دار النها ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٤٣) ، و خليل قرطاس (رستم في عهد المتصرفية : ص ٨٠) ، وأسعد طالب (رستم في عهد المتصرفية ، ص ١٧٢) ، وعبد الله أفندي الحايك (مخائيل النجار : حديث تاريخي عن الكورة وبشمزين ، مطبعة الأديب طرابلس ، ١٩٥٢ م ، ص ٤٣ وسأشير إليه لاحقاً : النجار : حديث تاريخي) ، وإلياس أفندي الملكي (النجار : حديث تاريخي ، ص ٤٣) ، و جرجس العازار (النجار ، حديث تاريخي ، ص ٣٤) ، فؤاد العازار ثم جرجي تامر (النجار ، حديث تاريخي ، ص ٤٦) نقولاً غصن (Ismail: t. 20, p. 150) ، زخور العازار (لحدخاطر : عهد المتصرفين في لبنان ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٧ م ، ص ١٤١-١٤٢ ، ص ٢٠٠-٢٠١) .

(٢) وهم : إسكندر أفندي الخوري (ينظر رستم في عهد المتصرفية : ص ١٧٧) ، وأسعد بك طالب (إبراهيم الأسود : دليل لبنان سنة ١٩٠١ م ، المطبعة العثمانية ، بعداً ١٩٠١ ص ٤٩ . وسأشير إليه لاحقاً : الأسود : دليل لبنان .) ، وأمير الجرديني ، وعبدلله الخوري ، وفارس الخوري (الأسود : دليل سنة ١٩٠٦ م ، ص ٥٢) ، وفؤاد جرجي العازار ، ونجيب أفندي الخوري (تامر ، الهدية ص ٢٠٨) .

الأرثوذكسي<sup>(١)</sup> . وبقيت وظيفة مدير الناحية الشمالية أرفع وظيفة إدارية سمح للأيوبيين بتوليها<sup>(٢)</sup> . وما يجدر ذكره هنا أن أحد أهم أسباب ضعف سلطة هؤلاء ، كان إقدامهم على بيع مساحات شاسعة من ملكياتهم الزراعية<sup>(٣)</sup> ، ما أفقدهم إمكانية الإبقاء على نفوذهم الاقتصادي والاجتماعي ، وبالتالي السياسي .

## ٢- بروز عائلات أرثوذكسية جديدة في الإدارة والسياسة بعد إلحاقها بمتصرفية جبل لبنان؛

أدى استبعاد العائلات السياسية التقليدية في الكورة ، الأمراء الأيوبيين ومشايخ آل العازار ، عن المراكز الحساسة فيها طيلة حقبة القائمقاميتين ، إلى تهميش دور هاتين العائلتين ، وشكّل عاملاً مساعداً في تقويض الزعامة المحليّة لكل منهما . وكانت المدة التي استغرقها نظام القائمقاميتين كافية لزعزعة الاستقرار الاقتصادي- الاجتماعي والسياسي في هذه المنطقة التي بدأت الخروج من بنيتها المقاطعية ، مع تشكّل قوى اقتصادية برجوازية جديدة فيها . وتدلّ إحصائيات ملكية وسائل الإنتاج على أن فائض الإنتاج الزراعي والصناعي في قرى الكورة بكاملها كان يذهب في تلك المرحلة إلى عائلات معينة لا يزيد عددها على إحدى عشرة عائلة ، وهي : ملكي ، ومفرّج ، وطالب ،

(١) رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، ص ٤٥ .

(٢) تولّى وظيفة مدير الناحية الشمالية على التوالي كل من : الأمير إبراهيم أحمد حسان الأيوبي ، الأمير علي حسان الأيوبي ، والأمير عوض حسان الأيوبي ، والأمير عبد الرحمن الأيوبي . (ينظر رستم لبنان في عهد المتصرفية ، ص ١٧٧ . الأسود : دليل سنة ١٩٠١م و١٩٠٦م . وتامر ، الهدية : ص ٢٠٥ . والنجار : ص ٤١ . وسجل أوراق قائممقامية الكورة (متصرفية جبل لبنان) ، وثيقة نمرة ١٠٩ .

(٣) حبلص : الإمارة ، ص ١٦٨-١٧٢ .

وخزامي ، ومالك ، وطنوس ، وخوري ، وشماس ، ومعلم ، وسليمان ، وحاك (١) . إضافة إلى ذلك ، فقد شكّلت البيوتات التجارية الناشئة التي عمل أبناؤها بالسمسة لشركة عمشيت التجارية ، مثل آل غصن ، قوى اقتصادية مشابهة لهذه العائلات وربما فاقتها ثروة (٢) . وبدأت هذه القوى الناشئة تكتسب سمات مقاطعجية في زمن المتصرفية ؛ ذلك أنها أصبحت بفعل سيطرتها على وسائل الإنتاج ، تتحكّم بلقمة عيش نحو نصف سكان الكورة ، الأمر الذي أعطاه القدرة على تجميع أصوات هؤلاء لخدمة مصالحها الاجتماعية والسياسية . في مقابل ذلك لم يكن في الكورة في تلك الحقبة عائلة أرثوذكسية كبيرة لها امتداد وفروع في أكثر من قرية ، بحيث تكون قادرة على تجميع الحلفاء والأتباع عن طريق الحماية أو الجوار وغير ذلك (٣) . وقد أدّت الثروات التي جمعتها هذه القوى الجديدة إلى تطلّعها للعمل السياسي المحلي من أجل حماية مصالحها الاقتصادية ، الأمر الذي أدخلها في تنافس وصراع مع القوى التقليدية على المراكز الإدارية الحساسة في الكورة .

وفي الطرف الآخر كان مشايخ آل العازار ، الإقطاعيون الوحيدون بين الأرثوذكس ، لا يزالون يحتفظون ببعض ثروتهم ويحاولون تدعيم قواهم واستعادة سيطرتهم على المنطقة . وقد نجحوا في ذلك في أواخر مراحل المتصرفية .

### ٣- التنافس بين العائلات الأرثوذكسية على عضوية مجلس إدارة المتصرفية:

مع انتهاء حكم المتصرف داوود باشا ، أمر خلفه فرنكو باشا ، مشايخ قرى

(١) حبص : الإمارة ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) عبد المسيح ، التحولات الاقتصادية ، ص ٨٩ .

(٣) حبص : ظاهرة ، ص ٣٣

الكورة بانتخاب ممثل منطقتهم في مجلس إدارة المتصرفية<sup>(١)</sup> سنة ١٨٧٢م<sup>(٢)</sup>. وكانت تلك المرة الأولى التي عرف فيها الكورانيون الانتخابات بكافة مستوياتها وأشكالها.

غير أن إجراء الانتخاب في وقت انعدم فيه الاستقرار الاقتصادي - الاجتماعي في الكورة، أدى إلى تسريع وتيرة الصراع السياسي فيها بين فلول الإقطاعية المتداعية، والقوى البرجوازية الناشئة، كما ولد صراعاً جديداً داخل الطبقة البرجوازية ذاتها. وكانت انتخابات عضو مجلس الإدارة واحدة من أبرز مظاهر هذا الصراع. فجرت معارك انتخابية، كان بعضها حامياً لدرجة أنها أدت إلى أحداث دامية على نحو ما حصل في انتخابات سنة ١٩٠٩م<sup>(٣)</sup>، في حين أدى بعضها الآخر إلى إحداث شرخ داخل الطائفة الأرثوذكسية سنة ١٩٠٧م، وهدد بتحويل فريق من أبنائها إلى الإنكليكانية<sup>(٤)</sup>. إضافة إلى ذلك أدت هذه الانتخابات إلى استجلاب تدخل المتصرف والدول الأوروبية فيها، وتحولت بعض جولاتها إلى صراع بينه وبين قناصل هذه الدول من جهة، وبين هؤلاء ضد بعضهم بعضاً من جهة ثانية، لكنها أدت كلها إلى تغلغل النفوذ البريطاني

(١) بموجب بروتوكول ١٨٦١م، عين داوود باشا خليل جاويش ممثلاً للكورة في مجلس إدارة المتصرفية، كما عين سنة ١٨٦٥ خليل قرطاس في هذا المنصب، دون إجراء انتخابات في الكورة، على خلاف ما نص البروتوكول. والجدير بالذكر أن هذين الممثلين لم يكونا من أبناء الكورة رسمت: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٤٣، ٨٠.

(٢) رسمت، لبنان في عهد المتصرفية: ص ١٢٥.

(٣) جوزيف لبكي: انتخابات الكورة ١٩٠٨-١٩٠٩م ظروف وأحداث ونتائج، بحث نشر في أعمال مؤتمر جوانب من تاريخ الكورة في العهد العثماني، إعلاميا طرابلس لبنان، ١٩٩٣م، ص ١٦٧-٢٠٣. وسأشير إليه لاحقاً: لبكي: ظروف وأحداث.

(٤) النجار، حديث تاريخي: ص ٤٤.

والفرنسي والروسي في الكورة<sup>(١)</sup>. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الكورة، على خلاف سائر مناطق المتصرفية، لم تكن في حقبة تبعيتها لطرابلس، ساحة لنفوذ هذه الدول، يستثنى من ذلك تعاطف أبنائها مع روسيا بسبب انتمائهم المذهبي. ولعل الظاهرة الأبرز في هذه الانتخابات غياب الكنيسة الأرثوذكسية التام عن المعارك الانتخابية في الكورة، والحضور اللافت للكنيسة المارونية التي كانت اللاعب الأبرز فيها في دورات ١٨٩٥م و١٩٠٧م و١٩١٣م. علماً أن عدد الموارد في الكورة لم يكن يزيد على ٨/١ من مجموع سكانها<sup>(٢)</sup>. ولم تكن البرجوازية موحدة دائماً في المعارك الانتخابية، بل كانت عائلاتها في تنافس دائم ضد بعضها بعضاً، وغالباً ما ساند بعضها قوى الإقطاع ضد برجوازي منافس لها<sup>(٣)</sup>.

وبنتيجة هذه الانتخابات تمكنت البرجوازية من تصدّر العمل السياسي في الكورة في المرحلة بين ١٨٧١-١٨٩٢م، ودخلت في صراع مرير ودام أحياناً مع القوى الإقطاعية فيها، لكنها لم تستطع القضاء التام على هذه القوى التي عادت مجدداً إلى تمثيل منطقتها في السنوات الأخيرة من هذه المرحلة<sup>(٤)</sup>.

(١) يوسف الحكيم: بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار، بيروت ١٩٨٠م، ص ٦٨. وسأشير

إليه لاحقاً: الحكيم: بيروت ولبنان، ويوسف إبراهيم يزبك: أوراق لبنانية، دار الرائد اللبناني،

بيروت ١٩٨٣م، ج ١، ص ٣٦٣. وسأشير إليه لاحقاً: يزبك: أوراق لبنانية.

(٢) إسماعيل حقي: لبنان مباحث علمية واجتماعية، تحقيق فؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة

اللبنانية، بيروت ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٦٤٤-٦٤٥. والنجار، حديث تاريخي، ص ٤٣-٤٥.

(٣) على نحو ما حصل في انتخابات سنة ١٩٠٩م حين وقفت عائلات الكورة الوسطى البرجوازية مع

الإقطاعي فؤاد العازار ضد البرجوازي جرجي تامر (ينظر. لبكي، ظروف وأحداث، ص ١٦٧-

٢٠٣).

(٤) ينظر أسماء ممثلي الكورة في مجلس إدارة المتصرفية في هامش رقم ٨١.

- انعكاسات التنظيمات في الأقضية التي بقيت ملحقة بطرابلس،  
ومثالها عكار؛

بيد أن انعكاسات التنظيمات لم تكن سلبية على مدينة طرابلس وحدها، بل لقد تأثرت بها الأقضية التي بقيت تابعة لها إدارياً. وسأتناول هذه الانعكاسات على قضاء عكار، كنموذج عن سائر الأقضية .

#### ١- تبدل تصنيف عكار وتقسيماتها الداخلية والجهاز الإداري فيها؛

بقيت عكار بموجب التقسيمات الإدارية الجديدة ملحقة بسنجق طرابلس طيلة عصر التنظيمات<sup>(١)</sup>، كما بقيت تقسيماتها الداخلية، إلى ثلاث مناطق: الجومة والدريب والقيطع، قائمة في بداية هذا العصر من غير تعديلات تذكر، فيما عدا استبدال مصطلح مقاطعة الذي كان يطلق على كل واحدة من هذه المناطق، بمصطلح مديرية. وأصبحت كل مديرية تدار بواسطة مدير يرتبط مباشرة بقائم مقام طرابلس<sup>(٢)</sup>، بعدما كان يعهد بإدارتها إلى ملتزم قبل إلغاء نظام الالتزام<sup>(٣)</sup>.

ومع صدور قانون تشكيل الولايات سنة ١٨٦٤م، صُنفت عكار قضاءً، وعيّن قائم مقام لإدارتها، وأعيد مصطلح ناحية ليطلق على كل من مناطقها الثلاث الجومة والدريب والقيطع، وأصبح مديرو هذه النواحي يرتبطون مباشرة بقائم مقام عكار<sup>(٤)</sup>. وفي سنة ١٨٧٤م، ألغيت هذه النواحي الثلاث، واتخذت بلدة حلباً مركزاً للقائم مقامية<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر سالنامات ولاية سورية وولاية بيروت .

(٢) سجل ط، ٦٧، تاريخ ١٢٧٣-١٢٧٤هـ، ص ١٦٩. وسجل ط، ٦٩، ص ٣٤٠، ٣٥١.

(٣) سجل ط، ٥٩، ص ١٠٩.

(٤) سجل ط، ٧٧، تاريخ ١٢٨٨هـ، ص ٢٥٩.

(٥) سجلات المحكمة الشرعية في حلبا: سجل أحداث ١٣٠٣هـ، صفحاته غير مرقمة. وسأشير إليه

لاحقاً: سجل، ح.



إلى جانب ذلك شهدت عكار في عصر التنظيمات تغييرات جذرية في الجهاز الإداري ، كان لها انعكاسات ملحوظة على القوى السياسية المحلية فيها . فبالإضافة إلى استحداث منصب القائم مقام ، استحدث فيها مجلس إدارة القائم مقامية ، ومحكمة شرعية ودائرة مالية ضمت مدير المال وأمين الصندوق ، كما استحدثت دائرة طابو وقلم تحريرات ومجلس دعاوى القضاء<sup>(١)</sup> .

وبموجب الدستور العثماني ، حصرت صلاحيات القائم مقام بالنظر في الشؤون المالية والملكية والضابطة ، واعتبر مسؤولاً عن إجراء أحكام القضاء الداخلية وتحصيل وارداته وضبط نفقات الإدارة المحلية في قضائه . وكان من مهامه ترأس جلسات مجلس إدارة القائم مقامية . وكان متصرف سنجق طرابلس مرجعه الأول<sup>(٢)</sup> .

وكان مجلس إدارة القائم مقامية يتألف من أربعة أعضاء دائمين ، هم : نائب الشرع الشريف والمفتي ومدير المال ومدير التحريرات ، وأربعة أعضاء غير دائمين<sup>(٣)</sup> ، ينتخبون لمدة سنتين<sup>(٤)</sup> . وقد شملت صلاحياته التدقيق في مداخيل القضاء ومصاريفه ، ومراقبة الصحة العامة والمواصلات ، وتوزيع التكاليف ، المقررة من مجلس إدارة متصرفية طرابلس ، على قرى عكار . وبموجب القانون كانت قراراته تؤخذ بالتصويت ، واشترط أن تنال أكثرية ثلثي

(١) ينظر أي سالنامه لولاية سورية ، ومثال ذلك سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٩٨هـ ، ص ١٦٨-١٧٤ .

(٢) الدستور ، م ١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) سالنامه ولاية سورية ١٢٩٩هـ ، دفعة ٤ / ١٤ ، ص ١٩٦ . نص الدستور على أن يكون رؤساء جميع الطوائف الدينية في القضاء أعضاء دائمين في مجلس إدارة القضاء ، لكن وعلى خلاف ذلك تبين سالناتام ولاية سورية وولاية بيروت أن مجلس إدارة قضاء عكار لم يضم رؤساء الطوائف المسيحية فيها .

(٤) الدستور ، م ١ ، ص ٣٨٩-٣٩٢ .

الحضور إذا كانت جزائية ، وفي حال تعادل الأصوات يرجح رأي الفئة التي فيها القائم مقام (١) .

نستخلص من هذا القدر من هذه الإدارات والوظائف الإدارية التي استحدثت في عصر التنظيمات في عكار وسائر الأفضية ، أن الدولة أغرقت عكار بعدد كبير من الموظفين الذين خضعوا لهرمية إدارية ، بدءاً من أصغر موظف مروراً بالقائم مقام ومتصرف السنجق ووالي الولاية وصولاً إلى العاصمة . وكان الهدف منها ربط الأفضية بالعاصمة بمركزية صارمة .

## ٢- تناقص صلاحيات البكوات وتحولهم إلى موظفين في الإدارة الجديدة.

يبدو أن عصر التنظيمات في عكار لم يحدث تغيرات جذرية في بنيتها الاقتصادية-الاجتماعية على نحو ما حصل في الكورة . غير أن الإدارية الجديدة التي بدأت في ذلك العصر ، أكلت من رصيد بكوات عكار ، وأدت إلى إبعادهم عن أعلى منصب إداري فيها ، وتركت لهم إمكانية شغل مناصب من الدرجة الثانية فقط ، كما أغرقت المنطقة من جهة أخرى بعدد من الموظفين كان معظمهم من خارجها .

ويتبين لنا من أسماء الذين شغلوا منصب قائم مقام ، المنصب الإداري الأول في عكار في ذلك العصر ، أن معظمهم لم يكونوا من أبناء هذا القضاء ولا من البكوات فيه (٢) . وفي مقابل ذلك تمسك بكوات عكار بالوظائف التمثيلية في

(١) الدستور ، م ١ ، ص ٤١٣-٤١٥ .

(٢) نعرف من الذين تولوا منصب قائم مقامية عكار في عصر التنظيمات اثنين من أبنائها البكوات المراعبة ، وهما : محمد معين بك القدور (المرعبي) سنة ١٨٦٧م (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٨٣هـ ، ص ١٠٩) . محمد بك العبود (المرعبي) سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م (سجل : ٧٨ ، تاريخ ١٢٨٩هـ ، ص ١٢٥) . إلى جانب عدد كبير من خارج عكار وهم : محمد رفعت بك (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٩٦هـ ، دفعة ١١ ، ص ٨٥) ، ومحمد طاهر بك سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م =

منطقتهم ، وفازوا على نحو دائم في ملء المقعدين المخصصين للمسلمين من المقاعد غير الدائمة في مجلس إدارة عكار<sup>(١)</sup> ، كما تمكنوا في تلك المرحلة من

= (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٩٨هـ، دفعة ١٣، ص ١٧٤)، وعلي بك العظم سنتي ١٢٩٩-١٣٠٠هـ/١٨٨٢-١٨٨٣م (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٩٩، دفعة ٤/١٤، ص ١٩٦، وسنة ١٣٠٠، دفعة ١٥، ص ١٩١. عبد اللطيف بك ١٣٠١-١٣٠٢هـ/١٨٨٤-١٨٨٥م (سالنامة ولاية سورية ١٣٠١، دفعة ١٦، ص ١٥٢. وسنة ١٣٠٢، دفعة ١٧، ص ١٣٦)، وأحمد مختار أفندي وكيل قائم مقام عكار ١٣١١-١٣١٢هـ/١٩٠٣-١٩٠٤م (سالنامة ولاية بيروت ١٣١١-١٣١٢، ص ١٦١)، والأمير محمد الشهابي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م (سجل ح، أحداث سنة ١٣١٥هـ، صفحاته غير مرقمة)، وعين مرة ثانية سنة ١٩١٢م (جريدة الحوادث لصاحبها لطف الله خلاط عدد ٩٨، تاريخ ٢٣/١١/١٩١٢م)، ومحمد سعد الله بك ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م (سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣٢٤، ص ١٦٢).

(١) احتكر البكوات المراعبة تمثيل المسلمين في مجلس إدارة قائم مقامية عكار طيلة عصر التنظيمات، ونذكر منهم: محمد بك عبد القادر ومصطفى أغا سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٩٦هـ، دفعة ١١، ص ٨٥)، وعبد القادر بك ومصطفى بك أحمد سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م، (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٩٨هـ، دفعة ١٣، ص ١٧٤)، ومحمد بك عبد القادر ومصطفى بك أحمد مراد سنتي ١٢٩٩-١٣٠٠هـ/١٨٨٢-١٨٨٣م (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٢٩٩هـ، دفعة ٤/١٤، ص ١٩٦. ولسنة ١٣٠٠، دفعة ١٥، ص ١٩١)، ومحمد بك ومصطفى بك سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٤م (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٣٠١هـ، دفعة ١٦، ص ١٥٢)، وعثمان بك محمد اليوسف ومصطفى بك أحمد المراد سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م (سالنامة ولاية سورية لسنة ١٣٠٢هـ، دفعة ١٧، ص ١٣٧)، عثمان أغا المحمود وأسعد بك جديد سنة ١٣١١-١٣١٢هـ/١٩٠٣-١٩٠٤م (سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ، ص ١٦٠)، ومحمد رشيد بك الياسين وعلي بك الأسعد سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م (سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣٢٤هـ، ص ١٦٢).

الاحتفاظ بمقعد عضو في محكمة البداية في قائممقامية عكار<sup>(١)</sup>. بالإضافة إلى ذلك فقد شغل المراعبة بعض الوظائف في دائرة الزراعة<sup>(٢)</sup> وقيادة الجندرية في منطقتهم<sup>(٣)</sup>.

وبالمقارنة بين سلطة الملتزم التي شغلها البكوات المراعبة في عصر الالتزام، وبين صلاحيات عضو مجلس الإدارة وعضو محكمة البداية التي باتوا يشغلونها في عصر التنظيمات، يتبين لنا مقدار تقلص صلاحياتهم الرسمية في ذلك العصر. غير أن امتلاكهم معظم الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية في عكار، بالإضافة إلى الأتباع والأزلام<sup>(٤)</sup>، ساعد بعضهم في الاحتفاظ بنفوذه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

غير أن إبعاد هذه العائلة عن أعلى منصب إداري في منطقتها في عصر

(١) نذكر من بكوات المراعبة الذين كانوا أعضاء في مجلس دعاوى عكار: ياسين بك العبود ومصطفى بك الأحمد، سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م (سالنامه ولاية سورية سنة ١٢٩٦هـ، ص ٨٥)، ومصطفى بك الأحمد وحسين بك سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م (سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٩٩هـ، ص ١٩٦)، وعلي بك محمد وحسين بك عثمان، سنة ١٨٨٣م، (سالنامه ولاية سورية لسنة ١٣٠٠هـ، ص ١٩١). على بك محمد وحسين بك العثمان، سنة ١٨٨٤م (سالنامه ولاية سورية لسنة ١٣٠١هـ ١٥٣)، ورشيد بك الياسين وعلي آغا الأسعد سنة ١٩٠٢-١٩٠٤م (سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ، ص ١٦٠)، وعلي بك المصطفى سنة ١٩٠٦م (سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣٢٤هـ، ص ١٦٢).

(٢) كان عبد القادر بك الأحمد رئيساً لدائرة الزراعة في عكار سنة ١٩٠٦م، وكان علي بك الأسعد عضواً فيها، (سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣٢٤، ص ١٦٢).

(٣) ونذكر منهم محمد بك الأحمد وعمر بك محمد وحسين بك الياسين، الذين كانوا مسؤولين في طابور العسكر في عكار سنة ١٩٠٣-١٩٠٤م (سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ، ص ١٦١).

(٤) رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٢٤٧.

التنظيمات ، انعكس على بنيتها الداخلية التي قامت في الأساس على تفردتها بالسلطة في منطقتها قرابة قرن ونصف من الزمن<sup>(١)</sup> ، فظهرت في صفوفها عدة مواقف ، أبرزها :

أولاً- اتجه بعضهم إلى معارضة الإدارة الجديدة ولجأ إلى تشكيل عصابات مسلحة تأوي إلى الجبال وتتخذ أعمال النهب والسلب وقطع الطرق وسيلة لإزعاج السلطة<sup>(٢)</sup> .

ثانياً- اتجه بعضهم إلى التقرب من المعارضة السياسية زمن السلطان عبد الحميد الثاني ، والانتماء إلى جمعية الاتحاد والترقي ، أمثال محمد باشا المحمد وعثمان باشا المحمد<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً- رضخ بعضهم للأمر الواقع ، وخدم في الإدارة الجديدة على نحو ما رأينا . رابعاً- اتجه بعضهم نحو هجر قريته والسكن في طرابلس ؛ حيث وظف أمواله في مشاريع إنشائية جديدة كمشروع ترامواي طرابلس الميناء<sup>(٤)</sup> ، وكرخانات القطن<sup>(٥)</sup> .

### ٣- صعود عائلات مسيحية وتوليها وظائف إدارية مهمة:

كان عصر التنظيمات بمثابة نفلة نوعية في تاريخ النصارى في عكار . فالإعلان عن المساواة في الحقوق والواجبات بينهم وبين المسلمين ، والسماح لهم في دخول الوظائف العامة في الدولة ، كما جاء في خط كلخانة سنة

(١) بدأ البكوات المراعية بالتزام عكار سنة ١٧١٤م ، واستمروا في التزامها حتى إلغاء نظام الالتزام سنة

١٨٣٩م . ينظر وثائق التزام عكار في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، السجلات ٥-٥٥ .

(٢) وجيه كوثراني : بلاد الشام ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٢٧٦ .

(٣) الحكيم ، بيروت ولبنان : ص ٢٥٥ .

(٤) سجل ط ، ٨٨ ، تاريخ ١٣٠٢هـ ، ص ٢٤٧ .

(٥) سجل ط ، ٨٨ ، ص ٢٥-٢٦ .

١٨٣٩م ، قد أخذ طريقه إلى التطبيق في التنظيمات الإدارية الجديدة التي وضعت موضع التنفيذ مع تشكيل ولاية سورية . ذلك أن سالنات ولايتي سورية وبيروت تدلّ على أن النصارى في عكار شغلوا مناصب إدارية مهمة . وتدلّ على أنهم تمثلوا في عضوين منتخين في مجلس إدارة القائمقامية<sup>(١)</sup> ، مثل آل الكوسا وآل الراسي وضاهر وخوري وندر وعطية . كما تدلّ الوثائق على تمثيلهم كذلك بعضوين دائمين في مجلس دعاوى عكار<sup>(٢)</sup> ، بالإضافة إلى أن

- (١) من النصارى الذين شغلوا عضوية مجلس إدارة القضاء ، نذكر طنوس أفندي وإبراهيم أفندي خوري ، سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٦هـ ، ص ٨٥) ، وإبراهيم أفندي راسي وإبراهيم أفندي ضاهر سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٩هـ ، ص ١٩٦) ، وإبراهيم أفندي الراسي وإبراهيم أفندي ضاهر ، سنة ١٣٠٠ / ١٨٨٣م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٣٠٠هـ ، ص ١٩١) ، وطنوس أفندي راسي وطنوس أفندي ضاهر ، سنة ١٣٠١-١٣٠٢هـ / ١٨٨٤-١٨٨٥م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٣٠١هـ ص ١٥٢ ، وسالنات ولاية سورية لسنة ١٣٠٢هـ ، ص ١٣٧) ، وعبد الله راسي أفندي وطنوس ضاهر ، سنة ١٣١١-١٣١٢هـ / ١٩٠٣-١٩٠٤م (سالنات ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ ، ص ١٦٠) ، وعبد الله أفندي الكوسا ومخيل ضاهر عضوين في مجلس إدارة قضاء عكار سنة ١٩٠٦م ، (سالنات ولاية بيروت ١٣٢٤هـ ، ص ١٦٢) .
- (٢) من النصارى الذين كانوا أعضاء في مجلس دعاوى عكار ، نذكر : منصور أفندي خوري سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٥م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٨٣هـ ، ص ١٠٩) ، ويوسف أفندي عطية ومنصور أفندي خوري ، سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٦هـ ، ص ٨٥) ، وأنطانيوس أفندي عطية ومنصور أفندي خوري ، سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م (سالنات ولاية سورية لسنة ١٢٩٩هـ ، ص ١٩٦) ، وأنطونيوس أفندي عطية ومنصور أفندي خوري (سالنات ولاية سورية لسنة ١٣٠٠هـ ، ص ١٩١) ، وأنطونيوس أفندي عطية ومنصور أفندي خوري (سالنات ولاية سورية لسنة ١٣٠١هـ ، ص ١٥٣) ، وسالنات ولاية سورية لسنة ١٣٠٢هـ ، ص ١٣٧) ، ومنصور أفندي الخوري وطنوس الراسي (سالنات ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ ، ص ١٦٠) ، وأغناطيوس ضاهر أفندي سنة ١٩٠٦م (سالنات ولاية بيروت لسنة ١٣٢٤هـ ، ص ١٦٢) .

بعضهم شغل وظيفة مأمور في الدوائر الرسمية<sup>(١)</sup> .  
وبفضل هذه المناصب الإدارية الرفيعة ، أقدمت بعض العائلات المسيحية  
في عكار على شراء ملكيات زراعية شاسعة ، وتمكّنت من تجميع ثروة مادية  
ملحوظة ، بل إن بعضها ، مثل آل عطية وآل طعمة ، أصبح في عداد كبار  
الملاكين في تلك المرحلة<sup>(٢)</sup> . ولا شك في أن ذلك ساعد بعض النصارى على  
الدخول إلى الفئة الاجتماعية الأولى في محيطهم ، وبدأت تتشكّل بينهم طبقة  
أرستقراطية ، تنطحت للعمل السياسي مع عهد الانتداب ، وبدأ أفرادها دخول  
البرلمان اللبناني مع بداية الاستقلال سنة ١٩٤٣ م .

---

(١) مثل إسحق أفندي الكوسا وخلييل أفندي عطية (سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٨٣هـ ، ص ١٠٩) .  
(٢) تتضمّن وثائق المحكمة الشرعية في طرابلس العديد من وثائق شراء نصارى من عكار أراض زراعية ،  
مثال ذلك ، ينظر سجل ط ، ٦٤ ، تاريخ ١٢٧٠-١٢٧١هـ ، ص ٦٤-٦٦ .

ملحق ١ :

أمر من والي صيدا إلى قائم مقام سنجق طرابلس يبين عدد الأفضية التابعة  
 لطرابلس سنة ١٨٥١ ، سجلات المحكمة الشرعية قي طرابلس : سجل ٦٢ ، ص  
 . ١٥٥

امر كريم حسبي من والي صيدا وطرابلس والى قائم مقام سنجق طرابلس  
 رقم ١٥٥

انه بعد صدور لرفق صدر ورفمان عاير لسان فلو كان حاويي عالمه المنيق متعلق  
 الارادة السنية بخصوص المراج الذي مقتضى اضافتها مع المديون الذين نطق  
 من طرف الموقضين وهو قرار ثانيا بعد التزاد الاول بانه يكون المراج بالماله الرئسي  
 على غرض لتعوي من غير زياده والتقص والاستقراض يكون بغيره فجلس المجلس القاضي  
 الشرايع صوره عربيا وواصله طبع سنة صدر بمقدار التضاوت التاسع  
 سحاق طرابلس نيلهم بوصولها تدفعها على القصد استلذ كون وتبادروا  
 تبلا وترا بمقدار جميع وتقبيلها في سجلات المحاكم ونه تقفوا باجرا العمل  
 مقتضى نفاذ الامر والارادة حسنة بعد الان بهذا الخصوص عرض عرف  
 وتقبيل والطفنا بخصطه بوصول صوره كقران العاير وارجا اقتضاه البتة  
 يكون معلوم

سرايا  
 صدا  
 معكم

٩ ن ١٤٦٤



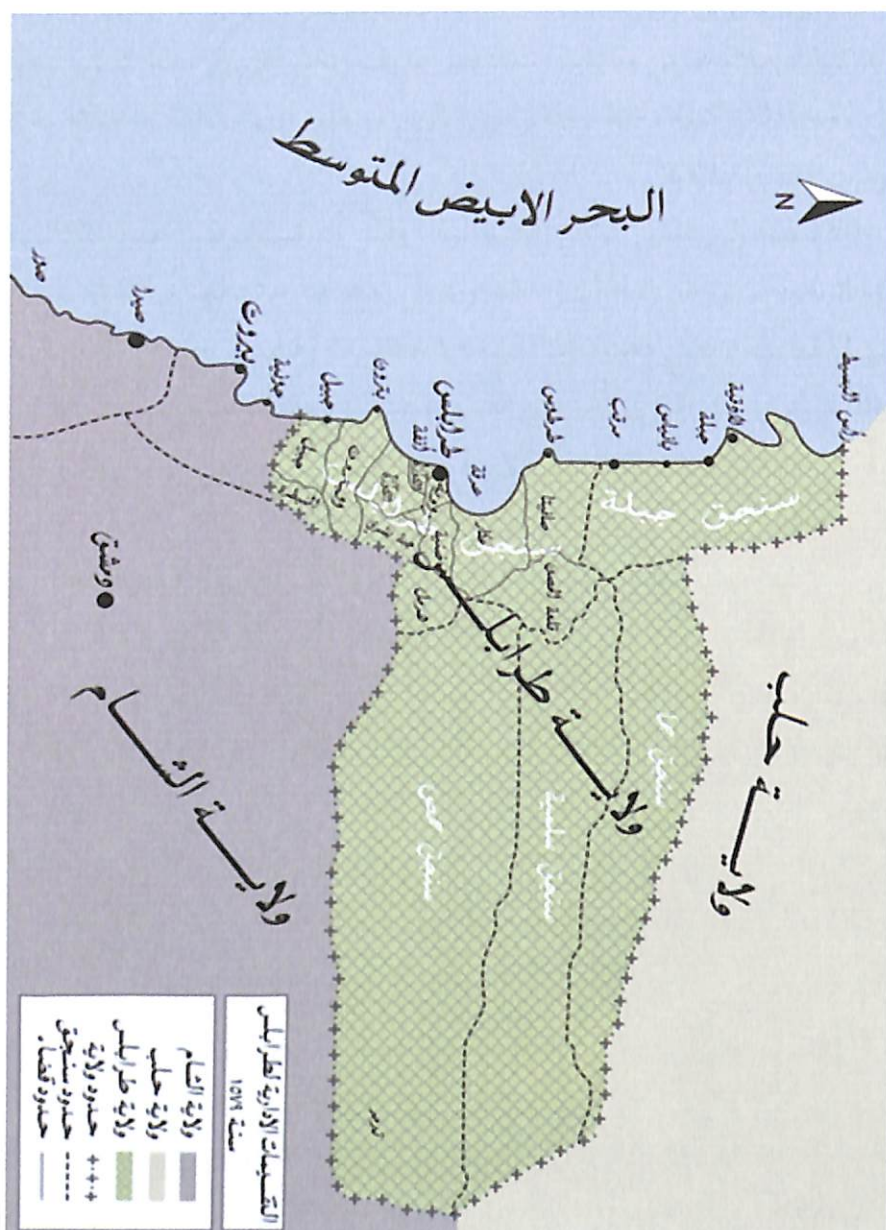


ملحق ٣:

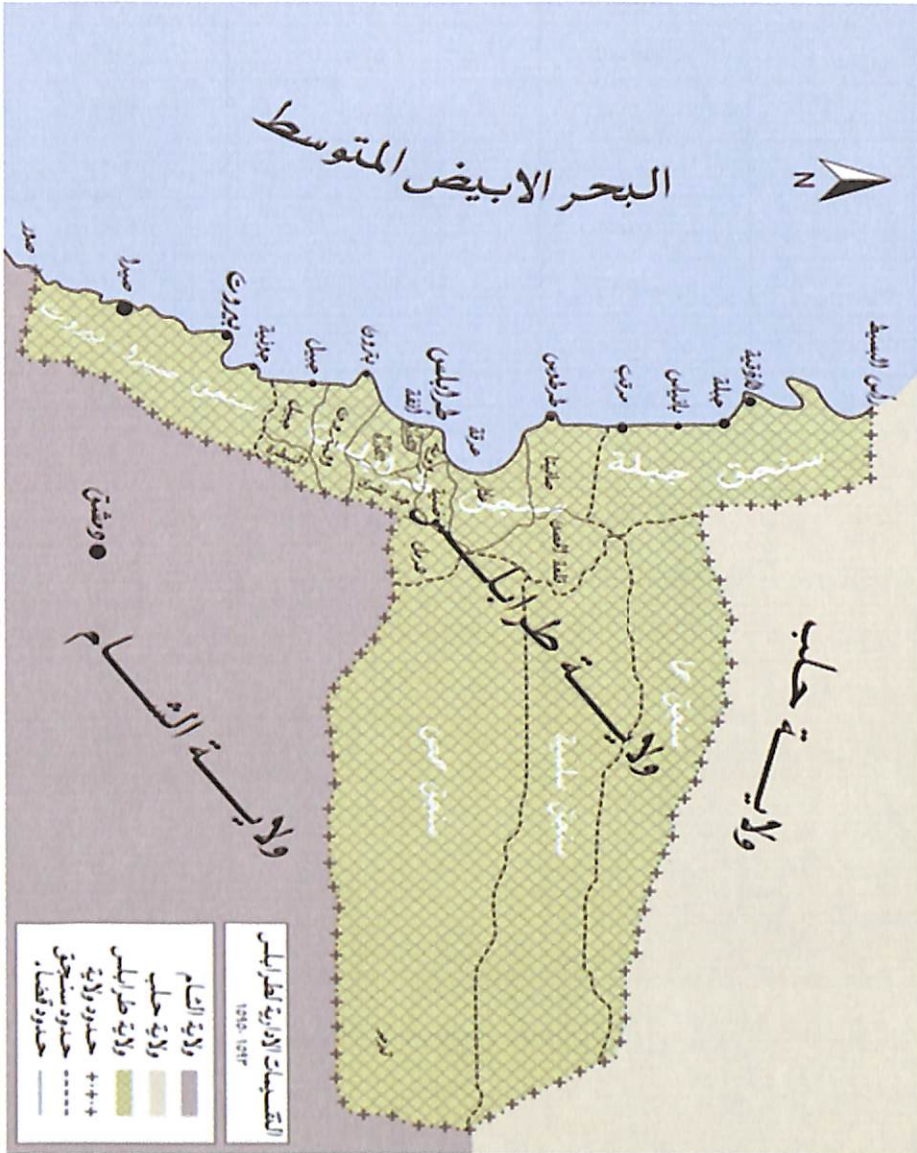
بيورلدي إنشاء ولاية سورية ١٨٦٤، سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس : سجل ٧٢، ص ١٣١ .



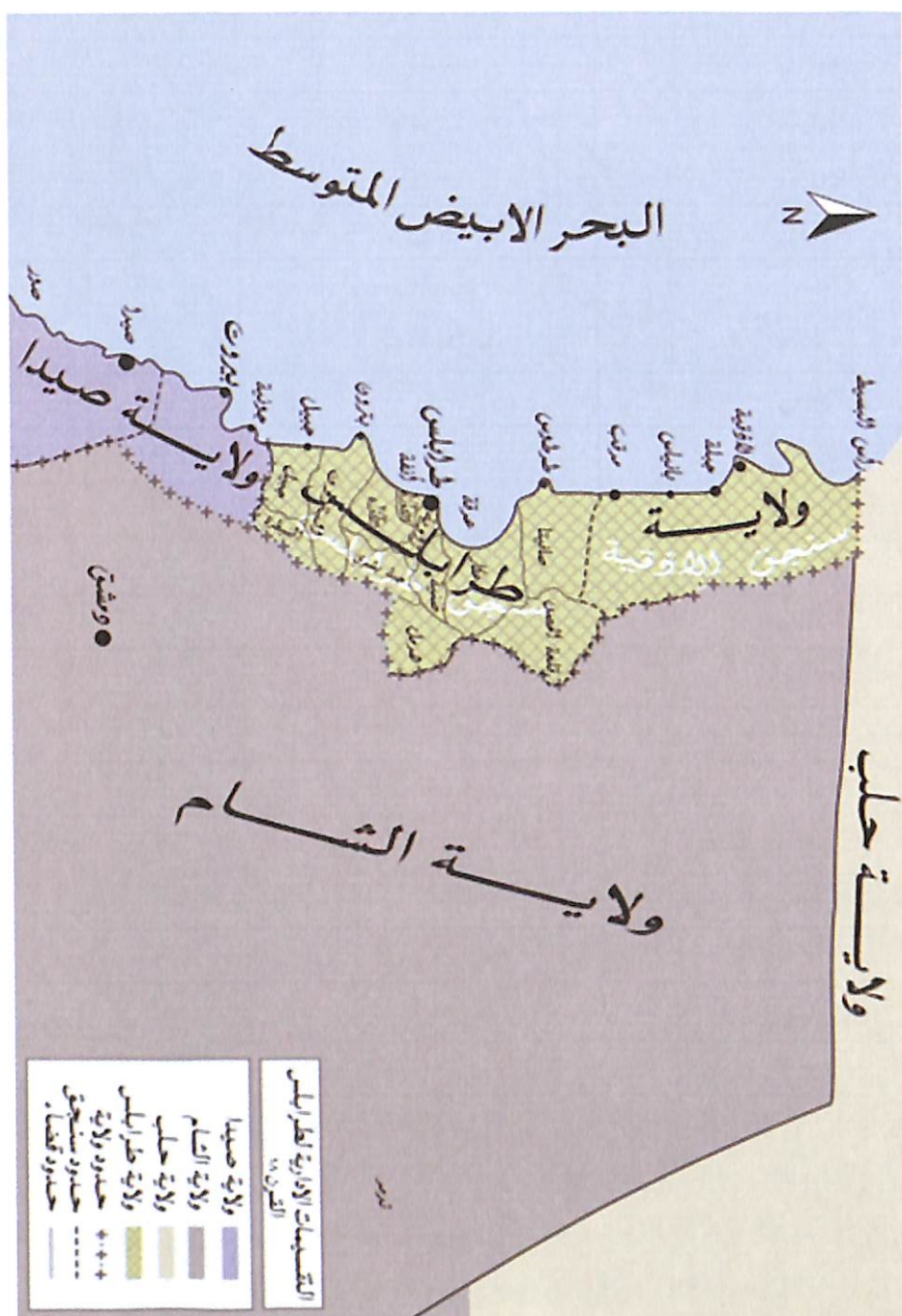
خريطة (١)



خريطة (٢)



خريطة ( ٣ )



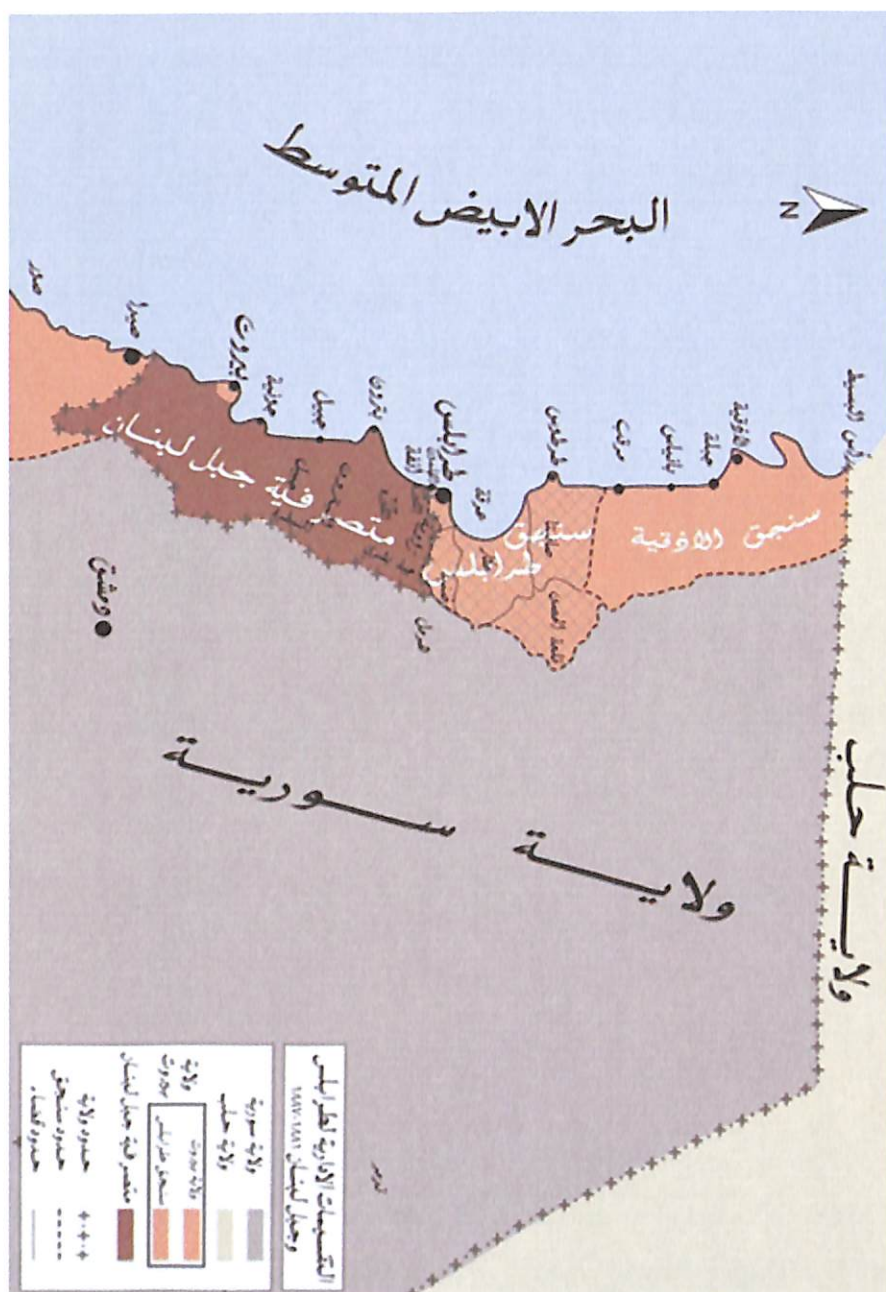








خريطة (٧)



## دور التجارة الدولية في التنظيمات العثمانية على السواحل الشامية

الياس جرجس جريج (\*)

### الدور التجاري في إقرار التنظيمات:

ترافقت مسألة تحديث السلطنة ، وتزامنت مع حصول عدد من التطورات المهمة ، ومنها :

١ . حصول خلاف بين محمد علي باشا ؛ والسلطنة العثمانية ، أثار قلقاً شديداً لدى كل الأطراف الدولية المعنية بالوضع بينهما . لا سيما لدى محمد علي باشا ، جراء الوضع الغامض الذي نشأ نتيجة صلح «كوتاهية» ، المعقود بينهما في عام ١٨٣٣ م . فمحمد علي باشا ، كان يرى ضرورة تدعيم انتصاره بإضفاء طابع شرعي على استقلال مصر . وبذل خلال عدد من السنين جهوداً كبيرة ، لكي يصار إلى الاعتراف بحقوق أسرته من بعده ، على ممتلكاته الواسعة التي بات يسيطر عليها .

ففي عام ١٨٣٤ م ، تقدم باقتراح إلى الدول ، ومن ثم إلى «الباب العالي» مباشرة لحسم قضية استقلال مصر ، وضمان حقوق ورثته فيها . إلا أن جهوده ذهبت سدى ؛ إذ وقفت الدول كالسابق ، إلى جانب الباب العالي ، الذي شعر بالقوة ، فرفض التخلي عن القسم الأكبر من إمبراطوريته . ووافق كحل أخير ونهائي على الاعتراف لخلفائه بحقوقهم الوراثية على مصر حصراً ، بشرط أن

---

(\*) أستاذ ، الجمهورية اللبنانية

يعاد إلى الباب العالي جميع ما استولى عليه من الأراضي ، فأدى هذا الرفض إلى توتر العلاقات المصرية العثمانية من جديد .

وفي الوقت الذي كان الرأي الناشئ حديثاً في البلدان العربية ، وخاصة في مصر ، يؤيد محمد علي تماماً فيما يطالب به ، فقد اتخذت الدول - خاصة بريطانيا - موقفاً معادياً ؛ لسبب بسيط هو أنها اعتبرت مصر (محمد علي) عقبة كأداء في طريق فرض سيادة بريطانيا في شرقي البحر المتوسط . كما إنها رأت في سطوة مصر تهديداً لمركزها في الخليج العربي ، وأنها المانع الأساسي الذي أعاق تطور طرق المواصلات وإمبراطوريتها التجارية بصورة ناجحة . علماً أن بريطانيا ، «عرضت على محمد علي تعاونها معه ، من أجل تهدئة المناطق الواقعة جنوب شرقي صنعاء . إلا أن اقتراحها لم يلق قبولاً»<sup>(١)</sup> . ومنذ ذلك الوقت راحت تعمل لإبعاده من خلال دسائسها لمنع من تثبيت أقدام المصريين في الخليج العربي .

٢ . في ١٦ آب ١٨٣٨ م ، وقعت شروط الاتفاق التجاري العثماني - البريطاني ، المعروف باتفاق «بلطه ليمان» «Balta - liman» ، وكان هذا الاتفاق في صالح بريطانيا كلياً<sup>(٢)</sup> . وموجه بشكل أساسي ضد محمد علي ؛ فقد نصت شروطه على «إلغاء الاحتكار التجاري في الدولة العثمانية ، وهذا سيرتب عليه تقويض الدعائم المالية لباشا مصر» . على حد تعبير السفير البريطاني للباب العالي<sup>(٣)</sup> .

هذا الاتفاق مهد الطريق إلى تحويل الدولة العثمانية إلى مصدر تابع للدول

(١) فلاديمير لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار الفارابي ، بيروت

١٩٨٠ ، ص ٨ ، سنشير إليه : لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذا الاتفاق يراجع :

le V??A.de la jonquière, op. cit. pp.505-508

(٣) عبد العزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ، ص ١٤٠ .

الأجنبية ، يزودها بالمواد الأولية الزراعية .

سعى التجار البريطانيون إلى تحويل هذا الاتفاق التجاري ليشمل كل أراضي الدولة العثمانية ، بما في ذلك ممتلكات محمد علي باشا كما سعى هؤلاء إلى تخفيض أسعار القطن المصري ، والصوف والحريز والقطن السوري وسعوا أيضاً إلى الاستيلاء على أسواق التوريد من مصر وسوريا وفلسطين وجبل لبنان ، التي كانت تسيطر عليها فرنسا آنذاك . إلا أن محمد علي باشا رفض رفضاً قاطعاً أن يشمل هذا الاتفاق ممتلكاته ، كما عارض أيضاً إنشاء ممر بريطاني مائي عبر الفرات لنقل البريد والبضائع من مصب نهر العاصي إلى الفرات بطريق القوافل ، أو بشق قناة خاصة تنقل فيها هذه المواد نزولاً إلى البصرة عبر الفرات ، كما عارض مختلف المشاريع الرامية إلى إنشاء قناة عبر برزخ السويس (١) .

٣ . على قاعدة الامتيازات الأجنبية ، نمت مدن سواحل بلاد الشام وغيرها من المدن التجارية ، وازداد عدد التجار الأجانب ، وتوطد موقع التجار الوستاء المحليين لعدد من المحاصيل الزراعية ، التي تحتاجها الصناعات الأوروبية ، كالقطن وقصب السكر في مصر ؛ والقطن والحبوب والصوف في سوريا وفلسطين ، وخامات الحرير وخبوطه في جبل لبنان . هؤلاء ارتبطوا بتجار الدول ، حيث القرار الاقتصادي ، وبقوا مرتبطين بعلاقة تبعية مع رجال الاقطاع المحلي حيث القرار السياسي ، علماً أن خزانة السلطنة العثمانية ، قد رفعت الرسوم الجمركية على هذه المحاصيل . فبات هؤلاء التجار الوستاء بين ضغط الدول وحاجتها إلى هذه المحاصيل ، وضغط احتكار السلطنة وجماعاتها لهذه المنتجات ، وبات وضعهم في خطر لجهة حياتهم وأموالهم . وباتت براءات الحماية من غير قيمة . سيما أن البراءة لم تعد محترمة لسببين :

الأول لأن السلطنة راحت في ظل حاجتها المتزايدة للأموال - تبيعها لمن

(١) لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٣٧ .

يرغب الحصول عليها . والثاني لأنها لم تعد معتبرة لدى متنفذي نظام السلطنة الإداري العسكري الانكشاري ، الذي ألغاه السلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦م . ولذلك لم تعد مسألة حماية هؤلاء التجار - في نظر الدول الأوروبية - بالحصول على هذه البراءة . لا ، وليست بالتوسط لدى هذا أو ذاك من «أغوات الإنكشارية» أو «باشوات» النظام السابق ، الذين ظلوا من الناحية العملية محتفظين بتشكيلاتهم العسكرية الخاصة بهم ، في ظل تفسخ نظام السلطنة ، الذي بلغ ذروته عام ١٨٣٩م ، عندما باتت السلطنة غير قادرة على الدفاع عن نفسها وصون وحدتها» بعد أن فقدت سلطانها وجيشها وأسطولها خلال ثلاثة أسابيع<sup>(١)</sup> . وبات لا معنى لاتفاقية «بلطة ليمان» ، إذا بقي محمد علي باشا محافظاً على موقعه وقوته ، واكتفت السلطنة ببناء جيشها على الطراز الأوروبي ، وبقيت من غير قوانين يعيش في ظلها وحمايتها أتباعها ورعاياها . ولذلك رفضت الدول الأوروبية مساعدتها لترحيل الجيش المصري الجاثم على صدرها ، قبل إقرار تنظيمات تضعها على سكة تحولها من دولة عسكرية دينية ، إلى دولة عصرية بمصاف الدول الراقية المتحضرة على النمط الأوروبي . وهنا لم يعد أمام السلطنة إلا أن تقدّم ما هو مطلوب منها حتى تحفظ رأسها وتتمكن من الحياة والبقاء .

ولتلافي انهيار الدولة التام ، وتدهور حكم السلطان ، رأى ممثلو الأوساط التجارية وممثلو إدارتها المركزية «أن الإصلاحات التي قام بها محمود الثاني غير كافية لإنقاذ الدولة ، وأن من الضروري تحقيق إصلاحات حاسمة»<sup>(٢)</sup> تنقل السلطنة من الإدارة العسكرية الدينية إلى إدارة الدولة الراقية لكل تبعاتها

(١) دُمر الجيش العثماني في معركة «نزيب» (قرب نصيبين) في ٢٤ حزيران ١٨٣٩م ؛ وفي ٣٠ حزيران توفي السلطان محمود الثاني ، وبعد أسبوعين من الوفاة انضم الأسطول العثماني برمته إلى أسطول

محمد علي . لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٤٧ .

ورعاياها ، فأعدوا جملة اقتراحات ، وكان المبادر إلى اتخاذ هذا التوجه الجديد «رشيد باشا» ، وزير الشؤون الخارجية صاحب الفكر والنزعة الغربية . في سياق إيجاد المناخ الآمن والملائم لتطور الثروة المالية القائم على التجارة أُعلن «خط شريف كلخانة» ١٨٣٩م ، الذي دعا إلى تغيير مؤسسات السلطنة ، وبناء مؤسسات جديدة ، تقوم على الضمانات التي تكفل لرعايا السلطان «أمنية الروح والعرض والمال» ، ووضع نظام جديد للضرائب ، يحدد ما يتوجب على المكلف دفعه ، وطريقة جبايته بعيداً عن الاستنساب والبلص . ولم يمس مصالح أصحاب الإقطاعيات ، وحافظ على سلطة السلطان المطلقة وفتح الطريق أمام إمكانية تملك رقبة الأرض . ويمكن القول إن هذا الخط هو محاولة للتوفيق بين السلطنة الإقطاعية ذات الطابع الديني ، الذي ولى زمانه من جهة ، والفئات التجارية النامية والملاكين الأحرار من جهة أخرى . وبمعنى آخر ، لقد وضع هذا الخط الأساس النظري لضمان حياة الممولين وأموالهم ، وسمح لهم بانطلاقة جديدة . وهنا لا بد من الإشارة إلى الطريقة ، التي جرى فيها التوفيق بين المتمسكين بالشرع الديني الإسلامي ، وأولئك المتمسكين بوضع التشريعات المدنية في بناء دولة السلطنة ، وذلك باعتماد الصيغة التي أقرها مجلس العلماء ، وهي تتألف من ثابتين على الحكومة أن تلتزم بهما ، الأولى : اعتماد المسوغ الشرعي في الحالة التي يوجد لها مسوغ شرعي ، والثانية : إذا كان لا يوجد هذا المسوغ ، اعتماد الأوامر السلطانية المبنية على المصلحة العامة ، فهذه الأوامر تكون مطاعة وواجبة التنفيذ . وفيما عدا ذلك فلا يجوز للحكومة أن تتخذ ما تراه من التدابير . فإلى هذا الرأي الشرعي استند رجال التنظيمات وراحوا يصدرون الأنظمة والقوانين ، على شكل أوامر سلطانية ، يأمر بها «ولي الأمر»<sup>(١)</sup> .

(١) لمزيد من الإيضاح حول الأفكار التي طرحت ، يراجع : ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة

العثمانية ط ٣ ، دمشق ، ١٩٦٥م ، ص ٨٧-٩٣ .

وبعد إعلان هذا الخط وإقراره ، بدأ العمل الدولي على ترحيل محمد علي من الأراضي التي احتلها ، وبعد أن حطموا شوكته في بلاد الشام عام ١٨٤٠م ، تخلص البريطانيون من هذا الغريم الخطير في الخليج العربي<sup>(١)</sup> . وفي هذا المجال ، رأى المسؤولون الفرنسيون أن الفرصة ملائمة لدفع الخطة التي أطلقها «الأباتي غوندولفي» في مطلع القرن التاسع عشر . فتبنوا رأيه ، الذي لخصه بنقطتين : إيجاد مركز للتجارة الدولية على سواحل بلاد الشام ، تحت إشرافهم وسيطرتهم ، بعيداً عن سيطرة وسلطة باشوات سورية وفلسطين ، هذا المركز هو جبل لبنان ، وإعداد مرفأ بيروت ليكون مؤهلاً للقيام بمتطلبات هذا المركز<sup>(٢)</sup> .

### دور التجارة الدولية في تطبيق التنظيمات:

وعلى قاعدة هذه الخطة التجارية ، رفض المسؤولون الفرنسيون - عندما كان مصير جبل لبنان مطروحاً على بساط البحث - عام ١٨٤١م ، أن يضاف إليه أجزاء أخرى واعتبر «م.ملواز» «M.Meloize» القنصل الفرنسي في بيروت ، في رسالته إلى «م.غيزو» «M.Guizot» ، وزير الخارجية الفرنسية ، بتاريخ ٤ حزيران ١٨٤١م «أن ما يجري تصوره للبنان (جبل لبنان) يجعله مقاطعة منفصلة عن سورية ، مضافاً إليها مرفأ طرابلس وبيروت وصيدا ، هذا في غير مصلحتنا ، بل ويلحق بنا ضرراً كبيراً . وإذا قبلنا بهكذا إضافات على وضع الجبل ، قبل أن ينهض بكل حيوته ونشاطه ، وقبل أن يزول القلق مما يتحفظ عليه العملاء الفرنسيون ، ومن غير مشاركة حكومتنا ، نكون نحن - من يفترض بهم تثبيت وضعه بشكل نهائي - نعمل على تخريب نفوذنا»<sup>(٣)</sup> . وفعلاً بعد عشرين سنة صيغ تكوينه (جبل لبنان) وفق النفوذ الفرنسي من غير مدن ، ومن غير موانئ ،

(١) لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١١٢ .

(2) Documents., tome 6, lettre n°8, P.45.

(3) Documents., tome 6, lettre n°139, P.398-399.

وبدون سهول ، وليس هذا حسب ، فقد رفضوا آنذاك أن يلحق به أي شيء ، حتى إنهم كانوا بعد نشأته عام ١٨٦١م ، غير راضين عن أي تلميح بهذا الخصوص . وهنا نشير إلى أن اللقاءات ، التي أجراها «داود باشا» ، أول متصرف لجبل لبنان (١٨٦١-١٨٦٨) مع «م. وال وسكي» «M.Walweski» ، نائب القنصل الفرنسي العام في بيروت ، كان يتحدث فيها عن الصعوبات ، التي يعاني منها الجبل ، وأن حلها يكون بضم مرفأ إلى المتصرفية كبيروت . هذا القنصل كان يرفض هذا الأمر ، ويغلف رده الراض بالوضع الدولي وبعدم إمكانية خرق النظام الأساسي ، الذي يحتاج إلى موافقة دولية<sup>(١)</sup> .

أما بيروت ، فقد رأوا فيها مفتاح الدخول إلى الجبل وإلى داخل بلاد الشام ، فأعدوا لها دوراً آخر يتكامل مع دور الجبل ؛ لأن الوظيفة التجارية ، التي سيوكلونها إلى مرفئها باتجاه سواحل البحر المتوسط والداخل العربي ، لا يستطيع الجبل أن يقوم بها ، ونظروا إليها باعتبارها النقطة الأولى على شواطئ المتوسط الشرقية ، «وإذا أجبروا سيكونون مدعويين إلى الدفاع عنها»<sup>(٢)</sup> .

وفي الوقت الذي أرادوا فيه أن يكون الجبل تحت نفوذهم وحدهم ، فقد أرادوا أن تكون مدينة بيروت مدينة عالمية «كوسموبوليت» «Cosmopolite» ، مفتوحة للجميع . وبحكم موقعها وصفتها هذه تحضر إليها القوى الدولية للدفاع عنها ، عند أول إشارة خطر تهددها<sup>(٣)</sup> .

ومن هذا المنطلق ، عارضوا مسألة بناء مرفأ جونيه<sup>(٤)</sup> ؛ لأنه لا يستطيع أن يقوم بالدور الذي يقوم به مرفأ بيروت باتجاه الداخل العربي ؛ فمرفأ جونيه له صفة طائفية خاصة تمنعه من أن يكون المرفأ الدولي للتجارة ، الذي يطمح إليه

(1) Documents., tome 13, lettre n°3, P.19-20, et lettre n17, pp.35-38, et n12, pp.48-49

(2) Documents., tome 9, lettre n 48, P.309.

(3) Documents., tome 12, Bayrouth 1978 lettre n°43, PP.162-196.

(4) Documents., tome 17, lettre n°64, PP. 231-232.



التجار الفرنسيون . وعلى هذه الأسس ، أخذت المدينة تنمو بشكل سريع ، فازداد عدد سكانها ، وازدادت المبادلات التجارية ، التي تتم فيها قيمةً وحجماً<sup>(١)</sup> .

وكان أول إجراء إداري اتخذته السلطنة العثمانية لصالح مدينة بيروت ، هو أنها أدمجت في عام ١٨٤١م إيالتا صيدا وطرابلس في إيالة واحدة ، ونقل مركزها إلى بيروت<sup>(٢)</sup> .

وما كاد النصف الأول من القرن التاسع عشر ، يوشك على الانتهاء ، حتى كانت مدينة بيروت قد أصبحت مركزاً مالياً مهماً ؛ ففي ٢٢ شباط ١٨٤٨م ، تأسست «شركة إفريقيا والشرق» «Compagnie d Afrique et d Orient» . وهي شركة فرنسية مساهمة ، أسسها أحد رجال الأعمال الفرنسيين في الجزائر «لويس دي بنديكور» ، واتخذت مركزاً لها مؤقتاً في مرسيليا ، وأنشأت «وكالات» «agences» لها في عدد من المدن : مرسيليا ، الجزائر ، بليده ، مليانه ، مديحة ، أو مال ، بيروت ، الإسكندرية ، طرابلس ، دمشق ، حلب<sup>(٣)</sup> .

وفي الوقت الذي تشكلت فيه هذه الشركة ، كان «م . بوره» «M.Bourée» ، وزير القنصل الفرنسي العام في بيروت ، يطلب إلى «م . باستيد» «M.Bastide» ، وزير الخارجية الفرنسية ، أن تهتم الحكومة الفرنسية ببناء قنصلية بيروت ، فتبنيها على نفقتها كباقي أبنية قنصلياتها في الشرق ، وأن تولي الجسم القنصلي فيها عناية خاصة ، نظراً إلى الدور الاقتصادي والسياسي الذي يقوم به هذا المركز . جاء ذلك ، في الرسالة التي وجهها إليه هذا القنصل من بيروت بتاريخ ٣١

(١) علي محمد حويلي ، التطور الثقافي لمدينة بيروت ، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في

التاريخ ، بإشراف مسعود ضاهر ، بيروت ١٩٩٠م ، ص ٣٥-٣٦ .

(٢) لوتسكي ، الأقطار العربية ، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٣) لمزيد من الإيضاح ، يراجع :

تشرين الأول ١٨٤٨م<sup>(١)</sup>. وتتالى تأسيس الشركات الأجنبية في هذه المدينة ، فكانت الفرنسية والبريطانية والألمانية والنمساوية والسويسرية والإيطالية واليونانية . وقد طال نشاط هذه الوكالات مجالات مختلفة كالتأمين على الحياة ، وعملية النقل البري والبحري ، والتأمين على الحياة ضد الحريق ، والتزام المشاريع ، وتحسين الأراضي ، . . . وأصبحت بيروت مرتبطة بمراكز الشركات الأم من خلال هذه الوكالات ، بباريس ومرسيليا ولندن وبرلين وفرنكفورت وهامبورغ وفيينا وتريست وبال وروما وجنوى<sup>(٢)</sup> .

إن كثرة الوكالات الدولية ، التي وفدت إلى هذه المنطقة ، جعلت من بيروت على نحو رئيسي وبعض مدن الساحل مراكز لها ، أدى كل ذلك إلى كثرة رجال الأعمال ، وإلى توافر رؤوس الأموال ، وإلى كثرة المراكب والسفن التجارية ، التي تبخر إلى هذه السواحل . كما أن تشكيل الوكالات التجارية المختلفة ، التي تتعاطى مجالاً واحداً في العمل ، أدى إلى حدة التنافس ، وازدياد الخلافات ، ومن ثم أصبح لا بد من وجود المرجع الصالح للبت فيها . لذلك ، فأثناء تشكيل المحاكم التجارية المختلطة ، خصّت السلطنة العثمانية مدينة بيروت ، «بمحكمة تجارية» ، وأخرى جنائية ، عام ١٨٥١م<sup>(٣)</sup> . وبذلك تحولت إلى مركز قضائي رفيع ، تطال صلاحيات محكمتها ، إيالة صيدا - بيروت ، وجرى تشكيلها بشكل رفيع المستوى ، على غرار محاكم اسطنبول<sup>(٤)</sup> . وتعزز وضع

(١) لمزيد من الإيضاح ، يراجع :

Documents., tome 9, lettre n 48, PP. 303-309.

(2) Verney Noël et Georges Dambmann les puissances étrangères., Paris 1900,P.202

(3) Documents., tome 9, lettre n 26,71, P413 et règlement du Tribunal de police de Beyrouth. pp.414-417.

(4) Documents., tome 9, lettre n 77, P. 413.

المدينة أكثر ، عندما ارتقت رتبة محكمتها التجارية إلى الدرجة الاستثنائية لكل ولاية سورية وجبل لبنان في عام ١٨٦٤م<sup>(١)</sup> . وفيها تم تشكيل «المجلس الأعلى للتجارة» ، ليرعى مصالح التجار المنتشرين في جميع المراكز التجارية على السواحل الشامية<sup>(٢)</sup> . ومن أجل تسهيل عمل هذه المحاكم ، وضعت القوانين المختصة اللازمة لها ، كما وضعت قوانين أصول المحاكمات . ومنها : قانون التجارة ، الذي وضع في ٨ شعبان عام ١٢٦٦هـ - ١٨٤٩م ، ويتألف من ثلاثماية وخمس عشرة مادة<sup>(٣)</sup> . وقانون الجزاء ، الذي وضع في ذي الحجة عام ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م ، ويتألف من مئتين وخمس وستين مادة<sup>(٤)</sup> . وقانون أصول المحاكمات التجارية ، الذي وضع في ١٠ ربيع الآخر عام ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م ، ويتألف من مئة وأربعين مادة<sup>(٥)</sup> ، وقانون التجارة البحرية ، الذي وضع في ٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م ، ويتألف من مئتين واثنين وثمانين مادة ومادة مذيلة<sup>(٦)</sup> .

كذلك ، تحولت بيروت إلى قطب جاذب للمهاجرين ، وبوابة باتجاه الداخل السوري . وقد أسهم في إحداث هذا التحول مركزها وأهميتها التجارية والمالية ، هذا بالإضافة إلى الأحداث الدامية ، التي حصلت في مختلف أنحاء سورية بشكل عام ، وفي جبل لبنان وجبل العلويين في سوريا ، ما بين عامي ١٨٤٠-

(١) بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، ٥م ، ص ٧٥١ .

(٢) لمزيد من الإيضاح ، يراجع : Documents., tome 12, lettre n 38, PP. 148-151 .

(٣) مجموعة القوانين ، عربّ تعديلاتها وضبط ترجمتها عن الأصل التركي عارف أفندي رمضان ، جمعها ونسخها يوسف صادر ، ج ٢ ، بيروت ١٩٢٥م ، قانون التجارة ، ص ٧-٧٨ ، وسنشير إليها : مجموعة القوانين .

(٤) مجموعة القوانين ، ج ١ ، قانون الجزاء من ص ٣-٨٧ .

(٥) مجموعة القوانين ، أحكام قانون أصول المحاكمات التجارية ، من ص ١٢٧-١٥٩ .

(٦) مجموعة القوانين ، ج ٢ ، قانون التجارة البحرية من ص ١٦٢-٢٣١ .

١٨٦٠م . وما لبثت أن تحولت إلى واحدة من المدن الرئيسة الثلاث في سوريا (دمشق ، حلب ، وبيروت)<sup>(١)</sup> .

وبشق طريق للعربات ، يعمل بين بيروت ودمشق عام ١٨٥٩م ، من قبل «أدمون دي برتوى» «Edmond de Perthuis» ، أحد الممولين الفرنسيين وهو الأول من نوعه في سورية ، زاد من أهميتها ، فجعلها بوابة للأوروبيين إلى الداخل السوري ، وأول مدينة على الساحل<sup>(٢)</sup> . وقد أمل المسؤولون الفرنسيون - بعد أن وضع هذا الطريق في الاستثمار - أن يقوى نفوذهم ويزداد نفوذهم ، وأن تعطى المدينة ما تستحقه من أهمية في التنظيم الإداري .

وبالإضافة إلى هذا المخطط التجاري الفرنسي ، فقد أشارت المصادر الفرنسية إلى مخططات دولية أخرى ، أدت هي الأخرى إلى تكاثر الوجود الأجنبي على هذه السواحل ، وإلى زيادة نفوذه . وهي لا تقل أهمية عن المخطط الفرنسي ، وفي هذا المجال سنشير إلى اثنين منها :

الأول ، بريطاني قاعدته فلسطين ، ومفتاح الدخول إليها (عكا أو حيفا) ، ومن أجل تنفيذ هذا المخطط عمل البريطانيون باتجاهين ، الأول : ، رموا من خلاله إلى تقليص النفوذ الفرنسي وضربه ، وفي هذا الاتجاه بذلوا ما في وسعهم لإخراج الجيش المصري من سورية وفلسطين ، بوصفه أحد مرتكزات هذا النفوذ<sup>(٣)</sup> ، وحرصوا على الفتنة في جبل لبنان . أما في الاتجاه الثاني ، اتجه تركيز نفوذهم ، فقد اعتمدوا التوجه نفسه الفرنسي نفسه ، وهو الانطلاق من قاعدة بشرية أكثريتها مؤيدة لهم ، ومرتكزهم على الساحل ، منه ينطلقون باتجاه الداخل ، من خلال ميناء يكون بوابة عبورهم إليه ، ولذلك ، رأوا أن من مصلحتهم إنشاء كيان إسرائيلي في فلسطين برعايتهم وتحت حمايتهم . وعملت

(١) لمزيد من الإيضاح ، يراجع : Documents. tome 10, lettre n 41, pp.124-125

(2) Documents. tome IV, lettre n 99, p. 364

(3) C.B.Hourly, OP.cit.PP.53, 56-57

وزارة الخارجية البريطانية على تنفيذ هذه الخطة ، فطلبت بعد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م من سفيرها في إسطنبول أن يعمل على إقناع السلطان والمسؤولين الآخرين ، بأن هذا العمل هو لمصلحة السلطنة<sup>(١)</sup> . ومن أجل تركيز هذه القاعدة البشرية ساند البريطانيون الحركة «البروتستانتية» ودعموا خطط اليهود الألمان المهاجرين إلى فلسطين ، وأنشأوا مع بروسيا «الأسقفية البريطانية» . وتولت الدعوة إلى هذه الطائفة ثلاثة كيانات دولية تدين بالمذهب البروتستانتي :

بريطانيا وبروسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية . «واحتلت الولايات المتحدة الأمريكية بينها المرتبة الأولى ، بواسطة جامعتها الأميركية في بيروت<sup>(٢)</sup> . ولم يستبعد الفرنسيون أنفسهم عن هذه الخطة ، لكن باتجاه دعم اليهود بالجبيء إلى فلسطين ، وانخراطهم فيها ، ربما كان من باب الاحتياط ؛ ليقبوا على تماس بها ، أو من باب استكمال المخطط العام ليكونوا شركاء مع بريطانيا في استكمال السيطرة على التجارة الدولية مع الشرق عبر فلسطين مع بريطانيا . وفي هذا المجال شجعوا على إنشاء «الاتحاد الإسرائيلي الدولي» «Alliance Israelite l Universelle» الذي اتخذ مركزه في باريس<sup>(٣)</sup> .

واقترح «لنش» «linche» ، أحد الضباط البريطان عام ١٨٤٨م ، أن تكون حيفا بوابة الدخول إلى هذه القاعدة الدولية للتجارة<sup>(٤)</sup> ؛ لأن عكا ، التي كانت مقترحة لهذه المهمة ، قد دمرت بسبب الأعمال العسكرية ، التي قام بها التحالف البريطاني النمساوي العثماني ، ضد إبراهيم باشا عام ١٨٤٠م . وأبدى الألمان اهتماماً خاصاً تجاه مدينة حيفا ، وكان هذا الاهتمام يثير حفيظة

(١) زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٦٨م ، ص ١٥٨ .

(٢) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار ، يراجع : Documents., tome15, lettre n°65, PP 257-275

(3) Documents., tome15, lettre n°65, P274, et Raymond Furon, le Proche-Orient Paris 1975,PP.155-156

(٤) عبد الكريم غرايبه ، سورية في القرن التاسع عشر ، ١٨٤٠-١٨٧٦م ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٩٣ .

المسؤولين الفرنسيين ، الذين كانوا يرون فيهم ليس فقط خطراً على نفوذهم في سوريا وفلسطين ، بل وعلى الوجود الفرنسي بالذات ، على حد تعبير «م. كونستان» «M.Constants» السفير الفرنسي في إسطنبول<sup>(١)</sup> . وكان كل من الطرفين البريطاني والفرنسي ، يروج لخطته في أوروبا ؛ من أجل كسب التجار والقوى الاقتصادية إليها<sup>(٢)</sup> . وفي هذا السياق ، بدأ الاهتمام الأوروبي بمدينة حيفا التي أخذت تنمو على حساب عكا ، وتحولت من قصبه صغيرة عدد سكانها ٩٩٠٩ نسمة في أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر ، إلى ما يزيد على العشرة آلاف في أواخره ، وأكثر من خمسين ألفاً قبل الحرب العالمية الأولى<sup>(٣)</sup> .

الثاني روسي ، ويبدو أنه قد بدأ بعد توقيع معاهدة «هنكياراسكله - سي» (٨ تموز ١٨٣٣) ، بين روسيا والسلطنة العثمانية . وهو لم ينطلق من ساحل المتوسط باتجاه الداخل كالمخطط الفرنسي والبريطاني ، بل كان بري المنطلق ، بري التوجه ، ويسعى إلى الوصول إلى البحر المتوسط . لكنه اعتمد المبدأ نفسه بالانطلاق من قاعدة بشرية ذات توجه ديني مؤيد للروس ، وقاعدة هذا التجمع في «القدس الشريف» . وإلى هذه القاعدة كانت المجموعات البشرية الروسية - في طريقها إلى هذه القاعدة - تجتاز الحدود الروسية . وقبل أن تصل إلى «قارص» «Karss» ، تتجه إلى أرمينيا ، ومنها إلى هضاب دجلة والفرات فوادي العاصي ، ومنه إلى الأردن ، حتى تصل إلى مداخل أسوار القدس<sup>(٤)</sup> . ومن القدس باتجاه الشمال ، كان الروس يسعون إلى الوصول إلى منفذ على البحر المتوسط ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الروس كانوا حتى أواخر النصف الأول من القرن التاسع

(1) Documents., tome 17, lettre n 17, P. 83.

(2) Documents., tome 17, lettre n 17, PP 83-84.

(٣) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت ، ولاية بيروت ، دار لحد خاطر ، بيروت ١٩٧٩م ، القسم الجنوبي ، ص ١٣٣ .

(4) Documents., tome 17, lettre n 17, PP 83-84.

عشر قد فشلوا في الوصول إلى سواحل المياه الدافئة في المتوسط . ولتنفيذ هذا المخطط ، أشار مسؤولون فرنسيون إلى «أن روسيا قد أرسلت عدداً كبيراً من عناصرها ؛ من أجل دراسة بلاد الشام ؛ وأنها أنفقت في سبيل ذلك الأموال الطائلة ؛ وأنها عيّنت قناصل ونواب قناصل في مختلف المدن السورية ، على الرغم من أنه لم يكن عندهم أحياناً مصالح تجارية لحمايتها»<sup>(١)</sup> .

### السلطنة تواجه مخططات التجارة الدولية:

صحيح أن السلطنة العثمانية قد اتخذت عدداً من الإجراءات ، التي أسهمت في تعزيز وضع مدينة بيروت ، وفي تسهيل معاملات التجار وحل مشكلاتهم ، كجعلها مركز إيالت صيدا - بيروت ، ومركزاً لمحكمة تجارية وأخرى جنائية . لكن في الوقت نفسه ، كانت ترى الوجود الأجنبي يتعزز يوماً بعد يوم ، في بيروت وعلى سواحل بلاد الشام ، لذلك أخذت تستعد للاحتتمالات الأخرى ، فبنت قشلة عسكرية عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م ، ومستشفى عسكرياً في عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م ، وجعلت فيها مركز اللواء العسكري المرابط في ولاية سورية عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م<sup>(٢)</sup> .

هذه الإجراءات أكدت الاعتراف الضمني من قبل السلطنة بالأهمية التي باتت عليها مدينة بيروت . لكن ما كانت تريده من خلال ذلك يختلف تماماً عما كانت تريده فرنسا وغيرها من القوى الدولية ، فهاجس السلطنة هو الإمساك بمنطقة الساحل وتشديد قبضتها عليها ، في حين كان هاجس التجار أن تصبح بيروت مركز ولاية على الساحل ، يطلق الحركة التجارية ويسهل مهام أصحابها .

(١) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار ، يراجع : Documents., tome 6, lettre n 115, PP 312-321  
(٢) سالنامه ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ ، دفعه ثانية ، ص ٦٥ ؛ وسالنامه ولاية بيروت لعام ١٣١٩هـ ، دفعه ثالثة ، ص ٧١ .

فبعد تشكيل متصرفية جبل لبنان احتدم الصراع بين هذين الاتجاهين المتعارضين ، واستغلت السلطنة ما يوجد بين يديها من أوراق قوة ، أولاها كان استخدام نفوذها في حركة تشكيلات موظفيها<sup>(١)</sup> ، وثانيها قانون تشكيل الولايات . وفي هذه الورقة الأخيرة استغلت أهمية تراتب المواقع الإدارية ، بما يشبه خطة الانتقال من موقع إلى موقع . وفي هذا المجال ، نلاحظ أنها اعتمدت عدة خطوات ، من أهمها :

١ . اعتماد نظام إداري يقلل من أهمية مدن الساحل . فبعد إنشاء متصرفية جبل لبنان ، وتثبيت هذا الكيان الإداري المرتبط بالباب العالي في عام ١٨٦٤ م ، صدر في هذا العام نفسه نظام الولايات . وهو مستوحى من النظم الإدارية الفرنسية<sup>(٢)</sup> . غير أن السلطنة قسمت ما تبقى من بلاد الشام إلى ولايتين كبيرتين : ولاية حلب ومركزها مدينة حلب ، وولاية سورية مركزها دمشق . وتألفت هذه الأخيرة من إيالت الشام وإيالت صيدا السابقتين وسنجق القدس<sup>(٣)</sup> ، وقسمت هذه الولاية إلى سبعة ألوية : لواء حمص وحماه ، لواء طرابلس الشام ، لواء حوران ، لواء بيروت ، لواء عكا ، لواء القدس ، ولواء نابلس<sup>(٤)</sup> .

لقد وضع هذا القانون الإداري مدينة بيروت ، في موقع انتقص من أهميتها الفعلية ، وتنكر لما كانت السلطنة قد اتخذته عام ١٨٤١ م ، عندما نقلت مركز

---

(١) لمزيد من الإيضاح حول استخدام حركة تشكيلات الموظفين ، يراجع : «مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان» ، من سنة ١٨٤٠-١٩١٠ ، المجلد الأول ، من سنة ١٨٤٠-١٨٦٠ م ، تعريب فيليب وفريد الخازن ، جونية ١٩١٠ م ، ص ٣٨٠-٣٨٢ .

(٢) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط ٣ ، ص ٩٤ .

(3) Documents., tome 12, lettre n 38, p.748.

(٤) سالنامه ولاية سورية لعام ١٣٠٢ ، دفعة ٢٠٠ ، ص ١٩٧-١٩٩ .



إيالت صيدا إلى بيروت . فأدرك المسؤولون الفرنسيون خطورة هذا التوجه الإداري على خططهم ، وتدخلوا في الأمر وحاولوا تعديل هذا القرار قبل أن يصدر . ومن خلال الرسائل التي جرى تبادلها بين المسؤولين الفرنسيين ، يمكن أن نتبين وجود عدم اتفاق بين المسؤولين العثمانيين حول كيفية تشكيل ولاية سورية وحول مركزها ؛ فالنقاش كان يدور بين اتجاهين ، أحدهما يرى ضرورة أن يكون في دمشق ، والآخر يرى أن تطور مدينة بيروت وموقعها يفرضان أن تكون في موقع إداري غير الذي وضعت فيه ، عندما ألحقت بولاية سورية كمركز لواء من ألويتها . ولذلك تأخر صدور قرار تعيين والي سورية إلى أوائل أيار ١٨٦٥ م . وجاء القرار معبراً عن هذا النقاش ويوفق بين هذين الاتجاهين ، مشيراً بالقول : « نظراً لأهمية وضع المدينتين دمشق وبيروت ، ستكون كل منهما مركزاً رئيساً لإقامة الحاكم العام » . وأشار القرار أيضاً ، إلى تعيين حكام برتبة قائمقام على مدن : بيروت ، صيدا ، طرابلس ، عكا ؛ من غير أفضلية لأحدهم على الآخر ، ولا صلاحية لواحد منهم في أن يبت في المسائل العامة من غير أخذ موافقة الحاكم العام » .

القنصل الفرنسي العام في بيروت « م. دي ايسار » (M. des Essards) ، شعر بخيبة أمل كبيرة حيال هذا الإجراء . ورأى فيه « طعنة توجه إلى بيروت في أكبر وأهم مصالحها » ، أما القناصل الآخرون « فأجمعوا على أن مصالحهم قد تضررت ، على الرغم من أنهم غير متفقين على تقييم موحد لهذه الخطوة » .

لم يتقبل المسؤولون الفرنسيون والدول الأوروبية الأخرى ورجال الأعمال المحليين هذا الإجراء الإداري ؛ فقد خاف هؤلاء من « عرقلة مصطنعة للمعاملات في بيروت تحت حجج مختلفة » ؛ من أجل الابتزاز وغيره « لأن قائمقام بيروت يستطيع تأخير حل أية مسألة تعرض عليه بسبب عدم صلاحيته ، أو بسبب الخبث » ؛ وعندها ستعرض على الوالي ، « سواء أرسلت المعاملة إلى دمشق أو بقيت في بيروت ريثما يحضر الوالي إليها ، يكون قد ضاع الوقت وقد يضيع المال » . ورأى هؤلاء في التطمينات التي أعطاها الوالي بأنه سيقوم في دمشق

وفي بيروت حسب الضرورة ، «هي تطمينات غير مريحة ؛ لأنه لا يوجد ما يجبره على هذا الجيء»<sup>(١)</sup> .

وزير الخارجية الفرنسية «م . دروين دي لويس» «M.Drouyn de Lhuys» ، شاطر القنصل الفرنسي رأيه ؛ ورأى أن دمشق «لا تساعد بحكم تركيبها الديموغرافي ، على إيجاد الحلول الملائمة للمصالح الأوروبية ، في حين أن بيروت يمكن أن تحصر إليها القوات الحربية البحرية في أية لحظة» . ووعده بأن يتصل بالسفير الفرنسي في إسطنبول كي يلفت انتباه القوى الأوروبية الأخرى ، التي اتخذت موقفاً من هذا الإجراء ؛ من أجل العمل على إصلاح هذا الأمر<sup>(٢)</sup> .

٢ . محاولة الإمساك بتجارة الساحل من دمشق . إن جعل دمشق مركزاً للوالي ، يعني أن الإدارات المركزية ستنتقل إليها ، بما فيها إدارة «المجلس الأعلى للتجارة» . وعبر هذا المجلس عمل الوالي على الإمساك بالحركة التجارية على الساحل . لكن الصعوبة الأولى ، التي اعترضت عمل الوالي ، كانت «مسألة تشكيل هذا المجلس ؛ لأنه لم يجد فيها العناصر الكافية لتأليفه» . لقد عبّر الوالي عن أسفه لوجود هذا النقص ، واستفادت منه الفعاليات التجارية ، التي رفضت أن تنتقل من الساحل إلى دمشق من أجل هذه المهمة . ورأت هذه الفعاليات «أن التجارة ناشطة على الساحل ، والتجار المنتشرين في كل نقاطه يستطيعون بسهولة ، وتقريباً من غير مصاريف زائدة ، أن يراقبوا أعمالهم بأنفسهم ، ويدافعوا عن مصالحهم ؛ فهم غير مضطرين للذهاب إلى دمشق ؛ لأن في ذلك إضاعة لأموالهم وأوقاتهم وخضوعهم لآراء عناصر يختلفون عنهم كلياً . علماً أن هذه العناصر المدعوة

(١) التعابير الموضوعية بين مزدوجين من رسالة القنصل إلى وزير الخارجية بتاريخ ١٠ أيار ١٨٦٥ م .

Documents., tome 12, lettre n 38, pp. 148-151

(٢) التعابير الموضوعية بين مزدوجين من رسالة بتاريخ ٢٧ أيار ١٨٦٥ م .

Documents., tome 12, lettre n°43, pp. 162-163.

إلى تنظيم التجارة لا تفقه عن التجارة والأعمال التجارية شيئاً فالتجارة لا تنظم بهكذا عناصر». على حد تعبير القنصل الفرنسي العام في بيروت . وبالإضافة إلى رفض المجلس الأعلى للتجارة فكرة الانتقال إلى دمشق ، فقد تحرك أعيان بيروت وعقدوا اجتماعات موسعة ، قرروا فيها تحرير عريضة إلى السلطان ، وتشكيل وفد منهم للذهاب إلى إسطنبول يحمل معه العريضة وي طرح الموضوع مع المسؤولين هناك ، ويشرح لهم «أن المؤسسات التجارية القائمة على الساحل ، تتجمع في نقاط قريبة من بيروت ، حيث يقيم وكلاء هذه المؤسسات» . فمعهم وبالاتفاق مع القناصل الأوروبيين ، يمكن حل القضايا بشكل مباشر . وخلال لقاء بسيط مع الحاكم - عندما يكون متمتعاً بصلاحيات الحل - تبت الأمور العالقة ، أما المسائل التي لا يمكن حلها فترفع إلى المرجع المسؤول بالاتفاق مع القنصل المعني ومشير بيروت» . على حد تعبير القنصل الفرنسي العام في هذه المدينة ، بتاريخ ١٠ أيار ١٨٦٥<sup>(١)</sup> .

لقد نجحت الضغوط الأوروبية ، وتحرك القوى المحلية في بيروت ، بإقناع المسؤولين العثمانيين «ببقاء المجلس الأعلى للتجارة وببقاء انعقاد المحكمة العليا في بيروت كما كان في السابق ؛ وبتعيين مدير سياسي للمدينة يقيم فيها بشكل دائم ؛ ليكون حلقة وصل بين القناصل العامين للقوى الدولية والحاكم العام في دمشق<sup>(٢)</sup> . وبذلك ، تمت تسوية مؤقتة لهذا الصراع بين مسؤولي السلطنة وتجار الدول المقيمين في بيروت ومدن الساحل ؛ لأن هذه الإجراءات ، لم تقض على مصادر الشكوى ؛ فالمدير السياسي وفر الوقت على التجار ورجال الأعمال ، «لكنه لم يضع حداً للامبالاة الإدارية ولجشع الوالي والمحيطين به» . ولذلك ، فقد ارتفعت الشكوى مجدداً ، من تصرفات الوالي وأعوانه ، والبرطيل الذي يستوفونه لتصرف الأعمال .

(1) Documents., tome 12, lettre n°38, pp. 149-151.

(2) Documents., tome 12, lettre annexée a la Dépêche n°25, du 19 octobre 1865, pp.198-199.

وهكذا عادت الدول الأوروبية إلى الشكوى لأنها رأت في هذا التدبير محاولة موهومة للحل . «القنصل الفرنسي العام في بيروت رأى في تعيين المدير السياسي عائقاً وحاجزاً يعرقل العمل ويشل الحركة ويوقف الحلول ويخرب المصالح بدلاً من أن يكون عاملاً مسهلاً ومساعداً للحل»<sup>(1)</sup> . واستمرت الشكوى الفرنسية من الإجراءات الإدارية للسلطنة في ولاية سورية ، ومن تصرفات مسؤوليها ، وربما كان لهذه الشكوى ما يبررها على أرض الواقع ، غير أنها كانت تجري وفق هدف مرسوم ، هو تحويل مدينة بيروت إلى مركز ولاية . وما يؤكد هذا الاستنتاج أن كل ما قدمته السلطنة من تنازلات في أقل من سنة لم يرض التجار الفرنسيين . ولذلك ، نراهم يقترحون تشكيل «ولاية بيروت» ؛ وقد جاء ذلك في رسالة «م . وال وسكي» «M.Walweski» ، نائب القنصل الفرنسي العام في بيروت ، إلى «المركيز دي موستيه» «Marquis de Moustier» ، وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٧ تشرين الأول ١٨٦٧<sup>(2)</sup> .

وعلى الصعيد المحلي ، تحرك أعيان بيروت ، من أجل تحويل مدينتهم ، إلى مركز ولاية لسببين ، الأول : نظراً إلى أهمية هذا المركز ، وما يقدمه من تسهيلات لرجال الأعمال ، والسرعة في إنجاز المعاملات ، وما يوفره لهم قربه من جهد ووقت ومال وسرعة حركة . وقد نقلوا هذا المطلب ، إلى «رشدي باشا» ، والي سورية لدى مجيئه إلى بيروت في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٨٦٨ م . غير أن جواب الوالي لم يكن مريحاً لهم ؛ فقد طلب منهم «أن يرفعوا عريضة إلى المراجع في إسطنبول ؛ كي تدعم ما طلبه هو من هذه المراجع بأن يقيم مع كل أجهزته العليا في بيروت طيلة أشهر الشتاء الستة» .

٣ . التناكر مرة أخرى لأهمية بيروت ، وتصنيفها من مدن الدرجة الثالثة . ففي

(1) Documents., tome 12, lettre annexée a la Dépêche n°52, du 3 novembre 1865, pp.370-372.

(2) Documents., tome 13, lettre n 6, pp. 33-34.

حزيران ١٨٨٠م ، قرر الباب العالي أن يغير كلياً تصنيفه الإداري السابق لمراكز السناجق في ولاية سورية . وقد جاء تصنيفها في ثلاث فئات : الأولى تضم طرابلس ودمشق وعكا ، والثانية تضم حمص وحماة ، بعلبك وهوران ، والثالثة تضم بيروت واللاذقية . لم يكن أهالي بيروت راضين عن هذا التصنيف المجحف بحقهم ، وأصيبوا من جرائه بصدمة كبيرة وبخيبة أمل ، ورأوا فيه عودة إلى الوراء غير مبرره وغامضة الأسباب . ورأى أعيانها أن يوجهوا برقية إلى الباب العالي ؛ لتذكيره بأن بيروت كانت سابقاً مركزاً للوالي . «فلتبق في هذا المركز على الأقل» . وطلب «م. سينكي ويكز» M.Sienkiewicz ، القنصل الفرنسي العام في بيروت ، إلى وزير الخارجية الفرنسية «M.de Freycinet» ، في ٢٢ حزيران ١٨٨٠م ، أن يعمل لدى الحكومة الفرنسية ؛ كي تتحرك وتدعم أهالي بيروت في تنظيم أنفسهم<sup>(١)</sup> . وهكذا ، يستمر هذا الصراع بين الفرنسيين ومؤيديهم من جهة ، والسلطنة العثمانية ومؤيديها من جهة أخرى ، حول إنشاء ولاية بيروت ، إلى أن يشق هذا الاتجاه طريقه . ففي السادس من ربيع الآخر عام ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م ، وقع أعضاء «مجلس مخصوص» قرار إنشاء «ولاية بيروت» من ألوية : بيروت ، عكا والبلقاء ، طرابلس الشام واللاذقية ، هذه الولاية بالأجزاء التي تألفت منها كانت من قبل تابعة لولاية سورية وقد أشار القرار إلى ثلاثة أسباب أدت إلى إنشائها :

- ١- «ازدياد أهمية مدينة بيروت وحساسيتها» .
- ٢- «للقوف في وجه النفوذ الأجنبي والتقليل من شأنه وأسبابه» .
- ٣- «اتساع ولاية سورية ، واتخاذ ولايتها مدينة دمشق مركزاً لهم ، الأمر الذي يجعل بيروت دون أهميتها» . وقد أشار القرار أيضاً إلى أن الضرورة استدعت السرعة في جعلها ولاية . وبعد يومين على اتخاذ

(1) Documents., tome 14, lettre n 49, pp. 197-198.

القرار، أصدر السلطان إرادته في ٨ ربيع الآخر عام ١٣٠٥هـ بتعيين والٍ عليها<sup>(١)</sup>.

وهكذا، باتت سواحل بلاد الشام مقسمة في ثلاث وحدات إدارية، وهي حسب تاريخ إنشائها على التوالي:

متصرفية جبل لبنان عام ١٨٦١م ومتصرفية القدس الشريف عام ١٨٧٣م، وولاية بيروت عام ١٨٨٧م.

وكان للتجارة الدولية الدور الأساسي في تركيبها وتشكيل حدودها، لا سيما الدور الفرنسي والبريطاني.

وبعد إنشاء هذه الكيانات الإدارية، أخذ الاهتمام الفرنسي بمدينة بيروت يتزايد أكثر فأكثر؛ ففي عام ١٨٨٧م وضعت تصاميم بناء مرفأ حديث في بيروت، وبدأ العمل على تنفيذ هذا المشروع، الذي أنجز عام ١٨٩٣م<sup>(٢)</sup>. كما جرى تمديد خط حديدي يصل بين بيروت ودمشق في عام ١٨٩١م ووضع في الاستثمار عام ١٨٩٥م ومدد خط حديد دمشق مزيريب عام ١٨٩٢م ووضع في الاستثمار عام ١٨٩٤م. وجرى وصل خط بيروت دمشق بالشعبة التي مددت من رياق إلى حلب ما بين عام ١٩٠٢ و١٩٠٦م. بهذا الخط ربطت طرابلس بحمص ما بين عام ١٨١٠ و١٨١١م<sup>(٣)</sup>.

وبتمديد هذه الشبكة من الخطوط الحديدية بين مرفأ بيروت والداخل السوري أصبحت المدينة المركز التجاري الأساسي الوسيط على السواحل الشامية ما بين أوروبا وبلاد الشام؛ كما أصبح جبل لبنان من أكثر المناطق

(١) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ١٨٦٤-١٩١٤م، ص ٧٢.

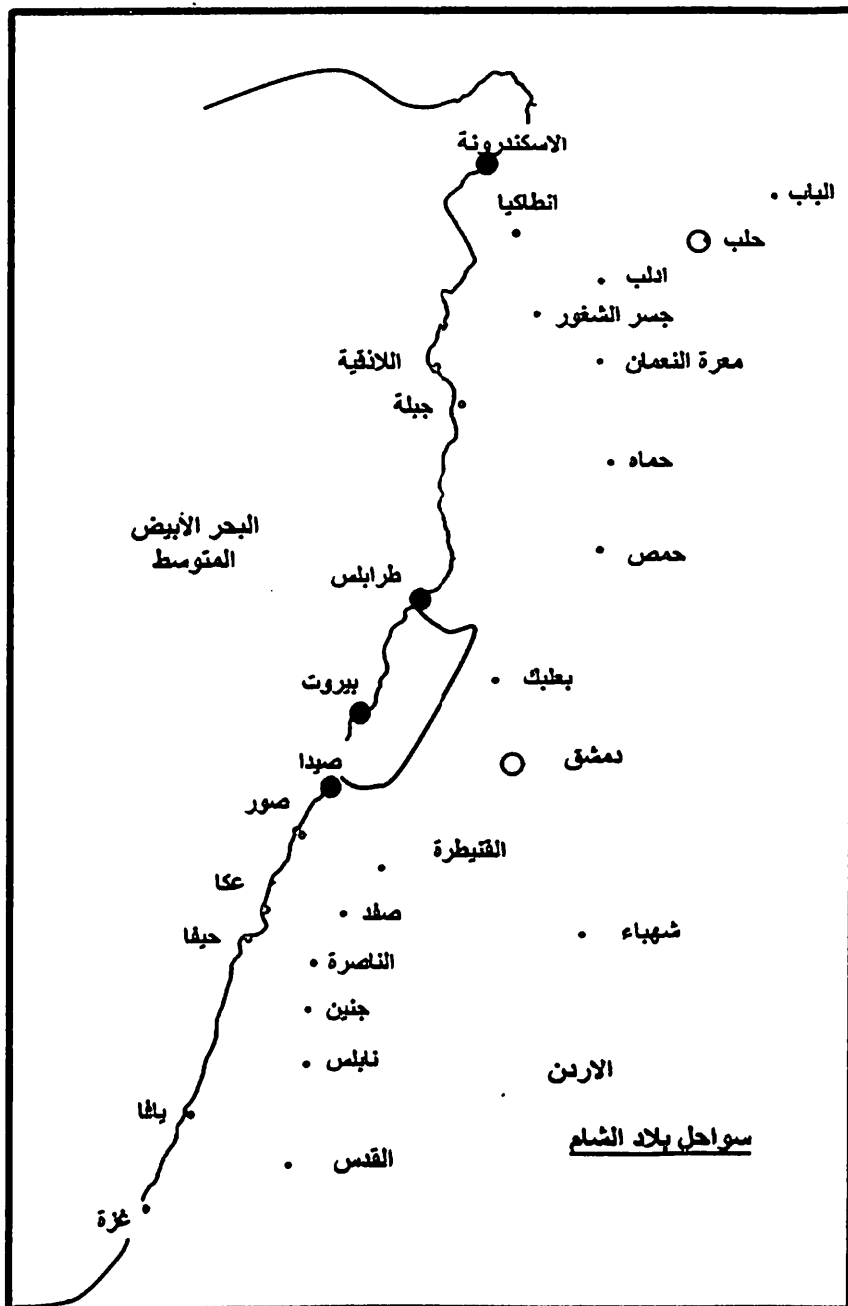
(٢) إلياس جريج، ولاية بيروت، ١٨٨٧-١٩١٤م، التاريخ السياسي والاقتصادي. مطبعة عكار، ص ١٦٣.

(٣) لمزيد من الايضاح حول هذه الخطوط الحديدية، يراجع: إلياس جريج، التاريخ السياسي، ص ٧١١-

العثمانية انخرطاً في الاقتصاد الدولي من خلال تخصصه بإنتاج الحرير . وبما ساعد بيروت أن تصبح على هذه الأهمية أمران : الأول ، هو أن الفرنسيين قد أنجزوا التزامات خطوطهم الحديدية في أوقاتها المحددة ؛ والثاني ، هو أن البريطانيين راحوا يتباطؤون ، في تنفيذ خط حديد حيفا - درعا - مزيريب - دمشق ، علماً أنهم حصلوا على التزام هذا الخط عام ١٨٩٠م ، ثم توقفوا عن العمل فيه وعرضوا تصفية أعماله للبيع على شركة مرفأ بيروت ، التي رفضت هذه التصفية . وهذان الأمران ساعدا الخطة الفرنسية على أن تكون قبل الحرب العالمية الأولى ناضجة أكثر من الخطتين البريطانية والروسية .

وهنا يمكن القول ، إنَّ عدم إنجاز الإنكليز لخط حيفا - دمشق ، ورفض الفرنسيين شراء تصفية أعمال هذا الخط ، يأتيان في سياق مخططات التجارة الدولية ، التي يعرفها التجار جيداً ، ولا سيما تجميع اليهود في فلسطين . فتمديد الخط بالنسبة للبريطانيين - في هذه المرحلة - لن تكون نتيجته إلا الخسارة لعدم نضج ظروف نجاحه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن شبكة الخطوط الحديدية المنطلقة من حيفا والشبكة المنطلقة من بيروت تستهدفان نفس المنطقة في الداخل . ومن ثمَّ ليس من مصلحة الفرنسيين أن يمدد الخط المشار إليه ، قبل أن تشق شبكتهم من بيروت طريق مستقبلها ، ويصل مخططهم إلى النهاية التي يريدونها .

وفي النهاية ، لقد مهد هذا التقسيم الإداري للسواحل الشامية على النحو الذي أشرنا إليه الطريق أمام وقوع بلاد الشام في نهاية الحرب العالمية الأولى تحت الانتداب بين الفرنسي والبريطاني ، لتتابع مخططات التجارة الدولية الطريق المعد لها .





## صيدا في عصر التنظيمات العثمانية ١٨٣٩-١٩١٨م

طلال ماجد المجذوب(\*)

### عصر الإصلاحات العثمانية:

الدولة العثمانية التي دامت أكثر من ستة قرون (١٢٨٥-١٩١٨م) ، وشمل حكمها نحواً من أربعين بلداً في القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا ، يقر معظم المؤرخين المعاصرين المنصفين ، مقارنة مع الإمبراطوريات الأخرى في التاريخ أنها كانت أكثرها عدلاً وإنسانية ، ويستند ذلك إلى عناصر ثلاثة حكمت سياستها :

الأول : أن سلاطينها وضعوا إطار النظام ، بينما نظمت الشريعة الإسلامية أساس الحقوق والواجبات في وقت السلم أو في الحرب ، ضمن قواعد الحق والعدل .

الثاني : أن الدولة حافظت على خصوصيات الشعوب التي حكمتها ، تاركة لرؤساء الطوائف تدبير أمور الناس ، مما سمي نظام «الملة» .

الثالث : أنه نجم عن ذلك أن الثقافة والحضارة العثمانية انتشرت بين جميع رعاياها بسهولة ، وبرز ذلك في فنون العمارة ، والموسيقى ، وفي الأطلعمة ، وكثير من المصطلحات اللغوية .

وكان كلما ظهر ضعف في إحدى نواحي الحياة المدنية أو العسكرية ، سرعان ما كان يقيض له سلطان قادر ينهض لرفع العجز أو الضعف ، وتصحيح مسيرة الدولة .

---

(\*) أستاذ ، الجمهورية اللبنانية .

ولعل أول محاولات الإصلاح بدأت في عهد السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٢م) ، الذي شاهد بنفسه نقاط الضعف في جيشه أثناء حربه في بولونيا سنة ١٦٢١م ، فسعى لتأسيس جيش قوي مركزي والغاء التشكيل العسكري الذي كان يسمى «قابوقولو» ، لكنه لم يستطع تجهيز الكوادر القادرة على إعداد هذا الجيش الجديد ، كما أنه أثار خوف الانكشارية من تلاشي نفوذهم ، فأعلنوا العصيان بعد أن أيدهم العلماء ، وانتهى الأمر بقتل السلطان عثمان ، وهذه الحادثة كانت بداية الصراع بين الانكشارية وبعض السلاطين أصحاب النزعات الإصلاحية ، وأصبح من المؤكد أن أي إصلاح لا يؤيده العلماء لن ينجح ، كما أن القضاء على أي عصيان عسكري غير ممكن إذا كان قد حصل على تأييد العلماء .

وعندما تولى الحكم السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) ، استطاع السيطرة من جديد على مقاليد الحكم ، وأعاد للمؤسسات القديمة قوتها ، كما حقق انتصارات عديدة بجيشه وهزم أعداءه .

ويبدو أن محاولات الإصلاح بدأت منذ القرن الثامن عشر ، في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٤م) في الجانب العسكري ؛ لأن الجيش كان دائماً قوة الدولة العثمانية وبقائها ، فعمل على تقوية سلاح البحرية ، وسلاح المدفعية ، ثم تبعه السلطان عبد المجيد الأول (١٧٧٤-١٧٨٩م) فأمر بإصلاح «دار الصناعة» ومعمل المدفعية لمصلحة الجيش ، وتبعه السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) الذي شهد عصره حرباً ضروساً بين العثمانيين ، وبين الروس والنمساويين ، كما قام نابوليون بوناپرت الفرنسي بحملة على مصر واحتلها مع جزء من سوريا ، بالإضافة إلى قيام الوهابيين بحركتهم في الجزيرة العربية ، ومع كل هذا فقد استطاع هذا السلطان أن يعيد تنظيم الجيش على أسس حديثة ، ومدّه أيضاً بالأسلحة ، وفرض عليه ارتداء الزي العسكري تشبهاً بالجيوش الأوروبية ، وأطلق عليه اسم «نظامي جديد» ؛ أي «العسكر الجديد» وبذلك تشكل جيش عثماني جديد ، له ثكناته العسكرية الحديثة ، ومدارسه

العسكرية لرفع جهوزيته الدائمة .

لكن الانكشارية رأوا في هذه الإصلاحات ما يحد من نفوذهم ، واعتماد الدولة عليهم ، فثاروا في ٢٧ أيار ١٨٠٧م ، وبفتوى من شيخ الإسلام ، عزلوا السلطان سليم وقتلوه فيما بعد .

وتولى الحكم بعده السلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧-١٨٠٨م) ، وعندما أراد متابعة مسيرة الإصلاح التي حاول أسلافه القيام بها ، قامت ضده ثورة أدت إلى مقتله ، واعتلى العرش من بعده السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) ، الذي بدأ بخطوة صحيحة ، أباد بها العسكر الانكشاري الذي أصبح عائقاً كبيراً في طريق تقدم الدولة وتحديثها ، وذلك في حزيران ١٨٢٦م ، وعرفت هذه المذبحة «بالواقعة الخيرية» لأن العثمانيين تفاعلوا بها .

وقد اعتنى بتنظيم الجيش على أسس حديثه في تدريبه وتسليحه معتمداً على خبراء من الدول الأوبية الكبيرة ، وأصدر أكثر من فرمان تدعو إلى الاعتماد على الجيش الجديد والانخراط فيه لعدم مخالفته الشرع الشريف .

وتميز أفراد الجيش الجديد بالطاعة والانضباط العسكري . ومن أجل زيادة كفاءة العسكر الجديد ، أرسل في سنة ١٨٢٧م عدداً من العسكريين للتدريب في مختلف المدارس العسكرية الأوربية ، وافتتح في السنة نفسها مدرسة طبية في إستانبول ، ثم تبعها سنة ١٨٣١م مدرسة للموسيقى ، وأخرى سنة ١٨٣٤م للعلوم العسكرية .

كما استقدم مدرّبين عسكريين من أوروبا ، كان أشهرهم المارشال مولتكه البروسي ، وأنشأ سفناً حربية في دار الصناعة العثمانية ، وأصدر جريدة رسمية باللغتين التركية والفرنسية ، وأبطل عادة مصادرة أموال موظفي الدولة ، كما أسس وزارة للمالية باسم «الخزينة العامرة»<sup>(١)</sup>.

(١) أسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفيه ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص ٨٨ وما بعدها ، وسنشير

إليه عند وروده فيما بعد : رستم ، لبنان .

وخلال هذه الحقبة التي كانت فيها الدولة العثمانية تسير نحو التجديد في قوانينها ومؤسساتها قامت اليونان بثورة ، واستطاعت بمساعدة الدول الأوروبية أن تنفصل عن الدولة العثمانية ، وتحصل على استقلالها ، كذلك قام محمد علي باشا حاكم مصر بحملة على بلاد الشام وأخرجها من سلطة الدولة العثمانية .

المرحلة الثانية من الإصلاحات بدأت بخط كلخانة سنة ١٨٣٩م إلى إعلان الدستور أو القانون الأساسي سنة ١٨٧٦م ، وفي هذه المرحلة استمرت وتيرة الإصلاح تجري بسرعة ، إلى حد أن المراسيم الإصلاحية الصادرة شملت مختلف مرافق الدولة ، وتميزت ثلاثة مراسيم سلطانية (خط) من بينها بشمولها لمواضيع كثيرة أولها «خط كلخانة» الذي أعلن من قصر كلخانة (Gol Hanci بيت الورد) في إستانبول الأحد ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/ ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩م ، في بداية عهد السلطان عبد المجيد ، وقرأ الوزير الإصلاحي مصطفى رشيد باشا نصه ، بعنوان «تنظيمات خيرية» بحضور العلماء ، وكبار رجالات الدولة من وزراء وولاة وسفراء أجانب ، وقد نصّ على :

- ١- منح السلطان المواطنين أمانة الروح والعرض والناموس والمال ، وأن الدولة ستعمل على تحقيق ذلك عن طريق وضع قوانين جديدة ، تحفظ للمواطنين حقوقهم وأمنية نفوسهم .
- ٢- وعد السلطان بإصلاح القضاء والإدارة ، ومنع الولاة من الجرأة على القتل .
- ٣- أمر السلطان بإجراء القرعة العسكرية الشرعية .
- ٤- جباية الأموال وأنفاقها بمقتضى الشرع وإلغاء أصول الالتزام .
- ٥- القضاء على الرشوة التي كانت رائجة في أجهزة الدولة ، وكانت سبباً في فساد جهاز الحكم . وكان من نتائج خط كلخانة المهمة :

إن الضرائب صارت تجبى بالعدل وبالمساواة ، ولذلك زادت إيرادات الدولة ولم يعد يتم صرف المال إلا بفرمانات همايونية ، وكان حرص خاص من الدولة

على تطبيق الإصلاحات في بلاد الشام التي كانت قد خضعت لحكم محمد علي باشا نحواً من عشر سنوات ، تميزت بإصلاحات كثيرة في شتى شؤون البلاد ، وقد لقي هذا المرسوم التنظيمي ترحيباً واسعاً من الشعب<sup>(١)</sup> .

أما خط التنظيمات الخيرية الصادر في عهد السلطان عبد المجيد ، في ١ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢هـ / ١٨ شباط ١٨٥٦م ، وأعلنه السلطان بعد انتصار الدولة العثمانية وحلفائها إنجلترا وفرنسا مملكة بيدمونت (سردينا) على روسيا في حرب القرم سنة ١٨٥٦م فإن أبرز ما احتوى عليه خط التنظيمات ما يلي :

- ١- حق الطوائف غير الإسلامية بامتيازاتها الخاصة ، شرط أن تتقدم من الباب العالي باقتراح الإصلاحات اللازمة بهذا الخصوص .
- ٢- السماح للطوائف غير الإسلامية بممارسة شعائرها الدينية ، وبناء معابدها الخاصة .

٣- إعلان المساواة في المعاملة بين جميع الطوائف ، ومنع استعمال الألفاظ التي تحط من قيمة غير المسلمين ، وتأمين الحرية الدينية لأهل كل مذهب .

٤- فسح المجال أمام رعايا السلطان كافة للإسهام في خدمة الدولة عن طريق تعيينهم في الوظائف واستفادتهم من خدمات الدولة التعليمية .

٥- إنشاء محاكم مختلطة للفصل في القضايا المدنية والجزائية ، أما الدعاوى الخاصة بالأحوال الشخصية والإرث ، فتحال إلى المحاكم الشرعية بالنسبة للمسلمين ، وإلى المحاكم الطائفية بالنسبة لغير المسلمين ثم صدر في ٢٠

أب ١٨٥٧م ، قانون الجزاء العثماني في ٢٦٤ مادة منها :

أ- المساواة بين جميع رعايا الدولة في الحقوق والواجبات ، حيث ألزم لأول مرة المسلمون وغير المسلمين بالخدمة العسكرية .

(١) شفيق جحا ، حركة الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية ١٨٥٦-١٨٧٦م ، مجلة الأبحاث ، مجلد

١٨ ، ج٢ ، حزيران ١٩٦٥م ، ص ١٢٣ ، وسنشير إليه عند وروده فيما بعد : جحا ، حركة .

- ب- وعد السلطان بالسماح للرعايا الأجانب ، المقيمين في أراضي الدولة العثمانية بالتملك فيها ضمن القوانين .
- ج- بعد إلغاء نظام الالتزام سابقاً ، صدر قرار بمنع موظفي الدولة من العمل بنظام الالتزام .
- د- تنظيم ميزانية الدولة بتسجيل إيراداتها ومصروفاتها بدقة في دفاتر وقيود مخصصة .
- هـ- وعد السلطان رؤساء الجماعات والطوائف بإشراكهم في مناقشات المجلس العالي المتعلقة بشؤونهم .
- و- وعد السلطان بإجراء إصلاحات شاملة في القضايا المالية ، والمواصلات ، والمصارف والزراعة والتجارة .

#### نتائج خط التنظيمات الخيرية ١٨٥٦م؛

أكد «الخط» بشكل خاص على المساواة المدنية والاجتماعية لجميع رعايا الدولة ، واعترف بمساواتهم في خدمة الحكومة التي أظهرت اهتماماً بتطبيق النواحي المتعلقة بالتسامح الديني ، وبالحرية الدينية ، الواردة بخط التنظيمات الخيرية سنة ١٨٥٦م ، وبالإضافة إلى أن نظام الولايات الصادر سنة ١٨٦٤م قد ضمن المساواة بين الرعايا في المجالس المحلية .

والواقع أن المساواة لم تطبق تماماً ، فقد ظلت الخدمة العسكرية محصورة بالمسلمين وحدهم ، ودفعت المسيحيون الإعانة العسكرية بديلاً من الخدمة العسكرية ، كما ظلت الوظائف القضائية والإدارية محصورة تقريباً بالمسلمين .

وقد أخذت الدول الأوروبية تدعي حماية الطوائف الدينية ، فبسطت فرنسا حمايتها على الكاثوليك ، وبسطت روسيا حمايتها على الأرثوذكس ، وبريطانيا صارت حامية للبروتستانت ومعهم الدروز أيضاً .

ومن نتائج خط التنظيمات الخيرية أيضاً ، ازدياد ترابط الطوائف المسيحية ، بفضل القوانين التي أصدرتها الدولة من أجل تنظيم شؤون البطريركيات

والأسقفيات ، وتكوين المجالس المليية ، وتركت الدولة جميع القضايا الخاصة والأحوال الشخصية لأبناء الطائفة إلى رؤسائهم الروحانيين ، ومجالسهم المليية .

وفي الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٢٩٦هـ / ١٤ كانون الأول سنة ١٨٧٤م ، صدر خط الإصلاحات والتنظيمات الجديدة في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) ، واشتمل على الأمور الآتية :

- ١- الفصل بين السلطين التنفيذية والقضائية .
- ٢- أن يكون أعضاء المحاكم المحلية من ذوي الأهلية ، المتحلين بصفات العفة والاستقامة .
- ٣- الغاية من تشكيل ديوان الأحكام العدلية ، أن يكون عادلاً وموافقاً لوصفه وتعريفه ، لذلك يجب تنظيم هيئة محاكمة ، ويجب أن يتحلى أعضاء المحاكم بالتجرد والنزاهة .
- ٤- منح السلطان عموم الرعايا حق انتخاب مميزين ، وأعضاء المحاكم النظامية وتعيينهم ، سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم .
- ٥- البحث عن وسائل لزيادة إيرادات الدولة .
- ٦- اعتبار نظارة الدفتر الخفاني مرجعاً مستقلاً ، لإعطاء السندات العمومية المتعلقة بالأموال غير المنقولة .
- ٧- وعد السلطان بالمحافظة على أموال الرعايا .
- ٨- إلغاء المضايقات والسخرة وغيرها .
- ٩- التأكيد على الأنصاف بين جميع الرعايا .
- ١٠- العمل على إصلاح الزراعة والتجارة وغيرها .
- ١١- السماح لغير المسلمين بالعمل بأجهزة الدولة المختلفة .
- ١٢- استيفاء البدلات والإعانات العسكرية من غير المسلمين .

### التنظيمات فيما بين المشروطيتين ١٨٧٦-١٩٠٨م<sup>(١)</sup>؛

تمت جميع هذه التنظيمات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وحده وبدأت بإعلان الدستور، حيث إن السلطان عبد الحميد حين توليه عرش السلطنة أظهر ميلاً شديداً للإصلاح، حيث وعد بالخطاب الذي أرسله محمد رشدي باشا، بتأسيس مجلس عمومي من أجل تأمين إجراء القوانين، وبذلك يكون قد وعد بإعلان القانون الأساسي الذي كان مدحت باشا قد أعدده في عهد السلطان عبد العزيز، ولكنه لم يصدر آنذاك، وبعد أن عزل السلطان الصدر الأعظم محمد رشدي باشا وعين بدلاً منه مدحت باشا صدرراً أعظم، وذلك في ١٦ كانون الأول سنة ١٨٧٦م، الذي سرعان ما أعلن الدستور في ١٩ كانون الأول سنة ١٨٧٦م في مراسم خاصة أقيمت في الباب العالي، وأعلن أن ذلك يوافق الشرع الشريف ولحاجة الملة والسلطان إليها.

وكان مقتبساً من دساتير بعض دول أوروبا، مثل: بريطانيا وفرنسا وبلجيكا خصوصاً، وقد تألف من ١١٩ مادة واعتبر العثمانيين جميعاً أحراراً متساوين بالحقوق.

أما المجلس العمومي فيتألف من هيئتين، الأولى هيئة الأعيان، والثانية هيئة المبعوثان، وتجتمعان معاً أول تشرين الثاني من كل سنة. وتألفت هيئة الأعيان من الأشخاص، المشهود لهم بخدمات جُلَى للدولة، وبالسيرة الحسنة، وعددهم ثلث عدد أعضاء المبعوثان، ومهمته مراجعة القوانين والأنظمة، الصادرة عن مجلس المبعوثان.

أما هيئة المبعوثان (أي النواب) فيتم انتخابهم بالاقتراع السري من الذكور فقط، ويشترط فيهم أن يكونوا من التابعة العثمانية، ويكون الأعضاء من المسلمين وغير المسلمين.

(١) رسالة رقم ١٣٦٨/١٩٥٠ Public Record Office-Foreign office من القنصل البريطاني العام في

بيروت John Dickson إلى السفير البريطاني في اسطنبول R. St. John في ٣ كانون الثاني ١٨٨١م،

وسأشير إليه عند وروده فيما بعد: مكتب السجلات العامة (F.O)، ف. و.



ومع أن عهد السلطان عبد الحميد الثاني وصف بعهد الحكم المطلق ، انطلاقةً من أنه لم يكن من أنصار الحكم الدستوري ، لكن عهده تميز بإصلاحات كثيرة ، خصوصاً أنه حاول الإفادة من وجود رجال عظام إلى جانبه ، آمنوا بالإصلاح منهجاً وطريقه ، وعلى رأسهم الصدر الأعظم محمد رشدي باشا ، والصدر الأعظم مدحت باشا الذي اشتهر بلقب «أبي الدستور» وأن كانت نهايته القتل .

وعرف هذا العهد «بعهد المشروطية» ؛ أي عهد السلطة المقيدة بالدستور وقد أسهمت الإصلاحات السابقة بتقدم الدولة العثمانية خطوات نحو الحياة الحديثة ، فتنظمت جيوشها برأً وبحراً ، وتحسنت أسلحتها ، وانتظم الضبط والربط فيها ، وأرسل العديد من الضباط للدراسة في الكليات الحربية في بعض الدول الأوروبية خاصة بألمانيا .

وقد فاز في الانتخابات التي جرت لأول مرة بالدولة العثمانية ، عن ولاية سوريا سنة ١٨٧٧م : خالد أفندي عن لواء دمشق ، ونوفل بك عن لواء طرابلس الشام ، ويوسف ضيا الخالدي عن متصرفية القدس ، ونقولا نقاش وحسين أفندي بيهم عن لواء بيروت ، وتألف المجلس من ١١٨ نائباً بينهم ١٦ نائباً عربياً . وكان نائب القدس يوسف ضيا الخالدي من ألمع النواب العرب في مجلس المبعوثان .

وقد دامت هذه الحقبة الدستورية سنة واحدة فقط ، وبعد ذلك عمده السلطان عبد الحميد إلى حل البرلمان ، وعلق الدستور في ١٩ شباط ١٨٧٨م مغتتماً قيام روسيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية ، فأصدر قانوناً بوقف العمل بالدستور ، وعاد السلطان عبد الحميد للقبض على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية ، وعاونه في ذلك أجهزة الاستخبارات السرية المعروفة «بالخفية» .

واضطر أصحاب الرأي الحر للاختفاء ، أما باللجوء للسفارات الأجنبية في اسطنبول ، وأما الهرب للخارج ، والعيش في المنفى ، واشتغل بعضهم بتأليف

الجمعيات السرية المناهضة للاستبداد ، وكانت لندن وباريس وجنيف خصوصاً تضم أكبر تجمعاتهم ، كما أخذ بعض الأحرار باللجوء إلى القاهرة بعد احتلال البريطانيين لها سنة ١٨٨٢م ، وأكبر هذه الجمعيات كانت «جمعية الاتحاد والترقي» ، التي كان لها فروع في أنحاء الدولة العثمانية وخارجها ، وتمكنت من إعلان المشروطية من جديد في تموز ١٩٠٨م<sup>(١)</sup> ، وقامت حركة شعبية قادها «درويش وحدتي» في ٣١ آذار ١٩٠٩م طالبت بإلغاء القانون الأساسي وإعلان الشريعة المحمدية ، وقام أفراد من هذه الحركة بقتل بعض الضباط الشبان بحجة أنهم تخرجوا من مدارس عسكرية أجنبية ، ولكن جيش سالونيك بقيادة الجنرال محمود شوكت باشا زحف بعسكره إلى إسطنبول ، وقضى على ثورة المشايخ ، وأسقط السلطان عبد الحميد ، بفتوى من شيخ الإسلام ، ونودي بولي العهد محمد رشاد الخامس سلطاناً جديداً .

لم تستطع حركة الإصلاح تقديم إنجازات كبيرة للمواطنين ، حيث كان الخلاف كبيراً بين أنصار الحكم المركزي وأنصار الحكم اللامركزي ، وكذلك أسهمت في الفوضى السياسية سلسلة حوادث الانفصالات عن الدولة ، فأعلنت بلغاريا استقلالها ، وألحقت النمسا إقليمي البوسنة والهرسك بها ، وانضمت جزيرة كريت لليونان ، واحتلت إيطاليا ولاية طرابلس الليبية سنة ١٩١١م ، ونشوب حرب البلقان .

أدت هذه الأحداث إلى سقوط وزارة الائتلافيين في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣م ، وحلت محلها وزارة اتحادية برئاسة محمود شوكت باشا ، فعطلت المجالس العمومية في الولايات ، وبدأت بقمع أصحاب الرأي المخالف لها ، وأدرك الإصلاحيون العرب صعوبة التفاهم مع الاتحاديين ، فعقدوا مؤتمراً عاماً في باريس في ١٧ حزيران ١٩١٣م ، طالب بإجراء إصلاحات عديدة في الولايات

(١) جريدة البرق ، جريدة أدبية سياسية أسبوعية أصدرها بشارة عبد الله الخوري سنة ١٩٠٨م ، بيروت ،

العربية ، وبمشاركة أوسع للعرب في الوظائف الإدارية العليا ، لكن حكومة الاتحاديين كانت ماضية في تنفيذ سياستها القمعية وخاصة بعد أن ظهرت للعلن سياسة التتريك ، وأخذ الشرخ بين عنصري الدولة العثمانية التركي والعربي ، يتسع ، وأسهم في سرعة سقوط الدولة العثمانية نهائياً .

### نتائج الإصلاحات والتنظيمات الخيرية

إن الإصلاحات التي قام بها السلاطين العثمانيون المتعاقبون على مدى قرن أو أقل قليلاً ، كانت من الشمول والأهمية ، إلى درجة أنها كانت ستجعل من الدولة العثمانية ، دولة عصرية قوية ، تماثل الدول العظمى آنذاك ، وتنزع عنها صفة «الرجل المريض» ، التي ألصقها بها الغرب لكن الإصلاح المنشود لم يتحقق إلا جزئياً ، وبقيت الدولة العثمانية تعاني من عجزها المالي ومديونيتها الكبيرة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ويمكن تلخيص عوامل ضعف الدولة العثمانية ومن ثم سقوطها في الأمور الآتية :

١- بعض الإصلاحات نقلت عن نظم غربية ولم تعدل لتتناسب مع واقع الحياة العثمانية .

٢- واجهت هذه الإصلاحات معارضة قوية من الفقهاء ، والمحافظين ، وعمامة الشعب بحجة أنها لا تتناسب مع الواقع العثماني ، وتتعارض مع الدين والتقاليد .

٣- انضم للمعارضين الجاليات الأجنبية الأوروبية المقيمة في أراضي الدولة العثمانية ؛ لأن الإصلاحات كانت تسلبهم الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها مستفيدين من ضعف الدولة .

٤- كثير من المشاريع الإصلاحية لم تكتمل أو لم تنفذ بسبب الضائقة المالية التي كانت تعاني منها الدولة .

٥- لم تستطع معاهد التعليم الحديث أن تسهم في تأييد المشاريع الإصلاحية ؛ لأن المدارس التي تعلم بالأسلوب القديم كانت أكثر عدداً وأقوى نفوذاً .

٦- استمرار دول أوروبية في التعدي على أراضي الدولة العثمانية ، وخصوصاً تحريض شعوب البلقان المسيحية على الثورة ضد الدولة العثمانية ، واقتطاع أجزاء من أراضي الدولة العثمانية ، كلما سنحت لهم الفرصة مثل اليونان والجلب الأسود وبلغاريا سنة ١٩١٢م ، وكانت قبل ذلك قد خسرت قبرص ١٨٧٨م ومصر ١٨٨٢م وغيرها .

أما بلاد الشام فقد تكون هي الوحيدة في الدولة العثمانية التي أفادت من تحقيق الإصلاحات التي جاءت بها التنظيمات الخيرية ، وقد ساعدت الظروف في تحقيق ذلك في هذه المنطقة ؛ إذ إن الحكم المصري لبلاد الشام الذي استمر من ١٨٣١م حتى ١٨٤٠م ، قد أقام حكماً مركزياً قوياً ، وأمن فرض الضرائب وتحصيلها وأصلح طرق المواصلات ، وفرض التعليم الإلزامي ، ونشر المدارس ، ومن ثمّ فإن بلاد الشام أفادت إلى أبعد الحدود من كل الإصلاحات لمصلحة شعوب المنطقة ، وستكون الفصول القادمة شرحاً وافياً للدور الذي لعبته التنظيمات في النهضة الشاملة التي شهدتها بلاد الشام ، وسنتخذ من صيدا نموذجاً لذلك .

### صيدا والتقسيمات الإدارية

تم إنشاء ولاية صيدا سنة ١٦٦٠م ، وكانت صيدا مركزها ، وبعد عودة العثمانيين إلى بلاد الشام ، بعد انسحاب المصريين منها ، أعيدت التشكيلات الإدارية السابقة التي كانت موجودة قبل قدوم المصريين ، وجرى تغيير إداري واحد ، تمثل في نقل مركز ولاية صيدا إلى بيروت سنة ١٨٤٢م في عهد واليها سليم باشا ، وذلك بسبب ازدياد الأهمية التجارية والاجتماعية لمدينة بيروت ، وتضائل شأن صيدا .

وفي سنة ١٨٤٧م ازدادت أهمية ولاية صيدا واتسعت بعد أن دمجت بها ولاية طرابلس بعد إلغائها ، وبذلك صارت بلاد الشام في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتألف من ولايتي دمشق وصيدا . وفي كانون الثاني سنة

١٨٨٨م صدر الفرمان السلطاني بإنشاء ولاية بيروت<sup>(١)</sup> .

وفي الواقع فإن التقسيمات الإدارية لم تكن منسجمة مع التضاريس الجغرافية ، فكان تداخلها سبباً في حدوث المشاكل والمنازعات بين سلطات متصرفية جبل لبنان من جهة ، وسلطات ولاية بيروت من جهة أخرى ، فقريبة «عبرا» المجاورة لصيدا كان ربعها يتبع سلطات صيدا ، وثلاثة أرباعها تتبع متصرفية جبل لبنان (حالياً أصبحت عبراً جزءاً من صيدا الكبرى)<sup>(٢)</sup> . وقرية مغدوشة المجاورة لصيدا ، كان المكلفون من أهلها يؤدون نصف ما عليهم لحكومة جبل لبنان ، ونصفه الآخر لسلطات قضاء صيدا ؛ لأن أراضي مغدوشة كانت مقسمة بين الطرفين .

يبدو أن الصياديين لم يرتاحوا للتشكيلات الإدارية الجديدة ، التي جعلت مدينتهم تصبح مركز قضاء يتبع بيروت ، التي بدورها تتبع ولاية سوريا ، لذلك تقدموا بعريضة إلى السلطات يطلبون فيها الانضمام إلى متصرفية جبل لبنان للإفادة من الامتيازات الضريبية وغيرها التي أخذ يتمتع بها سكان الجبل ، وكان وراء العريضة ثلاثة من شخصيات المدينة من عائلات الأسير والزين والبرزي<sup>(٣)</sup> ، وقد رفضت السلطات تلك المطالب .

بعد قيام حركة شعبية في اسطنبول ، أعيد العمل بالدستور في ٢٤ تموز ١٩٠٨م ، واعتبر هذا اليوم عيداً وطنياً فيما بعد ، وجرى الاحتفال به كل سنة .

(١) الخوري قسطنطين ، الباشا المخلصي ، جريدة توزيع مال خراج لبنان الأميري بعهد الأمير بشير

الشهابي ، المشرق مجلة نصف شهرية علمية أدبية دينية أصدرتها جامعة القديس يوسف منذ

١٨٩٩م ، مجلد ٣٣ / عدد ٣ / عدد أيلول ١٣٣ ، ص ٣٣٢ .

(٢) جرجي تامر ، الهدية الوطنية في نظمات لبنان والآثار الدستورية - مطبعة متصرفية جبل لبنان

١٣٢٥هـ / ١٩٠٩م ، ص ٣٠٩ .

(٣) مكتب السجلات العامة ف . و١٩٥٠-٨٦٦ رسالة سرية من القنصل البريطاني العام في بيروت

Rogers إلى حكومته في ٢٩ كانون الأول ١٨٦٧م .

وعلى سبيل المثال ، فإن صيدا باحتفالها بهذا العيد سنة ١٩٠٩م ، عملت البلدية على تزيين الشوارع ومباني المؤسسات ، وبلغت النفقات ٩٥ قرشاً و٥ بارات من ميزانية البلدية<sup>(١)</sup> .

وبعد قيام حكومة من حزب الائتلاف سنة ١٩١٣م ، دعت المناطق إلى تشكيل جمعيات تحدد الإصلاحات المطلوبة وتراقب تنفيذها ، وتشكلت لجنة صيدا ، بمساعي القائممقام ، من جميع الطوائف ، واجتمعت في مركز جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا ، وانتخبت المفتي رئيساً لها ، والحامي سليمان مصوبع كاتباً ، والأعضاء أحمد رضا ، أحمد عارف الزين ، الدكتور إلياس الزهار ، كامل المغربي نسيم الحلو ، الحامي بشارة نمور ، توفيق البساط ، توما الكيال ، حسين الجوهري ، محمد علي حشيشو ، سليمان ضاهر ، سليم نكري ، عبد الله الحر ، الحامي نخلة الغفري<sup>(٢)</sup> .

وبعد سقوط حكومة حزب الائتلاف في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٣م وقيام حكومة حزب الاتحاد والترقي برئاسة محمود شوكت باشا ، عمدت هذه الحكومة إلى إلغاء الجمعيات الإصلاحية في المناطق جميعها . وقامت المظاهرات في صيدا وبيروت وكل المناطق ، وعند عقد المؤتمر العربي الأول في باريس أرسلت صيدا البرقية الآتية للمؤتمر :

«إن الشبيبة العربية التي يتجاوز عددها الخمسمائة ، في هذا القضاء ، بين تجار وصناع وأدباء وملاكين تبدي لكم عظيم امتنانها من المشروع الذي أخذتموه على عاتقكم ، ليحق الحق ويزهق الباطل ، وهي تشارككم في آرائكم وأعمالكم ، وتسال أن يكفل مشروعكم بأكاليل الفوز ، حتى تحيا هذه البلاد حياة

(١) بلدية صيدا ، قرار رقم ١٥٩ سنة ١٣٣٠ مالية وجريدة البرق - العدد ٤٠ في ١٢ حزيران ١٩٠٩م .

(٢) الاتحاد العثماني ، العدد ١٣١٢ ، في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٣م ، جريدة يومية سياسية أدبية أصدرها

أحمد حسن طيارة ، ١٩٠٨م ، بيروت .

طبية سعيدة في ظل الهلال العثماني ، وفي الختام تقبلوا فائق احتراماتنا»<sup>(١)</sup> .  
كان قانون الولايات الصادر سنة ١٨٦٤م قد وضع أصول المجالس الإدارية ،  
ثم فصل اختصاصاتها قانون سنة ١٨٧١م ، وكرسها نهائياً قانون الولايات  
الجديد لسنة ١٩١٣م .

وقانون سنة ١٩١٣م حدد موظفي القضاء الرئيسيين بأنهم : النائب ومدير  
المال ، وكاتب التحريات ، وقائد بلوك الجندرمه ، وموظفو الأوقاف ، والنفوس ،  
والطابو وقوميسير البوليس .

ومجلس الإدارة في القضاء ، فكان برئاسة القائم مقام وعضوية النائب ،  
وكاتب التحريات ، والمفتي ، الرؤساء الروحانيون ، ثم الأعضاء المنتخبة ، وكان  
الأعضاء الدائمون تلقبهم مصادر تلك الحقبة «بأعضاء طبيعية» والمنتخبون  
يسمون «أعضاء منتخبة» والمثال أن مجلس إدارة القضاء في صيدا لسنة ١٨٧٥م  
كان مؤلفاً بالصيغة الآتية لسنة ١٨٧٥م :

الرئيس هو القائم مقام والأعضاء الطبيعيون هم النائب والمفتي ومدير المال  
وكاتب التحريات أما الأعضاء المنتخبون ، فهم : إبراهيم آغا الجوهري - محمود  
آغا المجدوب - حما نور - حنا لطوف والكاتب يوسف أفندي .

وفي المدن كان لكل حي أو حارة أو محلة مختارها على أن يكون من  
الطائفة السائدة في تلك المحلة مثلاً مختار حي السبيل لسنة ١٩٠٩م حفطي  
المجدوب ، ومختار الدرمان إسماعيل حسن بعاصيري ، ١٩١٧م .

أما التقويم والتوقيت فقد شملته التنظيمات إذ أعلنت الحكومة العثمانية أنه

---

(١) وقع البرقية : علي الجبيلي ، محمد سعيد أبو ظهر ، شكري الزهار ، أحمد عمر الحلاق ، عبد البديع  
الزين ، محمود الزين ، يوسف أبو ظهر ، راشد بكار ، مصطفى الجوهري ، توفيق المجدوب ، أحمد  
القطب ، سعد الدين عيساوي ، إبراهيم شكري ، أحمد حمدي الصلح ، مصطفى حسن كشتبان ،  
عبد الغني الزين ، عز الدين زنتوت ، محي الدين نعماني ، راجع وجيه كوثراني في وثائق المؤتمر  
العربي الأول ١٩١٣م ، دار الحدائق ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ١٦٢ .

ابتداءً من منتصف ليلة ١٣ آذار ١٨٣٩م ، اعتمدت الدولة التقويم الهجري القمري المعروف ، وصارت تحسب بداية السنة من شهر آذار لذلك عرفت بالسنة المارثية .

أما التوقيت فكان يحسب بالساعة العربية ، وفيه يبدأ النهار بشروق الشمس وينتهي بغروبها ، وكل حادث كان يقع بعد الغروب كان يحسب بتاريخ اليوم الجديد ، أما في التوقيت الجديد فإن كل حادث يقع بعد منتصف الليل يحسب باليوم التالي .

### القضاء

كان القضاء العثماني حتى مطلع القرن التاسع عشر بسيطاً في أجهزته وعمله ؛ إذ كان يمكن للقاضي أن يستمع للدعوى ، وأن يصدر الحكم فيها في جلسة واحدة ، كما أن القضاء كان يطبق أحكام الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفي ، أو لا يخالفها على الأقل<sup>(١)</sup> .

وعند مجيء إبراهيم باشا إلى بلاد الشام ، أدخل بعض القوانين الأوروبية إلى جانب القضاء الشرعي ، واستمرت الإصلاحات في القضاء ، ولم يأتِ أواخر القرن التاسع عشر حتى كانت قوانين القضاء العثماني قد اكتملت وبذلك صار القضاء فرعين : القضاء الشرعي ، والقضاء النظامي .

### أ- القضاء الشرعي

تمثل هذا القضاء بالمحاكم الشرعية ، وكان أبرز عناصره القاضي والنائب والمفتي ، وبعد الإصلاحات التي جرت في القضاء الشرعي اقتصرت المحاكم الشرعية على الدعاوى الحقوقية ، وعلى الأحوال الشخصية ، وكانت أبرز الجهود

(١) المحكمة الشرعية السنوية بصيدا ، سجل رقم ٩ ، نومرو ١٥٧ ، في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ /



في تنظيم القضاء الشرعي ، قيام لجنة من كبار الفقهاء العثمانيين برئاسة «جودت باشا» في عهد السلطان عبد العزيز ، حيث قامت بجمع الأحكام الشرعية وتبويبها ، واستغرق ذلك سبع سنوات ثم أصدرتها سنة ١٨٧٦م ، واشتهرت باسم «المجلة» اختصاراً واستمر العمل بها حتى سقوط الدولة العثمانية وظلت سارية المفعول في لبنان حتى سنة ١٩٤٣م ، ورجال القضاء ، هم :

### القاضي:

كان يأتي بعد الوالي بالأهمية ، وكان أبرز ما يعالجه ما عرف بالوقوعات الخمس ، وهي : المناكحات (الزواج) والطلاق ، والتولد ، والوفاء ، ونقل مكان (تبديل مكان الإقامة) .

وإذا كانت الأحكام على المذهب الحنفي ، فإنه يحكم بالمذاهب الأخرى « . . . في سنة ١٣٢٠هـ طالب بعض الصيداويين ، بتعيين أمام للشافعية ، لأداء صلاة الجمعة في جامع البحر ، فطلب من رشيد وهبي الواعظ في إيوان وقف بني حمود ، القيام بواجب الامامة بالإضافة لوظيفته الأصلية» .

كما استمر الصيداويون مثل كثير غيرهم من العثمانيين باللجوء للمحاكم الشرعية ، كما هي الحال بالنسبة لدائرة الطابو «حضرت . . . الحرمه فاطمة خليل الكلش . . . وباعت إلى ولدها لصدرها عبد الغني الحاج أحمد الطرابلسي . . . جميع حصة البستان المعروف ببستان بني الكلش . . . المشتمل على أشجار متنوعة الثمار . . . تسقى من ماء قناة الخاسكية . . .» (١) .

والقاضي في غير عاصمة الولاية يدعى النائب ، وكان يتقدم على المفتي في الأهمية ويأتي بعد القائم مقام مباشرة ، ومن هنا كان يشارك في أحداث الحياة العامة « . . . تفقد القائم مقام عبد القادر الدنا مع النائب جميل أفندي

(١) المحكمة الشرعية ، صيدا ، سجل ٢١ - نمرة ٢٦ .

مدرستي الخيرية والرشدية في صيدا . . .» (١) .  
 أما المفتي فكان موجوداً في كل الولايات ، وكان يأتي بعد النائب في الأهمية ، وكان عمله حول المسائل الفقهية ، وتحال إليه قضايا حقوقية وجزائية ، ليصدر فتواه بشأنها ، وكان عضواً دائماً في مجلس الإدارة ، ويشارك في الأحداث العامة « . . . عند مجيء القائمقام أحمد شكري لاستلام منصبه في صيدا توجه فوراً إلى دار البلدية القريبة من البحر . . . ثم حل ضيفاً في دار المفتي . . . وفي السادسة من يوم الثلاثاء ، تلي بدار الحكومة أمر تعيينه قائمقاماً . . . ثم تلا المفتي خطاباً وختمه بالدعاء لحضرة ظل الله في الأرض . . .» (٢) .

### القضاء النظامي:

كان هذا القضاء وليد الإصلاحات التي جرت في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان حجر الأساس فيه ، صدور قانون الجزاء الهمايوني في ٢٨ ذي الحجة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م (٣) ، وتعديلاته سنة ١٨٧٠م ، ثم القوانين التي تلتها وأبرزها قانون المحاكم النظامية ١٨٧٢م وقانون أصول المحاكمات الجزائية سنة ١٨٨٩م .

وكان قانون الولايات أقر إنشاء ديوان تمييز في كل ولاية ، يتألف من ستة أعضاء ، ثلاثة منهم مسلمون وثلاثة غير مسلمين . وفي اللواء يشكل مجلس تمييز حقوقي يرئسه حاكم الشرع (النائب) وكذلك في القضاء رئيس مجلس

(١) لسان الحال ، جريدة يومية ، إخبارية أدبية ، أسسها خليل سركيس سنة ١٨٧٧م ، العدد ٣٣٩ ، ٩

نيسان ١٩٠٠م .

(٢) ثمرات الفنون ، جريدة أسبوعية سياسية ، تجارية ، فنية ، أصدرها عبد القادر قباني سنة ١٨٧٥م ،

بيروت ، العدد ١٠٣٦ / في ١٥ تموز ١٨٩٥م .

(٣) الدستور ، ١م ، ص ٣٢٣ .

دعاوى يرأسه حاكم الشرع . . . كذلك أنشئت محكمة بداية بالقضاء .  
وتألفت محكمة بداية صيدا من عضوين مسلمين أحدهما سني والآخر  
شيعي ، وآخرين مسيحيين من طائفتي الروم الكاثوليك والموارنة .  
وعلى سبيل المثال ، فإن محكمة بداية صيدا سنة ١٩١٢م كان رئيسها  
محمد علي التميمي والأعضاء مارون الوزير والحاج سعيد البزري والكاتب كامل  
كزير والمستنطق نجيب الأسعد ، والكاتب صبحي الددا ، ووكيل الدعاوي داود  
الزهار .

وبعد تسلم الاتحاديين للحكم ، فرضوا معرفة اللغة التركية على أعضاء  
المحاكم ، وقد أثار ذلك استياءً شديداً بين الصيداويين ، وكان المحامون يقومون  
بمهامهم بكل حرية ومن برز في تلك الفترة : سليمان مصوبع ، ومحمد كامل  
المغربي ، وبشارة غمور ، ومحمد أحمد آغا حمود وآخرون .

ومن نماذج تلك القضايا «وكل يوسف حاييم لاوي ، ومحمد كامل المغربي ،  
وبشارة نور ، ومحمد أحمد آغا حمود للقيام بإجراءات الرهن ، وفك الحجز  
والصلح إذا اقتضى الأمر ، وكل ما يتعلق بخصومته مع مردوخ بن شحادة نسيم  
لدى المحاكم كافة»<sup>(١)</sup> وقضية أخرى :

«ماريه ، أرملة الأمير حبيب إبيلا ، من الجنسية البريطانية ، والمقيمة في  
صيда ، وكلت سليمان شاهين يحيى للقيام ببيع مطحنتها في قضاء  
مرجعون . . .»<sup>(٢)</sup> .

وفيما بين سنتي ١٨٥٩م و ١٨٦٣م صدرت عدة قوانين تنظم أصول التجارة  
البرية والبحرية في الدولة العثمانية ، ثم صدر قانون أصول محاكم التجارة<sup>(٣)</sup> ،

(١) المحكمة الشرعية السنية ، صيدا ، سجل ٢٠ ، غمرة ٩٣ ، في ٥ شوال ١٣١٦هـ ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ٥ ، ص ٦١ - من غير رقم في ١٠ رجب ١٣٠٥هـ .

(٣) صدر في ١٠ ربيع الآخر ١٢٨٧هـ / ١٨٧١م .

وقد تألف نصف أعضائها من غير المسلمين ، وكانت معظم قوانينها منقولة عن القوانين التجارية الفرنسية .

وفي سنة ١٨٨٢م أنشئت المحكمة التجارية في صيدا وانتخب أعضاؤها الأربعة وهم : يوسف المجذوب ، وإسماعيل النقيب ، وميخائيل بسترس ، وعبد الله النقاش .

ومع ذلك ، فإن اعتقاد الناس من شتى الطوائف بأهمية المحاكم الشرعية في حل مشاكلهم جميعها ، ومن بينها القضايا التجارية أيضاً ، جعل الإقبال على المحاكم التجارية ضئيلاً ، ونموذج لقضية « ... حضر إلياس نخله إبيلا ... وادعى على حبيب مخول صهيوني من محلة القناية في صيدا ... أنه اشترى منه حنطة وفولاً ، وبقي له في ذمته من قيمتهم مبلغ ٢٢٧ قرشاً عملة رايج بندر صيدا ... وبعد سؤال المدعى عليه وإقراره بالمبلغ ... حكم القاضي بأن يؤديه منجماً (مقسطاً)»<sup>(١)</sup> .

### الجيش والأمن

بعد قضاء السلطان محمود الثاني على جيش الانكشارية سنة ١٨٢٦ فيما عرف «بالوقعة الخيرية» استعاض عنها بقوات نظامية بدأ تدريبها على الأساليب العسكرية الأوروبية الحديثة وغالباً الأسلوب الفرنسي ، ومن سنة ١٨٨٣ أخذ الجيش العثماني ينظم أفراده ، خاصة في سلاح المدفعية على الأسلوب الألماني .

وفي أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر تشكلت القوات العثمانية في بلاد الشام من عشر كتائب كانت أحداها تعسكر في صيدا بشكل دائم ... مثلاً سنة ١٨٨١ كان قائد كتيبة صيدا البيكباشي حسن أفندي والبيكباشي شفيق بك . وفي سنة ١٨٩٤ ضمت كتيبة صيدا خمسة عشر

(١) المحكمة الشرعية السنية ، صيدا ، سجل ٥ ، من غير رقم في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٠٥هـ .

ضابطاً بقيادة البيكباشي أمين أفندي<sup>(١)</sup> وفي سنة ١٩١٢ تألفت قيادة كتيبة صيدا من البيكباشي كامل كمال بك الزالق ومعه ثمانية ضباط<sup>(٢)</sup>. أما المدفعية التي كانت منصوبة في صيدا فقد نقل مقرها إلى عكا سنة ١٩١٠. أما التجنيد فقد أشارت إليه معظم القوانين الصادرة في عهد التنظيمات الخيرية: وكان آخرها قانون أخذ العسكر النظامية الشاهانية في ٢٧ صفر ١٣٠٤هـ (١٨٨٦) وحدد كيفية تطويع العسكر العثماني من المسلمين. وكان يوم التجنيد يوماً مشهوداً في حياة البلاد؛ إذ تحشد له الدولة مظاهر قوتها، باصطفاف الجنود حاملين السلاح، وبحضور كبار الموظفين ووجهاء البلد وحشد من الأهالي، تلي المرسوم السلطاني بسحب القرعة العسكرية لهذه السنة، في دار الحكومة، بحضور القائم مقام وكتاب التحريرات، ونقيب الإشراف، والنائب والمفتي، ووجوه البلدة وأعيانها، والمكلفين بالخدمة العسكرية، وجمع غفير من أهلهم. . والتأمت لجنة إجراء القرعة برئاسة شكري بك أمير آلاي السواري<sup>(٣)</sup>، وكان عدد المطلوبين للخدمة العسكرية آنذاك ١٤٥ فرداً وعدد من تقع عليهم القرعة ١٦٢، وهكذا جرت القرعة، وخرج منها ١٧ ونقل ١٤٥ فرداً وقعت عليهم القرعة لمعسكر الجيش. وفي أوقات الحروب كانت الدولة تجند المطلوبين للخدمة من المسلمين ومن غيرهم، لسد حاجاتها الحربية «قد صار الأشعار من جانب مشيرية الأردوي الهمايوني، بأنه قد تقرر أخيراً قبول من يرغب، الدخول في آلاي عسكر الدراغون الشاهاني من أهالي بيروت وطرابلس المسيحيين، بشرط أن يكون موافقاً للخدمة العسكرية، ومن أهل العرض وأناموس. . . عليه أن يتخابر مع

(١) سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣١٢هـ.

(٢) سالنامه ولاية بيروت دفعة ٢٠ سنة ١٣٣١هـ.

(٣) ثمرات الفنون، سبق ورودها العدد ١٤٣٦ في ٢٩ حزيران ١٩٠٣ م.

قائمقامية آلاي الدراغون بهذا الشأن»<sup>(١)</sup> .

وقد بلغ حماس بعض المسيحيين غير المكلفين بالخدمة العسكرية أنهم رفضوا دفع البدل النقدي وساروا إلى مراكز التجنيد للانضمام للجيش «رفض فريق من مسيحي رأس بيروت وضع البدل النقدي وتقدم إلى سراي الحكومة للتجنيد ، في مقدمتهم الدكتور نقولا ربيز»<sup>(٢)</sup> .

وكانت قيادة الجيش العثماني تزج بالمجندين العرب في جبهات القتال في الولايات المضطربة مثل اليمن والبلقان ، أو ذات الطبيعة القاسية مثل طرابلس الغرب ، ولذلك فإن كثيراً من أهل بلاد الشام قضاوا في تلك الجبهات ، ولذلك كان شائعاً لدى أهل العسكر أن الذاهب إلى جبهات القتال مفقود ، وأن العائد منها مولود ، فتكون الفرحة بعودته كبيرة : « . . . لما وصل طابور الجند القادمين من طرابلس الغرب احتفل الصيداويون ابتهاجاً بقدمهم ، فأقام لهم الحاج محمد والحاج عبد الحميد أبو ظهر وليمة عشاء ، حضرها القائمقام ، وجمع من الشخصيات الصيداوية ، وتلا نقيب الإشراف الشيخ أحمد جلال الدين دعاءً للسلطان بطول العمر وللجيش بالنصر . . . »<sup>(٣)</sup> .

واهتمت السلطات العثمانية بأهالي المجندين ، لذلك عملت على رعاية شؤون عائلاتهم ، فكانت تفرض على ذوي القربى الأنفاق على عائلات أقربائهم الجنود . . . فرض على محمود أبو زينب أن يدفع كل يوم قرشين لأولاد ابنه سليم المأخوذ تحت السلاح ، وهما علي وأمنة ، وحاضنتهما فاطمة بنت عمر

(١) لسان الحال ، سبق ورودها ، العدد ٦ في ٢٣ شوال ١٢٩٤هـ / ٢٤ تشرين الأول ١٨٧٧م .

(٢) البرق ، جريدة أدبية ، سياسية ، أسبوعية أصدرها بشارة عبد الله الخوري سنة ١٩٠٨م ، بيروت في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٠٩م ، العدد ٦٣ .

(٣) المفيد ، جريدة أدبية اخبارية أصدرها عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس ، بيروت ، العدد ١٢٠٤ في ٢٩ كانون الأول ١٩١٢م .

الراس مقابل مآكلهما ومشربهما وكسوتهما وسكنهما<sup>(١)</sup> .  
وفي هذه الأمثلة دليل على قوة التكافل والعون بين أفراد المجتمع الصيدايوي آنذاك ، أكثر مما هي دليل على تدخل السلطة لمصلحة المجندين وأهلهم ، كذلك مثل آخر ورد في سجلات المحكمة الشرعية في صيدا « . . . ذهب الشقيقان محمد خضر ومحمد سعيد الصلح إلى اليمن ضمن طاوور رديف صيدا ، ففرض رجب على نفسه دفع ٣٠ بارة يومياً إلى أمهم آمنة بنت محمد اليعفوري ، كما فرض لابني أخيه محمد خضر ، وهما محمود وأحمد ثلاثين بارة يومياً لكل منهما . . . . حتى يعود شقيقاه من الخدمة في اليمن . . . »<sup>(٢)</sup> .

والشواهد كثيرة على تصافر جهود المجتمع الصيدايوي لرعاية المجندين في ميادين القتال ، ففي سنة ١٩٠٣م مثلاً ، قدم قضاء صيدا للقوات العثمانية المحتشدة في الرومللي ١٤٢٨ ثوباً (طقماً) من مختلف الألبسة<sup>(٣)</sup> ، وفي أواخر سنة ١٩١٦م تبرع الصيدايويون بمبلغ ٦٠٠ ليرة عثمانية وأسهم سكان قضاء صيدا بمبلغ ألفي ليرة للجنود الذين يحافظون على سلامة الوطن<sup>(٤)</sup> . وفي بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م شكلت في صيدا لجان لتأمين إعاشة عائلات المجندين المحتاجة ، وساعدت البلدية بحملة التبرع ، فقررت فرض خمس بارات على كل أوقية لحم تباع في صيدا لتنفق في هذا السبيل<sup>(٥)</sup> .

وليس بعيداً من صيدا ، كانت لجنة إعانة المحتاجين من عائلات المجندين في بيروت برئاسة أحمد مختار بيهم ، قد قررت وضع ليرة عثمانية واحدة على

(١) المحكمة الشرعية السنية ، صيدا ، سجل رقم ٣ ، غمرة ٩٧ ، مؤرخة في ٢ المحرم سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م .

(٢) المحكمة الشرعية السنية ، صيدا ، سجل رقم ١٥ ، غمرة ٨٨ ، مؤرخة في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م .

(٣) الإقبال جريدة علمية تاريخية إخبارية أصدرها عبد الباسط الأنسي سنة ١٩٠٢م ، بيروت ، العدد ٦

في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٠٣م .

(٤) المفيد ، العدد ٧٩٧ في ٣ تشرين الأول سنة ١٩١١م .

(٥) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٦١ ، في ١٦ أغسطس (أب) سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٤م .

كل طن تمرأ يدخل إلى بيروت ، ووضعت عشرة قروش صاغاً على كل كيس طحين يدخل بيروت ، من أجل جمع الإعانة المطلوبة<sup>(١)</sup> .

وكل هذه المبادرات الشعبية ، تدل على عمق العلاقة بين المواطنين وبين جيشهم ودولتهم ، وفي الواقع كان لسقوط حكومة الائتلاف وتولي حكومة الاتحاد والترقي زمام الحكم سنة ١٩١٣م الأثر الكبير في بدء الشرخ بين الحكومة والمواطنين ، ثم اتسع الشرخ بعد أن تبنت الحكومة الاتحادية سياسة التتريك ، وبدأت سياسة القمع ضد العرب ، فبدأت بالغاء جمعياتهم الأدبية والسياسية ، وطاردت أحرارهم وأخيراً شنت النخبة من علمائهم وأدبائهم ومناضليهم ، وكان هذا سبباً ساعد في هزيمة الدولة العثمانية في الحرب ومن ثم سقوطها .

وفي ختام الحديث عن الجيش وتطوره ، لا بد من الإشارة إلى التحديث الذي فرضته القوانين المختلفة ، فقد ارتدى العسكر اللباس العسكري المماثل لألبسة العسكريين في الجيوش الأوروبية ، كما استبدلوا لباس الرأس «القلقب» «بالطربوش» ، وفي طعامهم استخدموا أدوات الأكل العصرية كالصحون والملاعق والشوك بدل «القروانات» التي كانت مفروضة عليهم .

وكانت معسكرات الجيش العثماني تدعى قشله<sup>(٢)</sup> ، وكان في صيدا قشلتان : الفوقا وكان مركز قيادة حامية صيدا فيها ، وكان موقعها قرب القلعة البرية ، وهي غير موجودة اليوم ، والقشلة التحتا وتقع قريبة من القلعة البحرية ، ولا تزال موجودة حتى اليوم .

وكان للجيش العثماني مصانع أسلحته وذخائره ، ومنذ سنة ١٩١٠م أخذت قيادة الجيش تدرب بعض أفراد قواتها على ركوب السيارات وقيادتها متابعة للتطور التقني<sup>(٣)</sup> .

(١) لسان الحال ، العدد ٧٦٤٠ في ٢ أيلول سنة ١٩١٤م .

(٢) من التركية Kisli ومعناها شتوي أي المعسكر الشتوي .

(٣) الاتحاد العثماني ، العدد ٦٥٥ في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٠م .



## قوى الأمن:

قبل عهد التنظيمات كان الوالي يستعين بقطعات الجيش في منطقتيه ، وبالقوات الخاصة التي كان يشكلها بنفسه لفرض الأمن في منطقتيه ، لكن أوضاع الأمن وأجهزته أخذت تنتظم خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي سنة ١٨٦٧م صدر قانون تعيين مأموري التفتيش وتحديد اختصاصاتهم<sup>(١)</sup> .

وفي سنة ١٨٦٩م صدر نظام إدارة الضبطية ، ونظام تحديد عساكر الضابطة سنة ١٢٨٦هـ . ومن ثم صدر نظام وظائف عساكر الضابطة في سنة ١٨٧٠م<sup>(٢)</sup> ، أما حماية الشواطئ في ولاية بيروت فقد كانت منوطة بخمسة زوارق حراسة حربية هي : مرميس - كوتاهيه - نصرخدا - غانبوط Gunboat ، وطوربيد<sup>(٣)</sup> .

## الدرك (جاندرمه)

كانت مهمتهم الرئيسة حفظ الأمن في الطرق والمعابر لمنع التهريب وحماية المسافرين من قطاع الطرق ، وكان معظم رجال الدرك من الخيالة ، لكن عددهم كان قليلاً بالنسبة لعدد السكان ، وأفراد هذا الجهاز قاموا بالعبء الأكبر في حفظ الأمن ، وضبط المجرمين ، وتنفيذ الأحكام القضائية وكان يقود الشرطة في الولاية ضابط آلاي ، وفي اللواء قائد للطابور وفي مركز القضاء قائد للبلوك .

(١) الدستور ، ٢٤٠ ، ص ٦٥٩ ، مجموعة التنظيمات العثمانية ترجم معظمها للعربية نوفل نعمة الله نوفل ، مجلدان ، المطبع الأدبية ، بيروت ، ١٣٠١هـ .

(٢) الدستور ، صدر في ١ صفر ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ؛ الدستور ، م ٢ ، ص ٦٥٩ .

(٣) عبد الباسط الأنسي ، دليل بيروت وتقوم الإقبال سنة ١٩٠٩-١٩١٠م ، مطبعة الإقبال ، بيروت ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، ص ٨٥ .

## المفتشون (البوليس)

أنشأت الدولة العثمانية هذا الجهاز سنة ١٨٦٧م وسمّته جهاز المفتشين ، وكان بمثابة أجهزة البوليس الحديثة المعروفة في بلدان أوروبا ، وكان أفراده يحققون في القضايا المخالفة للقانون ، ومراقبة الأجانب ، والتدقيق في هويات وجوازات السفر للقادمين براً وبحراً ، وحجز المشبوهين ، ومراقبة الصحة والنظافة العامة ، والتدقيق في الأوزان والأسعار .

ورغم تعدد مهامهم ، فإن عددهم في لواء بيروت ظل قليلاً ، فهو لم يزد على ٣١ نفرًا سنة ١٨٨١م<sup>(١)</sup> ، وصار عددهم سنة ١٩١٠م ، «١٢٩» نفرًا بينم ٣٠ ضابطاً<sup>(٢)</sup> . أما في صيدا فبدأوا بثلاثة أفراد ، وبعد سنة ١٩٠٨م انضم مسيحيون ويهود لسلك البوليس . في صيدا كانوا خمسة سنة ١٩٠٩م ، هم : عبد الحليم علي حسني - مصطفى الترجمان - علي حسن الجوهري - أحمد خليل الددا - سليم أباطة<sup>(٣)</sup> ، وجدير بالذكر أنه في سنة ١٩١٣م أهدي الوالي بكر سامي سيارته الخاصة لدائرة البوليس في بيروت لتستخدمها في ضبط الجرائم بسرعة<sup>(٤)</sup> .

أما عن حالة الأمن فكانت مضبوطة غالباً ، ففي صيدا كان التجول ممنوعاً بعد الساعة السابعة والنصف من غير فانوس مضاء ، ومن يتجول من غير فانوس لا يطلق سراحه إلا إذا دفع غرامة معينة<sup>(٥)</sup> . وقد أثنت الصحف على همة أحد

(١) سالنامه ولايت سوريا ، دفعة ٤ ، السنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م ، ص ١١٤ .

(٢) مكتب السجلات العامة ( ف . و ) ١٩٥٠ - ٢٣٤٢ ملحق برسالة رقم ٧ من القنصل العام في بيروت في ١٢ شباط ، ١٩١٠م .

(٣) سالنامه ولايت بيروت ، سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م .

(٤) لسان الحال - العدد ٤١٦ في ١٠ كانون الأول ١٩١٣م .

(٥) الإقبال ، العدد ٣٢ - ١٨ أيار ١٩٠٣م .

أفراد البوليس في صيدا حسن إسكندراني<sup>(١)</sup> ، وكذلك قوميسير البوليس أمين شريف .

## الأراضي والزراعة الأراضي

كان النظام الإقطاعي في تملك الأرض واستثمارها هو السائد في بلاد الشام ، وعند مجيء المصريين إلى بلاد الشام بقيادة إبراهيم باشا أضعفوا الإقطاعيين بما اتخذوه من إجراءات لتجريدتهم من السلاح ، وفرض التجنيد الإجباري ، كما اهتم خط التنظيمات الخيرية الصادر سنة ١٨٥٦م بتوزيع عادل للملكية الأرض ، وقد خفف من العبء الواقع على الفلاحين .

وكان قانون الأراضي الصادر في ١٢٧٤هـ / ٢١ نيسان ١٨٥٨م ، أول قوانين ضبط الأراضي وتجديد مساحاتها وتنظيم ضرائبها<sup>(٢)</sup> . وفيما بعد صدر قانون تسجيل الأراضي (الطابو) المهم في ٢٦ صفر سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م ، وقد فرض تسجيل الأرض الزامياً ، وعيّن خمسة بالمائة رسماً لتسجيلها ، وثلاثة قروش يؤديها المشترك للحصول على «سند الطابو» . وقد ظل معظم السكان يفضلون تسجيل أراضيهم في سجلات المحكمة الشرعية في منطقتهم ، ونموذج لهذا «... باع أحمد بن محمد بن حمزة الدالي بلطه... للحاج إسماعيل بن الشيخ بكري الصوص... كامل قطعة الأرض السليخ الواقعة في أراضي المدينة الكائنة في المرج البراني...»<sup>(٣)</sup> .

وقد أسهمت القوانين الجديدة في الحد من كثير من الخلافات حول حدود الأراضي ، كما أن صدور قانون تملك الأجانب سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٩م أنهى

(١) الإقبال ، العدد ٤٩ - ٣١ آب ١٩٠٣م .

(٢) الدستور الجديد باللغتين التركية والعربية ترجمة نقولا نقاش ، بيروت ، ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م .

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا ، سجل رقم ١ ، غمرة ١٧ في ١٠ شعبان ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

المشاكل بينهم وبين السلطات ، وصار من حقهم شراء الأراضي في أنحاء الدولة العثمانية عدا ولاية الحجاز ، وجعلت المحاكم العثمانية وحدها حكماً للنظر في النزاعات التي يكون الأجنبي طرفاً فيها .

وقد عرف تسجيل الأراضي باسم «الطابو» ، بينما عرفت دائرة تسجيل الأراضي باسم «الدفتر الخاقاني» وأنشئت دائرة طابو صيدا منذ سنة ١٨٦١م . وقد توسعت بسرعة ، فبينما كانت سنة ١٨٧٥م مثلاً تتألف من كاتب الطابو حنا خطار ؛ إذ بها سنة ١٨٧٦م تضم إلى جانب خطار كاتب الأراضي الأميرية حبيب أفندي وإبراهيم أفندي ، وكاتب هيئة الطابو حنا فران ، وكاتب وقوعات الأملاك محيي الدين أفندي وسليم أفندي ، والجابيين محمود أفندي ومصطفى أفندي (١) .

وفيما بعد أصبح يت رأس دائرة طابو صيدا مأمور ، وفي سنة ١٩١٢م كان مأمور الطابو فيها يوسف ضيا أفندي (٢) . والأراضي المعدة لإنشاء أبنية دعيت «مسقفات» ، وتلك المستفاد منها بزراعة الشجر وغيره تدعى «مستغلات» والمستخدمه في إنشاء دكاكين تدعى «كدكات» (٣) .

وفي صيدا وسهلها وجدت نسبة كبيرة من الأراضي والعقارات الموقوفة لشتى الأغراض الخيرية أو ذات النفع العام ، بعضها كان وقفاً ضخماً كوقف طنطش ، ووقف عبدي باشا الشهير بالدالي بلطه ، وكان الوقف يسجل في سجلات المحكمة الشرعية .

«... الحاجة أمينة بنت الحاج أبو جيدة المغربية من طرابلس الغرب ... المقيمة في حارة الفواخرة في صيدا ... أوقفت دارها .. على زاوية الشيخ محمد أبي نخله الشهيرة بزواية العبيدية» (٤) .

(١) سالنامه ولاية سوريا لسنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م .

(٢) سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م .

(٣) الدستور ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، نظام معاملات أوقاف المستغلات .

(٤) المحكمة الشرعية ، صيدا ، سجل ١٣ ، نومرو ٤٧٢ ، ص ٩ ، ١٣١٩هـ / ١٩٠١م .

## الملكية الزراعية:

اشتهرت صيدا بخصوبة سهلها وغزارة المياه فيه ؛ إذ يجري نهر الأولي في شماله ، ونهر سينيق في جنوبه ، وتتخلله جداول القملة والبرغوت وبركة غزالة وبركة حلبون وساقية بغيث ، ونبع السبع أعين ، وعين أبي اللطف وعين زيتون (ذلك كان في الماضي ، أما اليوم فلم يعد من أثر لمياه عين زيتون وساقية بغيث وعين أبي اللطف والسبع أعين ، وخفت مياه القملة والبرغوت) .

وقدرت مساحة الأراضي الزراعية في سهل صيدا وضواحيها حوالي ١٧٠ ألف هكتار<sup>(١)</sup> وتراوح عدد بساتينها آنذاك نحو ٣٠٠-٣٥٠ بستاناً وكان بعضها مخصصاً لتربية دود القز الذي ينتج خيوط الحرير<sup>(٢)</sup> .

في إطار الإصلاحات في الزراعة ، ألغت الحكومة العثمانية سنة ١٨٤٥م لجناً في جميع الولايات لدراسة وسائل تحسين الزراعة ، فأصدرت سنة ١٨٦١م تعليمات تشجع على زراعة القطن<sup>(٣)</sup> . ونظام إعفاء غراس الزيتون<sup>(٤)</sup> وأصدرت سنة ١٨٦٣م تعليمات تختص بوظائف مديري الزراعة<sup>(٥)</sup> ، ووسائل تحسين نسل الخيل<sup>(٦)</sup> ، وأسست المصرف الزراعي سنة ١٨٨٧م ، وكان مديره في صيدا سنة ١٨٩٤ محمود بك وظل في وظيفته حتى سنة ١٩١٢م . ونتيجة هذه القوانين تحسن إنتاج التوت والقطن والزيتون بالإضافة للعناية بالخيل وتحسين نسلها . كان مدير الزراعة في صيدا سنة ١٩٠٠م اسماعيل آغا البعاصيري ، كما

(١) توما كيال ، الزراعة في صيدا ، المشرق ، المجلد ١١ ، العدد ٣ ، آذار ، ١٩٠٨م ، ص ١٧٥ .

(٢) التميمي ، رفيق وبهجت ، محمد ولاية بيروت ، جزءان ، ط ٢ ، دار لحد خاطر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٦١ .

(٣) الدستور ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ، في ٦ رجب ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ ، في ٩ ذي الحجة ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ ، في ١٦ المحرم ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، في ١٦ المحرم ١٢٨٣هـ / ١٨٧٠م .

كان مدير شعبة البنك الزراعي في صيدا سنة ١٩١٢م محمود كالو والكاتب عطا الله أفندي .

### الضرائب والرسوم

اتسم النظام الضريبي العثماني بوفرة ضرائبه ورسومه ، وأبرز هذه الضرائب :

#### ١- الأعرار:

وسميت كذلك لأن قيمتها في الأصل كانت عشر الغلة ، وظلت قيمتها تتصاعد حتى وصلت أحيانا إلى عشرين بالمئة وأحيانا تجاوزتها بسبب ظلم الملتزمين والعشارين (الذين يقومون بتحصيلها) ولإصلاح الوضع أصدرت الدولة نظام تحصيل الأعرار<sup>(١)</sup> ثم أصدرت نظام عشر الحرير<sup>(٢)</sup> .

#### الويركو:

هي من الضرائب الرئيسة في العهد العثماني وأصلها رسم الاحتساب الذي كان السلطان محمود الثاني قد أحدثه سنة ١٨٢٥م بأسماء متنوعة (وهي كلمة تركية بمعنى الضريبة أو الجزية أو الرسم من vermak الاعطاء) .  
وتقابل ضريبة ويركو التمتع ضريبة الدخل الفردي الحاضرة ، وكذلك ويركو الأملاك تماثل ضريبة الأملاك العقارية .

وقد صدر قانون ويركو التمتع في ١٩ ذي العقدة سنة ١٢٥٤هـ / ١٩٣٨م ثم ويركو الأملاك في ١٥ رجب ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م<sup>(٣)</sup> .  
ويركو التمتع فرض على كل عثماني ذكر تجاوز العشرين من عمره ،

(١) نظام الأعرار ، ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٥م .

(٢) نظام عشر ، ١٥ آب ١٣٧٣هـ / ١٨٥٥م .

(٣) الدستور ، ج٢ ، ٢٤٠ ، ص ١٩-٢٢ .

واستثني منه سكان المدن والعاملون بالزراعة ، وخدم المساجد والتكايا وأئمتها وخطبائها والمدرسون وطلبة العلوم الدينية ورجال الدين من غير المسلمين كالقسيسين والرهبان والحاخاميين والمرضى والعاطلين عن العمل ، ومن تجاوزوا السبعين من عمرهم ، وصغار الضباط والجنود<sup>(١)</sup> .

وما يجدر ذكره أنه صدر في سنة ١٨٨٠م قانون الزم الأجانب العاملين بالدولة العثمانية بدفع ضريبة الويركو ، لكن معظمهم اعتصم بالامتيازات الأجنبية ورفض أداءها ، لكنهم عادوا ورضخوا جميعاً سنة ١٩١٢م بعد صدور قانون يلغي امتيازاتهم<sup>(٢)</sup> .

### الأسواق

بموجب القوانين العثمانية لم يكن يسمح بتعاطي التجارة إلا لمن بلغ الحادية والعشرين عن عمره ، وأن كل تاجر كان ملزماً باستعمال قيود رسمية يسجل بها معاملاته اليومية والشهرية ، وكذلك مراسلاته التجارية ، كما كان عليه عمل ميزانية سنوية لمحله في دفتر خاص ، وكان الترخيص بأي عمل تجاري أو صناعي ، أو امتياز امتلاك حانوت يدعى «كديك» ومثال عليها «باعت خديجة بنت سعيد الصباغ ، وعلي بن حسن المهتار ، إلى الخواجه جرجس يوسف النعسان ، مبيع كامل كادك الدكان المعروفة بمصبغة بني زهرة ، الواقعة في محلة باب البلد التحتاني»<sup>(٣)</sup> . وبموجب القوانين الجديدة تحددت الشركات التجارية

(١) هذه القوانين الضريبية التي صدرت قبل نحو مئة وخمسين سنة ، تبدو بتعرفتها ، وبإعفاءاتها لشرائح كبيرة من المجتمع من دفع الضريبة ، تبدو أكثر حداثة ، وأقرب إلى العدل الاجتماعي والإنسانية ، من أية قوانين ضريبة معاصرة في كثير من بلدان العالم .

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ٥ أجزاء ، مطبعة الترقفي ، دمشق ، ١٩٢٥-١٩٢٨م ، ص ٩٨ .

(٣) المحكمة الشرعية السنية ، صيدا ، سجل رقم ١ ، نمرة ٩ ، في ١١ رجب ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

بثلاثة أنواع الشركة العمومية ، وشركة التوصية ، والشركة المغفلة<sup>(١)</sup> .  
 وتنوعت في صيدا آنذاك وسائل عرض البضاعة ، فكان هناك البائع الجوال  
 يضع بضاعته على عربة صغيرة يدفعها أمامه وهو ينادي على بضاعته ، أو البائع  
 المبسط الذي يقعد على الرصيف وأمامه بضاعته ، أو ينتحي زاوية من الطريق  
 وينتظر العابرين ليشتروا منه ، وهناك صاحب المحل أو الدكان ، وأخيراً المستأجر  
 في الخان وغالباً يكون بائع جملة .  
 وكانت خانات صيدا عديدة معظمها لتخزين البضائع ، وبعضها لنزول  
 التجار وبضائعهم والنوع الثالث لاستراحة المسافرين فقط ، أشبه بالفندق .  
 ومن الخانات آنذاك ، خان الإفرنج ، وخان الرز ، وخان الحمص ، وخان  
 الدباغة وخان الحلبي ، وخان كتفاكو .  
 والمحلات التجارية كانت موزعة في أسواق متعددة ، وكان كل سوق مختصاً  
 بحرفة معينة ، أو بسلعة أو بضاعة خاصة ، ومن هذه الأسواق :

#### سوق البيطرة:

وكان يباع فيه كل ما يتعلق بطب الحيوان ، كالخيل والحمير والبغال ، وفيه  
 كان يتم وضع «الحدوات» لحيوانات النقل صيانة لقوائمها .

#### سوق الصرماقية:

حيث كان يباع فيه كل ما يختص بالأحذية ، ومثله سوق الكندرجية أما  
 سوق الإسكاف ففيه كانت تصلح الأحذية وتباع أيضاً .

#### سوق الذراع:

الذي كانت تباع فيه الأقمشة التي تقاس بالذراع .

(١) المواد ١٠ - ١١ ، من قانون التجارة ، الدستور ، ج ١ ، ص ١٩٥ .



## سوق البازركان:

الذي كانت تباع فيه الأقمشة والأزرار والخيطان والملابس وكل ما يتعلق بالخياطة والتطريز. وبازركان فارسية معناها «التاجر». وهناك أسواق أخرى في صيدا مثل سوق النجارين، وسوق الخياطين - سوق اللحامين وغيرها. وكان يقام في صيدا سوق أسبوعي كان مواعده في القرن الثامن عشر يومي الإثنين والثلاثاء، ثم توقف العمل به حتى مطلع القرن العشرين عندما طلبت سلطات ولاية بيروت إنشاء أسواق أسبوعية في مدن الولاية، فقررت البلدية إقامته في ساحة التدريب العسكري السابقة في صيدا كل نهار أحد ابتداء من نيسان سنة ١٩٠٩م<sup>(١)</sup>.

أما الموازين والمكاييل والمقاييس في الأسواق العثمانية، فقد كانت تعاني فوضى لا حدود لها، لأنها لم تكن موحدة المعايير ليس فقط بين الولايات العثمانية، بل حتى أحياناً بين مدينة وأخرى في الولاية نفسها، ولمعالجة هذه الفوضى، فرضت السلطات العثمانية، في إطار الإصلاحات، العمل بالنظام العشري في سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م<sup>(٢)</sup> لتوحيد المقاييس.

وخولت البلديات مراقبة العمل بالمقاييس الجديدة، وتغريم المخالفين ما بين ١٠-١٥ بشلماً جزاءً نقدياً<sup>(٣)</sup>. كذلك اهتمت البلدية بتحديد الأسعار ومعاينة المخالفين وخصوصاً في المواد التي اعتبرها المشرع مواد أساسية للمواطن وهي الخبز واللحم والحطب.

وفي سنة ١٨٧٠م صدر نظام الخبازين، وبموجبه صار فتح فرن جديد يتطلب إجازة من السلطات، وأن يجري فيه وسائل التطهير والنظافة الدائمة، ومنعت بيع الخبز البائت مع الطازج، وفرضت على كل من يود الاشتغال بالأفران أن

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٧، في ١٥ نيسان ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م.

(٢) الدستور، ج ١، ص ٥٠١.

(٣) المادة ٢٦ من قانون الجزاء الهمايوني، الدستور، ج ١، ص ٣٧٣.

يكون صحيح البنية خالياً من الأمراض خصوصاً الجلدية منها<sup>(١)</sup>.

### طرق النقل البري:

ارتبطت صيدا تجارياً مع الداخل برّاً، ومع مرافئ سوريا والخارج بحراً وكان اعتماد صيدا على النقل التجاري بحراً أكثر من اعتمادها على الطرق البرية. وكان البحر الطريق الرئيس لتجارة صيدا استيراداً وتصديراً. فهي كانت الميناء البحري الرئيس لدمشق وللداخل. وكانت السفن التي تؤم ميناءها جميعها شراعية ومتوسطة الحجم<sup>(٢)</sup>.

ومنذ مطلع القرن العشرين ازدادت علاقات تجار صيدا بموانئ البحر المتوسط، والبحر الأسود، وأصبحت السفن الشراعية والنجارية تربط ميناء صيدا بموانئ بنغازي وطرابلس الغرب ومرسيليا وليفربول ولندن وأوديسا على البحر الأسود، وكذلك موانئ مصر وفلسطين وسوريا<sup>(٣)</sup>.

وكانت أبرز صادرات صيدا الحرير وشرانقه، والموز والمشمش والبرتقال والليمون الحامض والتين المجفف والجوز والزيت، وأبرز وارداتها هي القهوة والملح والسكر والحنطة والأرز والنبيله.

وقد أفاد تجار صيدا من التدفق السلعي الأوربي على الشرق فعملوا كوسطاء بين أوروبا وموانئ الداخل، بالإضافة إلى شرائهم المواد الأولية وتصديرها إلى أوروبا التي كانت معاملها بحاجة إليها.

(١) نظام الخبازين في ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٨٧هـ، الدستور، ج٢، ص ٤٧٠-٤٧٣.

(٢) توما كيال، الحركة التجارية في صيدا، المشرق، مجلد ٨، العدد ٧، ١٥ نيسان ١٩٠٥م، ص ٣٢٧.

(٣) مكتب السجلات العامة (ف. و. و.) ١٩٥-٢١١٧ تقرير القنصل البريطاني العام في بيروت Drum-mond Hay عن التجارة والملاحة في سوريا، ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢م.

## التقاليد الحرفية:

صمدت الصناعة الوطنية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين على الرغم من إغراق أسواق بلاد الشام بالمصنوعات الأوروبية الحديثة والمتقنة الصنعة وفي كثير من الأحيان الرخيصة السعر . ويرجع ذلك الصمود إلى أن الصناعة الوطنية كانت تركز إلى قواعد اقتصادية سليمة ، حيث كانت موادها الأولية متوافرة في منطقتها ، كما أن اليد العاملة الوطنية كانت رخيصة . أما نقطة ضعفها فكانت في اتباعها نمطاً معيناً في الإنتاج لا تحيد عنه . ومع أن اليد التي تنتجها قد تكون يداً ماهرة توارثت فنها وحرفتها جيلاً بعد جيل ، لكن النمط الجامد في الإنتاج ، يصبح مع مرور الزمن عامل كساد لا عامل رواج ، ذلك أن أذواق الناس تتطور مع الزمن .

فمثلاً الأقمشة الإنجليزية القطنية والصوفية لاقت رواجاً أكثر من مثيلتها الفرنسية ، في بلاد الشرق الأوسط ، ذلك أن الإنجليز درسوا أذواق الشرقيين وصنعوا أقمشة تلائم أذواقهم (١) .

كانت الصناعة تتوارثها الأسرة الواحدة الابن عن أبيه ، وكان تخصص الأسرة الواحدة العمل بصنعة واحدة عبر الأجيال ، يجعل اسم الصنعة يغلب على اسم الأسرة الأصلي فتعرف به وتشتهر بين الناس . وكان من نتيجة القوانين الإصلاحية أن الصناعة أواخر القرن التاسع عشر ، أخذت تتقدم ، وبدأ تأسيس معامل جديدة مجهزة بالآلات حديثة .

ومثال على ذلك قام الأخوة اببلا سنة ١٨٦٤م ، مستفيدين من نسيم الحرية والانفتاح الذي جلبته القوانين الإصلاحية ، بإنشاء معمل حديث للحريير في صيدا ، وكان الأول من نوعه بالمنطقة ، وصار ينتج أجود أقمشة الحرير الشبيهة بالحرير الدمشقي ، مع كميات كبيرة من خيوط الحرير (الشرانق) التي

(١) القنصلية الأميركية ، بيروت ، ت ٣٦٧ ، ج ١١ ، التقرير السنوي العام عن سوريا ، أرسله القنصل

الأميركي العام ١٨٧٣م .

أخذوا يصدرونها إلى أوروبا ، ولكنه لم يستمر سوى لبضع سنوات ثم اضطرت الأخوة ابيلا لإغلاقه لأنه لم يستطع منافسة أسعار الحرير الأوروبي الرخيصة . كما أسس آخرون معامل لصناديق الخشب لتعبئة الحمضيات والفواكه الأخرى المصدرة إلى أوروبا وغيرها مستخدمين أحدث الطرق بالتغليف لحفظ الثمر من الفساد بلفه بالورق المنسوج Tissues الرقيق المستورد من الخارج (١) . كذلك أسس أحد أفراد عائلة البزري معملاً لصنع السجاد الوطني من أنواع الأصفهاني والفرهاني والشيرازي ، وكانت تعمل به فتيات صيداويات ولكنه بعد بضع سنوات أغلق (٢) .

كذلك أنشأ بعض الصيداويين معملاً لصنع القرميد الأحمر سنة ١٩٠٧م استطاع أن يسد حاجة صيدا التي تقدر سنوياً بنحو ٣٠٠ ألف قطعة قرميد وكذلك ليكفي المناطق المجاورة .

أيضاً أنشئ فيها عدة مدايق لدبغ الجلود وتصديرها إلى بيروت وقبرص (٣) . كذلك أقيمت فيها معامل للصابون عديدة مثل معمل لآل حشيشو وآخر لعائلة زهرة وثالث لآل كالكو (٤) . وأنشأ أحد الأوروبيين «مسيومرون» معملاً لاستخراج الزيوت الطبية والعطور من النباتات الكثيرة التي تنمو في سهل صيدا وفي التلال المجاورة لها (٥) .

(١) القنصلية الأميركية ، ت/٣٦٧ ، ج١ ، التقرير القنصل الأميركي العام في بيروت ، ٣٠ حزيران ١٨٨٦م .

(٢) المفيد ، العدد ٦٤٧ في ٢٣ آذار ١٩١١م .

(٣) توما كيال ، تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها ، المشرق ، مجلد ١١ ، عدد ٣ آذار ١٩٠٨م ، ص ١٧٥ .

(٤) النعمة ، مجلة شهرية ، دينية ، تاريخية ، أصدرتها البطريكية الأنطاكية الأرثوذكسية في دمشق - سنة ١٩٠٩م ، مجلد ٣ ، ج٨ ، سنة ١٩١١م ، ص ١٧٣ .

(٥) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، ط٣ ، بعناية فؤاد أفرام البستاني ، ج٣ ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ٤٣٨ .

ومن أبرز الصناعات الزراعية الرئيسة في صيدا صناعة ماء الزهر ، التي تقطر من زهر شجرة أبو صفير في فصل الربيع عادة ، وقد تمتع ماء الزهر الصيداوي بشهرة واسعة في كل بلاد الشام ومصر وإسطنبول وبعض دول أوروبا ، ويقدر ما صدرته صيدا من ماء الزهر إلى بلدان عربية وإسطنبول حوالي ستة آلاف كيلوغرام<sup>(١)</sup> .

أما حلويات صيدا فهي تتمتع بشهرة واسعة لطيب مذاقها واتقان صنعها ، ونظافتها ، وكان فيها عدة معامل أبرزها حلويات الديماسي ، وحلويات القصير ، وحلويات السنيورة<sup>(٢)</sup> . بالإضافة إلى معامل البساط واليمن واشتهر معملاهما بصناعة أجود أنواع الطحينة والحلاوة الطحينية .

### المواصلات والاتصالات

سايرت وسائل المواصلات في صيدا عصرها ، وتطورت بتطورها فعندما كانت الحيوانات الوسيلة الرئيسية في بلاد الشام في النقل والانتقال ، كانت صيدا تستخدم الحيوانات أيضاً من خيل وبغال وحمير وجمال في سفر أبنائها أو في تجارتهم مع البلدان المختلفة براً .

ولما بدأ استعمال العربات التي تجرها الخيول ، استورد الصيداويون عربات أو صنعوها وجعلوها وسيلتهم للحمل وللنقل ، وعندما جاء عصر السيارات مطلع القرن العشرين ، صار لدى الصيداويين بعض منها يستخدمونها في تنقلاتهم ونقلياتهم ، بل إن صيدا كانت من أوائل بلدان الشرق في استخدامها .

وكان استخدام الحيوانات في السفر والانتقال رائجاً في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وكان الانتقال يتم إما فردياً على صهوة جواد ، وبغل ، أو جماعياً (Group) على شكل قافلة Caravan يقودها المكاري . والاتفاق على

(١) أهمية تجارة صيدا ، الشرق مجلد ٩ ، العدد ٤ ، في ١٥ شباط ١٩٠٦م ، ص ١٥٨ .

(٢) أحمد عارف الزين ، تاريخ صيدا ، ١٩١٢م ، ص ١٦٤ .

الانخراط في القافلة كان يتم بواسطة حجة شرعية كانت بمثابة بطاقة السفر في عصرنا<sup>(١)</sup>.

وكانت صيدا تتصل بدمشق بقوافل بلغ عددها ١٨ قافلة في الربع الأول من القرن التاسع عشر، أما عدد القوافل بين صيدا وعكا فكان ستاً سنوياً، وبينها وبين بيروت إحدى وخمسين قافلة سنوياً<sup>(٢)</sup>.

وكان لقوانين التنظيمات الخيرية الأثر الكبير في تحسين وسائل النقل والاتصال، سواء في الطرق، أو في أدوات ووسائل الانتقال كالعربات ثم السيارات على مختلف أنواعها. وأصدرت الدولة في ٧ جمادى الأولى ١٢٨٠هـ/ ١٨١٣م نظام الطرق والأبنية<sup>(٣)</sup>. وفرضت الدولة العمل المجاني أربعة أيام في السنة على الذكور من عمر ١٦ سنة إلى ٦٠ سنة لأجل إعمار الطرق وشقها أو دفع مبلغ نقدي بدل العمل.

وكانت أول طريق معبدة في بلاد الشام هي الطريق بين بيروت ودمشق وقد تم افتتاحها سنة ١٨٦٣م بطول ١١٢ كيلو متراً، ثم تتابع إنشاء الطرق في أنحاء سوريا.

وفي سنة ١٨٧٩م كتب والي سوريا إلى متصرف جبل لبنان يبين له فوائد تعبيد طريق صيدا - بيروت وخصوصاً بالنسبة لجبل لبنان.

وفي ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٨٠م ذهب والي و متصرف بيروت إلى صيدا لمعاينة موقع الطريق على الطبيعة، وطلب والي عند وصوله إلى صيدا لائحة

(١) عبد الكريم غرايبة، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦م، معهد الدراسات العربية العالية

بجامعة الدول العربية القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٥٤.

(٢) جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، تعريب رثيف خوري، منشورات

وزارة التربية الوطنية، ج ١، ١٩٤٨م، ص ٢٠٢.

(٣) نظام الطرق والأبنية، ٧ جمادى الأولى ١٢٨٠هـ/ ١٨١٣م، الدستور، ج ٢، ص ٢٦١.

بالذكور من سكانها لمن تجاوزوا السابعة عشرة ، لينفذوا فترة العمل المجاني التي فرضها القانون<sup>(١)</sup> .

ولكن مضى عشرون عاماً قبل أن يتم الاتفاق بين ولاية بيروت و متصرفية جبل لبنان ، وشمل الطريق ٣٢ كيلومتراً ، داخل حدود متصرفية جبل لبنان وأربعة كيلومترات قرب صيدا ضمن أراضي ولاية بيروت<sup>(٢)</sup> . وبدأ العمل فيها سنة ١٨٩٩م<sup>(٣)</sup> ، ومن أجل سرعة إنجاز الطريق أمر الوالي بفتح طريق من جامع المصيطبة في بيروت عبر مرج الصنوبر ، فمقام الامام الأوزاعي ، حتى قرية برج البراجنة ، ثم يتصل بطريق صيدا الذي كان جاري إنشاؤه ، وذلك لتسهيل السير على الراغبين بزيارة الامام الأوزاعي<sup>(٤)</sup> ، وافتتح الطريق رسمياً أواخر ربيع سنة ١٩٠٢م<sup>(٥)</sup> . وعهد إلى بشارة أفندي رئيس مهندس الولاية بالإشراف على صيانته دائماً ، وإكمال تعبيده ليصبح صالحاً تماماً لسير العربات عليه<sup>(٦)</sup> ، وقد أدى إنشاؤه إلى نشاط حركة المرور عليه ، وأسهم بالتالي في حركة التجارة بين المدينتين ، وتسهيل انتقال المواطنين بينهما .

أما العربات فإن بلاد الشام لم تكن تعرف وسيلة للنقل أو السفر إلا الحيوانات حتى أحضر قنصل بريطانيا في دمشق ، مسترفن أول عربة إلى هذه

(١) المقتطف ، مجلد ٤ ، ١٨٧٩ - ١٨٨٠ م ، ص ٢٧٧ .

(٢) مكتب السجلات العامة ( ف . و . ) ، ١٩٥ - ٢٠٧٥ تقرير عن الحالة الإدارية والاقتصادية لولاية بيروت و متصرفية جبل لبنان ، أرسله القنصل البريطاني العام Drummond Hay في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٠٠ م .

(٣) ثمرات الفنون ، العدد ١٢٦٢ ، في ٢٥ كانون الأول ١٨٩٩ م .

(٤) ثمرات الفنون ، العدد ١٣٤٦ ، في ٩ أيلول ١٩٠١ م .

(٥) الإقبال ، جريدة علمية تاريخية إخبارية ، أصدرها عبد الباسط في سنة ١٩٠٢ م ، بيروت ، مجلد ١ ، العدد ٣-٩ أيار ١٩٠٢ م .

(٦) المصدر نفسه ، مجلد ٢ ، العدد ٢٢ ، في ١٦ شباط ١٩٠٣ م .

البلاد في سنة ١٨٣٣م ، وكان قد استوردها من لندن إلى مرفأ بيروت ، ثم حملت إلى دمشق مفككة على ظهور الجمال حيث جرى تركيبها ثم سارت بها الخيل خارج دمشق ، فجمع الناس لمشاهدة أول عربة في بلاد الشام<sup>(١)</sup> . وبعد ذلك أخذ استخدام العربات بالانتشار ، خاصة بعد تحويل طرق «القادوميات» إلى طرق ممهدة «شوسه» تتيح للعربات سهولة السير وسرعته .

وأدى انتشار استعمال العربات ، إلى وجوب ضبط أوضاعها ، وتنظيم أمور النقل عموماً ، فصدرت التعليمات بأن يكون لكل عربة رقم خاص بها مدون على بطاقة من نحاس ، وأن تظل العربات نظيفة ومتينة ، ومنعت استخدام الخيول المريضة في جر العربات . وحددت حمولة العربة بخمسة ركاب ، ومنعت من لم يصل الحادية والعشرين من عمره من العمل حوزياً<sup>(٢)</sup> . وكان معدل المرور على الطريق بين صيدا وبيروت ، يتراوح بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مسافر يومياً في الاتجاهين<sup>(٣)</sup> .

### السيارات:

في أوائل القرن العشرين بدأت السيارات تظهر على طرقات بلاد الشام ، مسائرة للتطور الذي بدأ بالانتشار حول العالم ، ويبدو أن أول من أحضر سيارة إلى صيدا الدمشقي «فيليب سكاف» الذي أحضر سيارته بالباخرة من الإسكندرية إلى ميناء بيروت ، حيث قام بتجربتها على طريق صيدا - بيروت ذهاباً وإياباً<sup>(٤)</sup> .

(١) أسد رستم ، آراء وأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٧م ، منشورات الجامعة اللبنانية ، سنة ١٩٦٧م ، ص ٩١-

(٢) الإقبال ، العدد ٥١ ، في ١٤ أيلول ١٩٠١م .

(٣) لسان الحال ، العدد ٦٧٤ ، ١٨ آب ١٩١١م .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٥٧٤٥ ، ٢٤ حزيران ١٩٠٨م .



وقد قطع المسافة من بيروت وصيدا بمدة ساعتين وثلث الساعة واستغرق في العودة ساعة وأربعين دقيقة ، وتتزاحم الناس بالمناكب لرؤية تلك الآلة الجديدة العجيبة<sup>(١)</sup> وبعد ذلك أخذ المواطنون باستيراد السيارات وتشغيلها بنقل الركاب على الطرقات كوسيلة نقل عام مأمونة وسريعة .  
ولا بد من الإشارة إلى أن أحمد زكي من مصر هو أول من اقترح أن تسمى العربة الجديدة التي جاءت للبلاد المصرية باسم «سيارة» بدلاً من «أوتوموبيل»<sup>(٢)</sup> .

### النقل البحري:

في القرن التاسع عشر كانت حركة الملاحة في ميناء صيدا ضعيفة لا تتناسب وأمجاد هذا الميناء العريق ، ولكن القوانين التي صدرت لتنظيم النقل البحري ، شجعت رئيس بلدية صيدا آنذاك حسين الجوهري بإعادة إنشاء المرسى في الميناء سنة ١٩٠٧ م ، وقد حسّن هذا الأمر من قدرة الميناء على تأمين السفن والركاب فيه<sup>(٣)</sup> .

وظلت السفن ترسو وتقلع من ميناء صيدا بدون انتظام حتى سنة ١٨٨٦ م ، عندما أنشئ أول خط ملاحى منتظم للبوأخر العثمانية بين بيروت وصيدا بمعدل باخرة كل أسبوعين<sup>(٤)</sup> .

ثم أخذت صيدا ترتبط بموانئ كثيرة بخطوط ملاحية منتظمة ، بحيث لم يكد القرن التاسع عشر يوشك على نهايته ، حتى كانت صيدا قد اتصلت بشبكة واسعة من الخطوط الملاحية مع موانئ البحر الأبيض المتوسط وموانئ

(١) لسان الحال ، العدد ٥٧٤٦ ، ٢٥ حزيران ١٩٠٥ م .

(٢) المقتطف ، المجلد ٢٦ ، سنة ١٩٠١ م ، ص ٧٢٦ .

(٣) الإقبال ، العدد ١٨٢ ، في ٢١ كانون الثاني ١٩٠٧ م .

(٤) ثمرات الفنون ، العدد ٥٩٦ ، في ٢٥ آب ١٨٨٦ م .

البحر الأسود ، وموانئ في البحر الأحمر بعد افتتاح قناة السويس<sup>(١)</sup> .  
والى جانب البواخر استمر عدد كبير من المراكب الشراعية يجوب البحار  
بين ميناء صيدا والموانئ الأخرى ومعظم حمولاتها كانت من البضائع والقليل  
النادر كان من الركاب .

### البرق والبريد والهاتف:

مثلما حدث تقدم وتطور وسائل النقل والانتقال ، كذلك كان الأمر بالنسبة  
لوسائل التخاطب والاتصال ، وهذا القطاع أيضاً أصابه التنظيم بإصدار  
التشريعات اللازمة لضبط أوضاعه وتنظيم عملها .

كانت الحكومة العثمانية قد أصدرت «نظام البرق» وهو أول القوانين التي  
صدرت في مجال تنظيم الاتصالات سنة ١٨٥٩<sup>(٢)</sup> ، ثم تبعه في سنة ١٨٦٣م  
قانون الطوابع العثماني ، ثم نظام البريد في ٢٦ محرم ١٢٨٤هـ / ١٨٦٩م وكان  
أول بريد تم نقله بواسطة العربات بين دمشق وبيروت<sup>(٣)</sup> . وبعد انضمام الدولة  
العثمانية إلى اتفاقية برن البريدية الدولية<sup>(٤)</sup> ، أخذت حركة نقل البريد  
العثماني بين مدن سوريا تصبح أكثر شمولاً وانتظاماً ودقة .

وفي مطلع القرن العشرين كان سري أفندي مديراً لبرق وبريد صيدا ، وفي  
سنة ١٩٠٦م ، صار الحاج حسني المجذوب مديراً للبريد فيها ، فحسن أوضاع  
البريد ونظم البريد بين صيدا وبيروت بحيث صار ينتقل يومياً بين المدينتين ،  
بعد أن وكّل أحد أصحاب العربات الخاصة بذلك ، وهذا سهل للمواطنين

(١) لسان الحال ، العدد ٧٢٨١ ، في ٥ تموز ١٩١٣م .

(٢) الدستور ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ص ٢٣٧ .

(٤) لسان الحال ، العدد ١٧ ، في ١ كانون الأول ١٨٧٧م .

وللتجار أمورهم ، فشكروا للمدير حسن صنيعة ، وطالبوا السلطات بترقية دائرة بريد صيدا للدرجة الثانية<sup>(١)</sup> .

أما الهاتف فقد كان ممنوعاً على السكان في عهد السلطان عبد الحميد ، ولكن بعد قيام الدستور سمح للدوائر الرسمية باستعماله ، وبعد ذلك أخذ الناس يقبلون على امتلاكه ، وكثرت إعلاناتهم بالصحف عن وصوله إلى محلاتهم ، والطلب من الجمهور شراء هذه الوسيلة الجديدة ، للتخاطب وترويج العمل<sup>(٢)</sup> .

### الفن ووسائل اللهو

أواخر القرن التاسع عشر كانت حرية الفكر والتعبير لا تزال مقيّدة بالرقابة المفروضة على الصحف ، والخطابة ، والاجتماعات السياسية ، على الرغم من الإصلاحات المتتالية التي قام بها السلاطين العثمانيون في فترة زمنية قاربت ثلاثة أرباع القرن .

كما أن الزحف الأوربي الثقافي الطاغبي على بلدان الشرق ، هز الجدران الاجتماعية القديمة ، ونفذ من خلالها ليغيّر في أذواق الناس في الأزياء والأثاث والمأكل والمشرب والمسكن .

وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد أصدر مرسوماً وضع فيه أول دستور عثماني في ٢٢ كانون الأول ١٨٧٦م ، أتبعه بقانون انتخابات أنتج أول مجلس نيابي في تاريخ الدولة العثمانية وعُرف «بمجلس المبعوثان»<sup>(٣)</sup> . وافتتح في إسطنبول في ١٩ آذار ١٨٧٧م ، لكنه بعد أقل من سنة ، علق عبد الحميد الدستور وحلّ البرلمان في ١٤ شباط ١٨٧٨م ، وطلب من مندوبي الولايات العودة إلى مناطقهم .

(١) بلدية صيدا ، ١ تشرين الثاني ١٣٢٦هـ / ١٩١٠م .

(٢) لسان الحال ، العدد ٥٩٧٩ في ٢٧ آذار ١٩٠٩م .

(٣) أي مجلس النواب ومفردتها مبعوث بمعنى مندوب .

لكن نسيم الحرية كان قد هبّ ، والنفوس صارت مهياًة للتغيير ، لذلك كانت ردة الفعل الشعبي قوية ، فقامت حركات وجمعيات سرية بهدف تحقيق حكم دستوري قانوني ، تتحقق فيه الحرية لكل الشعب ، والمساواة والعدالة لكل طوائفه ، وأخذت المناشير الثورية تظهر على جدران شوارع مدن بلاد الشام خاصة صيدا وبيروت وطرابلس ودمشق وغيرها .

وقد دعت تلك المناشير لأول مرة إلى «وطن سوري» وتوجهت بالنداء إلى «أبناء سوريا» وذكرتهم «بالنخوة العربية»<sup>(١)</sup> .

وبعد قيام حركة شعبية في اسطنبول ، أعيد العمل بالدستور في ٢٤ تموز ١٩٠٨م ، وجرت انتخابات نيابية جديدة لمجلس مبعوثان جديد ، واعتبر هذا اليوم عيداً وطنياً وفيما بعد جرى الاحتفال به كل سنة .

وكان هذا هو منطلق الفكر والفن وحرية ، وكانت وسائل التسلية والترفيه محصورة بالمقاهي التي كانت منتشرة بشكل واسع في كل بلاد الشام ، وفي صيدا بلغ عدد المقاهي ١٩ مقهى سنة ١٨٨٨م<sup>(٢)</sup> .

والمقهى كان مكاناً عاماً لاحتساء القهوة والشاي ولتدخين الغليون والأركيلة<sup>(٣)</sup> . إلى جانب التحدث مع الآخرين من جلوس المقهى . وكانت أبرز المقاهي في صيدا آنذاك مقهى الخيرية والسراي والشاكرية والقزاز وغيرها . ولا

(١) مكتب السجلات العامة (ف . و .) ١٣٦٨/١٩٥٠ رسالة رقم ١ من القنصل البريطاني العام في

بيروت John Dickson للسفير R.St. John في ٣ كانون الثاني ١٨٨١م .

(٢) مجلة الحقائق ، مجلة شهرية أصدرتها مدرسة الفنون الإنجيلية للصبيان في صيدا سنة ١٨٨٢م ،

العدد ١ ، تشرين الثاني ١٨٨٩م ، صيدا .

(٣) الغليون أو الجبك Cubuk التركية بمعنى أنبوب أو قصبه ، ثم أطلقت اصطلاحاً على أداة التدخين هذه وأصلها قارة الفارسية بمعنى قضيب . والأركيلة محرفة عن نار جيل وهي جوزة الهند التي كانت تستعمل بعد إفراغها ويوضع أنبوب القصب فيها ثم غملاً بالماء ، وفيما بعد طرحت جوزة الهند واستعملت زجاجة بدلاً منها ، ومن هنا تسميتها أحياناً بالشيشة لأن معناها زجاج بالفارسية .

يزال بعضها قائماً حتى اليوم وقد زاد عمره عن مئة سنة .  
ولإضفاء مزيد من التسلية في المقهى ، كان يقام بين الحين والآخر ، عرض الحكواتي ، الذي يبدأ بعد الغروب بحكاياته المستوحاة من التقاليد وتدور حول البطولة والشهامة والشرف والوفاء ، مثل حكاية الظاهر بيبرس أو عنتره العبسي أو سيف بن ذي يزن ، أو أبو زيد الهلالي وغيرهم .  
وفي مقهى آخر كان فنان آخر يجري عرض «الأراجوز»<sup>(١)</sup> وتكون قصته غالباً مضحكة ومسلية ، ويمكن أن يحضرها الأولاد أيضاً ، لأنها كانت تعرض عند الغروب مباشرة .

كما كان هناك «صندوق الدنيا» أو «صندوق الفرجه» ، وهو عبارة عن صندوق اسطواني مغلق به عدة فتحات ، ويلف شريط من الصور بين بكرتين ثم يديرها صاحب العرض وهو ينادي «أتفرج يا سلام ، شوف أحوالك بالتمام ، شوف قدامك عجائب ، شوف غرايب وأتفرج يا سلام» فيهرع إليه الأولاد ، ليشاهدوا من خلال الفتحات تلك الصور العجيبة التي وعدهم بها صاحب الصندوق .

كذلك تلهي الرجال بلعب الورق (الشدة) والنرد (طاولة الزهر) والشطرنج ، بينما تسلت النساء في المنازل «بلعب البرجيز» أو بالغناء أو بالرقص معاً .  
هذا وكانت الزوايا الصوفية (وكان عددها في صيدا إحدى عشرة ثم انحصرت في سبع فقط) بمناسبة الأعياد الدينية ، تقوم بالعروضات في الشوارع حاملة بيارقها وطبولها وصاجاتها وأناشيدها الدينية فتستقطب الجماهير التي تستقبلها بالتصفيق والتهليل والتكبير .

أما الفن المسرحي الذي يعد من أرقى الفنون ، وقد مثل عبر التاريخ وسيلة ترفيه وتسلية ، وعبر عن ثقافة وحضارة مجتمع وشعب ، فلم تعرفه صيدا إلا منذ مطلع القرن العشرين ، مع أن مؤسس المسرح العربي الحديث «مارون نقاش»

(١) من التركية قره : أسود وغوز عين بمعنى صاحب العين السوداء .

هو ابن صيدا ، وأن كان قد قدم اول مسرحياته وهي مسرحية البخيل ، في بيته في بيروت سنة ١٨٤٧م ، وحضرها أعيان المدينة ، وقناصل الدول الأجنبية المقيمون في بيروت<sup>(١)</sup> .

وبدأ الفن المسرحي بالانتشار في صيدا بداية عن طريق المدارس ، وكانت مدرستان رائدتان في هذا المجال ، هما مدرسة الفنون الإنجليزية للبنات التي تأسست سنة ١٨٦٢م ، ومدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية التي تأسست سنة ١٨٧٩م .

ونماذج من تلك العروض الفنية المدرسية ، عرض مدرسة الفنون الإنجليزية خلال حفلتها السنوية سنة ١٨٩٩م حاكياً (فونوغرافاً) كانت السيدة وود Wood قد قدمته هدية للمدرسة ، فأديرت أسطواناته وبث ألقاناً موسيقية كلاسيكية ، أدهشت الحضور وسرتهم ، وكان ذلك أول «حاكي» يظهر علناً في صيدا<sup>(٢)</sup> .

ولضبط التمثيل المسرحي والرقعي به شكلت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا لجنة من أعضائها لتنظيم التشخيص (التمثيل) في مدارسها تألفت من حسين الجوهرى - عمر نحولى - عبد اللطيف لطفي - محمد بكار - والوجيه الصيداوي صبحي القونيلي .

وفي سنة ١٩٠٨م ألف صبحي بك اباطة رواية «خذلان الظالم وانتصار المظلوم» صور فيها نهاية عهد الاستبداد وقيام عهد الحرية ، ومثلت في عدة عروض ، وخصص ريع حفلاتها للجمعيات الخيرية<sup>(٣)</sup> .

كما شكلت مجموعة من الشبان الصيداويين جمعية «إحياء التمثيل العربي» من أجل رفع مستوى التمثيل المسرحي في صيدا والنهوض به ، وتخصيص عائدات التمثيليات المسرحية لصالح الأعمال الخيرية .

(١) مارون نقاش ، أرزة لبنان ، طبعة مجددة سنة ٢٠٠٩م ، ص ٧ .

(٢) تاريخ صيدا الاجتماعي ١٨٤٠ - ١٩١٤م ، طلال مجذوب ، الطبعة العصرية ، ١٩٨٣م ، ص ٣٣٠ .

(٣) لسان الحال ، العدد ٥٨٣٧ ، في ٩ تشرين الأول سنة ١٩٠٨م .

وقام أحد أعضاء الجمعية عمر نحولي بتأليف رواية «المتوكل» وكانت رواية أدبية فكاوية تاريخية من ثلاثة فصول ، وحضر عرضها الأول القائمقام وأركان السلطة والعلماء وعدد من أهالي صيدا .

وفي خريف السنة نفسها مثلت الجمعية رواية «السموأل» من تأليف انطوان الجميل فأثارت إعجاب المشاهدين ، وساهم في تنظيم العرض المسرحي (الإخراج) نجيب بكار كذلك عرضت الجمعية مسرحية ثانية باسم صلاح الدين الأيوبي (١) .

أما جمعية نشر العلم فقد مثلت رواية «الصارخ المظلوم» في مقهى الخيرية ، وجعلت حفلتها المسرحية يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان الإقبال من المشاهدين شديداً خصوصاً من العلماء والموظفين وغيرهم .

أما الغناء فكان له حفلاته التي يحضرها العموم بعد أداء رسم خاص للبلدية ، وكانت الفرق الغنائية تدعى «جوق عوالم» لأن التي كانت تشتغل بهذا الفن كانت تدعى «عالمة» . وفي سنة ١٩٠٩م مثلاً طلب عبد الغنى مكايوي أذنًا من البلدية بتشغيل جوق عوالم في مقهاه لمدة ١٥ يوماً (٢) .

كما طلب يوسف إبراهيم سليمان سنة ١٩١٠م ترخيصاً بعمل جوق عوالم في فندقه «لوكندة الوطن» بحملة الشاكرية لمدة خمسة أيام (٣) .

ويمكن التأريخ لبدء استقدام جوقات العوالم من حلب إلى صيدا بسنة ١٨٩٢م ، حيث كانت حلب آنذاك عاصمة الطرب في بلاد الشام .

(١) الاتحاد العثماني ، العدد ٣٧٥ ، ١١ كانون الأول ١٩٠٩م .

(٢) بلدية صيدا ، قرر نومرو ١٣٧ ، في ٢٢ تشرين ثاني ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .

(٣) المصدر نفسه ، قرر دون رقم - في ١٣ كانون الثاني ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

## نتائج تنظيمات الأراضي العثمانية الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ١٨٦٩-١٩١٨م

أمين أبو بكر (\*)

تعالج هذه الدراسة ، النتائج الاقتصادية ، والاجتماعية التي ترتبت على تنظيمات الأراضي العثمانية في ألوية فلسطين الثلاثة ؛ عكا ونابلس والقدس ، منذ انطلاق عمليات المسح ، والتسجيل الميدانية المنظمة ١٨٦٩م ، وحتى رحيل الحكم العثماني عنها ، ودخولها في قبضة الاحتلال البريطاني ١٩١٨م ، وفي مقدمتها قانون الأراضي ١٨٥٨م ، ونظام الطابو ١٨٥٩م ، وما لحق بهما من قوانين متخصصة ولوائح معدلة ، وكان لتطبيقها على أرض الواقع آثار واضحة المعالم على مسيرتها الحضارية ، وتحولاتها الاقتصادية ، والاجتماعية ، معتمدة في ذلك على أحكامها وفعاليتها المحلية ، التي زودتنا بها مجموعة القوانين المنشورة ، والدستور العثماني ، ودفاتر الطابو ، وسجلات المحاكم الشرعية التي سطرها القضاء الشرعي في المدن الفلسطينية ، وتعد من أبرز المصادر المحلية التي يعتد بها في تتبع تفاصيل نتائجها ؛ نظرا لما تتسم به من قدر رفيع من الموضوعية والوحدة العضوية ، والإحاطة الزمنية ، والمكانية لكونها سطرت على هيئة مذكرات يومية ، بعيدة عن التصنع والتزلف ، انسجاما مع غاياتها السامية القائمة على خدمة الدين والدنيا ، وتم تعزيزها بسجلات الأوقاف ، ودفاتر البلديات ، والخرائط ، والصور الجوية ، والنقوش والشواهد العمرانية ، والجولات

---

(\*) أستاذ ، قسم التاريخ ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين .



الميدانية والمقابلات الشخصية بغية رسم صورة متكاملة عن الموضوع في محاوره الآتية :

### أولاً: النتائج الاقتصادية:

أصدرت الدولة العثمانية قانون الأراضي وعممته على ولاياتها ١٨٥٨م ، بما فيها المقاطعات الفلسطينية الثلاثة : عكا ، نابلس ، القدس<sup>(١)</sup> ووثقت المحاكم الشرعية فيها نصوصه ضمن سجلاتها<sup>(٢)</sup> ، وهو أول قانون مدني يحكم أراضيها تصرفاً ، وحيازة ، واستغلالاً ، وألحقته بالعام التالي بنظام الطابو ، وعززتهما بمجموعة من التعديلات ، واللوائح ، والمواد المعدلة ، والمكملة كقانون تملك الأجانب ١٨٦٧م<sup>(٣)</sup> ، وبدا تطبيقه بالألوية الثلاثة بعد (١٠) سنوات من صدوره بحملات المسح ، والتسجيل التي انطلقت فعاليتها ١٨٦٩م<sup>(٤)</sup> وعامين من صدور قانون تملك الأجانب ١٨٦٧م ، والذي أتاح لرعايا الدول الأجنبية

(١) قانون الأراضي العثماني ١٨٥٨م : من الدستور الجديد ، ترجمة نقولا نقاش ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ، المادة (١-١٣٢) ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : قانون الأراضي .

(٢) سجلات المحاكم الشرعية العثمانية لكل من : محكمة جنين والخليل والقدس ، ويافا ، وحيفا ، ونابلس الشرعية ، مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، عمان ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : اسم المدينة والى جانبها رقم السجل ؛ القدس ٣٤٨ ، ص ٩٩-٢٠٢ ؛ القدس ٣٦٥ ، ص ٩-٢٥ .

(٣) وثقت الغالبية العظمى من القوانين بالمحاكم الشرعية باللغة العثمانية :- القدس ٣٤٨ ، ص ٩٩-٢٠٢ ؛ القدس ٣٥٧ ، ص ٣-١٧٩ ؛ القدس ٣٦٥ ، ص ٢٣١-٢٣٣ ؛ القدس ٣٦١ ، ص ٣٦٦ ؛ القدس ٣٦٥ ، ص ٩-٢٥ ؛ القدس ٣٩٧ ، ص ٩ ؛ يافا ٢٥٥ ، ص ٦-٨٩ ؛ نابلس ١٢ ، ص ٨٠ .

(٤) دفاتر الطابو العثمانية ١٨٦٩-١٩١٨م ، المحفوظة في دائرة الأراضي والمساحة ، عمان ، ونابلس ، وجنين ، وطولكرم ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : دفتر طابو ، والى جانبه مركز القضاء ورقمه .

التي صادقت عليه بالتملك،<sup>(١)</sup> وعملا بذلك صادق سفراء بريطانية ، وبروسيا ، وفرنسا ، والنمسا ، والسويد ، والنرويج ، وبلجيكا ، عليه في وزارة الخارجية العثمانية بإسطنبول ١٨٦٨م ،<sup>(٢)</sup> وأصبح تملك رعاياهم بصورة فردية أو جماعية بإشراف رئيس الجهاز الإداري بمركز الولاية ، والألوية ، والأقضية ، والنواحي ، التي انتظمت فيها تشكيلاتها ، ففي ١٨٦٩م ، انطلق مسح وتسجيل أراضي ناحية بني حارثة ، الممتدة في قضاء جنين ونابلس ، والملحق بلواء القدس بإشراف والي سورية من دمشق ، وبفصله عن القدس ، ووضعه في تشكيلة لواء ملحق بولاية سورية استكملت أعمال المسح والتسجيل بإشراف ومتصرفية نابلس ، وقائمةمقامية جنين ، ومديرية ناحية بني حارثة ١٨٧٠م ،<sup>(٣)</sup> والدوائر التنفيذية في دوائر الطابو المختصة التي فتحت أبوابها في السرايا بمراكز الألوية والأقضية ،<sup>(٤)</sup> وترتبط ارتباطا وثيقا بنظارة الدفتر الخاقاني-الدفتر السلطاني - في إسطنبول<sup>(٥)</sup> ، ومن ابرز نتائجها الاقتصادية ما يأتي :

(١) الدستور العثماني ، ٢م ، ترجمة نوفل أفندي نعمة الله نوفل ، مراجعة خليل أفندي الخوري ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٣٠١هـ ، ١م ، ص ٦٨- ؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : الدستور ؛ القدس ٣٤٨ ، ص ٩٩-٢٠٢ ؛ القدس ٢٥٧ ، ص ٣-١٧٩ ؛ القدس ٣٦٠ ، ص ٢٣١-٢٣٣ ؛ القدس ٣٦١ ، ص ٩-١٥ ؛ القدس ٣٩٧ ، ص ٩ ؛ يافا ٢٥٥ ، ص ٦٤-٨٩ .

(٢) القدس ٣٥٧ ، ص ٣-١٧٩ ؛ القدس ٣٦٠ ، ص ٢٣١-٢٣٣ ؛ القدس ٣٦١ ، ص ٩-١٥ ؛ القدس ٣٩٧ ، ص ٩ ؛ يافا ٢٥٥ ، ص ٦٤-٨٩ .

(٣) دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات ، ص ١-٥ ؛ دفتر طابو جنين (١٢) كشف مزايده ، ص ١-٥٠ .

(٤) لا يزال مبنى السرايا العثمانية في جنين قائما على الشارع الرئيس قبالة المسجد الكبير والنقش الذي يعلو بوابته يشير إلى ذلك : جولة ميدانية في جنين ٢٠١٧/١/١٠ .

(٥) القدس ٣٤٣ ، ص ٧٦-١٢٧ ؛ القدس ٣٦٠ ، ص ٣٥٨ ؛ القدس ٣٦٢ ، ص ٧٣ ؛ القدس ٣٦٩ ، ص ١٨٣ ؛ القدس ٣٨٤ ، ص ١٨٢ ؛ القدس ٣٩٥ ، ص ٧٠ ، ٣٠٧ ؛ القدس ٣٩٩ ، ص ١٥١ ؛ القدس ٤٠١ ، ص ٣٢ ؛ يافا ٢٠٠ ، ص ٥٩ ؛ الخليل ١٧ ، ص ٣٩ ؛ الخليل ٢٤ ، ص ٣٩ =

## ١- استقرار الملكية:

وضعت التنظيمات حداً لفوضى الملكية، التي عاشتها المقاطعات الثلاث لعدة عقود<sup>(١)</sup>، واتضحت ملامحها بحل نظام الإقطاع العسكري ١٨٢٦م، وتحويل أراضيه للخزينة، بعد أن فشل كنظام للتعبئة العسكرية<sup>(٢)</sup>، وحملة والي مصر محمد علي باشا على الشام ١٨٣١م التي استمرت (١٠) سنوات<sup>(٣)</sup>، وما

= نابلس ١٧، ص ٦٩٣-٧٣٨؛ نابلس ٢٠، ص ١٩١-١٩٣؛ نابلس ٤٠، ص ١٦٨؛ جريدة المقتبس، ١٩٠٩/٦/١٠، ص ٣؛

Redhause, James .W., Turkish and English Lexicon, Librairie do Libnan, Beirut, 1987.

Redhause, Op.cit., P: وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : P.1218.

(١) حول فوضى الملكية وهيمنة الإقطاع العسكري قارن بين الآتية :- القدس ٢٦٦، ص ٨٧-٨٨؛ القدس ٢٧٨، ص ١٣٠-١٣١؛ القدس ٢٨٩، ص ٦٨؛ القدس ٢٩٠، ص ٢؛ القدس ٢٩٦، ص ٧٧؛ القدس ٢٩٨، ص ١٠؛ القدس ٣٠٠، ص ٢؛ القدس ٣٠٣، ص ١٠٥١-١٥٢؛ القدس ٣٠٤، ص ١٤؛ القدس ٣٠٦، ص ٤٦؛ القدس ٣١١، ص ٥٤؛ القدس ٣١٥، ص ٧١، ١١٢-١١٤؛ القدس ٣٢٠، ص ٥٨؛ القدس ٣٢٣، ص ٦١-٦٣، ١٣٧؛ القدس ٣٢٨، ص ٤٩؛ القدس ٣٢٩، ص ٢٠؛ القدس ٣٣٦، ص ٢٣؛ نابلس ٩، ص ١٢١، ٢٤٤، ٢٦٤، ٣٤٢، ٣٩٨؛ نابلس ١٠، ص ١٥٨-١٦٠؛ نابلس ١٢، ص ٤٠-٤٢، ٦٧-١٣٧؛ نابلس ١١٣، ص ١٨٦، ٢١٩، ٢٣٩؛ نابلس ١٣، ص ٢٥، ٢٨، ١٠٣-١٦٨، ١٧٨؛ نابلس ١٤، ص ٥١، ٢٧٨؛ نابلس ١٥، ص ١٣٥-١٧٢؛ يافا، ١٢، ص ٤٦، ٩٠.

(٢) القدس ٢٩٧، ص ٨٢؛ القدس ٢٩٨، ص ١٠؛ القدس ٣٠٠، ص ٢-٤؛ القدس ٣١٥، ص ٧١-٧٢؛ القدس ٣٢٣، ص ٦١-٦٣؛ نابلس ٩، ص ٣٩٨؛ يافا، ٤٥؛ الحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١١٩، ٤٢٩؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : الحامي، تاريخ.

(٣) القدس ٣١٢، ص ٩٦؛ القدس ٣١٥، ص ١١٢-١٢٢؛ نابلس ٩، ص ٤٠٠؛ المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصدها، م٤، تحرير أسد رستم، بيروت، لبنان، ١٩٤٠م، ص ٩٠-٣١٢؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : المحفوظات .

تخللها من اضطرابات ، وكوارث طبيعية ، وخلخلة سكانية بفعل الهجرة الوافدة ، نتيجة لاتساع سوق العمل الذي واكب تطور زراعة الحمضيات ، والقطن ، والحبوب ، والحرف وحركة التصدير النشطة بالموانئ ، وإعمار الأراضي الآيلة للخراب ، والهجرة الخارجية التي حتمتها حملات التجنيد الإجباري ، ونزع الأسلحة غير المرخصة ، وتعسف الجباة ، وغارات القبائل البدوية المحلية ، والمجاورة ، وما أعقبها من حروب أهلية مدمرة بين المقاطعات تحت شعار قيس ، ويمن ، كانت غايتها تحقيق مصالح الزعامات المحلية في بسط السيطرة ، والنفوذ ، وامتدت (٢٠) عاما ، ولم تخمد نيرانها إلا بتقويض حصونها ، وفرض نظام الحكم المركزي ١٨٦٠م<sup>(١)</sup> .

ونتيجة للفوضى السائدة ١٨٣١-١٨٦٠م ، وما ترتب عليها من خراب للمواقع المأهولة المدنية والريفية والبدوية ، بصفتها الدعامة الأساسية للإنتاج ، فقد تحولت نطاقات واسعة من أراضيها إلى مراعي ، بعد أن زحفت عليها الغابة ، وغدت غنائم حرب سهلة بين القوى المتحاربة ، وأعطيات مجزية

---

(١) الشهابي ، حيد احمد (ت ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م) ، لبنان في عهد الشهابيين وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب الغرر الحسان في أخبار أنباء الزمان ، ٣ ج ، تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩م ، ص ٣٧٠ ، ٥٥٤ ، ٦٢٨-٧١١ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : الشهابي ، لبنان ؛ المحفوظات ، ٣م ، ص ٢٠٨-٢١١ ؛ دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات ، ص ٤٠

Finn, James, *Stirring Times or Records from Jerusalem Consular Chronicles of 1853 to 1856*, 2 Vols, London, 1878. ,Vol .1, P.404,454. وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد :

Finn, OP.Cit.,

وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد :

Tristram, The Land. *Stirring*. Tristram, H.B.: The Land of Israel, London ,1882, P.485.

وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : Tristram, OP.Cit.,

إعلان الولاء ، وطلب الإلجاء ، والحماية من الزعامات ، واحد المؤشرات الدالة على ضعف النشاط الزراعي ، فكانت مسالة فلاحه الأرض ، وتركها ، وشأنها لكل من هم بزراعتها ، وتغيير مواضع الزراعة من موضع لآخر لحين الاستقرار على موضع معين ، والتركيز في زراعتها على المحاصيل الحقلية اللازمة لتزويد الأسرة بالحبوب ، والمواشي بالأعلاف<sup>(١)</sup> .

وبما لا شك فيه ، أن إنهاء حالة الفوضى قد قامت على أساس التقنين ، والتنظيم المستوحى من النظم الفرنسية المتوافقة مع الشريعة ، حيث بات مفهوما لدى الدولة أن أراضيها تحكمها نصوص قانونية محددة ، بهيكلية يسهل معها الرجوع إليها ، للفصل في أي مسالة من مسائلها بدلا من الكتب الفقهية ، والفتاوى ، والأعراف ، والتقاليد البدوية ، والمراسيم السلطانية<sup>(٢)</sup> .

(١) القدس ٢٧٨ ، ص ١٧ ؛ القدس ٢٨٩ ، ص ٦٨ ؛ القدس ٢٩٧ ، ص ١٠٥ ؛ القدس ٣٠٥ ، ص ٣٢-٣٣ ؛ القدس ٣١٥ ، ص ٧٠ ؛ القدس ٣٢٠ ، ص ٥٨ ؛ القدس ٣٢٢ ، ص ٢٠ ؛ القدس ٣٣٢ ، ص ١٣ ؛ القدس ٣٤٣ ، ص ٣٨ ؛ نابلس ٩ ، ص ٢٤٤ ؛ نابلس ١٧ ، ص ٧٤٠-٧٤٣ ؛ نابلس ٢٠ ، ص ١٩١-١٩٣ ؛ الخليل ٢ ، ص ٣٩-٤٠ .

(٢) حول مصادر القانون العثماني قارن بين الآتية : - أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م) كتاب الخراج ، موسوعة الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٣- ؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : أبو يوسف ، كتاب ؛ قانون الأراضي ، المادة (١-١٣٢) ؛ الدستور ، ج ١ ، ص ٦٨ ؛ القانون الفرنساوي المدني ، ج ٢ ، تعريب رفاة رافع الطهطاوي وعبد الله بك ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٦٦م ، ص ١-٢ ؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : القانون الفرنسي ؛ شاكر الحنبلي ، موجز أحكام الأراضي والأموال غير المنقولة ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م ، ص ١٣-٢٥ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : الحنبلي ، موجز ؛ المر ، دعيبس ، كتاب أحكام الأراضي ، ط ١ ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ، ١٩٢٣م ، ص ٣ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : المر ، كتاب أحكام ؛ القدس ٣٤٨ ، ص ١٦٧ ؛ القدس ٣٦٥ ، ص ٩-٢٥ ؛ أبو بكر ، أمين ، ملكية الأراضي في متصرفية القدس ١٨٥٨-١٩١٨م ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، ١٩٩٦ ، ص ٣٠٦ ، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد : أبو بكر ، ملكية .

وعلى صعيد آخر عمل قانون الأراضي ١٨٥٨م ، على توضيح أقسام ، الأمر الذي عزز من استقرار الملكية واتضح معالمها ، وحصرها بخمسة أقسام ، هي : المملوكة ، والموقوفة ، والمتروكة ، والموات ، والأميرية ، وحدد نطاق امتداد كل واحد منها ، وكيفية حيازتها واستغلالها والتصرف بها ، وما يترتب عليها من ضرائب ، ولم يهتم بقسم من غير قسم آخر وذلك على الرغم من سعة الأراضي الأميرية وكثافة إنتاجها ، فحصر المملوكة بأراضي العمران بالمدن والقرى والمضارب البدوية ، التي تقوم عليها المباني والمسقفات العامة والخاصة ، وحدد مساحة البيت بنصف دويم للحيلولة دون التحايل على موارد الخزينة وإلحاق مساحات شاسعة من الأراضي الأميرية الزراعية كمراقف للبيت ، وعملا بقانون البلديات بات توسع العمران مرهونا بالخرائط الهيكلية التي تحددها المجالس البلدية ، شريطة أن تدفع ما يترتب عليها من ضرائب مسقفات ، وأن تعود للخزينة بتعرض العمران للخراب ، وتبدأ الأراضي الأميرية من طرف العمران إلى نقطة تحددها القوى العاملة في الموقع وما بحوزتها من ثيران ومحارث ، وصنفها بثلاثة مستويات وفق درجة إنتاجها : «عال ، ووسط ، ودون» سواء أكانت مشجرة «باغ» وغير مشجر «ترلا» ، وبين ما يتبعها من حقوق عامة بالعيون ، والينابيع ، والأنهار ، والبرك ، والمراعي ، والعرقان ، والطرق ، والممرات ، والبيادر ، والكهوف ، التي يمكن استغلالها في إيواء الحيوانات ، وتخزين أعلافها شتاء ، وميز بين الأوقاف الصحيحة وغير الصحيحة ، وعامل الصحيحة على نسق الأراضي المملوكة ، التي يجري التصرف بها تصرف الملاك على غرار الأموال المنقولة ، بينما عامل الأوقاف غير الصحيحة على نسق الأراضي الأميرية لكون رقبته تعود للخزينة ، ومنافعها للجهة الموقوفة ، وإذا ما خربت ، وتعطلت الجهات الخيرية عادت للخزينة ، وحصر الأراضي المتروكة بالمنافع العامة كالمقابر ، والساحات ، والطرق ، والمراعي ، والمحتطبات ، والمزابيل ، ومجاري الأنهار والأودية ، والساحات ، والسكك الحديدية ، ومحطات العربات ، والقاطرات ، وحدد بداية الأراضي الموات غير الصالحة للزراعة ، بمسافة ساعة

ونصف سيرا على الأقدام ، أو ما يوازي ميل ونصف عن الموقع ولا تسمع فيها صيحة الرجل الجهير الصوت من طرف العمران ، والمؤلفة من الأراضي الوعرة المحجرة والمستنقعات ، والجروف الساحلية والكثبان الرملية ، ولا يمكن استغلالها زراعيا إلا بإحيائها حيث تتحول إلى أميرية ، وتم الإشارة إليها بالمصادر المحلية بالصحاري ، والبراري ، والأحراش ، والعطل ، والهشير ، والبلان ، والشواطئ ، والسواحل ، والكثبان والسوافي الرملية ، والمستنقعات ، والقمم ، والتلال ، والجبال ، واللحوف ، والسفوح المحجرة ، والمصراره ، والنقاره ، والقرقباش (١) .

وعملا بتقسيمات القانون اتضحت معالم الملكية العامة والخاصة ، وسجلت حيثياتها بدفاتر «اليوقلمة» المسودات والضبط ، والدائمي ، من قبل لجان المسح والتسجيل ، والتي شارك فيها أهالي المواقع بجميع أعضائها باستثناء مندوب الطابو المرسل من طرف الحكومة ، وصادق على بياناتها مجالس الإدارة ، وسمح للمتصرفين بتوريث حقوقهم فيها لضمان استمرارية استغلالها ، (٢) وحفظت سجلاتها بدوائر الطابو المحلية ، وأرسل جداول حقوقها لدائرة الدفتر الخاقاني في إسطنبول ، لمنح المتصرفين سندات التصرف أو القواشين ، وأحاط الناس قيودها وما صدر عنها من قواشين بهالة كبير من التقدير والاحترام ، نظرا لما فرضته من استقرار وثبات للحقوق العامة والخاصة ، ناهيك رسوخ نصوصها وصعوبة تزويرها ، فأى قشط في القوشان الصادر عن الدائرة المركزية في إسطنبول كان في حكم الملغى ، ويجب استصدار بديل عنه ، وفي سبيل الحرص على

(١) قانون الأراضي ، المادة (١-١٣٢) ؛ الدستور ، م١ ، ص٦٨ ؛ دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات أراضي ، ص١-٥ ؛ دفتر طابو جنين (١٢) كشف مزايدة ، ص١-٥٠ ؛ مقابلة شخصية ، علي العتماوي ، نابلس ، ٦٥ سنة ، ١٥/٩/٢٠١٥ م .

(٢) تحتفظ دوائر نابلس و جنين وطولكرم بنحو (٤٠٠) دفتر طابو تعود بدايتها إلى عام ١٨٦٩م ، ناهيك عن التالفة التي تحتاج إلى ترميم .

سلامتها وعدم تعرضها للتلف خلال فعاليات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م، قام قائد الجيش الرابع العثماني جمال باشا على نقلها من دواثرها وتجميعها في الخطوط الخلفية من الجبهة وحفظها في مدينة طبرية، وإزاء ذلك لم نلمس أية تعديات استهدفتها من جانب الرعية<sup>(١)</sup>.

وبوجب ذلك بات المتصرفون بالأراضي على بينة من أمرهم، بصرف النظر عن قسمتها وحقوقهم فيها، ويدركون إلى حد كبيرة جوهر مضامين تنظيمات الأراضي وإن كانوا لا يحسنون قراءة نصوصها، فكانوا يعرفون أن وقفهم للأراضي الأميرية غير قائم إلا بأخذ موافقة السلطان، وأن تعطيلهم للأرض أكثر من (٣) سنوات متتالية من غير سبب يفقدهم حقهم في مزارعتها، ولا يحق لهم دفن موتاهم فيها، وإن تجاوزوا ذلك فعليهم نقلهم منها، والسير بها على خطى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في أراضي الخراج، واشترطت في ذلك مرور (١٠) سنوات على التصرف من غير منازع، و(٣) سنوات من أخذ الإذن بإحيائها من جانب الطابو، مما يعني أن السيف وعدد الرجال، والتحالفات، والنجيدات البدوية لم تعد تقرر مصيرها<sup>(٢)</sup> ولا تزال دلالة الطابو في المجتمع الفلسطيني تعني الثبات، والرسوخ، وعدم التزوير، واستخدمت دلالاتها على العديد من المسائل البعيدة عن الملكية العقارية، فتطلق على سبيل المثال لا

(١) التميمي، ولاية، ص ٢٢٢؛ ص (٦٤-٦٥) الأوراق وتنظيم، ١٩٣٤م؛ المر، ص ١٤٠؛

Survey of Palestine ,Vol. .1,PP.20-23

(٢) ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم (ت ١٥٦٢م)، من البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٨، وبهامشه منحة الخالق على البحر الرائق، محمد أمين بن عابدين، المطبعة العلمية، القاهرة، ١٨٩٣م، ج ٥، ص ١١٢-١١٩ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد: ابن نجيم، من البحر؛ قانون الأراضي، المادة (٨)، ١٩، ١٠٣-١٤٥؛ يافا، ص ١٤، ١-٣٩٢؛ يافا، ص ١٧، ١٦٨-١٦٩؛ يافا، ص ١٥٩-٢٣٠؛ يافا، ص ٨٤-٨٥؛ بازيلى، قسطنطين، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م؛ ص ١١٣، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد: بازيلى، سورية.



الحصر على الرأي السديد والثابت والراسخ الذي لا مواربة فيه ، فيقال فلان كلامه طابو<sup>(١)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن بعض صغار المزارعين ، والزعماء الإقطاعيين ، لم يستجيبوا لأوامر الدولة وتوجهاتها في المسح ، والتسجيل ، فأنكروا أمام لجانها مزارعتهم للأرض ، وتصرفهم بها ، خوفاً من العواقب الوخيمة التي قد تلحق بهم ، واعتبر الزعماء أن القوة هي الضامن الوحيد للحقوق وليس الورق ، والقواشين ، والسجلات ، والدفاتر التي تذررها الرياح ، وتأكلها النيران ولا تقوى على مقاومة حفنة من الماء ، وتنزلهم منزلة الرقيق ، فسجلوها على المزارعين العاملين فيها اللذين لا يملكون سوى السمع والطاعة ، في حين رأى فيها بعض صغار المزارعين مستندا لمطاردتهم والنيل منهم ، فبحثوا عن مظلة إلقاء أمانة حمايتهم من التسجيل ، وتبعاته وعلى وجه التحديد جباة الضرائب ، والتجنيد الإجباري ، فسجلوا أراضيهم بأسماء مشايخهم ، وأعيانهم ، وحاول بعضهم الالتفاف على النظم ، والقوانين فسجلوها بأسماء ذوي الاحتياجات الخاصة لإثارة الشفقة في نفوس لجان المسح ، والتسجيل والجباة في المستقبل ، وبمرور الزمن أصبحت الأرض لمن سجلت على اسمه ، وليس لمن يزرعها ، وتتضح ملامح هذه الظاهرة في نمو الملكيات الكبيرة ، مثل آل عبد الهادي في لواء نابلس<sup>(٢)</sup> وسرسق في لواء عكا<sup>(٣)</sup> وآل الحسيني في لواء القدس<sup>(٤)</sup> والسلطان

(١) مقابلة شخصية ، علي العماوي ، نابلس ، ٦٥ سنة ، ١٥/٩/٢٠١٥ م .

(٢) أبو بكر ، أمين ، ملكية آل عبد الهادي في فلسطين ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم

الإنسانية) ، ص ١ ، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : أبو بكر ، آل عبد الهادي .

(٣) أبو بكر ، أمين ، ملكية آل سرسق في فلسطين ١٨٦٩-١٩٤٨ م ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث

(العلوم الإنسانية) ، ١٨م ، نابلس ، ٢٠٠٤ م ، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : أبو بكر ، آل

سرسق ، ص ١ ،

(٤) جولة ميدانية في قرية عين سينيا ١١/١/٢٠١٧ م ، وقرية عابود ، ١٢/١/٢٠١٧ م .

عبد الحميد في فلسطين<sup>(١)</sup> وفقدان آل جرار لمخلفات اقطاعهم ، بمشاريق جنين القائمة للشرق من طريق نابلس-جنين<sup>(٢)</sup> .

وقد ذهبت بعض المواقع إلى أبعد من هذا عندما ألزمت البسطاء بعد جلسة طويلة من الحث والتلقين بالاعتراف أمام مندوبي الطابو بأن الأرض لهم ، ولم يلتفتوا إلى ما ارتكبه من أخطاء ، إلا بعد فوات الأوان<sup>(٣)</sup> ، وعملا بذلك حظي مهاجر بوسني بأراضي واسعة في قرية صبارين القائمة في ساحل جبل الكرمل بعد أن أجبر على الإقرار أمام لجنة الطابو أن الأرض له ، وللوهلة الأولى تفاخر مزارعوها بأنهم افلتوا بحنكتهم الحارقة من قبضة الطابو<sup>(٤)</sup> وعلى مقربة من جنين تفاهم المزارعون وأعضاء لجنة الطابو المنتخبين من بين صفوفهم ، على التهرب من تسجيل أراضيهم البالغة (١٨٠٠٠) دونم ، وتسجيلها باسم راعي العجال- قطع الأبقار-لديهم لبساطته ، وعدم معرفته بدقائق الأمور ، وطلبوا منه خارج القرية وهو راكب حماره عائدا من مرعاه متعبا في يوم شديد الحرارة أن يقر أمام مدير لجنة المسح ، والتسجيل ، أو يمثل الطابو بأن جميع أراضي القرية

---

(١) أبو بكر ، أمين ، ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين ١٨٧٦-١٩٣٧ م ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ، م١٧ ، نابلس ، ٢٠٠٣ م ، ص ١- . وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : أبو بكر ، السلطان .

(٢) يتداول سكان قرى مشاريق الجرار على ألسنتهم مقولة مفادها : «جرار ما طوب وعبد الهادي طوب» للدلالة على موقف السكان المحليين من تنظيمات الأراضي ومسحها وتسجيلها : جول ميدانية في ناحية مشاريق الجرار القائمة إلى الشرق من طريق جنين-نابلس ، ٢٣/١/٢٠١٧ م ؛ أبو بكر ، آل عبد الهادي ، ص ١ .

(٣) مقابلة شخصية ، غام موسى غام ، ٩٤ سنة ، مخيم طولكرم ، ٢٨/١١/٢٠١٥ ، محمد علي صالح الزيات ، الشيخ مونس ، ٨٩ سنة ، رفيديا ٣٠/٧/٢٠١٦ ، علي العتماوي ، نابلس ، ٦٥ سنة ، ١٥/٩/٢٠١٥ م .

(٤) مقابلة شخصية ، غام موسى غام ، ٩٤ سنة ، مخيم طولكرم ، ٢٨/١١/٢٠١٥ م .

بمزارعته ، ولديه من المحارث والثيران الكافية لفلاحتها ، وشاهده في ذلك قطع الأبقار والثيران التي يسوقها أمامه ، فوافقهم على طلبهم ، وعندما مثل أمام مندوب الطابو ، تلعثم في إفادته ، بما استحق النصح ، والإرشاد ، والعتاب على فعلته التي توسمهم بالكذب ، والخداع ، وبتقادم الزمن ، أصبحت جميع أراضي القرية لأولاده وأحفاده<sup>(١)</sup> .

## ٢- نمو نزع التملك:

عززت التنظيمات نزع التملك لدى الرعية ، وفتحت الباب على مصراعيه أمام عناصرها الطموحة ، لتسجيل أراضيها ، وزيادة مساحتها على حساب الأراضي المعطلة ، والموات ، شريطة أخذ إذن الطابو ، وبذلك فتحت سوقا رحبة واعدت للعمل ، واستطاعت أن تستوعب العمالة المحلية ، وإذا ما استثنينا الهجرة الخارجية للأمريكيين ، فإن قطاع العمل كان قادرا على استيعاب القوى العاملة المحلية ، والوافدة من الولايات العثمانية المجاورة في بلاد الشام ، والجزيرة العربية ، وشمال إفريقيا وبلاد التكرور ، وتعزز ذلك بتطور قطاع الخدمات ، ونهضة المدن العمرانية ، والتحويلات الجديدة في حركة الاستيراد ، والتصدير ، واحتلالها مركز الوساطة التجارية بين مناطق الإنتاج في الأقاليم الداخلية ، والموانئ الساحلية ، والأسواق الأوروبية ، وما رافقه من استغلال للأراضي القابلة للزراعة ، وإحياء ، وتجفيف المستنقعات ، واجتثاث الغابات ، والأحراش ، وتصنيع الحصر ، والسلال ، والفحم ، والجير بقشها ، وخطبها ، وقطع حجارة البناء ، واستخراج الرمال ، والصلصال لتصنيع الزجاج والفخار ، وحفر الآبار ، والبرك ، والصهاريج ، وبناء القنوات ، والجدران ، والحظائر ، وأعمال الحرائث ، والزراعة ، والحراسة ، والتنقيب

(١) يتداول سكان قرى مشاريق الجرار على ألسنتهم مقولة مفادها : «جرار ما طوب وعبد الهادي طوب»

للدلالة على موقف السكان المحليين من تنظيمات الأراضي ومسحها وتسجيلها : دفتر طابو طولكرم

(١٦) يوقلمة ، ص ١-٢ ؛ أبو بكر ، آل عبد الهادي ، ص ١- .

عن الخامات والمعادن في جنباتها ، ومن بينها النفط ، وهو ما رفع من قيمتها ، وحولها إلى وسيلة إنتاج رابحة ، وسلعة رائجة في الأسواق<sup>(١)</sup> .

وشجعت التنظيمات على التملك من خلال التسهيلات الضريبية التي قدمتها لجان المسح ، والتسجيل في تحديد قيمة الضرائب المستحقة على الأرض ، المشمولة بحق التصرف ، والانتفاع ، واعتمدت أسلوب التقييد في تسديد ما كسر منها ، منذ طرد الجيش المصري ١٨٤٠-١٨٦٩ م ، ومن المؤشرات الدالة على نمو نزع التملك ، عودة عدد كبير من السكان المهجرين بفعل الحكم المصري والحرب الأهلية إلى قراهم ، وإعمارها من جديد ، وخروج مجموعات أخرى من أهالي القرى الكبيرة ، لإعمار القرى الآيلة للخراب ، والتنافس فيما بينهم على نصيبهم من الحصص والمقاسم ، والمراعي ، والكهوف ، والعرقان ، والشرب ، والري من العيون ، والبرك ، والأنهار ، والجداول ، وحقوقهم بالمرور عبر الطرق ، والممرات ، والجسور ، واستصلاح الأراضي الموات المجاورة ، ودفع القبائل البدوية نحو الاستقرار واحتراف الزراعة إلى جانب تربية المواشي ، وأسهمت بفعالية كبيرة في حركة التصدير ، وفي مقدمتها قبائل بئر السبع التي ركزت على زراعة الشعير ، وجنت منه أرباحا طائلة بعد أن وجد له أسواقا رائجة في بريطانيا نظرا لجودته العالية في صناعة البيرة<sup>(٢)</sup> .

(١) القدس ٣٦٢ ، ص ٢٦-٣٠ ؛ القدس ٣٧٨ ، ص ٧ ؛ شولش ، الكزاندر ، تحولات جذرية في فلسطين

١٨٥٦-١٨٨٢ م ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان الأردن ، ١٩٨٨ م ،

ص ٣٠ ، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : شولش ، تحولات .

(٢) دفتر طابو جنين (١٢) كشف مزايدة ، ص ١-٥٠ ؛ يافا ٢٠ ، ص ٥٩ ؛ القدس ٣٦٦ ، ص ٥١ ؛

القدس ٣٧٧ ، ص ٧٨-٧٩ ؛ القدس ٣٧٨ ، ص ١٣٨-١٣٩ ، ١٤٤ ؛ القدس ٣٧٩ ، ص ١٤٨ ؛

القدس ٤٠٩ ، ص ٨٤ ؛ جريدة فلسطين ١٩١١/٨/٢٦ ؛ ١٩١١/٨/٣١ ؛ ١٩١٢/٩/١٧ ؛ شولش ،

تحولات ، ص ٩٦ .

Thomson, William .M.: The land and the Book, London, 1894, P.494,519.

وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : OP.Cit., .

وفي ضوء زيادة الطلب على الأراضي ، وارتفاع ربحيتها ، وأسعارها في فلسطين ، لجاء بعض السكان بما فيهم كبار الملاكين لتكوين ملكيات لهم في شرق الأردن ، ولواء حوران حيث تنتشر مساحات واسعة من الأراضي المعطلة والموات ، وتعتمد في رزقها على الثروة الحيوانية ، وخدمات قافلة الحج الشامي<sup>(١)</sup> كما هي الحال في ملكية آل الحسيني للجنوب من عمان<sup>(٢)</sup> .

### ٣- ارتفاع معدلات الإنتاج:

رافق التنظيمات زيادة الإنتاجية والأرباح ، وذلك بعد أن فعلت دورها في حركة الاقتصاد ، وقطاعات الزراعة ، والحرف ، والتجارة ، والخدمات ، فالأراضي الممتدة في محيط المدن ، والقرى ، والبلدات الريفية الكبيرة حققت أرباحاً طائلة بعد أن شملت تنظيمات المجالس البلدية ، وغطت عليها المشاريع العمرانية ، وبات على الحقول ، والحدائق ، والبيارات ، والكروم أن تتراجع خطوة إلى الوراء عن الأحياء ، والتحصينات الدفاعية القديمة ، لتفسح المجال أمام الأحياء الجديدة بالظهور ، وما رافقها من طرق ، وأرصفة ، وموانئ ، وساحات ، ومحطات للعربات ، والسكك الحديدية ، والسيارات ، والأسواق ، والمقاهي ، والمتنزهات ، والفنادق ، والمكاتب القنصلية ، والتجارية ، والمشافي ، والمدارس ، والمصانع

(١) قارن بين الآتية :- القدس ٢٧٢ ، ص ١٥ ، ٣٤-٣٦ ؛ القدس ٢٧٣ ، ص ٣٦ ؛ القدس ٣٠٢ ، ص ٤٢ ؛ القدس ٣٠٦ ، ص ٥٥ ؛ القدس ٣١٢ ، ص ٣ ؛ القدس ٣١٣ ، ص ٣٢ ؛ القدس ٣٢٨ ، ص ٤٩ ؛ القدس ٣٧٤ ، ص ٢١-٢٢ ؛ القدس ٤٠٣ ، ص ٤٧ ، ٢٦٧ ؛ القدس ٤٠٥ ، ص ٣٢١ ؛ القدس ٤٠٧ ، ص ٨٧ ، ١٢٩ ؛ يافا ٣ ، ص ١٩ ؛ يافا ١٢ ، ص ٤٦ ، ٩٠ ؛ نابلس ٧ ، ص ٣٠٢ ؛ العورة ، إبراهيم ، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل ، تحقيق قسطنطين الباشا الخلصي ، صيدا ، ١٩٣٦ م ، ص ٩ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : العورة ، تاريخ ؛ شقير ، نعوم بك ، تاريخ سيناء ، القاهرة ، ١٩١٦ م ، ص ٢٦٩ ؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : شقير ، تاريخ .

(٢) القدس ٤٠٥ ، ص ٢٢١ ، ٣٢١ ؛ القدس ٤٠٧ ، ص ٣٨٨ .

وغيرها ، وما تزال نسبة كبيرة من شواهدا قائمة حتى اليوم ، وكانت مدينة القدس رائدة التقدم العمراني في ذلك الحين ، بسبب تسارع وتيرة نموها السكاني ، وتلاها في ذلك المدن الساحلية التي شهدت حركة اقتصادية نشطة ، عكست إلى حد كبير دورها في الوساطة التجارية بين مناطق الإنتاج ، والتصدير ، والاستيراد<sup>(١)</sup> في حين تقدمت بعض القرى خطوة إلى الأمام لتأخذ لقب مدينة ، ومن بينها قرية رام الله التي ، تحولت إلى مدينة ١٩١٠م<sup>(٢)</sup> .

وما لا شك فيه أن ازدهار النشاط العمراني قد انعكس على بنية الاستهلاك ، وأنشطة المجتمع الاقتصادية ، والأراضي الممتدة في الخارج ، بصرف النظر عن بنية استغلالها ، فكروم الزيتون التي اشتهرت بها فلسطين بعامة ولواء نابلس ، وقرية الرامه الجليلية بخاصة ، لم يعول عليها في إنتاج زيت المائدة ، والعقاقير العلاجية وحسب بل أسهمت أخشابها في تصنيع التحف التذكارية ، التي ازداد الطلب عليها في أسواق المدن المقدسة ، والفحم ، والصابون ، والإنارة قبل دخول الكاز المستورد من الولايات المتحدة الأمريكية ، كما استغلت أوراقه ، وأغصانه ، ومخلفات عصره أعلافا للحيوانات ، والتدفئة ، وشوي الفخار ،

(١) القدس ٣٤٣ ، ص ١١٨ ؛ القدس ٣٩٥ ، ص ٧٠ ؛ القدس ٣٩٨ ، ص ٤١ ؛ القدس ٤١٢ ، ص ١٣-١٤ ؛ يافا ٤١١ ، ص ١٤٥ ؛ يافا ٤٨٨ ، ص ١٠٠ ؛ يافا ٥٤٤ ، ص ٦١-٦٢ ؛ يافا ٩٦٦ ، ص ٢٤٧ ؛ الخليل ٢٣ ، ص ١٢-١٣ ؛ دفتر طابو عكا (٢٨) سكة الحجاز ، ص ٢-٥ ؛ دفتر طابو يافا (٢) مسققات ، ص ١- ؛ دفاتر بلدية نابلس العثمانية ، ١٨٨٦-١٩١٨م ، دفتر ١-٢٥ ؛ جريدة المنادى ١٩١٣/٥/٧ ؛ مجموعة الصور الجوية التي التقطها الطيارين الألمان خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٧/١٩١٨م ؛ جولة ميدانية في حي المصراة من مدينة القدس ، ٢٥/٦/٢٠١٦ ؛ جولة ميدانية في حي الشويترية ، نابلس ، ٢٩/١/٢٠١٧ ؛ لندمان ، شمعون ، أحياء أعيان القدس خارج أسوارها في القرن التاسع عشر ، إصدار دار النشر العربي ، تل أبيب ١٩٨٤م ، ص ٤١ ؛ وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : لندمان ، أحياء ؛ شولش ، تحولات ، ص ٤٤- . أبو بكر ، ملكية ، ص ٣٧٤-٣٤٧ .

(٢) جريدة المنادى ١٩١٣/٥/٧ .

وتسخين المياه بالحمامات ، وأسوة بها وقع على عاتق المرعى والغابة بثروتها الحيوانية تزويد السوق بطاقة الحمل والجر اللازمة لنقل البضائع والمسافرين وجر العربات ، وتشغيل معاصر الزيتون ، والطواحين ورفع المياه من الآبار ، والأودية ، وحرارة الأرض ، وذلك قبل دخول الآلات ، وتصدير فائض منتجاتها من اللحوم ، والعظام ، والجلود ، والأصواف والوبر ، والقرون ، والألبان ، والبيض ، والعسل ، والشمع ، والفراء ، للخارج ، وتزويد الصناعات المحلية بما تحتاجه من مواد أولية لتصنيع المأكولات والملابس ، والقرب والأحذية ، والمفروشات ، وأغمدة السكاكين ، والخناجر ، والسيوف<sup>(١)</sup> .

ونتيجة للتوسع الأفقي الكبير بالأنشطة الزراعية والحرفية ، رافقه توسع رأسي بالقدرات الإنتاجية ، ومن المؤشرات الدالة على ذلك التوسع بإنشاء الحقول ، والبساتين ، والمزارع وفتح المحاجر ، وأفران الفخار ، والجير ، والزجاج ، والإسمنت ، والفحم النباتي ، وتربية القطعان ، وأسراب الطيور والدواجن ، وإدخال مجالات التحديث إلى حيز العمل ، وتشتمل على الآلات التي حلت محل طاقة الحيوان ، والإنسان المتواضعة ، والمضخات لسحب المياه وضخها من الآبار لري البيارات ، والجرار البخاري ، ومحراث البلق الذي تجره مجموعة من الخيول ، والبغال في حرارة الأرض ، وتطور أساليب مكافحة الآفات ، والأمراض ، والأوبئة ، والقوارض باستخدام المبيدات ، والعلاجات البيطرية ، والتقاوي ، والسلالات المحسنة<sup>(٢)</sup> .

(١) والعارف ، الفصل ، ص ٣٤١-٣٥٠ ؛ شولش ، تحولات ، ص ٩٦- .

(٢) القدس ٤١٣ ، ص ٦٣ ؛ حيفا ٨ ، ص ٢٠٨ ؛ جنين ١٨ ، ص ١٢٢ ؛ جنين ٢٢ ، ص ١٣٥-٢٣٧ ؛

يافا ١٤٤ ، ص ١٨٠ ؛ يافا ١٦٦ ، ص ٢٧٥ ، ٢٩٩ ؛ يافا ١٨٨ ، ص ٢٠ ، ٢١ ؛ يافا ١٩٢ ، ص ٢٢٣-

٢٢٨ ؛ يافا ١٩٦ ، ص ١٧٠ ؛ جريدة المؤيد ، ١٦/٩/١٩١٤ ، ص ١-٢ ؛ جريدة المقتبس ٩/٥/١٩١٥ م ؛

جريدة الكوكب ١٥/٥/١٩١٧ م ، ص ١ ؛ جريدة البشير ، ١٣/١٢/١٩١٩ م ؛ جوهري ، واصف ،

القدس العثمانية في المذكرات الجوهري ، ج ٢ ، مؤسسة الدراسات المقدسية ، القدس ، =

وتتجلى قدراتها الإنتاجية ، في سد حاجة السوق المحلية من السلع ، والبضائع ، وتصدير الفائض عن الحاجة للأسواق الإقليمية ، والدولية في مصر ، والحجاز ، وشرق الأردن ، ولبنان ، والدول الأوروبية ، وهو ما عاد على المزارعين ، ومربي القطعان ، والحرفيين ، والوسطاء ، والتجار بالأرباح الطائلة ، ودفع بالمواقع المأهولة ، وأقاليمها للتخصيصية بالإنتاج ، وفق معطيات المناخ ، ومستوى الخصوبة ، وتكريس مهاراتها في إنتاج محصول ، وسلعة محددة مما استحققت معه لقب الشهرة ، والإبداع فاشتهرت غزة بزراعة القمح والبطيخ ، وبشر السبع بالشعير ، وبافا بالحمضيات ، وارتفع إنتاجها من (١-٦) مليون صندوق في العام ، وسهل مرج بن عامر بالحبوب ، والبطيخ ، وسهول طولكرم بالبطيخ ، والقطن ، وتقدمت نابلس بصناعة الصابون ، والكنافة وهو ما فعل كروم الزيتون في سلفيت لتزويدها بالزيت ، والثروة الحيوانية ، لإعداد حشوتها من الجبنة ، واشتهرت ناحية الشعراوية بأحراشها الكثيف وإنتاج جبنة الماعز الذي لا ينافسها فيه منافس ، وتخصصت القدس ، وبيت لحم بالتحف ، التذكارية اللازمة للزوار ، والحجاج الوافدين إلى الأماكن الدينية المقدسة ، ومدينة الخليل بتصنيع الزجاج ، والخزف ، ودباغة الجلود بالإضافة إلى زراعة العنب ، والتين وتصنيع الدبس ، والزبيب ، والقطين ، وهو ما أهل فلسطين للمشاركة في معرض الإنتاج الدولي في مدينة فيينا ١٨٧٣م<sup>(١)</sup> .

= ٢٠٠٣م ، ج١ ، ص١٩٠-١٩١ ، ٢٤٥ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : جوهريه ، القدس ؛ الغزي ، كامل ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج٣ ، المطبعة المارونية ، حلب ، حلب ، سوريا ، ١٣٩٥هـ/١٩٢٦م ، ج٣ ، ص٥٢٣-٥٣١ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : الغزي ، نهر ؛ صلاح ، ص٣١-٣٢ ، ٤٢-٥٦ ؛ النمر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ شولش ، تحولات ، ص١٠٦ .  
(١) بازبلي ، سورية ، ص٢٠-٢١ ؛ شقير ، تاريخ ، ص١٠٠-١٠١ ؛ شولش ، تحولات ، ص١٧٧ .



#### ٤- تسارع عجلة الإعمار:

نتيجة للتنظيمات اندفعت عجلة العمران للأمام ، بصفتها حجر الزاوية للأنشطة الاقتصادية ، فمع استقرار الملكية ، وتنامي نزعتها ، والتوجهات الحثيثة لرفع الإنتاجية ، تشجع السكان للقيام بحملة إعمار واسعة النطاق لم تشهدها فلسطين من قبل ، وجاء ذلك نتيجة لاستتباب الأمن ، بعد أن هجروها بفعل الحروب والصراعات الداخلية ، وغارات القبائل البدوية المحلية ، والوافدة ، وعودة السكان اللذين أجبروا على ترك مواقعهم ، وإعمارها من جديد ، ناهيك عن ارتفاع النمو الطبيعي للسكان بفعل تحسن مستويات المعيشة والخدمات الصحية<sup>(١)</sup> .

(١) قارن بين الآتية : القدس ٢٦٦ ، ص ٨٧-٨٨ ؛ القدس ٢٧٨ ، ص ١٣٠-١٣١ ؛ القدس ٢٨٩ ، ص ٦٨ ؛ القدس ٢٩٠ ، ص ٢ ؛ القدس ٢٩٦ ، ص ٧٧ ؛ القدس ٢٩٨ ، ص ١٠ ؛ القدس ٣٠٠ ، ص ٢ ؛ القدس ٣٠١ ، ص ١١٣ ؛ القدس ٣٠٣ ، ص ١٥٢-١٥١ ؛ القدس ٣٠٤ ، ص ١٤ ؛ القدس ٣٠٦ ، ص ٤٦ ؛ القدس ٣١١ ، ص ٥٤ ؛ القدس ٣١٥ ، ص ٧١ ؛ القدس ١١٢-١١٤ ؛ القدس ٣٢٠ ، ص ٥٨ ؛ القدس ٣٢٣ ، ص ٦١-٦٣ ، ١٣٧ ؛ القدس ٣٢٨ ، ص ٤٩ ؛ القدس ٣٢٩ ، ص ٢٠ ؛ القدس ٣٣٦ ، ص ٢٣ ؛ القدس ٣٩٧ ، ص ١٠٣ ، ١٩٢ ؛ القدس ٤٠٩ ، ص ٢٠-٢١ ، ٧٣ ؛ نابلس ٩ ، ص ١٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٤ ، ٣٤٢ ، ٣٩٨ ؛ نابلس ١٠ ، ص ١٥٨-١٦٠ ؛ نابلس ١٢ ، ص ٤٠-٤٢ ، ٦٧-٦٧ ؛ نابلس ١١٣ ، ص ١٨٦ ، ٢١٩ ، ٢٣٩ ؛ نابلس ١٣ب ، ص ٢٥ ، ٢٨ ، ١٠٣-١٦٨ ، ١٧٨ ؛ نابلس ١٤ ، ص ٥١ ، ٢٧٨ ؛ نابلس ١٥ ، ص ١٣٥-١٧٢ ؛ نابلس ٢٢ ، ص ٣٥٧ ؛ نابلس ٤٠ ، ص ٨-٩ ؛ يافا ، ١٢ ، ص ٤٦-١٠٨ ؛ يافا ٩٤ ، ص ٩١ ؛ العورة ، تاريخ ، ص ٧٠- ؛ الشهابي ، لبنان ، ص ٣٧٠ ، ٥٥٤ ، ٦٢٨-٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٧١١ ؛ المحفوظات ، م٣ ، ص ٢٠٨-٢١١ ؛ دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات ، ص ٤٠ ؛ العارف ، العارف ، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس ، ١٩٣٤م ، ص ١٢٧ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : العارف ، تاريخ بئر شقير ، تاريخ ، ص ٨٥ ؛ المر ، كتاب ، ص ١٢-١٣ ؛ شولس ، تحولات ، ص ٣٠- ؛ أبو بكر ، ملكية ، ص ١٢٨-١٣١ .

Finn, Stirling, Vol.1, P.404, 454, Thomson, The land, P.494, Tristram, Israel, P.485. Tristram, H.B.: The Land of Moab, London, 1873. Oliphant, Laurence. The land of Gilead With Excursion in the Lebanon, Edinburgh and London, 1880.

وبموجب ذلك فقد تشجعت المجموعات الطموحة من الأهالي ، لمد أيديهم للأراضي المعطلة والموات البعيدة<sup>(١)</sup> وتستغرق الرحلة إليها من وإلى الموقع الأم ساعات طويلة ، مما اقتضى إعمار العزبة أو الخربة أو المزرعة أو الغابة-ساد مصطلح الغابة في السهل الممتد بين طولكرم ويافا- للإقامة الموسمية خلال فترات العمل ، واستغلال ما ينتشر فيها من خرائب قديمة لبناء البيوت ، وزرائب الحيوانات ، والآبار ، والكهوف ، والمطامير لتخزين المياه ، والغلال ، وبتوالي السكن والإعمار ، تحولت لقرية ناشئة<sup>(٢)</sup> .

علاوة على ذلك ، شجعت القبائل البدوية على الاستقرار واحتراف الزراعة ، إلى جانب تربية المواشي ، هو ما حولها من معول هدم إلى معول بناء ، وفعل أراضيها الخصبة ، والمتخمة بالمواد العضوية في حركة الاقتصاد ، وبالاستناد إلى البيانات التي زودتنا بها المصادر الأولية المتوافرة بين أيدينا ، وفي مقدمتها سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الطابو ، والأوقاف ، والصحف حول القرى التي خربت وأعيد إعمارها والخرائب التي انتعشت من جديد ، فإن المقاطعات الفلسطينية قد شهدت ، خلال حقبة الدراسة بناء ، عدد كبير من المدن والقرى والمزارع والخراب وإعمارها ونموها<sup>(٣)</sup> ، وفي مقدمتها مدينة بير السبع

(١) قانون الأراضي ، المادة (٦ ، ١٠٣) ؛ يفا ١٢٨ ، ص ١٩٠ ؛ القدس ٣٥٣ ، ص ١٣٠ ؛ القدس ٣٦٨ ، ص ٩٥ ؛ نابلس ١٢ ، ص ١٣٣ ؛ نابلس ١٧ ، ص ٧٢٠ ؛ نابلس ١٨ ، ص ١١٣ ؛ نابلس ٢٠ ، ص ٢٥٣ ؛ نابلس ٤٥ ، ص ١٣١ ؛ فلسطين ١٩١١/٩/٢ ؛ م ١٩١١/٨/٣١ ؛ جريدة المنادى ١٩١٢/٨/٢٠ ؛ الخنيلي ، موجز ، ص ٣٠٣ .

(٢) دفتر طابو (١٨) رمل زيتا ، ص ١- ؛ القدس ٣٤٧ ، ص ٢٥-٢٦ ؛ الخليل ٢ ، ص ٣٩-٤٥ ؛ الخليل ١٢ ، ص ٧٠ ؛ أبو بكر ، السلطان ، ص ١ .

(٣) دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات أراضي ، ص ١-٥ ؛ دفتر طابو جنين (١٢) كشف مزايده ، ص ١-٥٠ ؛ القدس ٣٤٧ ، ص ٢٥-٢٦ ؛ الخليل ٢ ، ص ٣٩-٤٥ ؛ الخليل ١٢ ، ص ٧٠ ؛ أبو بكر ، ملكية ، ص ١٢٢- .

التي عهد بتخطيطها لمهندس بلدية يافا راغب النشاشيبي ١٩٠٦م، وكانت حجر الزاوية لإجراء القبائل البدوية على الاستقرار<sup>(١)</sup>، كما أغرت الأراضي الخصبة وخرائب القرى المدمرة بفعل زلزال ١٨٣٧م، في ناحية بني حارثة بعض أسر قبيلة بني حسن الأردنية للاستقرار في قرية عربونه وإعمارها، ولا يزال أبنائها إلى يومنا هذا ينسبون للقبيلة الأم «بني حسن»<sup>(٢)</sup> ومن الشواهد الدالة على ذلك ما تظهره العينة الخاصة بلواء نابلس المشمولة بالجدول الآتي :

القرى والمزارع والخرب التي خربت وأعيد إعمارها في لواء نابلس  
وجنين ١٨٣١-١٩١٨<sup>(٣)</sup>

الرقم	الموقع	الرقم	الموقع	الرقم	الموقع
ملحقات بيسان					
١	بيسان	٢	الناعورة	٣	الطيبة
٤	كفر مصر	٥	الزيناتى	٦	دنه
٧	الأشرفية	٨	فرونه	٩	كفره
١٠	السامرية	١١	الساخنة	١٢	جبول
١٣	تل الشوك	١٤	عرب الصقر	١٥	سيرين

(١) القدس ٣٩٨، ص ٤١؛ يافا ٩١١، ص ١٠٠؛ يافا ١٤٨، ص ٣٦٥؛ شقير، تاريخ، ص ٥٨٩؛ العارف، العارف، تاريخ بئر، ص ٣١، وطوطح وخورى، ص ٩٦-٩٧؛ جريدة البشير ١/٢/١٩٠١م؛ جريدة فلسطين ٦/٣/١٩١٢م؛ مجموعة الطيران الألماني، ١٩١٧/١٩١٨م.

(٢) جولة ميدانية في قرية عربونه، ١/٢/٢٠١٧م.

(٣) مصدر الجدول: سجلات المحاكم الشرعية، ودفاتر الطابو العثمانية، والجولات الميدانية، والخرائط.

Conder .C.R.and Kitchener .R.E, Map of Western Palestine, In 26 Sheets from Surveys Conducted for the committee of the Palestine Exploration Fund, during the years 1872-1877,1: 63360 Mill, London ,1880.

عرب الغزاوية	١٨	الخان الأحمر	١٧	مرصص	١٦
اندور	٢١	نورس	٢٠	الحميدية	١٩
البيره	٢٤	طمره	٢٣	نين	٢٢
شطه	٢٧	قومية	٢٦	كوكب الهوى	٢٥
الدحي	٣٠	سولم	٢٩	الطيبه (الزعبية)	٢٨
ملحقات جنين					
نزلة الشيخ زيد	٣	ميسر	٢	دير غزاله	١
ظهرة العبد	٦	بير حسن	٥	صندلة	٤
كواكب	٩	عرايه	٨	زلفه	٧
طبرس	١٢	الحفيره	١١	زبوبا	١٠
خربة النخيل	١٥	معاوية	١٤	خروبه	١٣
عقادي	١٨	مشيرفه	١٧	عابا	١٦
عين السهله	٢١	اللجون	٢٠	سالم	١٩
العكابه	٢٤	عين إبراهيم	٢٣	رمانه	٢٢
خور صقر	٢٧	مصمص	٢٦	تل الذهب	٢٥
الخلجان	٣٠	المزار	٢٩	فقوعة	٢٨
جنزور	٣٣	المغير	٣٢	طوره الغربية	٣١
عربونه	٣٦	مقبيله	٣٥	طوره الشرقية	٣٤
مزرعة بسمه	٣٩	المنسي	٣٨	أم الريحان	٣٧
منشية العطارى	٤٢	البارد	٤١	أم دار	٤٠
طبية الزعران	٤٥	تعنك	٤٤	زبده	٤٣
عزبة عرايه	٤٨	عرايه	٤٧	برطعه	٤٦
تلفيت	٥١	بيت قاد	٥٠	ظهرة أبو صفت	٤٩
ظهر المالح	٥٤	السعادة	٥٣	الطرم	٥٢
زاوية أبو الوفا	٥٧	الكفير	٥٦	مركه	٥٥

نتائج تنظيمات الأراضي العثمانية الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين

٥٨	فحمه	٥٩	صير	٦٠	أم القطف
٦١	فراسين	٦٢	خربة الحمام	٦٣	عقابه
٦٤	عزبة مريحه	٦٥	الجربا	٦٦	بير الباشا
٦٧	أم التوت	٦٨	مزرعة الصباح	٦٩	جلقموس
٧٠	دير أبو ضعيف	٧١	جلبون	٧٢	الجلمة
٧٣	عراق النقمة	٧٤	زرعين	٧٥	زبوه
ملحقات نابلس					
١	طانا	٢	كفرور	٣	الفارعه
٤	عراق بورين	٥	كردلا	٦	عُسكر
٧	الجفتلك	٨	كشده	٩	كوزا
١٠	كفر بيتا	١١	النصارية	١٢	النصيرات
١٣	الفروش	١٤	بردلا	١٥	سباتا
١٦	عين شبلي	١٧	خربة الملاحه	١٨	أم حريرة
١٩	ابزيق	٢٠	فصايل	٢١	بيتا التحتا
٢٢	الساكوت	٢٣	خربة الطويل	٢٤	بيتا الفوقا
٢٥	دير الأقرع	٢٦	زعترا	٢٧	العقربانية
٢٨	عين البيضاء	٢٩	عراق التايه	٣٠	مسيل الجزل
٣١	مرج نعجه	٣٢	خربة الدشه	٣٣	بركة أبو رمضان
٣٤	حوارة	٣٥	المخروق	٣٦	رأس عطية
٣٧	قبعيت	٣٨	الطمونية	٣٩	الصورتين
٤٠	كفرور				
ملحقات طولكرم					
١	نزلة عيسى	٢	عرب الحوارث	٣	دير الغصون
٤	الطيبة التحتا	٥	غابة كفر صور	٦	الجلمة
٧	الطيبة الفوقا	٨	خربة بيت ليد	٩	يمه

غابة الزبايده	١٢	بئر السكة	١١	خربة زلفة	١٠
الخربة	١٥	تبصر أو خربة عزون	١٤	نزلة أبو نار	١٣
صير	١٨	وادي القباني	١٧	نزلة الدبور	١٦
صوفين	٢١	حريش	٢٠	نزلة التينات	١٩
غابة العبابشه	٢٤	كفر برا	٢٣	النزله الوسطه	٢٢
كفر لاقف	٢٧	ابثان	٢٦	النزله الشرقيه	٢٥
أم خالد	٣٠	ارتاح	٢٩	فرديسيا	٢٨
المسقوفة	٣٣	صوفين	٣٢	فرعون	٣١
دير عشاير	٣٦	شوفه	٣٥	غابة مسكة	٣٤
المرجة	٣٩	اكتابا	٣٨	قاقون	٣٧
المهداوي	٤٢	كفر رمان	٣١	المجدل	٤٠
غابة جيوس	٤٥	فلامية	٤٤	مسكه	٤٣
خربة المنشية	٤٨	خربة الأشقر	٤٧	الطيرة	٤٦
زيتا	٥١	المجدل	٥٠	أم خالد	٤٩
غابة الطيبة القبليه	٥٤	غابة الطيبة الشمالية	٥٣	الجلمة	٥١
قلنسوة	٥٧	خربة قزازه	٥٦	أم صابونه	٥٥
ملحقات سلفيت					
خربة قيس	٣	فرخة	٢	عسله	١
خربة كفر ثلث	٦	رنتيس	٥	دير بلوط	٤
الكفر	٩	اللبن الشرقي	٨	ديراستيا	٧
مجدل يابا	١٢	اللبن الغربي	١١	قراوة بني حسان	١٠
تل	١٥	جماعين	١٤	كفل حارس	١٣
عوريف	١٨	زيتا جماعين	١٧	حارس	١٦
يتما	٢١	مسحة	٢٠	قيره	١٩
سنيرية	٢٤	مرده	٢٣	ياسوف	٢٢

٢٥	سرطه	٢٦	الزاوية	٢٧	عزون عتمه
٢٨	كفر الديك	٢٩	رافات	٣٠	بديا
٣١	بيت أمين	٣٢	دير سمعان	٣٣	اسكاكا
٣٤	عينبوس	٣٥	كفر قاسم	٣٦	الساوية
٣٧	حبله	٣٨	بروقين	٣٩	عموريا

ويظهر الجدول أن ما يفوق الـ(٢٤١) موقعا مأهولا في لواء نابلس وجنين قد تعرض للخراب قبل ١٨٦٩م ، فترة معينة من الزمن بفعل الزلزال المدمر الذي ضرب المنطقة ١٨٣٧م ، والحرب الأهلية ، وغارات القبائل ١٨٣١-١٨٦٠م ، والأوبئة ، والفيضانات ، وتقلبات المناخ الخارجة عن المألوف ، وهجمات الجراد ، وغيرها من العوامل الطبيعية والبشرية المتزامنة والمتعاقبة .

ومع انطلاق حركة التنظيمات ، وفرض نظام الحكم المركزي ، واستتباب الأمن ، واكبتها موجة إعمار واسعة لم تعمر المواقع التي حل بها الخراب حديثا حسب ، بل تجاوزتها للخرائب البائدة ، وإن المواقع التي لم يطالها العمران لم تتجاوز الـ(١٠) مواقع ، حيث نقل سكانها حجارة بيوتهم إلى موضع مجاور تتوافر فيه مقومات العيش والاستقرار ، مثل عُسكر التي نقلت إلى جنصافوط ،<sup>(١)</sup> وكواكب إلى يعبد<sup>(٢)</sup> ، بينما ما تزال خرائب طبرس شمال شرق

(١) نقل سكان عُسكر حجارة بيوتهم إلى رأس التل حيث تقوم جنصافوط ، الذي سهل معه المراقبة وبناء التحصينات الدفاعية ووصلت مسافة النقل نحو(١٠٠٠) م ولا يزال أهل القرية يتداولون على ألسنتهم فكرة النقل بعد أن خربت بفعل الحروب الأهلية ، في حين ظلت البركة خزاناً مهما للمياه وتظهر آثارها حتى اليوم : جولة ميدانية في قرية جنصافوط ، ٢٠/١/٢٠١٧م .

(٢) استخدم أهالي يعبد حجارة كواكب القائمة على نحو(٣) كم من قريتهم مقالع حجرية سهلة لبناء بيوتهم ، وهو ما حول موضعها إلى مزارع للتبغ ومن الشواهد الدالة على آثارها تربتها السمراء المتخمة بالرماد والآبار والصهاريج الضخمة وبقايا الحجارة المنقوشة التي تنسلها محارث الجرارات الزراعية وقطع الفخار المتناثرة :- جولة ميدانية في قرية خربة كواكب ، ١/١/٢٠١٧م .

كفر راعي قائمة ولم تعمر حتى اليوم،<sup>(١)</sup> وأسوة بها كفرور والصورتين للجنوب من نابلس،<sup>(٢)</sup> وغالبا ما جاء الإعمار بعودة السكان القدماء كما هي الحال في قرى سلفيت التي أعيد إعمارها بتوقف الحرب الأهلية ١٨٦٠م، في حين عمرت بعض القرى على يد مجموعات سكانية وافدة، كما هو الحال في عربونة، وكفر مصر، واندفاع القرى الكبيرة لإعمار ما يحيط بها من أراضي للحيلولة دون دخول أطراف خارجية تعمل على منافستهم في المستقبل، وقد انطلقت عجلتها بانسحاب الجيش المصري من بلاد الشام ١٨٤٠م، وبلغت ذروته بتهدة الحرب القيسية، واليمينية، وفرض الحكم المركزي، واستتباب الأمن، والشروع بالمسح والتسجيل ١٨٦٩م، ففي محيط قرية يعبد عمّر السكان الخرائب القديمة بهدف الاقتراب من الأراضي الزراعية، والمراعي، والغابات، وأحراش البلان، التي يمكن استثمارها في الزراعة، والرعي، وتصنيع الفحم، والجير، ودبس الخروب، والزعرور، والأدوات الزراعية، والرکس، ودعامات السقوف، والمباني، ويصعب الوصول إليها في رحلة يومية من وإلى القرية الأم،<sup>(٣)</sup> بينما وجهت الدولة المجموعات السكانية الوافدة من المغرب العربي بسبب الاستعمار الفرنسي، ومهاجري البوسنة والهرسك، والشركس، والشيشان لإعمار القرى الخاربة، وباتت محط أنظار الحركة الصهيونية، مثل هوشة التي عمّرها الجزائريون، وقيسارية، وخربة الشركس التي أعمارها الشركس والبوسنيون<sup>(٤)</sup>.

(١) جولة ميدانية في خرائب طبرس، ٢٧/١/٢٠١٧م.

(٢) جولة ميدانية في خرائب كفرور والصورتين، ٢٨/١/٢٠١٧م.

(٣) إن من يتجول في محيط القرية يلحظ القرى الناشئة ومخلفات تصنيع الفحم والجير: جولة ميدانية في قرية يعبد، ١/١/٢٠١٧م.

(٤) ملفات أوقاف اللواء الشمالي، مكتبة بلدية نابلس، صندوق (٢٣)، ملف (١) قرية العمال العرب، وثيقة (١-٢٥)، ١٩٣٤-١٩٤١م؛ جريدة الجهاد ١١/٧/١٩٣٩م؛ الدباغ، ج٧، ص٣٤٥؛ جريدة الاتحاد العثماني ٣٠/٩/١٩٠٩م؛ جريدة الاتحاد العثماني، ٢٥/٤/١٩١٠م؛ افنيري، =



ومن الجدير بالذكر أن انتكاسة مشروع الدولة العثماني ١٨٧٢م ، في ناحية بني حارثة التي دمرها زلزال ١٨٣٧م ، جاء نتيجة لهجمات قبيلة بني صخر من البادية الأردنية ، وحلفائهم بني صقر في سهل بيسان ، إلا أن هذه الانتكاسة لم تنهها عن إعادة إعمارها ثانية<sup>(١)</sup> وإن عجز السكان عن الوفاء بمستلزمات الإعمار دفع بأراضيهم للمزاد العلني فرست على كبار الملاكين وفي مقدمتهم آل سرسق<sup>(٢)</sup> .

### ٥-تعزيز ميزانية الخزينة:

أصدرت الدولة العثمانية تنظيماتها بهدف حفظ حقها في ملكية رقبة أراضيها ، وتفعيلها في واردات الخزينة ، حيث بات معروفا من خلال السجلات مالك الأرض ، والمتصرف بها ، ومساحتها وقدراتها الإنتاجية ، وما يترتب على إنتاجها واستغلالها ومعاملاتها من عائدات ، كرسوم التسجيل ، وأثمان القواشين ، والمعاملات ، وضرائب المسقفات ، وأعشار الإنتاج ، ورسوم التصدير ، وجمارك الاستيراد ، والبيع ، والشراء ، التي جنتها الخزينة في مراكز الألوية ، والأقضية ، وغالبا ما وجهت للإنفاق على مشاريع التنمية والبناء ، كشق الطرق ، وبناء الجسور ، والسكك الحديدية ، والموانئ ، والمدارس ، والمشافي ، والبريد ، والتلغراف ، والبنوك ، ورواتب الموظفين<sup>(٣)</sup> .

= أريه ل. دعوى نزاع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب ١٨٧٨-١٩٤٨م ، ترجمة بشير البرغوثي ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان ، ١٩٨٦م ، ص ١٩ ؛ وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : افنيري ، دعوى ، الدر ، ص ١٦٣ .

- (١) دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات أراضي ، ص ١-٥ ؛ دفتر طابو جنين (١٢) كشف مزايده ، ص ١-٥٠ ،  
 (٢) سرسق : تحريف لكلمة سر السوق : أبو بكر ، سرسق ، ص ١ .  
 (٣) الدستور ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ ؛ دفتر طابو جنين (١١) تحقيقات أراضي ، ص ١-٥ ؛ دفتر طابو جنين (١٢) كشف مزايده . ص ١-٥٠ ؛ القدس ٣٤٧ ، ص ٢٥-٢٦ ؛ القدس ٣٨٥ ، ص ١٤٨-١٤٩ ؛ القدس ٣٩١ ، ص ٨٨ ؛ البشير ١٨/٤/١٨٩٤م ، ص ٢ ؛ الأسود ، رحلة ، ص ١٠٥-١٠٨ ؛ العارف ، الفصل ، ص ٣٣١ ؛ مجموعة الطيران الألماني ، ١٩١٧/١٩١٨م ؛ شولش ، تحولات ، ص ٦٠ .

وشمل التعزيز والضبط جميع الملكية العقارية، بما فيها المسقفات، وأراضي الأوقاف المحبوسة على المؤسسات الخيرية، واستطاعت من خلال عمليات المسح، والتسجيل ضبطها، وتخليصها من أيدي المستبدين،<sup>(١)</sup> وتوجيه مصروفاتها بالتعاون مع وزارة الأوقاف، للعمل الخيري، وهو ما ضمن للمؤسسات الوقفية استمرارية الإعمار، وعملا بذلك خلصت عائدات (٢٠) وقفا من الفوضى ووجهتها على مصالح التعليم في المسجد الأقصى، واشتملت على (١٦٢) موقعا، واعتبرتها أوقافا «مدرسة»، وأحالت عائداتها لصندوق الأوقاف، وللحيلولة دون تسربها، وتحويلها لممتلكات خاصة، حرصت الدولة على تدقيق معاملات الأراضي من جانب دائرة الأوقاف، وتمثيلها في عضوية مجالس الإدارة لمناقشة القضايا التي تهم الأراضي، ومن أهم الأوقاف المحالة أوقاف تكية خاصكي سلطان زوجة السلطان القانوني والمدارس القائمة في الرواق الشمالي والغربي وساحات المسجد الأقصى وهو ما رفع أوقافه من (٤٨-٢١٠) مواقع<sup>(٢)</sup>.

(١) دفتر طابو يافا (٢) مسقفات، ص ١-؛ دفتر طابو يافا (١١) مسقفات، ص ١-؛ دفتر طابو يافا (١٤)

أراضي موقوفة، ص ١-؛ دفتر طابو يافا (٢١) مسقفات، ص ١.

(٢) جمعت الإحصائية من سجلات المحاكم الشرعية، ودفتر تحرير (T.D131131) (١٩٣٢/هـ-١٥٢٥م-

١٩٣٨/هـ-١٥٣٢م)، دراسة تحليلية للنص العثماني، ترجمه إلى العربية مع الشروحات الإيضاحية

محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن-عمان،

١٤٢٨/هـ-٢٠٠٧م، ص ١٠-؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد: دفتر تحرير؛ دفتر تحرير (T.D427)،

دراسة تحليلية للنص العثماني، ترجمه إلى العربية مع الشروحات الإيضاحية محمد عدنان البخيت

ونوفان رجا السوارية، عمان، ١٤٢٦/هـ-٢٠٠٥م؛ الخليلي، شمس الدين محمد بن محمد شرف

الدين (ت١١٤٧/هـ-١٧٣٤م)، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، حققه وكتب مقدمته وحواشيه

ووضع فهرسه، محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود السوارية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،

لندن، ٢٠٠٤م، ص ٩٧-٩٨، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد: الخليلي، تاريخ؛ سجل =

## ٦-الجددثة:

دفعت التنظيمات ، عجلة التحديث إلى الأمام ، وحفزت السكان على استيراد مواد البناء والآلات واللقاحات والمبيدات والسلالات ، والتقاوي ، والبذور المحسنة ، وعبوات الحفظ ، والتخزين من الأسواق الأوروبية ، مما أدى إلى إحداث تحولات جذرية في جميع البنى الاقتصادية ، والاجتماعية ، وتجلت آثارها في اختصار الزمن ، والوقت ، والجهد وزيادة الكفاءة الإنتاجية ، والحد من الخسائر التي قد تعصف به ، ويظهر ذلك في دخول الآلات إلى ميادين العمل ، بدلا من طاقة الإنسان ، والحيوان المتواضعة ، فتم استخدام الآلات في سحب

= أراضي ألوية صفد نابلس غزة وقضاء الرملة حسب الدفتر رقم ٣١٢ تاريخه ١٥٥٦/١٩٦٤م ، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية ، جامعة اليرموك ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص ٩٣- ٣٢٩ ؛ وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : سجل ألوية ؛ سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر/٣٤٢ تاريخه ١٥٦٢/١٩٧٠م المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية ، عمان ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص ١١ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : سجل أراضي ؛ دفتر طابو يافا (١٣-١٤) يوقلمة أراضي موقوفة ، ص ١- ؛ وثائق ، ج ١ ، ص ١٢٥ ؛ دفاتر مديرية عموم الأوقاف ، شريط ٨/أ تركي ، سجل ١ ، إيرادات ومصاريف ، ١٢٦٢هـ ؛ سجل ٤ ، إيرادات ومصاريف ١٢٩٥/١٢٩٦هـ ، مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، شريط (٣٧) سجل ٢٦ ، ص ٥٢ ؛ سجل ٢٨ ، ص ٣١ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد : دفاتر مديرية العموم والى جانبها رقم السجل ؛ مناع ، عادل ، لواء القدس في أواسط الهد لعثماني الإدارة والمجتمع منذ أواسط القرن الثامن عشر حتى حملة محمد علي باشا سنة ١٨٣١م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ص ١٦ ؛ مناع ، عادل ، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٧٠٠-١٩١٨م ، قراءة جديدة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٩٩م . ص ٤١ ؛ العسلي ، معاهد ، ص ١٩٤ ، ٣٢٢ ، أبو بكر ، ملكية ، ص ٤٢٧ ؛ دبر ، مايكل ، سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين ، ١٩٤٧م/١٩٨٨م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ٣٠ ، ١٩٢ ؛ وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد : دمير ، سياسة . Hutteroth, PP.138-145 .

المياه وضخها للبيوت وري المحاصيل ، وتجفيف المستنقعات ، وتحويل أراضيها إلى حقول ، وزيادة المساحة المزروعة بالأشجار والكروم والبساتين ، وطحن الحبوب وعصر الزيتون ، واجتثاث الغابات ، والأحراش ، والحراثة ، وحفر القنوات لتصريف المياه الزائدة عن الحاجة ، وتجهيز بعض المحاصيل ، ونقلها إلى مستودعاتها ، ومراكز التسوق ، والاستهلاك المحلية ، وموانئ التصدير ، والقطار ، والقارب البخاري في نقلها إلى الأسواق الإقليمية والدولية ، وتصنيع الاسمنت ، والجير ، والفحم ، والبارود في تكسير الصخور ، وردم الخنادق ، وإنشاء أرصفة الموانئ ، واستخراج حجارة البناء في حين أسهم البريد ، والتلغراف ، والتلفون في تقريب المسافات ، والإسراع في نقل البرقيات ، والحوالات النقدية ، وطلب الشحنات ، والنجادات العسكرية لفرض الأمن ، والاستقرار ، وإبرام الصفقات التجارية ، ونقل الأسلحة الميدانية المتطورة ، التي وضعت حدا للتعدي على المزارع من جانب القبائل ، وقطاع الطرق ، والصوص الذين لم تسلم منهم قوافل المسافرين<sup>(١)</sup> .

## ثانيا: النتائج الاجتماعية:

### ١-إنهاء جيوب الإقطاع:

حلت الدولة العثمانية نظام الإقطاع العسكري في جميع ولاياتها ١٨٢٦م ، وعملا بذلك حلت (١٣٢) إقطاعا في لوائي نابلس ، والقدس ، وأحالت عائداتها

---

(١) القدس ٤١٣ ، ص ٦٣ ؛ حيفا ٨ ، ص ٢٠٨ ؛ جنين ١٨ ، ص ١٢٢ ؛ جنين ٢٢ ، ص ١٣٥-٢٥٩ ؛ يافا ١٩٢ ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ؛ يافا ١٤٤ ، ص ١٨٠ ؛ يافا ١٦٦ ، ص ٢٧٥ ، ٢٩٩ ؛ يافا ١٨٨ ، ص ٢ ، ٢٠-٢١ ؛ يافا ١٩٦ ، ص ١٧٠ ؛ جريدة المؤيد ، ١٦/٩/١٩١٤م ، ص ١-٢ ؛ جريدة المقتبس ، ٩/٥/١٩١٥م ؛ جريدة الكوكب ١٥/٥/١٩١٧م ، ص ١ ؛ جريدة البشير ، ١٣/١٢/١٩١٩م ؛ الجوهري ، القدس ، ج ١ ، ص ١٩٠-١٩١ ؛ ٢٤٥ ؛ الغزي ، نهر ، ج ٣ ، ص ٥٢٣-٥٣١ ، صلاح ، ص ٣١-٣٢ ، ٤٢-٥٦ ؛ شولش ، تحولات ، ص ١٤٣ .

للخزينة ، لإنفاقها على الجيش الجديد ، الذي أنشأه السلطان ، وفق النظم العسكرية الأوروبية الحديثة،<sup>(١)</sup> وأبقت على بعض الإقطاعات لاعتبارات أمنية ، بما فيها إقطاعات الزعامات المحلية ، التي كان يقع على عاتقها تقديم التزامات عسكرية ، واقتصادية ، واجتماعية حتمتها النظم ، والتقاليد ، والأعراف المحلية ، لا بل وأحالت بعضها إلى ملكانات لمدى الحياة<sup>(٢)</sup> ، إلا أن هذه التحولات ، لا يمكن تجاهلها ، في ظل توجهات الدولة الجادة نحو إرساء التنظيمات الجديدة التي أثبتت فعاليتها في ولاية مصر على يد واليها محمد علي باشا ، الذي تمكن من إنشاء جيش قوي للولاية ، يعتد به في ساحات القتال أمام الحركات الانفصالية ، والدول الطامعة على حدودها ، ومن ثم فإن الإجهاز على نظام الإقطاع بكل أبعاده بات مسألة وقت لا غير<sup>(٣)</sup> .

إلا أن انشغال الدولة العثمانية بإخماد تمرد اليونان ، وحاجتها الملحة للجيش ، للدفاع عن حدودها ، وعصيان واليها في مصر الذي أنجدها بجيش ولايته في أكثر من ميدان ، واحتلاله لبلاد الشام ، قد أخرج في الإجهاز على جيوبه حتى ١٨٣٩م ، وجاء ذلك مقدمة لإعلان مشروع خط شريف كلخانة الإصلاحية ، وما يتطلبه من إصلاحات اقتصادية ، واجتماعية ولم يتوان محمد

(١) القدس ٣١٥ ، ص ٧١-٧٢ ؛ القدس ٣٢٣ ، ص ٦١-٦٣ ؛ نابلس ٩ ، ص ٣٩٨ ؛ الحامي ، تاريخ ، ص ٤٢٩ ؛ الحنبلي ، موجز ، ص ٢٥ .

(٢) القدس ٣٠٢ ، ص ٤٢ ؛ القدس ٣١٣ ، ص ٣٢ ؛ القدس ٣١٢ ، ص ٣ ؛ نابلس ٨ ، ص ٢٨٩ ، ٣٢٦ .

(٣) يافا ٢ ، ص ٤٦ ؛ يافا ٨ ، ص ١٣ ؛ القدس ٢٨٥ ، ص ١٠٢ ؛ القدس ٣١٤ ، ص ٦٣ ، ٦٦ ؛ القدس ٣١٥ ، ص ٧١-٧٢ ؛ نابلس ٦ ، ص ٣٤٦-٣٤٨ ؛ القدس ٣٧٨ ؛ القدس ٢٩٥ ، ص ١٩٨ ؛ الشهابي ، لبنان ، ص ٦٠٩ ، ٦٢٠ ، ٧٣٨ ؛ نوفل ، نعمة الله الطرابلسي ، كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليم مصر وبر الشام ، تحقيق ميشال أبي فاضل وجان نخول ، طرابلس ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠٥-٢٠٦ ؛ الحامي ، تاريخ ، ص ٤٠٤-٤٢٨ ؛ المحفوظات ، ١٤ ، ص ١٤-٢٧٣ ؛ بازيلى ، سورية ، ص ١١٢ ؛ العارف ، المفصل ، ص ١٤٧-٣٣٩ .

علي باشا عن الاعتراف بهذا الإجراء وإنفاذه في فلسطين ، للتأكيد على ولائه للسلطان وإنفاذه لأوامره<sup>(١)</sup> .

وفي ١٨٤٠م ، أجبرت جيوش محمد علي على الانسحاب إلى مصر ، وعادت الدولة إلى ولاياتها الشامية ، عودة الفاتحين لتصطدم بالتركة المثقلة ، والخلخلة الاقتصادية ، والاجتماعية التي استمرت (١٠) سنوات ، وبلغت ذروتها في ضربه للزعامات المحلية المعارضة ، وتحالفه مع الأخرى وغض الطرف عن توجهاتها الإقطاعية في السيطرة على الأراضي ، وثبيت أركانها في مقاطعاتها ، واستقدام مجموعات كبيرة من المصريين ، وإسكانهم في المواقع العامرة والحاربة بحجة استغلال الأراضي المعطلة ، وتعزيز وجودهم بفلول جيشه الذي لم يتمكن من الانسحاب ، وهو ما اشغل الناس نحو عقدين من الزمان بحروب أهلية مدمرة ، تحت شعار قيس ، ويمن دافعها بسط السيطرة ، والنفوذ ، والعودة به إلى ما قبل ١٨٣١م<sup>(٢)</sup> .

وفي ظل الحرب الأهلية ١٨٤٠-١٨٦٠م ، تركزت جيوب الإقطاع بطريقة غير نظامية ، واستطاعت الزعامات المحلية ، أن تزج المجتمع بدوامه حرب لم يجن منها سوى الخراب والدمار ، وبانطلاق عمليات المسح ، وتسجيل الأراضي على أسماء المزارعين ، أخذت ملامحه بالتلاشي ، وقد رأت الغالبة العظمى منها ، باستثناء زعامة آل عبد الهادي ، التي بسطت سيطرتها على إقطاعاتها القديمة ، أن سيوفها المغمدة هي الضمانة الوحيدة لصيانة حقوقها ، بدلا من الورق

(١) نابلس ١٠ ، ص ١٠ ؛ القدس ٣٢٣ ، ص ٣ ؛ نابلس ٩ ، ص ١٣٣ ؛ العارف ، ص ٣٢٠-٣٢٦ ؛

المحفوظات ، ١م ، ص ٧ ، ١١٢ ، ٢١٤ ؛ الشهابي ، لبنان ، ص ٦٠٩ .

(٢) القدس ٣٠٣ ، ص ١٠١-١٥٢ ؛ يافا ٨٨ ، ص ٢٨ ؛ نابلس ١٠ ، ص ١٤-١٨ ؛ نابلس ١٢ ، ص ٧٩ ؛

نابلس ١٢ ، ص ٢٤٥ ، شولش ، تحولات ، ص ٢٠٧-٢٢٦ ؛

Robinson, Edward: Biblical Researches in Palestine Mount Sinai And Arabia Patria

Ajurnal Of Travels in the Year 1838, 3 Vols, Londone, 1841. , Vol.3., P140.

والسجلات ، مرددة عبارة «ما بعد الطاب إلا الجراب» ، ويقصد بذلك حمل الكيس للتسول ، وان تسجيلها على أسمائها يعني وضعها في مصاف العبيد ، فعمدت لتسجيلها بأسماء المزارعين العاملين فيها ، ولم تلتفت إلى أخطائها إلا بعد أن مضى عدة عقود ولا يحق لها الاستئناف أمام القضاء ، وعملا بذلك سجلت زعامة آل جرار المنافسة لآل عبد الهادي أراضيها الإقطاعية في المشاريق بأسماء المزارعين ، ولم تلتفت لما ارتكبته من أخطاء إلا بعد فوات الأوان ، وبذلت جهودا مضنية في إثبات حق مزارعتها بأراضي قرיתי الجريا ، وبيت ياروب ، في حين لم يجرؤ عدد كبير من المزارعين على المطالبة بحقوقهم في أراضي الشعراوية الغربية في مواجهة آل عبد الهادي ، الذين سجلوا جميع أراضيهم الإقطاعية في سجلات الطابو ، بحجة مزارعتها (١٠) سنوات متواصلة دون منازع ، وذهبوا أبعد من هذا ، في فرض هيمنتهم على مساحات شاسعة من الأراضي ، وفق نظام الإلجاء ، ومد أيديهم للأراضي المعطلة ، والموات ، التي ليست بتصرف أحد ، واتخاذها ضياعا للنزهة ، والصيد ، والحراسة ، والمراقبة ، وبسط الهيمنة ، والنفوذ ، كما هو الحال في أراضي قرية فراسين<sup>(١)</sup> .

## ٢- الضمان الاجتماعي:

نسجت تنظيمات الأراضي ، وتطبيقاتها الميدانية ١٨٦٩م ، مظلة حماية ، وضمان اجتماعي للسكان قل نظيره ، فعززت لديهم روح الانتماء ، والطمأنينة ، والاستقرار والعيش الكريم ، استنادا إلى ما تدره الأرض ، من منتجات زراعية ، ورعوية ، وحرفية ، حيث بات من الصعوبة بمكان الرحيل عنها ، وتركها وشأنها

(١) ظلت فراسين عامرة إلى أن توفي مالكاها شوقي عبد الهادي ، في أربعينيات القرن الماضي ؛ حيث انتقل سكانها إلى قرى قفين وبعبد وعرايه ويعرفون بأل الفراسيني بينما لا يزال بيت قريه عفيف عبد الهادي مسكونا يقيم فيه حارس المزارع : جولة ميدانية في أراضي خربة فراسين

بسهولة ، أسوة بما كان يجري قبل إنهاء الحرب الأهلية ١٨٦٠م ، نتيجة للارتباط العضوي ، الذي بات يربطهم بها ، وإن إهمالهم لها وتركها بورا دون فلاحه لسبب غير مشروع ينظر إليه تصرفا مشينا ، وهو ما كرس في الأدب الشعبي مقولة : «الأرض مثل العرض» ، و«ارحل عن الأرض ولا تبيعها» ، و«أرض العاقول عنها لا تقول» ، و«الأرض مثل ما بدك منها بدها منك» ، و«أرض الينبوت موت فيها موت» ، و«أرض الشبرك مثل الذهب بتبرك» ، وهو ما دفع العديد من العناصر الشابة المقدمة على الزواج ولا تتوافر لديها سيولة نقدية للمهور ، لتقديم الأرض بدلا منها باسم «الطعمة» ، وهو ما حفظ لهم الأرض كمصدر دخل أساسي ، وحماهم هم وزوجاتهم ، من الوقوع تحت طائلة الديون ، والفاقة (١) .

ويتجلى اهتمام السكان بتسجيل حقوق تصرفهم بالأرض ، وتوثيقها في الدفاتر الحكومية في سرعة استجابتهم لدعوة الحكام الإداريين ، واللجان المشكلة من قبلهم لمسح وتسجيل أراضيهم في دفاتر الطابو ، واستلام السندات الخاصة بها ، التي أصبحت المظلة الرسمية الموثوقة ، الكفيلة بحمايتها من الضياع ، وحفزهم لذلك مجموعة التسهيلات التي قدمتها لهم الدولة في تخفيض قيمة الضرائب المستحقة على الأرض ، وإحياء الموات ، واستصلاح المعطلة ، وفتح المحاجر ، وحفر التراب ، والرمال ، والانتفاع بالكهوف ، والعرقان ، والمواقع الآيلة للخراب ، والتحطيب ، وتصنيع الفحم ، والجير من الغابات ، والأحراش وتوريث عقود التصرف ، والإحياء ، والمساواة بالإرث بين الذكر والأنثى في الأراضي الأميرية ، والموات ، والمتروكة لكونها ملك للدولة ، والسلطان هو المؤمن عليها ، في حين قسمت الأرض المملوكة داخل القرى ، والمدن وفق أحكام الشريعة للذكر مثل حظ الأنثيين ؛ وحفظت حقوق الغائبين

(١) انظر دفتر البنك الزراعي (٤) يافا ، ص ١- . ، مقابلة شخصية ، علي العتماوي ، نابلس ، ٦٥ سنة ،



المدنيين والعسكريين ممن لم يثبت انقطاع أخبارهم بالبينة الشرعية ، وخلصت أوقاف المؤسسات الخيرية من التعديات والاضطراب مما كفل لها الاستمرار في أداء رسالتها بالعمل الخيري<sup>(١)</sup> .

ووسعت تنظيمات الأراضي ، وتطبيقاتها دائرة سوق العمل وفتحته على مصراعيه ، لاستيعاب طاقة العمل المحلية ، مما أدى إلى انحسار ظاهرة البطالة<sup>(٢)</sup> ، عملاً بالمقولة الشعبية القاضية : «اشتغل بالمصرية وحاسب البطال» ، «وسمعتني صوت المنكوش خذ مني ذهب وفلوس» ، وتدني نسب الفقر إلى حد كبير ، ولم ينخرط في صفوف البطالة سوى «البطالين» العاطلين عن العمل ، الذين رضوا لأنفسهم الاستكانة في البيوت أسوة بالمرضى ، بالكهول ، والأطفال ، والجلوس في المقاهي ، ولعب الميسر ، والتسكع في الطرقات ، والانشغال بالقييل ، والقال ، واحتراف السرقة ، واللصوصية ، كطائر الوقواق وفقاً للرواية الشعبية ، الذي ينشغل في أيام الحصاد والبيادر بالغناء ، ولا يتعظ بالنملة التي تعمل وتجتهد في تخزين الحبوب لأيام العواصف ، والأمطار ، وعندما يطرق باب جحرها شتاء لطلب ما يسد به رمقه تنهره بنبرة عالية : «روح كنت بأيام الحصيد تغني للزينات بقصيد»<sup>(٣)</sup> .

ومن الشواهد الدالة على اتساع سوق العمل ، قدرته على استيعاب العمالة الوافدة من جميع المقاطعات العثمانية ، وفي مقدمتها شمال إفريقيا ، والجزيرة العربية ، وبلاد الشام ، والعراق ، وإيران ، واقتضى التوسع العمراني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في المدن ، والقرى استقدام مجموعات من الحرفيين للبناء من مالطة ، وغيرها من المقاطعات ، والدول الأوروبية ، بالإضافة

(١) ينظر : الهامش ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) حول سوق العمل الواعدة في فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع العشرين ،

انظر : حيفا ١-١٤ ؛ و يافا ٢٥-٢١٠ .

(٣) مقابلة شخصية ، علي العتماوي ، نابلس ، ٦٥ سنة ، ١٥/٩/٢٠١٥ م .

إلى حشود الحرب الصليبية السلمية التي نظمتها الدول الأجنبية ، بهدف إعادة اليهود إلى فلسطين ، لإقامة الوطن القومي اليهودي<sup>(١)</sup> كما عمل تطور زراعة الحمضيات في سهل يافا ، على فتح سوق عمالة رائجة للعمال الوافدين من مقاطعات وادي النيل ، وبما يؤيد ذلك مجموعة السكنات ، والتجمعات العمالية ، الناشئة في محيطها ، التي زودتنا بها سجلات محكمة يافا ، وتجاوزت في مجموعها الـ (٣٠) سكة ، وأقام عمالها في بيوت بسيطة ، وبازدهار النشاط العمراني في يافا ، وتوسعتها نحو الداخل ، وزيادة الطلب على الأيدي العاملة في قطاع زراعة الحمضيات ، وما رافقها من تغليف ، ونقل ، وشحن ، وتصدير اندمجت هذه التجمعات في أحياء يافا الشعبية ، وتحولت عرائشها إلى مبانٍ ثابتة<sup>(٢)</sup> .

وإذا كانت يافا قد باتت سوقا واعدة للعمالة المصرية والسودانية بحكم خبرتها الزراعية ، فإن نهضة ميناء حيفا وازدهار حركة الاستيراد والتصدير في كنفه ، وتحوله من ميناء محلي إلى ميناء عالمي يعمل كوسيط تجاري نشط بين مراكز الإنتاج ، والاستهلاك في سواحل البحر الأبيض المتوسط قد عمل على فتح سوق عمالة قل نظيرها في فلسطين ، بعد أن غدا إحدى بوابات الاستثمار العالمية ، وهو ما زاد الطلب على الأراضي واستثماراتها<sup>(٣)</sup> .

(١) شولش ، تحولات ، ص ٨١ ، ١٤٨-١٤٩ .

(٢) اعتمدت إحصائية السكنات على سجلات يافا الواقعة ما بين ١٨٤٠-١٩١٤ م .

(٣) قارن بين الآتية : - حيفا ١٥٥ ، ص ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٦ ؛ حيفا ١٩٩ ، ص ١٠٥ ؛ حيفا ٢٩٩ ، ص ١١ ، ١٥٢ ؛

القدس ٣٩١ ، ص ٨٨-٨٩ ، ١٣٤ ؛ جنين ١٠ ، ص ٧٣-٧٤ ، ١١٣-١١٤ جنين ١١ ، ص ١ ؛ جنين ١٦ ،

ص ١٣٣ ؛ جنين ٣٢ ، ص ١٠٩ ؛ جنين ١٩ ، ص ٤٤-٤٥ ، يافا ٨٥ ، ص ١٧١ ؛ دفتر طابو عكا (٣٨)

سكة الحجاز ، ص ١-٨ ؛ جريدة البشير عدد ٨٢٤ ، ١٨٨١ م ، ص ٦ ؛ جريدة البشير ١٤/٥/١٨٩٠ م ،

ص ٣ ؛ جريدة البشير ١٢/١١/١٨٩٨ م ، ص ١ ؛ جريدة البشير ٢١/٤/١٩٠٢ م ، ص ١ ؛ جريدة البشير

٢٨/٣/١٩٠٤ م ، ص ٣ ؛ جريدة البشير ٢٥/٢/١٩٠٧ م ، ص ٤ ؛ جريدة البشير ٢٤/٢/١٩١١ م ،

وفي حالات الأزمات لم يجد المزارعون وسيلة مادية يعتدون بها سوى الأرض ، التي أخذوا عليها حق القرار ، وسجلت بأسمائهم في الطابو ، وتقديمها ضمانات لسداد القروض ، وما تكبده من خسائر ، وفرض عليهم من غرامات ، وأثمان لعقود الإلجاء ، التي أبرموها مقابل الحماية كما هو الحال في عقود الإلجاء التي أبرمها المزارعون مع السلطان عبد الحميد ، حيث تنازلوا عن أراضيهم لموظفي الجفثتلك السلطاني ، مقابل ثمن رمزي للدوم ، والدخول في إلجائه ، وحمائيه في مواجهة جباة الضرائب ، وتعسف بعض موظفي الدولة ، والزعامات المحلية ، وغارات القبائل البدوية ، ووكلاء الحركة الصهيونية ، وسماسرتها<sup>(١)</sup> .

وما لا شك فيه ، أن حصول الأسرة على مصدر دخل مناسب قادر على الوفاء باحتياجاتها اليومية ، وتعزيز مدخراتها ، واستثماراتها في شراء حصص الشركاء ، واستصلاح الأراضي المعطلة ، وإحياء الموات ، وتوفير مدخرات أمنة لإعانتها في مسيرة الحياة ، و ضمانات رعاية الأيتام ، والقاصرين ، والشيخوخة ، قد عزز من قوة ومثانة مظلة الضمان الاجتماعي لديها ، ويظهر ذلك في تنامي قدرتها على الإنفاق في مجالات المسكن والملبس والبناء ، والصحة ، والتعليم ،

= ص ٣ ؛ جريدة فلسطين ١٩١١/١/٦ م ، ص ٢ ؛ جريدة المقتبس ١٩١٤/٣/٩ م ، ص ٢ ؛ جريدة الاتحاد العثماني ١٩٠٩/١١/٧ م ، ص ٤ ؛ ١٩٠٩/١١/١١ م ، ص ٢ ؛ ١٩١٠/٦/٢٥ م ، ص ٣ ؛ جريدة المقتبس ١٩١٢/٣/٢١ م ، ص ١ ؛ جريدة الكرمل ١٩٣٢/٥/١٨ م ، ص ٨ ؛

Oliphant, Haifa, P.21, 208.. Conder .C.R,Tent Work in Palestine, 2Vols, Londone,1878. Vol.1, PP.188-18, Huttroth and Abdul -Fattah, Historocal Geography Of Palestine Transjordan and Southern Syria in the Late sixteen Century, Erlangen,1977. Dichter, Bernhard, Akko, Sites from the Turkish Period, Edited by Alex Carmel and Zalman Baumwoll ,Haifa ,1998. ..P.35.

(١) انظر دفاتر البنك الزراعي العثماني المحفوظة في دائرة الأراضي والمساحة في عمان حول القروض واستخدام الأرض ضمانات ثابتة لسدادها .

وتنمية روح التعاون بين المزارعين ، والحرفيين للتغلب على نقص الأيدي العاملة والمؤازرة في مواجهة الأخطار والعقبات ، وفق ما تعارفوا عليه باسم «العونة» ، و«المقارضة» ، و«الونس» ، فغالبا ما خرجوا لحرثة أراضيهم مقسم تلو آخر ، ومن قصر في ذلك أعانوه أو أقرضوه محاربتهم يوما بيوم قبل أن تمنعهم الأمطار الغزيرة من ذلك ، بتوالي الهطول ، وتشكل الأوحال ، وتجمعوا بالعزب ، والخرائب لجمع محاصيلهم ورعي مواشيهم لمؤازرة بعضهم في مواجهة اللصوص ، والحيوانات المفترسة<sup>(١)</sup> .

### ٣- المشاركة الشعبية:

بانطلاق التنظيمات العثمانية ، وتهدة الحرب الأهلية ، وفرض نظام الحكم المركزي ١٨٦٠م ، وما رافقها من حملات للمسح ، والتسجيل ١٨٦٩م ، أخذت ملامح المشاركة الشعبية بالتنامي ، وعملا بذلك ، قرأت أوامر التكليف بالمسح ، والتسجيل وسط المواقع المأهولة ، على مسامح سكانها من قبل ممثل الطابو ، في حين عهد لأهل الموقع ، انتخاب ، وتعيين من يروونه مناسبا لتمثيلهم في لجننتها ، وتراوح عدد أعضائها (٤-٢٥) شخصا ، وغالبا ما روعي في اختيارهم الخبرة ، والمعرفة ، والدراية بأراضي الموقع ، وما يحيط بها من حدود مع المواقع المجاورة ، وما ينتشر فيها من غابات ، وأحراش ، ومراعي ، وعيون ، وأبار ، وأنهار ، وسيول ، وكهوف ، وعرقان وزرائب شتوية ، ومراسي للسفن ، ومصائد للأسماك ، ومقالع حجرية ، وحفر للتراب ، والرمال ، والأملاح ، وأشجار معمرة ، وزيتون رومي «كافري» ، وهو ما فتح الباب على مصراعيه للعمال ، والحراثين ، والصيادين ، والرعاة ، والنواطير ، ومصنعي الفحم ، والجير ، والمعمرين والكهول من الرجال من أهالي الموقع المعني ، وأبناء المواقع المجاورة نصيب وافر فيها .

وبإرساء دعائم المشاركة الشعبية ، أصبح حضور الشيوخ ، والزعماء

(١) مقابلة شخصية ، علي العماوي ، نابلس ، ٦٥ سنة ، ١٥/٩/٢٠١٥ م .

التقليديين في لجان المسح والتسجيل مسألة ثانوية ، نظرا لعدم درايتهم ، ومعرفتهم بدقائق الأمور التي تخص الأراضي ، وإذا ما اقتضت ظروف الحال مشاركتهم ، فإن بياناتهم سوف تستند في محصلتها على ما يقدمه أهل الخبرة والمعرفة ، ناهيك عن نظرة الازدراء التي قوبلت بها أعمال المسح ، والتسجيل من بعضهم ، وبذلك فقدوا قدرا كبيرا من مقدراتهم الاقتصادية ، والاجتماعية ، وأصبح بمقدور العامة متابعة جداول الحقوق ، والمراسلات مع دائرة الدفتر الخاقاني ، والقواشين بعيدا عن مشايخهم ، وبذلك اهتموا بانتخاب من يمثلهم بالدوائر الحكومية من المختير ، ومجالس الاختيارية ، والشورى ، والبلديات ، والإدارة ، فمجلس الإدارة في الأقضية ، والمتصرفيات ، والولاية ، يقع على عاتقه مناقشة قضايا الأراضي التي تعرض عليه ، برئاسة القائم مقام ، أو المتصرف ، أو الوالي ، والمصادقة على ما تضمنته جداول الحقوق من بيانات ، تمهيدا لرفعها إلى دائرة الدفتر الخاقاني في إسطنبول ، لمنح السندات الخاقانية بناء عليها ، وعندما انطلقت الحياة البرلمانية ١٩٠٨م ، لم يتوانون عن المشاركة بانتخاب المبعوثين الأكفيا ، التي كانت مسائل الأراضي ، والدفاع عنها في وجه الأطماع الأجنبية في مقدمة برامجهم الانتخابية<sup>(١)</sup> .

(١) القدس ٢٨٩ ، ص ٦٨ ؛ القدس ٣١٢ ، ص ٣ ؛ القدس ٣١٩ ، ص ١٦٤ ؛ القدس ٣٢٠ ، ص ٥٩ ؛ القدس ٣٦٧ ، ص ١٦٤-١٦٥ ؛ القدس ٣٩٦ ، ص ١٢ ؛ القدس ٣٩٧ ، ص ١٧٠ ؛ القدس ٤١١ ، ص ١٥ ؛ نابلس ١٧ ، ص ٧٣٧-٧٣٨ ؛ نابلس ١٩ ، ص ٢٣١-٢٣٣ ؛ نابلس ٢٠ ، ص ٦٠-٦١ ؛ Finn ، البشير ، ١٩١٤/٥/٤ ، ص ٣ ؛ جريدة فلسطين ، ٢٠٠-١٤٦ ، Vol.1, p.227, Vol.2, p.146, OP.Cit. ، ١٩١٢/٤/٢٤ ، ص ٣ ؛ جوهري ، القدس ، ج ١ ، ١٠٨ ؛ جريدة المنادى ، ١٩١٢/٤/٢٥ ، ص ٣ ؛ ١٩١٢/٤/٣٠ ، ص ٤ ؛ شولش ، تحولات ، ص ٢٠٧-٢٧٩ ؛ القطب ، إسحق يعقوب ، مجالس الإحياء في القدس العربية ودورها في التنمية الحضرية والريفية الفلسطينية ، باسيا الجمعية الفلسطينية الأكاديمية الدولية ، القدس ، ١٩٩٧م ، ص ٣٤-٣٥ ؛ وسيشار لهذا المرجع فيما بعد : القطب ، مجالس .

وانسجاما مع نمو الملكية الفردية ، والمشاركة الشعبية ، أصبح بمقدور السكان على نطاق فردي أو جماعي مراجعة دوائر الطابو القائمة في السرايا ، بمعزل عن الشيخ ، والزعامات التقليدية ، وتقديم العرائض ، والاستدعيات الخاصة بها ، وإن مراجعاتهم الحثيثة لدور الحكومة فيما يتعلق بحياتهم العامة ، وفي مقدمتها الأراضي قد كرس لديهم مفهوم «لف القرايا-التجوال داخل المبنى - مش مثل لاف السرايا» ، و«حكي القرايا مش مثل حكي السرايا» ، ولم يلجأ العامة للزعماء إلا في حالات الأزمات (١) .

#### ٤- احتدام الصراع والتنافس:

وضعت التنظيمات حدا للحروب الأهلية ١٨٦٠م ، وفجرت صراعات مريرة بين السكان ، وأدت في بعض الأحيان لشجارات عنيفة ، وإحراق خسائر مادية في صفوفهم ، وتختلف عن الحروب القيسية ، واليمينية التي خاضوها كالتزامات إقطاعية لم يجنوا منها سوى الخراب ، والدمار ، وكان محور الصراعات الجديدة السيطرة على أكبر قدر من الأراضي ، وتوسيع حدود الملكيات وضم الأراضي المعطلة والموات والمراعي والغابات ، والحفاظ على الحقوق المكتسبة من الأراضي ، وأخذ حق القرار عليها ، وهو مرور (١٠) سنوات على استغلالها دون منازع ، وتوثيقها في دفاتر الطابو ، وما يتبعها من حقوق في الرعي ، والمرور ، والشرب ، والرعي من العيون والينابيع ، والأنهار والبحيرات ، والتحطيب ، والشفعة ، والكهوف اللازمة لزرب الدواب شتاء ، وهو ما دفع العديد من المجموعات السكانية بالعودة إلى القرى ، والمواقع التي هجرتها بفعل الحروب الأهلية ، ومخاصمة من وضع يده عليها في غيابتهم بصرف النظر عن الطريقة التي آل بها الوضع ، مما استدعى مرافقة وحدات من الأمن والجيش للجان المسح والتسجيل حفاظا على الهدوء ، واستمرار سير العمل ، وتدخل الهيئات الرسمية

(١) مقابلة شخصية ، محمد علي صالح الزيات ، ٩١ سنة ، الشيخ مونس ، ٣٠/٧/٢٠١٦م .

العليا في العاصمة إسطنبول ، والمراكز الإدارية الملحقه بها لوضع حلول جذرية منصفة لدى الأطراف المتصارعة كما هي الحال في المقاسمات ، والمناقلات التي أجريت على أراضي ناحية الخليل بين آل عمرو ودودين ، وآل اللحام في ناحية العرقوب ، والجماعينيات بين آل الريان وآل القاسم وغيرهم ،<sup>(١)</sup> وما يزال السكان يتناقلون على ألسنتهم الروايات ، التي تشير للخلافات التي نشبت بين أجدادهم على الأراضي ، مما اقتضى إجراء مناقلات ، ومصالحات ، ومقاسمات ميدانية شارك فيها لجان الإصلاح ، والخبراء وأهل المعرفة ، والكهول بحضور ممثلي الدولة<sup>(٢)</sup> .

وما لا شك فيه ، أن التنظيمات ببعدها الاقتصادي ، والاجتماعي قد نقلت المجتمع في نقلة نوعية إلى الأمام ، عندما أوجدت ميدانا رحبا للمنافسات الفردية ، والجماعية بعيدا عن التحزبات القيسية ، واليمينية والخلافات العشائرية ، التي أرهقت كاهل المجتمع ، وأعدت للأذهان مفاهيم الجاهلية الأولى ، وعملت هذه المنافسات على إعمار الأراضي ، وتفعيل دورها في الحركة الاقتصادية ، فدفعت بالقبائل إلى ترك حياة الترحال ، والغارات على المواقع الريفية ، واحتراف الزراعة بدلا من الاعتماد على تربية المواشي ، وعودة عدد

---

(١) العورة ، تاريخ ، ٢٨٩-٢٩٠ ، ٤٢٥ ؛ نابلس ١٠ ، ص ٢٣١ ، ٢٦٩ ؛ نابلس ١٢ ، ص ٢٤٥-٢٤٧ ؛ نابلس ١٣ ، ص ٢٣ ؛ القدس ٣٠٧ ، ص ٢٤-٢٥ ، ٣٥ ؛ القدس ٣٢٩ ؛ ص ٢٠ ؛ القدس ٣٣٢ ، ص ١٥ ، ٧٦ ؛ القدس ٣٦٢ ، ص ٥٣ ، ٥٦ ؛ يافا ١٧ ، ص ١٣٥ ، ١٦٢ ؛ الخليل ١٥ ، ص ٥٣ ؛ شولس ، تحولات ص ٢٧١-٢٧٣ ؛ أبو بكر ، أمين ، ملكية الأراضي في متصرفية القدس ١٨٥٨-١٩١٨ م ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، ط ١ ، عمان ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٦٠ ؛ وسيسار إلى هذا المرجع فيما بعد : أبو بكر ، ملكية ؛

Robinson, OP.Cit., Vol.2, P.140, Conder.and Kitchener, OP.Cit., (26) Sheets . Finn, Stirring, Vol.1,P.240,235-237.

(٢) مقابلة شخصية ، محمد علي صالح الزيات ، ٩١ سنة ، الشيخ مونس ، ٣٠/٧/٢٠١٦ م .

كبير من الأهالي إلى مواقعهم المهجورة ، وإعمار المواقع الآيلة للخراب ، وفلاحة أراضيها ، وإحياء المعطل منها ، وتجاوزها إلى الموات ، والتوسع الأفقي ، والراسي في الأراضي على صعيد المساحة ، وزيادة فعاليتها الإنتاجية في زراعة الحقول ، والكروم ، والبساتين ، وفتح المحاجر ، وتصنيع الجير ، والفخار ، والزجاج ، والفحم ، والملح ، والتباهي ، والتفاخر بالمجالس العامة ، والبيادر ، والأسواق بما درته عليهم من غلال ، فعدوا الاحتفالات ، ونظموا الأهازيج في مواسم الحصاد ، وجني المحاصيل ، ووزعوا الأعطيات ، والندور ، وأقاموا الولائم للعاملين ، والأهالي ، والفقراء ، وذلك بعد أن فاضت بيادرهم ومستودعاتهم ومخازنهم ، بالمحاصيل ، والغلال ، وظهرت شواهدا بما وفروه لأسرهم من مستويات معيشة رفيعة وأنماط استهلاك مرهفة في بيوتهم الفارحة ، ومقتنياتها الفخمة ، وزينات نسائهم الثمينة من المجوهرات ، والإجزال في نفقات التعليم ، والصحة ،<sup>(١)</sup> ولا يزال آل عبد الهادي أكبر ملاكي لواء نابلس ، وحاملي راية القيسية في مواجهة آل جرار اليمانية ، يفخرون بأن (٤٠) طالبا من أبنائهم من طلبة معهد الحقوق العالي في إسطنبول مطلع القرن العشرين<sup>(٢)</sup> .

وعلى صعيد آخر ، اعتبرت حيازة الأرض ، والتصرف بها أحد المقومات الأساسية للمكانة الاجتماعية ، التي حظيت باحترام ، المجتمع وتقديره على المستويين الرسمي ، والشعبي ، ورأت في القوشان ، أو سند الملكية جزءاً لا يتجزأ من كينونتها ، التي لا يمكن التفريط بها ، ولا يمكن التنازل عنها بسهولة ، ففي نكبة ١٩٤٨م لا نبالغ إذا قلنا إن هناك العديد من المهاجرين فضلوا حملها على ما بحوزتهم من أموال ، وحلي ، ومدخرات<sup>(٣)</sup> كما كان لقب ملاك من بين

(١) مقابلة شخصية ، محمد علي صالح الزيات ، ٩١ سنة ، الشيخ مونس ، ٢٠١٦/٧/٣٠م ، شولش ، تحولات ، ص ١٢٧ .

(٢) مقابلة شخصية ، علي العتماي ، نابلس ، ٦٥ سنة ، ٢٠١٥/٩/١٥م ؛ أبو بكر ، عبد الهادي ، ص ١ .

(٣) مقابلة شخصية ، محمد علي صالح الزيات ، ٩١ سنة ، الشيخ مونس ، ٢٠١٦/٧/٣٠م .



الألقاب المهمة التي حملها أثرياء مدينة حيفا وتجار الأراضي فيها ، ورافقت مسالة التعريف بهم في أروقة المحاكم الشرعية<sup>(١)</sup> .

#### ٥-التقدم الحضاري:

يعد التقدم الحضاري بأبعاده المادية ، والمعنوية من أبرز النتائج الاجتماعية ، التي ترتبت على حركة التنظيمات العثمانية بعامه ، والأراضي بخاصة ، فعلى الصعيد المادي شهدت فلسطين تقدما ماديا كبيرا ، وتتجلى صوره في ازدهار النشاط العمراني واتساع المدن ، وقيام الأحياء الحديثة ، ونهضة بعض البلدات ، وتحولها إلى مدن ناشئة ، وإعمار القرى الآيلة للخراب ، واستقرار البادية ، وارتفاع معدلات الإنتاج النباتي ، والحيواني ، والحرفي ، والتجاري ، وتطور حركة الاستيراد ، والتصدير ، وازدياد أعداد الزوار ، والسائحين ، والوافدين لزيارة الأماكن الدينية المقدسة ، والتوسع في قاعدة الخدمات على صعيد الطرق ، والسكك الحديدية ، والموانئ والبريد ، والتلغراف ، والصحة ، والتعليم<sup>(٢)</sup> .

أما على الصعيد المعنوي فإن حركة التنظيمات ، قد عملت على إعادة النظر في العديد من العادات ، والتقاليد ، والأعراف القبلية المستمدة من التراث البدوي ، ودفعت المجتمع الفلسطيني إلى دوامة الحرب الأهلية ، والأمية والغوص في غياهب الجهل ، وتجاوزت قيود الطوائف الحرفية وحواجزها التي كرسست مفهوم العمل الوراثي ، وجعلت التعليم حكرا على بعض الأسر ، وذوي الاحتياجات الخاصة التي لا يستطيع معها العمل ، ويقدم لها العيش - الخبز- والبيض لقاء تعليم أبنائهم مبادئ القراءة ، والكتابة والحساب ، كما وفرت الأراضي بعائداتها الوفيرة النفقات اللازمة للتعليم ، وعدم التواني عن مواصلة مراحلها العليا في الجامعات ، والمعاهد ، والكليات العثمانية المدنية ،

(١) انظر سجلات محكمة حيفا الشرعية العثمانية : حيفا(١-٨) .

(٢) شولش ، تحولات ، ص٨١، أبو بكر ، ملكية ، ص٣٤٧-٣٧٤ .

والعسكرية ، والأجنبية في الخارج ، وهو ما أهلهم للالتحاق في مؤسسات الدولة المدنية ، والعسكرية ، والقطاع الخاص مثل الوكالات التجارية في موانئ الدول الأوربية ، والمكاتب الهندسية ، والعيادات الطبية ، وإذا كان الإقطاعي يفتخر بما لديه من سيوف مغمدة وقطعان وأتباع ، فإن الناس أخذوا يتفاخرون بما لديهم من عناصر متعلمة ، وأيدي عاملة ماهرة ، وبنات بمقدورهم أن يلحقوا بركب الحضارة المتقدمة ، وأن علاج الأمراض ومكافحة الأوبئة التي تصيب النبات ، والحيوان لن تستقيم بالسحر ، والشعوذة ، والأعشاب والعطارة ، والأعمال البدائية التي لا تنسجم مع المنطق العلمي ، وعليهم أن يرسلوا أبناءهم للجامعات العثمانية ، والأجنبية ليعودوا مهندسين ، وأطباء ، وبياطرة ، ومعلمين ، وخطباء ، وأئمة ليحتلوا أماكنهم في الحياة العامة (١) .

ومن الشواهد الدالة على ذلك ارتفاع معدلات النمو السكاني ، بفعل الأمن ، والاستقرار ، وتحسن مستويات المعيشة ، والخدمات الصحية ، واستقدام مجموعات غير قليلة من العمال من شمال إفريقيا للعمل في قطاع الزراعة ، والحرف ، والصنائع ، والخدمات بالإضافة إلى إسكان مجموعات من المهاجرين الشيشان ، والشركس ، والبوسنيين ، والجزائريين في عدد من القرى الآيلة للخراب للحد من تغلغل الحركة الصهيونية فيها (٢) .

(١) القدس ٣٤٣ ، ص ١١٨ ؛ ٣٩٥ ، ص ٧٠ ؛ القدس ٣٩٨ ، ص ٤١ ؛ القدس ٤١٢ ، ص ١٣-١٤ ؛ يافا ٤١ ، ص ١٤٥ ؛ يافا ٤٨ ، ص ١٠٠ ؛ يافا ٥٤ ، ص ٦١-٦٢ ؛ يافا ٩٦ ، ص ٢٤٧ ؛ الخليل ٢٣ ، ص ١٢-١٣ ؛ دفتر طابو عكا (٢٨) سكة الحجاز ، ص ٢-٥ ؛ دفتر طابو يافا (٢) مسقفات ، ص ١- ؛ جريدة المنادى ١٩١٣/٧/٥ ؛ مجموعة الصور الجوية التي التقطها الطيارين الألمان خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٨/١٩١٧ ؛ لندمان ، أحياء ، ص ٤١ ؛ شولش ، تحولات ، ص ٨١- . أبو بكر ، ملكية ، ص ٣٤٧-٣٧٤ .

(٢) شولش ، تحولات ، ص ٨١ ؛ أبو بكر ، ملكية ، ص ٢٨٥ .

## ٦- كشفت الطابور الخامس؛

أدت تنظيمات الأراضي دورا مهما في كشف حجم ، الطابور الخامس وأبعاده الذي انخرط في صفوفه ضعاف النفوس ، وفاسدو الضمير من رعايا الدولة المقيمين ، والوافدين ، وموظفي الدولة ، ومترجمي القنصليات الأجنبية ، وهو ما نعتته الصحف المحلية بجيش من «السماسة» ، وأزرهم في ذلك تحت وطأة الإغراء المادي الوكلاء ، وتجار العقارات ، والشركات الرأسمالية ، والبنوك ، والمكاتب القنصلية ، ورعايا الدول الأجنبية<sup>(١)</sup> .

وقد بدأت نواة فلولة بالتجمع في ظل الحكم المصري الذي تساهل مع رعايا الدول الأجنبية في مسالة تملك الأراضي بغية تخفيف وطأة التحالف الدولي المعارض له في احتلال بلاد الشام ، واستمرت حشوده بالنمو بعد عودة الحكم العثماني ، وكانت مشتريات الحركة الصهيونية تسير على قدم ، وساق قبل انطلاق تنظيمات الأراضي ١٨٥٨م ، وبعدها بطرائق وأساليب مختلفة ، وفي ١٨٦٧م ، حزمت الدولة العثمانية أمرها بإعلان قانون تملك الأجانب ، والقاضي بالسماح لرعايا الدول الأجنبية بالتملك العقاري في أراضيها ، باستثناء الحجاز ، شريطة أن توقع الدولة المعنية بالتملك على ما تضمنه من شروط ، وذلك بهدف التخفيف من الضغوط العسكرية ، والدبلوماسية عليها من

---

(١) القدس ٤٠٢ ص ٣٢٥ ؛ جريدة البشير ١٢/١١/١٨٩٨م ، ص ١ ؛ جريدة المقتبس ١٥/٣/١٩١٠م ، ص ١ ؛ جريدة المقتبس ٢١/٦/١٩١١م ، ص ١-٢ ؛ جريدة المقتبس ٦/٩/١٩١١م ، ص ٣ ؛ جريدة الكرمل ٣٠/١١/١٩٢٠م ، ص ٣ ؛ جريدة الكرمل ٢٦/٨/١٩٢٥م ، ص ٢ ؛ جريدة الكرمل ، ٢٥/٤/١٩٣٦م ، ص ٣

Oliphant, Haifa, P.21. Stein, Kenneth.W,The Land Question In Palestine, 1917-1939,

The University Of North Carolina Press Chapel Hill And London, 1984.P.10-.

جانب الدول الأجنبية<sup>(١)</sup> وفي ١٨٦٩م ، أصدرت الدولة العثمانية ، وأمرها بمسح ، وتسجيل أراضي فلسطين دفعة ، وفي ضوء ذلك تمكنت من تعرّف ما حققه الطابور الخامس من تقدم على الأرض قبل المسح عندما لجأ الأجانب لتسجيل عقاراتهم التي اشتروها سرا قبل ١٨٦٧م ، ومتابعة تحركاته بأدق التفاصيل ، ووضع العراقيل المناسبة لكبح جماحه ، وإفشال مخططاته في خدمة الحرب الصليبية السلمية ، التي انخرط في صفوفها الدول العظمى ، وتسعى لاحتلال فلسطين بالعمل السلمي ، لا بقعة السلاح كما حصل في العصور الوسطى ، وذلك منذ أن سمح لهم محمد علي باشا بتملك العقارات ، وحتى صدور قانون تملك الأجانب ١٨٦٧م ، ففي ١٨٤٢م ، عمم والي القدس رسالة شديدة اللهجة إلى سكان مدينة القدس ، يحذرهم فيها من العواقب الوخيمة التي لا بدّ أن تترتب على ما أقدم عليه بعض السكان من إخراج المستأجرين لعقاراتهم لإسكان الأجانب والغرباء فيها بعد أن ارتفعت أجورها ارتفاعا كبيرا<sup>(٢)</sup> .

من جهة ثانية عبرت الغالبية العظمة من السكان عن صدق انتمائها للدين والدولة ، وأن ما حققه الطابور الخامس وحركة التغلغل الأجنبية من نجاحات ملموسة على الأرض بطرائق غير رسمية ، وتحايل على الأنظمة ، والقوانين ، والضغط العسكري ، والدبلوماسية التي مارستها الدول الاستعمارية ، على الدولة العثمانية ورعيتهما ، بهدف التملك ، وجوبهت بصور ، وأشكال شتى تعكس إلى حد كبير ترسم العلاقات العثمانية على الساحة الدولية ، وقوة

(١) قانون الأراضي ، المادة (١-١٣٢) ؛ الدستور ، ١م ، ص ٦٨ ؛ القدس ٣٤٨ ، ص ٩٩-٢٠٢ ؛ القدس ٣٥٧ ، ص ٣-١٧٩ ؛ القدس ٣٦٠ ، ص ٢٣١-٢٣٣ ؛ القدس ٣٦١ ، ص ٣٦٦ ؛ القدس ٣٦٥ ، ص ٩-٢٥ ؛ القدس ٣٩٧ ، ص ٩ ؛ يافا ٢٥ ، ص ٦-٨٩ ؛ نابلس ١٢ ، ص ٨٠ ؛ الحنبلي ، موجز ، ص ١٣- ؛ المر ، كتاب ؛ ص ٦ ؛ أبو بكر ، ملكية ، ص ٣٠١-٣٣٠ .

(٢) القدس ٣٢٦ ، ص ١٤ ؛ يافا ١٢٧ ، ص ٦٧ ، ٩١ ؛ يافا ١٤٤ ، ص ٣-٥٥ ؛ يافا ١٧٧ ، ص ٢٣٨ .

الجبهة الداخلية وتماسكها ، ورباطة جأشها ، وصدق انتمائها<sup>(١)</sup> .

### الخلاصة

خلصت الدراسة إلى نتيجة مؤداها أن تنظيمات الأراضي العثمانية التي انطلقت عجلتها ١٨٥٨م ، قد أدت دورا مهما في تشكيل ، وترسيم المسيرة التاريخية للمجتمع الفلسطيني الحديث ، والمعاصر ، وذلك منذ إنفاذها ميدانيا ١٨٦٩م ، وحتى ويومنا هذا ، وذلك على الرغم من التحولات الاقتصادية ، والاجتماعية التي واكبت تطوراتها السياسية منذ رحيل الحكم العثماني ١٩١٨م ، ودخولها تحت نير الاستعمار البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨م ، ففي خضم التحولات الجذرية ما تزال نصوص دفاتر الطابو العثمانية ، وجداول حقوقها ، وبرقياتها ، وأوامرها وقواشيتها ، ووصولاتها ، وضرائبها ، ومذكراتها واستدعاياتها وأصول رهوناتها ، وما تحتفظ به دوائر الطابو ، ودور الأرشيف من دفاتر ، ووثائق خاصة بالأراضي المملوكة ، والأميرية ، والأوقاف ، وما بحوزة السكان من وثائق ، وقواشين المستند الأول في إثبات حقوق التصرف ، والملكية أمام المحاكم المحلية ، والدولية في مواجهة سلطات الانتداب البريطاني ، ووريثها الاحتلال الإسرائيلي ، بما فيها الأراضي التي شهدت تسوية بريطانية وأردنية ، وبناء عليها تعتمد عمليات البيع والرهن والإيجار وغيرها من المعاملات في المناطق التي لم تشهد تسوية بريطانية ، وأردنية علاوة على مجموعة النتائج التي تم عرضها في الدراسة ، وشكلت محورا حيويا في رسم صورة المجتمع الفلسطيني الاقتصادية والاجتماعية بكل أبعادها منذ ١٨٦٩م ، حتى اليوم .

(١) جريدة الجامعة الإسلامية ١٩٣٤/١٢/١٠م ، ص ٥ ؛ جريدة الجامعة الإسلامية ١٩٣٤/١٢/٣٠م ،

ص ٥ ؛ ١٩٣٥/١١/١٩م ، ص ٣-٨ ؛ أبو بكر ، ملكية ، ص ٢٨٦-٥٨٣-٦١١ .

## ملكية الأراضي في «قضاء الناصرة» (١٨١٠-١٩١٨م)

حسين منصور(\*)

### مقدمة:

تناولت هذه الدراسة تطورات ملكية الأراضي في قضاء الناصرة<sup>(١)</sup>، في حقبة محددة الأبعاد. تبدأ بترسيم الحدود بين أراضي الناصرة التابعة لولاية صيدا، والقرى المتاخمة للحدود الجنوبية التابعة لسنجق اللجون، بإشراف سليمان باشا العادل (١٨٠٤-١٨١٩م) والي عكا ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، وانتهاءً برحيل الحكم العثماني عن القضاء عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م وتركز في ذلك على أهمية تطورات الملكية التي واكبت تلك المدة، وفي مقدمتها تحديد حدود

---

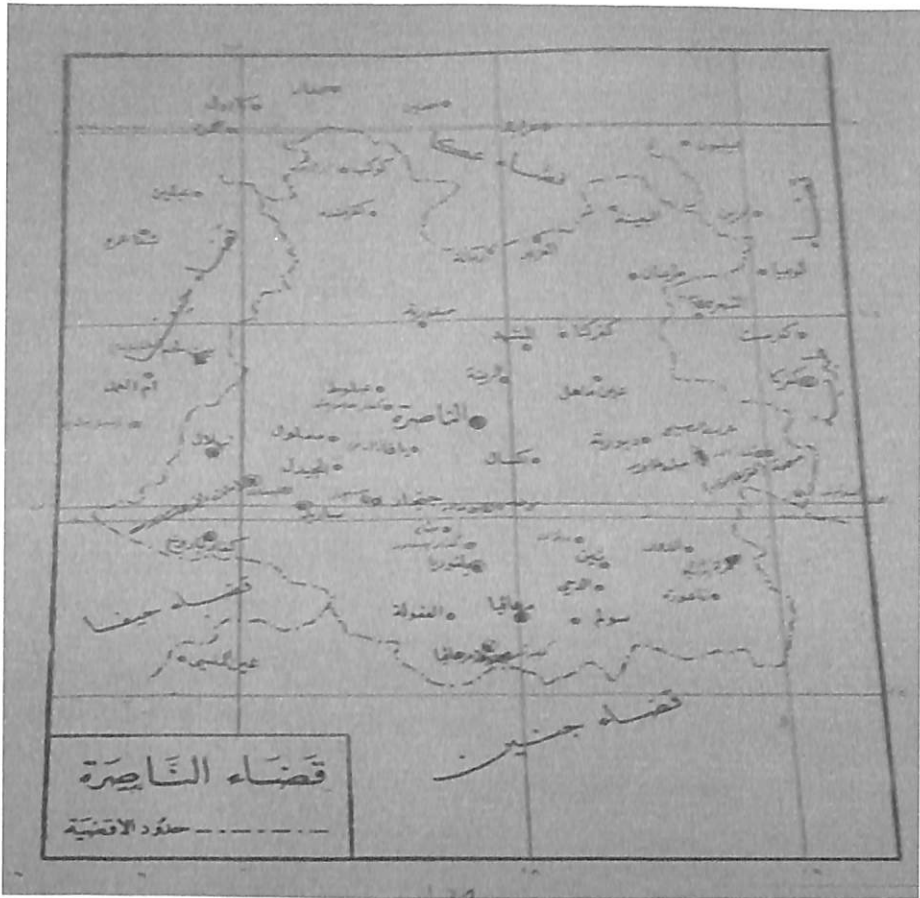
(\*) باحث، حيفا، فلسطين.

(١) كان قضاء الناصرة بعد صدور قانون الولايات العثماني عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، يعد واحداً من الأفضية الأربعة التي كان يتألف منها لواء عكا، وهي: قضاء الناصرة، وقضاء حيفا، وقضاء طبريا، وقضاء صفد. وكان قضاء الناصرة يضم في عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ٢١ قرية، انظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٧، القسم ٢، ط١، الشركة الدولية للطباعة والنشر، عمان، ١٩٧٤م، ص٧، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: الدباغ، بلادنا فلسطين؛ زهير غنایم عبد اللطيف غنایم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٢٨١-١٣٣٧هـ/١٨٤٦-١٩١٨م، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٥-٤٦، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: غنایم، لواء عكا.

الملكية بين قضائي الناصرة وجنين ، وانطلاق حركة التنظيمات العثمانية وفي مقدمتها الأراضي التي تجسدت بصدور قانون الأراضي ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م ونظام الطابو ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م ، التي جرى إنفاذها ميدانياً بالمسح والتسجيل عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م وحجم الملكية وحركة التغلغل الأجنبية .

وفي سبيل تتبع مسيرة تطورات ملكية الأراضي ، فقد تم عرض الدراسة في خمسة محاور ، خصص المحور الأول لمناقشة الإطار الجغرافي والأسس التي قامت عليها فكرة ترسيم الحدود بين قضائي الناصرة وجنين بإشراف والي عكا سليمان باشا العادل ، في حين خصص المحور الثاني لعرض أوضاع الملكية في القضاء قبل انطلاق حركة التنظيمات وما شهدته من تطورات مهمة تجسدت في حل نظام الإقطاع ، وانتشار فوضى الملكية على أراضي القضاء ، بينما كُرس المحور الثالث لعرض شؤون تطور ملكية الأراضي وعرض التنظيمات العثمانية وتنظيمات الأراضي التي بلغت ذروتها بصدور قانون الأراضي العثماني عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م ، في حين ركز المحور الرابع على عمليات المسح والتسجيل التي انطلقت أعمالها عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م ، ونظام الطابو الذي صدر عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م ، وحجم الملكية التي ظهرت في ثلاث مستويات ، هي : الملكية الصغيرة ، والملكية المتوسطة ، والملكية الكبيرة أو الرأسمالية . وكرس المحور الخامس لعرض حركة التغلغل الأجنبية التي تركت بصمات واضحة المعالم على تطورات الملكية في القضاء منذ صدور قانون تملك الأجانب عام ١٢٨٤هـ / ١٨٧٦م ، وتجسدت بتغلغل الحركة الصهيونية في الملكيات المتوسطة والرأسمالية الذين نقلوا مساحات واسعة من أراضيهم إلى الحركة الصهيونية بين الأعوام ١٩٠٩-١٩٢٩م .

خريطة (١): قضاء الناصرة وحدود الأضية



المصدر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ص ١٦٨.



## أولاً: الإطار الجغرافي

### أ - الموقع

تقع مدينة الناصرة عند الطرف الجنوبي من جبال الجليل الأسفل ، على خط طول (١٥ و ٣٠) درجة ، وعلى دائرة عرض (٤٤ و ٣٢) درجة<sup>(١)</sup> . وتمتد على عدة هضاب متقابلة مشرفة على سهل مرج ابن عامر<sup>(٢)</sup> وقد وصفه الفارس درافيو . . . ، «بأنه لا يمكن أن يوجد منظر أكثر جمالاً منه وأكثر اتساعاً وتنوعاً . . .»<sup>(٣)</sup> . وهضابها تكاد تكون مستديرة الشكل وترتفع في بعض الأحيان إلى ما يقارب ٤٠٠ متر عن سطح البحر ، وتحيط ببقعة مركزية تكاد تكون مستوية وفيها قامت مدينة الناصرة وتفرعت إلى عدة شعاب طويلة ملتوية قامت فيها حارات الناصرة الرئيسية : حارة الروم ، وحارة الإسلام ، وحارة

(١) سالنامه ولاية سورية سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٨م ، ص ٣٠٠ ، يوحنا فورزبورغ ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، ط١ ، ترجمة وتعليق سعيد عبدالله البيشاوي ، الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٧م ، ص ٢٩-٣٢ ، سيشار إليه لاحقاً ، فورزبورغ ، وصف الأراضي المقدسة ، أسعد منصور ، تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة ، طبعة طبق الأصل ١٩٨٣م ، الناصرة ، فلسطين ، مطبعة وأوفست الحكيم ، الناصرة ، ص ٦-٧ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد : منصور ، تاريخ الناصرة .

(٢) يقع سهل مرج ابن عامر جنوب قضاء الناصرة ، ويشتهر بخصوبة أراضيه وزراعة معظم المحاصيل الزراعية خاصة الحبوب والقطن ، وأن أرضه واسعة وسهنة ، «وقسم إلى قطع مربعة من الأرض المزروعة والحقول ، بحيث تبدو من مسافة بعيدة كأنها قطع في لوحة من الفسيفساء الملونة بالبرتقالي والأصفر والرمادي والأخضر والبني والأرجواني» . للمزيد ، انظر :

Mary Eliza Rogers, Domestic Life in Palestine, London: Kegan Paul International Limited, 1989, pp.126-127.

(٣) ليلي الصباغ ، فلسطين في مذكرات الفارس درافيو ، ط١ : الصادر ، ١٩٩٦م ، ص ١٠١ ، سيشار إلى المرجع هذا عند وروده فيما بعد : الصباغ ، فلسطين .

اللاتين . أشار توبلر (Tobler) ، إلى أن معظم سكان الناصرة تركزوا في حاراتها الثلاث : حارة الإسلام ما بين سرايا ظاهر العمر شرقاً والجامع الأبيض غرباً ، وحارة الروم شمال عين العذراء حتى باب الخانوق ، وحارة اللاتين غرب الخان التحتاني (المعروف بخان الباشا)<sup>(1)</sup> .

ساعد موقعها المتوسط بين سلسلة جبال الجليل الأسفل والطريق التجاري من خان التجار إلى مينائي حيفا وعكا في ازدهارها وتطويرها اقتصادياً وجعلها موقعاً استراتيجياً للتجارة المحلية والإقليمية ، أضف إلى ذلك موقعها المطل كالشرفة على سهل مرج ابن عامر واعتماد اقتصادها على الزراعة خاصة محصولي الحبوب والقطن خلال مدة حكم ظاهر العمر الزيداني الذي حارب أهالي جبل نابلس في معركة المنسي عام ١٧٣٥م للسيطرة على أراضي الناصرة في مرج ابن عامر والطريق التجاري الرئيس الذي ربط دمشق - خان التجار - القدس - القاهرة . ولأهمية هذا الطريق الذي يقع شرق الناصرة شهدت المدينة تحولات اقتصادية - اجتماعية - ديموغرافية ارتبطت بالأراضي والزراعة والتجارة المحلية والإقليمية واندمجت في فلك الاقتصاد الأوروبي خاصة في إنتاج القطن

(1) Titus Tobler, Nazareth in Palestine, Nebst: Anhang Der Vierter Wanderung, Berline: Ver-

legtBei G, Reimer, 1868, p. P; الrlegt Bei G, Reimer, 1868, p.n Paul International Limited

والاصفرقة محاصيل الزراعية خاصة الحبوب والقطن وأن ارضه واسعة وسهله للا

G. Schumacher, "Das Jet ZigeNazareth " ZDPV (1878-1945), B.d.13 (1890), p.247.

الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص١٢ ، منصور ، تاريخ الناصرة ، ص١٢ لم يرد في سجلات محكمة الناصرة الشرعية أو دفاتر الطابو هذا الاسم ، بينما ورد تحت اسم : خان الناصرة ، الخان التحتاني عند بناء الخان الفوقاني (خان الكاثوليك) ، للمزيد انظر : محكمة الناصرة الشرعية ، سجل (من غير رقم) ، ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م ، ص٨٠ ، ٩٢ ، سيشار إلى هذا المرجع : م . ن . ش .

وتصديره إلى أوروبا بشكل عام وفرنسا خاصة<sup>(١)</sup>.

أضف إلى ذلك ، ومن خلال دفاتر الطابو العثمانية منذ سنة ١٥٢٥م يظهر لنا أن سكان الناصرة وجوارها كانوا يعملون في الزراعة ، وتبين من خلال سجلات محكمة الناصرة الشرعية أنه كان لديهم نشاط بارز في المجال الزراعي خلال القرن التاسع عشر ، فكان المحصولان الرئيسان الحنطة والشعير يزرعان في أراضي الناصرة ، بالإضافة إلى محاصيل أخرى ، مثل : القطن ، والسمس ، والذرة . وساعد على ذلك التربة الخصبة وكمية الإمطار التي تهطل ومرور الأنهار من أراضيها وهي : نهر المقطع ، ونهر الجالود ، ونهر الشرار<sup>(٢)</sup> .

(١) ميخائيل الصباغ ، تاريخ ظاهر العمر ، (مخطوطة في الجامعة الأردنية) ، ميكروفيلم رقم ١٣٢٩ ، مركز

المصغرات الفلمية ، ص ١٠ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد : الصباغ ، تاريخ ظاهر

Amnon Cohen, Palestine in the Eighteenth Century: Patterns of Government and Administration, Jerusalem: The Magness Press and Hebrew University, 1973, p.12

بشارة دومانى ، إعادة اكتشاف فلسطين : أهالي جبل نابلس ١٧٠٠-١٩٠٠م ، ط ١ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ٥٤ .

(٢) يفصل نهر المقطع بين أراضي الناصرة وسنجق اللجون ، ينبع من كفر دان وتعنك قضاء جنين ويصب

في خليج حيفا ، ونهر جالوت ينبع من مغارة في قرية نورس قضاء جنين ويصب في نهر الشريعة ،

أما نهر الشرار فيخرج من أراضي أم الغنم في قضاء الناصرة ويتصل مع نهري وادي المدي ووادي

البيرة ويصب في نهر الشريعة . للمزيد ، انظر : محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود ، دفتر

مفصل لواء اللجون (طابو دفترى ١٨١) ، ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ،

١٩٨٩م ، ص ٢٢ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد : البخيت ، مفصل لواء اللجون ؛

محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك ، ولاية بيروت ، القسم الجنوبي ١ ، ألوية بيروت وعكا ونابلس ،

ط ٣ ، دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٣٨١-٣٨٢ ؛ عيسى إسكندر

المعلوف ، دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف ، بعبد ، لبنان ، المطبعة العثمانية ، ١٩٠٧-١٩٠٨م ،

ص ١٢٧ ، سيشار إلى هذا عند وروده فيما بعد : المعلوف ، دواني القطوف .

## ب - المساحة:

يعتبر قضاء الناصرة من أكبر المدن الفلسطينية من حيث المساحة ، وترجع السعة في المساحة إلى موقف ظاهر العمر عندما ألحق بها مساحات واسعة من أراضي مرج ابن عامر الجنوبية التي كانت تابعه إلى سنجق نابلس .

لا يوجد قيد رسمي يبين مساحة أراضي قضاء الناصرة ؛ إذ هناك أرقام متفاوتة ، فقد أشارت سالنامة ولاية سورية عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م ، إلى أن مساحة القضاء بلغت نحو ٣٠٤,٢٢٤ دوغماً<sup>(١)</sup> . ومن خلال قيود الأراضي المقيدة على أصحاب الأملاك ، يتبين مساحة الأراضي تبلغ ١٧٠٠ فدان ؛ أي ما يعادل ٦٣٨,١٩١ دوغماً . واستحوذت أراضي الناصرة عام ١٨٥٤م على مئة فدان رومي ؛ أي ما يعادل ١٤٠٠-١٨٠٠ دوغماً ، مع العلم أن الدوغم عبارة عن ١٦٠٠ ذراع مربع أو مبذر ثلاثة ساعات حنطة . بينما أشار الدباغ أن مساحة قضاء الناصرة تقدر بنحو ٤٩٧,٥ كم<sup>٢</sup> وكان يضم عام ١٩٠٤م (٢٥) قرية ، وفي عام ١٩١٠م بلغ عددها (٣٨) قرية ومزرعة<sup>(٢)</sup> . وهذا يفسر الاختلاف في تقدير مساحة أراضي القضاء . وقد أشارت سالنامة ولاية سورية إلى أن التنظيمات العثمانية نجحت في تعزيز مركز الناصرة الديني والإداري<sup>(٣)</sup> وأن مساحة أراضي الناصرة ازدادت بشكل ملحوظ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بناءً على ما ورد

(١) سالنامة ولاية سورية ، دفعه ٣ ، سنة ١٢٨٨هـ/١٨٨٢م ، ص ٢٤٥ .

(٢) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص ٧-٨ ، منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٢٨٦ ، غنام ، لواء عكا ، ص ٤٦-

(٣) ضم قضاء الناصرة التابع إلى لواء عكا عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٤م ٢٦ قرية وهي : صفورية ، الرينة ، معلول ، يافة ، المجيدل ، المشهد ، دبورية ، العفولة ، الفولة ، جباتا ، جنجار ، تل الشام ، سيمونية ، عين البيضا ، طرعان ، كفر كنا ، عين ماهل ، كفر مندا ، كوكب ابو الهيجا ، اكسال ، خنيفس ، البعينة ، رمانه ، العزيز ، عيلوط ، انظر : سالنامة ولاية سورية ، ١٣٠٣هـ/١٨٨٤م ، دفعه ١٧ ، ص ١٩٨ .

في سجلات محكمتي الناصرة وجنين الشرعيتين ودفاتر الطابو بعد أن ركز أصحاب الملكيات المتوسطة والرأسمالية شراء مساحات كبيرة من الأراضي التابعة لقضاء جنين والحاذية للحدود الجنوبية لأراضي الناصرة، وهي: أندور، طمرة، سولم، نين، الطيبة، الناعورة، قومية، زرعين، نورس، وضمها لأراضي الناصرة<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن قضاء الناصرة التابع لولاية عكا الملحق بولاية سورية بقي تابعاً لها بعد أن شكلت ولاية بيروت عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨ م، واستمر كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ م، باستثناء المدة التي سلخ عن لواء عكا وألحق بمتصرفية القدس بداية القرن العشرين ما بين الأعوام ١٣٢٤-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٦-١٩٠٩ م نتيجة للضغوط الأجنبية على الدولة العلية؛ بهدف وضع جميع الأماكن الدينية المسيحية في تشكيلة إدارية واحدة؛ كي يسهل على الحجاج المسيحيين زيارتها<sup>(٢)</sup> وتنفيذ مشاريعها الاستيطانية الاستعمارية الإحلالية وبيع أراضي قضاء الناصرة التي تعود لأصحاب الملكيات المتوسطة والرأسمالية إلى الحركة الصهيونية.

(١) محكمة الناصرة الشرعية، سجل (١٩)، ١٣١١هـ/ ١٨٩١ م، ص ١١، ١٨، ٢١، ٢٨، ٢٩، ٣٥-٣٨، ٤٦-٤٨، ٥٢، ٥٧، ٧١؛ سجل (٢٠)، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م، ص ٨، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٢-٢٣، ٣٧، ٤٤، ٥٠-٥١، ٥٦-٥٨، ٧١-٧٢، ٨٦، ١٠٣-١٠٤، ١١٧، ١٢٠-١٢١، ١٣١-١٣٢، ١٣٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤-١٥٥، ١٧٠، ١٧٦، ١٧٧، سجل (٢١)، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥ م، ص ٨٤، وسنشير إلى هذا المصدر لاحقاً م. ن. ش.

(٢) م. ن. ش. سجل (٢٠)، ١٣١٨-١٣٢٦هـ/ ١٩٠٠-١٩١٠ م، ص ١٧٠-١٨٨، أمين مسعود أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس، ١٨٥٨-١٩١٨ م، ط ١، عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٩٦ م، ص ٥٧، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد: أبو بكر، ملكية الأراضي.

### ج- الحدود

تقع الناصرة في قلب الجليل الأسفل ، ونستطيع أن نرى المناطق التي تحدها من فوق المرتفعات المحيطة بها ، فنرى جبال الكرمل من الغرب ومرج ابن عامر وجبل الدحي من الجنوب وجبل طابور من الشرق وجبل سيخ (النبي يونس) من الشمال ، كما نرى القرى المحيطة بها : من الشرق قرى اكسال ، دبورية ، عين ماهل ومن الغرب قريتي عيلوط ومعلول ومن الجنوب قرية يافا ومرج ابن عامر حتى قرى سولم ، نين ، أندور ، الناعورة والطيبة ، ومن الشمال قريتي الرينة وصفورية<sup>(١)</sup> .

كثيراً ما وقع خلاف بين أهالي الناصرة والقرى المتأخمة للحدود الجنوبية في قضاء جنين خلال حكم الوالي سليمان باشا العادل (١٨٠٤-١٨١٩م) ، الذي أمر بتشكيل لجنة لترسيم الحدود بين الناصرة التابعة لولاية صيدا وتلك القرى التابعة لسنجق اللجون ولناقشة الأسس التي قامت عليها فكرة ترسيم الحدود وتشبيتها<sup>(٢)</sup> ، وأن حدها من جهة المشرق طريق الرهوة السلطاني المحاذي للحجر الأسود ويقطع قبله إلى وادي عين الميتة ، الذي يمتد إلى عيون ( . . . ) المحاذية إلى تل الحزنبيل ثم إلى عيون الثعالب ثم إلى منتهى الوادي من جهة القبلة ، فهذا حدها من جهة المشرق ، فما كان منه في هذا الحد فهو تابع لولاية صيدا ، وما كان منه شرقيه فهو تابع لولاية سنجق اللجون وحدها من جهة القبلة الوادي الكاين عند منتهى الحد المذكور من جهة المغرب ، ثم يمتد ذلك الوادي لجهة المغرب ليتصل بطريق سلطاني السيلة ، ثم يكون الحد السلطاني إلى أن يلتحق بوادي جاموس ، ثم يكون الحد بوادي الجاموس إلى أن يبلغ وادي المقطع ، ثم يكون المقطع حداً إلى أن يبلغ حد ظهر أرض بلاد صفد من جهة المغرب ، فهذا حدها من جهة القبلة أيضاً فما كان من شمالي هذا الحد فهو تابع

(١) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص ٣٤-٣٥ ؛ منصور ، تاريخ الناصرة .

(٢) وأشارت محكمة الناصرة الشرعية إلى ذلك .

لولاية صيدا ، وما كان قبله فهو تابع لولاية سنجد للجون ، فهذا ما أثبتته الجمع الذين ستذكر أسمائهم ولم يوجد من يثبت غير هذا ، والجمع المثبت لهذا الإثبات بعضه من بلاد صفد<sup>(١)</sup> .

إن النمو الاقتصادي الذي تمتع به قضاء الناصرة خلال حكم سليمان باشا العادل دفع حكام جبل نابلس وسنجد للجون إلى المطالبة باستعادة الأراضي التي كانت تابعه لهم أيام ظاهر العمر ، مثل : الفولة ، والعفولة ، واستطاع سليمان باشا إنهاء الخلاف على حدود الناصرة الجنوبية . ثم تجدد الخلاف بين أهالي قرية نين التابعة لسنجد للجون مع أهالي قريتي الفولة والعفولة التابعة لولاية صيدا لواء صفد حول تجديد حدود الأراضي بينهما ، وبعد المداولات تم وضع حدود واضحة بين الطرفين ، وتم الاتفاق على أن أراضي الفولة والعفولة تابعة للواء صفد<sup>(٢)</sup> .

يُلاحظ أن سليمان باشا أراد ضمان الاستقرار والأمن لسكان الناصرة وجوارها حتى يساهموا في توسيع مساحة الأراضي الزراعية وزيادة النشاط الاقتصادي والتجاري ، لهذا دعا إلى ضرورة إنهاء الخلاف على حدود الناصرة الجنوبية بالتراضي بين الطرفين المتنازعين من غير اللجوء إلى المواجهة العسكرية مع حكام جبل نابلس كما حدث أيام ظاهر العمر ، فأتاح له من خلال ذلك

(١) م. ن. ش. ، سجل (بدون رقم) ، ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م ، ص ١٥-١٦ ، منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٦٧ ، دفتر خاقاني مخصوص ، ١/٧/٣/٤ ، شهر س أيلول ٣٢٦ ، نومرسي ٩ ، ص ٨ ، حدود أرض الفولة والعفولة .

(٢) م. ن. ش. ، سجل (بدون رقم) ، ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م ، ص ١٦ ، وقد أشارت جريدة سورية سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م إلى الخلافات التي حدثت بين المناطق المختلفة في قضاء الناصرة ونشرها وتشكيل لجان من الأطراف المتنازعة لحل هذه الخلافات . للمزيد ، انظر : جريدة سورية ، عدد ١٠١٦ ، ١٢ ، رمضان سنة ١٣٠٢هـ / ١٣ حزيران ١٨٨٥م ، ص ١ .

القيام بعدد من المشاريع الاقتصادية والعمرائية ذات النفع العام<sup>(١)</sup> .

خريطة (٢) : تبين حدود أراضي الناصرة مع سنجق اللجون



المصدر : البخيت ، دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها ، ص ٢٢ .

## ثانياً: تنظيمات الأراضي

### أ - أوضاع الملكية في قضاء الناصرة قبل انطلاق حركة التنظيمات:

أبقى العثمانيون الوضع الإداري في بلاد الشام على ما كان عليه أيام المماليك عام ١٥١٧م ، فقسّمت إلى ست مناطق إدارية ، منها منطقة صغد التي قسمت إلى عدة نواح ، منها : ناحية طبريا التي شملت عدة قرى منها الناصرة ، وفي سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م أصدرت الدولة العثمانية قانون الولايات الجديد ،

(١) إبراهيم العوره ، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل ، نشره وعلق عليه وألحقه بعدة سنوات الخوري

قسطنطين الباشا الخلصي ، صيدا ، لبنان ، مطبعة دير المخلص ، ١٩٣٦م ، ص ٣٠٢ ، سيشار إلى هذا

المرجع عند وروده فيما بعد : العوره ، تاريخ ولاية سليمان باشا .



وبوجهه قُسمت بلاد الشام إلى ولايتين، هما: ولاية حلب وولاية سوريا، فكانت الناصرة تابعة إلى سنجق عكا أحد ألوية ولاية سوريا<sup>(١)</sup>. اكتسبت الناصرة أهمية دينية واقتصادية قبل حقبة التنظيمات العثمانية، وشكل موقعها المطل كالشرفة على سهل مرج ابن عامر نموًا اقتصاديًا، لا سيّما أنها تقع بالقرب من طريق القوافل التجارية: دمشق - خان التجار - القدس، فنشطت الحركة التجارية فيها وأصبحت مركزًا تجاريًا مهمًا في الدولة العلية العثمانية خاضعة لاحتكار الحكام المحليين:

#### - أبناء الأمير طراباي:

ينسبون لآل طراباي، وتعرف بالأسرة الحارثية، كانت متنفذة في منطقة اللجون جنوب مرج ابن عامر وقاعدة المرج أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ثم ألحقت إليهم ناحية مرج ابن عامر وتوابعها ولواحقها عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م. كان طراباي بن قزاجه أكبر ملتزم للضرائب في بلاد الشام في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، وهو من التجار، وله اقطاعات مدونة باسمه حسب أحد دفاتر الطابو (دفتر رقم ٤٠١) الذي يعود تاريخه إلى نحو سنة

(١) عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م، مصر: دار المعارف، ص ٦١-٦٣، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: عوض، الإدارة العثمانية، عبد الكريم رافق، «فلسطين في العهد العثماني» الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت ١٩٩٠م، ص ٦٨٩، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: رافق، فلسطين، محمد عيسى صالحية، سجل أراضي ألوية (صفد، نابلس، غزة، وقضاء الرملة) حسب الدفتر رقم ٣١٢ تاريخه ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م، ط١، عمان، الأردن: جامعة عمان الأهلية، ١٩٩٩م، ص ٢٦، غنايم، لواء عكا، ص ٤٦-٤٥.

Kenneth W.Stein, The Land Question in Palestine, 1917-1937, The University of North Carolina Press, Capel Hill and London, 1984, pp.8-9, therefor, Stein, The Land.

١٥٥١هـ/١٥٤٣م، وأحد دفاتر المالية الذي يعود تاريخه إلى نحو سنة ٩٥٩هـ/١٥٥١م، ومن بين الإقطاعات الناصرة وجوارها<sup>(١)</sup>.

ضُمت الناصرة وجوارها إلى سلطتهم سنة ١٦٣٥م، بعد مقتل الأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٩٠-١٦٣٥م) ابن الأمير قرقماس الذي قتل على يد العثمانيين سنة ١٥٨٤م، وفي عام ١٦٢٠م أصبح الأمير فخر الدين حاكماً لصور وصيدا والجليل بما فيها الناصرة<sup>(٢)</sup>. وعانت الناصرة من هجمات العشائر البدوية المستمرة وفرضت أحياناً عليهم ضريبة الأتاوه (الخاوة)، كما ضايق الأمير طراباي بن علي الحارثي رهبان الناصرة وسجن الراهب هيلاري ولم يفرج عنه حتى دفع الرهبان ٣٠٠ فرنك فدية، وفرض عليهم ١٨٠٠ فرنك بسبب تعليق الأجراس، بينما أشار الرحالة «درافيو» إلى أنه لا يوجد خلاف بين المسلمين والمسيحيين في الناصرة، وهم يحترمون بعضهم بعضاً وأن الأمير طراباي لا يميز بين المسلم والمسيحي<sup>(٣)</sup>.

(١) «محمد عدنان» البخيت، الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥-١٠٨٨هـ / ١٤٨٠-١٦٧٧م، «الأبحاث»، السنة ٢٨-٢٩، ١٩٨٠م، رئيس التحرير: إحسان عباس، هيئة التحرير: يوسف فان إس وأخرون، ص ٥٥-٧٨، البخيت، لواء اللجون، ص 9.

(2) Moshe Sharon, "The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteen and Seventeenth Centuries, Studies on Palestine During the Ottoman Period, Moshe Ma'az (ed), (Jerusalem, 1975), The Magness press, The Hebrew University Institute of Asian and African Studies yadishak Ben-Zvi, pp.28-29.

جرجي يني، الأمير فخر الدين المعني، «المقتطف»، م ٢٨، أكتوبر ١٩١٣م، ص ٨٢٦-٨٣٣، طنوس بن يوسف الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ج ١، بيروت: مطابع سميا، ١٩٤٥م، ص ٢٠٣.

(٣) منصور، تاريخ الناصرة، ص ٤٦؛ الصباغ، فلسطين، ص ٧٣-٧٤.

## - ظاهر العمر الزيداني (١٧٣٠-١٧٧٥م)

نشأ عمر الزيداني والد ظاهر العمر كملتزم على بلاد صفد وطبريا ، ثم توسع نحو الجليل ، وأصبح ظاهر العمر ملتزماً على بلاد صفد وطبريا بعد وفاة والده ، واستطاع فرض سيطرته على الجليل منذ سنة ١٧٣٠م ، واتخذ عكا مركزاً لحكمه سنة ١٧٤٦م ، واستولى على الناصرة سنة ١٧٣٥م ، ودخل في صراع مع أهالي جبل نابلس لإبعادهم عن الناصرة وأراضيها في مرج ابن عامر لشدة خصوبتها في إنتاج المحاصيل الزراعية ، خاصة محصولي القطن والحبوب<sup>(١)</sup> . وقد أسهم في تحسين الوضع الاقتصادي لأهالي الناصرة وبناء القاعدة الاقتصادية القوية لحكمه ولعشرات أبناء العائلات الذين عملوا في التجارة ، فتحسن وضعهم الاقتصادي وازداد نفوذهم المحلي . وقد جعل الظاهر السلطة المحلية في الناصرة بيد آباء الأراضي المقدسة واستخدم بعض المسيحيين في التزام بعض القرى المجاورة للناصرة ، واقطع الخوري<sup>(٢)</sup> إقطاعات عديدة ، وأصبح من حكام الناصرة المحليين .

(١) عبود الصباغ، الروض الزاهر في تاريخ ضاهر، «المكتبة التيمورية - ٢٢٢١» نسخة مصورة عن نسخة باريس - ٥٩٠ - س ٣٥٤ / ١٢ ، ٤ ، مكتبة الجامعة الأردنية ، مركز المصغرات الفلمية ، شريط رقم ١٣٥٩ ، بدون صفحة ، جورجي يني ، «ظاهر العمر» ، «المقتطف» ، المجلد ٢٨ ، ص ٣١٨-٣١٩ ، نعمان القساطلي ، «ملخص تاريخ الزيدان» ، «الجنان» ، المجلد ٤ ، بيروت : ١٨٧٧م ، ص ٨٤٧-٨٥٣ ؛ الصباغ ، تاريخ ظاهر ، ص ١٢-١٣ ، Cohen, Palestine, p.130 ، ميخائيل بريك الدمشقي ، تاريخ الشام ١٧٢٠-١٧٨٢م ، ط ١ ، تحقيق وتقديم ، أحمد غسان سبانو ، دمشق : دار قتيبة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٥-٢٧ .

(٢) ينتمي الخوري خليف لعائلة الخليفية المسيحية ، قدمت إلى الناصرة من منطقة صخرة في لواء عجلون شرق الأردن في أواسط القرن السابع عشر ، وكان ضمن الجهاز الإداري لظاهر العمر ، وأصبح من حكام الناصرة المحليين منذ بداية حكم أحمد باشا الجزائر . للمزيد ، انظر : منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٢-

Abbe Mariti, Travels Cyprus, Syria, and Palestine, with Agenera (History of The Le-

vant, الصباغ ، تاريخ ظاهر ، ص ١٢ ، P.348; (Doblin: P.Pym, A. Geneber. J.Rice), Vol.1,

تجدر الإشارة إلى أن سياسة الظاهر الاقتصادية رفعت مكانة الناصرة وجوارها اقتصادياً ودينياً وعمل على تنشيط الزراعة والتجارة ، فشهدت سهول مرج بني عامر نهضة زراعية أدت إلى تغير اقتصادي واجتماعي وديمقراطي ساعد على تحول الناصرة من قرية صغيرة إلى مدينة ثم إلى مركز قضاء .

#### - أحمد باشا الجزائر (١٧٧٦-١٨٠٤م)

هو مملوكي بشناقى الأصل من بلاد البوسنة ، بدأ سيرته في إستانبول ، ثم اشتهر في مصر في خدمة علي بك ونال رتبة البكوية فيها ، لقب بالجزار لشدة بطشه يبدو إقليم البحيرة ، ثم انتقل مع مماليكه إلى بلاد الشام ودخل في خدمة العثمانيين حيث عهد إليه بحماية بيروت . وحين قتل ظاهر العمر عُيِّن محافظاً على عكا ، ثم أعطي ولاية صيدا سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م<sup>(١)</sup> ، فاستولى على أملاك ظاهر العمر وأفاد منها للإنفاق على جيشه ، وهجر كثير من الفلاحين قراهم بسبب مصادرة ممتلكاتهم . ضغط الجزار على الملتزمين في ولايته وأخضعهم في المناطق التي يحكمها ، وبخاصة الأعيان المحليين ذوي الزعامة التقليدية<sup>(٢)</sup> .

زادت مخاوف مسيحي الناصرة من الجزار بعد وقوفهم إلى جانب حملة نابليون بوناپرت على فلسطين بعد حملته على مصر ١٧٩٨م واتخاذ الجزار الناصرة مقراً له أثناء معركة جبل طابور مع العثمانيين ، وقام بإغلاق دير الإفرنج والتدخل في شؤون الناصرة والاستيلاء على ممتلكات بعض تجارها وأعيانها

(١) عمر صالح البرغوثي و خليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، القدس ، مطبعة بيت المقدس ، ١٩٢٣م ، ص

٢٣٨ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد : البرغوثي ، تاريخ فلسطين ؛ رافق ، فلسطين ، ص

٧١٨ ، حيدر الشهابي ، تاريخ أحمد باشا الجزائر ، حققه الأب أغناطيوس خليفه اليسوعي والأب

أنطونيوس شلبي ، بيروت : مكتبة أنطوان ، ١٩٠٤م ، ص ٣٧ ، ٤٧ .

(٢) رافق ، فلسطين ، ص ٧١٩ ؛ العورة ، تاريخ ولاية سليمان باشا ، ص ٥٩ .

المسيحيين ومصادرة أملاك الرهبان وقتل ترجمانهم<sup>(١)</sup> .  
أدرك الجزائر أهمية قضاء الناصرة الاقتصادية والتجارية وزيادة مساحة أراضيها الزراعية ، ومن ثمّ زيادة الضرائب الواردة للخرينة ، وهذا ما حفّزه لضمها إلى مناطق نفوذه باعتباره وريثاً للظاهر ، فتحولت مناطق التزامه إليه بموافقة الدولة العلية العثمانية وجعلها ملكاً له طيلة حياته ، وهذا ما يعرف بـ «المالكانه» ، وهي شكل من أشكال الالتزام تميز باستمراره طيلة الحياة بدلاً من تحديده بنسب معينة ، اعتمدته الدولة العلية لتجنب ظلم الملتزمين<sup>(٢)</sup> .  
على الرغم من سياسة الجزائر القاسية ، إلا أن مناطق نفوذه شهدت نمواً اقتصادياً وازدهرت التجارة المحلية والإقليمية واندمجت في فلك الاقتصاد الأوروبي ، خاصة إنتاج القطن وتصديره إلى أوروبا على اعتبار أن أراضي مرج ابن عامر من أغنى الأراضي لزراعته . كما نلاحظ أن الجزائر قد أحدثت تغييرات جذرية في النظام الاقتصادي المتبع في مناطق نفوذه ، واحتكر فروع النشاط الاقتصادي على نحو واسع ، ممّا أدى إلى سيطرته على الاقتصاد الداخلي لمناطق نفوذه<sup>(٣)</sup> . ونجم عن ذلك زيادة قوته العسكرية التي صمدت أمام جيش نابليون بونابرت عندما حاصر عكا في ٢٠ آذار ١٧٩٩م<sup>(٤)</sup> .

(١) أشار سجل محكمة الناصرة الشرعية إلى عدد من التجار الذين تمت مصادرة أملاكهم ، وأشهرهم إبراهيم الجرجس (مسيحي من طائفة الموازنة) ، واستطاع ورثته إرجاع أملاكهم بعد وفاة الجزائر . انظر : م . ن . ش ، سجل بدون رقم ، ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م ، ص ٩٣ ؛ سجل الكنيسة المارونية ، ١٩ تشرين الأول سنة ١٧٧٧م ، بدون صفحة ؛ ميخائيل بريك ، تاريخ حوادث الشام ولبنان (١٧٨٢-١٨٤١م) ، مجلة المشرق ، المجلد الأول ، بيروت ، ١٩١٢م ، ص ٣٦ ؛ تاريخ الناصرة ، ص ٢٩٩ .  
(٢) نوفل نعمة الله نوفل ، كشف اللثام عن محيي الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام ، أوجزه جورجي يني ، طرابلس ، لبنان ، جروس بريس ، ١٩٩٠م ، ص ١٥٣ .

(3) Cohen, Palestine, pp.202-203.

(4) Geikie D.D, Holy Land And The Bible, London: James Clarke, 13, 14, Fleet Street, 1824, p.740

- سليمان باشا العادل (١٨٠٤-١٨١٩م)

كان سليمان باشا من مماليك الجزائر، ويعود أصله إلى بلاد الكرج، عيّنه الجزائر على الخزنة، وسمي بالخنزدار، وبعد وفاة الجزائر سنة ١٨٠٤م تسلم سليمان باشا الحكم خلفاً له عام ١٨٠٤م<sup>(١)</sup>. واتجهت سياسته نحو اللامركزية، وقليلًا ما كان يتدخل في شؤون الحكام المحليين والموظفين والتجار، وكان حريصًا على تنشيطه الاقتصاد المحلي إلى حد أنه أعطى تجار الناصرة ملكية فعلية للأموال التي تملكها الحكومة، والتي تم الاستيلاء عليها خلال حكم الجزائر<sup>(٢)</sup>. اتبع سليمان باشا سياسة ضريبية متساهلة لتنشيط التجارة المحلية والإقليمية وتشجيع زراعة المحاصيل التي تدر أرباحًا طائلة، مثل: القطن، والحبوب والسمسم، وغيرها. وهذا ما دفع عددًا من التجار لاستثمار أموالهم في أراضي الناصرة وجوارها. وكان لعائلة كتفاكو التي تعود إلى مدينة جنوة في إيطاليا. وتقلد أنطون كتفاكو منصب قنصل النمسا في عكا، وأقام مع أخيه فيليب فيها، وانتقل الاثنان للإقامة في الناصرة مع بداية القرن التاسع عشر، ثم لحق بهما أخوهم ثيودور، الذي عمل طبيبًا بعد أن ترك مدينة صيدا<sup>(٣)</sup>. عمل فيليب مقرضًا للمال لتجار الناصرة، بينما كان أنطون يشتري التزام الأعشار من والي صيدا في منطقة الجليل. وارتبط أنطون بعلاقات وثيقة

(١) العورة، تاريخ ولاية سليمان باشا، ص ١٠-٢٥.

(٢) م. ن. ش، سجل (بدون رقم)، ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، ص ٩١-٩٣؛ منصور، تاريخ الناصرة، ص ٢٩٩.

(3) Mahmoud Yazbak, "The Politics of Trade and Power: Daher al- Umar and the making of Early Modern Palestine", Journal of Economic and Social History of the Orient 56 (2013), pp.724-727;

العورة، تاريخ ولاية سليمان باشا، ص ١٩٣-١٩٤؛ م. ن. ش، سجل (١٦)، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٥م، ص ١٧؛ سجل ٢٠، ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ١٧٨.

بسليمان باشا ، وحصل منه على التزام اثنتي عشر قرية في مرج بني عامر جنى منها أرباحاً طائلة ، وكان موكلاً أخاه فيليب بإدارتها<sup>(١)</sup> .

وأشار سجل محكمة الناصرة الشرعية إلى أن الخواجه فيليب كتفاكو أقرض المعلم خليل بولص والمعلم إلياس قعوار (كلاهما من مسيحيي الناصرة ومن وجهاء طائفة الروم الأرثوذكس) مبلغ ستة عشر ألف غرش وستماية واثني عشر غرشاً ونصف ، ولم يستطيعا سداد الدين ، فحصل الخواجه فيليب بدل المال على غلال ، نقلت إلى المخازن التابعة لعائلة كتفاكو في الناصرة<sup>(٢)</sup> .

تجدر الإشارة من خلال ذلك إلى ظهور الانتعاش الاقتصادي أيام سليمان باشا الذي أسهم في توسيع رقعة النشاط الاقتصادي ، مما دفع تجار الناصرة ورهبانها إلى زيادة مساحة أراضيهم في مرج بني عامر ومطالبة حكام جبل نابلس باستعادة أراضي الفولة والعفولة التي كانت تابعة لهم أيام ظاهر العمر<sup>(٣)</sup> .

### - الحكم المصري (١٨٣١-١٨٤٠م)

تعتبر مدة الحكم المصري في فلسطين (١٨٣١-١٨٤٠م) النقطة الحاسمة لبداية التحديث وافتتاح الأراضي المقدسة أمام التغلغل الأجنبي ، الذي أدى إلى تدفق التجار الأوروبيين إلى فلسطين بادعاء حماية الأقليات الدينية

(١) أسدرستم ، المحفوظات الملكية المصرية ، م ٤ ، بيروت : ١٩٣٤-١٩٤٠م ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م ، ص ٣٦٩ ؛ العورة ، تاريخ ولاية سليمان باشا ، ص ١٥٩ .

John Lewis Burckhardt, Travels in Syria and the holy land, London: john Murray, 1822, p.341, Therefore, Burckhardt, Travels.

(٢) م . ن . ش ، سجل (بدون رقم) ، ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م ، ص ٧٨-٧٩ .

(٣) م . ن . ش ، سجل (بدون رقم) ، ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م ، ص ١٦ ؛ منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٦٧ ؛ العورة ، تاريخ ولاية سليمان باشا ، ص ٣٠٢ .

المسيحية<sup>(١)</sup>، ودعم الإرساليات التبشيرية، مما أعطى الناصرة أهمية دينية، ظهر ذلك واضحاً على سكانها -خاصة المسيحيين- بعد أن تعهد محمد علي باشا للأوروبيين بأنه سيعامل المسيحيين معاملة متسامحة، وكان هدفه الحصول على دعم الدول الأوروبية ضد الدولة العلية.

ولكن، يبقى السؤال:

هل أثر التدخل الأوروبي في فلسطين بشكل إيجابي أم سلبي في ملكية أراضيها؟

شهدت فلسطين عامة، والناصرة خاصة سلسلة من التغيرات الاقتصادية خلال الحكم المصري، وكان للاتفاقية التجارية بالطاليمان «BaltaLimani» التي عقدت بين الحكومة البريطانية والدولة العلية العثمانية سنة ١٨٣٨م، التي تنص على حظر كل الاحتكارات والسماح للتجار البريطانيين بإدخال جميع البضائع الأجنبية إلى أسواق الدولة العلية بدون دفع ضرائب باستثناء رسوم الاستيراد والتصدير<sup>(٢)</sup>، فزادت أنشطة التجارة الأوروبية فيها وفتحت باب التدخل الأوروبي في بلاد الشام على مصراعيه، وأقامت الدول الأوروبية

(1) Alexander Scholch, Palestine in the Transition Period, 1856-1882, Studies in Social, Economic and Political Development, Washington: 1993, pp.49-50, Therefore: Scholch, Palestine.

(٢) عبد الكرم غرايبة، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦م، بيروت: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦١-١٩٦٢م، ص١٣٢؛ وليد صبحي العريض، تاريخ الدولة العثمانية، التاريخ السياسي والإداري، دراسات تاريخية، ط١، عمان (الأردن): دار الفكر، ٢٠١٢م، ص١٣٣، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: العريض، تاريخ الدولة العثمانية؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط٢، مصر: مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش قدم بمصر المحمية، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص٢٦١، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: فريد بك، تاريخ الدولة العلية.



قنصليات لها في المدن الفلسطينية الكبرى كالقدس ويافا وحيفا<sup>(١)</sup>. وشهدت الناصرة نشاطاً تجارياً واضحاً خلال حقبة التنظيمات، وكانت مركز التجارة لمدينة بلاد الشام وسوقاً لقضائه<sup>(٢)</sup>، كما كان لمعاهدة بالطا ليمان ١٨٣٨م تأثير مباشر في البنية الاقتصادية، حيث انهار اقتصاد بلاد الشام، وأصبح الاستهلاك مستورداً ونافس المنتوجات المحلية، وزادت علاقة التجار المسيحيين بالقناصل الأوروبيين، وتحولوا إلى وكلاء لهم، وارتفعت مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية، وزاد ثرائهم، وأسهموا -فيما بعد- بشراء مساحات واسعة كبيرة من الأراضي والعقارات في الناصرة وجوارها خلال فترة التنظيمات العثمانية<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: تطور ملكية الأراضي

أ - عاد الحكم العثماني إلى بلاد الشام بعد رحيل الحكم المصري عام (١٨٤٠م)، واتبعت الدولة العلية العثمانية سياسة التنظيمات لتتماشى مع سياسة التحديث التي اتبعها محمد علي باشا، فأصدر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) مرسومين إصلاحيين؛ الأول خطي كلخانه «Gulhane Fermani»، أعلن عنه في اليوم الثاني من شهر تشرين الأول سنة ١٨٣٩م، بينما أعلن المرسوم الثاني خطي همايون «Hatti-Humayon» في اليوم الثامن عشر من شهر شباط سنة ١٨٥٦م، وذلك بعد أن واجهت الدولة

(١) أرشيف دولة إسرائيل، ملف القنصلية البريطانية، Local Authorities, Form Consular, 2/ 793 ?

Agents British Consulate, Jerusalem, 1851-1875; منصور، تاريخ الناصرة، ص ٨٥، ١٧٩.

(2) Burckardt, Travels, pp.349-350

(٣) منصور، تاريخ الناصرة، ص ٣٠٢؛ سالنامه ولاية سوريا، سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١، دفعة ١٣، ص

٢٤٩؛ م. ن. ش.، سجل (٤)، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، ص ٤٦، سجل (١٩)، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م،

ص ٥٧-٥٨-243; Schumacher, Nazareth, p.

العلية العثمانية صعوبات عديدة من قبل الدول الأوروبية والحركات الانفصالية نتيجة لضعف الدولة العلية وزيادة التدخل الأوروبي بشؤونها . جاء خطي كلخانه لإيجاد حل مشاكل الدولة العلية العثمانية وإصدار قوانين جديدة تعمل على إقامة علاقات حسنة بين جميع الطوائف وتحقيق العدالة والأمان لجميع سكان الدولة العلية العثمانية ، ففي سنة ١٨٣٩م ألغت الدولة العلية العثمانية نظام الإقطاع بعد أن كانت قد منحته للإقطاعيين والزعامات المحلية وكبار موظفي العسكر في القرن السادس عشر ، بينما ركز خطي همايون على المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وأهل الكتاب ، واهتم بتوزيع ملكية الأراضي واستثمارها بالتساوي ، كما سمح للأجانب بشراء الأراضي والعقارات واستملاكها في جميع أرجاء الدولة العلية العثمانية .

أسهمت التنظيمات العثمانية في زيادة التغلغل الأوروبي في فلسطين بعد أن قاموا بعملية مسح لأراضي ومواقع فلسطين تمهيداً للإقامة فيها ، وأدى ذلك إلى إحداث تحولات اقتصادية وديمغرافية وزيادة النمو السكاني بسبب نزوح الفلاحين من السهول والقرى بحثاً عن الأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي مع الأوروبيين الذي فتح المجال أمام التجار لاستغلاله بشكل جيد وأدى إلى ظهور طبقة من ملاكي الأراضي والعقارات ، فنشأت طبقة ثرية وغنية عملت في معظمها بتجارة الأراضي<sup>(١)</sup> . وساعد في ظهورها صدور قانون الأراضي ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م ، الذي اهتم بمسألة ملكية الأراضي ضمن سياسة التنظيمات العثمانية وإحداث تغييرات اقتصادية

(١) تأثرت الناصرة وجوارها بهذه التحولات ، وفتح المجال لرجال الدين والتجار -خاصة- المسيحيين من الناصرة العمل كوكلاء لتجار أوروبيين ، انظر : Scholch, Palestine, p.146; م. ن. ش. ، سجل (١) ، ١٢٩١-١٢٩٥هـ / ١٨٧٤-١٨٧٩م ، ص ١٢ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ؛ ————— ، سجل (٢٠) ، ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، ص ٩٤-٩٧ ؛ منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٣٠٢ .

واجتماعية في فلسطين ، وتحسين جباية الضرائب والرسوم وجميع المعلومات عن السكان لأغراض التجنيد العسكري ، مما دفع بعض السكان إلى عدم تسجيل أراضيهم بأسمائهم وسهل على أصحاب الملكيات المتوسطة والرأسمالية (الكبيرة) وضع يدهم على تلك الأراضي وتوسيع مساحة ممتلكاتهم وتحقيق سيطرة اقتصادية على قضاء الناصرة وجوارها ، مما أفرز الصراع بين أصحاب الملكيات وساهم في هجرة بعض السكان بعد خسارة أملاكهم خوفاً على حياتهم<sup>(١)</sup> .

إن قانون الأراضي حول الأرض إلى سلعة تجارية خاضعة لقانون العرض والطلب ، وشجع عدداً كبيراً من الفلاحين على بيع أراضيهم للتجار الذين استغلوا الضائقة المالية للفلاح وقاموا بإقراضه المال بفائدة تتجاوز ٢٠٪ ، وفي حال عدم سداد الدين تُطرح أراضيهم في سوق المزاد العمومي (السوق السلطاني) ، وغالباً ما يقر المزاد على التاجر المُقرض . وتزخر السجلات الشرعية بالعديد من الحجج التي تتعلق بشراء الأراضي عن طريق الرهن أو بيع الوفاء ، فمثلاً : أشار سجل محكمة جنين الشرعية إلى ما يلي : « ... ادعى لدينا المسلم العثماني عبدالله أفندي ابن الشيخ عبدالمجيد أفندي ابن الشيخ عبدالله الفاهوم من أهالي وسكان قسبة الناصرة التابع للواء عكا من ولاية بيروت الجليلية ... على الرجل الحاضر معه في المجلس الشرعي فياض ابن المرحوم أسعد بن محمد بن عبيد الزعبي من أهالي وسكان قرية الناعورة التابعة قضاء جنين ، وقال في تقرير دعواه عليه بأن الوالدين الشيخ عبد المجيد أفندي ابن الشيخ عبدالله أفندي الفاهوم بذمة والدك أسعد بن محمد المرقوم سبعة آلاف قرش صاغ الميري عن المجيدي تسعة عشر قرشا عن نقد قبضة بيده وأقر به وحوله بدلا عن بيع وفاء عن أراضيهِ الأميرية

(١) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان ١٨٤٠-١٩١٠م ، تعريب فيليب

وفريد الخازن ، ص ٨٣-٨٥ ؛ لواء عكا ، ص ٣٢٥-٣٢٧ .

المخصصة به وبتصرفه الواقعات بين أراضي قرية الناعورة التي هي حصتان من اثنين وخمسين حصة ونصف، وتحرر ذلك في الدفتر الخاقاني . . . فسئل المدعى عليه فياض المذكور عن ما قرره عبد الله أفندي بمواجهته أوجب بالإنكار . . .»<sup>(١)</sup>.

ب - ملكية الأراضي : تميزت ملكية الأراضي في فلسطين خلال القرن التاسع عشر بطابعها المحلي والإقليمي وسيطرة الملكية الرأسمالية (الكبيرة) عليها في أعقاب التنظيمات العثمانية ، وصدور قانون الأراضي العثماني سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م ، وشكلت ملكية الأراضي والتصرف بها القاعدة الأساسية في النظام الاقتصادي ، وقد وجدت أنواع من ملكية الأراضي في فلسطين :

١- الملك الخاص (الملكية الفردية) : يشتمل على ممتلكات عقارية سكنية أو تجارية ، مثل : الدور ، والبيوت ، والدكاكين ، والخوانيت ، والمخازن ، والأراضي . وتوجد داخل المدينة أو القرية ، وتعتبر من الملكية الفردية التي تعود بملكيتها إلى السكان من أصحاب الملكية الصغيرة أو المتوسطة أو الرأسمالية (الكبيرة) ، وباستطاعتهم أن يتصرفوا بهذه الأملاك كيفما شاؤوا من بيع أو شراء أو هبة أو توريث .

كما يعرف هذا النوع من الأراضي «بالعُشرية» التي وزعت وملكت خلال الفتوحات الإسلامية على الفاتحين ، وفرضت عليها ضريبة مالية سنوية

---

(١) محكمة جنين الشرعية ، سجل (٥) ، ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م ، ص ١٣٩ للمزيد حول طريق الرهن وبيع الوفاء في سوق المزااد العمومي انظر : م. ن. ش. ، سجل (١) ، ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م ، ص ٣٢ ، ٤٩-٥٠ ، ١٣٦-١٣٧ ، ١٤١-١٤٢ ؛ سجل (٣) ، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، ص ١٦ ؛ سجل (٤) ، ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، ص ٤٠ ، ٤٢-٤٣ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٣٥ ؛ سجل (٢٠) ، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٨م ، ص ١٣٤ ؛ سجل (٢١) ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ، ص ٩٥-٩٦ ؛ سجل (بدون رقم) ، ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، نومرو ، ٣٠ ، ٣٦ ، (من غير صفحات) .

قدرها ٣-٥٪ من إنتاج الأرض ، سواء أنتجت فعلا أم لم تنتج (١) .

٢- الأراضي الأميرية : هي الأراضي التي تعود أصولها إلى الفتوحات الإسلامية زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتركها بأيدي أهلها على أن يدفعوا عنها ضريبة الخراج ، وبقيت ملكاً لأهلها يتصدقون بها ويتوارثونها حسب أحكام الشرع الإسلامي ، وتشمل : المزارع ، والمراعي ، والمسارح ، والمشاتي ، المحاطب وأمثال ذلك من الأراضي التي كان يحصل التصرف بها مقدماً عند وقوع الفراغ والمحلولات بإذن وتفويض أصحاب التيمار والزعامة المحلية ، وهم أصحاب الأراضي (٢) ، ويعطى لهم سندات طابو (قواشين) متوجة بالطغراء ، على أن يدفعوا مبلغاً لقاء حق التصرف إلى مأمور الحكومة يدعى رسم الطابو ، ويتم تسجيل سندات الطابو في دائرة تعرف بالدفترخانه (٣) .

تعرف الأراضي الأميرية بأنها أراض مشاع للمدينة أو القرية ينخص كل فرد منها حصة مساوية لغيره ، ولكنها ليست ملكاً لأفراد بل للدولة ، ولسكان

(١) المادة ٢ ، ٢٣ ، من قانون الأراضي ؛ غنایم ، لواء عكا ، ص ٣١٣ ؛ محمد يونس الحسيني ، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية ، القدس : مكتبة الطاهر أخوان ، ص ١١٢ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد ، الحسيني ، التطور ؛ محمد الحزماوي ، ملكية الأراضي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨ م ، عكا : مؤسسة الأسوار ، ١٩٩٨ م ، ص ٣٥-٣٦ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد ، الحزماوي ، ملكية الأراضي ؛ دعيس المر ، أحكام الأراضي المتبعة في البلاد العربية المنفصلة عن السلطنة العثمانية ، ط ١ ، القدس : مطبعة بيت المقدس ، ١٩٢٣ م ، ص ٨-١١ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد ؛ المر ، أحكام الأراضي ؛ أبو بكر ، ملكية الأراضي ، ص ٣٤٥ .

(٢) المادة (٣) من قانون الأراضي العثماني .

(٣) دفتر الطابو ، قضاسي دائمي دفتري شهر شوال سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م ، بدون صفحة ؛ سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت : المطبعة الأميركانية ، ١٩٣٩ م ، ص ١٠٠-١٠١ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد ؛ حمادة ، النظام الاقتصادي .

المدينة أو القرية حق المزارعة فيها فقط ، ولا يمكن إقامة أبنية أو زراعة في هذه الأراضي بدون إذن الدولة (١) .

قبل تطبيق قانون الأراضي العثماني سنة ١٨٥٨م كانت الأراضي الأميرية المشاع توزع على أبناء المدينة أو القرية القادرين على زراعتها إلى أجزاء متساوية بحسب الأفدنة ، والفدان هو ما يحرثه زوج من الثيران في اليوم الواحد ويختلف من منطقة لأخرى . كما توزع على الفلاحين أو الشدادين قطعة أرض تتناسب وعدد الأفدنة التي ينوي استخدامها ، وإذا كان الفلاح يملك زوجاً من الثيران يأخذ أربع حصص من الأرض في أماكن متفرقة من الأرض الأميرية المشاع (٢) .

بعد تطبيق قانون الأراضي العثماني سنة ١٨٥٨م ، وبموجب التنظيمات العثمانية ، قسمت الدولة الأراضي الأميرية سنة ١٨٧٢م إلى حصص ووزعتها على الفلاحين وأصبحت ملكاً لهم ، من حقهم بيعها لمن شاؤوا . وهدفت الحكومة من هذه الإجراءات إلى تفتيت الأراضي المشاع القديمة في مدة نظام الإقطاع ، بينما نجد خشية فقراء الفلاحين من مغبة تسجيل الأراضي التي كانوا يتصرفون بها في ملكيتهم تحاشياً لدفع رسوم الملكية وما يترتب على ذلك لاحقاً من ضرائب .

٣- الأراضي المتروكة : هي الأراضي التي خصصتها الدولة لعامة الناس ،

(١) م. ن. ش. ، سجل (٢٠) ، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ، ص ٣٣ ، ٨٢ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٦-١٤٥ ، ١٥٢-١٥٥ ؛  
مادة ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٨٧ من قانون الأراضي ، رافق ، فلسطين ، ص ٩٤٦ ؛ المر ، أحكام  
الأراضي ، ص ١٣ ؛ غنaim ، لواء عكا ، ص ٣٠٧ ؛ الحسيني ، التطور الاقتصادي ، ص ١١٣ ؛ سهيل  
صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد  
الوطنية ، السلسلة الثالثة ، ٢٠٠٠م ، ص ١٢٥ ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد ؛  
صابان ، المعجم .

(٢) غنaim ، لواء عكا ، ص ٣٠٨ ؛ رافق ، فلسطين ، ص ٩٤٦ ،

مثل : الطرقات العامة ، والغابات المشاعية المخصصة للاحتطاب ، والأراضي العامة التي تشمل الأسواق والساحات والمراعي والمقابر والأراضي المدورة (الجفتلك)<sup>(١)</sup> ، التي أصبحت تعرف «بالمتنقلة» ، أي التي انتقلت من ملكية السلطان عبد الحميد الثاني الخاصة إلى الحكومة العثمانية بعد أن استولت عليها وجعلتها جزءاً من أملاك الدولة بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم عام ١٩٠٩م<sup>(٢)</sup> .

٤- الأراضي الوقفية : وهي الأراضي التي تم حبسها ومنافعها ورصد ريعها على جهة معينة حسب أحكام الشريعة الإسلامية . والوقف لغةً يعني الحبس ، وشرعاً حبس العين على جهات الخير ابتغاء وجه الله تعالى ، كالإنفاق على الفقراء والمساكين والمساجد أو على جهات معينة حسب شروط الواقف<sup>(٣)</sup> . وتقسم أراضي الوقف ، قسمين :

- أوقاف صحيحة : وهي الأراضي التي تعود ملكيتها للواقف ، ويتم وقفها على جهة خيرية حسب أحكام الشريعة الإسلامية .

- أوقاف غير صحيحة : وهي الأراضي الأميرية التي أوقفها السلاطين على جهة من جهات الخير ، وهناك نوعان من الأوقاف :

- وقف ذري : هي الأراضي التي أوقفها أصحابها ويصرف ريعها على أمور المسلمين وعلى ذرية الواقف حسب شروطه ؛ بهدف تركيز الثروة في العائلة وضمان عدم تقسيمها من خلال الإرث ، ويُعيّن أحد الأبناء متولياً لهذا الوقف .

(١) قانون الأراضي مادة (٢٦) ؛ غنایم ، لواء عكا ، ص ٣١١ ؛ حمادة ، النظام الاقتصادي ، ص ١٠٨ ؛

صابان ، المعجم ، ص ٨٦ .

(2) Stein, The Land, p.14

(٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن علي ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ، القاهرة : دار الحديث ،

٢٠٠٣م ، مادة وقف ؛ غنایم ، لواء عكا ، ص ٣١٩ .

- وقف خيرى : وهي الأراضي التي أوقفها السلطان أو الوزراء أو كبار رجال الدولة أو العلماء ، ويعود ريعها إلى جهة خيرية ما . وتقسم الأوقاف حسب الانتفاع بها إلى أراضٍ زراعية أو عقارات كالأبنية والدور والبيوت والدكاكين والخانات<sup>(١)</sup> .

#### رابعاً: المسح والتسجيل

##### ١- نظام الطابو سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م:

بدأ استخدام الطابو<sup>(٢)</sup> في العهد العثماني سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م ؛ لإجراء عملية نقل الأراضي والعقارات بين الأشخاص من خلال البيع أو الشراء أو المبادلة ، ومن ثم استخراج السند الخاقاني (السلطاني) المختوم بعد أن يمر بعدة مراحل في دائرة الطابو عبر مجموعة من الموظفين ، منهم : كاتب الطابو ، وسر تحصيلداري (جباة الأراضي) ، وبياده تحصيلداري ، وأمين الصندوق ، الدفترجي (رئيس القلم) ، وكاتب الأملاك ، بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء ، كما هي الحال في دائرة الطابو قضاء الناصرة<sup>(٣)</sup> .

(١) قانون الأراضي المادة (٤) ، (٢٥) ، (١١٦) ، (١٢٠) ؛ أمين نخلة ، أحكام الوقف ، ج ١ ، ط ١ ، بيروت ، المطبعة المخرسية ، ١٩٣٨م ، ص ١٥-١٦ .

(٢) الطابو كلمة تركية تعني الطاعة والانقياد ، استخدمت للدلالة على تبعية الأراضي للدولة وانقياد المتصرف بها كما هو مدون في السجلات والدفاتر الخاقانية وسندات التصرف الصادرة عن نظارة الدفتر الخاقاني . هناك تسعة عشر دفتر طابو قضاء الناصرة المحفوظة في دائرة الأراضي والمساحة في عمان - الأردن ، لم يسمح لي بالأطلاع عليها ، وتمكنت من الحصول على عدد من الدفاتر المحفوظة في أرشيف الدولة - القدس التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن التاسع . ومن الملاحظ أن هناك توافقاً ما في تسجيل الأراضي والأملاك في دفاتر الطابو وسجلات محكمة الناصرة الشرعية .

(٣) انظر إلى دفاتر الطابو : دفتر خاقاني بتاريخ ٢٩ جمادى الآخر سنة ١٣٢٩هـ/١٩٠٧م ؛ ضبط دفترى ٣/٢ ، ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ؛ دفتر خاقاني مخصوص بتاريخ شباط ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ؛ =



كانت الحاجة إلى نظام الطابو بعد انتشار ظاهرة الملكية المتوسطة والرأسمالية وهروب الفلاحين من تسجيل أملاكهم بأسمائهم ، وانتقال مساحة واسعة من الأراضي إلى بعض العائلات المتنفذة في المدين والقري . ومع صدور قانون الأراضي وما تبعه من قوانين تتعلق بتسجيل الأراضي ، ظهرت هذه العائلات واستغلت فرصة هروب الفلاحين من تسجيل أراضيهم ، فحصلت على مساحات واسعة من الأراضي ، ولكن الحكومة العثمانية أرادت تثبيت سلطانها على الأرض وتقليص هيمنة أصحاب الملكية المتوسطة والرأسمالية (١) .

إن دراسة دفاتر الطابو تساعدنا على استقراء الملكية لأنواع الأراضي وتحليلها ، وتحتوي على معلومات وفيرة ودقيقة لا نستطيع تجاهلها ، وتعطينا تصوّرًا واضحًا لنوعية الأرض ومساحتها وحجم الملكية وكيفية حصول المتصرف على حق التصرف ، والعمليات التي تجري على الأرض من خلال عملية البيع أو الشراء أو الرهن أو النقل أو الهبة أو الميراث أو المزاد العلني ، وتحديد القيمة الضريبية المفروضة عليها التي يدفعها المتصرف عند انتقال الأرض إليه ، وتأخذها الدولة في خانة «خرج معتاد» وقيمتها ٥٠,٠ من القيمة المخمّنة ، ويسجل المجموع (يكون) أو (يكون عمومي) ، وتحت خانة الملاحظات يسجل رقم سجل الطابو وتاريخه وإجراءات تتعلق بالأرض أو العقار من رهن أو حجز أو فك رهن أو بيع أو ميراث (٢) .

= حاصلات دفتريدر ، شهر أيلول ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م ، قفغى دفتر نقل أولدنغي بتاريخ ٢١/٩/١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م ؛ قضاسى دائمي دفترى شهر شوال ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م ؛ سالنامه ولاية بيروت ، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٨م ، دفعة ٢ ، ص ٢٣٩ .

(١) م . ن . ش ، سجل (١٦) ، ١٣٣١هـ/ ١٩١٥م ، ص ١٧٦ ؛ أبو بكر ، ملكية الأراضي ، ص ٤٨٤-

Stien The; Land, pp.20-21. ، ٤٨٦

(٢) انظر بعض الدفاتر الأخرى : مختارات دفترى ، جباية الرسوم ، ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م ، مطبعة عثمانية ، ا دن لا ١ ، خصوصية ولايات حوالة نامه دفترى ٣٣٠ سند سى ، كانون الثاني وشباط =

إن تعليمات تسجيل الأملاك في دفاتر الطابو تتوخى الحذر والدقة -إلى حد ما- في إجراءات تسجيل الملكية بأنواعها المختلفة في دفاتر خاصة بأملاك وأراضٍ متنوعة ، وأخرى دفاتر ضبط الرسوم وجبايتها وغيرها . فمهمة هذه الدفاتر إجراء عملية المسح والتسجيل للأراضي والعقارات بشكل عام الواقعة ضمن قضاء الناصرة ، كما تحتوي الدفاتر على معلومات غزيرة لا نستطيع تجاهلها على اعتبار أن نظام الطابو يشكل مصدرًا من المصادر الأساسية المهمة لدراسة النظام الاقتصادي ، خاصة تطور ملكية الأراضي ؛ لأنه الطريق القانوني والرسمي التي تسير بموجبها عملية تسجيل الأراضي والعقارات وكيفية التعامل معها بشكل رسمي ، فمثلاً : استخدم في دفتر الطابو ، قضاسي دائمي دفترتي شهر شوال ١٣٠٤هـ / ١٨٩٩م ، نموذجًا لعملية تسجيل ملك في نفسها أراضي الناصرة .

### الجدول (١)

١,٢	صره نومرسي
الناصرة	قضا/ ناحية
نفس الناصرة	قرية
سوق	محلة
أرض ميري جبل ساعين	موقعي
صرف ملك يرباب خانه	نوع ملك
٦٠	تحرير أملاك

= سنة ٣٢٩ إلى مارت سنة ٣٣٣ ؛ ناصرة قضاسك ٣١٠ سند سى شهر نيسان ظرفند هو قوعبولان ، حاصلات دفتر يدر ، ١٨٩٢م ؛ قضاسي دائمي دفترتي شهر شوال سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٩٩م ؛ مختاران دفترتي ، سنة ١٣١١هـ - ١٣١٢هـ ، إدارة خصوصية مصارفي اوله رق ناصرة زراعتبانقهسى دير بالان حواله ناصره دفترتي .

حدودي	قبلة إلياس دانيال ، شرقاً وقف الروم ، شمالاً قسمة الدار غرباً إلياس اللحام
تحرير أملاك	١٩٤٨
حدودي قبلة حاكوره ورثه جبران نصار	شرقاً (فستها) ، شمالا العطل ، غربا أرض سليخ
يرمق مربع	٦٩
كراه مربع	٢٣
أرشوف مربع	١٧
دوغم	١
زراع مربع	٣٠
جهة اعطاي سند	تبعية دولة عليه دن نعمه وأسعد أولاد الفار أسعد لذر ، تبعية دولة عليه دن مخايل الفار وجبران ومريم وسعدة وعفيفة وحلوة أولاد عودة الجبران وأمهم خزنة بنت عودة الموسى وذيب ورباب ولدي عودة الجبران وأمهما خزنة بنت عيسى الجبر حديدن
بدل فراغ	-
تحصيل دار يوقلمي	
خرج معتاد	٢١٥
موقع عدد نومرسي	١٣٦
يكون	٣٥١
يكون عمومي	٣٥١
صره نومرسي	١١
تاريخي	شباط سنة ٩٩
إيراد تاريخي	١٧ كانون الثاني سنة ٣٠٤
ملاحظات	-

## ٢- تطور الملكية:

شكلت ملكية الأراضي والتصرف بها القاعدة الأساسية في النظام الاقتصادي للدولة العثمانية باعتبارها المالك الحقيقي للأرض ، ثم قامت بمنح الفلاحين حق زراعتها على أن يدفعوا إليها ضريبة العشر سنوياً . كما فتحت الدولة إقطاعات عديدة لزعامات محلية في الجليل ، ثم قامت بتوسيع إقطاعاتهم لتشمل الناصرة وجوارها وسيطرتهم على أملاك الفلاحين ، ولم يواجهوا معارضة الدولة على ذلك لقدرتهم على استغلال الأراضي الموات وإعادة إحيائها ، كما حصل مع الشيخ ظاهر العمر الزيداني وخلفائه عندما سيطروا على أراضي مرج بن عامر وانتزعوا أجزاء منها من أهالي جبل نابلس واستغلوها في زراعة القطن والحبوب لتعزيز التجارة المحلية والإقليمية وإحداث تحولات اقتصادية واجتماعية أثرت في تطور الملكية .

## ٣- الملكية الصغيرة:

كانت الأراضي توزع على الفلاحين في المدن والقرى القادرين على حراثة الأرض وزراعتها ، وهو ما يعرف «شد السكة» ، ويشتمل على مساحة الأراضي التي يستطيع زوج من الثيران حراستها خلال موسم زراعي واحد بمحاصيله الشتوية والصيفية . يعطى الفلاح عدداً من الأفدنة حسب قدرته على زراعتها لمدة عام واحد وعدد المحارث التي تُشد عليها الثيران التي يملكها . وتتراوح مساحة مشد السكة بين (٢٥٠-٤٥٧) دونماً ، وهي مساحة الملكية الصغيرة<sup>(١)</sup> .

(١) أبو بكر ، ملكية الأراضي ، ص ٥١٧-٥١٨ ، أشار سجل محكمة الناصرة الشرعية إلى أن مشد

السكة الواحدة هو الفدان ، انظر : م . ن . ش ، سجل (١٩) ، ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م ، ص ٥٧ ؛

Samuel Berghfeim, Esq. "Land Tenure in Palestine", P.E.F, Quarterly Statement for 1917, London: Published at the Fund's off Hinde Street, Manchester square, w, pp.191-199.

وأشارت سجلات المحاكم الشرعية إلى أنواع الأراضي التي امتلكها أصحاب الملكية الصغيرة، منها: الحواكير، فوجد أن عودة بن مخايل أبي نخلة رومي الملة من الناصرة امتلك الحاكورة الواقعة بجوار مدينة الناصرة المذكورة من جهة الشمال، الذي عرضها شرقاً وغرباً ثلاثة عشر ذراعاً بذراع البنا المحدودة بطريق عام قبله وبحاكورة جرجيس وخليل أبناء انصير شرقاً وشمالاً بحاكورة المالك غرباً<sup>(١)</sup>. كما أشارت السجلات الشرعية إلى الكروم والبساتين والأراضي السليخ كأحد أشكال الملكية الصغيرة.

## الجدول (٢)

### عينة من أصحاب الملكية الصغيرة<sup>(٢)</sup>

الرقم	الملاك	موقع الملكية	قيمة الأملاك	حجم الملكية
١-	الشيخ محمد بن الشيخ حسين الخطيب	قرية الطيبة قضا جنين	ثمانية آلاف غرش صاغ الميري	جميع أراضي الفدان ونصف فدان، التي هي حصة ونصف من أصل اثنين وسبعين حصة ونصف.
٢-	علي بن موسى المنصور	قرية أندور قضا جنين	سنة آلاف غرش	جميع أراضي الفدان، التي هي حصة واحدة من أصل اثنين

(١) م. ن. ش.، سجل (١)، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، ص ٤٤؛ انظر أيضاً: ص ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٦٦، ٦٩،

٧٩، ٨٥، ٨٦، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٦، ١٨٠، ١٨٩،

٢١٦؛ سجل (٢٠)، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣، ٥، ٣٩، ٤٤، ٥٠، ٦٢، ٦٦، ٧١، ٨٢، ١٠٤،

١٣١، ١٣٦-١٤٦.

(٢) م. ن. ش.، سجل (٢٠)، ١٣١٨هـ-١٣٢٣هـ/ ١٩٠٠-١٩٠٥م، ص ٢٠-٢٨.

	عملة الناصره	وأربعين حصة .		
٣-	ماية ليرة فرنساوية عين سبعة آلاف غرش عملة الناصره	جميع أراضي الفدان ، التي هي حصة واحدة من أصل ثلاث عشرة حصة . جميع أراضي الفدان ، التي هي حصة واحدة من أصل اثنتين وأربعين حصة .	قرية قومية قضا جنين قرية أندور / قضا جنين	عمشة بنت حسين أبو نبوت محمد بن أحمد بن محمود أبو جوهر
٤-	ثمانية آلاف غرش صاغ الميري	جميع أراضي الفدان وثلث فدان ، وهي حصة واحدة وثلث حصة من أصل اثنتين وسبعين حصة .	قرية الطيبة/ قضا جنين	أحمد بن سليمان الخطيب
٥-	ماية وخمسون ريالاً مجيدياً عيناً	جميع الحصة الشائعة وقدرها سهم واحد من أصل خمسة أسهم بكامل أراضي الفدانين التي عبارتهم حصتان من أصل اثنتين وأربعين حصة .	أندور قضا جنين	فرحة بنت إلياس فرح
٦-	-	ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل التسعة قطع أراضي أميرية .	دبورية قضا الناصره	أمنه بنت إبراهيم بن منصور المصطفى
٧-	أربع وتسعون ألف غرش	تسعة قراريط بأراضي قرية نمرين	نمرين قضا طبريا	الخواجه أسعد بن عودة النصر .

٨-	صبحة بنت علي بن عليان	قرية قومية قضا جنين	سنة آلاف وخمسمائة غرش صاغ الميري	جميع أراضي السبعة عشر قيراطاً التي عبارتها ثلاثة أرباع الحصة إلا قيراط من أصل ثلاث عشرة حصة .
٩-	محمد بن مصطفى المنصور	قرية أندور قضا جنين	ثلاثمائة وعشرون ريالاً مجيدياً	جميع أراضي الفدان ، التي هي حصة واحدة من أصل اثنتين وأربعين حصة .
١٠-	سليمان ومحمد ولدا أحمد أبو جوهر	أندور قضا جنين	ستمائة ريال مجيدي	جميع الحصة الشائعة وقدرها فدانان وثلثا الفدان ، وهي تسع قطع أراضي أميرية .
١١-	الخوaja أسعد بن عودة النصر	قرية نمرين قضا طبريا	أربعة وتسعون ألف غرش صاغ الخزنة	جميع الحصة الشائعة ، وقدرها تسعة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل الإحدى وعشرين قطعة أرض أميرية .

#### ٤- الملكية المتوسطة

إن مساحة الملكية المتوسطة هي عبارة عن مشد سكتين ؛ أي ما يعادل (٥٠٠-٩١٤) دونماً كحد أدنى ، ولغاية مشد (١٠) سلك ؛ أي ما يوازي (٢٥٠٠-٤٥٧٠) دونماً كحد أعلى (١) . وقد استطاع بعض أصحاب الملكية الصغيرة توسيع أملاكهم من خلال استغلال وظيفتهم أو مكانتهم الإدارية أو شراء الأراضي عن طريق بيع الوفاء أو الرهن ثم طرحها للبيع في سوق المزاد العلني ، كما فعل بعض وجهاء الناصرة مستغلين الظروف الاقتصادية الصعبة التي مر بها الفلاح ، بالإضافة إلى الضرائب الباهظة المفروضة عليه وعجزه عن

دفعها ، كما جعل وضعه يتردى ، ثم يلجأ إلى وجهاء وتجار الأراضي والموظفين الإداريين ، الذين استطاعوا شراء مساحات شاسعة من الأراضي ، وأدى ذلك إلى ارتفاع ملكية الأراضي لديهم في قضاء الناصرة ، ثم توسعوا ليشمل قضائي جنين وطبريا . وقد أشارت سجلات محكمة الناصرة الشرعية إلى عدد كبير من عمليات بيع الأراضي وشرائها عن طريق بيع الوفاء ، فمثلا : ان « . . . إبراهيم بن شهاب الشولي وأمه خشفة بنت محمد أبي العيون وأخته سعدة بنت شهاب الشولي . . . لهم سبعة أسهم شائع من أصل ستة عشر سهماً في كامل حاكورة التين الواقعة لجهة الشرق من مدينة الناصرة المشتملة على مائة شجرة تين . . . ومثل ذلك شائع في الحاكورة لجهة الشرق من المدينة المذكورة الشهيرة بحاكورة المر . . . فبالإيجاب والقبول من الطرفين بالبيع الوفاء بمائة ليرا ذهب عثملي يعادل مجموعهم عشرة آلاف غروش صاغ الميري . . . » .

وتجدر الإشارة إلى أن فلاحى قرى المريج (الطيبة ، وطمرة ، والناعورة) قد رهنوا أراضيهم لدى مقرضى المال ، وتدريبياً حصل الراهنون على ملكية نسبه كبيرة من الأراضي ، ومن أجل التحرر من مقرضى المال فقد سعوا إلى بيع جزء من أملاكهم البالغه مجموع مساحتها ٥٠,٠٠٠ دوغم<sup>(١)</sup> .

(١) أريه أفنيري ، دعوى نزاع الملكية : الاستيطان اليهودي والعرب ، ١٨٦٨-١٩٤٨ م ، ترجمة بشير شريف البرغوثي ، ط ١ ، عمان : دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، ١٩٨٦ م ، ص ١٨٦ ، وسيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد : أفنيري ، دعوى . وقد أشارت سجلات محكمة الناصرة الشرعية إلى أنه « . . . حضر كل من محمد بن الشيخ حسين الخطيب وعبد الرحمن بن أحمد الخطيب ، كلاهما من تبعية الدولة العلية ومن أهالي وسكان قرية الطيبة التابعة لقضاء جنين . . . بإجراء البيع الوفاء النظامي . . . وذلك جميع أراضي الفدان ونصف فدان . . . بكامل أراضي قرية الطيبة . . . إلى الحاج ظاهر أغا الاسعد العباس من أهالي الناصرة لدى قومسيون الفراغ بقضاء جنين بيعاً وفائياً . . . » انظر : م . ن . ش ، سجل (٢٠) ، ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م ، ص ٢٣ ، انظر أيضاً : ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٠٣-١٠٤ ؛ محكمة الناصرة الشرعية ، سجل (٢١) ، ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م ، ص ٨٤ .



كما تم نقل أراضي كثيرة إلى أصحاب الملكية المتوسطة والرأسمالية التي كانوا يملكون ١٢٣,٠٠٠ دونم<sup>(١)</sup>، واستطاعوا حيازة مساحات واسعة من الأراضي في الأقضية: الناصرة، وجنين، وطبريا، وحيفا. ومن أصحاب الملكية المتوسطة البارزين:

آل الفاهوم التي يرجع أصلهم إلى الحجاز، بخلاف من ظن أن أصلهم من مصر، وأن فاهوم محرف من فيوم. هجر بعضهم الحجاز واستوطن الكرك، ومنها جاء فرع أو أكثر إلى فلسطين حيث نزح عبد الرحمن الشراكي الحاجبي وولده سليمان من الكرك واستوطنا منطقة نين قضاء الناصرة، ومن عقب سليمان الحاجبي الشيخ محمد الملقب بالشافعي النيني، ومن عقب الشيخ محمد النيني ولده الشيخ أحمد النيني، وكان قد نزل الناصرة عام ١٧٩١م امتثالاً

(١) جاك كنو، مشكلة الأراضي في النزاع القومي بين العرب واليهود منذ وعد بلفور، ترجمة محمد عودة الدويري، ط، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٧م، ص ١٥-١٦، سيشار إلى هذا المرجع عند وروده فيما بعد: كنو، مشكلة الأراضي؛ وقد أشارت سجلات محكمة الناصرة الشرعية إلى أن الخواجات اسعيد جرجورة وأولاده أسعد وحبيب وقسطة امتلكوا... جميع الخمسة وعشرين عرق زيتون الواقعات بالأرض الشهيرة بأرض أبو غزال بين أراضي قرية صفورية... وجميع الحصة الشائعة وقدرها النصف اثنا عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً... بوادي العين بأراضي القرية المذكورة... وجميع الحصة الشائعة وقدرها الربع ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بجميع الاثني والثلاثين عرق زيتون الواقعات بالأرض الشهيرة بأرض وادي النصارى بأراضي القرية المذكورة... وجميع الحصة الشائعة وقدرها النصف اثنا عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بجميع الأربعين عرق زيتون الواقعات بأرض الشحرور بأراضي القرية المذكورة... وجميع الحصة الشائعة وقدرها النصف اثنا عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بجميع الإحدى وعشرين عرق زيتون الواقعات بأرض قرية البعينة... وجميع الحصة الشائعة وقدرها الربع ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بجميع الكرم الزيتون بقرية طرعان... انظر: م. ن. ش.، سجل (٢١)، ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م، ص ٦٨.

لدعوة الوالي احمد باشا الجزائر ، مع العلم ان الشيخ أحمد النيني كان قاضي المحكمة الشرعية بالناصره عام ١٧٧٦م ، واستمر في وظيفته حتى وفاته عام ١٨٠٨م ، واستلم مكانه ولده الشيخ عبدالله الفاهوم (١٨٣٨-١٧٣٥م)<sup>(١)</sup> . بدأت تظهر ملكية آل الفاهوم زمن ابنه الشيخ أمين بن عبدالله الفاهوم ، الذي كان يشغل منصب قاضي ومفتي الناصرة الشرعي ، وكان له ملك (أرض) جنوب بيادر الناصرة المجاورة لطريق قرية اكسال سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م ، وبعد وفاته سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م تمكن ابنه الشيخ يوسف أفندي من زيادة أملاكهم ، واستطاع شراء أراضٍ في أماكن متفرقة . وازدادت ملكية آل الفاهوم في الأقضية : الناصرة ، جنين ، طبريا ، حتى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وسيطروا على مساحات واسعة في قرى : صفورية ، الرينة ، المجيدل ، عين ماهل ، اكسال ، دبورية ، أندور ، طمرة ، سارونة ، الحدثة ، وادي البيرة . . . ، ويلاحظ أن آل الفاهوم تعرضوا لظروف قاسية مع بداية القرن العشرين ، بحيث أُجبروا على بيع معظم أملاكهم من أجل الحصول على الأموال ، مما جعل ملكيتهم تتراجع إلى الملكية الصغيرة .

استطاعت عائلة الفاهوم السيطرة على أراض واسعة في الأقضية : الناصرة ، وجنين ، وطبريا وبدأت ملكياتهم تظهر منذ سنة ١٩٩٢هـ/ ١٨٧٥م في سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الطابو من خلال عمليات شراء ، ورهن ، وبيع وفاء لعدد كبير من الأراضى والعقارات ، خاصة البيوت الفخيمة التي وصفها القاياني . . . «بيوتهم ودورهم الزاخرة فوجدناها داراً عالية المعاني . . . مفروشة بالرخام . . .

(١) منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٢٠٣ ، ٢٩٩ ، عائلة الحاجبي ، لمحة موجزة عن تاريخ عائلة الحاجبي ، من إعداد لجنة التوثيق في ديوان آل الحاجبي ، عمان- الأردن ؛ رؤوف أبو جابر ، آل الفاهوم والسجل الفاهومي ، ط ١ ، عمان : دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥م ، ص ٦٩-٧٩ : محكمة الناصرة الشرعية ، سجل (١) ، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م ، ص ٣٣ ؛ حسين منصور ، جوني منصور ، الرينة : التاريخ ، الذاكرة ، والواقع ، ط ١ ، الناصرة : مطبعة النهضة ، ٢٠٠٧م ، ص ١٨٧ .

وللشيخ يوسف الفاهوم له أراضٍ واسعة، وبسبب ذلك زادت ثروته، وله معاملات وديون على كثير من المشايخ والعشائر وأعيان البلاد...» (١).

### الجدول (٣)

#### عينة من الملكية المتوسطة لآل الفاهوم (٢)

الرقم	الملاك	موقع الملكية	قيمة الاملاك	حجم الملكية
١-	الشيخ يوسف أفندي بن الشيخ محمد أمين أفندي الفاهوم	قرية الرينة قضاء الناصرة	خمسة آلاف وثلاثمائة غروش	كرم زيتون مشتمل على أربعين عرق زيتون كامل حاكورة تين مشتملة على ثلاثين عرق تين
٢-	الشيخ يوسف أفندي بن الشيخ أمين أفندي الفاهوم	قرية صفورية قضاء الناصرة	ألفان ثنتان غروش	كرم زيتون الواقع بأرض المسيلة بين أراضي قرية صفورية

(١) محمد عبد الجواد القباياني، نفخة البشام في رحلة لشام، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١م، ص ١٠٥.

(٢) م. ن. ش.، سجل (١)، ١٢٩١-١٢٩٥هـ/١٨٧٤-١٨٧٨م، ص ٩٩، ١٠٤، ١٦٦، ١٧٦، ٢١٩؛ سجل (٢)، ١٣١٨-١٣٢٦هـ/١٩٠٠-١٩١٠م، ص ٨، ٧، ٨٢، ١٥٠؛ سجل (٢١)، ١٣٠٢-١٣٠٧هـ/١٨٨٥-١٨٩٠م، ص ٨٢، ١١٠؛ سجل (٢٢)، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، ص ٨٣-٨٤، ٩١، ٩٢، ٣٢، ٤٦-٤٩، ٧٩؛ سجل (٤)، ١٣١٥-١٣٢١هـ/١٨٩٧-١٩٠٣م، ص ٩٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٧، ٢٠٨-٢١٣؛ سجل (١٦)، ١٣٢٦-١٣٣٢هـ/١٩١٠-١٩١٦م، ص ٧، ١٤، ٢٧-٢٨، ٣٠-٣٣، ٤٢-٤٧، ٥٣، ٦٣، ١١٣، ١٢٦، ١٣٠، ١٥٩-١٦٠، ١٧٢، ١٨١-١٨٢، ١٩٢-١٩٣، ١٩٧؛ ناصرة قضاسك ٣١٢ سنة سى شهر أيلول ظرفندهو قوعويلان طابو دائمي حاصلات دفتر يدر، نفس ناصره، صره نومرسي ١، أرض البيادر، بدون صفحة؛ صرة نومرسي ٨٩، نفس ناصرة، بيادر لقاضي، بدون صفحة.

بستان شرق الناصرة	-	الناصره	الشيخ محمد أمين بن الشيخ عبد الله الفاهوم	٣-
ملك جنوب بيادر القاضي المجاورة لطريق قرية اكسال	-	الناصره	الشيخ أمين الفاهوم	٤-
قطعة أرض في بيادر الناصرة	ثلاثمائة غروش	الناصره	الشيخ محمد أمين أفندي بن الشيخ عبدالله الفاوم	٥-
- عشرة قراريط وثلث القيراط في جميع الكرم الكائن بأرض الناصره جميع ربع الحاكورة بجدار مدينة الناصره - قطعة الأرض السليخ الواقعة بطريق بير الأمير التابع للناصره - جميع الحاكورة الواقعة بموقع بئر سليمان العابد بأراضي الناصرة - جميع كرم الزيتون الواقع بقرية صفورية بموقع المسيلة - جميع كرم الزيتون الواقع بأراضي قرية لمجيدل بموقع الغولة - جميع البستان الواقع في بير الأمير التابع لبير الناصرة - كامل كرم الزيتون الواقع ببيت كروم قرية يافا - جميع نصف كرم الزيتون بقرية يافا - جميع كرم الزيتون الواقع بالموقع الشمالي الواقع بأراضي قرية يافا - جميع كرم الزيتون الواقع في خلة أم العظام بقرية يافا - جميع كرم الزيتون الواقع بأرض	ثلاثمائة غروش خمسمائة غرش خمسمائة غرش ثلاثة آلاف غرش ثلاثة آلاف غرش ألفا غرش خمسمائة غرش خمسمائة غرش خمسمائة غرش ألف غرش خمسمائة غرش خمسمائة غرش	الناصره الناصره قرية صفورية/ قضاء الناصرة قرية لمجيدل/ قضاء الناصرة ثلاثة آلاف غرش ألفا غرش خمسمائة غرش خمسمائة غرش قرية يافا/ قضاء الناصرة قضاء الناصرة اكسال/ قضاء الناصره لبعينة/ قضاء الناصره	الشيخ عبد المجيد أفندي بن الشيخ عبدالله الفاوم	٦-

				أم حسن بقرية يافا - جميع نصف كرم تين الواقع بقرية يافا - جميع كرم الزيتون الواقع بقرية اكسال - جميع كرم الزيتون الواقع بين زيتون قرية لبعينة .
٧-	الشيخ توفيق أفندي بن الشيخ يوسف أفندي الفاهوم وعبد الفتاح بن الشيخ أمين الفاوم وفضل أفندي بن الشيخ عباس الفاهوم	وادي البيرة قضاء طبريا	ثلاثة آلاف غرش	طاحونة في وادي البيرة
٨-	توفيق أفندي بن الشيخ يوسف أفندي الفاوم	سارونة قضاء طبريا	مايه وعشرين مجيدي عين	ثمانية قطع أراضي زراعية وجميع الستان السليخ في قرية سارونة
٩-	أبناء المرحوم الشيخ أمين الفاوم وأبناء المرحوم الشيخ يوسف الفاوم	الحدثة قضاء طبريا	-	جميع قطعة الأرض المعدة للزراعة الواقعة بأراضي الحدثة التابعة لطبريا الشهيرة بأرض زور الشرار المقدرة بثمانين دوغماً قديماً
١٠-	رفعتلو سعيد أفندي ابن المرحوم الشيخ يوسف الفاوم	سارونة قضاء طبريا	مائة وخمسين ريال مجيدي عين	جميع الدار والحاكورة الملاصقة لها الواقعتان باطن قرية سارونة وجميع التسعة قطع أراضي أميرية المعدة للزراعة وجميع الحصاة الشائعة وقدرها سهم واحد من أصل ثلاثين سهمًا بكامل بساتين القرية .
١١-	محمد علي أفندي بن الشيخ يوسف	سارونة قضاء	مايه وعشرين	جميع أرض نصف فدان ، التي هي ثمانية قطع أرض زراعية

الفاهوم	طبريا	ريال مجيدي	وقطعة أرض بستان الكائنة بأراضي قرية سارونة
١٢-	عبدالله وإبراهيم وعبد الحميد وعبد العزیز وأحمد وأولاده الشيخ عبد المجيد الفاهوم	أندور قضاء جنين	جميع أراضي الفدان ، التي هي حصّة واحدة من أصل اثنين وأربعين حصّة مشاعه بكامل أراضي قرية أندور وجميع حواكير الدخان وبيادر القرية
١٣-	الحاج خليل أفندي بن الشيخ عبد المجيد أفندي الفاهوم	أندور قضاء جنين	جميع نصف أراضي الفدان ، التي هي نصف سهم من أصل اثنين وأربعين سهماً بكامل أراضي قرية أندور
١٤-	عبدالله أفندي وإبراهيم وعبد الحميد وعبدالعزیز وأحمد أبناء الشيخ عبدالمجيد أفندي الفاهوم	اندور قضاء جنين	جميع الحصّة الشائعة وقدرها حصتان من أصل اثنين وأربعين حصّة بكامل أراضي قرية أندور التابعة لقضاء جنين ونظير الحصّة المذكورة من الأصل المزبور بكامل حواكير دخان وبيادر القرية المذكور ، وجميع العراق والمتبن الكائن داخله والبيت والعرصة الكائنين أمامه . وجميع الحصّة الشائعة وقدرها قيراط وثلث قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل الخمسة محلات المشتركين مع عموم المزارعين والقرية المذكورة وجميع الحاكورة الكائنة شمالي بيادر قرية أندور وجميع البستان الواقع بأرض عين الصفصافه بقرية أندور المذكورة .

## الملكية الكبيرة:

شهدت الناصرة وجوارها نشاطاً ملحوظاً لتسجيل الأملاك من عقارات وأراضي بعد صدور قانون الأراضي العثماني ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م، ونظام الطابو ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م، والقيام بإجراءات لإثبات حق التصرف في الأملاك على اختلاف أنواعها من قبل أصحاب الملكية الكبيرة أو الرأسمالية، وغالباً ما يكونون من الإقطاعيين والحكام المحليين وكبار رجال الدولة وبعض أصحاب الملكية المتوسطة الذين قاموا بتوسيع أملاكهم. وبلغت مساحة ملكيتهم أكثر من مئتي سكتين أو ما يوازي (٢٥٠٠-٤٥٧٠) دونماً كحد أدنى، ولم يتم تحديد الحد الأقصى للملكية الرأسمالية<sup>(١)</sup>.

تمتعت الملكية الرأسمالية بقوة اقتصادية كبيرة، وانتشرت أملاكها على مساحات واسعة في بلاد الشام، لا سيّما فلسطين، ومن بين أصحاب الملكية الرأسمالية الإخوة السراسقة، وهم: نقولا، لطف الله، هنري، ديمتري، وأولاده وهم: لطف الله، يوسف، خليل، موسى، إبراهيم، هنري، نجيب، بالإضافة إلى إسكندر بن نقولا سرسق، وألفرد ونخلة ابني موسى سرسق<sup>(٢)</sup>، وهم مسيحيون من طائفة الروم الأرثوذكس سكنوا مرسين قرب أضنة جنوب تركيا وعملوا ملتزمين في لبنان.

انتشرت ملكية الإخوة السراسقة في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية

(١) أبو بكر، ملكية الأراضي، ص ٥٥٢: نائلة الوعري، موقف الولاة والعلماء والأعيان والإقطاعيين من المشروع الصهيوني ١٨٥٦-١٩١٤م، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٢م، ص ٣٤٦، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد: الوعري، موقف الولاة؛

Stein, The Land, p.56.

(٢) أمين أبو بكر، «ملكية آل سرسق في فلسطين ١٨٦٩-١٩٤٨»، مجلة جامعة النجاح للبحوث-ب (العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، عمادة البحث العلمي، المجلد ١٨، عدد ٢، كانون الأول، ٢٠٠٤م، ص ٣٩٥-٤٤٤؛ رافق، فلسطين، ص ٩٥١.

بشكل عام وفلسطين بشكل خاص ، بعد أن انتقلت إليهم عن طريق الشراء أو الرهن أو بيع الوفاء أو المزاد العلني ، وسيطروا على مساحات واسعة من أراضي الناصرة وجوارها بأنواعها المختلفة (الزراعية ، والسليخ ، والوعرة ، والمراعي ، والحواكير ، والاحراش والبيادر) ، بموجب حجج البيع والشراء والرهن والمزاد وتسجيلها في سجلات المحاكم الشرعية المختلفة ، ومن ثم تثبيتها في دوائر الطابو بموجب سندات رسمية بمساعدة وكيلهم الشرعي : سليم أفندي ابن جرجيس الرئيس (١) .

(١) سليم بك بن جرجس الرئيس من أسرة أرثوذكسية نشأت في حاصبيا ، لبنان ، تركها بعد سنة ١٨٦٠م وهاجر إلى فلسطين وأقام عند أخواله آل قعوار في الناصرة . عمل في التجارة والقروض المالية وشراء الأراضي في وكالة الخواجهات سرسق بالناصرة ، وتولى إدارتها ، وعمل معه ميخائيل عيسى بن حنا بن خلف بن أيوب كاتبها ووكيل عقاراتها الخواجه بشارة النمر ونجله الياس النمر ، بالإضافة إلى عدد من السماسرة ، منهم : يوسف فضول صوان ، وجرجي أندراوس بن يوسف سابا ، وطنوس قعوار ، توفي ١٨٨٨م ، الذي اختلف مع فلاح قري قضاء الناصرة وكانت معاملته معهم سيئة . توفي سليم بك الرئيس في الناصرة بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩١٥م ، ونقلت جثته إلى حيفا مكان إقامة ولده الوحيد رجا ، انظر محكمة الناصرة الشرعية ، سجل (٢٠) ، ١٣١٨-١٣٢٦هـ/ ١٩٠٠-١٩١٠م ، ص٢، ٢٤، ٣٧، ٣٩، ٦٢، ٦٨، ٨٦، ١٤٩ ؛ سجل (١) ، ١٢٩١-١٢٩٥هـ/ ١٨٧٤-١٨٧٩م ، ص١٢٢، ١٢٣ ؛ سجل (٢١) ، ١٣٠٢-١٣٠٧هـ/ ١٨٨٥-١٨٩٠م ، ص١٦، ٢٨ ؛ منصور ، تاريخ الناصرة ، ص ٩٨ : 47، Stein, The Land ، انظر : الملعوف ، دواني القطوف ، ص٦٦٦ ، ٦٧٥ ، سجل كنيسة الروم الأرثوذكس ، دفتر وفيات ، ١٨٣١-١٩٢٨م ، نومرو ، ٤٤ .

Sharif Sharif, "Mansion of SalimBek Al-Rayyis: A Unique Notable Family Residence in late - Ottoman Nazareth", Nazareth Academic Studies Series No.2 "Nazareth History, Cultural Heritage" (ed), Mahmoud yazbak, Sharif Sharif", Nazareth, 2013, Municipality of Nazareth Academic Puplication, pp.97-124.



وحصل الإخوة السراسقة على أول صفقة لشراء الأراضي في الناصرة وجوارها من خلال طرحها من قبل الحكومة في سوق المزااد العلني عام ١٨٦٩م بالاشتراك مع حبيب بسترسو التويني ومتمى فرح ، وفي سنة ١٨٧٢م باعت الحكومة الصفقة الثانية للإخوة السراسقة بالاشتراك مع سليم خوري . استطاع الإخوة السراسقة شراء نحو ٢٣٠,٠٠٠ دوغم تضم سبعة عشر قرية وبلدة في سهل مرج بني عامر، بالإضافة إلى جزء من أراضي الناصرة مقابل ١٨,٠٠٠ ليرة عثمانية، وقام أهل الناصرة بالاحتجاج على البيع فأعدت الحكومة قسمًا من الأراضي الوعرية لهم مقابل دفع ٢٠٠٠ ليرة عثمانية للإخوة السراسقة<sup>(١)</sup>، وكانت هذه بداية مشروع السراسقة في استثمار أموالهم بشراء الأراضي في فلسطين، وكلفوا المهندس الألماني «Schummacher» عام ١٨٧١م بدراسة تضاريس المنطقة ومسحها قبل عملية الشراء<sup>(٢)</sup>.

لم يكتف الإخوة السراسقة بشراء أراضي قضاء الناصرة، بل ركزوا اهتمامهم على باطن الناصرة، وقد اشتروا بالاشتراك مع جرجيس التويني وبمساعدة وكيلهم الخواجة يوسف بن خواجة فضول صوان سبعة أسهم من أصل

(١) منصور، تاريخ الناصرة، ص ٩٨-٩٩، ص ٢٨٧، ٢٨٨: غنام، لواء عكا، ص ٣٣٧-٣٣٨؛ الوعري، موقف الولاية، ص ٢٦١، ٢٦٢؛ محكمة الناصرة الشرعية، سجل (١٦)، ١٣٢٨هـ/١٩١٥م، ص ٩٥؛ سجل (٥)، ١٣١٩هـ/١٩٠٤م، ص ٦٠، ٦٩، ٧١؛ سجل (٢٢)، ١٣١٨هـ/١٩٠٣م، ص ١٨-٢٦، ٧١؛ أفيري، دعوة نزع الملكية، ص ٦٥، ١٠٩-١١٣، جريدة الاتحاد العثماني، عدد (١١٤)، ١٨ محرم الحرام سنة ١٣٢٧هـ/ ٢٦ كانون الثاني ١٩١٢م، ص ٢، محكمة حيفا الشرعية، سجل (١)، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، م ١، ٣/٢/٣١، مسودات قيود الحجج، نومرو ٣٦٢-٣٦٣؛ رافق، فلسطين، ص ٩٥٠-٩٥١.

(٢) جريدة الكرمل، العدد (٦٧٨)، السنة السابعة، ٢٦ ربيع الأول عام ١٣٣٩هـ/ ٩ كانون الأول عام

Scholch, Palestine, pp.114-115 م، ص ٣، ١٩٢٠م،

سنة عشر سهماً في كامل حاكورة التين الواقعة لجهة الشرق من مدينة الناصرة (١).

كما سيطر الإخوة السراسقة ووكلاؤهم في الناصرة وجوارها على أراضي مرج بني عامر بما فيها جزء من أراضي الناصرة، وبلغت مساحة أملاكهم نحو ٨٠٠,٠٠٠ دوغ، وتجدر الإشارة إلى أنهم قد استغلوا ظروف الفلاحين الصعبة وحاجتهم إلى الأموال، فأغرقوهم بالديون وبيع الوفاء، وحين لم يعد باستطاعتهم سداد الديون التي أغرقوهم بها أصبحوا رهائن عندهم، ومن على أراضيهم. وقد حصل صراع بين الإخوة السراسقة والفلاحين استمر طويلاً بين أروقة المحاكم، واستطاع الإخوة السراسقة أصحاب النفوذ الواسع الحصول على حكم من المحكمة والسيطرة على الأراضي، ومنذ سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م خاض أهالي الناصرة صراعاً طويلاً للحفاظ على أرض وعر الناصرة بعد أن سيطر عليها الإخوة السراسقة عام ١٨٦٩م، وتمكنوا بعد احتجاجهم من إعادة أراضيهم الوعرية، وأشارت محكمة الناصرة الشرعية إلى أنه «... حضر لديه بالمجلس المعقود كل من سليم وسليمان دخان ولدي إبراهيم عبد الخالق الياسين وإبراهيم بن موسى الإبراهيم وموسى وقاسم وحمدي محمد النمر... وسليمان بن محمود الأحمد الطه النضيف جميعهم من تبعية الدولة العلية ومن أهالي وسكان قسبة الناصرة... ووكلوا... أنطون أفندي بن حبيب عبد النور... بالدعوى والخصومة مع الخواجات جرجس ولطف الله سرسق وأولاده... بحق الاعتراض على الحكم الصادر لهم في محكمة بداية قضا الناصرة بمادة أراضيهم

(١) محكمة الناصرة الشرعية، سجل (١)، ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، ص ١٢٢: للمزيد حول حجج شراء

الإخوة السراسقة للأراضي داخل قسبة الناصرة. انظر: سجل (٢١)، ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م، ص ١٦،

٢٨، ٦٠، ٦١؛ سجل (١٩)، ١٣١٤هـ/١٨٩٥م، ص ٢٢-٢٣؛ سجل (٥)، ١٣١٩-١٣٢٢هـ/

١٩٠١-١٩٠٤م، ص ٦٠، ٦٩، ٧١.

إلى أراضي المولكين الكائنة في وعر الناصرة . . .» (١) .

ومنذ عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م تجدد الخلاف بين الإخوة السراسقه وأهالي قرية عيلوط التي تقع غرب مدينة الناصرة بتقديم دعوى قضائية ضد الإخوة السراسقة حول خلاف على حدود قرية عيلوط الجنوبية الغربية وبين أراضي الإخوة السراسقة في قرى معلول وسمونية ومزرعة الصفصافة ، وأشارت محكمة الناصرة الشرعية إلى أنه « . . . حضر لديه بالمجلس المذكور كل من محمد بن أحمد الحسن وإبراهيم الخطيب بن شحاده . . . جميعهم مزارعين من تبعية الدولة العلية ومن أهالي وسكان قرية عيلوط . . . ووكّلوا . . . محمد بن احمد العبدالله ومصطفى بن حماد عبود وعبدالهادي بن إسماعيل . . . بالاقرار والمصادقة . . . على الحدود الفاصلة بين أراضي قريتهم عيلوط وبين أراضي قريتي معلول وسمونية ومزرعة الصفصافة الجارين بملكية وتصرف نجيب بك سرسق وإخوانه من أهالي وسكان بيروت . . .» (٢) . وتزخر سجلات المحاكم الشرعية بالعديد من حجج البيع والشراء والاحتجاج والرهن لأصحاب الملكية الرأسمالية والخلاف مع الفلاحين واستخدام نفوذهم الإداري والاقتصادي بهدف السيطرة على الأراضي وكسب الحكم في أروقة المحاكم الشرعية والبدائية .

(١) م. ن. ش. ، سجل (٢٠) ، ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) م. ن. ش. سجل (٤) ، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ص ٢٣٥ - ٢٣٨ ؛ سجل (٢٠) ، ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ،

ص ٦٤ - ٦٥ ؛ انظر أيضاً : الخلاف بين الإخوة السراسقه مع أهالي الناصرة حول أراضي قسبة

الناصرة المعروفة بأراضي الطيرة . للمزيد : محكمة الناصرة الشرعية ، سجل (٢٠) ، ١٣٢٢هـ/

١٩٠٤م ، ص ١٠٢ ؛ حول حجم الملكية الرأسمالية ، انظر : Stein, The Land, pp.223-225، كنو ،

مشكلة الأراضي ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ؛ غنّام ، لواء عكا ، ص ٣٧٠ .

الجدول (٤)

عينة من الملكية الكبيرة في الأقضية : الناصرة ، وطبريا ، وجنين (١)

الرقم	الملاك	موقع الملكية	قيمة الاملاك	حجم الملكية
١-	نقولا سرسق وإخوانه وخواجه جرجس التويني	مدينة الناصرة	عشرة آلاف غروش صاغ الميري	سبعة أسهم من أصل ستة عشر سهما في كامل حاكورة التين الواقعة لجهة الشرق من مدينة الناصرة ، ومثل ذلك في حاكورة المر
٢-	الخواجات خليل وموسى وإبراهيم ولطف الله ويوسف أولاد متري سرسق والخواجه إسكندر بن خواجه نقولا سرسق والخواجه جرجيس التويني	مدينة الناصرة	ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وثمانون غروشا	أربعة أسهم من أصل عشرين سهما مشاعة في كامل كرم الزيتون والتين الكائن لجهة الشرق من مدينة الناصرة الموصلة لقرية دبورية بالبيع والوفاء
٣-	الخواجات لطف الله سرسق وأولاده القاصرون هنري ولطف الله يوسف	مدينة الناصرة قرية	-	الخلاف مع أهالي الناصرة ، منهم إبراهيم بن موسى الإبراهيم . . . ومحمد بن صالح العوده بحق أراضيهم الواقعة بأراضي قسبة الناصرة المعروفة بأراضي الطيرة

(١) لمزيد حول ملكية الإخوة السراسقة ووكلائهم ، انظر : م. ن. ش. ، سجل (٢٢) ، ١٣٢١-١٣٢٨هـ/

١٩٠٣-١٩١١م ، ص ١٠ ، ١٨ ، ٢٠-٢٦ ، ٣٤ ، ٧١-٧٩ ؛ سجل (٣١-٣٤) ، سنة ١٣٣٠-

١٣٣٤هـ/١٩١٣-١٩١٧م ، نومرو ، ٧١ ، ٧٤ ، ١٨ ، ويتضمن تحرير ختمة دفتر قسام متروكات سليم

بك الرئيس التي وجدت بقرية قومية وشطه التابعتين لقضا جنين ؛ دفتر خاقاني مخصوص ،

١/١٧/٣/٤ ، شهر س أيلول ٣٢٦ ، صرة نومرسي ٩ ، ص ٨ .

٤-	سليم أفندي بن جرجيس الريس	صندلة قضاء جنين	إجراء فراغ وبيع	جميع الحصة الشائعة ، وقدرها حصة ونصف من أصل أربعة وثلاثين حصة بكامل قرية صندلة التابعة لقضاء جنين
٥-	اسكندر أفندي بن حبيب أفندي الجمال	قرية نمرين قضاء طبريا	مائة ألف غرش صاغ الميري	تسعة قراريط أراض أميرية في قرية نمرين التابعة لقضاء طبريا
٦-	سليم أفندي الريس	قرية قومية قضاء جنين	مائة ليرة فرنساوية عين	جميع أراضي الفدان ، التي هي حصة من أصل ثلاث عشرة بكامل ربع أراضي قرية قومية
٧-	اسكندر أفندي الجمال	قرية نمرين قضاء طبريا	أربعة وتسعون ألف غرش صاغ الميري	تسعة قراريط بأراضي قرية نمرين التابعة قضاء طبريا المطروحين بسوق المزاد السلطاني
٨-	سليم أفندي الريس	قرية قومية قضاء جنين	أربعة آلاف وخمسمائة غرش صاغ الميري	جميع نصف حصة من أصل ثلاث عشرة حصة لجميع أراضي ربع بني عيادة الكائن بقرية قومية
٩-	سليم أفندي الريس	قرية قومية قضاء جنين	سنة الاف وخمسمائة غرش صاغ الميري	سبعة عشر قيراطاً التي عبارتها ثلاثة أرباع الحصة إلا قيراط من أصل ثلاث عشرة حصة بكامل أراضي بني عيادة بقرية قومية
١٠-	سليم أفندي الريس	قرية قومية قضاء جنين	الفان وخمسمائة غرش صاغ الميري	جميع الحصة الشائعة وقدرها ربع حصة من أصل ثلاث عشرة حصة في ستة قطع أراضي أميرية المعروفين بربع محمد الحسين الرشيد بين أراضي قرية قومية
١١-	سليم بك الريس	قرية سولم قضاء جنين	ثلاثمائة ريال مجيدي عين	جميع الحصتين من أصل مائة حصة بكامل أراضي قرية سولم السليخ المعدة للزراعة

١٢-	سليم بك الريس	قرية قومية قضاء جنين	مائتان وخمسون ريالاً مجيدياً	جميع النصف حصة من أصل ثلاث عشرة حصة في كامل أراضي ربع الرشيدان من أراضي قرية قومية التي جملة أراضيها اثنان وخمسون حصة
١٣-	إسكندر أفندي الجمال	قرية نمين قضاء طبريا	أربعة وتسعون ألف غرش صاغ الخزنة	جميع الحصاة الشائعة وقدرها تسعة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراط بكامل الإحدى وعشرين قطعة أرض أميرية الواقعين بأراضي قرية نمين التابعة لقضاء طبريا
١٤-	سليم بك الريس	قرية سولم قضاء جنين	اثنا عشر ألف غرش صاغ الخزينة	جميع أراضي الفدان التي هي حصتان من أصل مائة واثنين وعشرين حصة مشاعة بكامل أراضي قرية سولم التي هي عموم أراضي سولم ست عشرة قطعة
١٥-	حبيب وأديب ولدا إسكندر الجمال	قرية نمين قضاء طبريا	أربعة وتسعون ألف غرش عملة الخزينة العامة	تسعة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بأراضي قرية نمين قضاء طبريا
١٦	سليم بك الريس اشترى لموكلينه الخواجهات نقولا أفندي سرسق إخوانه وجريس أفندي التويني ومتى أفندي فرح وأولاده	مدينة الناصره	ثمانية آلاف غرش عملة بندر الناصره	جميع الحاكرة الكائنة بجوار الناصره المعروفة بحاكرة منشر الكشك ، وجميع الحاكرة الواقعة بسفح جبل دير البنات الكائنة بجوار الناصره ، وجميع قطعة أرض السليخ الشهيرة بـ «ربعان وادي الجواني» .

يلاحظ من خلال هذا الجدول امتلاك أصحاب الملكية الكبيرة مساحات واسعة من الأراضي في الأقضية : الناصرة، وطبريا، وجنين، واستفرد الإخوة السراسقة بنصيب الأسد من هذه المساحات، خاصة بعد قيام وكلائهم بالبيع والفراغ البات الصحيح إليهم من خلال وكالات دورية قاموا بتسجيلها لهم في محاكم الناصرة، وطبريا، وجنين، وحيفا، الشرعية. وارتفعت مساحة ملكيتهم أكثر من مليون دونم من هذه الأقضية.

### خامساً: حركة التغلغل الأجنبية

بدأت حركة التغلغل الأجنبية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأنتجت أزمات اقتصادية واجتماعية أثرت في حياة السكان في قضاء الناصرة اقتصادياً ودينياً وسياسياً. وكانت لها أهداف استعمارية، ونتيجة لذلك أخذت الدولة الأوروبية بإرسال رعاياها للإقامة في فلسطين والعمل على شراء الأراضي. وبذلك زادت العمليات التجارية وتوسعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خاصة في مجال تجارة الأراضي التي أدت إلى كثرة أصحاب الملكيات المتوسطة والكبيرة الذين توافدوا إلى الناصرة ومعهم رؤوس الأموال اللازمة لاستثمارها في شراء الأراضي وتسجيلها في المحاكم الشرعية ودوائر الطابو للحفاظ على مصالحهم وممتلكاتهم في المناطق التي يمتلكونها تحت مظلة الامتيازات الأجنبية التي منحها الدولة العثمانية للدول الأوروبية، وسياسة التنظيمات العثمانية التي سمحت لهم أن يقيموا في الأماكن التي

م. ن. ش، سجل (١)، ١٢٩٣-١٢٩٥هـ/ ١٨٧٦-١٨٧٨م، ص ١٢٢، ١٢٣؛ سجل (٤)، ١٣١٥-١٣٢١هـ/ ١٨٩٧-١٩٠٣م، ص ٣٦، ٥٨، ١١٨، ١٦٩، ١٨٠، ٢٠٢، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٨١؛ سجل (٢٠)، ١٣١٨-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٠-١٩٠٩م، ص ٢، ١٧، ٢٤، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٩-٥٠، ٦٢، ٦٤-٦٥، ٦٨، ٧٧، ٨٦، ٨٨، ١٠٢، ١٢٧، ١٤٩، ١٧٧؛ سجل (٢١)، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، ص ١٥.

يريدونها ، وأن يتاجروا مع من شأؤوا في شراء مساحات واسعة من الأراضي ، وأصبحوا من أصحاب الملكيات المتوسطة والرأسمالية تمهيداً لفرض نفوذهم على الأراضي في الدولة العثمانية عامة وفلسطين خاصة<sup>(١)</sup> .

تركت حركة التغلغل الأجنبية بصمات واضحة المعالم على تطورات الملكية في قضاء الناصرة منذ صدور قانون تملك الأجانب سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م ، «والقوانين التي أجازت الأجانب امتلاك العقارات وجميع الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك المحروسة بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلياً ، وذلك في سنة ١٢٨٥ الموافقة سنة ١٨٦٩م . . .»<sup>(٢)</sup> .

واستطاعت جمعية استعمار فلسطين الألمانية شراء قرية بيت لحم الخليلية في قضاء الناصرة وإقامة مستعمرة ألمانية فيها بعد شرائها من الإخوة السراسقه ، وبلغت مساحتها نحو ٧٥٢٦ دونم . كما استطاعت الجمعيات الاستيطانية اليهودية شراء أراضي في قضائي طبريا والناصرة ، سواء كان ذلك بالزاد العلني أم عن طريق السماسرة<sup>(٣)</sup> .

(١) أبو بكر ، ملكية الأراضي ، ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٢) فريد بك ، الدولة العثمانية ، ص ٢٩٨ ؛ أبو بكر ، ملكية الأراضي ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ Local Au- 793/22 ، ٥ كانون الأول سنة ١٨٦٩م ، نومرو ٧٢ ، انظر أيضاً : ٢٦ أيار ١٨٧٠م ، نومرو ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٩ كانون الثاني ١٨٧١م ، نومرو ١ ، ١٣ ، ٤٢ ، ٣ كانون الثاني ١٨٧٢م ، نومرو ١ ، ٣٠ .

(٣) جريدة الكرمل ، العدد (٦٧٦) ، ١٨ ربيع الأول عام ١٣٣٦هـ / ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٢٠م ، ص ٣ .



الجدول (٤) :

عينة من أملاك الأجانب في الأقضية : الناصرة ، وطبريا (١)

الرقم	الملاك	موقع الملكية	قيمة الأملاك	حجم الملكية
١-	مستر زلر قس طائفة البروتستانت	مدينة الناصرة	ألف غروش	كامل الثمانية عروق تين وكامل الخمس عروق زيتون الواقعات في كرم الحشكية الشهير بكرم زياد بأرض مدينة الناصرة
٢-	أتراند فيل الرومي من أهالي فيليب من أعمال ولاية أدرنة	مدينة الناصرة	ستماية غروش	قطعة أرض سليخ واقعة بين أراضي مدينة الناصرة من جهة الشمال طولها شرقاً وغرباً تسعة وعشرون ذراعاً وعرضها قبله وشمالاً تسعة عشر ذراعاً ونصف ذراع
٣-	خواجة هوبر بن يوحنا الإنكليزي	مدينة الناصرة	ثلاثماية وخمسون غروشاً	كرم تين الواقع بأرض العلق في الجهة الغربية من أراضي نفس مدينة الناصرة
٤-	الحكيم ب. كلوشدا فرتان الإنكليزي	مدينة الناصرة	ألف وخمسمائة غروشاً	كامل الحاكورة الواقعة بأراضي مدينة الناصرة من جهة الشمال المعروفة فوق خلة اقحيز
٥-	الخواجة حاتم بن أشير بن لبيب الموسوي من تبعية دولة روسيا	قرية الحدثة قضاء طبريا	-	جميع قطعة الأرض المعدة للزراعة الواقعة بأراضي قرية الحدثة التابعة لطبريا الشهيرة بأرض زور الشرار المقدرة بثمانين دوغماً قديماً .

(١) م. ن. ش. ، سجل (١) ، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ، ص ١٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ١٣٣ ، سجل (٢٠) ،

١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، سجل (٢) ، ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م ، ص ٣٢٩ ، سجل

(١٦) ، ١٣٣٢هـ/١٩١٦م ، ص ١٩٥-١٩٦ .

<p>... أراضي خرتبي كوكب وكديش بدل الفراغ عن أسعد حبيب حوا من سكان عكا ومقيم بالناصره ، وأن اسمه بسندات طابو الفراغ الوفائي هو اسم مستعار عن الخواجه سلمون</p>	<p>ماتتان وخمسة آلاف وأربعمائة وثلاثة وستون غرش وخمسة عشر بارة عملة صاغ الخزينة</p>	<p>خربتا كوكب وكديش التابعتان لقضاء طبريا</p>	<p>الخواجه سلمون ريناك الموسوي الفرنساوي</p>	<p>٦-</p>
<p>... جميع الحصه الشائعة وقدرها أربعة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراط بكامل أراضي قرية مسحة وعين عرب وأم جبيل وسوق الخان التابعين لقضاء طبريا</p>	<p>ألف وأربعمائة وخمسون ليرة إنكليزي</p>	<p>قرية مسحة وعين عرب وأم جبيل وسوق الخان قضاء طبريا</p>	<p>الخواجه يشوع بنيامين أوسوفسكي من تبعية دول فرنسا</p>	<p>٧-</p>

يُلاحظ من خلال هذه العينة أن حركة التغلغل الأجنبية قد بدأت من مدينة الناصرة وانطلقت إلى قضائها ، ثم توسعت لتشمل أيضاً قضاء طبريا بعد معاناة السكان من دفع الضرائب الباهظة المفروضة على أراضيهم ومحاصيلهم ، مما أوقفهم في ديون كثيرة من خلال القروض بفوائد عالية تصل لأكثر من ٢٠٪ من قبل وكلاء سرسق ، واستطاعوا شراء أكثر من ٦٠ موقعاً في مرج ابن عامر وأفضية جنين وطبريا وحيفا ، وإجراء البيع والفراغ فيما بعد للإخوة السراسقة الذين قاموا فيما بعد ببيع أملاكهم إلى المستوطنين الهيكليين الألمان ، التي تبلغ نحو ١٦,٧٥١ دونماً في قرى أم العمدة وبيت لحم عام ١٩٠٦م ، وإلى الحركة الصهيونية ، حيث أبرموا أول صفقة معها عام ١٩٠١م وبلغت مساحتها ١٧,٠٠٠ دونم ، والصفقة الثانية عام ١٩١٤م وبلغت مساحتها ٦٢٤١٥ دونماً ، والصفقة الثالثة من عام ١٩١٨م حتى عام ١٩٣٦م وبلغت ٣١١, ٣٥٦ دونماً ،

واشترك في تنظيم الصفقات مجموعة وكلاء سرسق ، من بينهم سليم بك الرئيس « . . . والخواجة رفول بن متى بن حنا فرح المسيحي التاجر من تبعية الدولة العلية ومن أهالي وسكان بيروت ، الذي وكل سليم أفندي بن جرجيس الرئيس المسيحي التاجر من تبعية الدولة العلية ومن سكان الناصرة بإجراء البيع والفراغ البات الصحيح النظامي عمّا هو جار في ملكه وبتصرفه وبيده قوجانات نظامية ، وذلك جميع الحصّة الشائعة وقدرها نصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل أراضي ومشمّلات قريتي العفولة والفولة التابعين لقضا الناصرة وجميع قطعة الأرض المفروزة من أراضي مرج الناصرة البالغة سعتها خمسمائة وإحدى وأربعين دونماً المعلومين الحدود والجهات بموجب قوجانات الطابو إلى الخواجات الياس ونقولا ونخلة أبناء إبراهيم بن ديمتري سرسق من أهالي بيروت وبإجراء الفراغ البات الصحيح النظامي أيضاً عن ما هو جار بتصرفه ، وذلك جميع الحصّة الشائعة وقدرها نصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل قطعة الأرض المفروزة . في أراضي مرج الناصرة البالغة سعتها إحدى وعشرين ألف وخمسة عشر دوّم ، ونظير الحصّة المذكورة في مزرعة الطيرة الكائنة في وعر الناصرة . . . إلى الخواجة جرجي بن لطف الله بن ديمتري سرسق ، وبإجراء البيع والفراغ . . . جميع الحصّة الشائعة وقدرها نصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل قطعة الأرض المفروزة من أراض مرج الناصرة البالغة سعتها سبعة آلاف وثمانمائة وخمسة وستين دونماً ، ونظير الحصّة المذكورة في مزرعة أم قبي وبستانها وحواكيرها وأراضيها مع أراضي وادي الصفصافة التابعين للناصره ، ونظير الحصّة المذكورة في أراضي ومشمّلات قريتي معلول وسمونيه التابعين قضاء الناصرة . . . إلى الخواجات نجيب وجرجيس وألبرت أبناء يوسف بن ديمتري سرسق ، وبإجراء البيع والفراغ . . . جميع الحصّة الشائعة وقدرها نصف قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل أراضي ومشمّلات قريتي جباته وخنيفس التابعتين لقضاء الناصرة ، ونظير الحصّة المذكورة في أراضي ومشمّلات مزرعة تل طورة التابعة لناحية شفاعمرو

المعلمين الحدود الجهات إلى الخواجات نخلة وجبران وشربل وفيكتور ابن خليل بن ديمتري سرسق وإجراء البيع والفراغ... جميع الحصة الشائعة وقدرها نصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل أراضي ومشمات قرية تل الشام التابعة لقضاء الناصرة وقريتي جيداً وأم العمد التابعتين ناحية شفاعمرو... جميع الحصة الشائعة وقدرها نصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بكامل أراض ومشمات قريتي بيت لحم والشيخ بريك التابعتين ناحية شفاعمرو... إلى الخواجة إسكندر بن نقولا ديمتري سرسق... جميعهم من أهالي وسكان بيروت لدى قومسيون الفراغ بالقضاوات التابع إليها ذلك بثمن وبدل المثل...»<sup>(١)</sup>.

يُلاحظ من هذه الحجة الشرعية مدى سعة الانتشار التي امتدت فيها ملكية وكيل سرسق الخواجة رفول بن متى بن حنا فرح وسليم أفندي بن جرجيس الريس، وكلاهما مسيحيان من بيروت، واستحوذت على معظم أراضي ابن عامر والأراضي التابعة لقضائي حيفا وجنين وناحية شفاعمرو، ووصل عدد المواقع إلى ثمانية عشر موقعاً، ثم نقلت أراضيها من الخواجا رفول الذي وكل سليم أفندي الريس إلى الإخوة السراسقة من غير ذكر قيمة أثمان هذه الأملاك التي تبلغ أكثر من ثلاثة قراريط، بالإضافة إلى ستة وستين ألف دونم في مزرعة الطيرة وأم قبي ووادي الصفصافة ومعلول وسمونية في قضاء الناصرة. وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة العثمانية أرجعت هذه الأراضي لأهالي الناصرة وقضايتها، ولا ندري كيف حصل الخواجا رفول على هذه الكمية الكبيرة من الأراضي، مع العلم أن سجلات محكمة الناصرة الشرعية البالغ عددها أربعة وثلاثين سجلاً لم يرد فيها ذكر للخواجا رفول إلا في هذه الحجة فقط.

(١) م. ن. ش.، سجل (١٩)، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص ٢٢، ٢٣؛ سجل (٢٢)، ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م،

## الخاتمة

عاجت هذه الدراسة تطورات ملكية الأراضي في قضاء الناصرة (١٩١٨-١٨١٠م) من خلال خمسة محاور رئيسة محددة الزمان والمكان ، بدأت بترسيم حدود الناصرة التابع للواء صفد مع حدود سنجق اللجون عام ١٨١٠م وانتهاءً برحيل الحكم العثماني من القضاء عام ١٩١٨م ، وركزت على أهمية تطورات الملكية التي واكبت تلك الفترة انطلاق حركة التنظيمات العثمانية ، وفي مقدمتها تطبيق قانون الأراضي سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م ، ونظام الطابو سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م ، الذي أسهم في حل نظام الإقطاع ومعالجة شؤون الملكية وإحكام سيطرة الدولة العلية العثمانية على أراضيها واستغلالها وتحصيل الضرائب المفروضة عليها لسد العجز في ميزانيتها ، مما دفع أصحاب الملكيات المتوسطة والرأسمالية إلى السيطرة على معظم الأراضي في فلسطين بشكل خاص تمهيداً لانطلاق حركة التغلغل الأوروبي الذي مهد لظهور بداية النشاط الاستيطاني الصهيوني ، مستغلين ضعف الدولة العثمانية وحاجة محمد علي باشا (١٨٣١-١٨٤٠هـ) إلى دعم الدول الأوروبية له ضد الدولة العثمانية لإقامة إمبراطورية عربية له ولذريته على أنقاض الإمبراطورية العثمانية .

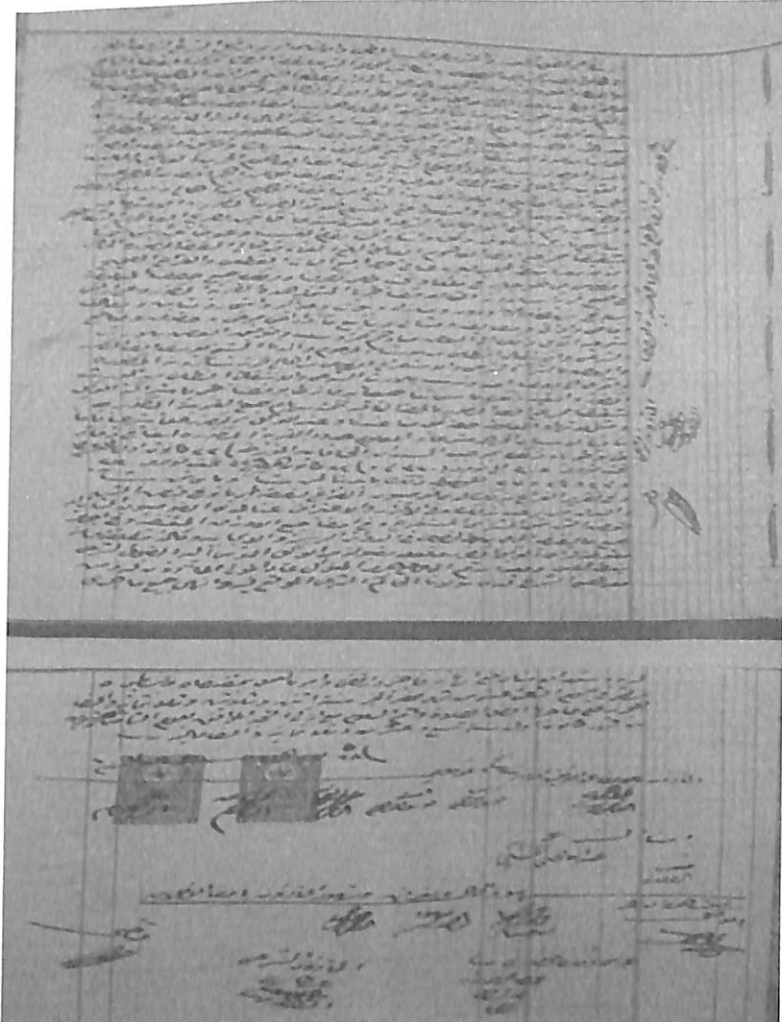
وسعت الدول الأوروبية إلى زرع النواة الأولى للمشروع الصهيوني ، الذي وافق مصالح وأهداف الدولة الأوروبية الاستعمارية مغلفة إياه بغلاف ديني ، وإعطاء فلسطين قدسية دينية لجلب يهود الشتات من شتى بقاع العالم ، وقيام أثرياء اليهود بشراء آلاف الدونمات في شتى أرجاء فلسطين بمساعدة الوكلاء والسماسرة العرب والفلسطينيين لإنجاز هذا المشروع وبناء دولة يهودية في فلسطين على غرار الاستعمار الأوروبي للشعوب الضعيفة ، وزيادة ضعف الدولة العثمانية منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى انهيارها عام ١٩١٨م ، التي شهدت شراء مساحات واسعة من الأراضي للحركة الصهيونية ، وذلك بعد غياب السلطة العثمانية الحاكمة واستبدالها بالسلطة البريطانية ، التي بذلت جهوداً حثيثة لإقامة الدولة اليهودية وتنفيذ ما ورد في تصريح بلفور عام ١٩١٧م

وإصدار صك الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢١م ، الذي دعا وبشدة إلى إقامة الدولة اليهودية وتسهيل انتقال الأراضي من العرب إلى الحركة الصهيونية .

وعلى الرغم من ذلك لم تمتلك الحركة الصهيونية من أراضي فلسطين التاريخية قبل عام ١٩٤٨م سوى ٧٪ فقط ، التي تم شراؤها من أصحاب الملكيات المتوسطة والرأسمالية بين الأعوام ١٩٠٩ - ١٩٢٩م .

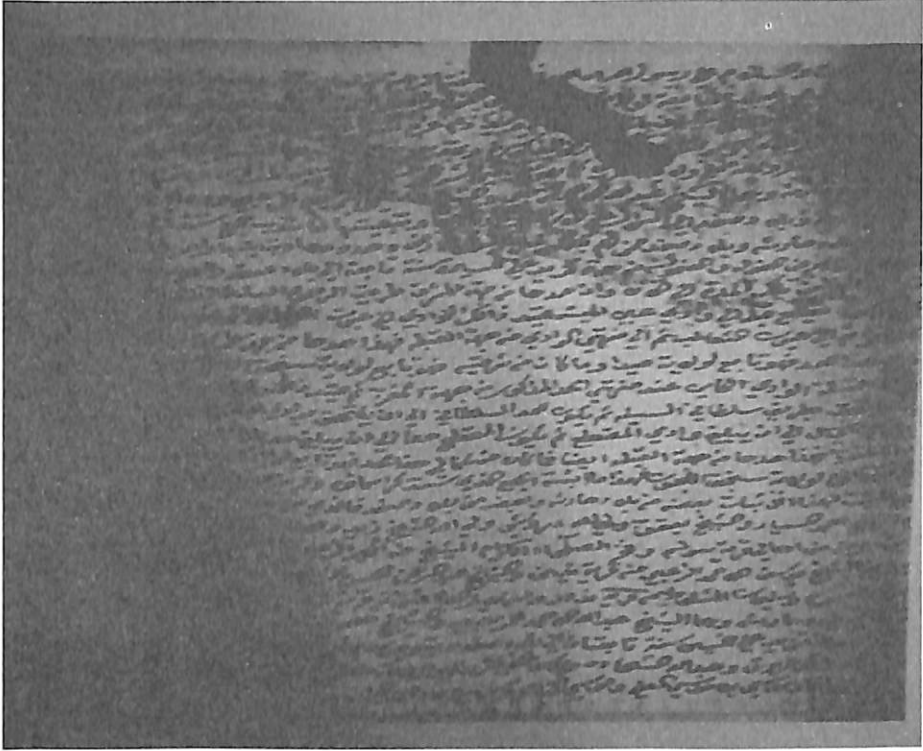
### الملاحق

حجة شراء قرى : العفولة ، الفولة ، مرج الناصرة ، أم قبي ، وادي الصفصافة ، معلول ، سمونية ، جبابة ، خنيفس ، مزرعة تل طورة ، تل الشمام ، جيداً ، أم العمد ، بيت لحم ، الشيخ بريك ، طبعون ، قصقص ، كفر إتا ، من قبل الخواجا رافول ابن متى ابن حنا فرح ، وإجراء البيع والفراغ إلى الخواجات سرسق .



المصدر : م. ن. ش. ، ١٩ ، ص ٢٢ .

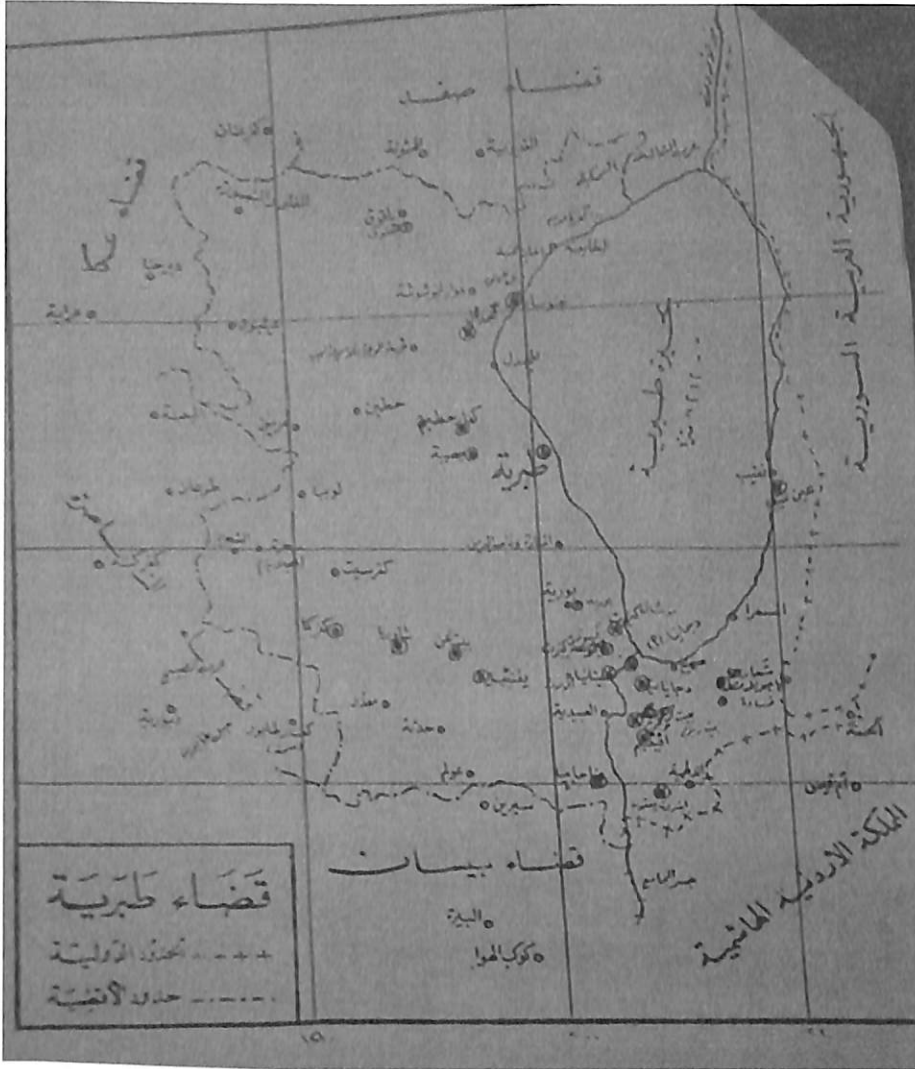
ترسيم الحدود بين الناصرة وسنجق اللجون



المصدر: م. ن. ش. ، سجل (من غير رقم) ، ١٢٢٥هـ/١٨١٠م ، ص ١٥ ، ١٦ .



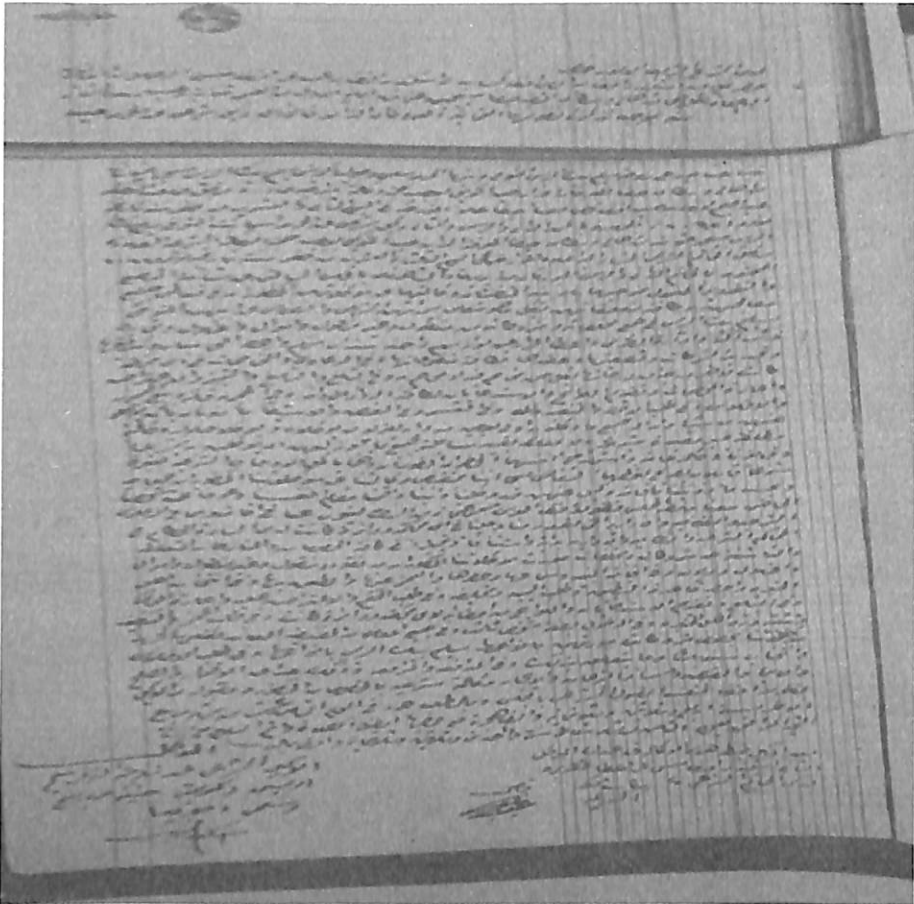
خريطة (٣): قضاء طبريا وأملاك آل الفاهوم



المصدر: الدباغ، بلادنا فلسطين، ص ١٧٨.



حجة حصر إرث سليم بك الرئيس



المصدر: م. ن. ش، سجل (١٦)، ١٣٣١هـ/١٩١٥م، ص ١٧٦-١٧٧.

## التعليم الابتدائي في ولاية بيروت

خالد عبد القادر الجندي (\*)

كان التعليم قبل عصر التنظيمات تعليماً حراً ، يبدأ في الكتاب المنزل ، وعلى يد مربّ أو شيخ ، ويتعلّم فيه التلميذ أجزاء من القرآن الكريم . أمّا مبادئ الحساب فكان يتعلّمها من قباني القرية ، كما كان تعلّم القراءة والكتابة هو الحدّ الأقصى للتعليم فيها .

وفي المدن ، كان التلاميذ يتلقون العلم في المساجد والكتاتيب ، وكانت مادة التدريس الأساسية حفظ القرآن وتلاوته ، وكثيراً ما استعملت المساجد كمدارس . ولم تكن الحكومة تنفق على المدرّسين أو على أبنية المدارس ، بل كانت المدارس تدين بوجودها إلى تبرعات المحسنين الذين أنشأوها وحسبوا عليها الأوقاف .

وفي عصر التنظيمات أصبح للدولة سياسة تعليمية ذات أهداف ، فسنتّ النظم اللازمة التي استهدفت إدارة التعليم في الولايات . ويمكننا أن نقسّم التعليم في عصر التنظيمات إلى ثلاثة أنواع : الكتاتيب ، والمدارس الحكومية ، والمدارس الخاصة .

وفي الجانب المسيحي ، لم يخرج التعليم عن مفهوم التعليم الديني عند المسلمين ، فكان كاهنُ القرية معلّم المدرسة التي تتواجد في حرم الكنيسة أو الدير ، يتعلّم التلاميذ مبادئ العربية والحساب والديانة المسيحية ، وكذلك كان الأمر عند المسيحيين في المدن ، فالكاهن في المحلة هو الراعي والمعلم في آن .

---

(\*) قسم التاريخ ، الجامعة اللبنانية / الجمهورية اللبنانية .

ويُلاحظ أنّ القائمين بأمور التعليم بعد عصر التنظيمات لم يضعوا في حساباتهم المدارس التقليدية ، بل أصبح جُلّ اهتمامهم منصباً على مدارس الصبيان ، كونها تمثل الأساس الذي يُبنى عليه التعليم على نحو عام ، وقد أعدّ المجلس لائحة في ٥ شباط ١٨٣٩ م ، أمر فيها بضرورة إجراء الإصلاح في التعليم ، وأكد أنّ خلاص الدولة بما تعانيه من التخلف لا يمكن تحقيقه إلا بتطوير التعليم وتوسيعه ، ورأى أنّه لا يمكن تحقيق التنمية في البلاد ، ولا تطوير الآلة العسكرية للدولة إلا بإقامة مؤسسات تعليمية جديدة قادرة على التكيف مع متطلبات العصر (١) .

وشهدت بلاد الشام تقدماً كبيراً في التعليم بعد عصر التنظيمات ، وكانت بيروت جزءاً من هذه البلاد . وكان الاهتمام ببيروت كبيراً في العهد العثماني ، حيث كانت هذه المدينة محبّبة إلى قلب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) ، فأنشأ فيها العديد من المدارس الابتدائية والإعدادية والرشدية والسلطانية .

وبالإضافة إلى المدارس الحكومية التي أنشئت بعد عهد التنظيمات كان في بيروت بعض المدارس الأهلية الإسلامية والمسيحية ، بالإضافة إلى العديد من المدارس الإرسالية الأجنبية (التبشيرية) التي كانت منتشرة فيها على نطاق واسع ، حتى قبل عصر التنظيمات ، مستفيدةً من نظام الامتيازات .

### التعليم الابتدائي:

بدأ الاهتمام بالتعليم الحديث على نحو جدّي في عهد التنظيمات ، ولا سيّما بعد سنة ١٨٤٥ م ، ثمّ تسارعت الخطى نحو تطوير التعليم في المدارس

(١) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني ، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء

الوثائق العثمانية ، تقديم خالد أرن ، منظمة التعاون الإسلامي ، إرسیکا ، إستنبول ، ٢٠١٣ م ،

القائمة ، غير أنّ أهم خطوة اتُّخذت في مجال المدارس الابتدائية ، قد تحققت بعد صدور نظام المعارف سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ، وهو ١٩٨ مادة ، تشمل جميع المدارس في السلطنة . وقسّم التعليم الابتدائي بموجب هذا النظام قسمين : إناث وذكور ، ومّا جاء في مواد هذا القانون المتعلقة بالمدارس الابتدائية (الصبيان) ما يأتي :

- المادة الثالثة : يكون في كل قرية مكتب للصبيان ، وآخر مخصص لأطفال المسلمين ، وثالث للأطفال المسيحيين في القرى المختلطة .
  - المادة الرابعة : تتكفل كل قرية بمصاريف الإنشاء والترميم ، وما يتعلّق بمصاريف المعلمين .
  - المادة السادسة : مدّة التعليم بمكاتب الصبيان أربع سنوات .
  - المادة التاسعة : إجبارية التعليم بالنسبة إلى الإناث من سن السادسة إلى العاشرة ، وللأطفال الذكور من سن السابعة إلى الحادية عشرة .
  - المادة الثانية عشرة : إذا تغيب التلميذ ثلاث مرات متتالية ، يرسل خبيراً إلى أوليائه ، وإذا لم يقدّم عذراً مقنعاً يتمّ تغريم الوالد بدفع جزية .
  - مكاتب الصبيان للإناث :
  - المادة الخامسة عشرة : في حال وجود مكتبين لمئة ما في قرية ، يتمّ تخصيص واحد للذكور وآخر للإناث .
  - المادة السادسة عشرة : يكون مدير ومعلم مكتب الإناث ، أنثى (١) .
- وهكذا ، شهدت المدارس الابتدائية في الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى أزهى مراحلها ، وتوسعت توسعاً كبيراً ، وانتشرت انتشاراً لم تشهده من قبل ، ولم يشمل هذا الانتشار ولاية دون أخرى ، بل امتدّ إلى كلّ أرجاء الدولة العثمانية ومن ضمنها البلاد العربية ، التي كانت ولاية بيروت إحداها .

(1) B.O.A: Y.EE:112/6.

## جغرافية ولاية بيروت:

في السادس من ربيع الآخر عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، وقع أعضاء مجلس مخصوص قراراً بإنشاء ولاية بيروت من ألوية : بيروت وعكا والبلقاء وطرابلس الشام واللاذقية ، وكانت هذه الألوية تابعة «لولاية سورية» . وقد أشار القرار إلى ثلاثة أسباب أدت إلى إنشائها ، هي :

- ١- ازدياد أهمية مدينة بيروت وحساسيتها .
  - ٢- الوقوف في وجه النفوذ الأجنبي والتقليل من شأنه وأسبابه .
  - ٣- اتساع ولاية سورية ، واتخاذ ولايتها مدينة دمشق مركزاً لهم ، الأمر الذي يجعل من بيروت دون أهميتها . وبعد يومين على اتخاذ القرار ، أصدر السلطان إرادته السنية في ٨ ربيع الآخر ١٣٠٥هـ<sup>(١)</sup> .
- لكنّ الغريب أنّ «إلياس جريج» ، وأثناء تقسيم لواء بيروت إلى أفضية وسناجق ، لم يأت على ذكر تقسيمات «البلقاء» من ضمن لواء بيروت<sup>(٢)</sup> ، حتى إنّ سالنمات ولاية بيروت ، وسالنامة نظارة المعارف العمومية ، وأثناء تعداد المدارس والمكاتب في ولاية بيروت ، لا تأتي على ذكر سنجق البلقاء من ضمن ولاية بيروت ، كما سنرى لاحقاً .

## التعليم في بيروت قبل عصر التنظيمات:

حتى أوائل القرن التاسع عشر ، كانت بيروت تتابع من غير أي ملل حياتها الرتيبة تحت أقبية التقاليد المتوارثة منذ مئات السنين ، ولا تحاول أو تفكر بالخروج إلى فضاء الحضارة الحديثة التي انتهت إليها الأمم الأوروبية ، بعد أن نفضت عن

---

(١) إلياس جريج ، التاريخ السياسي والاقتصادي لولاية بيروت (١٨٨٧-١٩١٤م) ؛ الدور الفرنسي ، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه ، الجامعة اللبنانية ، إشراف مسعود ظاهر ، بيروت ، ١٩٩٩م ،

(٢) إلياس جريج ، التاريخ السياسي ، ص ٧٠ .

كاهلها التخلف الذي نأتُ تحت وطأته خلال العصور المظلمة .  
وإذا أردنا التحدّث عن التعليم في بيروت قبل عصر التنظيمات ؛ أي في بدايات القرن التاسع عشر ، فلن نجد أفضل ولا أطرف من الصورة التي تركها لنا أحد أبناء بيروت «أسعد يعقوب الخياط» الذي روى حكاية نشأته الأولى . فقد وصف المدرسة التي دفعه إليها أبوه في بيروت ، وهو ابن خمس سنين ، والأستاذ الذي تولّى تعليمه فيها ، بقوله : «أمّا والدي فكان جُلّ اهتمامه مصوّباً نحو تهيئة الوسائل لتهديبي وتثقيفي ، وكان المثل الأعلى الذي يتمناه لي أن أكتسب من العلوم ما يؤهلني لدخول الدير ، والاندماج في سلك رجال الدين . وفي سبيل هذه الغاية أرسلني والدي إلى «سليم باسيلا» بائع الدخان ؛ لأتعلّم القراءة ، وكان سليم يقضي النهار بطوله ، والغليون في فمه ، وكان دخانه دائماً يكتنف وجهي ، فكأنما الرجل أراد تحويلي إلى لحم مقدّد ، ولو كانت السلطة علي محصورة في معلمي سليم لما كان في الأمر بأس ، ولكن امرأة سليم أيضاً كان لها عليّ بعض السلطة حقّ الشفعة ، فكانت مراراً ترسلني لجلب المياه ، وإذكاء النار ، ومراقبة الطعام!! دخان من تبغ المعلم ، ودخان من طبخ المعلمة في البيت ، تلك كانت خلاصة حياتي المدرسية»<sup>(١)</sup> .

إذن ، كان الأستاذ في بيروت في بداية القرن التاسع عشر ، بائع السجائر أو غيرها ، والمدرسة كانت الدكان الذي يعمل فيه هذا البائع ، وعند اللزوم وغالباً ما كان هذا اللزوم وارداً ، فإنّ صاحب الدكان أو أي واحدةٍ من أقربائه المسنّات كانت تشكّل معه ما يسمّى اليوم أفراد الهيئة التعليمية .

وكان التعليم في بيروت على نحو عام ، يقوم على عاتق أشباه المتعلّمين الذين جعلوا من بيوتهم أو دكاكينهم التجارية مدارس بدائية ، يستقبلون فيها الصبيان ، حيث يلقنونهم مبادئ القراءة والكتابة مع المبادئ الأولية في علم

(١) الشيخ طه الولي ، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ،



الحساب ، إلى جانب الخط العربي . وإذا كان المعلم نصرانياً كان اهتمامه ينصبّ على تعليم هؤلاء الصبيان قراءة الإنجيل المقدّس ، وحفظ بعض مزاميره ؛ وإن كان مسلماً ركّز اهتمامه على تعليم صبيان تلاوة القرآن الكريم وحفظه ، وكانت تلك المدرسة تعرف باسم «الخوجاية» ؛ نسبة إلى مديرها وصاحبها الذي يدعى «الخوجا» ، والخوجاية والخوجا كلمتان تركيتان ، تقابلهما باللغة العربية «الشيخ» و«الشيخة» . وهذا الاصطلاح بقي مستعملاً ورائجاً على ألسنة البيروتيين حتى عهد قريب ، والخوجاية أو الشيخة هي عبارة عن تلك الكتاتيب التي كان يفتحها هؤلاء أشباه المتعلّمين<sup>(١)</sup> .

وبقيت بيروت خلال قرون طويلة خالية من أي مؤسسة علمية تستحق الاهتمام إلى أوائل القرن التاسع عشر ؛ وحتى ذلك الزمان كان الراغبون في طلب العلم من البيروتيين قابعين «بفكّ الحرف» في الكتاتيب الصغيرة ، داخل الدكاكين التجارية التي كان يديرها أشباه المتعلّمين ، أو بالأصح «أشباه الأميين» ، وأكثرهم من المكفوفين ، ومن كان ذا سعة من الطلاب ، كان يسافر إلى الخارج ، أو يلوذ بأروقة المعابد الدينية ، كالمساجد والزوايا والأديرة والكنائس ، وهناك يلتئم المتعلّمون على أيدي الشيوخ والكهنة لإشباع ما يروى ظمأهم من الثقافة والمعرفة ، في حدود ما كان متداولاً من العلوم في ذلك الحين ، بما يؤهلهم لأن يكونوا في المستقبل أئمّة في المساجد ، أو رهباناً في الكنائس ، ومن غير أن يتطلعوا إلى أبعد من ذلك .

### المدارس الأجنبية الإرسالية (التبشيرية):

نصّت المادة مئة وتسعة وعشرون على أنّ المكاتب الخاصة التي تأسست ، سواء من طرف جماعة أو أفراد ، هي من تبعة الدولة العثمانية أو الدول

(١) علي محمد إبراهيم ، الحياة الاجتماعية والفكرية في الدولة العثمانية ١٨٠٨-١٩٠٨ م ، نقلاً عن

محمد زكي بقالين ، أحداث مع شيوخ الكتاتيب ، إستنبول ، ١٩٧٢ م ، ص ٢١١ .

الأجنبية ، تتم إدارتها من طرف مؤسسيها أو الجماعات أو الأوقاف التابعة لها . ويجب أن يكون المعلمُ حاصلًا على شهادة نامة سواء من طرف نظارة المعارف أو من طرف إدارة المعارف من الجهة التي ينتمي إليها . وفي حال هذه المكاتب ستدرّس دروساً مغايرة لما هو معمول به في المكاتب العثمانية الأخرى ، يجب أن تخضع لمصادقة نظارة المعارف ، ويجب أن تحصل المكاتب على رخصة من الجهات المختصة . وفي حال لم تتوافر هذه الشروط لا يحصل المكتب على ترخيص (١) .

ويرى أكثر الباحثين ، أن المبشرين استغلوا الحقوق الممنوحة لهم من قبل الدولة العثمانية من جهة ، وتسامحها وعدالتها من جهة أخرى ، خصوصاً بعد إعلان التنظيمات والإصلاحات ، فاستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم التبشيرية في أراضي الدولة . وكانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كلّ مناحي الحياة ، وتسعى إلى التوغّل وإقامة النفوذ فيها . لذلك سعت هذه الجمعيات إلى مدّ الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط ، وإقامة علاقات ودية معهم . وقد أولى هؤلاء المبشرون التعليم أهمية كبيرة ، ووجدوا فيه خير وسيلة لتحقيق مآربهم ، فهو مجال واسع لنشر أفكارهم ، وإجراء تبادل ثقافي في المجتمعات الشرق أوسطية ، وكانوا يهدفون من وراء هذا التحويل إلى إنشاء جيل وزعماء المستقبل فيميل إليهم الجميع ويؤيدونهم . ولهذا أخذوا على عاتقهم تعليم أبناء رجالات الدولة الأقوياء من العائلات النبيلة ؛ بغية إعدادهم زعماء مؤثرين في المستقبل . ولم يكن التعليم عند المبشرين مقتصرًا على الذكور ، بل أعطوا الفتاة أهمية كبرى في هذا المجال .

ولقد وجد المبشرون في العالم الإسلامي مجالاً خصباً لنشاطاتهم ، ولم تجد الجمعيات التبشيرية التابعة للغرب الأوروبي أي صعوبة في تأسيس مدارس لها

(1) B.O.A: Y.EE, 112/6.

في مختلف أرجاء الدولة العثمانية ، بما فيها الولايات العربية ، واستغلت عدم وجود أي قانون أو نظام يقيّد عملها في هذا المجال ، بل على العكس من ذلك ، كانت الامتيازات الممنوحة إلى الدول الأجنبية تتيح لها المضي قدماً في هذا المجال ، وكان بمقدورها تأسيس أي مدرسة ، وفي أي مكان ، وبالعدد الذي ترغب ، وعلى الرغم من إصدار الدولة العثمانية العديد من الفرمانات التي تطلب منهم عدم فتح أي مدرسة إلاّ بعد حصولهم على ترخيص مسبق<sup>(١)</sup> .

ولكن على الرغم من تشدّد الدولة العثمانية بعدم إعطاء الأذن بفتح أي مدرسة إلاّ بعد حصولها على ترخيص مسبق ، نرى أنّ هذه الفرمانات لم تطبّق فعلياً ، حيث انتشرت هذه المدارس في أرجاء الدولة العثمانية كالنار في الهشيم . ولم يمضِ وقت طويل حتّى شهدت الدولة العثمانية أعداداً هائلة من هذه المدارس ، وبمستويات مختلفة ، حتّى إنّ بعضها كان خافياً على الدولة ؛ إذ نجد أنّ وزير المعارف «زهدي باشا» ذكر في تقرير قدّمه إلى السلطان «عبد الحميد الثاني» سنة ١٨٩٤م ، أنّه من غير الممكن تقديم إحصائية دقيقة عن المدارس والمؤسّسات التبشيرية في الدولة العثمانية ، ومع هذا فقد ذكر أنّ عدد المدارس للأقليات في البلاد لا يقلّ عن ٤٥٤٧ مدرسة ، منها ٤٠٤٩ غير مرخّصة<sup>(٢)</sup> .

مع العلم أنّ هذه المدارس كانت ترسل إلى السلطات العثمانية طلبات للحصول على رخص ، أو حتّى زيادة في المبنى أو ترميم ، لكن يبدو أنّ هذه الطلبات كانت وهمية : « أرسل السيد فخري مدير مكتب الإنكليز في سورية عن احتياجاته إلى بعض التعميرات والإصلاحات في مكاتب الإنكليز الموجودة في الشام الشريف ، ويحتاج إلى رخصة»<sup>(٣)</sup> . لم تنتظر هذه الإرساليات موافقة الباب العالي للحصول على الرخصة ؛ إذ كانت تفتح أبوابها من غير

(1) B.O.A: MKT.UM: 1831/21.

(٢) فاضل بيّات ، المؤسّسات التعليمية ، ص ٦٧٦ .

(3) B.O.A: A. MKT, UM: 1831/21.

الإذن بالتعليم ، فكانت رفع عتب فقط ، وهذا يفسّر كلام وزير المعارف «زهدي باشا» .

وكانت الدولة تدرس كلّ الطلبات المحالة إليها من الولايات ، وتعطي الجواب المناسب لكلّ واحدة ، فمثلاً هذه الحالة التي ذكرناها ، حيث طلب الباب العالي التثبيت من أنّ هذه المكاتب قد أدّت ما يتوجب عليها من ضرائب ومستحقات ، فلا مانع من أن تعطى رخصة لإجراء الإصلاحات والترميمات : «بخصوص الطلب المقدم من مكاتب الإنكليز الموجودة في الشام لإجراء بعض الإصلاحات والتعميرات في المكاتب المذكورة ، فإذا كانت هذه المكاتب قد أدّت الضرائب المستحقّة عليها تأخذ إذن إصلاح وتعمير ؛ وإذا لم تكن أدت ما عليها من ضرائب مستحقّة فلا يمكن الحصول على رخصة»<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من تشدّد الدولة العثمانية بمراقبة المكاتب الأجنبية وغيرها من تلك التي كانت تفتح من غير ترخيص ، إلا أنّه وجد الكثير منها ، وكانت مخفيّة عن الأعين ، وتمارس دورها التعليمي التبشيري . لذلك عمدت الدولة إلى تنبيه ولايتها بمراقبة هذه المكاتب ، والتأكد من حصولها على رخصة لمزاولة العمل : «إلى ولاية بيروت : تمّ افتتاح عدد من المكاتب والكنائس والأديرة بلا رخصة من أجل التعليم وتدرّيس اللغة الفرنسية في مناطق بالقرب من لواء البلقاء ، وذلك يؤدّي إلى إفساد الكثير من الأطفال المسلمين وغيرهم . لذلك يجب التحقيق في زمن إنشاء هذه المكاتب»<sup>(٢)</sup> . وكانت الدولة واعية للدور التبشيري الذي تقوم به هذه الإرساليات ، فتعمد إلى إيقاف أي مبنى تابع إليها خلال عملية البناء ودون حصوله على ترخيص : «يجب إيقاف المكتب الذي تمّ إنشاؤه بدون رخصة من طرف الإيطاليين في مكان يعرف بسمعان

(1) B.O.A:A.MKT, UM: 1831/21-2

(2) B.O.A:A.MKT, UM:1819/78

القانوني»<sup>(١)</sup>. وكانت أكثر هذه المراسلات لإنشاء مكاتب تابعة للدول الأوروبية تتمّ عبر سفاراتها، كونها المشرفة أو الراعية لهذه المكاتب: «جاء تقرير من طرف سفير فرنسا بخصوص الحصول على إنشاء مكتب في بيروت من أجل رهبان الفرنسية، وبعد اجتماع مجلس شورى الدولة، وإرسال مذكرة إلى وزارة الداخلية، تمّت الموافقة على إنشاء المكتب»<sup>(٢)</sup>. وكانت الدول الأوروبية تطلب من هذه المكاتب رفع علم بلادها عليها، لكنّها لم يسمح لها بذلك إلاّ في أيام محدّدة. «وأرسلت حكومة إيطاليا خطاباً إلى الدولة العلية، بخصوص فتح مكتب لها في بيروت، وهذا المكتب تمّ تأسيسه من قبل الحكومة الإيطالية، ولكن علم الدولة لا يتمّ وضعه على المبنى إلاّ في أيام معينة»<sup>(٣)</sup>. ثم أصدرت الدولة فرماناً قررت بموجبه عدم السماح لأيّ مكتب من المكاتب الأجنبية برفع علم بلاده عليها إلاّ في أيام محدّدة<sup>(٤)</sup>. الوثيقتان لم تحدّدا هذه الأيام، وربّما أنّ تشدّد الدولة العثمانية بعدم رفع علم البلاد الأجنبية على مكاتبها مرّدّه عدم القول إن هذه المكاتب بات معها حصانة؛ أي أنها تصبح أرضاً تابعة للدول الأجنبية، تماماً كالسفارات؛ كونها بعيدة عن عين الدولة ومراقبتها. وكانت أكثر هذه المكاتب والمؤسسات الخيرية والتعليمية معفاةً من دفع الرسوم الجمركية، بوصفها مؤسسات خيرية، مثلها مثل أماكن العبادة، فقد أرسلت بعض المؤسسات الأمريكية طلباً إلى السلطات العثمانية تطلب فيه تجديد إعفاء المؤسسات الخيرية والمكاتب من الرسوم الجمركية<sup>(٥)</sup>. ومن أجل ضبط هذه المدارس، أصدرت الدولة العثمانية فرماناً إلى جميع

(1) B.O.A:A.MKT. UM:1838/73.

(2) B.O.A:A.MKT.MHM:485/17

(3) B.O.A:A.MKT.MHM:499/51.

(4) B.O.A:A.MKT. MHM:499/51- 1.

(5) B.O.A, B.E.O: 2755/206573.

ولاتها في المشرق العربي من أجل مراقبتها لجهة بيع الكتب ، والتحقق منها إن كانت تلائم توجّهات الدولة : «إلى ولاية بيروت وحلب والموصل وديار بكر وأصنة وبغداد والبصرة والقدس الشريف : يجب أخذ الحذر وكامل الاحتياطات اللازمة من أجل منع الكتب غير الجائزة في التدريس في المدارس»<sup>(١)</sup> .

ولمراقبة هذه المكاتب عن كثب ، عمدت نظارة المعارف إلى إنشاء نظام للتفتيش عليها ؛ لتكون تحت أنظارها ؛ وقد جاء هذا النظام من ثماني عشرة مادة ، ومن فصلين ، وأهم بنوده : يفتش على المواد التي يدرسها الطلاب ، ويجب على المكاتب الأجنبية الإجابة عن كافة استفسارات المفتشين ، وكلّ من يريد فتح مكاتب أجنبية غير مسلمة في الدولة عليه أن يقدم عريضة إلى وزارة المعارف ، ويتم الحصول على رخصة طبقاً لقرار المادة مئة وتسعة وعشرين من نظام وزارة المعارف<sup>(٢)</sup> . كما يمنع قبول أي طالب مسلم ، ومن يخالف من هذه المكاتب الأجنبية غير المسلمة الدين الإسلامي والحقوق المقدسة والمشروعة ، ويروج لأفكاره الفاسدة ، يعرض نفسه للمساءلة القانونية . كما يجب التفتيش على الكتب المطبوعة ، التي تدرّس في المكاتب الأجنبية غير المسلمة<sup>(٣)</sup> .

ونظراً إلى أهمية هذا النظام ، وحرص السلطان ووزارة المعارف ، والتشدد في مراقبة هذه المكاتب ، ومتابعتها خطوة بخطوة ، أصدرت نظارة المعارف فرماناً طلبت بموجبه من جميع المفتشين على المكاتب الأجنبية رفع تقارير إلى حضرة السلطان ووزير المعارف زهدي<sup>(٤)</sup> .

وقبل التطرق إلى أعداد المكاتب الأجنبية وأسمائها في السالنامات في

(1) B.O.A: DH.MKT: 173/47.

(٢) راجع بهذا الخصوص المادة ١٢٩ من نظام المعارف ، B.O.A:Y.EE,112/6 .

(3) B.O.A:Y.PRK.MF, 1/63.

(4) B.O.A:Y.PRK. MF, 3/29.

ولاية بيروت وسالنامات نظارة المعارف العمومية ، فقد ورد بعض أسماء هذه المدارس في الوثائق ، منها :

### المكاتب الأجنبية في اللاذقية<sup>(١)</sup> :

- اسم المكتب : خرستيان قره مكتبي .
- الجماعة المنسوب إليها : جمعية قره في باريس .
- عدد الطلبة : ١١٠ إناث .
- تاريخ فتح المكتب ١٨٩٠ ، من غير ترخيص .
- اسم المكتب : مسيو أمريقاني مكتبي
- الجماعة المنسوب إليها : جمعية في أمريكا .
- عدد الطلبة : ذكور ١٥٠ ، ١٢٢ إناث .
- تاريخ فتحه : ١٨٥٩ م ، من غير ترخيص .

أسماء المكاتب الأجنبية في ولاية بيروت (ابتدائي) ، حسب سالنامة نظارة المعارف العمومية<sup>(٢)</sup> .

اللواء	القضاء	الجماعة التي ينسب إليها المكتب	عدد الطلاب		تاريخ الترخيص
			ذكور	إناث	
بيروت	بيروت	كاثوليك	-	٢٠٠	من غير ترخيص
بيروت	بيروت	اللاتين	-	٣٥٠	==
بيروت	بيروت	اللاتين	-	٤٠٠	==

(1) B.O.A: A.MF.MKT: 317/46

(٢) سالنامة نظارة المعارف العمومية السنة ١٣٢١هـ ، من ص ٤٢٩ إلى ص ٤٣٣ .

==	١٨٩٣م	٤٠٠	-	اللاتين	بيروت	بيروت
==	١٨٩٥م	-	٣٥٠	اللاتين	بيروت	بيروت
==	١٨٩٥م	-	٤٠٠	اللاتين	بيروت	بيروت
==	١٨٧٢م	-	٢٠٢	اللاتين	بيروت	بيروت
==	١٨٨٨م	٢٦٣	-	اللاتين	بيروت	بيروت
==	١٨٨٧م	٢٣٢	٥٥	روم أرثوذكس	بيروت	بيروت
==	١٨٨٩م	١٣٥	٣١	روم أرثوذكس	بيروت	بيروت
==	١٨٩٠م	٣٣٩	٧٠	روم أرثوذكس	بيروت	بيروت
==	١٨٩٠م	٤٢	١٩	روم أرثوذكس	بيروت	بيروت
==	١٨٩٦م	١٠٣	٢٢	روم أرثوذكس	بيروت	بيروت
==	١٨٦٨م	٦١	-	البروتستانت	بيروت	بيروت
==	١٢٩٩ رومي	٣٠	٣٠	بروتستانت إنكليز	صيدا	بيروت
==	غير معروف	٥٠	١٣٠	بروتستانت إنكليز	مرجعيون	بيروت
==	غير معروف			الأمريكان	مرجعيون	بيروت
==	==	-	٢٠	إيران	مرجعيون	بيروت
==	١٣١١هـ	٥	٣٠	الروم الأرثوذكس	حيفا	عكا
==	١٣٠٠هـ	-	٧٠	بروتستانت إنكليز	حيفا	عكا
==	١٣٠٠هـ	٣٠	-	راهبات المحبة فرنسا	حيفا	عكا
==	١٣١٥هـ	١٥٠	-	راهبات الناصر فرنسا	حيفا	عكا
==	١٢٩٧هـ	١٥٠	-	المكتب الإنكليزي البروتستانت	حيفا	عكا
==	غير معروف	٣٠	-	مكتب راهبات ألمانيا	حيفا	عكا
==	١٣٠٠هـ	-	٨٥	المكتب الروسي (ذكور)	حيفا	عكا
==	١٣٠٠هـ	١١٠	-	المكتب الروسي (إناث)	حيفا	عكا
==	١٢٨٤هـ	٨٣	-	مكتب البروتستانت الإنكليزي	حيفا	عكا



عكا	صفد	مكتب اليانس الإسرائيلي	٨٥	٢٠٩	قديم	==
عكا	طبريا	مكتب موسوين	١٣٥	١٦٠	١٣١٣هـ	==
عكا	طبريا	مكتب البروتستانتية أسكتلنده	٨٠	٤٠	١٣٠٩هـ	==
نابلس	نابلس	المكتب البروتستاني الإنكليزي (ذكور)	٣٥	-	١٢٨٥هـ	==
نابلس	نابلس	المكتب البروتستاني الإنكليزي (إناث)	-	٣٠	١٢٨٨هـ	موجب فرمان ٣ شوال ١٣١٨هـ
نابلس	نابلس	المكتب البروتستاني الإنكليزي قرية ياسمينة	١٢	١٠	١٢٨٣هـ	من غير ترخيص
نابلس	نابلس	المكتب البروتستاني الإنكليزي (اسم القرية غير واضح)	٨	٢	١٣٠٠هـ	==
نابلس	نابلس	المكتب البروتستاني إنكليزي (قرية ريفية)	١٠	-	١٢٩٣هـ	==
بيروت	بيروت	مكتب البروتستانتية الخيري	٣٠	-	١٨٧٦م	==
بيروت	بيروت	مكتب البروتستانتية دير تلندية (ذكور)	١٥٠	-	١٨٦٥م	==
بيروت	بيروت	مكتب البروتستانتية (دير تلندية إناث)	-	١٢٠	١٨٦٥هـ	==
بيروت	بيروت	المكتب البروتستاني للمكفوفين (إناث)	-	١٠	١٨٧٣هـ	==
بيروت	بيروت	المكتب البروتستاني للمكفوفين (ذكور)	٢٠	-	١٨٧١م	==

==	١٨٩١م	٥٥	-	مكتب الحرش البروتستانتية	صيدا	بيروت
==	١٢٧٨هـ	-	٧٠	مكتب جولحاجة للأمريكان	صيدا	بيروت
==	١٢٧٨هـ	٤٥	٤٥	مكتب حارة اللوز للأمريكان	صيدا	بيروت
==	١٣٠٠هـ	٣٠	٣٠	مكتب قناية للأمريكان	صيدا	بيروت
==	١٣١٠هـ	-	٤٠	مكتب النبطية التحتا للأمريكان	صيدا	بيروت
==	١٣١٠هـ	-	٦٠	مكتب جباع للأمريكان	صيدا	بيروت
==	١٣١٠هـ	-	٣٣	مكتب معمارية للأمريكان	صيدا	بيروت
==	١٣١٠هـ	-	٣٠	مكتب بني عقول للأمريكان	صيدا	بيروت
==	غير معلوم	-	٤٠	مكتب الجزويت فرنسا	صيدا	بيروت
==	١٣٨٧ رومي	-	٥٠	مكتب الراهبات اللاتين فرنسا	صور	بيروت
==	١٣٨٧ رومي	٣٠	٣٠	مكتب الجزويت فرنسا	صور	بيروت
==	١٣٠٠ رومي	١٠٠	-	مكتب سان جوزيف فرنسا	صور	بيروت
==	١٢٨٧هـ	-	٣٠	مكتب قرية ريفية البروتستانتية الإنكليزية ذكور	نابلس	نابلس
==	١٢٨٧هـ	٢٥	-	مكتب قرية ريفية البروتستانتية الإنكليزية إناث	نابلس	نابلس
==	١٢٩٣هـ	-	١٢	مكتب اللاتين الفرنسي ذكور	نابلس	نابلس

==	١٥	-	مكتب اللاتين الفرنسي إناث	نابلس	نابلس	
==	٢٥	٢٥	مكتب حارة غربي الفرنسي	نابلس	نابلس	
==	-	٨	مكتب قرية بيت أمرين الإنكليزي بروتستانت	نابلس	نابلس	
==	-	١٥	مكتب قرية برقاً الإنكليزي البروتستانتية	نابلس	نابلس	
==	-	٢٠	مكتب قرية نصف الجبل الإنكليزي البروتستانتية	نابلس	نابلس	
==	٧	١٠	مكتب نصف الجبل اللاتين الفرنسي	الناصره	نابلس	
==	-	٢٥	مكتب قرية الزبايدة البروتستانت الإنكليزي ذكور	الناصره	نابلس	
==	١٢	-	مكتب قرية الزبايدة البروتستانت الإنكليزي إناث	الناصره	نابلس	
==	-	١٥	مكتب قرية الزبايدة اللاتين الفرنسي ذكور	الناصره	نابلس	
==	١٢	-	مكتب قرية الزبايدة اللاتين الفرنسي إناث	الناصره	نابلس	
==	-	٨	مكتب قرية طوباس البروتستانتية الإنكليزي	الناصره	نابلس	
==	غير معلوم	٨	١٠	مكتب قرية أم الفحم البروتستانتية الإنكليزي	الناصره	نابلس
ترخيص ١٨ ت ١٣٨٧/٢ هـ	٣٥	٣٠	مكتب بترسافطة الفرنسي	طبريا	نابلس	

نلاحظ من هذه الإحصائيات أمرين :

الأول : أنه لا ذكر للمكاتب الأجنبية في أفضية طرابلس الشام واللاذقية .  
والثاني : بلغ عدد المكاتب الإرسالية الابتدائية في ولاية بيروت ٦٨ مكتباً ، وليس منها إلا مكتبتين مرخصين ، والباقي ؛ أي ٦٦ مكتباً ، لا تحمل ترخيصاً .

وقد أورد الدكتور «فاضل بيات» في كتابه «المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني» ، اعتماداً على «معارف نظارات عمومية إحصائية قلمي ١٣٢٩م- ١٣٣٠م<sup>(١)</sup> ، عدداً من المدارس الابتدائية في لوائي طرابلس الشام واللاذقية ، منها :

القضاء	اللواء	الجماعة التي ينسب إليها		عدد الطلاب		تاريخ الترخيص
		ذكور	إناث	التأسيس	تاريخ	
اللاذقية	طرطوس	الأمريكان	٤٥	٤٠	١٨٨٣م	غير مرخصة
طرابلس الشام	طرابلس الشام	الأمريكان قرية الشيخ محمد <sup>(٢)</sup>	٥٧	٣٥	١٨٦٩م	==
طرابلس الشام	طرابلس الشام	الأمريكان قرية بينو	١٠	٢٠	١٨٦٦م	==
طرابلس الشام	طرابلس الشام	الأمريكان حصن الأكراد	٦٠	-	١٨٧٢م	==
طرابلس الشام	صافيتا	الأمريكان قرية البرج	٤٠	-	١٨٦٤م	==

(١) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ٦٩٩-٧٠٣ .

(٢) وردت اسم هذه القرية عند فاضل بيات أنها تابعة لعكا ، والصحيح أنها تابعة لطرابلس الشام (عكار) وليست عكا .

طرابلس الشام	صافيتا	الأمريكان عين الباراد	٢٥	-	١٨٩٣م	==
طرابلس الشام	صافيتا	الأمريكان قرية بيت سباط	٥٠	٨	١٨٩٢م	==
عكا	عكا	البروتستانت	٨٥	-	-	-
عكا	عكا	الإيطاليون	٤٠	-	-	-
عكا	عكا	البروتستانت إناث	-	١٥	-	-
عكا	عكا	الإيرانية	٢٠	-	-	غير مرخصة
عكا	حيفا	الأرثوذكسية الروسية	٣٠	٥٠	١٨٩٥م	==
عكا	حيفا	البروتستانتية	٧٠	-	١٨٨٤م	==
عكا	حيفا	راهبات الناصرة للفرنسيين	-	١٥٠	١٨٩٨م	==
عكا	حيفا	الإنكليزية للبروتستانت	-	١٥٠	١٨٨١م	==
عكا	حيفا	الراهبات الألمانية	-	٣٠	غير معلوم	==

هذه أهم المدارس الإرسالية الابتدائية التي أوردتها الدكتور فاضل ، ولم ترد في الجدول الذي أعدته ، استناداً إلى سالنامه نظارة المعارف لسنة ١٣٢١هـ .  
 وإذا لم يكن من كلمة أخيرة تعكس وجهة نظرنا في الآثار التي ترتبت على وجود المدارس الأجنبية في بلادنا ، فلا حرج من القول إن هذه المدارس ينطبق عليها القول المأثور : «رب ضارة نافعة» ؛ ذلك أن نشاط الإرساليات الأجنبية قد أثار في أوساط المسؤولين من الحكام العثمانيين وفي الزعماء المحليين على حدّ سواء ، الشعور بخطر الغزو الفكري والثقافي الأجنبي ، وأيقظ فيهم الوعي القومي ، وحملهم على النزول إلى ساحة التعليم ، وإنشاء المدارس على أسس عصرية جديدة ، كي يساعدوا المواطنين على الاحتفاظ بشخصيتهم الفكرية الأصلية ، واللحاق بركب المدينة الحديثة لمواجهة المستقبل ، مزوّدين بالثقة بأنفسهم والقدرة على التطور والتقدم .

## المدارس الأهلية غير الإسلامية:

تسنى للطوائف المسيحية في ولاية بيروت الاحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة قبل المسلمين ، وكان ذلك أمراً طبيعياً ومنطقياً ؛ ذلك أن بين مسيحي الغرب ومسيحي الشرق وحدة حال من الناحية الدينية ، وهذا الأمر أدى بصورة عفوية إلى وجود رابطة اجتماعية وثقافية بين الطرفين ، وأثمر على المستوى التعليمي عن مبادرة المسيحيين المحليين إلى محاكاة نظرائهم في الدين في أسلوب إنشاء المدارس على الطريقة الأوروبية العصرية .

وأقدم المدارس المسيحية الأهلية هي تلك التي أنشأها المعلم «بطرس البستاني» ، بمساعدة المبشرين الأمريكيين الذين لم يخلوا بخبرة رجالهم وسخاء أموالهم ، وكذلك بالكتب المدرسية التي ترجموها وألقوها بما يتلاءم وأغراضهم التبشيرية وطبعوها بمطابعهم ، وقد افتتحت المدرسة رسمياً أبوابها سنة ١٨٦٣م تحت اسم «المدرسة الوطنية»<sup>(١)</sup> . لكن يبدو أن المدرسة فتحت أبوابها بادئ الأمر للأطفال المسيحيين ، عكس ما كان يظن البعض بأنها فتحت أبوابها لجميع أبناء الوطن من غير تمييز في الدين أو الطبقة الاجتماعية . غير أن الوثائق العثمانية كانت ترى عكس ذلك ؛ فقد ورد أمر من الباب العالي بأن تفتح المدرسة أبوابها لجميع أهالي بيروت من المسلمين والمسيحيين<sup>(٢)</sup> ، خاصة في ظل غياب المدارس الإسلامية ، وندرة المدارس الحكومية العثمانية ، وبالفعل فقد فتحت المدرسة أبوابها أمام جميع أهالي بيروت من المسلمين والمسيحيين<sup>(٢)</sup> .

ثم توالى إنشاء المدارس الأهلية للطوائف المسيحية ، فأُسست سنة ١٨٦٤ المدرسة السريانية على أيدي القسّ السرياني «لويس الصابونجي» : «يوم السبت الماضي كان نهاية الفحص النصفى لتلامذة مدرسة السريان في بيروت ، فسُرّ

(١) طه الولي ، بيروت في التاريخ ، ص ٢١٦ .

(2) B.O.A:MF. MKT. 508/ 41 (619).

(3) B.O.A: MF. MKT, 508/ 41 (619-2).

من حضر بنجاحهم ، وكان رئيس المدرسة المعلم الأول «مخائيل درويش»<sup>(١)</sup> .  
وبعدها أنشئت مدارس مسيحية وطنية أخرى ، منها المدرسة البطريركية  
للروم الأرثوذكس في بيروت عام ١٨٦٦م<sup>(٢)</sup> . وفي السنة نفسها نُقلت مدرسة  
«ثلاثة أقمار» الأرثوذكسية من سوق الغرب إلى بيروت<sup>(٣)</sup> . وفي سنة ١٨٢٢م  
أنشأت الطائفة الأرثوذكسية مدرسة «زهرة الإحسان» ، وكانت هذه المدرسة  
للبنات<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ١٨٧٥م أنشأ الإكليروس الماروني «المدرسة المارونية» ، بجهود  
المطران يوسف الدبس مطران الطائفة المارونية في بيروت ، وبعد فترة استغنى عن  
هذا الاسم وسميت بـ: «مدرسة الحكمة»<sup>(٥)</sup> ؛ حيث طلب المطران دبس من  
الحكومة التركية الأذن بتوزيع الجوائز على الطلاب ، بحضور معلم اللغة التركية  
«ضاهر أفندي»<sup>(٦)</sup> . وكان هناك مجموعة مدارس للروم الكاثوليك ، حيث تقدم  
بطريرك الروم بطلب إلى الحكومة العثمانية لتوسيع مدرسة الروم في بيروت ،  
نظراً إلى ازدياد عدد الطلاب فيها ، وجاء الرد على النحو الآتي : «جانب وزارة  
المعارف ، حضره السيد صاحب الدولة : إن المدرسة البطريركية الخاصة بالروم  
الكاثوليك الموجودة في بيروت ، التي تعود سنة إنشائها إلى سنة ١٢٨٧هـ ،  
طلبت الأذن ببناء مكتب قريب من المدرسة لیسع الطلبة ، وبناء على ذلك تم  
تكليف لجنة من قبل الحكومة من أجل النظر في هذا الموضوع ، وبناء على

(١) جريدة ثمرات الفنون : العدد ١٠١ ، ١٥ ربيع الأول ١٢٩٤هـ / ١٧ آذار ١٨٧٧م .

(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٨م ،  
ص ٣٩٨ .

(٣) طه الولي ، بيروت في التاريخ ، ص ٢٣١ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٣١ .

(٥) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٣٩٨ .

(6) B.O.A: MF. MKT: 130/ 25.

- مقترحات اللجنة وعرض الخرائط اللازمة سيتمّ صدور القرار بذلك»<sup>(١)</sup> .  
وكانت جماعة الروم الأرثوذكس قد سارعت إلى افتتاح مكتبين لها في  
اللاذقية في زمن مبكر ، وهذان المكتبان هما :
- اسم المكتب : الروم للذكور .
  - الجماعة التي ينسب إليها : الروم الأرثوذكس .
  - درجته : ابتدائي .
  - صاحب الرخصة : متري بولين .
  - عدد الطلاب : ٧٠ .
  - تاريخ التأسيس : ١٨٤٥ ، من غير ترخيص .

#### المكتب الآخر :

- اسم المكتب : روم للإناث .
- الجماعة المنسوب إليها : الروم الأرثوذكس .
- درجة المكتب : ابتدائي .
- صاحب الرخصة : متري بولين .
- عدد الطلبة : ١٠٠ .
- تاريخ التأسيس : ١٨٧٤ م ، من غير رخصة<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من وجود قرار من الدولة بعدم فتح أي مدرسة إلاّ برخصة ،  
فإنه لم يكن أحد يسمع للدولة .  
كما أنّ الدروز أنشأوا مدارس لهم ، ومن بينها المدرسة الداوودية<sup>(٣)</sup> . ولم

(1) B.O.A: MF. MKT:458/ 35 (4-5)

(2) B.O.A: MF. MKT: 317 /46.

(٣) جريدة ثمرات الفنون : العدد : ١٦٥ ، ٢٧ جمادى الثاني ١٢٩٥هـ / ١٥ حزيران ١٨٧٨ م .



يقتصر الأمر على المسيحيين والدروز بإنشاء هذه المدارس ، بل انتقل إلى جميع الطوائف ، فها هي الطائفة اليهودية تدلي بدلوها أيضاً في هذا المجال ، فتؤسس مدرسة لأبناء طائفها<sup>(١)</sup> .

وسنذكر أسماء المكاتب غير الإسلامية (ابتدائي) ، الحاصلة على ترخيص رسمي ، ولكن لم تذكر سنة الترخيص بحسب سالنامة ولاية بيروت ١٣١١-١٣١٢هـ<sup>(٢)</sup> .

- مكتب رامة (عكا) : تابع للروم الأرثوذكس ، عدد طلابه ٨٠ .
- مكتب كفر ياسين (عكا) : تابع للروم الأرثوذكس ، عدد طلابه ٤٠ .
- مكتب الناصرة : تابع للروم الأرثوذكس ، عدد طلابه ١٢٠ من الذكور ، ٨٠ إناث .
- مكتب مجيدل (الناصرة) : تابع للروم الأرثوذكس ، عدد طلابه ١٢ .
- مكتب رينه (الناصرة) : تابع للروم الأرثوذكس ، عدد طلابه ١٠ .
- مكتب كفر ياسيف (الناصرة) : تابع للروم الأرثوذكس ، عدد طلابه ٢٥ .
- مكتب يافة الناصرة (إناث) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٠ .
- مكتب رينه الناصرة (إناث) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ١٥ .
- مكتب قصبه نابلس (إناث) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ١٣ .
- مكتب رفيديا نابلس (إناث) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ١٧ .
- مكتب الزبايدة جنين (إناث) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ١٣ .
- مكتب شفا عمر نابلس (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٣٠ .
- مكتب يافة الناصرة (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٩ .
- مكتب قصبه نابلس (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٨ .
- مكتب نصف جبيل نابلس (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٧ .

(١) جريدة ثمرات الفنون : العدد ١٠ ، ١٩ جمادى الأولى ١٢٩٢هـ / ١ حزيران ١٨٧٥م .

(٢) سالنامة ولاية بيروت ، ١٣١١-١٣١٢هـ ، ص ٢٤٩ .

- مكتب الزبايدة جنين (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٩ .
  - مكتب أم الفحم جنين (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٨ .
  - مكتب وادي السبيني بحي الغابة (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ٢٥٠ .
  - مكتب خندق الغميق الباشورة (ذكور) : جماعة اللاتين ، عدد طلابه ١٠٠ .
  - مكتب مدينة الحصن بيروت : يهود ، عدد الطلاب الذكور ٩٠ ، ٩٢ من الإناث .
  - مكتب حارة الأشرفية (ذكور) : يهود ، عدد الطلاب ٨٨ .
  - مكتب بحارة صفد (ذكور) : يهود ، عدد الطلاب ٩٠ .
  - مكتب بحارة صفد (إناث) : يهود ، عدد الطلاب ١٨٠ .
- وكما أسلفنا ، على الرغم مما ورد في السالنامة ، فإن هذه المكاتب قد حصلت على ترخيص رسمي ، إلا إنها لم تذكر تاريخ إنشائها ، ولا تاريخ حصولها على الرخصة .
- وهذه أعداد وأسماء المكاتب الابتدائية في ولاية بيروت لغير المسلمين ، بحسب سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣٢١هـ (١) .

اللواء	القضاء	الجماعة التي ينسب إليها المكتب	عدد الطلاب		تاريخ الترخيص
			ذكور	إناث	
بيروت	بيروت	الرميلة الماروني	٢٠٠	-	١٨٨٠م من غير ترخيص
بيروت	بيروت	رأس بيروت اليسوعي الماروني	١٧٠	-	==
بيروت	بيروت	المنارة الماروني الماروني	١٣٠	-	==

(١) سالنامة نظارة المعارف لسنة ١٣٢١ ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

بيروت	بيروت	المكتب السرياني السريان	٣٠	-	١٨٩٨م	==
بيروت	بيروت	مكتب كنيسة المخلص الكاثوليك	٥٠	-	١٨٩١م	==
بيروت	بيروت	مكتب سيدة البشائر الكاثوليك	٢٣	-	١٩٠٢م	==
بيروت	بيروت	مكتب الخيرية الأرثوذكس	٦٠	-	١٨٩٠م	==
بيروت	بيروت	مكتب سيدة البشائر الكاثوليك	٢٣	-	١٩٠٢م	==
بيروت	بيروت	مكتب الخيرية الأرثوذكس	٦٠	-	١٨٩٠م	==
بيروت	بيروت	مكتب الروم الأرثوذكس الأرثوذكس	٢٢٠	-	١٨٦٨م	==
بيروت	بيروت	مكتب مار مخائيل الأرثوذكس	١٨٠	-	١٨٧٠م	==
بيروت	بيروت	مكتب الثلاثة أقمار الأرثوذكس	١٠٠	-	١٨٦٩م	==
بيروت	بيروت	مكتب السيدة الأرثوذكس	٣٠	-	١٨٧٠م	==
بيروت	بيروت	مكتب مار مخائيل المارونية	٦٠	-	١٨٧٠م	==
بيروت	بيروت	مكتب مار مارون المارونية	٣٠	-	١٨٧٣م	==
بيروت	بيروت	مكتب الجمعية الخيرية المارونية	١٣٠	-	١٩٠٠م	==
بيروت	بيروت	مكتب إليانس ذكور الموسوية	٣٥٠	-	١٨٧٨	٢٠ ك ٢٠ السنة غير واضحة
بيروت	بيروت	مكتب إليانس إناث الموسوية	-	٣٠٠	١٨٧٨م	==
بيروت	بيروت	مكتب الاجتهاد الموسوية	٧٠	-	١٨٧٦م	من غير ترخيص
بيروت	بيروت	مكتب سليم الحديد الموسوية	٣٠	-	١٨٩٩م	==
بيروت	بيروت	مكتب رحمون الموسوية	٣٥	-	١٨٩٩م	==
بيروت	صيدا	مكتب مطران الكاثوليك	٤٠	-	غير معلوم	==
بيروت	صيدا	مكتب النبطية الكاثوليك	٢٠	-	==	==
بيروت	صيدا	مكتب إليانس موسوي	٨٠	-	==	==
بيروت	صور	مكتب كاثوليك الكاثوليك	٩٠	-	١١٠٠هـ	==

==	١٣١٦هـ،	٢٠	٣٠	مكتب الروم الأرثوذكس	صور	بيروت
==	غير معلوم	٦٠	١٢٠	مكتب الكاثوليك	مرجعيون	بيروت
==	==	٩٠	١٥٠	مكتب الروم الأرثوذكس	مرجعيون	بيروت
==	١٣١٢هـ	-	٥٠	مكتب الروم الأرثوذكس	طرابلس الشام	طرابلس الشام
==	١٣١٦هـ	-	٥١	مكتب قرية ذوق مقشرين روم أرثوذكس	عكار	طرابلس الشام
==	-	-	٢٥٠	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بحارة نوري ذكور	طرابلس الشام	طرابلس الشام
==	-	١٨٠	-	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بحارة نوري إناث	طرابلس الشام	طرابلس الشام
==	-	-	٢٠٠	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بحارة الرمل ذكور	طرابلس الشام	طرابلس الشام
==	-	٣٠٠	-	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بحارة خرستيان إناث	طرابلس الشام	طرابلس الشام
==	-	٤٠	٩٠	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بحارة بدران	طرابلس الشام	طرابلس الشام
==	-	-	٨٠	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس الحصن كيما	حصن الأكراد	طرابلس الشام
==	١٣١٤هـ	٦٠	١٥٠	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بقرية رحبة	صافيتا	طرابلس الشام
==	١٣١٥هـ	٢٠	٦٠	مدرسة المسكوية روم أرثوذكس بقرية دير دلوم	صافيتا	طرابلس الشام
==	١٣١٣هـ	٥٠	٨٠	مدرسة المسكوية روم بقرية جبرائيل	صافيتا	طرابلس الشام

طرابلس	صافيتا	مدرسة المسكوبية روم أرثوذكس بقرية مشليحة	٢٠	١٥	١٣١٦هـ	==
عكا	عكا	مكتب الروم الأرثوذكس	-	٤٠	-	==
عكا	عكا	مكتب الكاثوليك	٦٦	-	-	==
عكا	الناصرة	مكتب الروم الأرثوذكس	٨٠	-	١٢٩٧هـ	==
عكا	الناصرة	مكتب الروم الأرثوذكس	-	٨٢	١٢٩٧هـ	==
عكا	الناصرة	مكتب البروتستانت ذكور	٩٢	-	١٢٨٠هـ	==
عكا	الناصرة	مكتب البروتستانت إناث	-	٧٥	١٢٩٠هـ	==
عكا	صفد	مكتب الكاثوليك	٢٥	٣٠	-	==
عكا	طبريا	مكتب الروم الأرثوذكس	١٦	٨	١٣١٢هـ	==
عكا	طبريا	مكتب الكاثوليك	١٥	-	١٣١٨هـ	==
نابلس	نابلس	مكتب الروم الأرثوذكس	١٠	-	١٢٨٨هـ	==
جنين	جنين	مكتب الروم الأرثوذكس	٧	-	١٢٧٨هـ	==

نجد من خلال سالنامة نظارة المعارف العمومية أن عدد المكاتب الابتدائية غير الإسلامية من ولاية بيروت بلغ ٤٩ مكتباً للإناث والذكور ، منها مكتبان مرخصان ، بينما ٤٧ مكتباً غير مرخص .

ونجد أن سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣١٩<sup>(١)</sup> ، تحصي عدداً يسيراً جداً من المكاتب الابتدائية في ولاية بيروت لغير المسلمين :

(١) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣١٩هـ ، ص ٤٩٢ .

اللواء	القضاء	اسم المكتب	الجماعة التي ينسب إليها
بيروت	بيروت	ذكي كوهين	موسوي
بيروت	بيروت	بطريقية	روم كاثوليك
بيروت	بيروت	سريان	سريان
عكا	عكا	ماروني	ماروني
عكا	عكا	مكتب الروم	روم
عكا	صفد	مكتب الروم	روم
عكا	صفد	ماروني	المارونية
عكا	حيفا	موسوي	موسوي

### المدارس الأهلية الإسلامية:

كانت الطوائف المسيحية سبّاقة إلى افتتاح المدارس في ولاية بيروت، أما حال مدارس المسلمين قبل عصر التنظيمات فيصفها الفجر الصادق<sup>(١)</sup>: «أمّا الطائفة الإسلامية فإنّها كانت غافلة عن ذلك خمس عشرة سنة، مقتصرة على بعض زوايا مهجورة مملوءة بالعفونة والرطوبة، بما يضرّ بصحة الأولاد، ومن المعلمين على المشايخ العميان الذين لا ننكر فضلهم، لأنّهم قاموا بواجباتهم على قدر استطاعتهم، ومن الأطباء على أناس من الحلاقين والحجامين. وبقيت الطائفة (الإسلامية) محرومة من الفوائد التامة بالمدارس الملقّبة بالعمومية؛ لأنّ مبادئ تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة، كأن يشترط في بعضها على التلاميذ الخضوع لدين المدرسة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفجر الصادق هو لأعمال المدونة لجمعية المقاصد، صدر لعام واحد فقط ١٢٩٧هـ.

(٢) الفجر الصادق: البيان السنوي لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ١٢٩٧هـ، ص ٤.

ويقول «عبد القادر قباني»<sup>(١)</sup>، ربّما يفاجأ أبناء زماننا: «إذا أخبرناهم أنّ أجدادهم من أهل القرن التاسع عشر كانت مدارسهم من الحوانيت داخل أسواق بيروت القديمة، وبعضها كان إلى جانب أبواب المساجد. ففي هذه الدكاكين كان يتعلّم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب». ويسترجع «عبد القادر قباني» بعض ذكرياته في مجلة الكشف: «وكان بعض أصحاب هذه الكتاتيب لا همّ لهم إلا أن يختم الطالب القرآن الكريم ليتناولوا «المعلوم»، أي المكافأة التي كانوا يسمونها «الخلوانة»، ونسميها نحن «البخشيش» من الوالدين»<sup>(٢)</sup>.

وحرصاً من الطائفة الإسلامية على أبنائها من التغريب، بادر الأهالي إلى توجيه عدد من الرسائل إلى السلطات العثمانية للمبادرة فوراً إلى تأسيس مدارس إسلامية؛ للوقوف في وجه الإرساليات والمدارس الأهلية المسيحية: «إلى الجناب الشريف بوزارة المعارف العمومية: بسبب كثرة المؤسسات الأجنبية في بيروت والمدارس المخصّصة لغير المسلمين، ويريد الطلبة المسلمون التقدم لها ولا يجدون مكاناً لهم، قام السيد صاحب العزة من أصحاب الفضل والعرفان عبد القادر أفندي (قباني) وصاحب الكرم عباس أفندي (الأزهري) بتأسيس المدرسة الرشدية الابتدائية، وينتظران الحصول على رخصة»<sup>(٣)</sup>.

وتسابق الزعماء المسلمون بعد عصر التنظيمات إلى افتتاح المدارس الحديثة في ولاية بيروت؛ حيث تقدم السيد عثمان باشا زاده محمد بك «المرعبي» من أمراء عشيرة عكار، بطلب لفتح مدرسة في قرية مشحا بعكار<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ عبد القادر قباني من مواليد مدينة بيروت ١٨٤٤م، وكان صاحب جريدة ثمرات الفنون وأول رئيس لجمعية المقاصد بيروت، ومديراً لمعارف بيروت ١٩٠٢-١٩٠٨م.

(٢) عبد القادر قباني، الكشف، المجلد الأول، مطبعة وزنكوغراف طبارة، بيروت، العدد ٢، السنة الأولى ١٣٤٥هـ/١٩٢٢م، ص ٨٧.

(3) B.O.A:MF.MKT:301/45 (5-6).

(4) B.O.A:MF.MKT:266/22 (3-2).

وكان من أهم هذه المدارس الابتدائية التي تأسست في ولاية بيروت ، تلك المدارس التي أسستها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، وما زالت هذه الجمعية تقوم بمهمة التدريس على كامل الأراضي اللبنانية . فهذه الجمعية تأسست سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م<sup>(١)</sup> ، وذلك قبل وصول «مدحت باشا» إلى ولاية سورية ، حيث كانت بيروت في أثنائها تابعة لولاية سورية .

ويرى أكثر الباحثين أنّ مدحت باشا كان وراء تأسيس جمعية المقاصد في بيروت ، وقد تبين من خلال دراسة قمت بها وقدمتها إلى الجامعة اللبنانية أنّ «مدحت باشا» لا علاقة له بتأسيس الجمعية<sup>(٢)</sup> . وفعلاً قام مدحت باشا بتأسيس العديد من الجمعيات الخيرية أثناء ولايته على سورية تحت اسم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، ومنها :

صيدا<sup>(٣)</sup> ، واللاذقية<sup>(٤)</sup> ، وعكا<sup>(٥)</sup> ، ومرجعيون<sup>(٦)</sup> ، وحيفا<sup>(٧)</sup> ، وحمّاه<sup>(٨)</sup> ، وطبريا<sup>(٩)</sup> ، ونابلس<sup>(١٠)</sup> والبلقاء<sup>(١١)</sup> . لقد رأت جمعية المقاصد منذ بداية

---

(١) راجع في هذا الخصوص بحث جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت بين الدولة العثمانية والدولة الفرنسية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ٢٠١٦ م .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) طلال المجذوب ، تاريخ جمعية المقاصد (صيدا) : ١٢٩٦/١٨٧٩م ، أيلول ، ٢٠٠٢م ، ص ١٣-١٤ .

(٤) جريدة ثمرات الفنون ، العدد ٢٥١ ، ٤ ذي القعدة ١٢٩٦هـ / ٢ تشرين الثاني ١٨٧٩م .

(٥) المصدر نفسه ، العدد ٢٥٦ ، ١٠ ذي الحجة ١٢٩٦هـ / ١٢ تشرين الثاني ١٨٧٩م .

(٦) المصدر نفسه ، العدد ٢٥٩ ، ١ محرم ١٢٩٧هـ / ١٥ كانون الأول ١٨٧٩م .

(٧) جلسة الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد في بيروت ، جلسة ٢٨ ذي القعدة ١٢٩٦هـ .

(٨) المصدر نفسه ، جلسة ٢٩ ذي الحجة ١٢٩٦هـ .

(٩) المصدر نفسه ، جلسة ٢ ربيع الأول ١٢٩٧هـ .

(١٠) المصدر نفسه ، جلسة ٢١ شعبان ١٢٩٧هـ .

(١١) المصدر نفسه ، جلسة ١٥ رجب ١٢٩٧هـ .



نشاطها، أنه لا بدّ من الاهتمام بالفتاة المسلمة وإعدادها إعداداً جيداً . ويُعدّ توجه هذه الجمعية في بيروت نحو تعليم الفتاة ثورة في حدّ ذاتها ؛ فقد لاقت هذه الفكرة اعتراضاً من معظم الأهالي ، ومقاومة من العلماء والمشايخ ، لكنّ الجمعية لم تكتثر لهذا الأمر ، ولم تعبأ بالمقاومة فأسّست أوّل مدرسة للبنات في ٥ شوال ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م<sup>(١)</sup> . وتم افتتاح المدرسة الثانية للإناث في شهر جمادى الثاني ١٢٩٦هـ<sup>(٢)</sup> ، بينما كان افتتاح المدرسة الابتدائية الأولى للذكور في ٢٣ ذي الحجة ١٢٩٦هـ/ ٧ كانون الأول ١٨٧٩م<sup>(٣)</sup> . أما المدرسة الثانية للذكور فقد تقرر فتحها في شهر محرم سنة ١٢٩٧هـ<sup>(٤)</sup> .

وفجأة ، من غير سابق إنذار ، اتّخذت السلطات العثمانية سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م قراراً بحل الجمعية<sup>(٥)</sup> ، وجميع الجمعيات التي شكلها مدحت باشا . وتعدّدت الروايات حول الأسباب الحقيقية لإغلاق الجمعية ، وقد تناولت هذه الأسباب مفصّلة في البحث الذي أعدّته وأشارت إليها سابقاً .

وخلاصة القول إنّ من أهم أسباب إغلاق الجمعية ، هو أن الجمعيات التي كان يؤسسها مدحت باشا كانت تقوم بمساعدة ومساندة جمعية الاتحاد والترقي<sup>(٦)</sup> . فعندما تفاقم أمر الاتحاد والترقي في إستنبول ، أقدمت الدولة على حلّ جميع مكاتب جمعية المقاصد ؛ حيث عدّتها الدولة تابعة للاتحاد والترقي ، وقد : «ذهب الصالح بعهد الطالح» ، وهكذا طويت صفحة ناصعة من عمر جمعية المقاصد ، وبقيت مقفلة مدة ٢٦ سنة ؛ إذ عاودت العمل عام

(١) جريدة ثمرات الفنون ، العدد ١٧٨ ، ٦ شوال ١٢٩٥هـ/ ٢١ أيلول ١٨٧٨م .

(٢) جلسة الهيئة الإدارية للجمعية ، ٢ رمضان ١٢٩٦هـ .

(٣) جريدة ثمرات الفنون ، العدد ٢٥٨ ، ٢٤ ذي الحجة ١٢٩٦هـ/ ٨ كانون الأول ١٨٧٩م .

(٤) جلسة الهيئة الإدارية للجمعية ، جلسة ٢٧ ذي الحجة ١٢٩٦هـ .

(٥) جريدة ثمرات الفنون ، العدد ٤٠٤ ، ١٦ محرم ١٣٠٠هـ/ ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٢م .

(6) B.O.A: DH.KMS, 46/2 and B.O.A.: DH. KMS, 47/73.

١٩٠٨م<sup>(١)</sup>. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى اتخذت الدولة العثمانية قراراً تمّ بموجبه ضمّ الجمعية إلى المجلس العمومي<sup>(٢)</sup>.  
ولنستعرض أسماء المكاتب الإسلامية بحسب ورودها في الوثائق  
والسالنامات<sup>(٣)</sup>:

اللواء	القضاء	اسم المكتب	عدد الطلاب		تاريخ الترخيص
			ذكور	إناث	
اللاذقية	اللاذقية	مكتب مسجد مسيج	٦٦	١٤	من غير ترخيص ١٣١٢هـ
اللاذقية	اللاذقية	مكتب الفتوح	٨٠	-	== ١٣١٢هـ
اللاذقية	اللاذقية	مكتب العمري	٤٠	-	== ١٣١١هـ
اللاذقية	اللاذقية	مسجد الشيخ محمد	٣٥	-	== ١٣١٤هـ

بعض المكاتب الإسلامية الابتدائية في بيروت بحسب سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ<sup>(٤)</sup>:

القضاء	اسم المكتب	عدد الطلاب	القضاء	اسم المكتب	عدد الطلاب
بيروت	زاوية الإمام الأوزاعي	٢٠	بيروت	حارة باشورة ذكور	٢٠٠

(١) محاضرات جلسات شعبة المعارف، جلسة ٩ رمضان ١٣٢٦هـ.

(٢) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام (١٨٦٨-١٩٣٨م)، الدار الجامعية، ١٩٨١م، ص ١٢٤.

(٣) B.O.A: MF.MKT:317/46.

(٤) سالنامة ولاية بيروت ١٣١١-١٣١٢هـ، ص ٢٤٣-٢٤٤.

بيروت	جامع التوبة	٦٠	بيروت	حارة باشورة	٢٠٠
بيروت	السوق الطويلة	١٠٠	بيروت	حارة باشورة	٣٥
بيروت	محلة الحضرة	٢٥٠	بيروت	باب يعقوب	٤٠
بيروت	حارة الحمام الصغير ذكور	٨٠	بيروت	حارة الغربية	٢٠
بيروت	حارة الحمام الصغير إناث	٣٠	بيروت	رأس النبع	١٢٠
بيروت	رأس بيروت	٢٠	بيروت	زقاق محافر	٢١٠
بيروت	حارة الحضرة	٦٠	بيروت	زقاق البلاط	٢٢٠
بيروت	حارة الباشورة إناث	١٠٠			

أسماء المكاتب الابتدائية الإسلامية في ولاية بيروت بحسب سالنامة  
نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣٢١هـ<sup>(١)</sup> :

اللواء	القضاء	اسم المدرسة	المكان	عدد الطلاب
عكا	عكا	جزار باشا	جامع جزار باشا	غير معروف
عكا	صفد	الأحمر	الجامع	٣٥
عكا	طبريا	جامع يوسف الظاهر	الجامع	٧
نابلس	نابلس	صلاحي	حارة صلة	٥٠
نابلس	نابلس	عين	حارة قريون	٢٠
طرابلس الشام	طرابلس الشام	طينال	الحدادين	١٠
طرابلس الشام	طرابلس الشام	رجيبة	الحدادين	١٥

(١) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣٢١هـ ، ص ٤٢٣ .

١٠	الحدادين	صقرقية	طرابلس الشام	طرابلس الشام
١٧	نوري	الشمسية	طرابلس الشام	طرابلس الشام
٢	باب الحديد	دويسية	طرابلس الشام	طرابلس الشام
٢	تربيعة	حامدية	طرابلس الشام	طرابلس الشام
١٠	تحت القلعة	حباك	طرابلس الشام	طرابلس الشام
٦	الملاحة	سوسية	طرابلس الشام	طرابلس الشام
٤	سويقة	مرحبية	طرابلس الشام	طرابلس الشام
-	الصاغة	دبا	طرابلس الشام	طرابلس الشام
١٠٠	شقراء	علوية	مرجعيون	بيروت
٥٠	الخيام	حينية	مرجعيون	بيروت

أعداد المكاتب الإسلامية الابتدائية في ولاية بيروت بحسب سالنامة نظارة المعارف لسنة ١٣٢١هـ (١):

عدد التلاميذ	عدد المدارس	القضاء	اللواء
١١٧٠	١٣	بيروت	بيروت
٣٥٩	٣	صيدا	بيروت
٥٣٨	١١	اللاذقية	اللاذقية
١٨٠	٦	صور	بيروت
٦٠	٢	مرجعيون	بيروت
١٠٠	٢	حيفا/صفد	عكا

(١) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣٢١هـ، ص ٤٢٤-٤٢٥.

### المدارس الحكومية (التعليم الرسمي):

بقيت بيروت خالية من المدارس الحكومية في العهد العثماني ، إلى أن أجلي المصريون عنها سنة ١٨٤٠م ، فلما عادت إلى السيادة العثمانية أدرك المسؤولون أنّ الأجنب ومن والاهم من المسيحيين يكادون يتفردون بالسيطرة على مصادر الثقافة في هذه البلاد ، ويهدّدون بعزل الناشئة الإسلامية عن الحياة العثمانية ، ويبعدونهم عن التجاوب مع سياستها العامة<sup>(١)</sup> .

وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات والمدارس الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة ، فخاف السلاطين والحكام العثمانيون من هذا الخطر . ولما كانت بلاد الشام تجمع من كلّ الملل والطوائف ، كانت التفرقة بينها أسرع من سائر الأقطار ، فدخلت الانقسامات في ميدان التربية والتعليم عبر الكتب التي كانت توزّعها المدارس الأجنبية ، وفيها الطعن بالإسلام ، وإلقاء الرعب في قلوب طلابها النصاري لتنفيرهم من الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من إصدار الدولة العديد من الفرمانات إلى حكام الولايات ومديريات المعارف ، بضرورة التشدّد في مراقبة الكتب التي يمارس التعليم فيها من قبل الإرساليات والمدارس الأهلية المسيحية<sup>(٣)</sup> .

لذلك عمدت إستنبول إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى بيروت لإيلاء أمر التعليم في المناطق التي تحت إدارتهم ، العناية اللازمة ؛ حرصاً على إبقاء الرأي العام العربي ، لا سيّما المسلم ، داخل الإطار الفكري للدولة العثمانية ، فاستجاب الولاة لهذا التوجّه الرسمي وأخذت بيروت منذ ذلك الحين تحظى بحصة الأسد من المدارس الحكومية الرسمية ، وهذا الاهتمام الذي ظهر في الدولة العثمانية بالنسبة إلى فتح المدارس في ولاية بيروت وغيرها من

(١) طه الولي ، بيروت في التاريخ ، ص ٢٠٩ .

(٢) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، شركة فرج الله للمطبوعات ، بيروت ، ص ١٧٧ .

(3) B.O.A:DH.MKT: 173/47.

الولايات العربية إنما كان نتيجة الملاحظات المتكررة التي أبدتها المسؤولين في تقاريرهم الرسمية ، وخصوصاً ما كتبه مدحت باشا<sup>(١)</sup> .

بدأت الدولة العثمانية تزيد من تأسيس المدارس الحكومية في ولاية بيروت بناء على تقارير ولايتها ومديرية معارف بيروت ، ومنها ما أرسله مدير معارف بيروت ، وجاء فيه : «إلى وزارة المعارف الجليلة : حيث لا توجد مكاتب ابتدائية بقدر كاف في بيروت حتى الوقت الحالي تكفي للطلبة الذكور والإناث ، مع العلم أنّ المكاتب الأجنبية كثيرة هناك . ينبغي أن تكثّر الإدارة العثمانية السنّية من المكاتب الابتدائية ، حتى لا يذهب أطفال المسلمين من الجنسين إلى المدارس الأجنبية»<sup>(٢)</sup> .

وجاء في رسالة أخرى من بيروت تحذّر السلطات العثمانية من مغبة ترك ساحة التعليم حكراً على الإرساليات الأجنبية ، والإسراع بفتح مدارس للمسلمين : «إلى جناب الحضور السامي ، تمّ من قبل الأهالي شراء بعض الأماكن والعقارات في بيروت من أجل تأسيس مكاتب ابتدائية للذكور والإناث ؛ لأن المكاتب الموجودة فيها قليلة ، ولا تكفي لأعداد الطلاب ، وذلك حتّى لا يذهب أطفال المسلمين إلى المكاتب الأجنبية الموجودة بكثرة في بيروت ، وخصوصاً البنات . ويجب الإحسان علينا ببلغ سنوي قدره ١٥٠,٠٠٠ قرش من أجل إصلاح وإكثار المكاتب الابتدائية في بيروت»<sup>(٣)</sup> .

ولم تكن الدولة العثمانية تفرّق بين المذاهب الإسلامية ، فتعاملها بالسواء من غير التمييز بينها : «يوجد في سنجق اللاذقية أكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة من طائفة النصيرية لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ، وبعض طائفة الأمريكان استغل

(١) قدري قلججي ، مدحت باشا ، أبو الدستور وجامع السلاطين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٣ ،

١٩٥٨م ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(2) B.O.A: BEO: 521/ 39072.

(3) B.O.A: BEO:579/43404.

ذلك وأخذ أبناء هؤلاء إلى مدارسهم ، لذلك نرجو منكم إنشاء مكاتب ومساجد بقدر الحاجة إليهم»<sup>(١)</sup> .

وأخذت الدولة العثمانية تهتم بطائفة النصرية ؛ حيث أسست ٣ مكاتب رشدية ، وعلى كل ٢٠ منزلاً مكتباً للصبيان (ابتدائي) ، وتم اختيار مدرّسين في اللاذقية<sup>(٢)</sup> . وقد أرسلت الصدارة العظمى رسالة إلى مديرية معارف بيروت تطلب فيها تجديد أماكن المدارس والمساجد التي يجب تأسيسها لأهالي جبل النصرية<sup>(٣)</sup> .

وعلى الرغم من أنّ المدارس الحكومية كانت تابعة للدولة مباشرة ، فإنّ الدولة كانت حريصة عند إنشائها على الحصول على ترخيص لها : «بناء على الطلب المقدم إلى وزارة الدفتر الخاقاني بخصوص بناء مكتب ابتدائي في مديرية نابلس ، وبعد الاطلاع على الخرائط تمّ إصدار مذكرة بهذا الخصوص»<sup>(٤)</sup> .

ومن أجل ضبط هذه المدارس ومتابعتها عن كثب ، أنشأت مديرية معارف بيروت جهازاً للتفتيش على المدارس ؛ حيث كانت ترسل المفتّشين دورياً للتفتيش على المدارس الابتدائية<sup>(٥)</sup> . وكان جهاز التفتيش يتّخذ الإجراءات اللازمة بحق المعلّمين المقصّرين بواجباتهم ، وهذا ما حصل لبعض معلّمي المدارس الابتدائية في نابلس ؛ حيث تمّ صرف بعض المعلّمين لعدم قيامهم بواجبهم<sup>(٦)</sup> .

(1) B.O.A:Y.PRK.UM:24/15.

(2) B.O.A:A.MKT, MHM:475/44.

(3) B.O.A:A.MKT.UM:1849/38(3-1).

(4) B.O.A:IDFE:11/5.

(5) B.O.A:MF.MKT:284/20.

(6) B.O.A:MF.MKT:102/102 (1-1).

وكانت برامج توزيع الدروس للمدارس الابتدائية تأتي من إستنبول ؛ حيث تمّ تخصيص الدروس الآتية : علوم دينية ، أبجدية تركية عربية ، قراءة عربي ، لغة تركية ، إملاء عربي وكتابة ، مختصر صرف ونحو عربي ، مختصر نحو تركي ، محادثة تركية ، خط ، جغرافيا ، تاريخ ، معلومات مدنية وأخلاقية ، معلومات فنية وأخلاقية<sup>(١)</sup> .

وبالاستناد إلى بعض الوثائق العثمانية ، وقبل أن نستعرض عدد المكاتب الابتدائية بحسب السالنامات ، فقد ورد في بعضها عدد لهذه المكاتب في بعض الأفضية ، ففي قضاء اللاذقية ١٠ مكاتب ، وقضاء جبلة ٢٨ مكتباً ابتدائياً موزعين على القرى<sup>(٢)</sup> ، وفي قضاء صهيون ٣ ، وقضاء مرقب ٩ مكاتب ، وجبلة ١٠ مكاتب موزعين على القرى ، لسنة ١٣١٧هـ<sup>(٣)</sup> . وفي لواء البلقاء ٢٩ مكتباً ابتدائياً<sup>(٤)</sup> .

ونورد هنا إحصاء عن عدد المدارس في الألوية والسناجق والأفضية بحسب سالنامات ولاية بيروت وسالنامات نظارة المعارف (أحياناً تذكر السالنامات أعداد التلاميذ وأحياناً لا تذكرها) من غير ذكر اسم القرى التابعة لها ؛ لأنه لو أردنا ذلك لاحتجنا إلى مجلّدات حسب سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ<sup>(٥)</sup> :

(1) B.O.A:MF.MKT:1166/26 (6-8).

(2) B.O.A:MF.MKT:317/46.

(3) B.O.A:Y.A.HUS:415/29.

(4) B.O.A:A.MKT.UM:1845/70.

(٥) سالنامة ولاية بيروت ، لسنة ١٣١١-١٣١٢هـ ، ص ٢٤٤-٢٤٨ .



عدد التلاميذ	عدد المدارس الابتدائية	القضاء	اللواء
٦٢٦	٦	صيدا	بيروت
٥٧٠	١١	مرجعيون	بيروت
٢٣٢	٤	صور	بيروت
٢٢٥٠	٢٥	نابلس	بيروت
٤٥٢	٨	بني صعب	بيروت
١٢١١	١٩	جماعين	بيروت
١٥٣٦	٢٥	جنين	بيروت
٧٤٥	١٥	اللاذقية	بيروت
١٧٧	٥	مرقب	بيروت
١٥٢	٦	جبله	بيروت
١٠٤	٤	صهيون	بيروت
٧١٠	٢٣	عكا	بيروت
٦٠٣	٢٣	حيفا	بيروت
٤٧٦	٢٦	صفد	بيروت
١٩٥	٥	طبريا	بيروت
٥٧٥	٦	طرابلس الشام	بيروت
١٠٦١٤	٢١١		المجموع

أما أعداد المدارس بالنسبة إلى سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة ١٣١٧هـ<sup>(١)</sup>، فهي تذكر أسماء المدارس والقرى التي أقيمت فيها من غير ذكر أعداد التلاميذ .

(١) سالنامة نظارة المعارف العمومية، لسنة ١٣١٧هـ، ص ٤٩٨ - ٥١٤ .

عدد المدارس	القضاء	اللواء
٢٢	بيروت	بيروت
٦	صيدا	بيروت
٧	مرجعيون	بيروت
٦	صور	بيروت
٢٢	نابلس	نابلس
٢٧	جماعين	نابلس
٩	بني صعب	نابلس
٤٠	جنين	نابلس
١٥	اللاذقية	اللاذقية
٦	جبله	اللاذقية
٥	مرقب	اللاذقية
٤	صهيون	اللاذقية
٢١	عكا	عكا
٢٠	حيفا	عكا
٧	صفد	عكا
٦	طرابلس الشام	طرابلس الشام
١	صافيتا	طرابلس الشام
١	حصن الأكراد	طرابلس الشام
١	الناصره	عكا
٢٣٦ مكتبا		المجموع

والمتمأل في هذين الجدولين ، يجد أن أعداد المدارس الابتدائية في ولاية بيروت كانت في تزايد مستمر ، وبحسب سالنامه لسنة ١٣١١ - ١٣١٢هـ ، كانت ٢١١ مدرسة ابتدائية . أما بحسب سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة

١٣١٧هـ، فكانت ٢٣٦ مدرسة . بينما سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣٢٦هـ ، تذكر أن عدد المدارس الابتدائية في ولاية بيروت بلغ ٣٠٠ مكتب للذكور والإناث (١) .

### الخاتمة:

تأخرت الدولة العثمانية في افتتاح المدارس الحكومية في الولايات العربية ؛ ومنها ولاية بيروت ، ولهذا السبب يتهم كثيرون من الباحثين والمؤرخين الدولة بالإهمال في هذا المجال . نعم صحيح إن الدولة تأخرت في افتتاح المدارس ، ولكن هذا لم يكن إهمالاً منها عن قصد ، بل ربّما كان «تقصيراً» بسبب انشغالها بكثرة الحروب التي كانت تخوضها ، فمثلاً السلطان محمد الأول المعروف بمحمد جلبي الذي حكم من سنة ١٤١٣ - ١٤٢١م خاض ٢٤ معركة ؛ أي بمعدل ثلاث معارك في السنة ، فكيف لدولة تخوض كل هذه المعارك أن تعطي الأهمية الكافية للتعليم .

لذلك فإن الاهتمام الجدي للدولة العثمانية بإنشاء المدارس ؛ لم يبدأ فعلياً إلا مع حركة الإصلاحات التي سادت القرن التاسع عشر ؛ فقد أكد الخط الهمايوني «أنّ الإصلاح يجب أن يعمّ مرافق الدولة جميعها ، وأنّ إنشاء المدارس الصالحة في أرجاء الإمبراطورية كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر على الشعب عامة» ، وأكد أيضاً «الحرية المطلقة للطوائف غير الإسلامية في ترميم المستشفيات والمدارس والمعابد والمرافق» .

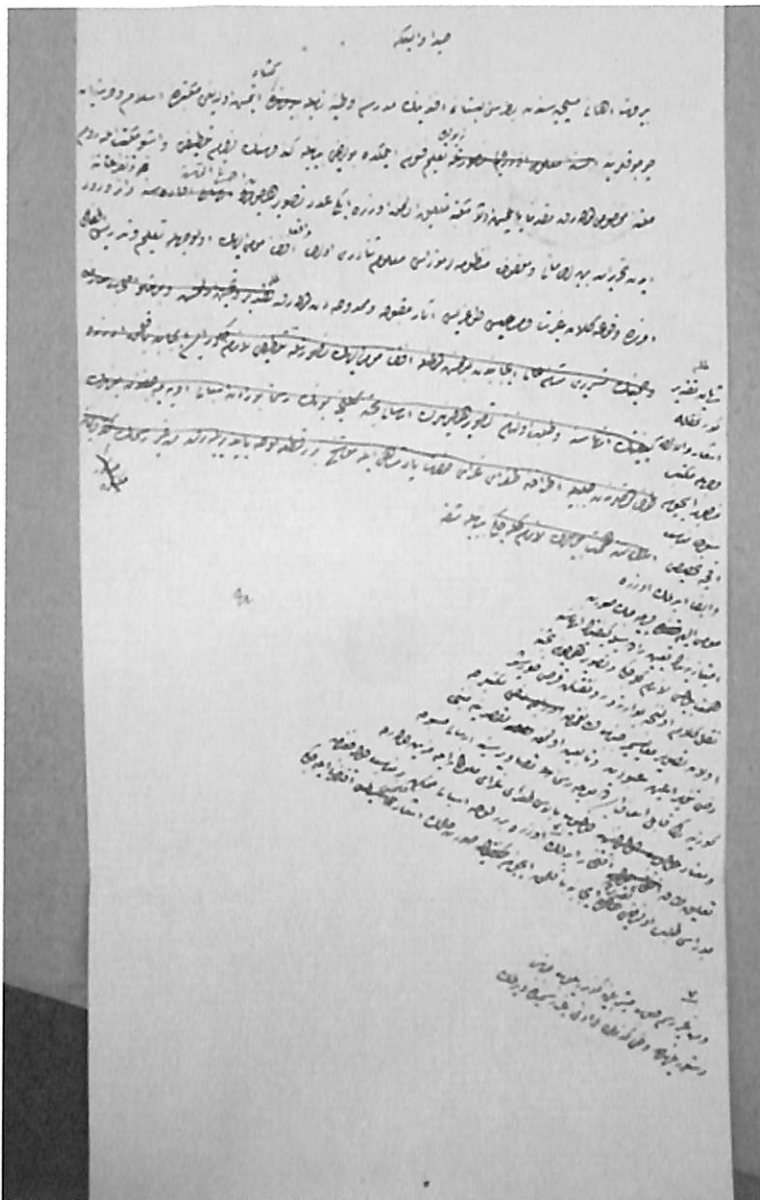
وكان لمجيء الإرساليات التبشيرية المسيحية وتنافسها على اجتذاب أهالي بيروت إلى المدارس التي أنشأتها لخدمة أغراضها ، أثر في إذكاء الخلاف الطائفي بين المسلمين والمسيحيين . وقد نبّه إلى ذلك «عبد القادر قباني» صاحب جريدة ثمرات الفنون بالقول : « . . . إن أوروبا لم تتجشم هذه المشاق ، وتعرف تلك

(١) سالنامة ولاية بيروت لسنة ١٣٢٦هـ ، ص ٩٦-٩٧ .

المعارف رحمة بالشرق ولا رأفة بأهل الشام ، وإنّما رغبت في أن تجعل لمشروعها السياسي حزباً يتغذى بحببتها صغيراً ، فإذا كبر انتشر في البلاد ، وكان عوناً لها على مساعيها» .

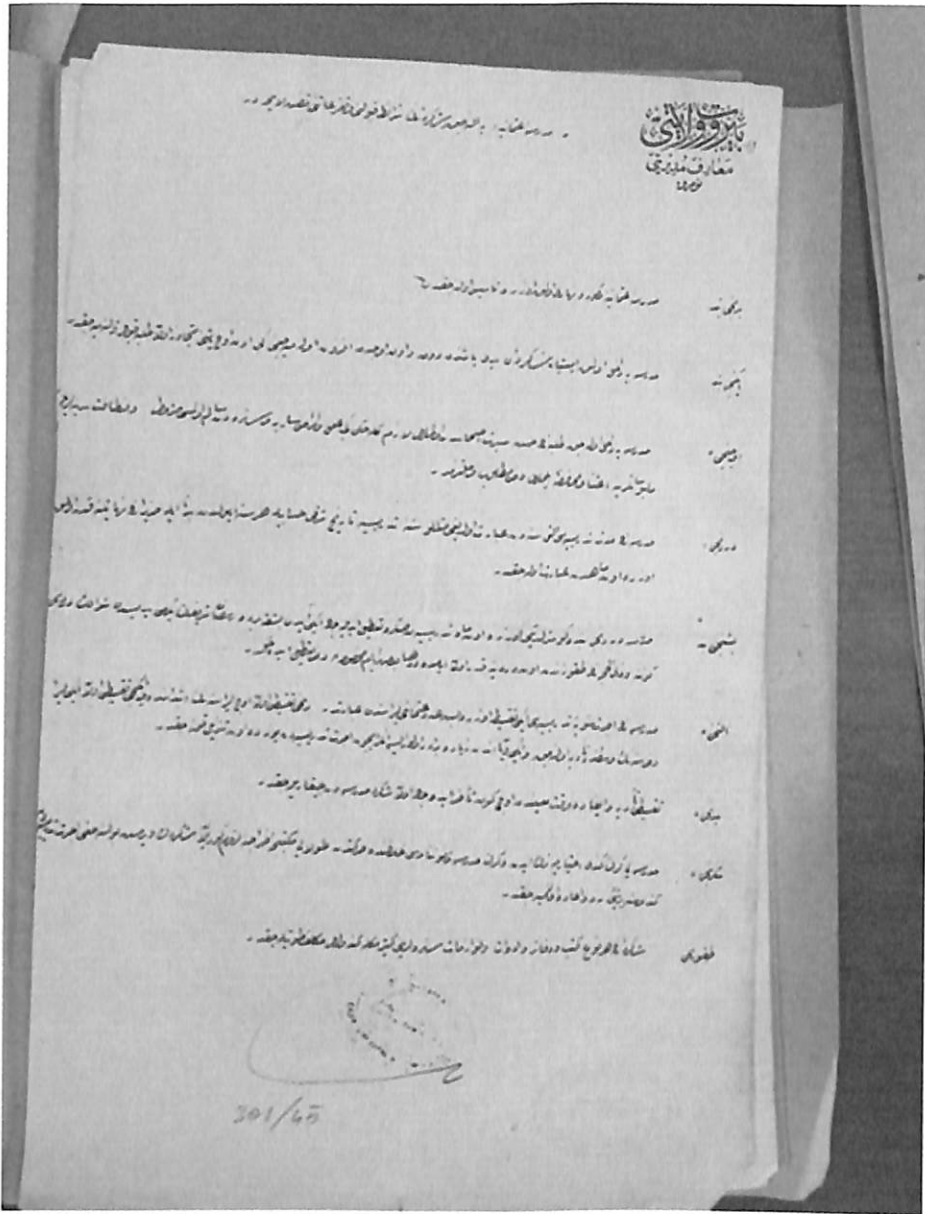
لذلك ، فقبل تأسيس المدارس الحكومية العثمانية كانت بيروت ساحة مفتوحة للمدارس الإرسالية الأجنبية منذ بداية القرن التاسع عشر ، وعندما أحسّت الدولة بخطرها شمّرت عن ساعديها ، ونزلت إلى ساحة التعليم ، وعلى الرغم من تأخر الدولة العثمانية في افتتاح المدارس الحكومية فقد استطاعت خلال فترة وجيزة ملء الفراغ الذي أحدثته غيابها .

الملاحق

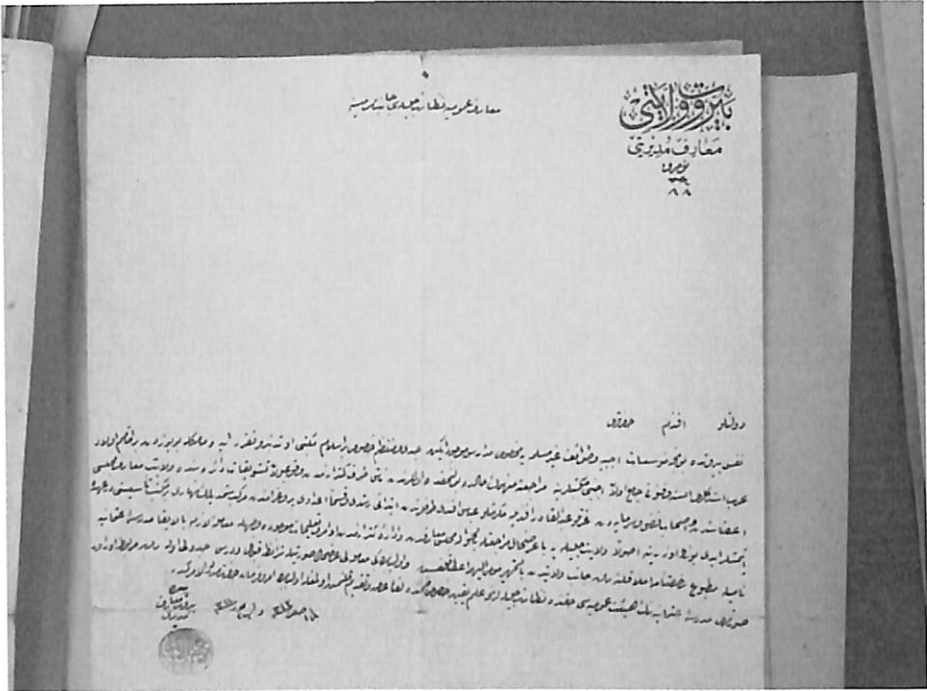


وثيقة تدعو بطرس البستاني إلى فتح مدرسته للطلاب المسلمين والمسيحيين  
علي السوء



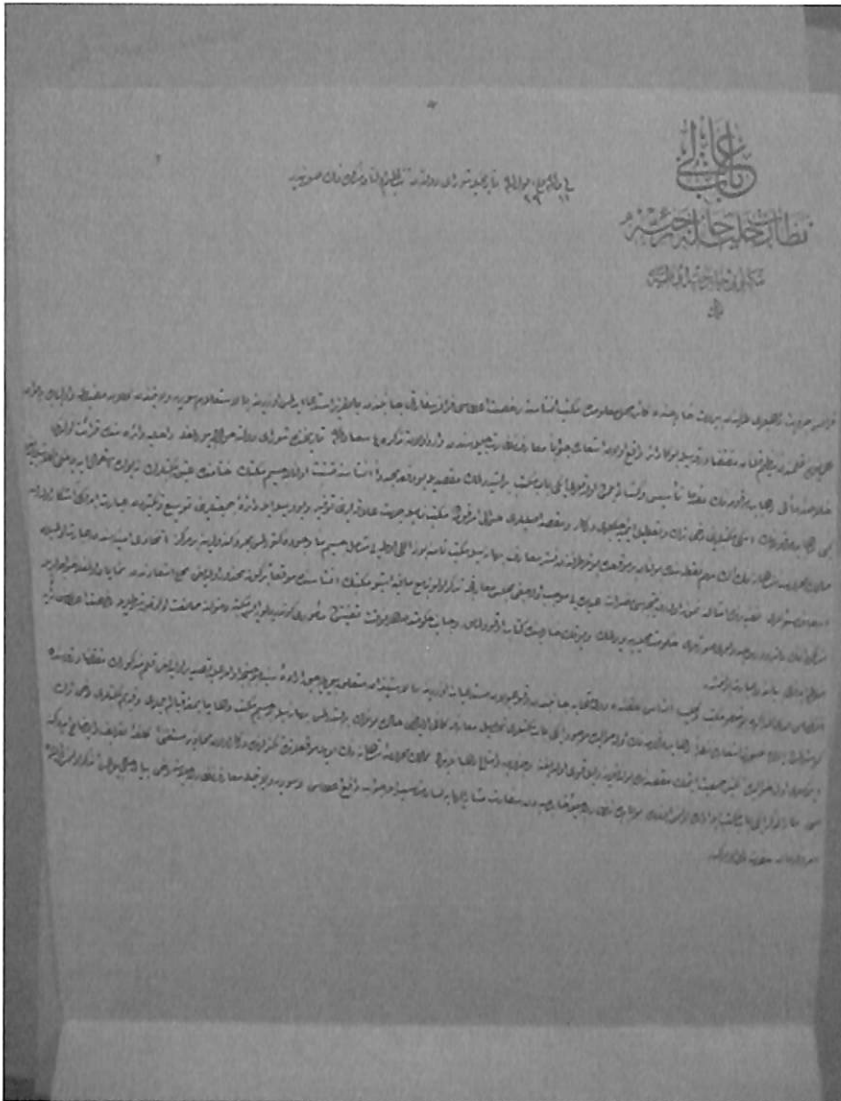


وثيقة شروط قبول الطلبة في المدارس العثمانية



وثيقة من مدير معارف بيروت يطلب فيها من الدولة العثمانية فتح مدارس تابعة لها ؛ بسبب كثرة المدارس الإرسالية والمسيحية





تقرير من طرف السفارة الفرنسية بخصوص الحصول على إنشاء مكتب في بيروت ؛ حيث مُنحت السفارة الإذن بإنشائه .



## التعليم في شرقي الأردن خلال الحقبة ١٨٦٠-١٩٢٠م

جورج فريد طريف الداود(\*)

ابتداءً ، لا بد من تأكيد أن المصادر المتوافرة لدينا لا تسعفنا بمعلومات وافية عن فترة الحكم العثماني ، وبالتحديد في مجال التربية والتعليم ، باستثناء معلومات متناثرة هنا وهناك ترد في سجلات المحاكم الشرعية وسجلات الأراضي والسجلات الفيصلية والسالنامات وبعض سجلات الكنائس والصحف ، بالإضافة إلى ما جاء في كتب الرحالة الذين زاروا المنطقة خلال الفترة المشار إليها وكتبوا مشاهداتهم عنها .

وتجمع المصادر المتوافرة على أن الجهل والأمية كانا سائدين في ولاية سوريا ، لا بل وفي بلاد الشام في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وخاصة في المناطق الداخلية نظراً لفقدان الأمن ، وعدم سيطرة الدولة الفعلية على جميع المناطق ، وتعرض كثير من المناطق إلى الفتن والاضطرابات ، وكثرة التقلبات السياسية والإدارية التي سبقت فترة التنظيمات العثمانية<sup>(١)</sup> .

ومن الأسباب التي أدت إلى تفشي الجهل قلة الوسائل المادية المساعدة على نشر المعرفة كالكتب والمكتبات العامة ، وعدم اهتمام الدولة العثمانية في

---

(\*) باحث ، عمان / المملكة الأردنية الهاشمية .

(١) نعمان قساطلي ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، بيروت ١٨٧٩م ، ص ١١٧-١١٩ ، سيشار إليه

فيما بعد : قساطلي ، الروضة .

هذه المرحلة بالتعليم ونشر المعرفة وإنشاء المدارس<sup>(١)</sup>.

وتذكر المصادر أن فترة إبراهيم باشا في سوريا (١٨٣٠-١٨٤٠م) شهدت نشأة المدارس؛ حيث فتحت المدارس الابتدائية العصرية لأول مرة في تاريخ بلاد الشام، التي أطلق عليها المدارس الجهادية، كما نشرت بعض الكتب العربية التي كانت تفتقر إليها بلاد الشام من قبل كالحساب والجبر والفيزياء والمثلثات<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا القول أن التغيير الحقيقي في مجال التعليم حدث في بلاد الشام في عهد الادارة المصرية، ففي رسالة من محمد شريف باشا في ٢٤ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م تحمل معلومات عن التعليم ايام ادارة ابراهيم باشا لسوريا، جاء فيها أنه أحدث ديوان المدارس لبيع الكتب المطبوعة في مطبعة بولاق في مصر، ويفهم من الرسالة أن هناك مدارس في دمشق وحلب وطرابلس واللاذقية وغزة ويافا طلبت قوائم بكتب بولاق، وتتناول موضوعات هذه الكتب اللغة والأدب والتاريخ والطب والزراعة والقانون والمنطق والاديان والصناعة والحكمة والحساب وتاريخ قدماء الفلاسفة وتاريخ أمريكا وتاريخ المصريين والجغرافيا الطبيعية وكليلة ودمنة والطاعون وتاريخ ايطاليا وتاريخ بونابرت

(١) أحمد سراج الدين، الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر، مجلة الأبحاث، الجامعة الأميركية، بيروت، السنة السابعة، أيلول عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، ص ٣٢٣-٣٢٤، سيشار إليه فيما بعد: سراج الدين، الحركة التربوية.

(٢) سراج الدين، الحركة التربوية، ص ٣٢٧؛ طلال ماجد المجدوب، تاريخ صيدا الاجتماعي ١٢٥٦-١٣٣٣هـ / ١٨٤٠-١٩١٤م، بيروت - صيدا، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣٢٧، سيشار إليه فيما بعد: المجدوب، تاريخ صيدا؛ محمد عبد القادر خريسات، التعليم في السلط، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م ١٤، ع ٥٤، عمان لسنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص ١٠-١١، سيشار إليه فيما بعد: خريسات، التعليم. جورج فريد طريف داود، السلط وجوارها، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩م، ص ٣٧٩، سيشار إليه فيما بعد: طريف، السلط وجوارها.

والتشريع والجراحة والهندسة<sup>(١)</sup> .

لم تكن هذه الكتب بعيدة عن متناول أبناء شرقي الاردن الذين شملتهم الإدارة المصرية إلا أن المصادر لا تسعفنا بوجود مدارس في شرقي الأردن في تلك الفترة ، اذ اقتصرت المدارس الجهادية على حواضر الشام الأخرى وكذلك الكتب والمكتبات العمومية<sup>(٢)</sup> .

وساعد نظام الملة<sup>(٣)</sup> الذي منح رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين الحق في تكوين المؤسسات التعليمية تحت اشراف رؤسائهم الروحانيين ، على نشر المعرفة وتشجيع التعليم<sup>(٤)</sup> ، كما ساعد نظام الامتيازات الأجنبية الذي سهل استقبال البعثات الدينية في بلاد الشام على تأسيس المدارس الطائفية في مختلف أنحاء الشام<sup>(٥)</sup> وقد أدى انتشار هذه المدارس الى سيطرة اهل الذمة على الادارة المالية في ولايات بر الشام<sup>(٦)</sup> .

(١) هند غسان أبو الشعر ، تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني ٩٢٢-١٣٣٧هـ / ١٥١٦-١٩١٨م ،

منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن ، عمان ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص ٥٥٤ ، سيشار إليه فيما

بعد : أبو الشعر ، تاريخ شرقي الأردن .

(٢) سراج الدين ، الحركة التربوية ، ص ٣٣٥ .

(٣) الملة : تعني جماعة تتألف من المواطنين المحليين لا من الأجانب خاضعين للباب العالي ، لها ديانة

محددة ، ولا تنتمي إلى أصل عرقي واحد ، وتكون وحدة اجتماعية مستقلة . حنا سعيد كلداني ،

المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، عمان ، ١٩٩٣م ، ص ١٠ ، سيشار اليه فيما بعد : كلداني ،

المسيحية المعاصرة .

(٤) كلداني ، المسيحية المعاصرة ، ص ١٠ ؛ وجيه كوثراني ، المسيحيون في نظام الملل إلى الدولة المحدثه ،

مجلة تاريخ العرب والعالم ، عدد ٣٢ ، بيروت ، سنة ١٩٨١م ، ص ١٨ .

(٥) كلداني ، ص ١٠ ، وانظر : المجدوب ، تاريخ صيدا الاجتماعي ، ص ٢٩٩ .

(٦) عبد الكريم غرابيه ، سوريا في القرن التاسع عشر ١٢٥٦-١٢٩٣هـ / ١٨٤٠-١٨٧٦م ، القاهرة ،

١٩٦٢م ، ص ١٤٦ ، سيشار إليه فيما بعد : غرابيه ، سوريا .

نتيجة للعوامل المشار إليها انتشرت المدارس في مختلف مدن وقرى بلاد الشام بإشراف معلمين لتدريس أبناء المسلمين العلوم الدينية والقراءة والكتابة والحساب ، حتى إن دمشق ضمت إحدى وسبعين مدرسة ، كما أن المساجد كان لها دور في التعليم<sup>(١)</sup> .

### التعليم في القوانين والأنظمة العثمانية

كان للتطورات في مجال التعليم في أثناء مدة الإدارة المصرية وقع كبير في الدولة العثمانية ، خصوصاً أنها تزامنت مع هبوب رياح التغيير والإصلاح عليها من أوروبا ، فبدأت بإصلاح النظام التعليمي ، وأصدرت قانون إصلاح التعليم عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م ، فبدأت أخذت الحكومة على عاتقها مهمّة الإشراف على التعليم عن طريق مجلس دائم للمعارف ، فأصبح التعليم مجانياً ، وسمح القانون بتعيين معلمين من غير طبقة رجال الدين ، وباتت المدارس تحت إشراف ديوان المعارف العمومية في مراكز الولايات .

وقسم هذا النظام المدارس إلى ثلاثة أقسام هي :

١- الابتدائية : وتُدْرَس فيها العلوم الدينية والقراءة والكتابة والخط والحساب .

٢- الرشدية : ويتم تأسيسها في المدن الرئيسية ، وتُدْرَس فيها العلوم الدينية ، والنحو ، والصرف والخط ، والإنشاء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والهندسة .

٣- العالية : وانحصرت في البداية في إستانبول ، واشتملت على مدرسة للطب ودار المعلمين ومدرسة للزراعة<sup>(٢)</sup> .

ويعدّ هذا القانون أول قانون تربوي في إطار التنظيمات العثمانية ، إلا أنه لم

(١) سراج الدين ، الحركة التربوية ، ص ٣٢٥ .

(٢) المرجع نفسه .

يترك أثراً مباشراً في منطقة شرقي الأردن، وفي العام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م عززت الدولة العثمانية القانون بإنشاء نظارة جديدة تم تخصيصها للمعارف العمومية بهدف الإشراف على شؤون التعليم الرسمي مباشرة من قبل هذه النظارة<sup>(١)</sup>.

وأصدرت الدولة العثمانية في ٢٤ جمادى الأولى ١٢٦٨هـ- ١٨٦٩م نظاماً جديداً أطلق عليه اسم نظام المعارف العمومية<sup>(٢)</sup>، وهو أول نظام تعليمي في تاريخ الدولة العثمانية تم تطبيقه استناداً للدستور العثماني، وجاء في ١٩٨ مادة موزعة على خمسة أبواب<sup>(٣)</sup>، تناول الأول منها أنواع المدارس ودرجاتها على النحو الآتي:

أ- المدارس العمومية أو الرسمية: وهي المدارس التي تعود نظارتها وأمور ادارتها للدولة.

ب- خصوصية: وهي التي تكون نظارتها فقط عائدة للدولة؛ أي تشرف عليها الدولة، أما تأسيسها وإدارتها فيعودان إلى الأفراد والجماعات<sup>(٤)</sup>.

---

(١) شفيق جحا، التنظيمات أو حركة الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية ١٢٧٣-١٢٩٣هـ/ ١٨٥٦-١٨٧٦م، مجلة الأبحاث، الجامعة الأميركية، بيروت، السنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، م: ١٠٩، سيشار إليه فيما بعد: جحا، التنظيمات.

(٢) الدستور العثماني، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، مراجعة خليل أفندي الخوري، ج٢، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، م٢، ص١٥٦. يشار إليه فيما بعد: الدستور العثماني، وانظر أيضاً: المجدوب، تاريخ صيدا، ن، ص٣٠٣؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص٢٥٧-٢٧٨، سيشار إليه فيما بعد: الحصري، البلاد العربية.

(٣) الدستور العثماني، م٢، ص١٥٦-١٨٧.

(٤) المصدر نفسه، م٢، ص١٥٦.

## أ - المكاتب العمومية:

قسم النظام المراحل التعليمية في المكاتب الرسمية العمومية كما يأتي :

### أولاً: المكاتب الصببانية:

ونص النظام على أن يكون في كل محلة وقرية ، أو بحسب المقتضى في كل محلة أو محلتين وقرية أو قريتين لا أقل من مكتب واحد ، حسب عدد السكان ، وفي حال كان جميع سكانها من المسلمين ، أما في القرى والمحلات المختلطة (أي التي تضم مسلمين ومسيحيين) ، فتكون مكاتب الإسلام وحدها ومكاتب الأطفال غير المسلمة وحدها .

وتكون مدة التحصيل في المكاتب الصببانية أربع سنوات ، ويلزم الأهلون بدفع نفقات إنشاء هذه المكاتب وتعميرها ومخصصات معلميها وباقي مصاريفها ، ويقبل فيها الأطفال الذكور من سن السابعة إلى الحادية عشرة ، أما الإناث من سن السادسة إلى العاشرة<sup>(١)</sup> ، وتدرّس فيها مواد : ألف باء عثمانية ، وأجزاء شريفة من القرآن الكريم للمكاتب الإسلامية ، أما أبناء الطوائف غير المسلمة فيدرسون أصولهم الدينية بمعرفة رؤسائهم الروحيين ، كما يدرّس في المكاتب الصببانية علم الحال ، والكتابة ، ومختصر فن الحساب ، ومختصر التاريخ العثماني ، ومختصر الجغرافيا ، وقد نص النظام على أن أي تغيير على هذه المواد يتم بواسطة استئذان مجلس المعارف المحلي من نظارة المعارف ، والاستئناس برأي مجلس المعارف الكبير ، واتبع نظام النوبتين الصببانية والمسائية في التدريس كل يوم ، باستثناء الأعياد الدينية الإسلامية وغير الإسلامية ، واليوم المخصوص المصادف للجلوس الهمايوني .

وجعل النظام التعليم الابتدائي إلزامياً في جميع الممالك المحروسة<sup>(٢)</sup> ، وجاء في نص المادة العاشرة منه : أن مسؤولية مجلس اختيارية القرية متابعة

(١) الدستور العثماني ، ٢م ، ص ١٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢م ، ص ١٥٧ .



عمل دفتر يختصونه ويسلمونه إلى أساتذة المكاتب بأسماء كل الموجودين في أثناء التحصيل من الذكور والإناث ، للتوجه إلى المكاتب الصببانية في المحلة أو القرية وأسماء والديهم أو أقربائهم أو المكلفين إعالتهم ، ووضع النظام جزاء نقدياً على أولياء الأمور في حال عدم التزامهم بالحاق أبنائهم بالمكاتب الرسمية ؛ إذ نصت المادة الثانية عشرة منه على أنه : «إذا وقع الإخطار إلى والدي أحد الأولاد أو أقاربه ثلاث مرات في الشهر لأجل إرساله إلى المكتب ولم يرسلوه ، وتحقق الأمر بأن ذلك الولد لم يكن له عذر من الأعذار المحررة في المادة الثالثة عشرة ، فيؤخذ منه خمسة قروش إلى مائة قرش جزاء نقدياً على حالهم وقدرتهم ، ويُسَلَّم إلى صندوق إدارة المعارف ، وبعد أخذ الجزاء النقدي إذا لم يحصل له تأثير يوضع الولد في المكتب جبراً من طرف الحكومة المحلية »<sup>(١)</sup> .

وبينت المادة الثالثة عشرة الأعذار الموجبة لاستثناء الذين هم في سن التحصيل من المعاملة الجبرية على النحو الآتي :

- ١- من كان مصاباً بأمراض جسمية ومعنوية يُحكَّمُ بها لدى الكشف عليه بمعرفة الحكومة المحلية بأنها مانعة من تحصيل العلوم والمعارف .
- ٢- إذا كان ابن أحد الفقراء العواجز وأثبت أنه محتاج إلى استخدام ذلك الولد للعمل .
- ٣- الأشغال في أعمال الحقل في أوقات الزرع والبيادر .
- ٤- إذا كان المكتب بعيداً عن محل إقامة الطالب مدة نصف ساعة فأكثر .
- ٥- عدم وجود مكتب في المحل الذي هو موجود به ، أو كان موجوداً لكنه غير كاف .
- ٦- إذا تحقق أن الصببي تعلم القراءة والكتابة في بيته أو في محل منصوص .

(١) الدستور العثماني ، ٢٤ ، ص ١٥٧-١٥٨ .

وكان يعفى من الجزاء النقدي كل من ينطبق عليه أي عذر من الأعذار المشار إليها .

وبعد أن يتم الصبي الدراسة في المكتب الصبياني يحصل على شهادة بموجب نظام الامتحان الخاص بذلك تؤهله لدخول المدارس الرشدية من غير إجراء امتحان قبول ، وإنما في الشهادة التي يحصلون عليها<sup>(١)</sup> .

ولا تختلف أصول التدريس والإدارة في مكتب البنات عن المكتب الصبياني للذكور ، وإذا وُجد مكتبان صبيانان مخصوصان بجماعة واحدة في المحلة أو القرية ، ولم يكن هناك محذور موقعي ، فيُخصَّصُ أحدهما لأطفال تلك الجماعة من الذكور ، بينما يُخصَّصُ الثاني للبنات ، أما في المحلات التي تكون غير قابلة لإجراء هذه الصورة فتقبل بنات الجماعة في مكتب الذكور الصبياني المنسوبة إليهم أيضاً بحيث لا يخالطون الذكور ، واشترط أن يكون مدرسوهم معلمات أو فئة من المعلمين المسنين الأديبين إلى حين الحصول على معلمات مؤهلات بالدرجة المطلوبة ، كما تُدرّس المعلمات مادة الخياطة للمكتب الصبياني الخاص بالبنات<sup>(٢)</sup> .

### ثانياً: المكاتب الرشدية:

ونص نظام المعارف على ضرورة وجود مكتب رشدي في كل قسبة يتجاوز عدد البيوت فيه ٥٠٠ بيت إذا كانوا مسلمين ، وللمسيحيين إذا كانوا مسيحيين ، أما إذا كان أهالي القسبة مختلطين فيكون لكل من المسيحيين والمسلمين مكتب رشدي واحد ، على أن يزيد عدد البيوت في القسبة المختلطة عن مائة بيت ، وينطبق ذلك على باقي الطوائف غير المسلمة ، وحدد النظام

(١) الدستور العثماني ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

مصارييف إنشاء المكاتب الرشديفة ومخصصات المعلمين وباقي المصارييف من صندوق إدارة المعارف في الولاية .

كما حدد النظام أن يكون لكل مكتب رشدي معلم أول ومعلم ثان حسب أعداد التلاميذ ، ومبصر واحد وبواب واحد ، على أن يكون راتب كل معلم رشدي أول ٨٠٠ غرش ، والثاني ٥٠٠ غرش ، والمبصر ٢٥٠ غرشاً ، والبواب ١٥٠ غرشاً ، بينما يخصص مبلغ أربعة آلاف غرش سنوياً للمصارييف المتفرقة لتصبح مصروفات المكتب الرشدي أربعين ألف غرش سنوياً .

وتكون مدة التحصيل الدراسي في المكاتب الرشديفة أربع سنوات ، وتدرس فيها مواد مبادئ العلوم الدينيفة ، وقواعد اللسان العثماني ، الإملاء والإنشاء ، والقواعد العربية والفارسية ، وعلم الحساب وأصول مسك الدفاتر ، ورسم الخطوط ، ومبادئ الهندسة ، والتاريخ العمومي ، والتاريخ العثماني ، والجغرافيا ، والجمناستيك وحركات المصارعة ، ويجوز تدريس اللغة الفرنسية للراغبين فيها في مراكز التجارة في السنة الرابعة ، أما الدروس المختصة بالأمر المذهبية ، فلكل ملة حسب لسانها ، وتدرس ذات لغتها ، كما تعين للأطفال غير المسلمين دروسهم المذهبية بمعرفة رؤسائهم الروحانيين .

ويبين النظام مواعيد العطل والامتحانات في المكاتب الرشديفة بأن يكون الأول من تموز موعد انتهاء التدريس فيها ، وبدء عطلة من أجل المذاكرة مدتها ١٥ يوماً ، لتبدأ بعدها ١٥ يوماً آخر للامتحان ، تليها العطلة العمومية للمكاتب الرشديفة ومدتها ٢٢ يوماً ، ابتداء من الأول من شهر آب ، ولمدة ثلاثة أسابيع ، وتفتح المكاتب أبوابها في اليوم الثالث والعشرين من آب ، وتعطل المكاتب الرشديفة الإسلامية ١٥ يوماً من نهاية الأسبوع الثالث من رمضان إلى نهاية الأسبوع الأول من شوال ، وأسبوعاً واحداً لعيد الأضحى ، ومن ثم لا يجوز تعطيل المكاتب إلا في أيام الجمع والأيام المخصصة ، وكذلك لا تعطل مكاتب غير المسلمين إلا في أعيادها وأيامها المخصصة بالإضافة إلى اليوم المخصص بعيد الجلوس الهمايوني ، ويقبل من أنهى سنوات المكتب الرشدي في المكتب

الإعدادي بموجب شهادة تعطى لهم من المكتب الرشدي بعد تقديم الإمتحانات ، وإذا لم يحقق الطالب نجاحاً في الامتحانات النهائية ، كان يعيد سنة أخرى في المكتب .

ونص النظام على أن يكون مكتب رشدي للبنات المسلمات في البلدات الإسلامية ، ومكتب رشدي للمسيحيات في البلدات المسيحية ، أما إذا كانوا خليطاً في البلدة الواحدة فيعمل مكتب للبنات المسلمات وآخر للبنات المسيحيات ، على أن يتجاوز عدد بيوت المدن المختلطة ٥٠٠ بيت ، وتكون مدة الدراسة في مكاتب الإناث أربع سنوات ، ويقوم على تدريسهم معلمات أو من المعلمين كبار السن المؤدبين ، ويكون عدد المعلمات من اثنتين إلى أربع معلمات عدا عن معلمة الخياطة ومعلمة الموسيقى ومبصرة وبوابة ، لتكون مخصصات كل مكتب المالية أربعين ألف غرش تعطى للمكتب من صندوق إدارة المعارف ، وينطبق على مكاتب البنات نظام عُطل الأولاد وامتحاناتهم في المكاتب الرشدية .

ولا تختلف مناهج التدريس في مكاتب البنات الرشدية عن مكاتب الصبيان الرشدية إلا بإضافة مواد الخياطة والتدبير المنزلي والموسيقى التي لم تكن إجبارية<sup>(١)</sup> .

### ثالثاً: المكاتب الإعدادية

وتؤسس في القصبات التي تجاوز عدد بيوتها الألف بيت ، ويكون له لزوم نظراً لحالاتها ومواقعها ، ومدة الدراسة في هذه المكاتب ٣ سنوات ، ويكون لكل مكتب إعدادي ستة معلمين مع معاونيهم ومبصر وبواب ، وتكون رواتب كل مكتب ٦ آلاف غرش شهرياً ، ومصاريف متفرقة ٨ آلاف غرش سنوياً لتصبح مصاريف المكتب السنوية ٨٠ ألف غرش ، وتعطى مصاريفها من صندوق إدارة

(١) الدستور العثماني ، ج ٢ ص ١٥٩-١٦١ .

معارف الولاية ، ويتلقى الطالب فيها الدروس الآتية :  
تكميل الكتابة والإنشاء باللغة التركية ، ومبادئ علم ثروة المثل ، وأصول  
الحساب ومسك الدفاتر ، واللغة الفرنسية ، والجغرافيا ، والهندسة ، وعلم  
المساحة ، والقوانين العثمانية ، والتاريخ العام ، والفلسفة الطبيعية ، والمنطق ،  
وعلم الموالييد (السكان) ، والكيمياء ، والجبر ، والرسم ، وينطبق على هذه  
المكاتب نظام العطل والامتحانات في المكاتب الرشدية والمكاتب الصبانية<sup>(١)</sup> .

#### رابعاً: المكاتب السلطانية

ومدتها ٦ سنوات ، ويُدرّس فيها بالأجرة ، واشترط فتحها في مراكز  
الولايات ، ويدرس فيها الطلبة المتخرجون من المدارس الإعدادية من جميع  
الأصناف ، ومن تبعة الدولة العلية ، ويقبل ٥ بالمائة من الطلبة مجاناً ، و١٠  
بالمائة بربع الأجرة أو نصفها للذين هم أكثر استعداداً وأهلية في المدارس  
الإعدادية وليسوا قادرين على دفع الأجرة .

وتتكون مواد التدريس من قسمين ؛ الأول : القسم المعتاد ، ويتكون من  
دروس المكاتب الإعدادية ويحتاج إلى ٣ سنوات ، والثاني القسم العالي ويقسم  
إلى قسمين ؛ الأول : الأدبيات ، ويضم مواد اللغات العربية والفارسية والفرنسية  
والحقوق والتاريخ وثروة الأمم ، والثاني : العلوم والفنون ، ويضم الهندسة والجبر  
والمثلثات المستوية والكروية والهيئة والفلسفة والكيمياء وعلم الموالييد وفن  
تخطيط الأراضي ، ويحتاج إلى ثلاث سنوات<sup>(٢)</sup> .

#### خامساً: المكاتب العالية

ولا توجد هذه المدارس إلا في العاصمة استانبول ، وتشمل دار المعلمين

(١) الدستور العثماني ، ج٢ ، ص١٦١-١٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٣-١٦٤ .

والمعلمات ومكاتب الفنون والصنائع المختلفة ، وقد تأسست دار معلمين كبرى لتهيئة معلمين كاملين للمكاتب العمومية على اختلاف درجاتها ، وكانت تقسم إلى ثلاث شعب ، وكل شعبة إلى صنفين ؛ أحدهما : للأدبيات والثاني للعلوم والفنون ، وتُهيءُ الشعبة الأولى المعلمين إلى المكاتب الرشدية ، أما الشعبة الثانية فتُهيءُ المعلمين في المكاتب الإعدادية ، بينما تُهيءُ الشعبة الثالثة المعلمين للمكاتب السلطانية ، كما تأسست دار معلمات في إستانبول لتهيئة المعلمات للتدريس في المكاتب الصببانية والرشدية للبنات ، وتقسّم الى شعبتين ؛ إحداهما صببانية للبنات والثانية رشدية للبنات ، وكل شعبة تقسم إلى شعبتين أيضاً ؛ واحدة للمكاتب الرشدية المسلمة والثانية لغير المسلمين ، ومدة الدراسة فيها سنتان<sup>(١)</sup> .

واشترط النظام عند تأسيس هذه المدارس الحصول على رخصة رسمية من الدولة ، كما اشترط على من يقوم بالتدريس فيها أن يكون حاصلًا على شهادة مصدقة من نظارة المعارف أو إدارة المعارف المحلية ، وتُصدّق البرامج المدرسية من السلطات ذات العلاقة ، وأرسى النظام قواعد التفقيش متى شاءت ، أما درجات المدارس فاستمرت كما هو الحال في قانون عام ١٨٤٦م ، وأوضح النظام الفروق بين المكاتب العمومية والمكاتب الخاصة ، وشروط الالتحاق أو عدمه في كل منها<sup>(٢)</sup> ، وجاء في المادة رقم ١١ من النظام أن على المعلم أن يبلغ مختار المحلة عن غياب أحد التلاميذ المسجلين لإجبار أحد والديه أو أحد أقاربه على إعادته إلى المكتب<sup>(٣)</sup> .

ويبدو واضحًا محاولات مد التأثير الأوروبي الذي مارسه الدول الأوروبية

(١) الدستور العثماني ، ج٢ ، ص١٦٥-١٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢م ، ص١٥٧-١٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢م ، ص١٥٧-١٥٨ .

في تلك المدة عن طريق التعليم في بلاد الشام ، بافتتاح مدارس طائفية امتدت أيضاً إلى شرقي الأردن<sup>(١)</sup> .

وكان يؤخذ على التعليم الابتدائي أن العطل المدرسية كانت تبدأ متأخرة في نهاية العام ، ولا تتناسب مع موسم الحصاد الذي يشارك فيه الطلاب ذويهم في هذه المواسم ، عدا عن أن طول مدة الدراسة البالغة اثنین وأربعین أسبوعاً استناداً إلى قانون التدريسات الابتدائي العثماني<sup>(٢)</sup> ، كما أن التدريس كان باللغة التركية ، وكان هذا عاملاً من عوامل تأخر التعليم ونفور السكان .

### ب: المكاتب الخصوصية

وهي المكاتب التي تؤسسها جمعيات أو أفراد ، سواء أكانوا من تبعة الدولة العثمانية أو من تبعة الدول الاجنبية ، ويديرها مؤسسوها أو الأوقاف المربوطة فيها ، وكانوا يُمنحون ترخيصاً رسمياً من طرف إدارة المعارف في الولاية ، وبوجب شهادات مصدقة لمعلميها من نظارة المعارف ، وأوراق وموافقات من نظارة المعارف على جداول الدروس وكتب التعليم فيها حتى لا تشمل كتباً مغايرة للآداب والسياسة التي تسيير عليها الدولة .

وفي عام ١٩٠٨ أدخلت الدولة العثمانية بعض الإصلاحات على النظام التعليمي في الدولة ، فدُمجت المدارس الرشدية مع المدارس الإبتدائية ، وجعلت مدة الدراسة فيها ست سنوات ، وقسمت إلى ثلاث مراحل ؛ أولى ومتوسطة وعالية<sup>(٣)</sup> . ونص نظام المعارف على أنواع الامتحانات التي كانت تطبق في الدولة العثمانية على النحو الآتي :

(١) هند أبو الشعر ، تاريخ شرقي الأردن ، ص ٥٥٦ .

(٢) ملحق الجريدة الرسمية ، عدد ٧٩ ، ٢٣ ذي القعدة ، ١٣٥٠ هـ - ٣٠/٣/١٩٣٢ م ، ص ٢٣٤ .

(٣) ساطع الحصري ، حولية الثقافة العربية ، جامعة الدول العربية ، السنة الأولى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ص ، سيشار إليه فيما بعد : الحصري ، حولية .

أولاً: الصنف الامتحاني أو الامتحان التصنيفي ، وهو الذي يجري كل سنة ويحدد انتقال الطالب من صف إلى صف آخر أعلى منه ، ويجري للمكاتب الصببانية بمعرفة المعلمين في مجلس اختيارية القرية أو الحلة ، بينما تجري امتحانات المكاتب الرشدية والإعدادية بحضور ذوات مناسبين من أهل المعارف في المدينة مع واحد من أوائل معلمي المكاتب .

ثانياً : الامتحان المكتبي ، وهو الذي يجري في ختام مدة التحصيل في أحد المكاتب التعليمية ، ويجري حسب الأصول المشار إليها ، ويعطى التلامذة أوراق شهادة المكتب بعد اجتيازهم الامتحان تؤهلهم للانتقال إلى مرحلة أعلى .  
ثالثاً : امتحان الرؤوس ، وكان على ثلاث درجات ؛ الأولى امتحان الملازمة الخاص بأقسام الأدبيات والحقوق والعلوم ، والثانية يطلق عليها المأذونية المختصة بالأقسام ذاتها ، والثالثة النهائية الخاصة بأقسام الطب والأدبيات والحقوق والعلوم (١) .

ونص النظام أيضاً على منع ضرب الأطفال أو استعمال ألفاظ غير لائقة معهم في المكاتب العمومية والخاصة ، وأشار إلى تأديب الطلبة ومعاقبتهم حسب درجات (قبائحهم وتراخيهم) ووفقاً للتعليمات المنصوص عليها في النظام (٢) .

### إدارة التعليم في شرقي الأردن خلال مدة التنظيمات العثمانية

كانت مناطق شرقي الأردن تتبع إدارياً إلى ولاية سوريا ، وطبقت عليها أنظمة الولاية وقوانينها (٣) ، وقد تولى الإشراف على التعليم في ولاية سوريا

(١) الدستور العثماني ، ٢م ، ص ١٧٩-١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢م ، ١٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٨٠ . سالناماه ولاية سوريا ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م ، ص ١٠٥-١٠٩ ، ولسنة

١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م ، ص ٢٢٩ ، على سبيل المثال ؛ طريف ، السلط وجوارها ، ص ١٠٨-١١١ .



مجلس إدارة المعارف برئاسة مدير المعارف ، ويتبع هذا المجلس إداريًا لمجلس إدارة المعارف في العاصمة ، الذي يتبع بدوره لنظارة المعارف ، ويساعد مدير المجلس عضوان ؛ أحدهما مسلم والآخر غير مسلم بحسب المقتضى ، بالإضافة إلى أربعة محققين ؛ اثنين مسلمين واثنين غير مسلمين ، ومن أربعة إلى عشرة أعضاء موظفين مسلمين وغير مسلمين ينتخبون من الطوائف المختلفة ، وكاتب وأمين صندوق ومحاسب ، ويلحق في كل مركز من مراكز الأولوية مأموران بحسب اللزوم ؛ أحدهما مسلم والآخر غير مسلم ، باسم مفتشين ، على أن يكونوا جميعًا من تبعة الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> .

وتأسس أول مجلس معارف في سوريا في ١٦-٤-١٨٢٢م ؛ إذ صدرت إرادة سنية بإقامته في هذه الولاية إلى جانب ولايات أخرى ، واستهدفت وزارة المعارف من تأسيس هذه المجالس أن تكون أجهزتها التنفيذية في الولاية<sup>(٢)</sup> .

وكانت اختصاصات هذا المجلس كما حددها قانون المعارف تتلخص في تطبيق الأحكام والتعليمات التي ترد إليه من نظارة المعارف ، وإجراء التدقيق على تطبيق أحكام النظام في الولاية والحفاظة على مخصصات المدارس والإعانات التي يجمعها الأهالي ، ومراقبة طرائق صرفها والإشراف على المدارس والمكتبات والمطابع الموجودة ضمن حدود الولاية والتفتيش عليها باستمرار ، وتنظيم ميزانياتها ، وكتابة تقرير في نهاية كل عام عن أحوال معارف الولاية وما تحتاج إليه من أعمال يرفع إلى مجلس إدارة الولاية العمومي<sup>(٣)</sup> .

كما تضمن القانون تأسيس مجلس معارف في الأولوية والأقضية ، يتألف

(١) الدستور العثماني ، ٢م ، ص ١٧٧ .

(٢) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني ، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية ، إستانبول ، ٢٠١٣م ، ص ٥٥ . سيشار إليه فيما بعد : فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية .

(٣) المرجع نفسه ، ٢م ، ص ١٧٨ .

من النائب الشرعي والمفتي وأعضاء من الأهالي وأمين الصندوق<sup>(١)</sup> .  
 ونصّ نظام المعارف في الدولة العثمانية على أن يتكون مجلس المعارف من قسمين ؛ الأول : علمي ، ويعنى بالتأليف والترجمة والكتب والمناهج ، والثاني : إداري ، ومهمته الإشراف على المدارس والمجالس المحلية ودور الكتب والمطابع والآثار القديمة وتوجيه المعلمين ، كما نص النظام على تشكيل مجالس محلية في كل ولاية ، وعلى شعب معارف في كل قضاء<sup>(٢)</sup> .  
 وتعود أقدم المعلومات عن إدارة المعارف في ولاية سوريا إلى سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، والمصدر الوحيد هو سالنامة ولاية سوريا<sup>(٣)</sup> .  
 وكان يتولى إدارة الشعبة رئيس أول هو نائب قائمقام ورئيس ثان هو المفتي ، بالإضافة إلى تسعة أعضاء وكاتب ، ولم يكن عدد الأعضاء ثابتاً من عام إلى آخر<sup>(٤)</sup> .

وتتمثل واجبات رئيس شعبة المعارف بأحكام نظام المعارف والتعليمات التي تصدر عن نظارة المعارف ، بالإضافة إلى تفتيش المكاتب ومحلات الكتب الموجودة في القضاء ، وإجراء ما يتقرر من إصلاحات واطلاع قائمقام القضاء على شؤون التعليم في القضاء ليقوم هو بإبلاغ الوالي ومنه إلى الباب العالي<sup>(٥)</sup> .

وتبيّن الجداول الآتية أسماء الذين عملوا في شعبة المعارف في شرقي الأردن ، ونبدأ بقضاء السلط :

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، ص ١٩٢ .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ، ص ١٥٦ ، ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م ، ص ٢١٥ .

(٣) سالنامة ولاية سوريا ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، ص ٧٦ .

(٤) سالنامة ولاية سوريا ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ، ص ١٥٦ ، ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م ، ص ٢١٥ .

(٥) الدستور العثماني ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(١) سنتا ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م و ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م

- رئيس أول نائب راغب أفندي شموط .

- رئيس ثانٍ مُفتٍ مصطفى أفندي زيد

الأعضاء ، وعددهم تسعة وكاتب ، وهم :

١ . محمد خير أفندي أبو قورة . ٦ . علي أفندي الحاج عطية .

٢ . راغب أفندي شموط . ٧ . يوسف أفندي مهيار .

٣ . سالم أفندي (الحسين أبو حمور) . ٨ . داود أفندي مهيار .

٤ . بنحيت أفندي (الإبراهيم) . ٩ . عبد القادر أفندي الدباس .

٥ . كايد أفندي الياسين . ١٠ . كاتب : خليل أفندي (وهبة) (١) .

(٢) سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م :

خرج من عضوية الشعبة عبد القادر الدباس وحل محله عبد الرزاق

النايلسي ، كما حل حسين أفندي وهبة مكان خليل أفندي (٢) .

(٢) سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م :

- رئيس أول نائب أفندي محمد فيضي أفندي .

- رئيس ثانٍ مفتي أفندي مصطفى أفندي زيد .

الأعضاء ، وعددهم ستة ، وهم :

١ . يوسف أفندي مهيار . ٦ . كاتب : عبد الرزاق أفندي النايلسي .

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ، ص ٢٥٦ ، وسنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م ، ص ٢٢٢ . وذكرت

لي الدكتوروة صفاء الكيلاني أن محمد خير أبو قورة هو جدّ عائلة خير في الأردن .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ص ١٢٢ .

- ٢ . داود أفندي مهيار . ٧ . أمين صندوق : حسين وهبه أفندي<sup>(١)</sup> .
- ٣ . راغب أفندي شموط . ٤ . حاج علي أفندي عطية .
- ٥ . كايد أفندي الياسين .

(٣) سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م :

استمرت الشعبة برئيسها وأعضائها أنفسهم ، باستثناء الكاتب الذي لم يكن اسمه موجوداً<sup>(٢)</sup> .

(٤) سنتا ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ، ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م :

تقلص عدد الأعضاء إلى خمسة ، في حين استمر الرئيسان الأول والثاني في وظيفتيهما ، وأضيفت وظيفة أمين صندوق تولاهما حسين أفندي وهبه ، أما الأعضاء الخمسة ، فهم :

- ١ . يوسف أفندي مهيار .
- ٢ . كايد أفندي الياسين .
- ٣ . داود أفندي مهيار .
- ٤ . الحاج علي عطية أفندي<sup>(٣)</sup> .
- ٥ . راغب أفندي شموط .

واستمرت هذه التشكيلة حتى عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م .

(٥) سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م :

رئيس نائب صالح أفندي

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ، ص ١٢٣ .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م ، ص ١٣٣ .

(٣) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ، ص ١٣٥ ، ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م ، ص ١٩٥ .

الأعضاء ، وعددهم أربعة ، وهم :

- ١ . داود أفندي مهيار .
- ٢ . راغب أفندي شموط .
- ٣ . علي عطية أفندي .
- ٤ . كايد أفندي .
- ٥ ، كاتب وأمين صندوق : حسين وهبة أفندي (١) .

(٦) سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م :

أضيف في هذا العام عضو واحد ، هو يوسف إبراهيم مهيار أفندي (٢) .

(٧) سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م :

رئيس الشعبة محرّم أفندي ، وهو طبيب البلدية ، يساعده عضوان .

- |            |                                |
|------------|--------------------------------|
| عضو        | داود عبد الراق أفندي .         |
| عضو        | أحمد عبد المهدي أفندي .        |
| أمين صندوق | علاء الدين أفندي (طوقان) (٣) . |

وفي عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م ، تكونت الشعبة من الرئيس : المفتي ، والأعضاء : داود عبد الرزاق أفندي ، أحمد عبد المهدي أفندي (٤) .

ويبدو واضحاً تناقص أعداد الشعبة الطبيعيين والمنتخبين في العام المشار

إليه .

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، ص ٢٢١ .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، ص ٢٣٥ .

(٣) الدستور العثماني ، ج ١ ، ص ٤٠٥ . سجل شرعي السلطرقيم ١٢ ، ح ٢ ، ١٢٣٤هـ / ١٩٠٦م ، ص ٢ .

(٤) سالنامة ولاية سوريا ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م ، ص ٢٣٠ .

وكان أعضاء شعبة المعارف في قضاء عجلون سنة ١٣١٢-١٣١٣هـ/  
١٨٩٤-١٨٩٥ م :

- محمد الحمود أفندي . محمد شناق أفندي .  
أحمد نعمان أفندي . مفلح الجبر أفندي .  
عبد العزيز الكايد أفندي . الكاتب سلطي أفندي (١)  
نائل غرايبة أفندي .  
عواد حجازي أفندي .  
يوسف الداود أفندي .

يبدو من استعراض أسماء العاملين في شعبة المعارف في قضائي السلط  
وعجلون أن غالبيتهم من الشام أو فلسطين ، ما يؤكد دور العناصر الوافدة في  
تنشيط العملية التعليمية ودعمها في مدّة مبكرة من تاريخ شرقي الأردن .  
ومن أعضاء مجلس معارف الكرك سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م بالإضافة إلى  
الرئيس والنائب :

- شوكت أفندي .  
رضا أفندي (٢) .

وفي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م تشكل مجلس المعارف في الكرك على النحو  
الآتي :

- معاون مدير التحريات : محمد أسعد .  
وباشكاتب المحاسبة : علي بك أسعد .

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣١٢-١٣١٣هـ / ١٨٩٤-١٨٩٥ م .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ص ٢٢٣ .

والكاتب<sup>(١)</sup> : محمد سعيد أفندي .

وفي سنة ١٣١٨هـ / ١٨٩٩م ، تكونت الشعبة من الأعضاء ذاتهم ، وحل محمد سليم أفندي باشكاتب المحاسبة مكان علي بك أسعد<sup>(٢)</sup> .

وفي ١٢ آذار ١٣٢٧ مالية / ١٩١١م ، كلف عبد الحميد القلعي ؛ متصرف الكرك وقائدها ، متري الزريقات عضواً مع أربعة آخرين في مجلس المعارف ، على النحو الآتي :

عضو متري الزريقات .

عضو حسين الطراونة .

عضو بطرس الصناع .

عضو المعلم وأحمد أفندي .

أمين الصندوق وجادالله أفندي<sup>(٣)</sup> .

بالإضافة إلى بطرس الصناع في مدرسة الكرك الرشدية أميناً للصندوق ، ومن أعضاء شعبة المعارف في الطفيلة لسنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م :

مدير المال محمد سعيد أفندي .

كاتب التحريات إبراهيم صدقي أفندي .

كاتب المحكمة الشرعية محمد خالد أفندي .

معلم المكتب الابتدائي اسماعيل أفندي<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م استمر رئيس وأعضاء الشعبة على ما هم

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، ص ٢٣٥ .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م ، ص ٢٢٣ .

(٣) مدرسة الكرك الثانوية ، رحلة المائة عام ، مجموعة من المؤلفين ، منشورات لجنة إحياء التراث ، أشرف

على تحرير الكتاب محمد سالم الطراونة ، جامعة مؤتة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢٢ . سيشار إليه فيما

بعد : مدرسة الكرك الثانوية ، رحلة المائة عام .

(٤) سالنامة ولاية سوريا سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، ص ٢١٧ .

عليه ، وحل مصطفى كامل أفندي محل محمد خالد أفندي<sup>(١)</sup> ، وفي عام ١٣١٨هـ / ١٨٩٩م ، تكونت الشعبة من الرئيس والنائب ومدير المال وكاتب التحريرات ، ولم تذكر السالنامة أسماءهم ، بالإضافة إلى كاتب المحكمة مصطفى كامل أفندي ، ومعلم المكتب الابتدائي إسماعيل أفندي<sup>(٢)</sup> ، ولم ترد معلومات في الوثائق العثمانية عن شعبة معارف في قضاء معان .

### المدارس في شرقي الأردن:

تشعرنا المصادر المتاحة والسجلات والوثائق أن اهتمام الدولة العثمانية في التعليم فيما أطلق عليه شرقي الاردن كان ضعيفاً ، وأن تركيزها كان على مراكز الألوية ، كما أن تطور التعليم في شرقي الأردن كان بطيئاً ، ويعود هذا الأمر لعدة أسباب على النحو الآتي :

أولاً : فقدان الثقة بين الأهلين والدولة اعتقاداً منهم أن الدولة إذا ما أرادت نشر التعليم بين أبنائهم فإن ذلك يضعهم تحت مراقبة الدولة من جهة ، كما أن أولادهم يصبحون رهائن لدى الحكومة في حال وقع أي اضطراب في الأمن في أي منطقة .

ثانياً : عزوف أبناء المنطقة عن إلحاق أبنائهم في دور التعليم لحاجتهم إليهم في العمل والزراعة وتربية الماشية .

ثالثاً : النظرة العامة للتعليم ؛ إذ كان البدو في المنطقة يعدّون الرجل المتعلم ضعيف القلب<sup>(٣)</sup> .

(١) سالنامة ولاية سوريا سنة ١٢١٧هـ / ١٩٠٠م ، ص ٢٢٩ .

(٢) ن ، م ، لسنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م ، ص ٢٢٣ .

(٣) نوفان رجا الحمود السوارية ، عمان وجوارها ١٨٦٤-١٩٢١م ، الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٩٦م ،

ص ٢٠٨ . سيشار إليه فيما بعد : السوارية ، عمان وجوارها .



رابعاً : مخاوف الأهلين من أن تأخذ الدولة أبناءهم للتجنيد العسكري<sup>(١)</sup> .  
ونورد هنا مثلاً من قصبة إربد نقلاً عن صالح المصطفى التل أن نساء إربد  
لما سمعن أن أسماء أبنائهن أدرجت بدفاتر الدولة حضرن إلى والده مصطفى  
التل الذي سعى إلى فتح المدرسة الابتدائية في القصبة ، ورشقنه بالمسبات  
ونثرن التراب عليه لأنه يريد تخريب البلاد بسعيه إلى فتح مكتب حربي ؛ حتى  
تأخذ الدولة أولاد البلاد إلى العسكرية<sup>(٢)</sup> .

يمكن تقسيم دور التعليم في شرقي الأردن خلال مدة الدراسة إلى ثلاثة  
أقسام ، وهي :  
أولاً : الكتاتيب .  
ثانياً : المكاتب العمومية الرسمية .  
ثالثاً : مدارس الطوائف غير الإسلامية .

### أولاً: الكتاتيب

انتشر في شرقي الأردن كغيرها من المدن والقرى السورية في فترة الدراسة  
ما أطلق عليه الكتاتيب أو المكاتب الأهلية أو مدارس الشيوخ لتمييزها عن  
المكاتب العمومية الرسمية ، وكانت الكتاتيب تقام في المساجد<sup>(٣)</sup> أو جوارها أو  
في منازل الشيوخ .

وقد تضمن قانون إسكان الجراكسة في عمان ، الذي صادقت عليه

---

(١) هند أبو الشعر ، إربد وجوارها ، ناحية بني عبيد ، ١٨٥٠-١٩٢٨م ، إربد ، ١٩٩٥م ، ص ٥٥٨ ، سيشار

إليه فيما بعد : أبو الشعر ، إربد وجوارها .

(٢) عليان الجالودي ، قضاء عجلون ، نقلاً عن أوراق صالح التل ، ص ٤٤٩-٤٥٠ . وانظر : هند أبو الشعر ،

تاريخ شرقي الأردن ، ص ٥٦٧ .

(٣) سجل شرعي السلط ، ١ ، ح ١٠ ، ٥ جمادي الأول ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م ، ص ٦ .

السلطات العثمانية سنة ١٣٠٨-١٣٠٩ مالية / ١٨٩٢-١٨٩٣ م، إنشاء جوامع وكتاتيب لتدريس أصول الدين<sup>(١)</sup>. وأشار الرحالة إلى ظاهرة انتشار الكتاتيب في القرى والمدن؛ حيث كان يُدرّس فيها القرآن والخط والقراءة<sup>(٢)</sup>. وكان الأطفال يجلسون على متاع بسيط من الصباح حتى المساء، وهذا المتاع كان يحضره الطفل معه، كالجاعد (جلد خروف أو جدي) أو جنبية أو طراحة، ويقابلهم الشيخ أو المعلم؛ حيث يُدرّس الأطفال مبادئ الدين والقرآن واللغة العربية والحساب<sup>(٣)</sup>.  
 واستخدم الطلاب لوحاً حجرياً أسود له بروز خشبي وأقلام حجرية، كما استخدموا صفائح التنك التي كانت تستحضر من صفائح الكاز والزيت الفارغة ويكتب عليها بأقلام من قصب كانت تجمع من الأودية التي ينمو فيها القصب، كوادي شعيب في منطقة البلقاء<sup>(٤)</sup>.

(١) البشير، ع، ١٥، ١٧٣٦، كانون الثاني ١٩٠٦ م، ص ٣. المقتبس، ع، ٤٩٨، ١١ شوال ١٣٢٨ هـ / ١٥ تشرين الأول ١٩١٠ م، ص ١.

(٢) انظر:

Bell, G, Turkish Rule East of Jordan, The Nineteenth Century and After, Vol, 52, August, 1902, pp. 226-228. Tristram, H,B, The Land of Moab:Travels and Discoveries on The East Side of The Dead Sea and the Jordan, London 1873, p. 228.

(٣) مقابلة أجراها عدنان لطفي عثمان مع الشيخ سلامة البخيت الشياب بتاريخ ٢٦/٨/١٩٧٩م- ١٤٠٠ هـ، انظر: عدنان لطفي عثمان، التطوير التربوي والاجتماعي في عهد إمارة شرق الأردن، ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م - ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ٢٩. سيشار إليه فيما بعد: عدنان لطفي، التطوير التربوي.

(٤) عدنان لطفي، التطوير، ص ٣٩؛ محمد عبد القادر خريسات، التعليم في السلط (١٨٥٠- ١٩٢٦ م)، دراسة في وثائق مدرسة تجهيز السلط وسجلات المحاكم الشرعية في السلط ضمن كتاب تاريخ مدينة السلط عبر العصور، محمود أبو طالب، ومصطفى الحيارى ومحمد عبد =

ولم تعط شهادات أو وثائق للطلبة في هذه المرحلة ، وإنما كان يجري احتفال لكل طالب يختم القرآن يتناسب مع إمكانات أهل الطفل المادية ، وأطلق على هذا الاحتفال (الزفة) ، وكانت العادة عندما ينهي الطالب جزء عم من القرآن الكريم أن يقدم والده إلى المعلم جَدِّيًا لذبحه في المدرسة ، وإجراء الاحتفال اللازم ، وكذلك الأمر عندما يختم جزء يس (ياسين)<sup>(١)</sup> .

وكان الطالب أحياناً يقدم هدية لشيخه هي كمية من الخبز أو الطحين أو القطين أو الزبيب أو البيض أو الدخان ، عدا عن الحميسية التي كانت تقدم كل خميس للشيخ ، وهي بيضة ورغيف صيفاً ، وعود حطب في فصل الشتاء<sup>(٢)</sup> ، وكان الطالب يدفع أجرة نقدية ما بين ٥-١٠ قروش في الشهر ، وقد عرف عن شيوخ تلك المرحلة الإفراط في اللجوء إلى العقاب البدني ، وكان لهم ولع بضرب التلميذ بالعصا على باطن القدمين ، وهو ما كان يطلق عليه اسم (الفلقة)<sup>(٣)</sup> ، وكان الضرب يصل أحياناً إلى أعلى الفخذين .

وكان الطلاب يلتحقون بالكتاتيب في أعمار مختلفة ، غير أن الغالبية منهم تتراوح أعمارهم ما بين ٧-٨ سنوات ، وكان العام الدراسي أقل من تسعة أشهر ؛ إذ إن التدريس يكون عادة في فصلي الشتاء والربيع إلى أن يحين موعد الحصاد وقطف الثمار والأعمال الزراعية الأخرى ، فيترك الطالب الدراسة ليساعد والديه .

وكان لباس الطلاب في هذه المرحلة يعبر عن المستوى الاجتماعي الذي

---

= القادر خريسات ، السلط ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٩٨ . سيشار إليه فيما بعد : خريسات ، التعليم في السلط ، وثائق ؛ عبد الله رشيد ، الكتاتيب ونظمها التقليدية في مدينة عمان ، ١٩٥٨-١٩٥٠م ، عمان ، ١٩٩٣م ، ص ٨٥ ، ٨٦ . وسيشار إليه فيما بعد : عبد الله رشيد ، الكتاتيب .

(١) طريف ، السلط وجوارها ، ص ٣٨٥ .

(٢) عبد الله رشيد ، الكتاتيب ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) خريسات ، التعليم في السلط ، وثائق ، ٢٩٩ .

كانت تعيشه الأسرة، وقد اقتصر اللباس على الثوب الأبيض في معظم الأحيان، ونادراً ما ينتعل الطالب حذاء<sup>(١)</sup>.

ونتيجة للفقر وتدني مستوى المعيشة وعدم اهتمام الناس بالتعليم، اقتصر على أبناء الشيوخ والوجهاء في البداية، ثم انتقل تدريجياً إلى باقي فئات المجتمع، واستمر وجود الكتاتيب في مدن وقرى شرقي الأردن حتى بعد ظهور المدارس.

وعلى الرغم من انتشار الكتاتيب في مدن وقرى شرقي الأردن خلال مدة الدراسة، فإن المصادر المتاحة لا تسعفنا، ولا حتى الرواية الشفوية، بأسماء الكتاتيب التي كانت منتشرة وأعدادها، إلا أنني سأذكر بعض ما استطعت الوصول إليه من الكتاتيب في شرقي الأردن.

وكان يقوم على التدريس في كتاتيب عمان معلمون جراكسة أو من الوافدين للمنطقة، وكان في عمان تسعة كتاتيب خلال المدة ١٣١٨هـ-١٩٠٠م/١٣٣٦هـ-١٩١٨م: كتاب محمد جانبلاط الجركسي، وكتاب الشيخ خلف البوريني، وكتاب الشيخ محمد المسلماني، وكتاب الشيخ أيوب المصري، وكتاب الشيخ داود الجركسي، وكتاب الشيخ محمد عودة، وكتاب فهمية خانم للإناث، وكتاب الشيخ سعيد بسلان مامي، وكتاب خلف البوريني<sup>(٢)</sup>، ووجدت كتاتيب في قرى وادي السير ومأدبا وسحاب وجلول والجيزة<sup>(٣)</sup>.

وفي مدينة السلط ترد إشارة إلى أحد معلمي الكتاتيب الأهلية، وهو الشيخ عفيف أفندي زيد القادري معلم كتاب واد الأكراد<sup>(٤)</sup>، وكتاب الشيخ محمد

(١) عدنان لطفي، التطوير، ص ٤٠؛ انظر عبد الله رشيد، الكتاتيب، ص ٨٧.

(٢) عبدالله رشيد، الكتاتيب، ص ٤١-٤٣، ٧٣-٨٤، ١٢٠-١٢١.

(٣) ن، م، ص ٣١-٣٢.

(٤) سجل شرعي السلط رقم ٢١، ح ٨٢ لسنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، ص ٤٥.

علي الأفغاني ، والشيخ سالم بن يحيى الخليلي ، والشيخ محمد بن مصطفى الصفاري ، والشيخ توفيق بن أحمد السختيان<sup>(١)</sup> .

وترد إشارة إلى وجود كتاب في منطقة تدعى أبو الضباع (أول طريق البارحة) ؛ لأنها بعيدة عن المساكن في قسبة إربد<sup>(٢)</sup> ، كان يدرس فيه الشيخ محمد الخطيب<sup>(٣)</sup> ، وكتاب الشيخ محمد بن عبد حمدان النابلسي في القسبة عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م<sup>(٤)</sup> ، وكان للشيخ عيسى الأحمد الملكاوي عام ١٢٩٨هـ / ١٨٧٢م ، وكتاب في قسبة إربد التابعة لقضاء عجلون الذي بدأ التدريس فيه بغرفة واحدة<sup>(٥)</sup> ، وكتاب الشيخ محمد بن الشيخ عبد بن حمدان النابلسي في تبنة عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، وانتقل في العام التالي إلى قسبة إربد<sup>(٦)</sup> ، وكتاب عبد الرزاق المفلح القواسمه في دار حسن الشرع ، ويعقوب العودة الله بجوار منزل أبي إسماعيل النابلسي ومحمد عويدات في حارة الجمال<sup>(٧)</sup> ، وكان في قرية تبنة أيضاً كتاب آخر للشيخ قاسم من كفر قدوم التابعة لنابلس<sup>(٨)</sup> ، وكتاب

(١) محمد عبد القادر خريسات ، التعليم في السلط ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، م١٤م ، ١٤ع ،

١٩٨٠ / ٥١٤٠٧ ، ص٢٤ . سيشار إليه فيما بعد : خريسات ، التعليم في السلط ، مجلة دراسات .

(٢) أبو الشعر ، إربد وجوارها ، ص٥٥٨ .

(٣) محمد علي الصوريكي ، إربد المدينة ، تاريخ وحضارة وآثار ، ط١ ، عمان ، ٢٠٠٦م ، ص٢٦٧-٢٦٨ .

سيشار إليه فيما بعد : الصوريكي .

(٤) سجل شرعي ، إربد ، ح٢ ، لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، ص١٠٧ .

(٥) عليان عبد الفتاح الجالودي ، قضاء عجلون ١٨٦٤-١٩١٨م ، عمان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص٤٤٠ .

سيشار إليه فيما بعد : الجالودي ، قضاء عجلون .

(٦) سجل شرعي إربد رقم ٨ ، ح٢ ، ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، ص٥٧ ، سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، ص١٠٧ .

(٧) الصوريكي ، ص٢٧١ .

(٨) الجالودي ، قضاء عجلون ، ص٤٤٣ .

الشيخ علي العينتابي في قصبة إربد من بلدة عينتاب التابعة لحلب<sup>(١)</sup> ، واشتهر في قصبة الكرك الشيخ محمد القصراوي الذي توفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، والشيخ محمد الطيب التونسي الذي توفي سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م<sup>(٢)</sup> .

ومن معلمي الكتاتيب في الرمثا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، عبد القادر موسى بشر الشرع من بيت دجن في فلسطين ، وحمد وأحمد علي القمحاوي من مصر ، وعامر صدقة من دير طريف في فلسطين ، ويونس الربابعة وممدوح فندي الموسى<sup>(٣)</sup> .

وهناك إشارات إلى وجود ١٥ مكتباً في قضاء عجلون في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، تضم ١٧ معلماً و ٢٠٠ طالب<sup>(٤)</sup> ، وقد أكدت السالنامات هذا الرقم وأشارت إلى ١٤ مكتباً إسلامياً في القضاء سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م<sup>(٥)</sup> إلا أنها لم تذكر أسماء أصحابها ولا أماكن وجودها .

## ثانياً: المكاتب العمومية، وهي قسمان:

### أ- المكاتب الابتدائية:

وعلى الرغم من التشديد على مجانية التعليم والزاميته كما هو وارد في

---

(١) سجل شرعي إربد رقم ٨ ، ح ٣ ، ١٣٣١هـ/١٩١٣م ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٢) محمد سالم غثيان الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك ، ١٢٨١-١٣٣٧هـ/١٨٦٤-١٩١٨م ،

عمان ، ١٩٩٢م ، ص ٣٠٠ . سيشار إليه فيما بعد : الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء .

(٣) فاروق سريحين ، تاريخ مدينة الرمثا ، الطبعة الأولى ، إربد ، ١٩٨٥م ، ص ٢٢٧-٢٢٨ ، سيشار إليه

فيما بعد : سريحين .

(٤) شاهين ، مكاربوس ، المعارف في سوريا ، المقتطف ، ٧م ، ج ٩ ، نيسان ١٨٨٣م ، جمادي الآخر

١٣٠١هـ ص ٥٣١-٥٣٢ . سيشار إليه فيما بعد : مكاربوس ، المعارف في سوريا .

(٥) سالنامة ولاية سوريا ١٣٢٦هـ/١٨٩٥ ، ص ٢٦٧ .

الدستور العثماني<sup>(١)</sup>، فإن الإقبال عليه كان ضئيلاً، ولم يتم التزام ما جاء في الدستور؛ فقد بلغ عدد مدارس سوريا في الربع الثالث من القرن التاسع عشر (١٤٧٣) مدرسة، وعدد المعلمين والمعلمات (٢٢٣٤)، وعدد الصبيان من الذكور والإناث (٦٢٥٦٦)، في حين بلغ عدد سكان هذه الألوية في تلك المرحلة ٢ مليون نسمة تقريباً<sup>(٢)</sup>.

أما في ما يتعلق بشرقي الأردن، فقد فُتِحَ أول مكتب صبياني عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م في السلط، وتلاه ثانٍ وثالث ضمت جميعها معلمين إثنيين و١٨٠ طالباً، ويبدو أنها كانت موزعة على محلات السلط الثلاث: العواملة، والأكراد، والقطيشات، ولم يكن في جوار السلط بين البدو إلا مدرسة واحدة لدى قبيلة العوازم في ماعين ضمت عشرين طالباً يدرّسهم معلم واحد<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م كان عدد المكاتب في السلط ٦؛ اثنتين للمسلمين وعدد تلاميذها ١٢٠ طالباً، وأربعة لغير المسلمين وعدد تلاميذهم ١٢٥ طالباً؛ أي أنّ مجموع الطلبة كان ٢٤٥ طالباً<sup>(٤)</sup>، نقص عددهم في العام التالي إلى ٢٣٥ طالباً<sup>(٥)</sup>، وأصبح عددهم ٢٦١ طالباً عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م<sup>(٦)</sup>. ويستدل بما ورد في السالنامة نفسها أن معظم هذه المدارس كانت تتبع النظام القديم في التعليم، الأمر الذي يمكّننا من القول إنها لم تكن أكثر من مكاتب صبيانية لا تختلف كثيراً عن الكتاتيب التي كانت تنتشر في الأحياء السكنية المختلفة، ولم تكن أيضاً بالمستوى المطلوب.

(١) الدستور العثماني، ٢م، ص ١٥٤.

(٢) شاهين، مكاربوس، المعارف في سوريا، ص ٥٣٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٣٣.

(٤) سالنامة ولاية سوريا ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، ص ١٦٠.

(٥) المصدر نفسه، لسنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م، ص ١٤٨.

(٦) المصدر نفسه، لسنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م، ص ٢٤٣.

ويبدو أن الإقبال على التعليم قد تحسن خلال المدة من عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م - ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م في ولاية سوريا، وربما يعود السبب إلى نشاط والي سوريا في هذه الفترة أحمد حمدي باشا<sup>(١)</sup>، إذ أقدمت الدولة على فتح مدارس جديدة إبتداء من عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م تتبع النظام التعليمي الحديث، وعلى الرغم من أن هذه المحاولة كانت متواضعة في بداية الأمر، إلا أن الدولة كانت جادة في التوسع فيها ونشرها في أرجاء الولاية المختلفة، وبدأنا نلاحظ بعد هذ التاريخ فتح مدارس للبنات<sup>(٢)</sup>.

غيرَ أن هذا الأمر لم ينطبق على شرقي الأردن؛ إذ إن عدد المكاتب الابتدائية في السلط مثلاً تقلص كثيراً، حتى لم يبق فيها سوى مكتب إسلامي واحد تابع للدولة كان عدد تلاميذه سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م أربعين تلميذاً<sup>(٣)</sup>، وفي عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م أصبح عددهم ٢٠<sup>(٤)</sup>، ليرتفع سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م إلى مائة تلميذ، ولم تذكر المصادر أية إشارة إلى وجود مكاتب للإناث في هذه المرحلة<sup>(٥)</sup>، ويبدو أن مكتب الصبيان قد تعرض للخراب، بدليل تبرع أحد مواطني البلدة عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، بمبلغ ١٠٠٠ قرش لعمارته<sup>(٦)</sup>.

وفي عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م تقلص عدد تلاميذ هذا المكتب إلى ثمانية

(١) موشيه ماوز، سوريا وفلسطين خلال القرن التاسع عشر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٩-١٠ (تولى أحمد

حمدي باشا ولاية سوريا مرتين عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٥م، عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م، وتوفي عام

١٣٠٣هـ/١٨٨٥م).

(٢) سالنامه ولاية سوريا، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٢٣٩.

(٣) سالنامه ولاية سوريا لسنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، ص ٢٤٠.

(٤) سالنامه ولاية سوريا، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

(٥) ن. م لسنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ١٩٢.

(٦) سجل شرعي السلط ٥، ح ٧٠، ١٩، محرم ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ص ٦٨.



وثلاثين تلميذاً، تولى تدريسهم معلم واحد<sup>(١)</sup>، وربما يعود السبب في ذلك إلى عزوف الطلاب عن الدراسة لكون التعليم باللغة التركية .

واستمر المكتب الإسلامي الرسمي يعمل في السلط جنباً إلى جنب مع المكاتب الإسلامية الخصوصية حتى عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن موقع هذا المكتب كان في محلة العواملة<sup>(٣)</sup> بجانب الساحة العمومية<sup>(٤)</sup>. وجلب الماء إليه بأنابيب شبهت بقنوات عين الفيحة في سوريا، كما بوشر بجمع التبرعات من أجله، واستأجرت الحكومة عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م مكاناً اتخذته مدرسة للإناث<sup>(٥)</sup>.

وقد بدأ التدريس في هذا المكتب خلال الحرب العالمية الأولى، وكان يضم طلاباً حتى الصف الثاني الإعدادي، وكان التدريس فيه باللغة التركية، وعلى الرغم من أن المدرس عربي، فإنه كان يقرأ بالتركية ويشرح بالعربية<sup>(٦)</sup>، وقد أطلق على هذا المكتب اسم المكتب الأنموذج بجانب الجامع الكبير، ونقل فيما بعد إلى بستان الحمامات (المركز الثقافي اليوم) إلى أن بُنيت مدرسة التل .

وسعت وزارة المعارف العثمانية جاهدة إلى نشر التعليم الحديث ليشمل جميع أصقاع ولاية سوريا، ففي العام الدراسي ١٣٠٩-١٣١٠هـ / ١٨٩١-١٨٩٢م، أسست ٢٧ مدرسة في الولاية تتبع النظام الحديث في التعليم بواقع

(١) سالنامه ولاية سوريا لسنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م، ص ٢٤١ .

(٢) سجل شرعي السلط ٧، ق١، ح١٤٩، ٢٧ جمادي الأول ١٣٢٠هـ / ١ أيلول ١٩٠٢م، ص ١٦٥ ؛

سالنامه ولاية سوريا ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، ص ٣٤٨، ٣٤٩ . انظر: البشير عدد ١٤٤٨، ٤ آب

١٩٠٠م، ص ١٢، المقتبس عدد ٣٤٣ لسنة ١٣٢٨هـ / ١٣ نيسان ١٩١٠م، ص ٣ .

(٣) سجل أراضي السلط رقم ٥، ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، ص ٣١٩ .

(٤) سجل شرعي السلط ٥، ح٧٠، ١٩، محرم ١٣٠٤هـ / ١٨ تشرين الأول ١٨٨٦م، ص ٦٨ .

(٥) ن م عدد ٣٤٣، ٣ ربيع ثاني ١٣٢٨هـ / ١٣ نيسان ١٩١٠م، ص ٣ .

(٦) سجل شرعي السلط رقم ٣، ح٢٠، ١٩، رمضان ١٣٠٥هـ / ٣٠ أيار ١٨٨٨م، ص ١٤ .

مدرسة واحدة في مناطق شرقي الأردن الآتية :

- افتتح أول مكتب ابتدائي في مركز القضاء في قصبه إربد عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م ، وذلك في اطار اهتمام ولاية سوريا بالمعارف في لواء حوران ، وكان هذا المكتب مؤلفاً من أربع غرف بينها غرفة للمعلم ، ويتسع لـ ١٥٠ طالباً<sup>(١)</sup> إلا أن عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م شهد أعداد الطلاب في هذا المكتب ، ليصبح عددهم ٣٠ طالباً<sup>(٢)</sup> ، وليرتفع بعد ذلك التاريخ بست سنوات إلى ٤٩ طالباً<sup>(٣)</sup> .
- وافتتح مكتب آخر في جرش بلغ عدد طلابه ٥١ طالباً ، يدرّسهم معلم واحد<sup>(٤)</sup> .
- وتأسس عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م مكتب في الحصن ، بلغ عدد طلابه ٣٤ طالباً<sup>(٥)</sup> .
- وتأسس مكتب في كفرنجة عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م<sup>(٦)</sup> ، وجدت فيها مدرسة ابتدائية .
- وتأسس مكتب في النعيمة عام ١٣٢٨هـ/ ١٩٠١م . ونظراً إلى قلة أعداد الطلبة نُقل في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ، إلى دير أبي سعيد ، بناءً على طلب نجيب أفندي الشريدة ممثل قضاء عجلون في مجلس إدارة ولاية سوريا العمومي<sup>(٧)</sup> .
- وتأسست مدرسة كانت تعلّم اللغة التركية في الرمثا عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، بجانب المسجد العمري<sup>(٨)</sup> .

(١) جريدة ولاية سوريا ، العدد ٩١٥ ، ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م ، ص ١ .

(٢) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م ، ص ١٨٧-١٩٣ .

(٣) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ١٠٦ .

(٤) سالنامة ولاية سوريا عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م ص ٣٤١ .

(٥) سالنامة ولاية سوريا عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م ص ٢٢٨ .

(٦) سالنامة ولاية سوريا عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م ص ٢٠٥ .

(٧) المقتبس ، العدد ١٥١٧ ، تاريخ ٢٤-٢-١٩١٥م ، ص ٣ .

(٨) سريحين ، تاريخ مدينة الرمثا ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

- وضمت كل قرية من القرى التالية مكتباً عمومياً واحداً ، وهي : كفر سوم وحرثا والطيبة وملكا والمزار وإيدون وسموع وعنبة وعين جنة وكفر عوان ومكيس (أم قيس) والصريح وحوارة وبشرى وكفر أسد<sup>(١)</sup> ودير أبي سعيد<sup>(٢)</sup> ، عشائر بني حسن ، وفيها مكتب ابتدائي واحد<sup>(٣)</sup> ، وأضيف إلى مكتب السلط أربعة مكاتب إسلامية خصوصية وليست حكومية للذكور عام ١٣١٢هـ / ١٣١٣هـ - ١٨٩٤م / ١٨٩٥م<sup>(٤)</sup> ، وباشرت مديرية المعارف في ولاية سوريا بتأسيس بعض المكاتب الابتدائية في القرى ، وتأسيس المكاتب الابتدائية والرشدية والإعدادية في مراكز الأقضية<sup>(٥)</sup> .

وأشارت سالنامة نظارة المعارف العمومية إلى إنشاء ستة عشر مكتباً ابتدائياً في لواء الكرك ، الذي كان يضم معظم أراضي شرقي الأردن في تلك المدة (كان يضم أقضية السلط والطفيلة ومعان بالإضافة إلى الكرك) ، وأنشئ منها مكتب واحد في كل من عمان ومأدبا ووادي السير ، وذلك عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م<sup>(٦)</sup> .

وافتححت الدولة العثمانية المكتب الحربي في عمان عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، وأصبح اسمه فيما بعد دار النجاح ، ومدة الدراسة فيه سنتان<sup>(٧)</sup> ، وافتتح مكتب في ياجوز سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، وكان مكتب لعشائر العدوان في العام

(١) المقتبس ، عدد ٤٢٤ ، لسنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، ص ٣-٤ .

(٢) المصدر نفسه ، لسنة ١٣٣٣هـ ، ١٩١٥م ، ص ٣ .

(٣) المقتبس ، عدد ٤٢٤ ، لسنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، ص ٣-٤ .

(٤) المصدر نفسه ، لسنة ١٣١٢هـ / ١٣١٣هـ - ١٨٩٤م / ١٨٩٥م ، ص ٢٦٧ ، وسنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ،

ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٥) المقتبس ، عدد ٥٧٠ ، ٩ محرم ١٣٢٩هـ / ١٠ كانون الثاني ١٩١١م ، ص ١ .

(٦) سالنامة معارف ، سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، ص ٥٤٢ .

(٧) عبدالله رشيد ، الكتاتيب ، ص ٣٧ .

ذاته<sup>(١)</sup>. وتأسست في محاص مدرسة أميرية عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، كان فيها ٧٥ طالباً<sup>(٢)</sup>.

وكانت مدرسة ابتدائية في الكرك، ضمت ١٢٠ طالباً<sup>(٣)</sup>، وكان لعشيرة المجالي مدرسة<sup>(٤)</sup>، ومدرسة في معان الحجازية ضمت ٣١ طالباً<sup>(٥)</sup> ومدارس أخرى في معان الشامية والشوبك ووادي موسى<sup>(٦)</sup> والعقبة<sup>(٧)</sup> وقصبة الطفيله وكثربا وخنيزيرة<sup>(٨)</sup> وعيمة<sup>(٩)</sup> وصنفحة وبصيرا وضانا<sup>(١٠)</sup>.

أما مدارس الإناث عند المسلمين فيبدو أن أول مدرسة تأسست في السلط

(١) المقتبس، الستة ٦، ع ١٥١٧، ربيع الثاني ١٣٣٣هـ/ ٢٤ شباط ١٨٩٧م، ص ٢.

(٢) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، سجلان تربويان لمدرسة محاص ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م،

١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، مجلة دراسات، ١٢م، عدد ١١ لسنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) سالنامة ولاية سوريا سنة ١٣١٢-١٣١٣هـ/ ١٨٩٤-١٨٩٥م، ص ٢٢٥؛ المقتبس، السنة الثانية،

٥٥٩ع ٢٦، ذو الحجة ١٣٢٨هـ/ ٢٨ كانون الأول ١٩١٠م، ص ١؛ خليل رفعت الحوراني، ماضي

الكرك وحاضره، جمع وتحقيق محمد سالم الطراونة، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٤م، ص ٣٠.

(٤) سالنامة ولاية سوريا، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، ص ٢٢٢.

(٥) سالنامة ولاية سوريا، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، ص ٢٢٢.

(٦) المصدر نفسه، سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ص ٣٦٠.

(٧) المقتبس، العدد ٨٦٢، لسنة ١٣٢٠هـ/ ١٩١١م، ص ١.

(٨) سالنامة ولاية سوريا، لسنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، ص ٢٢٢.

(٩) المقتبس عدد ٨٧٤، ٢٠ محرم ١٣٣٠هـ/ ١٠ كانون الثاني ١٩١٢م، ص ٢، وعدد ٨٨٦، ٥ صفر

١٣٣٠هـ/ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٢م، ص ٢.

(١٠) المقتبس، السنة الثالثة عدد ٨٦٢، ٧ محرم ١٣٣٠هـ/ ٢٧ كانون الأول ١٩١١م ص ٢. وعدد ٨٧٤،

٢٠ محرم ١٣٣٠هـ/ ١٠ كانون الثاني ١٩١٢م، ص ٢، عدد ٨٨٦، ٥ صفر ١٣٣٠هـ/ ٢٤ كانون

الثاني ١٩١٢م، ص ٢.

عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م ، وضمت عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ٣٨ طالبة<sup>(١)</sup> ومن معلماتها : مريم بنت الحاج عبد الله بن محمد اللبابيدي من أهالي الشام ، وكانت مديرة المدرسة عام ١٩٢٠م ، شادية خانم بنت حسني بك وزوجها مدير مكتب الأنموذج محمد زكي عبد الهادي<sup>(٢)</sup> ، وتأسست في الكرك مدرسة للإناث سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م<sup>(٣)</sup> ، ومدرسة في الحصن وأخرى في جرش ، أسست عام ١٣٠٢هـ / ١٨٩٦م<sup>(٤)</sup> . وفي ما يأتي جدول بالمكاتب العمومية وسنة تأسيسها وأعداد طلابها :

المكتب العمومي	النوع	تاريخ التأسيس	ملاحظات
السلط	ذكور عدد ٣	١٢٧٨هـ / ١٨٧٠م	١٨٠ طالبا
السلط	ذكور ٦	١٢٨٢هـ / ١٨٧٤م	٢٤٥ طالبا
ماعين	ذكور	١٣٠١هـ / ١٨٨٣م	٢٠ طالبا
عمان	ذكور	١٣١٨هـ / ١٩٠٠م	
عمان	ذكور	١٣٣٣هـ / ١٩١٥م	مكتب حربي
مادبا	ذكور	١٣١٨هـ / ١٩٠٠م	
وادي السير	ذكور	١٣١٨هـ / ١٩٠٠م	
ياجوز	ذكور	١٣٣٣هـ / ١٩١٥م	
عشائر العدوان	ذكور	١٣٣٣هـ / ١٩١٥م	
حرثا	ذكور	١٣٢٨هـ / ١٩١٠م	

(١) سالنامة ولاية سوريا عام ١٣٠٩هـ / ١٣١٠هـ / ١٨٩١-١٨٩٢م ، ص ٢٤١ .

(٢) خريسات ، التعليم في السلط ، ص ٣٠٥ .

(٣) المقتبس ، عدد ٥٥٣ ، ص ١ ، وانظر الحوراني ، ماضي الكرك وحاضرها فصل رقم ٤ ، ومحمد سالم

الطراونة تاريخ منطقة البلقاء ، ص ٣٠٥ .

(٤) سالنامة ولاية سورية لسنة ١٣٠٢هـ / ١٨٩٦م ، ص ٢٦٧ .

	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	الطبية
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	ملكا
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	المزار
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	ايدون
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	السموع
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	عنبه
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	عين جنة
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	كفر عوان
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	كفر اسد
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	أم قيس
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	الصريح
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	حوارة
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	بشرى
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	دير أبي سعيد
	١٩١٠م / ١٣٢٨هـ	ذكور	عشائر بني حسن
١٢٠ طالبا	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	الكرك
	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	العقبة
٣٢ طالباً	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	الطفيلة
٢٠ طالباً	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	عيمة
	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	صنفحة
	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	بصيرا
	١٩١١م / ١٣٣٠هـ	ذكور	ضانا
٣١ طالباً	١٨٩٧م / ١٣١٥هـ	ذكور	معان الحجازية
	١٨٩٧م / ١٣١٧هـ	ذكور	معان الشامية
	١٨٩٧م / ١٣١٧هـ	ذكور	الشوبك

	١٨٩٧/هـ١٣١٥م	ذكور	وادي موسى
	١٨٩٧/هـ١٣١٥م	ذكور	كثربا
	١٨٩٧/هـ١٣١٥م	ذكور	خنيزيرة
٣٨ طالبة	١٩٠٧/هـ١٣٢٥م	إناث	السلط
	١٨٩٧/هـ١٣١٥م	إناث	الكرك
	١٨٩٦/هـ١٣٠٢م	إناث	الحصن
	١٨٩٦/هـ١٣٠٢م	إناث	جرش

وبذلك يكون عدد المكاتب العمومية للذكور في شرقي الأردن ٤٧ مكتباً، وأربعة مكاتب للإناث، ليصبح المجموع ٥١ مكتباً، أما معلمو المكاتب الابتدائية في شرقي الأردن فأشارت المصادر إلى عدد منهم على النحو الآتي:

#### أولاً: قضاء السلط

تولّى التدريس في المكاتب العمومية في قسبة السلط طاهر أبو الطيور، وكان يعمل معلماً للإرشاد سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م<sup>(١)</sup>، وفي عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م عمل في المكتب: عبد الله أفندي - معلم أول، ومحمد فهمي أفندي بن مصطفى زيد القادري - معلم ثان<sup>(٢)</sup>، وعمل في عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م سليمان كوكش أفندي بوظيفة بواب<sup>(٣)</sup>، وفي عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، ضم المكتب: إحسان أفندي - معلم أول، ورجب أفندي - معلم ثان<sup>(٤)</sup>.

(١) سجل شرعي السلط رقم ٣، ح ٢٠، ١٩ رمضان ١٣٠٥هـ/ ٣٠ أيار ١٨٨٨م، ص ١٤.

(٢) سالنامة ولاية سوريا لسنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه، لسنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، ص ٢٣٠.

(٤) المصدر نفسه، لسنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، ص ٢٣٦.

ومن المدرسين الذين عملوا في المكاتب أيضاً توفيق السختيان<sup>(١)</sup>، وسعيد النابلسي<sup>(٢)</sup>، ورضا عبد الرحمن البشتاوي<sup>(٣)</sup>، ومحمد علي الأفغاني<sup>(٤)</sup>، وسالم يحيى الخليلي<sup>(٥)</sup>، وعلي محمد الأسطه<sup>(٦)</sup>، ومصطفى الخطاب<sup>(٧)</sup>، ومحمد سعدي طوقان في محلة الأكراد<sup>(٨)</sup>، وسلامة طاهر صالحه، وحامد خليل<sup>(٩)</sup>، وسلطي إلياس أبو سلوم، ومحمد أفندي بن أحمد تقي الشامي الذي نال شهرة واسعة<sup>(١٠)</sup>، ومحمد الكامل أفندي بن محمد أديب العطار من أهالي دمشق<sup>(١١)</sup> وإبراهيم بن طاهر أبو الطيور وعبد بن حمد أفندي من أهالي الشام<sup>(١٢)</sup>، وإسماعيل أفندي<sup>(١٣)</sup>، والشيخ حامد مريش، والشيخ عبد الحلیم

(١) سجل شرعي السلط رقم ٩ لسنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، ح ١٢٨، ص ٥٧.

(٢) سجل شرعي السلط ٢١٠ لسنة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م، ح ٢٦، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ح ١٢١، ص ٧٢.

(٤) سجل شرعي السلط ٨، لسنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م، ص بدون رقم.

(٥) سجل شرعي السلط ١٥، لسنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، ص ٢٧١.

(٦) المصدر نفسه، ١٤ لسنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م، ص ١٠٢.

(٧) المصدر نفسه، ١٥ لسنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، ص ٢٩٨.

(٨) سجل فيصلي رقم ٥، ص ١-٥١.

(٩) سجل فيصلي رقم ٦، ص ١٦١، ١٧٧.

(١٠) سجل شرعي السلط ٢، ج ١، ١١ ذي القعدة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م، ص ٢، راجع أيضاً: محمد عبد

القادر خريسات وشادية حسن العدوان، سجل أذن النكاح (الزواج) في السلط ١٩١٩-١٩٢٣م،

إربد، ٢٠٠٦م، ص ٨٢. سيشار إليه فيما بعد: خريسات والعدوان، سجل أذن.

(١١) سجل شرعي السلط، رقم ٢، ح ١٢٣، شوال ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، ص ١٤٢.

(١٢) المصدر نفسه، من دون رقم لسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م، ص ٩٦.

(١٣) سجل أذن النكاح في السلط رقم ١، ١٢ ذي القعدة لسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٩م، ص ١٢-١٣.

خريسات والعدوان، سجل أذن، ص ٨٢.



زيد<sup>(١)</sup> ، ومحمد بشير طوقان<sup>(٢)</sup> ، ومحمد زكي عبد الهادي مدير مكتب الأتموزج<sup>(٣)</sup> ، وعفيف أفندي زيد ، والشيخ محمد مصطفى الصفاريني ، والشيخ محمد المرشد ، وعبد بن محمد عبده من أهالي الشام ، وعبد الرؤف شمسي الجوهري<sup>(٤)</sup> وخليفة بن عبد المهدي<sup>(٥)</sup> . ويُلاحظ أن معظم المعلمين من خارج السلط ، الوافدين إليها من فلسطين والشام ، الأمر الذي يشير إلى دورهم في تنشيط حركة التعليم في المدينة .

### ثانياً: قضاء عجلون

وتولّى التدريس فيه خلال مدة الدراسة : عبد الحكيم أفندي البغدادي والشيخ عوض الهامي من مدرسي ، مدرسة إربد<sup>(٦)</sup> ، تلاهما محمد الشناق ومحمد علي أفندي وعزت أفندي<sup>(٧)</sup> وصالح أفندي التل<sup>(٨)</sup> ، وأحمد أفندي

(١) أبو طالب ، خريسات ، الحيارى ، تاريخ مدينة السلط ، ص ٣٠٣-٣٠٤ ؛ خريسات والعدوان ، أذن ،

(٢) سجل فيصلي السلط رقم ٥ ، ص ٤٧-٥٢ .

(٣) سجل أذن النكاح ، السلط رقم ١ ، حجة ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م ، ص ١٢-١٣ ، راجع

أيضاً : محمد عبد القادر خريسات وشادية حسن العدوان ، سجل اذن النكاح (الزواج) في السلط

١٩١٩-١٩٢٣م ، إربد ، ٢٠٠٦م ، ص ٤٧ ، ص ٨٢ .

(٤) أبو طالب ، خريسات ، الحيارى ، تاريخ مدينة السلط ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٥) سجل شرعي السلط ٢١ ، ح ٤٤ ، ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م ، ص ٣ .

(٦) الجالودي ، قضاء عجلون ، ٤٤٧ .

(٧) سالنامة ولاية سوريا لسنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ص ١٢٩ ، ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م ص ٢٠٠ ، ص ٢٢٨ ،

وسنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ص ٢١١ .

(٨) الجالودي ، قضاء عجلون ، ص ٤٤٨ .

الأنطالي<sup>(١)</sup> (نسبة إلى أنطاليا في تركيا) ، وإسماعيل أفندي ابن الحاج سلام الجركسي من أهالي قرية الرصيفة والقاطن في إربد<sup>(٢)</sup> ، وذلك خلال المدة من عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م وحتى عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، ومحمد صالح مصطفى التل الذي عمل مديراً للمدرسة الرشدية في إربد عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م<sup>(٣)</sup> .  
 أما في مدرسة جرش فيشار إلى عبد العزيز أفندي الكايد الذي عمل معلماً فيها خلال المدة ١٣١٠هـ - ١٣١٧هـ / ١٨٩٤ - ١٨٩٩م<sup>(٤)</sup> ، ودرس المعلم أحمد حلمي أفندي في بلدة كفرنجة بين عامي ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م و ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م<sup>(٥)</sup> ، وبهاء الدين أفندي عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م<sup>(٦)</sup> ، وأحمد أفندي بن محمود الأنطاكي من أهالي قسبة لواء انطاكية وعمل مدرساً في المكتب الابتدائي في قسبة إربد<sup>(٧)</sup> ، وعارف أفندي أبو الخير<sup>(٨)</sup> ، وإسماعيل أفندي بن الحاج حسين معلم رشدي في قسبة إربد<sup>(٩)</sup> ، وعبد حقي معلم في قسبة إربد<sup>(١٠)</sup> ، وشعيب أفندي ، معلم مكتب ابتدائي في الحصن<sup>(١١)</sup> وحسن أفندي

- (١) سجل شرعي إربد ، رقم ٨ ، ح ٢ ، لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، ص ١٣٨ .
- (٢) المصدر نفسه ، رقم ٨ ، ح ١ لسنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م ، ص ١٧٠ .
- (٣) المصدر نفسه ، رقم ٢ ، ح ٢ لسنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، ص ١٨٧ .
- (٤) سالنامة ولاية سوريا ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م ، ص ٢٢٨ وعام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ص ٢١٨ .
- (٥) المصدر نفسه ، لسنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، ص ٢٠٥ .
- (٦) المصدر نفسه ، لسنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، ص ٢١٣ ، ٢١٨ .
- (٧) سجل شرعي إربد ، ٢ ، ح ١٩٤ ، لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م ، ص ١٨٣ .
- (٨) سجل شرعي إربد ، ٢ ، ح ١١٦ ، لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م ، ص ٩٢ .
- (٩) سجل شرعي إربد ، ٢ ، ح من دون رقم ، لسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م ، ص ٩٦ .
- (١٠) سجل شرعي إربد ، ٢ ، ح ٢ ، لسنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، ص ١٨٧ .
- (١١) سجل شرعي إربد ، ٢ ، ح من دون رقم ، لسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م ، ص ٩٧ .

في مكتب الحصن أيضاً<sup>(١)</sup>، وهاشم أفندي في مكتب قصبة إربد<sup>(٢)</sup>، وشكيب الداغستاني معلم رشدي في عجلون<sup>(٣)</sup>، وأحمد أفندي معلم مكتب كفرنجة<sup>(٤)</sup>، وإسماعيل أفندي بن إسلام بن حاج عيسى حسين في مكتب جرش<sup>(٥)</sup>، وعبد العزيز أفندي معلم مكتب جرش<sup>(٦)</sup> والمعلم زكي أفندي من الشام ودرّس في الرمثا<sup>(٧)</sup>.

### ثالثاً: لواء الكرك

ومن المعلمين الذين درسوا في لواء الكرك خلال مدّة الدراسة : محمد أديب أفندي ، وكان المعلم الأول في مدرسة الكرك سنة ١٣١٥-١٣١٧هـ / ١٨٩٧-١٨٩٩م ، وعمل معه في المدرسة معلمان ، هما : محمد أفندي سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، وصدقي أفندي من سنة ١٣١٦هـ - ١٣١٧هـ / ١٨٩٨- ١٨٩٩م ، وعثمان نوري أفندي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، واستمر فيها حتى عام ١٣٣٠هـ / ١٩١١م ، وسعيد أفندي الخواجا ، ومحمود الشركسي الذي كان يدرس اللغة التركية ، واستمرت إدارته في المدرسة من عام ١٣٣٠هـ - ١٣٣٣هـ / ١٩١١-١٩١٤م ، تلاه في إدارتها أحمد بن الحاج غانم حتى عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م وعمل في المدرسة أيضاً المعلمان محمد لطفي بن سعيد الحكيم وأحمد

(١) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣ و سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ص ٢١١ .

(٢) سجل شرعي إربد ، ٧٥ ، ح ٥ ، لسنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م ، ص ١٧٠ .

(٣) سجل شرعي إربد ، ٢ ، ح ، لسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م ، ص ٩٧ .

(٤) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣ و سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ص ٢١١ .

(٥) سجل شرعي إربد ، ٧٥ ، ح ٥ ، لسنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م ، ص ١٧٠ .

(٦) سالنامة ولاية سوريا ، ١٣ و سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ص ٢١١ .

(٧) سريحين ، تاريخ مدينة الرمثا ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

بن الحاج علي البخاري<sup>(١)</sup> .

وازداد اهتمام الدولة العثمانية بفتح المدارس الابتدائية والرشدية في مراكز الأفضية في لواء الكرك بعد الانقلاب الحميدي<sup>(٢)</sup> ، وقد طالب أهالي الكرك<sup>(٣)</sup> بإنشاء عشرة مكاتب ابتدائية في قضاء السلط ، كما طالبوا بتأسيس مكتب داخلي رشدي وإعدادي ومكتب زراعي وخمسة مكاتب ابتدائية في الكرك ، ومكتب رشدي آخر وثلاثة مكاتب ابتدائية في قضاء الطفيلة ، وخمسة في معان<sup>(٤)</sup> ، وذلك إثر قيام والي سوريا بجولة تفقدية للمنطقة عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ؛ حيث طالب الأهالي بتوفير معلمين خصوصاً للغة العربية ، وتقول المقتبس في هذا الإطار إن أهالي عمان طالبوا والي بمعلم لغة عربية ثان لمكتبهم لعدم كفاية معلم واحد ، ووافق والي إلا أنه لم يُلبَّ الطلب بالسرعة الممكنة<sup>(٥)</sup> ؛ إذ أشارت صحيفة الشرق العربي إلى تعيين معلم ثان للغة العربية في عمان خلال الحرب العالمية الأولى<sup>(٦)</sup> ، كما طلب أهالي وادي السير من والي نفسه إرسال معلم ثان إلى مكتبهم لأن المعلم الموجود لا يكفي لثمانين طالباً كانوا يدرسون في المكتب ، ووعدهم ببحث الأمر في مجلس معارف الولاية ، لكنه لم ينفذ وعده<sup>(٧)</sup> .

(١) محمد سالم الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ، ٣٠٩ ؛ مدرسة الكرك الثانوية ، رحلة المائة عام ، ص ٢١ .

(٢) المقتبس عدد ٥٧٠٩ محرم ١٣٢٩هـ/ ١٠ كانون الثاني ١٩١١م ، ص ١-٢ ؛ خليل رفعت الحوراني ، ماضي

الكرك وحاضره ، جمع وتحقيق محمد سالم الطراونة ، جامعة مؤتة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٤١ .

(٣) كانت السلط تتبع إدارياً للكرك في هذه المرحلة . بشأن التقسيمات الإدارية ، انظر سالنامة الدولة

العثمانية للسنوات ١٣١٤هـ-١٣٢٥هـ/ ١٨٩٦م-١٩٠٧م . طريف ، السلط وجوارها ، ص ١١١ .

(٤) المقتبس عدد ٧٨٨ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٩هـ/ ٢٣ أيلول ١٩١١م ، ص ١-٢ .

(٥) ن ، م ، ٨٥٧ ، ٣٠ ذو الحجة ١٣٢٩هـ/ ٢١ كانون الأول ١٩١١م ، ص ٢ .

(٦) الشرق العربي ، ع ، ١١٠ ، ١١ محرم ١٣٤٤هـ/ ٣١ تموز ١٩٢٥م ، ص ١٥ .

(٧) المقتبس ، ع ، ٨٥٧ ، ٣٠ ذو الحجة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ، ص ٢ .

## ب- المكاتب الرشدية:

أوردت سالنامة المعارف أن أول مدرسة رشدية تأسست في شرقي الأردن في الكرك عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، إلا أن الوثائق العثمانية التي كُشِفَ عنها أخيراً أشارت إلى أن تأسيس مدرسة الكرك الرشدية بناء على توصية اللجنة المكلفة تقصي واقع اللواء التي أوفدت وبيارة سنية لجنة إلى لواء الكرك، وكانت تضم سكتاً للطلاب<sup>(١)</sup>، وما زالت هذه المدرسة موجودة حتى يومنا هذا، وبلغ عدد طلابها عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م مائة وثلاثين طالباً في المرحلة الابتدائية وعشرين طالباً في المرحلة الرشدية<sup>(٢)</sup>.

كما يستدل من المعلومات الواردة في الوثائق العثمانية أن المدرسة الرشدية في قضاء عجلون تأسست في إربد مركز القضاء قبل سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وأدمجت معها في بداية تأسيسها المدرسة الابتدائية بغية تقليص نفقات إنشائها، وعيّن لها معلم من مركز الدولة، وأرسل إلى هناك<sup>(٣)</sup>، وضمت ١٥٠ تلميذاً<sup>(٤)</sup>.

وأوردت سالنامة ولاية سوريا أن الدولة العثمانية أنشأت عام ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م مدرسة رشدية في معان الحجازية<sup>(٥)</sup>، إلا أن الوثائق العثمانية التي كُشِفَ عنها أخيراً أشارت إلى أنه في ٢٧ حزيران سنة ١٩٠٥م رفع والي سوريا كتاباً إلى وزارة المعارف طلب فيها تأسيس مدرسة رشدية في معان، وذكر فيه أنه سبق وأن صدرت إرادة سنية لتأسيس المدرسة، وأدرجت مخصصاتها المالية في ميزانية المعارف، وعلى الرغم من مرور ٩ سنوات على الإرادة السنية، فضلاً

(١) فاضل بيات، المؤسسات التعليمية، ص ٢٤٤.

(٢) محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء، ص ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(٤) جريدة سوريا الشام، عدد ٩٧٣، لسنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م.

(٥) سالنامة ولاية سوريا، ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩، ص ٣٦٠.

عن العمران والتطور الذي يشهده القضاء ، فإن المدرسة لم ترَ النور قبل ٥ تموز من عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٦م بسبب التلكؤ في تعيين معلم لها ، هو كمال الدين الأدهمي ، كما عُيّن وكيل أول له وبوشر في التعليم في المدرسة على نحوٍ رسمي بعد التاريخ المشار إليه (١) .

وأسس في السلط عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٦م مكتب (٢) ، وافتتحت في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١١م مدرسة رشدية في الطفيلة بكلفة أربعة آلاف ليرة عثمانية (٣) ، وبذلك يكون مجموع عدد المكاتب الرشدية خمسة مكاتب ، وإذا أضفنا إليه ٤٧ مكتباً عمومياً للذكور والإناث يصبح المجموع ٥٢ مكتباً ، منها ثلاثة مكاتب للإناث . وقد أشارت المقتبس إلى وجود مكاتب سيارة (٤) ، وربما كان المقصود بها المكاتب التي كانت تدرس عند البدو والعشائر المتنقلة . وفي ما يأتي جدول بالمدارس الرشدية في شرقي الأردن وسنة تأسيسها :

المدرسة	النوع	سنة التأسيس	ملاحظات
الكرك	ذكور	١٣١٩هـ / ١٩٠١م	
إربد	ذكور	١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م	
معان	ذكور	١٣٢٥هـ / ١٩٠٦م	
السلط	ذكور	١٣٢٥هـ / ١٩٠٦م	
الطفيلة	ذكور	١٣٣٩هـ / ١٩١١م	

(١) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) المقتبس ، السنة الثانية ، عدد ٥١٣ ، ٨ شوال ١٣٢٨هـ / تشرين الثاني ١٩١٠م ، ص ٢ ، وعدد خريسات ، التعليم في السلط ، ص ٣٠٥ .

(٣) المقتبس ، السنة الثالثة ، عدد ٨٦٢ ، ٧ محرم ١٣٣٠هـ / ١٩١١م ، ص ١ ، عدد ٨٧٤ ، ٢٠ محرم ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، ص ٢ .

(٤) المقتبس ، السنة الثانية ، ع ٥٥٩ ، ٢٦ ذو الحجة ١٣٢٨هـ / ٢٨ كانون الثاني ١٩١٠م ، ص ١ ؛ خليل رفعت الحوراني ، ماضي الكرك وحاضره ، ص ٣٠ .

وبعد رحيل الأتراك أُغلقت جميع المدارس التركية التي تكاد تكون مقصورة على مدارس الكتاتيب والشيوخ ، واستمرت الإجراءات المتبعة في عهد الحكومة العربية في إشراك الأهليين في المساهمة في فتح المدارس والمساهمة في راتب المعلم والمعاون والأثاث وأجور خدمات التنوير والمحروقات ، وتوزع مجالس الإدارة في الألووية والأقضية والقرى المربوطة فيها المصاريف على المكلفين بضريبة الأعشار والتجار وأرباب الصنائع والحرف بنسبة ضريبة التمتع (١) .

ونورد هنا مثلاً على دور أهالي السلط في تطوير التعليم في مدينتهم ؛ إذ قرروا الاستمرار في تدريس أبنائهم بعد رحيل الأتراك ، فافتُتحت في عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م ، أول مدرسة ابتدائية هي مدرسة السلط ، وانتقلت من بيت الرهوان في حي الجدعة الوسطى إلى بيت الحاج عبد الله الداود ثم إلى بيت رشيد باشا المدفعي ثم إلى بيت النابلسي مقابل المسجد الصغير الحالي ، وبعد أن ازداد عدد الطلاب زيادة ملحوظة أصبحت الحاجة ملحة للبحث عن مكان ملائم للمدرسة ، فتداعى أهل البلدة لإنشاء مدرسة كبيرة لأبنائهم ، وعلى رأسهم مدير المعارف آنذاك أديب وهبه ؛ حيث كان يشغل قائد درك السلط ، وأقبل سكان السلط على التبرع السخي بالإضافة إلى مبالغ فرضت على الموسرين وأهل الخير ، فأسست مدرسة التل ، وأخذت تسميتها من التل الذي بنيت عليه ، وأصبحت تعرف باسم مدرسة التل أو التجهيزية ، ثم أطلق عليها اسم مدرسة السلط الثانوية للبنين حتى يومنا هذا ، وقد وضع المغفور له الأمير عبد الله بن الحسين في ١٢/٥/١٩٢٣م/١٣٤٢هـ ، حجر الأساس للمدرسة ، واستمر العمل بها حتى عام ١٩٢٥م ؛ حيث بدأ التدريس في ١٢/١٢/١٩٢٥م ، وعدد طلابها ٢٠٠ طالب يدرسهم ١١ معلماً ، وقد تخرج في هذه المدرسة عدد كبير ممن تولوا أعلى المناصب في الدولة الأردنية ، كمنصب رئيس الوزراء ورئيس الديوان الملكي ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس

(١) الشرق العربي ، عدد ١٢٧ ، ١٩ شوال ١٣٤٨هـ / ١ أيار ١٩٢٦م ، ص ٣ .

الأعيان ، بالإضافة إلى مناصب إدارية عليا كالوزراء وقادة الجيش . وفي ما يأتي أسماء أول عشرة تلاميذ تخرجوا في المدرسة :

الخريج	سنة دخوله المدرسة	صف الخريج سنة دخوله المدرسة	عام التخرج
١- عبد الرحيم محمد الواكد	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٣	١٩٢٦م/١٣٤٥هـ
٢- علي عبد الله مسمار	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٣	١٩٢٦م/١٣٤٥هـ
٣- أحمد الظاهر	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٣	١٩٢٦م/١٣٤٥هـ
٤- داود عبد الرحمن تفاحة	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٣	١٩٢٦م/١٣٤٥هـ
٥- رياض سعيد المفلح	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٢	١٩٢٧م/١٣٤٦هـ
٦- أحمد حامد السالم	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٢	١٩٢٧م/١٣٤٦هـ
٧- حسني فريز الحاج حسين الشامي	١٩١٨م/١٣٣٧هـ	٢	١٩٢٧م/١٣٤٦هـ
٨- محمود الظاهر النسور	١٩١٩م/١٣٣٨هـ	٣	١٩٢٨م/١٣٤٧هـ
٩- عبد الرزاق فلاح الحمد الخريسات	١٩١٩م/١٣٣٨هـ	٢	١٩٢٨م/١٣٤٧هـ
١٠- عبد الحلیم عباس المبارك	١٩٢٠م/١٣٣٩هـ	٣	١٩٢٨م(١) ١٣٤٧هـ

وفي العام ١٩٢٧م تخرج الفوج الأول في مدرسة إربد الثانوية وعددهم أربعة طلاب ، هم : فواز الروسان ، وصباح الروسان ، ونجيب الصغير ، وجورج سعد ، وتخرج فيها في العام ١٩٢٨م ، فوزي الملقى ، وجميل سماوي ، ومحمد الدلقموني ، وإبراهيم الشرايري (٢) .

(١) سجلات مدرسة السلط الثانوية ، القسم الثانوي ، ص ٤١ .

(٢) سليمان الموسى إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ط١ ، عمان ،

١٩٩٠م ، ص ٣٥١ . سيشار إليه فيما بعد : الموسى إمارة .



### المناهج المدرسية في المكاتب العمومية (الابتدائية والرشدية)

أوضح البرنامج التعليمي الذي أصدره مجلس المعارف في سوريا المناهج في المكاتب العمومية كما أوردته المقتبس على النحو الآتي :

جزء ألف باء ، وأجزاء من القرآن الكريم والخط ، وعلم الحال الديني (حفظ سور من القرآن الكريم) ، وعلم الحال الوطني (وهو كتاب كان يقره مجلس المعارف) ، والتاريخ والأخلاق والحساب والجغرافيا واللسان العثماني والإنشاء والنظافة (١) .

أما جريدة المفيد فأشارت إلى أن المناهج اشتملت على مواد أكثر مما أشارت إليه المقتبس ، وهي : تعليم القرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه والفرائض والتصوّف واللغة والأدب والكيمياء والطبيعة والهندسة وبعض العلوم الدينية والحساب والقراءة في السنة الأولى ، يضاف إليها التاريخ والجغرافية في السنة الثانية ، بينما يضاف إليها في السنة الثالثة مادة معلومات أخلاقية ومدنية ، وجميع هذه المواد كانت تدرس باللغة التركية ، الأمر الذي كان يرفضه الطلاب وأولياء أمورهم في شرقي الأردن (٢) .

ويمكن حصر مواد التدريس والساعات المقررة أسبوعياً على النحو الآتي (٣) :

(١) المقتبس ع ٥٣٤ ، ٢٤ ذو القعدة ١٣٢٨هـ / ٢٦ تشرين الثاني ، ١٩١٠م ، ص ٣ .

(٢) المفيد ، عدد ٣٣٦ ، ١ ربيع الأول ١٣٢٨هـ / ٢ آذار ١٩١٠م ، ص ٣ .

(٣) طلال ماجد المجدوب ، تاريخ صيدا الاجتماعي ١٨٤٠ / ١٩١٤م ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٣٠٥ . سيشار إليه فيما بعد : المجدوب ، تاريخ صيدا . نقلاً عن جريدة ثمرات الفنون ، بيروت ، عدد ٨٨٩ ، ٢٠ حزيران ، سنة ١٨٩٢م .

المرحلة الابتدائية	مواد التدريس	الساعات المقررة أسبوعياً
الصف الأول	ألف باء عثمانني	١٢ ساعة
	أجزاء شريفة	١٢ ساعة
	حساب ذهني	٦ ساعات
الصف الثاني	قرآن كريم	٦ ساعات
	علم الحال	٣ ساعات
	حساب ذهني	ساعتان
	قراءة	٣ ساعات
	خط	٣ ساعات
	قرآن كريم وتجويد	٥ ساعات
الصف الثالث	علم الحال	٣ ساعات
	الحساب	٣ ساعات
	القراءة	٣ ساعات
	الخط والإملاء	ساعتان
	قرآن كريم وتجويد	٥ ساعات
الصف الرابع	علم الحال	٣ ساعات
	الحساب	٣ ساعات
	الخط والإملاء	ساعتان
	قرآن كريم وتجويد	٥ ساعات

أما مواد التدريس في المدارس الرشدية ، فكانت على النحو الآتي (١) :

(١) المجدوب ، تاريخ صيدا الاجتماعي ، ص ٣٠٦-٣٠٧ .

المرحلة الرشدية	مواد التدريس	الساعات المقررة أسبوعياً	
السنة الأولى	العلوم الدينية وعلم الحال المفضل والقرآن بالتجويد والحفظ	٣ ساعات	
	اللغة العربية بالأمثلة الجديدة والبناء	٢ ساعتان	
	القراءة التركيبية والإملاء	٣ ساعات	
	الحساب تعليم الأعمال الأربعة	٢ ساعتان	
	خط الثلث	ساعة واحدة	
	السنة الثانية	العلوم الدينية : حفظ المسائل الأساسية من الدرريكتا <sup>(١)</sup> وتلاوة القرآن بالتجويد	٣ ساعات
اللغة العربية : المقصود والعوامل		٣ ساعات	
اللغة الفارسية مع القواعد		٢ ساعتان	
القواعد العثمانية والإملاء		٣ ساعات	
الحساب والكسور الأعشارية (العشرية)		ساعتان	
الجغرافيا (قارة أوروبا)		ساعتان	
خط الرقعة		ساعة واحدة	
السنة الثالثة		العلوم الدينية : يكمل حفظ كتاب الدرريكتا والقرآن مع التجويد	٣ ساعات
		اللغة العربية : يقرأ النصف الأول من كتاب متن الأظهار	٣ ساعات
		اللغة الفارسية : القواعد الفارسية مع كتاب نصيحة الحكماء	ساعتان

(١) الدرريكتا : مؤلفها محمد أسعد الشهير بامام زادة (المتوفى سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م) ؛ محمد سالم

الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ، ص ٣٠٦ .

ساعتان	القواعد العثمانية : تكمل القواعد بتطبيقها وتحفظ اللغة المستعملة	
٣ ساعات	الحساب : تعليم المقاييس والأعداد المركبة والرفع والجذر والنسبة	
ساعتان	الجغرافيا : القارات الأربع بالتتابع	
٣ ساعات	التاريخ : تاريخ الأنبياء و خلاصة تاريخ الخلفاء والسلاطين الإسلامية حتى ظهور الدولة العثمانية	
ساعتان	العلوم الدينية : شرح الدرريكتا مع كتاب نعمة الإسلام <sup>(١)</sup>	السنة الرابعة
	اللغة العربية : تكميل كتاب متن الأظهار والأخذ بالتطبيقات	
ساعتان	اللغة الفارسية : منتخبات كتاب الكلستان <sup>(٢)</sup>	
ساعة واحدة	الإنشاء والكتابة واللغة العثمانية	
ساعة واحدة	الحساب : يكرر تطبيقات المسائل الحسابية ويدرس كتاب مختصر الأصول الدفترية	
ساعتان	الجغرافيا ، جغرافيا الدولة العثمانية (جغرافية البلاد المحروسة والشاهانية)	
ساعتان	التاريخ العثماني	
ساعة واحدة	الأشكال الهندسية البسيطة والمساحات	
	خط الرقعة	

(١) مؤلفه محمد ذهبي وطبع في استانبول بين سنتي ١٣٢٠-١٣٣٢هـ/ ١٩٠٢-١٩٠٥م ، محمد سالم الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ، ص ٣٠٧ .

(٢) مؤلفه سعدي بن عبدالله الشيرازي (المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م) ؛ محمد سالم الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ، ص ٣٠٧ .

ومن المفيد أن نذكر الكتب المدرسية وأسماء مؤلفيها وأسعارها ، وذلك على النحو الآتي (١) :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
ألف باء	وهبة أفندي	١٠ بارات
أجزاء شريفة	وهبة أفندي	١٠ بارات
تلخيص ملخص في علم الحال	مصطفى بك	١٠ بارات
رسالة في الأخلاق	رفعت باشا	١٠ بارات
القراءة الاولى جامع للأسماء التركية	عزمي بك	٢٠ بارة
خط الرقعة	ضياء الدين أفندي	٥ بارات
الملخص في علم الحال للسنتين ٣ ، ٤	مصطفى بك	٢٠ بارة
مختصر في الحساب	علي نظمي بك	١٠ بارات
زبدة التاريخ العثماني للسنة الرابعة	حقي بك	٢٠ بارة
مختصر الجغرافية العثمانية للسنة الرابعة	سري بك	٢٠ بارة

وبينت التعليمات كيفية إعطاء الدروس وأساليب تعليم القراءة والكتابة والحفظ ، مع التشديد على ضرورة أن يتقيد المعلمون بتنفيذ التعليمات (٢) .

وفي سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م جرى تعديل على بعض الدروس في المدارس الرشدية بحيث وجه الاهتمام إلى اللغات وبالتحديد إلى اللغة التركية ، وأضيفت مادة تعليم اللغة الفرنسية في السنتين الثالثة والرابعة بمعدل ساعتين في الأسبوع ، لكن ذلك لم يستمر طويلاً ؛ إذ ألغت إدارة المعارف تدريسها في

(١) المجمدوب ، تاريخ صيدا ، ٣٠٥ ، نقلًا عن جريدة ثمرات الفنون ، ١٨٩٦ ، ١٣١٠هـ / حزيران

١٨٩٢م .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٥ .

المدارس الرشدية عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، وأحلت مكانها مادة علم الأخلاق والتهذيب<sup>(١)</sup> .

يظهر الفرق واضحاً في مواد التدريس في المرحلة الرشدية عنها في المرحلة الابتدائية ، ويمكن معرفة المدرسة الرشدية من خلال المواد التي تدرسها ، ويستدل من شهادة لأحد مواطني السلط يدعى مطيع أفندي مهيار زاده ، وترجع في تاريخها إلى ١١ جمادى الثاني لسنة ١٣٢٨هـ / ٢٠ حزيران ١٩١٠م ، وتتطابق بنسبة كبيرة مع المناهج المشار إليها ؛ إذ تبين أن مواد التدريس في المكاتب الابتدائية في السلط - على سبيل - المثال كانت تشمل ما يأتي :

القرآن الكريم والتجويد ، وعلم الحال ، والأخلاق ، والصرف العثماني ، والإملاء التركي ، والقراءة ، والحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ العثماني ، والإملاء العربي ، وخط الرقعة ، والشبي (الأشياء) ، وهي مواد لم تكن تدرس في المرحلة الابتدائية ، وإنما في المرحلة الرشدية ، وتحمل هذه الشهادة توابع معلمي المدرسة وباشكاتب المحكمة الشرعية ، وأمور التحصيل وأمور الزراعة ويتم تصديقها من قبل أعضاء مجلس الإدارة ، وهم : قائم مقام السلط ، ونائبه ، ومدير المال ، ومحرران (كتاب) ، والمفتي ، و٤ أعضاء من مجلس الإدارة<sup>(٢)</sup> .

لقد كان التعليم الرسمي في مدة الدراسة في شرقي الأردن متأخراً ، وكانت الأمية سائدة فيه على نحو واسع ، وقد وصف شاهين مكاربوس حال التعليم في لواء حوران بأنها كانت «قاصرة جداً ، وبعض أهله لا يزالون على الحالة البدوية ، وأن الجهل له الصولة الكبرى ، وأن كثيراً من القرى لا يوجد بها خطيب ولا خوري ، وكانت القراءة عند المسيحيين محصورة في الكاهن وأولاده ، وفي الشمامسة ، وعند المسلمين بالخطيب»<sup>(٣)</sup> .

(١) المجدوب ، تاريخ صيدا ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ، نقلا عن جريدة ثمرات الفنون ، ٨٩٩٤ ، ١٣١٠هـ / حزيران ١٨٩٢م .

(٢) طريف ، السلط وجوارها ، ص ٣٨١ .

(٣) شاهين مكاربوس ، المعارف في سوريا ، المقتطف ، ج ٩ ، ص ٥٣١-٥٣٢ .

وعلى نحو عام ، يمكن حصر أسباب تأخر التعليم ، فيما أطلق عليه شرقي الأردن ، على النحو الآتي :

أولاً : أن الحكومة فرضت تدريس المواد بمدارسها باللغة التركية ، وهذا عامل أسهم في عزوف السكان عن التعليم ، بالإضافة إلى أنها أهملت التعليم باللغات الأجنبية ، وبذلك يكون التلميذ قد قصر في فهم لغته ، كما أنه لم يطلع على منجزات الغرب لأنه يجهل لغاتهم<sup>(١)</sup> .

ثانياً : بعد مناطق شرقي الأردن عن مركز الولاية وصعوبة المواصلات .

ثالثاً : طبيعة المناهج وأساليب التدريس لم تكن تشجع على الإقبال على التعليم ، وتقول الشرق العربي في هذا الصدد : « كانت المدارس في شرق الأردن تسير تبعاً لمنهاج ونظام وضعوا لأمة بينها وبين هذا المحيط عدة قرون في الحياة الاجتماعية واللغة والمبادئ الأخلاقية »<sup>(٢)</sup> .

رابعاً : كان لسياسة الأتراك دور بارز في بوار بضاعة العلم والأدب ، وانصراف الناس عنها إلى الاشتغال بتحصيل الثروة من أبواب الوظائف والتجارة والمهن الأخرى ، ومن هذه السياسة وضع الامتحان الذي كان يجب أن يؤدّيه الطلاب الذين هم ضمن سن الجندية في آخر مدة حكم عبد الحميد الثاني<sup>(٣)</sup> ، بمعنى أن الامتحان استخدمته الدولة وسيلة لجمع من هم ضمن سن الجندية ، مما أدى إلى عزوف الطلاب عن الدراسة والامتحان .

خامساً : كانت عملية التدريس تسير بطريقة تقليدية بعيدة عن المنهج العلمي ومتطلبات المجتمع في تلك المدة حتى إنها وصفت بأنها كانت تخرج

(١) الحنبلي ، النبوغ في الشرق ، العاصمة عدد ٤٤ ، دمشق ، ٢٧ جمادى الثانية ١٣٣٧هـ / ٢٥ آذار

١٩١٩م ، ص ١-٢ . سيشار إليه فيما بعد : الحنبلي ، النبوغ في الشرق ، ص دون رقم .

(٢) الشرق العربي ، ١٤ ذي القعدة ١٣٤٢هـ / ١٦ حزيران ١٩٢٤م ، عدد ٥٨ ، ص ٢ .

(٣) الحنبلي ، النبوغ في الشرق ، العاصمة ، العدد ٤٤ ، ص ١-٢ .

موظفين ، وأصبحت كلمة خريج المدرسة مرادفة لكلمة موظف الحكومة ، لدرجة أن أبواب دوائر الحكومة ازدحمت بطلاب الوظائف ، وخيل للحكومة أن الأمة كلها تطلب أن تعيش برواتب من الخزينة ، وكان هذا الأمر من عيوب المدارس في تلك المرحلة<sup>(١)</sup> ، الأمر الذي ما تزال تعاني منه مؤسساتنا التربوية العلمية حتى يومنا هذا .

سادساً : الإهمال في وظائف التعليم وجهل المعلمين بالحقائق العلمية ، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في القرى والمناطق التابعة للواء الكرك (الذي ضم في تلك المدة معظم مناطق شرقي الأردن : السلط ، وعمان ، ومأدبا ، ومعان ، والطفيلة ، والعقبة)<sup>(٢)</sup> ؛ حيث طالب رشدي بيك الشمعة مبعوث دمشق بإبدال خمسة وعاظ موجودين في لواء الكرك بأساتذة ومعلمين لنشر المعارف ؛ بسبب إهمال أولئك الوعاظ ووظائفهم وانشغالهم بقضايا أخرى<sup>(٣)</sup> ، وقد رافق ذلك جهل بعض المعلمين بتفسير الظواهر الطبيعية والحقيقة العلمية أو تفسيرها تفسيراً خرافياً أحياناً ، بحيث تبقى في أذهان التلاميذ مترسخة بأخطائها<sup>(٤)</sup> .

سابعاً : السبب الاقتصادي ؛ حيث كانت الدولة تعاني نقص الأموال اللازمة لفتح مكاتب ابتدائية أو رشدية ، وقد استعانت ولاية سوريا بجهود الأهالي في هذا السبيل ، وتقرر بموجب الإرادة السنوية على كل فدان من

(١) العاصمة عدد ٦٥ ، ١٤ محرم ١٣٣٨هـ / ٩ تشرين الأول ١٩١٩م ، ص ١ .

(٢) بشأن التقسيمات الإدارية ، انظر : سالنامه الدولة العثمانية للسنوات ١٣١٤-١٣٢٥هـ / ١٨٩٦-١٩٠٧م . طريف ، السلط وجوارها ص ١١١ .

(٣) المقتبس العدد ١٦ ، ١٥ صفر ١٣٢٧هـ / ٢٢ آذار ١٩٠٩م ، ص ٣ .

(٤) نعمة أفندي شديد يافت ، في التدريس والمدارس ، المقتطف ج ٢ ، مجلد ٩ ، تشرين الثاني ١٨٨٤م ، ص ٢٠٩ ، ٢١٥ ، وانظر : فؤاد جنتس ، مدارس الحكومة ، مقال نشر في المفيد عدد ٣٠٧ ، ٢٦ محرم ١٣٢٨هـ / ٦ شباط ١٩١٠م ، ص ١ .



أراضي الولاية شيء قليل من الإنتاج السنوي يصرف مجموعها في تأسيس مكاتب ابتدائية في جميع القرى الكائنة في الولاية (وذلك سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) ، وقد تقرر أن يؤخذ من كل فدان نصف مدّ من الحنطة من غير أن يشعر الأهالي بثقل من ذلك ، وقد صدرت أرادة والي الولاية بإجراء ذلك ، ومُرّر الأمر إلى منصرفي الألوية الملحقه (١) ، ومن جهة أخرى كانت القرى والمدن تعاني نقص الكتب والمكتبات العامة (٢) .

ونلاحظ من استعراض هذه الأسباب واستعراض مسيرة التعليم في شرقي الأردن بوصفها تابعة لولاية سوريا ، أن الدولة العثمانية كانت تضع القوانين والأنظمة والمناهج بطريقة مناسبة ، إلا أن تطبيق ذلك على الواقع لم يتم وفق الدستور والقوانين والأنظمة العثمانية ، بل نجد العكس تماماً ؛ حيث إن عدد المدارس لم يكن يفي بالغرض ، ونوعية التدريس كانت سيئة ، فبقي التعليم متأخراً (٣) .

غير أن هذا الأمر لم يمنع بعض العائلات الميسورة الحال من إرسال أبنائهم لتدريسهم في القدس أو دمشق أو بيروت أو القاهرة ؛ لتعليمهم في مدارسها ودور العلم فيها (٤) ؛ فقد تلقى محمد علي جانبولاد من عشائر القبرطاي في عمان علومه في دار المعلمين بدمشق (٥) ، وتلقى الشيخ موسى من جراكسة وادي السير علومه في الأزهر الشريف (٦) ، كما درس عدد من أبناء شرقي الأردن

(١) جريدة ولاية سوريا ، العدد ٩٣٠ ، ٧ رمضان ١٣٠٠هـ ، ١٢ تموز ١٨٨٢م ، ص ١ .

(٢) سراج الدين ، الحركة التربوية ، ص ٣٢٤ .

(٣) الكرمل ، عدد ٩٠١ ، ١٨ نيسان ١٩٢٣م ، ٣ رمضان ١٣٤١هـ ، ص ٤ .

(٤) البشير ، ٢٥٣٨ع ، شباط ١٩٢٠م ، ص ٤ .

(٥) نوفان السوارية ، عمان وجوارها ، ص ٢١٢ .

(٦) سجل محكمة عمان الشرعية ، رقم ٢ ، ح ١١ ، ١٢ رجب ١٣٢١هـ / ٣ تشرين الأول لسنة ١٩٠٣م ،

في مكتب عنبر في دمشق<sup>(١)</sup>، ومنهم صالح مصطفى التل وقُبل في المكتب سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وشقيقه علي نيازي التل الذي قُبل به عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، وعبدالله الكليب الشريدة، وخلف محمد التل، ومحمود أبو غنيمة، وشقيقه صبحي أبو غنيمة، ونجيب الشريدة، ومصطفى وهبة التل، وسامح حجازي، ويوسف الشريدة<sup>(٢)</sup> وانتقل صبحي أبو غنيمة للدراسة في إستانبول ثم عاد إلى دمشق<sup>(٣)</sup>، ودرس في مكتب عنبر أيضاً عبد الرحمن ارشيدات، وعبد الكريم الخص، وسعيد المفتي وشوكت المفتي ومحمد المحيسن وحسن أبو غنيمة، وتلقى أديب وهبة تعليمه في القدس وإستانبول<sup>(٤)</sup>.

كما تلقى عدد من أبناء شرقي الأردن الدراسة في مدرسة العشائر في إستانبول التي أنشأتها الدولة العثمانية لتعليم البدو وخاصة أبناء شيوخهم، بهدف إعدادهم مستقبلاً للولاء إلى السلطان والدولة العثمانية، ودعت على سبيل المثال أحد أبناء سظام الفايز سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م وعدداً آخر من أبناء بني صخر للدراسة فيها، وكانت مدة الدراسة فيها ٥ سنوات يتلقى خلالها الطالب العلوم الدينية والقانونية وتاريخ سلاطين آل عثمان خاصة<sup>(٥)</sup>.

كما درس في هذا المكتب الشيخ مشهور الفايز، الذي ورث زعامة بني صخر عن والده، وفي أثناء مدة رئاسته القبيلة أرسل عدد من أبنائها للدراسة

(١) يقع مكتب عنبر شرقي دمشق، وكان ملكاً لمحمود باشا القوتلي، وانتقلت ملكيته للدولة العثمانية، وكانت مدرسة إعدادية مكونة من تسعة صفوف؛ كرد علي، خطط الشام، ٣م، ج٦، مكتبة النووي، دمشق، ط٣، بيروت ١٩٨٣م، ص ١٠٠. سيشار إليه فيما بعد: كرد علي خطط.

(٢) عليان الجالودي، قضاء عجلون، استناداً إلى أوراق صالح مصطفى التل، ص ٤٥٤.

(٣) عليان الجالودي، قضاء عجلون، ص ٤٥٥.

(٤) الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص ٦٨.

(٥) نوفان السوارية، عمان وجوارها، ص ١٣٥.

في مدارس القدس بهدف نشر التعليم بين أفراد القبيلة إلا أنه قتل قبل أن يحقق هدفه (١) .

ومن الذين تلقوا تعليمهم في هذه المدرسة من أبناء قضاء عجلون حسن البركات ، ومطلق الحمد من قرية كفرنجة ، وناصر الفواز الزعبي من الرمثا (٢) ، ونجيب سعيد باشا العلي البطاينة الذي درس فيها سنة ١٩٠١م وتخرج بعد سنوات ضابطاً في الجيش التركي (٣) .

وتلقى عدد من أبناء قضاء عجلون تعليمهم في المدارس الحربية العثمانية ، وتخرجوا فيها ضباطاً عملوا في الجيش العثماني ، منهم : محمود أبو غنيمة (٤) ، وعلي خلقي الشرايري (٥) ، وهو أول أردني تولّى منصباً وزارياً في أول حكومة أردنية برئاسة رشيد طليح ، التي شكّلت في ١١-٤-١٩٢١م (٦) ، ومحمد علي العجلوني من عين جنة ، وتوفيق أفرام ، ومحمد صالح بن موسى بن سلامة الشرع ، الذي درس في الأزهر في القاهرة وأكمل دراسته في إستانبول (٧) ، وعقيل أبو الشعر من الحصن الذي درس في المدرسة الأكليركية في القدس ، وانتقل بعدها إلى روما ليحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة

---

(١) خير الدين الزركلي ، عمان في عمان ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م ، ص ٦٠-٦١ . سيشار إليه فيما بعد : الزركلي .

(٢) عليان الجالودي ، قضاء عجلون ، ص ٤٥٥ .

(٣) يعقوب العودات ، القافلة المنسية ، عمان ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٩٦-٩٨ . سيشار إليه فيما بعد : العودات ، القافلة .

(٤) عليان الجالودي ، قضاء عجلون ، ص ٤٥٥ .

(٥) سليمان الموسى ، علي خلقي الشرايري ، مجلة أفكار ، ٣٩٤ ، السنة السابعة ، عام ١٩٧٨م ، ص ٨٩-٩٤ .

(٦) سليمان الموسى ، إمارة شرقي الأردن ، ص ١١٧ .

(٧) عليان الجالودي ، قضاء عجلون ، ص ٤٥٥-٤٥٦ .

والموسيقى<sup>(١)</sup>، وناصر الربضي ومنصور يوسف الربضي من عجلون ودرسا في القدس<sup>(٢)</sup>.

وتلقى عدد من أبناء الكرك الدراسة خارج شرقي الأردن ، نذكر منهم حنا سلمان موسى القسوس الهلسا (١٨٨٥-١٩٥٣م) ، وهو أول طبيب أردني ، الذي درس الابتدائية في الكرك ثم انتقل إلى القدس ومنها إلى باريس ثم إلى بيروت والقاهرة ، ومن بعدها إلى الأستانة ، ثم أصبح وزيراً في عام ١٩٤٣م ، وهو شقيق عودة القسوس صاحب المذكرات ، كما درس عمهما خليل القسوس في القدس ، وأصبح لاحقاً فيها راهباً في أخوية القبر المقدس<sup>(٣)</sup>.

### دور المساجد في التدريس

أدت المساجد في شرقي الأردن دوراً كبيراً خلال مدة الدراسة من حيث تعليم الناس وتثقيفهم وتهذيبهم ، وكانت تعقد فيها حلقات الوعظ والإرشاد ، بالإضافة إلى تدريس القرآن والحديث والفقه والخطب التي كانت تلقى من على منبرها ، وكان يعين لكل مسجد إمام بعد اجتيازه امتحاناً أمام القاضي الشرعي<sup>(٤)</sup>.

وقد مارس نواب الشرع في السلط مهنة التدريس في المساجد ، وتشير السجلات الشرعية إلى هذا الأمر كما يأتي : «بإذن سيدنا ومولانا عمده العلماء

(١) العودات ، القافلة ، ص ٩٤-٩٥ .

(٢) عليان الجالودي ، قضاء عجلون ، ص ٤٥٦ .

(٣) مذكرات حنا سلمان القسوس الهلسا ، ١٨٨٥-١٩٥٣م ، وكتابه : كلمات صحية وفوائد طبية ،

وفجيعتي الكبرى ، وصور عائلية وتذكارية ووثائق أردنية ، تحقيق وشرح نايف جورج القسوس الهلسا ،

عمان ٢٠١٤م ، ص ١ . سيشار إليه فيما بعد : مذكرات حنا القسوس .

(٤) سجل محكمة السلط الشرعية رقم ١٥ ، ح ٥٢ ، ٢٠ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ، ص ٥٢ .

والمدرسين الكرام . . عطار زاده . .»<sup>(١)</sup> ، كما قام الأئمة بهذا الدور أيضاً .  
وضمت مدينة السلط خلال مدة الدراسة مسجدين ، هما : المسجد الكبير  
والمسجد الصغير ، أما القرى المجاورة للسلط فضمت أربعة مساجد .  
وكانت تقام في المسجد الكبير في السلط الصلوات الخمس يومياً ، ويُخطب  
فيه أيام الجمع والعيدين ، كما أقيمت حلقات دروس القرآن والحديث والفقہ  
على مذهب أبي حنيفة النعمان وعلى مذهب الإمام الشافعي ، وتقام فيه  
حلقات التعليم والتوجيه والأدب .

ومن أئمة هذا المسجد وخطبائه الشيخ محمد فهمي ابن الشيخ مصطفى  
القادري الذي عمل فيه منذ عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١ م<sup>(٢)</sup> ، تلاه الشيخ حسن  
المغربي الذي تولّى الإمامة فيه في ٣٠ رمضان ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠ م<sup>(٣)</sup> ، ومن  
وعاظ المسجد محمد خالص أفندي بن أحمد بن عبد الله<sup>(٤)</sup> .

أما الجامع الصغير فقد تولّى إمامته الشيخ محمد صالح أفندي بن خليل  
امریش في يوم ١٧ ربيع الأول لسنة ١٣٣٠هـ / ٦ كانون الثاني ١٩١٢م ، وكان  
يشغل منصب مفتي السلط ، ويستوفي أجور الإمامة والخطابة من واردات  
الجامع<sup>(٥)</sup> .

أما خارج السلط فقد أوردت المصادر إشارات إلى وجود مسجدين في قرية

(١) سجل شرعي السلط ١٠، ح ١٠، ٥ جمادي الأول ١٢٩٨هـ / ١٠ آب ١٨٨٠م، ص ٦ .

(٢) سجل شرعي السلط بدون رقم، ق ٢، لسنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م، ح ١٢٤، ص ١١٧ . (روت لي

الدكتورة صفاء الكيلاني في ٢٢/١١/١٩٩٥م، أنه كان يطلق على الشيخ محمد فهمي لقب الشيخ

فهيم، وعائلة القادري (نسبة إلى طريقتهم) هي عائلة الكيلاني، وَجَدَ هذه العائلة في الأردن هو

يوسف، الذي توفي في نابلس) .

(٣) سجل شرعي السلط رقم ٤، لسنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م، ح ١٠، ص ٤ .

(٤) سجل شرعي السلط رقم ١٠، ١٨ جمادي الأول ١٣٢٣هـ / ٢٠ آب ١٩٠٥م، ص ٢٩ .

(٥) سجل شرعي السلط ١٧، ق ٢، ح ٨٨، ص ١٦١ . سجل شرعي السلط ١٨، ص ١٦١ .

عين صويلح ، أحدهما للجاجان وآخر للجراكسة<sup>(١)</sup> ، ومسجد في علان ، وآخر في جلعد<sup>(٢)</sup> .

وكانت الدولة العثمانية تحرص على أن يكون الإمام والمدرس عالين ويرضى عنهما المصلون ، وقد نصب الحاكم الشرعي الشيخ عمر لطفي أحد علماء الإسلام الحنفية المدرسين الكرام من المهاجرين خطيباً وإماماً للجامع الشريف العمري في عمان لأداء صلاة الجمعة والعيدين وأداء الصلوات الخمس في أوقاتها على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وذلك بناء على طلب أبناء الناحية<sup>(٣)</sup> .

وكلف الحاكم الشرعي أيضاً الشيخ زكريا بن حسن بن عمر أحد علماء المهاجرين أن يكون خطيباً ثانياً للجامع العمري في عمان ، وجاء في نص التكليف ما يأتي : «نصب وعين وقرر سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي . . . ناقل هذا الكتاب الشرعي وحامل هذا الخطاب المرعي الشيخ زكريا بن حسن عمر أحد الفقهاء من المهاجرين الجراكسة سكان مركز ناحية عمان خطيباً ثانياً وإماماً ثانياً للجامع الشريف العمري . . . مناوبة مع الشيخ عمر لطفي أفندي الموظف إماماً قبل تاريخ . . . بحيث يصلي هذا أسبوعاً وهذا أسبوعاً بعد . . . ، بناء على طلب أهالي مركز ناحية عمان بموجب مضبطة متقدمة منهم . . .»<sup>(٤)</sup> .

كما نصب الحاكم الشرعي صالح أفندي بن إبراهيم من علماء قرية ناعور بناء على المضبطة التي قدمها مختارو القرية ووجهها إماماً لعدم وجود إمام

(١) جداول التسوية ، جدول حقوق صويلح ، ص ١ ، ٢٧ و جدول ادعاءات صويلح ، ص ١-٤٧ .

(٢) سجل شرعي السلط دون رقم لسنة ١٢٢٩هـ / ١٣٣٠هـ - ١٩١٠م / ١٩١١م ، ص ٢٠ ؛ سجل شرعي

السلط ١٧ ، ح ٢٢٠ ، ١٣ ربيع الأول ١٢٢٩هـ / الأول من آذار عام ١٩١١م ، ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، رقم ١٣ ، ح ١٦٧ ، ٩ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ / ٢٧ حزيران ١٩٠٩م ، ص ١٨١ .

(٤) المصدر نفسه ، رقم ١٥ ، ح ٥٢ ، ٢٠ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ / ٨ تموز ١٩٠٩م ، ص ٥٢ .

يصلي بهم<sup>(١)</sup> ، كما نصب ثانٍ للقريّة هو إسماعيل أفندي<sup>(٢)</sup> ، وفي الرصيفة محمود بن قاسبوت<sup>(٣)</sup> .

وفي قضاء عجلون وافقت نظارة الأوقاف عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م على تنصيب أحد علماء صيدا التابع لولاية بيروت والقاطن في قسبة إربد وظيفته تدريس علوم متنوعة شرعية في الجامع الشريف الكائن في قسبة إربد مركز قضاء عجلون<sup>(٤)</sup> .

وتورد سجلات المحاكم الشرعية أسماء العديد من الأئمة الذين كان لهم دور في الوعظ والإرشاد والتدريس في قضاء عجلون ، وهم : الشيخ عبدالله حسين السعدي من أهالي قرية كفر زيبا التابعة لقضاء بني صعب التابع للواء نابلس عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، وعمل إماماً لقرية حكما<sup>(٥)</sup> ، والشيخ حمود بن محمد النصر من أهالي قرية بلعا التابعة لقضاء بني صعب ، وكان إماماً لقرية مكيس (أم قيس)<sup>(٦)</sup> ، والشيخ أسعد بن أحمد بن الشيخ يوسف من أهالي جبل نابلس ، وكان إماماً لقرية زمال<sup>(٧)</sup> ، والشيخ حاتم حسن عبدالله العبد الجبار من أهالي قرية قراوة بني زيد التابعة للواء القدس ، وكان إماماً لقرية

(١) سجل محكمة السلط الشرعية رقم ١٧ ، ح ٢٧٦ ، ١٥ جمادى الآخرة ١٣٢٩هـ / ١٢ حزيران ١٩١١م ، ص ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، بدون رقم ، قسم ٢ ، ح ١٧ ، ١٥ جمادى الآخرة ١٣٢٩هـ / ١٢ حزيران ١٩١١م ، ص ٦٤ .

(٣) صلاح يوسف قازان ، عمان في مطلع القرن العشرين ، السجل الشرعي لسنة ١٣١٩-١٣٢٦هـ / ١٩٠٣-١٩٠٨م ، وزارة الثقافة ، عمان ٢٠٠٨م ، ص ١٦ ، ٢٠ ، ٨٠ .

(٤) سجل شرعي إربد رقم ٨ ، لسنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، ح ٢ ، ص ٤٢ .

(٥) سجل شرعي إربد ، رقم ٢ ، ح ١ ، لسنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، ص ١ .

(٦) سجل شرعي إربد رقم ٢ ، ح ١ ، ص ٢ .

(٧) سجل شرعي إربد رقم ٢ ، ح ٣ ، ص ١٤٧ .

حاتم<sup>(١)</sup>، والشيخ أحمد مصطفى القادري من أهالي قرية الشجرة، وكان إماماً لقرية كفر ركب التابعة لقضاء درعا<sup>(٢)</sup> وحامد أفندي بن الحاج علي بن سعد الدين حشيشو من علماء قضاء صيدا التابع لولاية بيروت، الذي عين خطيباً ومدرساً لجامع قصبه إربد<sup>(٣)</sup>، ومحمد أحمد الخليل إمام قرية المزار<sup>(٤)</sup>.  
 ويبين الجدول الآتي أئمة السلط وصويلح، استناداً إلى سجلات المحاكم الشرعية وسجلات الأراضي في السلط وما جاورها من القرى:

اسم الإمام	الموقع	المصدر
عبد الرحمن غنيم	محلة الأكراد/السلط	سجل شرعي السلط ٦، ح ١٣، ١٧، محرم ١٣٢٠هـ / ٢٦ نيسان ١٩٠٢م، ص ١٥٨. سجل شرعي السلط ٨، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ٢١. سجل شرعي السلط ١١، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ص ٧٦. سجل شرعي السلط ٢١، أذون النكاح، ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م، ص ٦.
سليم الخطيب	محلة الأكراد/السلط	سجل شرعي السلط ٢١، ح ٤٢، ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م، ص ١٨، ١٩.

(١) سجل شرعي إربد رقم ٢، ح ٢، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) سجل شرعي إربد رقم ٢، ص ١٨٦.

(٣) سجل شرعي إربد، رقم ٢، ح ١، لسنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ص ١٨٦.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٢، ح ٣، ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م، ص ٩٣.



سالم أفندي يحيى الخليلي	محلة الأكراد	سجل شرعي السلط ١٤، ح ١٥٦، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ م.
محمد فهمي افندي زيد	إمام قصبه السلط	سجل شرعي السلط ١٣، ح ٢٢ محرم ١٣٢٧هـ / ١٣ شباط ١٩٠٩ م، ص ١٢٥.
عبد الحليم زيد القادري	إمام قصبه السلط	سجل شرعي السلط ٢١، ح ٤٤، ١٣٢٧هـ / ١٩١٩ م، ص ٣.
خليفة بن عبد المهدي	إمام محلة القطيشات	سجل شرعي السلط ٢١، ح ٤٤، ١٣٣٧هـ / ١٩١٩ م، ص ٣.
محمد صالح افندي مريش	إمام جامع السلط /	سجل شرعي السلط ١٧، ح ٢٤،
	محلة العواملة	ح ٨٨، ١٧ ربيع الأول ١٣٣٠هـ / ٦ اذار ١٩١٢ م، ص ١٦١.
سعيد أفندي النابلسي	إمام محلة الاغراب/ السلط	سجل شرعي السلط ٢١، ح ٢٦، ١٣٣٧هـ / ١٩١٨ م، ص ١٢.
محمد أفندي بن الشيخ مصطفى زيد القادري	إمام محلة الاغراب	سجل شرعي السلط ٨، ح ١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م، ص ١١٣.
غازي عبد الرحمن	إمام الجاجان/صويلح	سجلات أراضي عمان، دفتر تحرير صويلح، ١٣٤١هـ / ١٩٢٢ م، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣ م، ص ٧-٨.
أحمد عبد الله	إمام الجاجان/صويلح	سجلات أراضي عمان، دفتر تحرير صويلح ١٣٤١هـ / ١٩٢٢ م، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣ م، ص ٧-٨.
علي صلاح الدين	إمام الجاجان/صويلح	سجلات أراضي عمان، دفتر تحرير صويلح ١٣٤١هـ / ١٩٢٢ م، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣ م، ص ١٧-١٨.

إبراهيم لينع	إمام الجراكسة/صويلح	سجلات أراضي عمان ، دفتر تحرير صويلح ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م ، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م ، ص ١٧-١٨ .
--------------	---------------------	---

وفي ما يأتي جدول بأسماء الأئمة ، والمدن والبلدات التي عملوا فيها في باقي مناطق شرقي الأردن :

اسم الإمام	الموقع	ملاحظات
عمر لطفي	الجامع العمري - عمان	إمام أول
زكريا بن حسن بن عمر	الجامع العمري - عمان	إمام ثان
صالح أفندي بن إبراهيم	ناعور	إمام أول
إسماعيل أفندي	ناعور	إمام ثان
محمود بن قاسبوت	الرصيفة	
عبدالله حسين السعدي	حكما - قضاء عجلون	
حمود بن محمد النصر	أم قيس - قضاء عجلون	
أسعد بن أحمد بن يوسف	زمال - قضاء عجلون	
حاتم حسن عبدالله العبد الجبار	حاتم - قضاء عجلون	
أحمد مصطفى القادري	كفر ركب - قضاء عجلون	
حامد أفندي بن الحاج علي بن سعد الدين حشيشو	إربد - قضاء عجلون	
محمد أحمد الخليل	المزار - قضاء عجلون	

### ثالثاً: مدارس الطوائف غير الإسلامية

تشمل هذه المدارس جميع دور التعليم التي أنشأها الأفراد ، أو الجماعات غير الإسلامية سواء كانت عربية أم أجنبية<sup>(١)</sup> . وساعد نظام الملة<sup>(٢)</sup> ، الذي منح رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين الحق في تكوين المؤسسات التعليمية تحت إشراف رؤسائهم الروحيين ، كما ساعد نظام الامتيازات الأجنبية الذي سهّل استقبال البعثات الدينية في بلاد الشام على تأسيس المدارس الطائفية في مختلف أنحاء الشام<sup>(٣)</sup> ، وقد أدى انتشار هذه المدارس إلى سيطرة أهل الذمة على الإدارة المالية في ولايات برّ الشام<sup>(٤)</sup> .

ولم تغفل الدولة العثمانية خطورة الإرساليات التبشيرية على السكان ، فاتخذت في أواخر القرن الحادي عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي قراراً يقضي بفتح مدارس كثيرة في منطقة شرقي الأردن ، حتى إنها خصصت لها قرابة ١٠٠ ألف قرش سنوياً لتنفق عليها<sup>(٥)</sup> ، وعيّنت سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م محمد طاهر أفندي معلماً للإرشاد لدى بدو البلقاء<sup>(٦)</sup> ، كما عيّنت الحاج علي وصفي أفندي المتوفى في الطفيلة سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م واعظاً للقبائل البدوية

(١) الدستور العثماني ، م٢ ، ص١٥٦ ؛ البشير ، عدد ١٩٩٨ ، تاريخ ١/٥/١٩١١م ، ٤ محرم ١٣٢٩هـ /

١٩١١م ، ص١-٢ .

(٢) حنا كلداني ، ص١٠ .

(٣) كلداني ، المسيحية ص١٠ ؛ المجدوب ، تاريخ صيدا الاجتماعي ، ص٢٩٩ .

(٤) عبد الكريم غرايبه ، سوريا في القرن التاسع عشر ١٢٥٦-١٢٩٣هـ / ١٨٤٠-١٨٧٦م ، القاهرة ،

١٩٦٢م ، ص١٤٦ . سيشار إليه فيما بعد : غرايبة ، سوريا .

(٥) عبد العزيز عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م ، ص٢٦٦ . سيشار

إليه فيما بعد : عوض ، الإدارة .

(٦) سجل شرعي السلط ، رقم ٣ ، ح٢٠ ، ١٩ رمضان ١٣٠٥هـ / ٣٠ أيار ١٨٨٨ ، ص١٤ .

في القضاء ، والحاج محمد خالص أفندي بن أحمد من أهالي ولاية طرابزون واعظاً لقبائل معان خلال المدة ١٣١٩-١٣٢٠هـ / ١٩٠١-١٩٠٢م<sup>(١)</sup> .

وأسهمت المدارس الخاصة التابعة للطوائف غير الإسلامية في سد جزء كبير من النقص في المدارس في شرق الأردن الناجم عن قلة المدارس الحكومية ، بالإضافة إلى الفرق الشاسع في نوعية التعليم ومناهجه إذا ما قيست المدارس الحكومية بالمدارس الخاصة .

وقد شهد القرن التاسع عشر نشاط الإرساليات المختلفة في بلاد الشام ، وتمثل هذا في شرقي الأردن في إرساليات اللاتين والأرثوذكس والبروتستانت والكاثوليك ، وكان التعليم نشاطاً إضافياً على النشاط الرسولي ، وتنافست هذه الطوائف فيما بينها حول إنشاء المؤسسات التربوية ونشر التعليم في مختلف أنحاء البلاد ، وأسهمت إلى حد كبير في تأسيس النهضة العلمية والثقافية في المنطقة ، وذلك باتجاهين :

الأول : رفع مستوى السكان فكرياً وثقافياً بما نشر من ثقافات وعلوم .

الثاني : إثارة الحماس لدى سكان البلاد وحثهم على الإقبال على التعليم وإنشاء المؤسسات التعليمية التي تشبه تلك التي أنشأتها المؤسسات الأجنبية<sup>(٢)</sup> .

وكان للمؤسسة الإنجليزية فضل السبق في إنشاء الإرساليات الأجنبية في بلاد الشام ؛ حيث يعود تاريخ نشاطها التربوي إلى عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م ، حين أنشأت أول مدرسة ابتدائية تابعة لها في بيروت ، تلاها إنشاء مدارس أخرى في أنحاء مختلفة من سوريا ولبنان<sup>(٣)</sup> .

(١) محمد سالم الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ، ص ٣١٠ .

(٢) أحمد سراج الدين ، الحركة التربوية ، ص ٣٢٩ . بولس مسعد ، الدولة العثمانية في لبنان وسوريا ،

حكم أربعة قرون ٩٢٣هـ / ١٥١٧هـ - ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ، بيروت ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ، ص ٨٠ .

(٣) أحمد سراج الدين ، الحركة التربوية ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

أما بالنسبة إلى ما أطلق عليه شرقي الأردن فقد أنشئت أول مدرسة فيه سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م في مدينة السلط على نفقة بطريرك الروم الأرثوذكس في القدس، وضمت معلماً واحداً وستين تلميذاً في موقع الخضر<sup>(١)</sup>. وتأسست مدرسة للذكور في الفحيص تابعة لطائفة الروم الأرثوذكس عام ١٨٥٠م كما هو مكتوب على بوابة المدرسة<sup>(٢)</sup>، وكان للطائفة الأرثوذكسية مدرسة في مادبا يتولّى الإنفاق عليها المجلس الأرثوذكسي المختلط، الذي قرر في حزيران من عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م تخصيص ميزانية مقدارها ١٥٠٠ ليرة عثمانية لمدارس حيفا ومادبا والحصن واللد والرملة وغزة، وكان نصيب مدرسة مادبا منها ٢٥٠ ليرة عثمانية<sup>(٣)</sup>.

وضمت الكرك مدرستين تابعتين لطائفة الروم الأرثوذكس، تأسست الأولى عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٥م، وتأسست الثانية عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٧م<sup>(٤)</sup>، ومن خريجها عودة القسوس ومترى الزريقات، وحنّا القسوس الذي تخرج في كلية الطب في الجامعة اليسوعية في بيروت عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، وأصبح أول طبيب أردني<sup>(٥)</sup>.

أما في قضاء عجلون فقد افتتحت سبع مدارس ابتدائية للروم الأرثوذكس<sup>(٦)</sup>، وافتتحت أول مدرسة في الحصن للذكور عام ١٢٩٨هـ/

(١) مكاريوس، المعارف في سوريا، المتكطف، ج٩، ص٧٠، ص٥٣٣.

(٢) ما زالت المدرسة موجودة حتى الآن.

(٣) صحيفة فلسطين، ع١٤٤، ٢٣ جمادى الثانية ١٣٣٠هـ/١٢ حزيران ١٩١٢م، ص٣.

(٤) مذكرات عودة القسوس، ١٣٠٥هـ-١٣٦٢هـ/١٨٧٧-١٩٤٢م، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة

الأردنية، ص١. وانظر أيضاً: مذكرات حنا سلمان القسوس الهلسا، ١٨٨٥-١٩٥٣م، ص١.

(٥) مذكرات حنا القسوس، ص١-٢٥.

(٦) فاضل بيّات، المؤسسات التعليمية، ص٦٣١.

١٨٨١م ، وضمت ٣٠ طالباً<sup>(١)</sup> ، وتبعها مدرسة في كل من عجلون وسوف وعنجرة وعرجان وخربة الوهادنة ، ومدرسة للإناث في كفرنجة ، وكانت بطريكية الروم الأرثوذكس تتولى دفع رواتب المعلمين فيها .

وفي سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م حاول البروتستانت فتح مدرسة لهم في السلط ، إلا أن اعتداء أفراد من طائفة الروم الأرثوذكس على معلم المدرسة وطرده أدى إلى إغلاق المدرسة<sup>(٢)</sup> .

وأنشأ البروتستانت مدرستين واحدة للذكور وأخرى للإناث عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٤م في محلة الأكراد ، رُخصتا باسم المسؤول القس سيكس ، وضمت مدرسة الذكور ٩٤ طالباً ، في حين ضمت مدرسة الإناث ٥٠ طالبة ، وتأسست مدرسة ثانية للبروتستانت خصصت للذكور وضمت ٦٠ طالباً ، وأطلق على كل مدرسة من المدارس الثلاث اسم المدرسة الإنكليزية<sup>(٣)</sup> ، وأشار مكاريوس إلى إحدى هذه المدارس ، قائلاً : إنها كانت تضم معلمين اثنين وخمسة وتسعين تلميذاً وتلميذة ، لكنه اعتبر أن سنة التأسيس كانت عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٧م ، في حين أثبتت الوثائق أنها تأسست عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٤م<sup>(٤)</sup> ، كما أشار إليها الرحالة الذين مروا في السلط<sup>(٥)</sup> ، وزار الرحالة ميرل هذه المدرسة في رحلته التي مرّ بها في السلط سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م ووجد فيها سبعين طالباً<sup>(٦)</sup> ، ويعود الفضل في تأسيس المدارس البروتستانتية إلى جمعية المرسلين التابعة

(١) جريدة فلسطين ، العدد ١٤٤ ، ٣٠-٥-١٩١٢م ، ص ٤ .

(٢) محافظة ، العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤٥ ، Rogan, Al-Salt, P.45 ؛ خريسات ، التعليم ،

دراسات ، م ١٤ ، ٥٤ ، لسنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٧ .

(٣) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ٦٨٨ ، نقلاً عن سالنامه المعارف العثمانية ، ص ٥٣٨-٥٣٩ .

(٤) مكاريوس ، المعارف في سوريا ، المقتطف ، ج ٩ ، ص ٧٣ ، ٥٣٣ .

(٥) انظر : Tristram, The land of Moab, P.92

(٦) انظر : Merrill, East of The Jordan London 1299 - 1881, , PP. 88-89

للكنيسة الإنجليزية التي تأسست في لندن عام ١٧٩٩م، وأنشأت مدارس لها في فلسطين والأردن ابتداء من عام ١٨٥٠م<sup>(١)</sup>، وكانت السلط هي المركز الرئيس لطائفة البروتستانت في شرقي الأردن التي تتبع إليها المدرسة الأنجليكانية<sup>(٢)</sup>، بينما تأسست فيها مدرسة للإناث تابعة للبروتستانت عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م<sup>(٣)</sup>، وهنالك إشارة إلى تأسيس مدرسة للبروتستانت للذكور في قضاء عجلون<sup>(٤)</sup>، وهي إشارة إلى مدرسة الحصن عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، التي ضمت ٢٠٠ تلميذ و ١٥٠ تلميذة و ١٠ معلمين<sup>(٥)</sup>، وقد أكدت السالنامات وجود مدرسة واحدة في قضاء عجلون غير إسلامية في إشارة إلى تلك المدرسة عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٦م<sup>(٦)</sup> ليرتفع عدد المدارس في قضاء عجلون بعد سنتين إلى ١٧ مدرسة غير إسلامية<sup>(٧)</sup>.

ويستدل من إحصائية أعدتها وزارة المعارف العثمانية في ١٩ تموز عام ١٩٠٦م عن المدارس الأجنبية في ولاية سوريا، أنه لم تؤسس أية مدرسة أجنبية في ولاية سوريا في المدّة ما بين ١٩٠٢-١٩٠٦م، بل حافظت المدارس القائمة على وجودها، إلا أن هذه المدارس شهدت توسعاً وأضيفت إليها مستويات متقدمة، وطبقاً لما ورد في الإحصائية فإن معظم المدارس الأجنبية التي تأسست في ولاية سوريا إن لم تكن كلها أسستها جمعيات تبشيرية، ولا

(١) علي محافظة، الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن، الأهلية للنشر والتوزيع،

الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٩. سيشار إليه فيما بعد: محافظة، الحركات الفكرية.

(٢) كلداني، المسيحية، ص ٣٥٧.

(٣) دفاتر الكنيسة البروتستانتية، ص ٦.

(٤) فاضل بيات، المؤسسات التعليمية، ص ٦٢٨.

(٥) شاهين مكاربوس، المعارف في سوريا، ص ٥٣١-٥٣٢.

(٦) سالنامة ولاية سوريا، ١٣١٢هـ-١٨٩٦م، ص ٢٦٧.

(٧) المصدر نفسه، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٨م.

توجد معلومات في الوثائق العثمانية عن مدارس الطوائف غير الإسلامية العربية والأجنبية في ولاية سوريا عن السنوات ١٩١٣-١٩١٥م<sup>(١)</sup>.

وتلا البروتستانت اللاتين؛ حيث أشار الأب موريتان في مذكراته إلى تأسيس مدرسة للاتين في السلط في بيت استأجره مقابل بيت أبو جابر فوق بيت خليل نوري الزعمط، الذي تبرع فيه الزعمط لدير اللاتين، وهو مكون من مطبخ وغرفتين، استُخدمت إحداهما مدرسة، وكان ذلك في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن هذه المدرسة هي نفسها التي أشارت إليها المصادر فيما بعد (سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، وضمت معلمين اثنين وستين تلميذاً، تلتها أخرى للبنات سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ضمت معلمة واحدة وعشرين فتاة<sup>(٣)</sup>.

وقد أشارت الوثائق العثمانية إلى تأسيس مدرستين للاتين في السلط؛ واحدة للذكور وعدد طلابها ١١٥ طالباً وأخرى للإناث وعدد طلابها ٦٧ طالبة، وأن مدرسة الذكور تأسست عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٧م ومدرسة الإناث عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٦٨م، الأمر الذي لا يتطابق مع ما أورده سجلات الكنيسة اللاتينية في السلط<sup>(٤)</sup>، مما يشعر أن الوثائق العثمانية، وخصوصاً السالنامات، تنقصها أحياناً الدقة، وربما تورد أحياناً أرقاماً تقديرية.

كما أشارت الوثائق العثمانية إلى وجود أربع مدارس أخرى للاتين في السلط؛ اثنتين للذكور وعدد طلابهما على التوالي ١١٢، ٦٠، واثنتين للإناث،

(١) فاضل بيات، المؤسسات التعليمية، ص ٦٨٨.

(٢) حنا سعيد كلداني، المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، عمان، ١٩٩٣م، ص ٢٢٣. سيشار إليه فيما بعد: كلداني، المسيحية، وأكد له لي الأب جريس نعمة كاهن طائفة اللاتين في السلط خلال مقابلة أجريتها معه في ١٤ تموز عام ١٩٩٣م في السلط.

(٣) سالنامة ولاية سوريا لسنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٨م، ص ٢٤١؛ مكاريوس، المعارف، المقتطف، ج ٩، ص ٧٠،

ص ٥٣٣.

(٤) فاضل بيات، المؤسسات التعليمية، ص ٦٣٠.



وعدد طالباتها على التوالي، ٦٥، ٧٠ طالبة، وقد أسست المدارس الأربع سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٧٣م، ورُخِّصَت باسم الخوري يوسف .

ويبدو أن المدارس الأربع المشار إليها في الوثائق العثمانية هما : اثنتان في الفحيص واثنتان في الرميمين البلديتين التابعتين لقضاء السلط<sup>(١)</sup>، أما أول مدرسة راهبات الوردية في السلط فقد تأسست عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٧م<sup>(٢)</sup> .

وزار الأب كودرك عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩ والأب موريتان عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م الرميمين بناء على طلب أهلها بهدف تأسيس إرسالية تابعة للاتين<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن تأسيس مدرسة لاتينية فيها لم يتم قبل عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م<sup>(٤)</sup>، وافتتحت مدرسة صغيرة للاتين في الفحيص عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م للذكور، وبعد ذلك بست سنوات؛ أي عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، تأسست مدرسة للبنات تابعة لراهبات الوردية<sup>(٥)</sup>، مما يدل على تعطش الطلاب والطالبات للتعليم، ويؤكد الإقبال الشديد الذي رافق تأسيس أول مدرسة لراهبات<sup>(٦)</sup>؛ إذ أصبح

(١) فاضل بيات، المؤسسات التعليمية، ص ٦٣٠ .

(٢) براكسيديا سويدان، كلمة العذراء المكرمة الأم ماري الفونسين دانيال غطاس، مؤسسة رهبانية الوردية الأورشليمية المقدسة في إطارها التاريخي والديني والروحي في القرن التاسع عشر، ص ١٤٩؛ القدس، مطبعة البطريركية اللاتينية، بيت جالا، ٢٠٠٤م .

(٣) كلداني، المسيحية، ص ٢٣٧ .

(٤) البشير، عدد ٩٨١، ١٣٠٨هـ/ تشرين الاول عام ١٨٨٩م ص ١ .

(٥) أوراق خاصة محفوظة لدى الخوري جريس نعمة في كنيسة اللاتين في السلط، أطلع عليها في ١٤١٣هـ- ١٩٩٢/٧/٢٠م، قارن نفحات الورد في رهبانية الوردية الأورشليمية، القدس، ١٩٦٠م، ص ٤٤-٤٩ .

(٦) كلداني، المسيحية، ص ٢٣٩ .

عدد طالباتها في ذلك العام ٣٠٠<sup>(١)</sup>، وازداد الاهتمام بإنشاء مدارس الطوائف بعد ذلك التاريخ<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٣١٢هـ - ١٣١٣هـ / ١٨٩٤م - ١٨٩٥م أصبح عدد المكاتب غير الإسلامية في السلط عشرة مكاتب، اثنان منهم أجنبيان<sup>(٣)</sup>، وفي عام ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م أصبحت ثلاثة مكاتب أجنبية<sup>(٤)</sup>، وأصبح في عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م لكل طائفة مدرستان، واحدة للذكور وأخرى للإناث، في كل من السلط والفحيص والرميمين<sup>(٥)</sup>.

وركزت البعثة اللاتينية نشاطها على مادبا عقب انتقال بعض حمائل الكرك إليها، نظراً إلى ما تتمتع به تلك القرية من أهمية في تلك المدة؛ لوقوعها على الطريق بين الكرك والسلط من جهة والقدس من جهة أخرى<sup>(٦)</sup>، وباشرت البعثة ببناء دير للطائفة على أعلى مرتفع في القرية، كما بنت مدرسة للذكور بجوار الدير من الجهة الجنوبية، وذلك في سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م، وشيدت مدرسة للإناث في الجهة الشمالية من الدير<sup>(٧)</sup>.

(١) كلداني، المسيحية، ص ٢٣٩.

(٢) أوراق خاصة محفوظة لدى الخوري جريس نعمة في كنيسة اللاتين في السلط، أطلع عليها في ١٤١٣هـ / ٢٠/٧/١٩٩٢م.

(٣) سالنامه ولاية سوريا لسنة ١٣١٢هـ / ١٣١٣هـ - ١٨٩٤م / ١٨٩٥م، ص ٢٦٧.

(٤) البشير عدد ١٤٤٨، ١٣١٨هـ / ٤ آب ١٩٠٠م، ص ٢-١.

(٥) البشير، عدد ٢٥٣٨، ١٣٣٩هـ / ٢٨ شباط ١٩٢٠م، ص ٤.

(٦) انظر:

Conder, Claude Reignier, Heth and Moab, Explorations to Syria 1881, 1882, London

1883, p. 139, Musil, Alois, Arabia Petraea and Palestine New York 1867, 1, p. 117,

Freer, Goodrich, A, In A, Syrian Saddle, London, 1905, p. 51,

(٧) انظر: Musil, p. 117.

وكانت مدارس البعثة اللاتينية تشارك في الاحتفالات والمناسبات الدينية والوطنية ، وذكرت صحيفة البشير أن هذه المدارس احتفلت بذكرى ميلاد السلطان وذكرى جلوسه على العرش<sup>(١)</sup> ، وكذلك عند زيارة كبار المسؤولين لمأدبا ، مثل المتصرف رشيد باشا ؛ حيث استقبلته مدارس البعثة بالأناشيد والخطب<sup>(٢)</sup> .

وتظهر الكتابة المنقوشة على بناء مدرسة اللاتين في طلوع المصدر بعمان أن تاريخ بناء هذه المدرسة يعود إلى العام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م<sup>(٣)</sup> . علماً أن المصادر والوثائق المتاحة لا تذكر هذا التاريخ .

وافتتحت أول إرسالية للاتين في الحصن عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ؛ حيث كان الكاهن في الحصن يقيم الصلاة في بيته ، ويستعمل البيت نفسه مدرسة عدد طلبتها ٦٠ طالباً من الذكور ومثلهم من الإناث<sup>(٤)</sup> ، وفي عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م أصبح عدد طلبتها ١٥٣ (٦١ طالباً و٩٢ طالبة) .

تولّى التعليم فيها أربع راهبات ومعلمة ، وكان يديرها الأب ميشيل كرم ، واستمرت المدرسة في العمل حتى الحرب العالمية الأولى<sup>(٥)</sup> . كما أنشئت إرسالية في عنجرة عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٧م ، وأخرى في عجلون عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٨م ، ضمت كل منهما مدرسة<sup>(٦)</sup> ، وافتتحت مدرسة في شطنا وأخرى في عنبة<sup>(٧)</sup> .

(١) البشير، ع ١٣٢٠ لسنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه، ع ١٢٩٦، لسنة ١٣١٣هـ / ١٨٩٧م، ص ٣ .

(٣) شاهدت الموقع حديثاً (٢٠١٦/١١/١٥م)، وما زال التاريخ مكتوباً على بوابة المدرسة الرئيسة .

(٤) كلداني، المسيحية، ص ٢٥٦ .

(٥) هند أبو الشعر، إربد وجوارها، ص ٥٥٢ .

(٦) كلداني، المسيحية ص ٢٥٧ .

(٧) هند أبو الشعر، إربد وجوارها، ص ٥٥٣ .

وقد أشارت الوثائق العثمانية عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، إلى وجود خمس مدارس تابعة لللاتين في قضاء عجلون ، أربعة للذكور وواحدة للإناث ، ضمت مدارس الذكور ٣١ ، ٤٨ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ومدرسة الإناث (٣٧) ، وهي المدارس الخمسة التي أشرنا إليها ، وكانت بطريكية اللاتين في القدس تدفع رواتب معلميه<sup>(١)</sup> .

أما أول مدرسة ذكور تابعة لطائفة اللاتين في الكرك فقد تأسست في ٢٥ آذار عام ١٨٧٦م ، وضمت ١٥ طالباً ، وكان عدد اللاتين في الكرك في تلك المدة ١٥٠ شخصاً<sup>(٢)</sup> ، وقد أشارت الوثائق العثمانية إلى تأسيس هذه المدرسة عام ١٨٧٧م ، وأنه تم ترخيصها في العام نفسه ، باسم الخوري أنطون ، وضمت ٦٠ طالباً<sup>(٣)</sup> ، بينما افتتحت أول مدرسة إناث تابعة لللاتين عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م ، التحقت فيها راهبات الوردية عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م<sup>(٤)</sup> ، وفي عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م تأسست أول مدرسة للذكور في بلدة السماكية التابعة لقضاء الكرك ، ضمت ٥٠ طالباً ، تلتها أخرى للإناث في البلدة عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م تابعة لراهبات الوردية<sup>(٥)</sup> .

أما بالنسبة إلى طائفة الروم الكاثوليك أُسست في عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م مدرسة تابعة لهذه الطائفة في كل قرية من قرى : الحصن ، وإيدون ، والصريح ، وصمد ، وسموع ، وعنبة ، والنعيمة ، وشطنا ، وكفر أبيل ، وكفر عوان ، وعرجان ، وخربة الوهادنة ، وإربد ، وجميعها كانت مدارس مختلطة للذكور

(١) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ٦٢٦ .

(٢) كلداني ، المسيحية ، ص ٢٤٦ .

(٣) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ٦٣٠ .

(٤) كلداني ، المسيحية ، ص ٢٥٢ .

(٥) مارون اللحام ، الكهنة المؤسسون ، منشورات المعهد الأكليريكي ، بيت جالا ، القدس ، ٢٠٠٥م ،

والإناث<sup>(١)</sup>، إلا أن إحصائية عام ١٣٢٩هـ/١٩١١هـ التي نشرتها الوثائق العثمانية أشارت إلى وجود ثلاث مدارس، منها اثنتان في الحصن واحدة للذكور والأخرى للإناث، والثالثة ربما تكون في عجلون<sup>(٢)</sup>، ما يشعر بأن بعض هذه المدارس قد أغلق خلال المدة المشار إليها.

وكانت مواد التدريس فيها تشبه المواد التي تدرسها البعثات الدينية في القدس وكل بلاد الشام، وهي اللغة العربية والحساب وبعض المواد العلمية ولغة أجنبية<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى الجغرافيا والتاريخ والخط<sup>(٤)</sup>.

وكان التعليم في هذه المدارس أفضل من المدارس الحكومية؛ لعناية القائمين عليها وحرصهم على تخريج أجيال من المثقفين<sup>(٥)</sup>، وقد فرضت الدولة العثمانية على هذه المدارس تدريس اللغة العثمانية ضمن موادها الدراسية، وخصصت وزارة المعارف من جانبها مُعَلِّمِينَ لتعليم اللغة العثمانية كانوا يتنقلون بين المدارس غير الابتدائية، وكان الإقبال على التعليم كبيراً، حتى إن مراسل البشير وصف هذا الإقبال في مناطق ما أطلق عليه شرقي الأردن بقوله: «لا

(١) هند أبو الشعر، إربد وجوارها، ص ٥٦٥.

(٢) فاضل بيات، المؤسسات التعليمية، ص ٦٣١-٦٣٢.

(٣) سامي سلامة النحاس، تاريخ مادبا الحديث، الجذور التاريخية لبعث المدينة وأهم الأحداث حتى عام ١٩٣٠م، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧م، ص ٢٧٨. سيشار إليه فيما بعد: النحاس، تاريخ مادبا.

(4) Medebielle, Pierre, Salt, Hostore D'une Mission, Jenusalem 1376/1965. .P.55.

(٥) انظر:

Rule East of Jordan, The Nineteenth Century and After, Vol, 52, August 1902, Tent and Town, New York, p. 233, Bell, G, Turkish.

المقتبس، ع ٣٥٦، ١٨ ربيع الثاني ١٣٢٨هـ/ ١٨ نيسان، ١٩٠١م، ص ١.

يوجد شبيه له في البلاد الفلسطينية الشرقية»<sup>(١)</sup>، ووصف محمد كرد علي أثر التعليم الطائفي في أهل مادبا بقوله: «إن العلم في مادبا دخل بفضل مدارس اللاتين والروم الأرثوذكس»<sup>(٢)</sup>.

وفي ما يأتي جدول بمدارس الطوائف المسيحية في شرقي الأردن وأماكن وجودها:

اسم المدينة أو القرية	سنة التأسيس	النوع	الطائفة
السلط	١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م	ذكور	أرثوذكس
السلط	١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م	مختلطة	بروتستانت
السلط	١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م	ذكور	لاتين
السلط	١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م	إناث	لاتين - الوردية
السلط	١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م	إناث	بروتستانت
الفحيص	١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م	ذكور	أرثوذكس
السلط	١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م	ذكور	أرثوذكس
السلط	١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م	مختلطة	بروتستانت
السلط	١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م	ذكور	لاتين
السلط	١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م	إناث	لاتين - الوردية
السلط	١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م	إناث	بروتستانت
الفحيص	١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م	ذكور	أرثوذكس
الفحيص	١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م	إناث	أرثوذكس
الفحيص	١٢٩١هـ / ١٨٧٤م	ذكور	لاتين
الفحيص	١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م	إناث	لاتين - وردية

(١) البشير، ع ٤٨٩، ٢٨، تشرين الأول لسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٩م ص ٣.

(٢) المقتبس، ع ٩٥٦، ٢٨، ربيع الثاني ١٣٣٠هـ / ١٥ نيسان ١٩١٣م ص ١.



عنبه	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
شطنا	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
إربد	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
كفر ابييل	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
النعيمة	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
كفرعوان	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
خربة الوهادنة	مختلطة	م ١٨٩٨/هـ ١٣١٥	روم كاثوليك
عجلون	إناث	م ١٨٨٤/هـ ١٣٠٢	برو تستانت
الحصن	إناث	م ١٨٩٤/هـ ١٣١٢	برو تستانت
جرش	إناث	م ١٨٩٤/هـ ١٣١٢	برو تستانت
الرميمين	ذكور	م ١٩٢٠/هـ ١٣٣٩	أرثوذكس
الرميمين	إناث	م ١٩٢٠/هـ ١٣٣٩	أرثوذكس
السلط	إناث	م ١٩٢٠/هـ ١٣٣٩	أرثوذكس

وبذلك يكون توزيع مدارس الطوائف المسيحية في شرقي الأردن على النحو

الآتي :

الطائفة	ذكور	إناث	مختلط
روم أرثوذكس	٦	٣	-
لاتين	١٢	٦	-
بروتستانت	-	٦	٢
روم كاثوليك	-	-	١٣
المجموع	١٨	١٥	١٤



وبذلك يكون مجموع عدد المدارس التابعة للطوائف المسيحية في شرقي الأردن ٤٧ مدرسة ، مع ملاحظة أن هذه المدارس هي التي ذكرتها الوثائق والسجلات المتوافرة ، غير أن الواقع أن أعداد المدارس كانت أكثر من ذلك ؛ إذ استمر نشاط الطوائف في مجال فتح المدارس الطائفية في المدن والقرى ، حتى إن المقتبس أشارت إلى أن أية قرية مسيحية في شرق الأردن لم تخل من مدرسة أو كنيسة قبل بداية الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م<sup>(١)</sup> . ولا بد من الإشارة إلى أن مدارس الطوائف غير الإسلامية في منطقة الدراسة كانت ابتدائية<sup>(٢)</sup> .

وفي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م استولت جمعية الاتحاد والترقي على الحكم في إستانبول ، وكان من أول أهدافها تترك العرب ونشر اللغة والثقافة التركية في البلاد العربية ، ولخدمة ذلك الهدف فرضت على جميع المدارس تدريس اللغة التركية بما في ذلك مدارس الطوائف<sup>(٣)</sup> .

وتولت الإرساليات التبشيرية الإنفاق على مدارس الطوائف ودفع رواتب المعلمين ، ومن خلال ميزانية أقرها المجلس المختلط في القدس التابع للطائفة الأرثوذكسية عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م تقرر تخصيص مبلغ ٢٥ ليرة عثمانية لمدرسة الحصن و١٩٢ ليرة عثمانية لكل من مدارس عجلون والطيبة وإربد<sup>(٤)</sup> ،

(١) المقتبس ، عدد ١١٠٧ ، ٢٧ صفر ١٣٣٠هـ / ٤ شباط ١٩١٣م ، ص ٢ .

(٢) فاضل بيات ، المؤسسات التعليمية ، ص ٦٣١-٦٣٢ .

(٣) جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ١ ، ١٥ شوال ١٣٣٤هـ / ١٥ آب ١٩١٦م ، ص ١ ، والعدد ١١ ،

٢١ ذو القعدة ١٣٣٤هـ / ١٩ أيلول ١٩١٦م ، ص ١ ، وانظر نقولا زيادة وآخرون ، الثورة العربية

الكبرى ، ذكرى مرور نصف قرن ، عمان ١٩٦٦م ، ص ١٠ ؛ علي محافظة ، الفكر السياسي في

الأردن ، وثائق ونصوص ، ١٩١٦-١٩٤٦م ، ج ١ ، عمان ، ٢٠١١م ، ص ٣٩-٤٢ ؛ النحاس ، تاريخ

مأدبا ، ص ٢٧٩ .

(٤) جريدة فلسطين ، العدد ١٢٤ ، تاريخ ٣٠-٥-١٩١٢م ، ص ٤ .

ومن الذين عملوا في مهنة التعليم لدى الطوائف المسيحية في مناطق ما أطلق عليها فيما بعد شرقي الأردن ، ما يأتي :

في قضاء السلط عمل في مهنة التعليم لدى الطوائف المسيحية كل من : حنا إلياس غاوي ، ونمر القبيسي ، وعودة الفار ، وعبدالله قبعين ، وفرج العبد ، ويعقوب الياسين ، وسعيد الفار ، ونقولا أبو حاطوم ، وسلطي أبو سلوم ، وجريس صالح السلفيتي (بروتستانت)<sup>(١)</sup> ، وإبراهيم خليل النوري ، وأنسطانس قعوار<sup>(٢)</sup> ، وطعمه الخوري ، ونيقولا الياس المفرح (أرثوذكس)<sup>(٣)</sup> ، وميخائيل سليمان المدانات ، ودرس بمدرسة الروم الأرثوذكس في السلط ، والمدرسة الرشدية في الكرك ، ويوسف عودة السالم ، وهو من مواليد السلط عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٣م ، ودرس أيضاً بمدرسة الروم الأرثوذكس في السلط<sup>(٤)</sup> ، بالإضافة إلى المعلمة عفيفة غاليه ، ويبدو أنها كانت تعلم الأشغال ؛ أي ما يشبه التربية المهنية أو التدبير المنزلي<sup>(٥)</sup> اليوم .

أما معلمو اللاتين في السلط فهم : فؤاد الزعمر ، وإبراهيم خليل النوري<sup>(٦)</sup> ،

(١) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، دفتر وقائع اجتماعات العمدة الرعوية في السلط ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ،

ص ١-٣٤ ؛ السجلات الفيصلية ، سجل رقم ٤ ، ص ١٩٢-١٩٧ ؛ دفاتر الكنيسة البروتستانتية ،

دفتر وقائع اجتماعات العمدة الرعوية في السلط ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، ص ١-٣٤ .

(٢) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ١ ، ص ١٨-٤٢ .

(٣) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ٢ ، ص ٥٥-٧٤ .

(٤) محمد عبد القادر خريسات ورابعة مزهر شاكر العبيدي ، الأردن في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨م ،

عمان ٢٠١٦م ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ . سيشار إليه فيما بعد : خريسات والعبيدي .

(٥) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ١ ، ص ١٨-٤٢ .

(٦) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ٣ ، ص ١-٩ .

ونويعر الصفدي<sup>(١)</sup>، وعطا الله نوري الزعوط<sup>(٢)</sup>، بالإضافة إلى معلمة أشرنا إليها كانت تعلم عشرين تلميذة يبدو أنها أول مدرسة إناث لطوائف السلط المسيحية .  
ومن معلمي طائفة الأرثوذكس في الفحيص برهم السماوي ، وطعمه الخوري<sup>(٣)</sup> ، ومن معلمي طائفة اللاتين فيها عودة الخميس<sup>(٤)</sup> ، وكان كهنة كل طائفة يمارسون مهنة التعليم ، وخاصة ما يتعلق منها بالدين المسيحي واللغات الأجنبية .

ومن معلمي المدارس الطائفية في قضاء عجلون ، نذكر : إبراهيم أفندي اشتيوي إبراهيم ، وبرهم السليمان وكانا معلمين لدى مدرسة الروم الأرثوذكس في قسبة إربد<sup>(٥)</sup> ، ويوسف الخوري من بلدة رام الله ، وناصر الربضي ، وسليمان السالم ، ويوسف اللبناني ، ودرسوا في مدرسة الروم الأرثوذكس في قرية عجلون<sup>(٦)</sup> ، ومن المدرسين لدى الطوائف في الكرك متري الزريقات ، وعودة القسوس وافراميوس القسوس و خليل ابن الخوري إبراهيم و خليل ابن سليمان القسوس وسلامة عيسى القسوس ويعقوب صروف<sup>(٧)</sup> ، ومن الإناث هدبا

(١) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ٢ ، ص ٣٦-٤٩ .

(٢) أوراق خاصة لدى الخوري جريس نعمه ، أتاحت لي فرصة الاطلاع عليها في ١٩٩٢/٧/٢٠ م دون الحصول عليها أو تصويرها .

(٣) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ٢ ، ص ٨٨ ، ١٠١ ، ١٤٢ .

(٤) السجلات الفيصلية ، سجل رقم ١ ، ص ٤٢ ، ٩٠ .

(٥) سجل شرعي إربد ، رقم ١ ، حجة من دون رقم لسنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤ م ، وسجل شرعي إربد رقم ٨ ، ح ٣ ، لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣ م ، ص ١٠٧-١٠٨ . ون ، م ، رقم ٢ ، حجة ١٤٥ ، ص ١٠٧ .

(٦) عليان الجالودي ، قضاء عجلون ، ص ٤٤٩ .

(٧) مذكرات حنا سلمان القسوس ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٨ ؛ مدرسة الكرك الثانوية ، رحلة المئة عام ، مجموعة من المؤلفين ، منشورات لجنة إحياء التراث ، أشرف على تحرير الكتاب محمد سالم الطراونة ، جامعة مؤتة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٢١ .

الصناع ونوارة الصناع وعبلة المدانات<sup>(١)</sup>. وفي ما يأتي قائمة بأسماء معلمي الطوائف المسيحية في شرقي الأردن ومواقع عملهم فيها :

اسم المعلم	الطائفة	البلدة
حنا الياس غاوي	بروتستانت	السلط
عمر القبيسي	بروتستانت	السلط
عودة الفار	بروتستانت	السلط
عبدالله قبعين	بروتستانت	السلط
فرج العبد	بروتستانت	السلط
يعقوب الياسين	بروتستانت	السلط
سعيد الفار	بروتستانت	السلط
نقولا أبو حاطوم	بروتستانت	السلط
سلطي ابو سلوم	بروتستانت	السلط
جريس صالح السلفيتي	بروتستانت	السلط
إبراهيم خليل النور	أرثوذكس	السلط
يانسطانس قعوار	أرثوذكس	السلط
طعمه الخوري	أرثوذكس	السلط
نيقولا الياس المفرح	أرثوذكس	السلط
ميخائيل سليمان المدانات	أرثوذكس	السلط
يوسف عودة السالم	أرثوذكس	السلط
عفيفة غاليه	أرثوذكس	السلط
فؤاد الزعمت	لاتين	السلط

(١) محمد سالم الطراونة ، تاريخ منطقة البلقاء ، ص ٣١١ ؛ وانظر أيضاً : مدرسة الكرك الثانوية ، رحلة

السلط	لاتين	إبراهيم خليل النوري
السلط	لاتين	نويصر الصفدي
السلط	لاتين	عطا الله نوري الزعمرط
الفحيص	أرثوذكس	برهم السماوي
الفحيص	أرثوذكس	طعمه الخوري
الفحيص	لاتين	عودة الخميس
إربد	أرثوذكس	إبراهيم أفندي اشتيوي
إربد	أرثوذكس	إبراهيم السليمان
إربد	أرثوذكس	برهم السليمان
عجلون	أرثوذكس	يوسف الخوري
عجلون	أرثوذكس	ناصر الرضي
عجلون	أرثوذكس	سليمان السالم
الكرك	أرثوذكس	يوسف اللبناني
الكرك	أرثوذكس	متري الزريقات
الكرك	أرثوذكس	عودة القسوس
الكرك	أرثوذكس	أفرامبوس القسوس
الكرك	أرثوذكس	خليل ابن الخوري إبراهيم
الكرك	أرثوذكس	خليل ابن سليمان القسوس
الكرك	أرثوذكس	سلامة عيسى القسوس
الكرك	أرثوذكس	يعقوب صروف
الكرك	أرثوذكس	هدبا الصنعا
الكرك	أرثوذكس	نوار الصنعا
الكرك	أرثوذكس	عبلة المداناتد

ولا بد من الإشارة هنا إلى أية إرسالية تابعة لأية طائفة من الطوائف كانت تفتتح مركزاً لها في قرى شرقي الأردن كان وجود المدرسة يرافق وجود الكنيسة ، ما يعني أن عدد مدارس الطوائف غير الإسلامية سيكون في الواقع أكثر مما ذكرته المصادر المتوافرة ، كما أن الكهنة القائمين على هذه الكنائس كانوا هم أنفسهم المدرسين ، كما أن الطوائف كانت تتنافس فيما بينها فإذا افتتح الأرثوذكس مدرسة فتح طائفة اللاتين مدرسة في المنطقة نفسها ، وتنطبق هذه المنافسة على بناء الكنائس وعلى كل الطوائف<sup>(١)</sup> .

وقد ترك نظام التعليم العثماني الذي صدر عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م للمدارس الخصوصية التي أنشأها الأفراد أو الطوائف الحرية في اختيار معلميها ومديريها ولوائح التدريس والكتب المدرسية ، وذلك ضمن الشروط الآتية :

١- أن تسير على خطة مطابقة لفن التعليم الحديث ، وأن تكون لوائح التدريس فيها مساوية للوائح الرسمية التي تضعها الحكومة لمدارسها .

٢- يحظر على مديري المدارس الخاصة أن يستخدموا في مدارسهم الكتب التي تحرم الحكومة تدريسها ، وألا يتعلم فيها الطالب شيئاً مخالفاً للدين والآداب أو الدستور أو روح الشرائع والأنظمة المقررة .

٣- أن يكون مديرو هذه المدارس ومديراتها من الحائزين على صفات ممتازة عالية تؤهلهم لوظائفهم ، وإلا فإنهم يحرمون من هذه الوظائف ، ويعطي قانون التعليم للمديرين الذين يعلمون مهلة أربعة أعوام لتصحيح أوضاعهم اعتباراً من تاريخ صدوره .

٤- لا يجوز قبول الصبيان والبنات في مدرسة واحدة معاً إذا تجاوز الطالب أو الطالبة السابعة من عمره .

٥- يشترط لمن يرغب في إنشاء مدرسة خاصة تقديم طلب إلى مدير منطقته ، على أن يكون المكان المعد لإقامة المدرسة متيناً وموافقاً للشروط الصحية ،

(١) مقابلة شخصية مع العلامة روكس بن زائد العزيزي بتاريخ ٢٥-٩-١٩٩٢م .

- مع حسن سلوك للمؤسس ، وعلى الإدارة الرد على الطلب خلال شهر ، ولا يجوز فتح أي مدرسة دون إذن ، ومن يخالف ذلك يغرم من ٥ - ٥٠ ليرة عثمانية ، وتقفل مدرسته ، وإذا تكررت المخالفة يحكم على صاحبها بالسجن من أسبوع إلى شهرين .
- ٦- لا يمنح معلمو هذه المدارس راتباً تقاعدياً .
- ٧- يحق لمفتشي المعارف دخول هذه المدارس متى شأؤوا إلا أنه لا يجوز لهم امتحان الطلبة بالعلوم الدينية ، لأن ذلك من شأن رجال الدين .
- ٨- يؤلف رؤساء الطوائف لجنة للمدارس تتكون من ثلاثة أشخاص ، تكون مسؤولة أمام الحكومة<sup>(١)</sup> .
- ٩- يعطي رؤساء الطوائف إجازة التعليم للمعلمين حتى تسلم الحكومة الأذن لهم بناء على تلك الإجازة .
- ١٠- إذا لم يكن دخل المدرسة كافياً يجوز لأبناء الطائفة المساعدة في ذلك .
- ١١- تعليم اللغة التركية إجباري في جميع هذه المدارس .
- ١٢- يشترط في معلم الطوائف أن يكون عثمانياً ، وأن لا يقل عمره عن ٢٢ سنة ، وأن يكون حسن السلوك ، وحاملاً لشهادة الدروس الابتدائية ، وليس له حرفة أخرى<sup>(٢)</sup> .
- كانت مدارس الطوائف أو المدارس الأجنبية أكثر تطوراً من المدارس الحكومية ؛ لأن القائمين عليها يعتنون بها عناية فائقة و يبذلون أقصى جهودهم في تخريج المتعلمين ، ويقول القس خليل الجمل<sup>(٣)</sup> من قساوسة الطائفة البروتستانتية في السلط : إن أفضل ما قدمته المدارس التبشيرية هو التعليم ؛ إذ كانت تعقد فيها امتحانات هي الأولى التي تعقد في السلط ؛ حيث يُختبر

(١) البشير ، عدد ١٩٩٨ ، ٤ محرم ١٣٢٩هـ / ١٥ / ١٩١١م ، ص ٢-١ .

(٢) المصدر نفسه ، عدد ١٩٩٨ ، ص ٢-١ .

(٣) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، دفتر العمدة الرعوية في السلط ، ص ٤-٦ .

الطلاب في الجغرافيا والتاريخ والحساب والصحة والتغذية ، ويستغرق الامتحان ٣ ساعات وعشرين دقيقة ، ويوقع النتائج قائمقام نابلس (حيث كانت السلط تتبع لنابلس إدارياً) وقائد العسكر ، ومفتي نابلس ، وقاضي السلط ومسؤولو الإدارة في السلط<sup>(١)</sup> .

أما المدارس الحكومية فنادرًا ما يتعلم فيها جميع الداخلين إليها لأن مديريها ومعلميها يعلمون تعليماً رسمياً ، ومن تعلم لنفسه فقد نجح ومن لم يتعلم فلا يسأل عنه ، كما أن الرواتب في المدارس الحكومية متدنية ، فمدير المدرسة كان يتقاضى راتباً مقداره نصف ريال في الشهر<sup>(٢)</sup> ، في الوقت الذي كان غلاء الأسعار سائداً لدرجة أن القوة الشرائية للريال المجيدي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، لم تكن توازي ستة قروش قبل سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م<sup>(٣)</sup> .

وفي المقابل زادت التنظيمات العثمانية من ترابط الطوائف إثر تنظيم شؤون البطريكيات والأسقفيات ، وبدأت الدول الأوروبية تتنافس في توسيع نفوذها في الدولة العثمانية عن طريق المدارس التي تنشر لغاتها وثقافتها<sup>(٤)</sup> ، وقد لاقت السلط اهتماماً من قبل الحملات والإرساليات التبشيرية ، وجاء في رسالة موجهة من جمعية المرسلين (C.M.S) إلى أعضاء المجمع الكنسي الوطني

(١) انظر :

Rogan , Eugene Lawrence, Al Salt, Jabal Ajloun and The Advent of Direct ottoman rule: The 1868 Travel Journal of F.A. Kleinn. Dirasat, vol XV, N7. Amman, 1409/1988, p. 45.

(٢) محمد كرد علي ، المدارس الأهلية ، جريدة المقتبس ، عدد ٣٥٦ ، ١٨ ربيع الثاني ١٣٢٨هـ/ ٢٨ نيسان ١٩١٠م ، ص ١ .

(٣) محمد كرد علي ، المدارس الأهلية ، جريدة المقتبس ، عدد ٣٥٦ ، ١٨ ربيع الثاني ١٣٢٨هـ/ ٢٨ نيسان ١٩١٠م ، ص ١ .

(٤) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، دفتر العمدة الرعوية ، السلط ، ص ٤-٦ .



والعمدة الكنسية الوطنية في إرسالية فلسطين (وكانت السلط تابعة كنسياً لها) سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٨م :

«... إن الجمعية ستقدم كل ما في إمكانها لأجل المصاريف اللازمة للخدمة الرعوية ، وأنها تزيد ذلك المبلغ من شهر إلى شهر ومن سنة إلى سنة...» (١) .

وجاء في قرار صدر في جلسة مجلس العمدة الرعوية البروتستانتية في السلط ما نصه :

«... حضر مجدداً راهبات لتعليم النساء والبنات عند طائفة اللاتين ورؤي النظر في أمر مدرستنا للبنات بأن يكون لها محل آخر غير محلها الحالي ، وهو بيت عبد الله الزعمط بقرب القلعة وتقديم وسايط التنقل إليه ولزوم تردد المعلمين على البيوت...» (٢) .

إن هذا النص يدل بوضوح على مدى التنافس بين الطوائف المسيحية بشأن فتح المدارس والتسابق في جذب الطلاب وأولياء الأمور عن طريق التردد على بيوتهم من قبل المعلمين والكهنة ، ولم يقتصر التعليم في المدارس الطائفية على أبناء طوائفهم بل جذبت إليها الكثير من أبناء العائلات الإسلامية (٣) . وتظهر قوائم الطلبة في دفاتر الكنيسة البروتستانتية هذا الأمر بوضوح ؛ حيث بلغ عدد طالبات المدرسة البروتستانتية عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م تسعين طالباً موزعين كما يأتي :

(١) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، دفتر العمدة الرعوية ، السلط ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م ، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ، ص ٦-٧ .

(٣) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، دفتر مجموع قوائم بيان حضور وغياب البنات اليومي في المدرسة الإنجيلية في السلط عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م .

الطائفة	العدد
بروتستانت	٤٤
روم أرثوذكس	٢٠
مسلمون	١٦
المجموع	٨٠

وكانت المدرسة تضم ثلاثة صفوف ، هي الأول والثاني والثالث ، وتظهر سجلات الحضور والغياب في المدرسة التزام الطالبات الحضور اليومي<sup>(١)</sup> . وقد شجع وجود المدارس الطائفية أبناء العائلات الإسلامية على فتح مدارس مشابهة ، مما أسهم في ازدهار الحركة التعليمية فيما بعد .

#### المكتبات في شرقي الأردن خلال مدة التنظيمات العثمانية:

لم ترد أية شارة إلى وجود المكتبات العامة في شرقي الأردن ، في حين وجدت مكتبة خاصة في السلط تعود لمصطفى أفندي داود الجزازي ، وضمت خمسة وعشرين كتاباً بجلود متفرقة قدر ثمنها بخمسمائة وواحد وعشرين قرشاً ، بالإضافة إلى كتب قيمة منها تفسير الجلالين ، وكتب الصحاح (صحيح مسلم وصحيح البخاري) ، وكتب من تأليف ابن خلكان (وفيات الاعيان) وابن الأثير (الكامل في التاريخ) وكتب متفرقة أخرى<sup>(٢)</sup> .

وكان لدى داود عبد الرحمن عبد الرزاق الداود مكتبة خاصة ضمت أيضاً

(١) دفاتر الكنيسة البروتستانتية ، السلط ، دفتر مجموع نوائم بيان حضور وغياب البنات اليومي في

المدرسة الإنجيلية في السلط عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م .

(٢) سجل شرعي السلط ، دون رقم ، ق١ ، ح١٧٦ ، ٢٢ شعبان ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، ص ١٤ ، ١٥ .

كتباً مهمة ، منها مجلة الأحكام العدلية ، وشرعة قانون الحقوق ، وشرعة قانون الخبرة<sup>(١)</sup> .

ونلمس من خلال دراسة سجلات محاكم السلط الشرعية اهتماماً لدى فئة معينة من الناس في اقتناء الكتب وشرائها وبيعها ، ولعل الإشارة إلى ثمن الكتب في مكتبة مصطفى الجزازي دليل على تداول هذه الكتب والإقبال على شرائها وبيعها .

وما يعزز هذا الأمر أيضاً ورود بعض الحجج في السجلات الشرعية التي تشير صراحة إلى هذا الأمر ، فقد اشترى إبراهيم بشاره كتباً من متولي أوقاف السلط إبراهيم الشامي الدبسي بمبلغ ٢٤٠٤ قروش وعشرين بارة<sup>(٢)</sup> ، وهناك دعوى رفعها الشيخ شريف بن عبد القادر الأمير المسلم العثماني من سكان السلط على الشيخ عبد الرحمن غنيم ، قال فيها : « . . . إن لي بذمة المدعى عليه عبد الرحمن المرقوم مبلغاً وقدره خمسة وعشرون غرشاً ثمن كتاب شرح الخطيب »<sup>(٣)</sup> .

تشعر هذه الإشارات القليلة الواردة عن الكتب والمكتبات كانت نادرة نظراً لانتشار الأمية ، كما أن أثمان الكتب كانت مرتفعة ، ولذلك اقتصر على فئة معينة من الناس تأتي في قمة السلم الاجتماعي لمدينة السلط ، كالأئمة والوعاظ والمعلمين وكبار الملاكين والتجار .

ومن بين الأشخاص الذين كان لهم اهتمام بالكتب أوردت السجلات الآتية أسماؤهم :

الشيخ فهمي بن زيد القادري (الكيلاني) والشيخ عبد الرحمن غنيم من السلط

(١) سجل شرعي السلط رقم ٧ ، لسنة ١٣١٩هـ / ١٣٢٢هـ - ١٩٠٠م / ١٩٠٤م ، ح ٥٣ ، ص ١٥ .  
(٢) سجل شرعي السلط رقم ٩ ، ح دون رقم ، ١٤ جمادى الثاني ١٣٢٠هـ / ١٨ أيلول ١٩٠٢م ، ص ٥٧ -

(٣) سجل شرعي السلط ١٣ ، ٢٧ شعبان ١٣٢٦هـ / ٢٤ أيلول ١٩٠٨م ، ص ٩٨ .

إبراهيم بشاره من السلط  
 داود عبد الرحمن عبد الرزاق من السلط  
 إبراهيم مصطفى الشامي من السلط  
 مصطفى الداود الجزازي<sup>(١)</sup> من السلط  
 عبده بن محمد بن حسن الخطيب من السلط  
 سعيد أفندي بن محمد خير بن علي أبو قوره<sup>(٢)</sup> من السلط  
 الحاج شريف بن عبد القادر بن مصطفى السختيان من السلط  
 يحي أفندي بن حسين آغا الترك<sup>(٣)</sup> من السلط  
 محمد حسن أفندي الأسطواني<sup>(٤)</sup> من إربد  
 ومحمد ابن أحمد بن عبد اللطيف من حوارة  
 ويوسف بن خليل بن أسعد الصالح من حوارة<sup>(٥)</sup> .

- (١) سجل شرعي السلط رقم ٢، ح ٢، ٢٢ شوال ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٤٧ .
- (٢) سجل شرعي السلط ٩، حجة دون رقم، ١٤ جمادى الثاني ١٣٢٠هـ/ ١٨ أيلول ١٩٠٢م، ص ٥٧، ٥٨ .
- سجل شرعي السلط ١٣، ٢٧ شعبان ١٣٢٦هـ/ ١٩ تشرين الأول ١٩٠٨م، ص ٩٨ .
- سجل شرعي السلط ٧، ح ٥٣ لسنة ١٣١٩هـ/ ١٩١١م - ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ١٥ .
- سجل شرعي السلط دون رقم، ق ١، ح ١٧٦، ٢٢ شعبان ١٣٢٢هـ/ ١١ تشرين الأول ١٩٠٦م، ص ١٤، ١٥ .
- سجل شرعي السلط دون رقم، ح ٤، ٤ شعبان ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، ص ٦ .
- سجل شرعي السلط دون رقم، ح ١٩٢، ٢٠ رمضان ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ٤١ .
- سجل شرعي السلط دون رقم، ح ٧، ٢٧ شعبان ١٣٢٦هـ/ ١٦ تشرين الأول ١٩٠٨م، ص ١٨٩ .
- (٣) ن، م، رقم ١٢، ١٤ شعبان ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٠٩ .
- (٤) سجل شرعي إربد، رقم ٥، ح ٢، لسنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، ص ٧٢-٧٥ .
- (٥) ن، م، رقم ٨، ح ١، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ص ١٧١ .

أما الكتب التي كانت متداولة في شرقي الأردن ، فقد أوردت سجلات المحاكم الشرعية العناوين الآتية :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
الكامل في التاريخ	ابن الأثير <sup>(١)</sup>	
مجلة الأحكام العدلية	؟	
شريعة قانون الحقوق	؟	
الأسئلة السنوية في عقائد الملة الإسلامية	محمد صالح بن خليل امريش (جمع وتنسيق)	
الكواكب الدرية	محمد صالح امريش	
شرح مجلة الأحكام العدلية	محمد صالح امريش	
القول الصحيح في الرد على من أنكر المهدي وسيدنا المسيح	محمد صالح امريش <sup>(٢)</sup>	
إرشاد الطالبين لأثار سيد العالمين	أحمد بن الشيخ حسين بدران الحسناني <sup>(٣)</sup>	
معين الأحكام	؟	
شريعة قانون الخبرة	؟ <sup>(٤)</sup>	
الفتاوى الهندية <sup>(٥)</sup>	؟	

(١) سجل شرعي السلط دون رقم ، ق١ ، ح١٧٦ ، ٢٢ شعبان ١٣٢٤هـ / ١١ تشرين الأول ١٩٠٦م ، ص ١٥ ، ١٤ .

(٢) ما زالت هذه الكتب محفوظة في مكتبة بلدية السلط .

(٣) طبع كتاب ارشاد الطالبين في بيروت ، في المطبعة الأدبية ، سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣م ، وهو محفوظ في مكتبة بلدية السلط .

(٦) سجل شرعي السلط رقم ٧ لسنة ١٣٠٩ / ١٣٢٢هـ - ١٩٠٠ / ١٩٠٤م ، ح٥٣ ، ص ١٠٥ .

(٥) سجل شرعي السلط ، دون رقم ، ٥ شعبان ١٣٢٢هـ / ١٥ تشرين الأول ، ١٩٠٤م ، ص ١٦٧ ، ص ٢٣ .

محمود أفندي بن حمزة ، مفتي دمشق سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م <sup>(١)</sup>	ترجيح البيّنات
وله أكثر من مؤلف	شرح الخطيب <sup>(٢)</sup>
لأبي الليث نصر بن محمد السمرقند ٣٧٣هـ/٩٨٣م <sup>(٣)</sup>	تنبيه الغافلين
	رد المختار على الدر المختار
ابن المقفع	كليلة ودمنة <sup>(٤)</sup>
	فتح الرحمن الرحيم <sup>(٥)</sup>
	تنقيح الفتاوى الحامدية <sup>(٦)</sup>
	الفتاوى الحامدية والخانية <sup>(٧)</sup>
	الدرر في فقه الإمام أبي حنيفة <sup>(٨)</sup>

(١) سجل شرعي السلط رقم ١٥ لسنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص ٩٦ ؛ الحصني ، منتخبات التواريخ ، ج ٢ ، ص ٧٧٠ ، ٧٢٠ .

(٢) سجل شرعي السلط رقم ٥ ، ص ١٤١ .

(٣) سجل شرعي السلط رقم ٨ لسنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، ص ٥ ؛ محمد خريسات ، التعليم ، ص ٢٨ .

(٤) سجل شرعي السلط ، دون رقم ، ح ٤ ، ٨ ذي الحجة ١٣٣٧هـ/٦ أيلول ١٩١٩م ، ص ٦ .

(٥) ن ، م ، رقم ٢ ، ح ٢ لسنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م ، ص ٧ .

(٦) سجل شرعي ، معان ، ح ٢ ، لسنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، ص ١٣٤ .

(٧) سجل شرعي السلط دون رقم ، ح ٥٣ ، ٢٦ شوال ١٣٢٣هـ/١٤ كانون الأول ١٩٠٥م ، ص ٧٣ ،

وح ٥٨ ، ٦ ذي القعدة ١٣٢٣هـ/٢ كانون الأول ١٩٠٥م ، ص ٧٦ .

(٨) سجل شرعي السلط ، ح ١٣ ، ١٤ شعبان ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، ص ٢٤٦ .

فتاوى علي أفندي <sup>(١)</sup>		٢٥ قرشاً <sup>(٢)</sup>
ترجيح البيّنات		عشرين قرشاً <sup>(٣)</sup>
الدرر في فقه الإمام أبي حنيفة		١٠٠ قرش <sup>(٤)</sup>
الشفاء في تعريف حقوق المصطفى	للحافظ أبي الفضل عياض ، بن موسى القاضي اليحصبي المتوفى سنة ٥٥٤هـ <sup>(٥)</sup>	
فتاوى الحامدية	لحامد بن علي العمادي المفتي الدمشقي المتوفى سنة ١١٧١هـ/١٧٥٨م <sup>(٦)</sup>	١٠٠ قرش
كتاب الجوهرى	للقدوري	١٠٠ قرش
أصول المحاكمات الجزائية	؟	١٨٠ قرشاً
شرح المجلة	للباز	٣٧٥ قرشاً
الترغيب	؟	٣١٠ قروش
شرح المحاكمات الحقوقية	؟	١٢٥ قرشاً
مرآة مجلة	؟	٢٠٠ قرش <sup>(٧)</sup>

(١) سجل شرعي الكرك، رق ٢، ح ٣، سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م، ١٧.

(٢) سجل شرعي الكرك، رقم ٢، ح ٣، لسنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م، ص ١٧، وحجة ٤ ص ٧-٨.

(٣) المصدر نفسه، ح ٢، لسنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، ص ٨.

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٣، ح ١، لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ٩٨، وح ١، لسنة ١٣٢٧هـ، ح ١٩٠٩م/

ص ٢٤٦.

(٥) سجل شرعي إربد رقم ٨، ح ١، لسنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ص ١٧١.

(٦) الزر كلى، الأعلام، ج ٢، ص ١٦٢.

(٧) سجل شرعي إربد رقم ٥، ح ٢، ص ٧٢-٧٥.

نلاحظ من استعراض عناوين هذه الكتب أن غالبيتها كتب فقهية ودينية وتاريخية وأدبية ، مما يدل على اهتمام الناس في تلك المرحلة بهذه الأنواع من الكتب .



## مولانا خالد النقشبندي وعلاقته مع الدولة العثمانية

جواد فقي علي (\*)

كامران جمال محمد (\*\*)

### المقدمة:

تعدّ النقشبندية الخالدية أهمّ حركة دينية داخل الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر فقد وصل عدد مریدی مولانا خالد وخلفائه في وقته إلى أكثر من مائة ألف . وقد خلفت الطريقة وراءها تأثيراً كبيراً في مجريات الأحداث لم ينقطع على الدولة وعلى المجتمع سواء بسواء ، وعلاقة مولانا خالد النقشبندي بالدولة العثمانية تثير أسئلة كثيرة ؛ لأنه وعلى الرغم من أنه كان يتحاشى التقرب من السياسة وأهلها ، إلا أنهم كانوا ينظرون إليه نظرة توجس وخيفة . بدءاً من أمراء بابان بالسليمانية ، ومروراً بولاية بغداد ، وانتهاءً بسلاطين الدولة العثمانية ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف كانت علاقته ، بولاية الأمر لا سيّما في إسطنبول؟

هذا البحث المتواضع يسعى نحو إيجاد جواب لهذا السؤال ، والباحثان على قناعة بأن هذا الموضوع لم يحسم إلى الوقت الحاضر على الرغم من أهميته الكبيرة ؛ إذ إن من كتبوا عن مولانا خالد قديماً وحديثاً لم يتثبتوا من هذا .

---

(\*) أستاذ ، في جامعة كويه ، كردستان العراق .

(\*\*) باحث ، في جامعة كويه ، كردستان العراق .

## مولانا خالد النقشبندي من بغداد إلى بلاد الشام؛

لا بد بدءاً من الإشارة إلى أن مولانا خالد النقشبندي قد زار دمشق في رحلته الحجازية الأولى عام: (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥-١٨٠٦م) ، ولما أتى دمشق في رحلته هذه رافقه بها شيخ الحديث ومدرس دار الحديث الشمس محمد عبدالرحمن الكزبري (ت ١٢٢١هـ/١٨٠٦م)<sup>(١)</sup> فسمع منه وأخذ عليه لعلو إسناده ، وأجازه بسلسلاته<sup>(٢)</sup> .

وبعد أن طاب لخالد النقشبندي المقام في بغداد بعد هجرته من السلিমانيّة<sup>(٣)</sup> إليها في زيارته الأخيرة عام: (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) ، ظلّ على ما كان عليه في بغداد في السابق من توجيه وإرشاد وتدريس ، وقد كان يرسل مريديه إلى الأقطار لنشر الطريقة الخالدية فيها ، فبعث عبدالرحمن العقري<sup>(٤)</sup>

(١) كان آل الكزبري قد تصدروا لتدريس البخاري تحت قبة النسر في الجامع الأموي منذ ١٧٩٥م ، حينما تولّى هذه الوظيفة محمد بن عبدالرحمن الكزبري (١٧٢٧-١٨٠٦م) . ينظر: ليندا شاتكوفسكي شيلشر ، دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر ، ترجمة : عمر الملاح ودنيا الملاح ، ط ١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ص ٢٤٤ .

(٢) محمد أديب آل تقي الدين الحصني ، منتخبات التواريخ لدمشق ، ط ١ ، منشورات : دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ج ٤ ، ص ٦٥٢ .

(٣) السلیمانيّة : مركز محافظة السلیمانيّة في العراق ، تبعد عن بغداد حوالي ٣٧٠ كم شمالاً ، وضع حجرها الأساسي الأمير الباباني إبراهيم باشا عام ، (١١١٩هـ/ ١٧٨٤م) كانت تدعى ولاية بابان في بعض العهود العثمانية ، كما دعت ولاية شهرزور في الفترة الأخيرة . جمال بابان ، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ، ط ١ ، بغداد ، مط : الأجيال ، ١٩٨٩م ، ج ١ ، ص : ١٥٤-١٥٥ .

(٤) الشيخ عبدالرحمن الكردي النقشبندي العقراوي نشأ المترجم له في بيت الطاعة والعبادة ، أقبل بكليته على الله سبحانه وتعالى ، أحسنت سيرته ، ولازم خالد النقشبندي وكان معه في سفره إلى الهند وبغداد والشام والحجاز ، أذن له خالد بالإرشاد وجعله خليفة مطلق الخلافة ، فقصدته المريدون وانتفع به الناس ، فأرشد وأفاد وأجاد ، توفي عام : (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) في الشام . ينظر : حسين حسن كريم ، اجازات مولانا خالد النقشبندي العلمية والتصوفية ، ط ١ ، مط : آراس ، أربيل ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٣٠ .

إلى دمشق في البداية ، ليستطلع فيما إذا كان بمقدوره الذهاب إلى هناك ؛ ولمعرفة إمكانية نقل مكان إقامته إلى تلك المدينة ، ثم وبعد مدة وجيزة أرسل مبعوثاً ثانٍ إليها هو الشيخ أحمد الخطيب الأربلي (ت : ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)<sup>(١)</sup> ليهيئ أمامه الأرضية لقدمه إلى دمشق .

فلما وصل الأربلي إلى دمشق ، رأى إقبال الناس على الطريقة -لا سيّما- الشيخ حسين أفندي المرادي (مفتي دمشق) ، وقد طلب أناس من الشام من الأربلي أن يفتح مرشده ويقترح عليه الهجرة إليهم ، ليتعرفوا إليه ويعرفوا طريقته عن كثب ، فبعث الأربلي رسالة إلى مرشده ، فحبّب فيها إليه الشام وأهلها . وقد كان مولانا خالد يحسّ يومئذٍ بالضجر والملل من إقامته في بغداد وذلك لما يأتي :

١- إنّ والي بغداد -داود باشا (ت : ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م)- بدأ يحدث بدءاً وضرائب ورسومًا بغير حق .

٢- كثرة البدع والمخالفات الشرعية في بغداد في تلك المدة .

٣- رغبة مولانا خالد في أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) مرة أخرى في عمره .

٤- الإحساس بتغيير موقف داود باشا ، ودعمه لمولانا خالد ، ولربما كان ذلك نتيجة توجيه من الباب العالي ، ويبدو للباحثين أن موقف داود باشا (١٢٣٣-١٢٤٧هـ / ١٨١٧-١٨٣١م) من مولانا خالد والطريقة الصوفية كان تحكمه المواقف السياسية فهو بعض الأحيان معه ، وبعض الأحيان يصرف وجهه عنه . وبحسب ما كتبه مؤرخ عراقي هو سليمان فائق (ت :

---

(١) السيد أحمد الخطيب الأربلي ، كان عالماً رفيع القدر ، حسن الذكر ، خطيباً جديراً بليغاً ، نفع الناس بعلمه وإرشاده ، أجازه خالد النقشبندي وجعله أحد نوابه ، فأرشد وأفاد ، ومضى على آداب طريقته مجتهداً صادقاً . ينظر : حسين حسن كريم ، إجازات مولانا خالد النقشبندي العلمية والتصوفية ، ص : ٢٢٥ .

١٢٥٤هـ/١٨٣٨م) الذي كان والده كتنخدا عند داوود باشا- أن هذا الأخير كان قد تعلّم العلوم الإسلامية في بغداد؛ ولهذا فإنه كان يميل إلى تفضيلها، ولم يكن لديه ميل للطرق الصوفية. فما كان يقدم الدعم لشيخو الصوفية ولزواياها من اعتقاد بهم، وكان مولانا خالد على معرفة بموقف داود باشا وانصرافه عنه ولذلك لم يطلب منه أي مساعدة<sup>(١)</sup>.

٥- رغبة الشيخ خالد في نشر الطريقة في مناطق أخرى من الأراضي العثمانية، وكانت بغداد لا توفّر له إلا مساحة محدودة، أما دمشق فإنها توفّر له بفضل موقعها الجغرافي إمكانات أوسع لنشر طريقته<sup>(٢)</sup>.

هذا ويمكننا القول إن هذه المرحلة من تاريخ الدولة العثمانية في العراق، هي مرحلة تفاقم النفوذ البريطاني في العراق عام: (١٢١٣هـ/١٧٩٨م)، حين سمح الوالي سليمان باشا بتعيين ممثل بريطاني دائم في العراق، وكان آخر حاكم مملوكي في العراق- داود باشا- قد أتجه بصورة متزايدة نحو أوروبا من أجل الحصول على السلاح والخبراء، لتدريب قواته العسكرية، وعمل جاهداً في تحسين المواصلات وتطوير التجارة، إلا أن الظروف السياسية لم تكن في صالحه فقد واجهته مشكلات كبيرة لعلّ من أبرزها التمردات العشائرية، وتزايد النفوذ البريطاني في العراق، كما واجه تدخلاً من إيران في العراق بين سني: (١٢٣٦-١٢٣٨هـ/١٨٢٠-١٨٢٢م)<sup>(٣)</sup>، يضاف إلى ما تقدم أن السلطان العثماني محمود الثاني: (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م) كان مصمماً على تقليص حكم المقاطعات وتقوية حكم السلطة المركزية لدولته مما أثر فيما

(١) بطرس أبو منه، دراسات حول مولانا خالد والخالدية، ط١، مط: أراس، أبريل، ٢٠٠٩م، ص ١١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٠-١١١.

(٣) إبراهيم خليل أحمد، تأريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٦م) مط، جامعة

الموصل، ص ٩٤.

بعد في سقوط داود باشا عام : (١٢٤٧هـ / ١٨٣١م) <sup>(١)</sup> .  
كلّ ما مرّ ذكره دفع الشيخ خالد إلى أن ينشر صدره لشرح - السيد أحمد الأربلي - وتلبية طلب أهل الشام بالهجرة إليهم <sup>(٢)</sup> ، فضلاً عن أنه كان يهدف من وراء هجرته الشامية إرسال دعائه إلى البلاد العربية ، فكانت دمشق بوابة نشر الطريقة خارج العراق ، ولموقع دمشق على على اعتبار أنها آخر مستوطنة مدنية على طريق الحج إلى مكة ، أهمية بالغة في الجغرافيا السياسية العثمانية ، وذلك لأن الدولة العثمانية إذا أرادت أن تظل الوريث الشرعي ، وذلك لضمان سلامة الحج ونجاحه <sup>(٣)</sup> ، هذا ولا بدّ من الإشارة إلى أن أعوام : (١٢٢٧-١٢٤٧هـ / ١٨١٢-١٨٣١م) من تأريخ دمشق يكتنفها الغموض والاضطراب ؛ إذ تنافست فيها مجموعة من القوى الداخلية والخارجية من غير أن تفلح أية عصابة ، أو تحالف معين من هذه القوى في إرساء حكمه <sup>(٤)</sup> ، فنظرة سريعة إلى دمشق في هذه الحقبة تظهر أن سكانها كانوا يشعرون بعدم الأمان على حياتهم وشرفهم وممتلكاتهم ، وهو شعور ربّما كان أقوى بين الشرائح العليا في المجتمع ، وأن كتب السير والتاريخ الخاصة بتلك الحقبة تعطي أمثلة عديدة تشير إلى نمو الاستبداد ، وضعف سكانها في الدفاع عن أنفسهم ضد أعمال العنف من جانب الحكام ورجالهم . وفوق كل شيء وعلى أية حال كانت

(١) جريدة المؤتمر ، لمحات من تأريخ الاحتلال العثماني للعراق ، العدد ١٩٨٣م في : ٢٠١٤/٦/٥م مستقاة من الموقع الإلكتروني [www.almutmar.com/index.php?id201117233](http://www.almutmar.com/index.php?id201117233) تاريخ الزيارة : ٢٠١٦/٩/٢٩م .

(٢) جواد فقهي علي : الشيخ خالد النقشبندي ومنهجه في التصوف . أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ١٩٩٧م ، ص ٨٣ .

(٣) شيلشر ، دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر ، ص ٣٩-٤٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٥٣ .

دمشق تشعر بأنها مهددة من الخارج كما لم يحصل أبداً قبل ذلك طيلة العهد العثماني<sup>(١)</sup>، والظروف هذه كانت ظروفاً مناسبة مهدت أرضية خصبة للترحيب بالشيخ خالد، فمن المؤكد أن حركة دينية تعمل على تقوية المعتقدات السلفية للمسلمين، وتؤكد على تطبيق صارم للشريعة تلقى استجابة مؤيدة بين سكان المدينة لاسيما بين الطبقات العليا<sup>(٢)</sup>.

وافق خالد على دعوة مبعوثة الأربلي، فخرج من مدينة السلام بغداد صيف عام: (١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م)، صوب الشام عن طريق دير الزور<sup>(٣)</sup>، وتبعه أفواج من الناس لتوديعه، فودّعوه، وسار ومعه جمعٌ من أصفياؤه، فقد صحبه العلامة عبدالله أفندي النهري (مفتي بغداد السابق) والعالم المبرز الشيخ إسماعيل الأناراني (ت: ١٢٤٢هـ / ١٨٢٥م)، والشيخ عبدالقادر الديملاني (ت: ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م)، والعلامة إسماعيل البرزنجي الكونة كوتري (ت: ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، والشيخ عبدالله الهيراني وآخرون<sup>(٤)</sup>.

(١) أبو منه، دراسات حول مولانا خالد والخالدية، ص ٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٦.

(٣) انفرد السيدان محمد الخال وملا عبدالكريم المدرس بالقول بأن مولانا ذهب إلى بلاد الشام عن طريق هورامان بينما المصادر الأخرى مصرحة بأنه ذهب إلى بلاد الشام عن طريق بغداد - ديرزور - مباشرة. ينظر: محمد خال: الشيخ معروف النودهي، ط ١، مط، التمدن، بغداد، ١٩٦١م، ص ٤٢. وعبدالكريم المدرس، يادي مه ردان تذكارة الرجال، مط المجمع العلمي الكردي، بغداد، ١٩٩٧م، ص ٤٣.

(٤) علي عبدالله وحبيب محمد درويش، مه ولانا خالد موسافره بي نيشتمانه كه، مولانا خالد المسافر الذي لا يملك وطنًا، ط ١، السليمانية، العراق، ٢٠١٢م، ص ٣٣٩.

وقد أقام مقامه في بغداد والسليمانية وطويلة<sup>(١)</sup> خلفاءه الأماجد<sup>(٢)</sup> .  
وقد كان جمعٌ غفير من العلماء والأدباء والأشراف والأمراء في استقباله  
محتفين به . معززًا ، مكرمًا ، كما تغنى الشعراء بمقدمه ، ونظموا قصائد في  
مدحه والترحيب به ، ومن أجمل ما نظم في هذا الباب ، ما نظمّه الشاعر  
محمد الجملي الخلوتي الدمشقي<sup>(٣)</sup> مؤرخًا وصوله إلى دمشق فمما قاله :

أضحت دمشق بهجة وسرورًا  
والنور والإشراق منها صاعد  
إن قيل من قطب الورى أرخ بقى  
قطب الورى ياسائل هو خالد<sup>(٤)</sup>

وصل موكب النقشبندي خالد الحافل دمشق ، ومعه جمعٌ من الأفاضل من  
نوابه الذين بلغ عددهم (١٤) نائبًا - كما ذكر- ونزل في خلوة السادة الغزيين  
الواقعة في جامع بني أمية ، فلم يأل جهدًا في القيام بخدمته ، وقد زوجه السيد  
إسماعيل بن عبدالغني الغزي (١٢٠٧-١٢٤٧هـ / ١٧٩١-١٨٣١م) شقيقته  
(عائشة بنت عبدالغني) (ت : ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م) .

(١) طويلة ، قرية كبيرة تابعة لناحية بيارة في محافظة حلبجة في العراق ، تبعد عنها ٤٥ كم وهي من أهم  
قرى هورامان وأشهرها ، تقع على الحدود الإيرانية- العراقية ، القرية مشهورة بشيوخها النقشبندية ،  
جمال بابان ، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ، ج ١ ، ص : ١٩٦-١٩٧ .

(٢) فقد أقام مقامه في بغداد الشيخ محمد الجديد وموسى الجبوري والسيد عبدالغفور ، وفي السليمانية  
أخاه السيد محمود صاحب ، وفي طويلة الشيخ عثمان سراج الدين الطويلي (١١٩٥-١٢٨٣هـ) .  
ينظر : حاشية محمد أسعد على الحديقة الندية ، الناشر مطبعة العلمية ، مصر ، ١٣١٣هـ / ١٨١٥م ،  
ص ٤٦ .

(٣) ينظر قصيدته في : يس إبراهيم السنهوري ، الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ، مط :  
السعادة ، مصر ، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ، ص ٣٤٤-٣٤٥ .

(٤) محمد أديب آل تقي الدين الحصني ، منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ٢ ، ص ٦٥٤ .

بعد استقرار خالد في دمشق زاره الناس من مختلف الشرائح والطبقات وأصبح محل تقدير علماء دمشق ، لا سيّما علماء الحديث في بلاد الشام منهم الشيخ عبدالرحمن الكزبري (١٧٧٠م-١٨٤٥م) ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ حسن البيطار (١٧٩١-١٨٥٥م) ، والشيخ عبدالغني السادات ، والشيخ حسن الشطي (١) .

وتذكر لنا شيلشر بأنه وأثناء تولّي حسين علي المرادي (ت: ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م) إفتاء دمشق ، دعى مولانا خالد النقشبندي للإقامة في دمشق ، وقد سلّم آل المرادي أمور الطريقة إليه فلم يعودوا شيوخها ، بل صاروا دعاة لها (٢) . وقد كان قرار مولانا خالد بالهجرة إلى بلاد الشام ، قراراً صائباً من جانبه ؛ لأن الظروف السياسية والاجتماعية في دمشق كانت مناسبة لنشر تعاليم الطريقة (٣) ، ولأن دمشق كانت على طريق قوافل الحجيج - كما - كانت أقرب إلى إسطنبول ومكة من بغداد ، فكان يستطيع الإشراف على نشر الطريقة في دمشق على نحو أفضل (٤) .

فالهجرة انتشلت خالد من إطار المحلية ودفعته نحو آفاق شبه عالمية ، وفي

(١) علي عبدالله وحبيب محمد درويش ، مه ولانا خالد موسافره بي نيشتمانه كه ، مولانا خالد المسافر الذي لا يملك وطناً ، ص ٣٣٩-٣٤٠ هذا وهناك رأي يرى بأن علماء المدينة الكبار كانوا لأول وهلة حذرين منه ، وقد قامت مجموعة تتألف من اثني عشر عالماً يترأسهم عالمان كبيران وهما : عبدالرحمن الكزبري (١٧٧٠-١٨٤٥م) وعبدالرحمن الطيبي بدعوته وناقشوا معه قضايا حول علوم متنوعة لكي يعرفوا مرامه ومقصده .

(٢) شيلشر ، دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر ، ص ١٩٦ ، أبو منه ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١١١ .

(٣) أبو منه ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ٤٤ .

(٤) مجموعة مؤلفين ، ريبازي سوفي كروي نقشبندي خالدي ، الطريقة الصوفية النقشبندية الخالدية ،

ترجمة : ه ل كه وت حكيم ، ط ١ ، أربيل ٢٠٠٩ ، مط : آراس ، ج ١ ، ص ١٢ .



الهجرة أحياناً نوع من التعاقب وتكاثر الفضاءات وتعدادها<sup>(١)</sup>. فهو بهجرته هذه حولت الخالدية من حركة لمجموعة محلية عراقية إلى حركة لعموم الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup>.

### حياة مولانا خالد في دمشق؛

يبدو من الرسائل التي أرسلها خالد من دمشق إلى نوابه في بغداد ، أنه في بداية وصوله دمشق ، مال إلى الانزواء بعض الوقت ، فكان يفضل أن يظل بعيداً عن المجموعة الدينية في دمشق ، ويبدو على الأقل في البداية أنه شعر بالإحباط بعض الشيء ولم يعجبه المكان<sup>(٣)</sup>. وقد كان نائبه السيد أحمد يقوم بمهام الإرشاد على خير ما يرام ، إلا أن تجمع الناس لزيارته وإقبالهم عليه وهروغهم إلى خدمته ، متبركين بزيارته أمراءً وحكاما ، وخاصة الناس وعامتهم ، كل ذلك دفعه إلى البدء بالإرشاد وتربية المريدين ، وإحياء المساجد في دمشق الشام بالذكر والأوراد ، وإقامة الصلوات ، وختم الخواجكان ، فما مضى وقت قصير على إقامته في الشام إلا وقد أصبح نافذ الكلمة فيها ، بلا نقض ولا إبرام ، يتبادل المكاتبات مع أعيان الدولة وإمراء عامة الأقطار المعمورة ، كما بدأ بتدريس العلوم الإسلامية في جملة كتب عويصة مجمعاً في تدريسه أقوال مشايخ علماء المذاهب ، مقارنة بينها مقضياً جلّ وقته بالإرشاد والتدريس

(١) علي عبدالله وحبيب محمد درويش ، مه ولانا خالد موسافره بي نيشتمانه كه ، مولانا خالد المسافر الذي لا يملك وطناً ، ص ٤٢٢ .

(٢) أبو منه ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١١ .

والمناظرات العلمية مع علماء دمشق<sup>(١)</sup>، فأخذ عنه العلم أكثر علمائها الأختيار وفحول رجالها الأبرار .

### التحاق أهله به:

بعيد استقراره في دمشق ، وبعد أن طاب له المقام ، أمر بإحضار أهله من بغداد ، فأرسل الشيخ إسماعيل الأنازاني لاستقبالهم في حلب ، فقدمت إليها حرمة ، وأوصلهم الشيخ إسماعيل إلى دمشق ففرح مولانا خالد بوصولهم إليه . ثم اشترى داراً رفيعة في محلة القنوات وتحوّل إليها ، ووقف بعضها مسجداً لإقامة الصلوات فيها ، ومركزاً للطريقة<sup>(٢)</sup> .

### موقف الدمشقيين من مولانا خالد النقشبندي:

أحبّ علماء دمشق مولانا خالد ودخلوا في طريقته ، وفي مقدمتهم علماءؤها ، فصارت رحابه مهبط جباه السائلين ، وأعتابه معترك شفاه السالكين ، ولكن يجب أن لا ننسى حقيقة ، وهي أنه قد خاف بعض مشايخ دمشق من توسع نفوذه ، وتجمع الناس حوله ، فكتبوا إلى السلطان العثماني -محمود خان- يحذرونه منه ومن مردييه ، مما زاد خوف السلطان من تحركاته<sup>(٣)</sup> .  
ويمكننا وصف حياة مولانا خالد في دمشق بأنها كانت موزعة على

(١) منها ما جرى بينه وبين بعض علماء دمشق من مناظرات عن مشكلات من المسائل العلمية فوجدوا الشيخ بحرًا لا ساحل له ، وقالوا إنه من أجل الأئمة الأعلام الجامعين لعلمي الظاهر والباطن ، فلازمه أكثرهم واستفادوا منه في علوم شتى . ينظر محمد أسعد صاحب ، حاشية محمد أسعد صاحب ، ص ٤٨ .

(٢) عبدالمجيد الخاني ، الحدائق الوردية في أجلاء النقشبندية ، مط : السعادة ، القاهرة ، ١٣٠٨هـ ، ص ٢٤٣ .

(٣) السنهوري ، الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ، ص ٤٨ .

الإرشاد ، والتأليف<sup>(١)</sup> ، والتدريس ، فألف في دمشق وأجاد ودرّس فأقرّ للتدريس عيون الفؤاد ، وناظر فأقرت له أنداد وأضداد ، وحدث فجدّد رسوم الإسناد<sup>(٢)</sup> . صار مولانا خالد المشار إليه بين أهلها ، والمعولّ عليه في رفع الملمات وحلّها ، فكان يرّبي السالكين ويجيزهم بالطريقة ويأذن لهم بالعودة إلى البلدان ، لينشروا العلوم الشرعية والطريقة بين أهل أوطانهم ، وكانت الرسائل تتبادل بينه وبين خلفائه في هاتيك الأقطار<sup>(٣)</sup> ، فقد كان يرأسل وباستمرار خلفاءه في بغداد ، ويبدو من الرسائل التي أرسلها إلى بغداد أنه كان يلعب دوراً خفياً في حياة

(١) يذكر أن مولانا خالد النقشبندي قد ترك كتابات شتى في الحديث والعقيدة الإسلامية والفقه والأدب وأداب الطريقة وهو في مؤلفاته بديع الأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ، وأهم مؤلفاته في التصوف والأوراد والأذكار هي : أ- رسالة الرابطة في اصطلاح السادة النقشبندية . ب- جالية الأكدار والسيف البتار في الصلاة على النبي المختار (صلى الله عليه وسلم) . ج- رسالة في آداب الذكر . د- رسالة في تبيان المراقبة وما يتولد منها في الحقائق القدسية على المشرب المجددي . هـ- رسالة في الطريق و- رسالة في آداب المريدي مع شيخه . ز- أبيات من الشعر عن الطريقة . وله الكتب باللغة الفارسية عن التصوف وهي ثلاث رسائل : أ- رسالة في التصوف . ب- مختصر في الطريقة النقشبندية . ج- دعاء لمولانا خالد . فضلاً عما كتبه من أذكار وأوراد وأدعية لمريديه وخلفائه . ينظر : محمد أحمد درنيقة ، الطريقة النقشبندية وأعلامها ، مط : جروس برس ، بدون سنة الطبع ، ص ٨٣ . ومحمد أديب آل تقي الدين الحصني : منتخبات التواريخ لدمشق ، ١ ، منشورات : دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ٢ ، ص ٦٥٤ . عبدالمجيد اخاني ، الحدائق الوردية في أجلاء النقشبندية ، ص ٢٥٧ . يس إبراهيم السنهوري ، الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ، ص ٢٥٥ .

(٢) عثمان بن سند الوائلي ، أصفى الموارد في سلسال مولانا خالد ، مط : العلمية ، مصر ، ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م ، ص ٧٨ .

(٣) عبدالكريم المدرس ، يادي مه ردان (تذكار الرجال) ، مط : المجمع العلمي الكردي ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص ٥٢ .

الناس السياسية بعض الأحيان ، فقد كان له دور في إعادة ولي باشا إلى ولاية سوريا ؛ إذ أرسل مولانا خالد رسالة إلى نجيب باشا طلب منه إعادة الوالي إلى ولايته فلبي نجيب الطلب ، وأمر بإعادة ولي باشا إلى وظيفته . ومن خلال مراجعة الأدبيات التاريخية الخاصة بالقرن التاسع عشر ، يلحظ الباحثان بأن مولانا خالد ونوابه قد نجحوا في إثارة المشاعر الدينية بين سكان دمشق ؛ إذ من الواضح أنّ قطاعاً واسعاً منهم قد تأثر بالتعاليم النقشبندية المجددية ، ويبدو من سيرة مولانا خالد بأنه قد شعر براحة أكبر ، خلافاً لما شاهده في العراق لا سيّما وأن قضيته قد حظيت برعاية الكثير من العلماء والوجهاء في المدينة ، والحقيقة أنه لم يكن هناك حكم محلي في دمشق (كما كان في بغداد والسليمانية) ، يمكن أن يشعر بالغيرة على سلطته في مواجهة تنامي حركة مدفوعة ، بالمثل التي لا يمكن أن تكون له سيطرة عليها ، وعلى أية حال فإن وفاته المبكرة قد كبحت جماح انتشار الطريقة في مدن سورية أخرى ، على الرغم من أنها تركت اتباعاً كثيرين في دمشق ، ويبدو أن الوجهاء الدمشقيين برعايتهم للطريقة قد ازدادوا قوة في المدينة في مواجهة القوى المحلية الأخرى ، وهو أمرٌ ملحوظ في العقود القليلة القادمة ، ولقد كانت لديهم مبررات عديدة لقبول تعاليم مولانا خالد ولكن من غير المؤكد إذا كانوا يتوقعون مثل هذه النتيجة<sup>(١)</sup> .

### زيارته إلى بيت المقدس:

بعد أن أمضى خالد مدة من الوقت في دمشق توجه برّاً إلى القدس لزيارة المسجد الأقصى ، وذلك عام : (١٢٤١هـ / ١٨٢٥م) ، وسار في ركابه سراة ، فضلاء ، لا يحصى عددهم ، فاستقبله فيها أهلها استقبالاً حاراً ، فزار القدس والمسجد الأقصى ، ومدينة الخليل فأحس في تلك الزيارة قلوب أهلها ، وصار لهم أعلى مؤنس ، ثم عاد بموكبه إلى دمشق وحط رحاله فيها بالإعزاز والإكرام<sup>(٢)</sup> .

(١) أبو منه ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ٤٦-٤٧ .

(٢) الخاني ، الحدائق الوردية ، ص ١٤٥-١٤٦ .

## حجه الثاني<sup>(١)</sup> والأخير:

في عام: (١٢٤١هـ / ١٨٢٥م) دفعه الوجد من جديد لزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولأداء مناسك الحج والعمرة، فشد الرحال، وخرج مع ركب الشام وفي خدمته جمع غفير من فضلاء المريدين، ممن أحبّوه وقبلوا طريقته<sup>(٢)</sup>، فوصل الديار المقدسة وأدى المناسك كما ينبغي، وبعد أداء مناسك الحج، ومراسيم الزيارة، رجع عن طريق البر إلى بلاد الشام، فوصلها وقوبل بغاية الإجلال ونهاية الاحتفاء والاحتفال، فدخل دمشق بموكبه محفوفاً بالعلماء والوزراء والأغنياء والفقراء متبركين به وملتمسين دعاءه المستجابة ومباركين له، ومشاركين له في هناته<sup>(٣)</sup>.

عاد إلى ما اعتاد عليه من الإقبال على دفع حوائج المسلمين وإحياء شعائر الدين، وبث علوم الظاهر والباطن وتعميم نفعاته إلى جميع المواطن في سائر الآفاق، فذاع صيته مرة أخرى، وعمم النواحي والبقاع، وأفاد الطالبين، وأرشد المسترشدين حتى غدا قطب الأقطاب في بلاد الشام.

هذا وقد قام خالد بتوزيع مريديه على مساجد دمشق يقيمون فيها الصلوات والأذكار والأوراد، فعلى سبيل المثال: جامع العداس: الشيخ إسماعيل الأناراني، جامع المعلق أو الياغوشية: أحمد خطيب الأربلي، جامع المرادية (جامع السويقة) في جهة الميدان: محمد الخاني، جامع الصاحبة في

---

(١) رحلته الأولى للحج في عام: ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م، من السليمانية إلى الموصل، دياربكر، الرها، حلب، شام، فلسطين، ينظر: عثمان بن سند الوائلي: أصفى الموارد: ص ٤١-٤٢، الخاني: الحدايق الوردية، ص ٢٢٥.

(٢) محمد أسعد صاحب، حاشية محمد أسعد صاحب، ص ٤٩.

(٣) محمد خالد محمد: مولانا خالد النقشبندي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، سنة: ١٤١٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١٤٤.

الصالحية : عبد القادر الديملاني (١) .

### الأيام الأخيرة من حياته في دمشق:

دخل خالد العشر الأخير من شهر رمضان سنة : (١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م) ، فطفق يتذكر مع الإخوان بالذهاب إلى القدس ، وأظهر تمام الاهتمام والأنس ووعدهم بالخروج ، مع ركب الحاج من الشام ففرحوا<sup>(٢)</sup> ، وظهر الطاعون في شهر شوال من السنة نفسها ، فسألوه إنجاز الوعد فقال : ما نحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباً مما تدعون<sup>(٣)</sup> ، وكان يسوق لذلك أحاديثاً وأثاراً وقصصاً عن الأولياء والسلف الصالح في أجر الصابر في بلد الوباء وفضل شهيد الطاعون ويقول في غالب مجالسه : ما خلقنا إلا للموت وكان ينشد : له ملك ينادي كل يوم :

---

(١) الخاني : الحدائق الوردية ، ص : ٣٢٦ . شعبان المزوري ، قيام النظام الإماراتي في كردستان وسقوط الحلقة الرابعة ، مقال منشور على الموقع الإلكتروني : [www.gilgamish.org](http://www.gilgamish.org) تاريخ الزيارة : ٢٠١٦/١٢/١٠ م .

(٢) محمد أسعد صاحب ، حاشية محمد أسعد صاحب ، ص ٤٩ .

(٣) وردت أحاديث كثيرة في ثواب المصابر على الطاعون وجزاء شهيد الطاعون منها قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((الطاعون شهادة لكل مسلم)) ، و((... ثم يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء ، فيقال : انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً ريح المسك فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك)) ينظر : الإمام أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ ، رقم الحديث : ١٢٥١٩ و ١٧٦٥١ ، ج : ٢٩ ، ص : ١٩٨ ، وج : ١٩ ، ص : ٤٩٧ . ومسند إسحق بن راهويه ، أبو يعقوب إسحق بن راهويه ، تحقيق : عبدالغفور بن عبدالحق ، الناشر : مكتبة الإيمان المدينة ، ط ١ ، سنة : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، رقم الحديث : ١٧٠٩ ، ج : ٣ ، ص : ٩٨ .

لِدَوِّا لِلْمَوْتِ وَأَبْنَوْا لِلخِرَابِ

فكلكم يصير إلى ذهاب<sup>(١)</sup>

فما نشب أن طعن ابنه السيد بهاء الدين فقال في رثائه : الحمد لله ربّ العالمين على ما رزقني من الصبر والفرح والسرور ، قدمت هذا الولد أمامي ويكون مغنا طيسنا وسنتبعه كلنا<sup>(٢)</sup> .

فتوفى بهاء الدين ، وظهرت البشاشة على وجه الوالد الحنون ، وطفق يتكلم في فضل الصبر على موت الأولاد<sup>(٣)</sup> ، وجاء رجلٌ فقال له : أدع لي أن لا أصاب بالطاعون ، فرفع مولانا خالد يديه ودعا له بذلك ، فقال له الرجل : ولكم ياسيدي فقال في الردّ عليه : أمّا أنا فاستحي من ربّي أن لا أريد لقاءه .  
ثم قال : ما جئنا إلى الشام إلا لأن نموت في هذه الأرض المباركة ، وإن هذه الشهادة ان تمت فهي السعادة الأبدية<sup>(٤)</sup> .

(١) شمس الدين محمد أحمد السخاوي ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، ط ١ ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٣٢ .  
الجوّجري شمس الدين محمد بن عبدالمعتم : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ت : نواف بن جزاء الحارثي : الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط ١ ، سنة : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .

(٢) الخاني ، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ، ص ٥٢٨ .

(٣) كما ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذا الصدد قوله : (( إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي؟ فيقولون : حمدك واسترجع (قال : إنا لله وإنا إليه راجعون) فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد )) . ينظر : أبو عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شكر ومحمد فؤاد ، مط : مصطفى البابي ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ ، رقم الحديث : (١٠٢١) .

(٤) السنهوري ، الأنوار القدسية في مناب السادة النقشبندية ، ص ٢٤٩ .

ثم أصيب نجله الآخر: عبدالرحمن وبعيد تشيعه أمر بحفر قبره، وعيّن محله ومحلّ قبور زوجاته ومريديه على سفح جبل قاسيون، ثم نزل إلى المدينة، وأحضر نوابه ومحبيه فأشهدهم بأنه قبل سنتين أوقف كتبه في سبيل الله على أن تكون التولية بيد أبنائه الراشدين ثم نوابه، ثم أقاربه شريطة أن يكون المتولّي صالحاً عالماً ثم التولية لسائر المسلمين<sup>(١)</sup>.

### وصيته:

في يوم الثلاثاء الموافق: ١٠ ذي القعدة (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م)، أوصى وصيته وكررها أربع مرات، قال في الأولى والثانية: أوصيت بثلاث مالي وأملاكي وجعلت وصياً على الثلث المذكور الشيخ إسماعيل الأناراني، ثم الشيخ محمد الناصح (ت: ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٥م)، ثم عبدالفتاح العقري.

كما أوصى بأن يبنوا قرب قبره صهريج ماء للخيرات، ويضعوا الشواهد على قبره وقبور أبنائه وأقربائه، وخلفائه من غير تعظيم وألقاب بل يكتب نحو: - هذا قبر الفقير إلى رحمة مولاه الكريم خالد بن أحمد النقشبندي، أو هذا قبر الغريب خالد، وأن يجعلوا ألف قرش منها لإسقاط صلواته<sup>(٢)</sup>. كما أوصى بأن لا يبكي عليه أحد، وأن لا تعدّ شمائله، وأن يصفح عنه كل من يعرفه، وذكر بأنه محتاج إلى الصدقة وقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص، وأن يصلي عليه أحد

(١) ينظر: نص الحجة الوقفية، محمد خالد محمد عبدالله، مولانا خالد النقشبندي، ص ١٤٥-١٤٦.  
وجدير بالذكر أن هذه الكتب بقيت في داره إلى ما بعد وفاة ابنه، نجم الدين، ثم تلاعبت به أولاد الأحفاد الأميين وبيع البعض منها بثمن بخس لعدم وجود من يعرف قيمة تلك الكتب، وبعضها محفوظ في المكتبة الظاهرية، مكتبة الأسد، بدمشق. ينظر: محمد أديب آل تقي الدين الحصني، منتخبات التواريخ لدمشق، ج٢، ص ٦٥٥.

(٢) الخاني، الحدائق الوردية، ص ٣٣-٣٤. محمد أسعد صاحب، بغية الواجد في مكتوبات مولانا

خالد، مط: الترقي، دمشق، سوريا، ١٣٣٤هـ/ ١٩٢٤م، ص ٢٦١.



تلامذته<sup>(١)</sup> ، وأن تكون الناظرة على الحرم جليلته أم المريدين (أم بهاء الدين) لا غير ، وكل ما يتعلق بزوجاته لهنّ ، فلا يعدّ من الثلث المذكور ، وأن لا تدخل امرأة أجنبية للبيت إلا إذا دعت الضرورة ذلك .

ثم قال : أمّا أملاكي في كوردستان فتعطي لأخويّ ، وأوصى بأن يقضى ديونه ، وأن يتعيش الفقراء المخصصون بهذه الطريقة من ماله ، . . . أمّا بحث الإرشاد فلم يذكره إلا بقوله : أني أحب أن لا يخرج نوابي من رأي إسماعيل الأناراني<sup>(٢)</sup> ، وسكت عمن يكون بعده ، كما طلب من متبعي طريقته أن يضحوا الأنعام ويهبوا ثوابها إليه ، وأكد أنه محتاج إلى الصدقة فقال : لا أقول إنني لا أحتاج إلى صدقة أو قراءة آية ، كما قال بعض أسباب السكر والهيام بل أحتاج إلى اهداء الفاتحة وسورة الإخلاص<sup>(٣)</sup> ، وأنهى وصيته بقوله : ((عليكم

(١) كما أوصى بأن يكتب إلى الأطراف والأكناف : أن لا يبكي عليه أحد . ينظر : محمد أديب تقي

الدين الحصني ، منتخبات التواريخ ، ج ٢ ، ص ٦٥٥ .

(٢) هذا على رأي السيد محمد أسعد صاحب ، فيما يرى عبدالكريم المدرس وآخرون بأنه حدد الشيخ

اسماعيل الأناراني خليفة له وعلى أن يكون له حق تخليف غيره بعد وفاته . ينظر : إبراهيم فصيح

الحيدري ، المجد التالذ في مناقب مولانا خالد ، مط : العامرة ، سنة : ١٢٩٢هـ ، ص : ٥٢-٥٣ .

وعبدالكريم المدرس ، يادي مه ردان تذكّار الرجال ، ج ١ ، ص ٥٤-٥٥ .

(٣) ورد في ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من دخل مقبرة وقرأ (قل هو الله أحد)

إحدى عشرة مرة وأهدى ثوابها لهم ، كتب الله له من الحسنات بعدد من دفن فيها)) كما قال :

((اقرأوا يس على موتاكم)) . ينظر : أبو داود سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد

محيي الدين عبدالحميد ، الناشر : دار الفكر ، بدون سنة الطبع ، رقم الحديث : ٣١٢٣ ، ج ٣ ،

ص ١٦٠ . وأبو محمد الحسن بن محمد ، فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها من ثواب ، تحقيق :

محمد بن رزق ، الناشر : مكتبة لينة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، ج ١ ، ص : ١٠١ ، رقم الحديث :

جميعاً بالإتحاد والاتفاق ، وترك الوجود والنفاق ، واعملوا عملاً تقرّ عيناى بكم  
في قبري))<sup>(١)</sup> .

ثم زاره العلامة محمد أمين بن عابدين الدمشقي (١١٩٨-  
١٢٥٢هـ/١٧٨٤-١٨٣٦م) وقصّ عليه ما رآه في منامه ؛ إذ إنه رأى ان سيدنا  
عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قد توفى واجتمع الناس للصلاة عليه ، وصلى  
عليه مع الناس فقال مولانا خالد : هو أنني أموت وأنت تصلي علي ، وأنا من  
أولاد سيدنا عثمان (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup> ، كما زاره مفتي الشام السيد حسين  
أفندي المرادي (ت : ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م) ، مع جماعة من الأجلاء وعزّوه بوفاة  
ولديه . وطفق يتحدث إليهم كأنه هو المعزي والمسلّي لهم كما تحدث عن فضل  
شهيد الطاعون<sup>(٣)</sup> .

### وفاته:

في ليلة الأربعاء وبعد صلاة العشاء ، دخل غرفة زوجته فجمعهن  
وأوصاهنّ كما برأ الذمة من كل حق عليه لهنّ ، وأكد أن لا يتفرقن عن  
بعضهن ، وأن يبقين في الدار ما دمن على قيد الحياة ، وأن يشتغلن بحفظ القرآن  
وأذكار الطريقة وقال لهنّ : لا بد من موتي وأظنّه ليلة الجمعة ولولا المخافة من  
قول الناس بأني أريد إظهار الكرامة لكنت أدور على أحبابي وأصحابي  
وأودعهم ، ولا زال يوصيهن إلى نصف الليل ثم قام وتوضأ وصلى ركعات ، وقال  
لهنّ : إنني الآن طعنت ، وكان الوقت الساعة الخامسة من ليلة الأربعاء ، فلا  
يدخل علي أحد ، ثم اضطجع على هيئة السنة متوجّهاً القبلة لا يسمع منه تأوه

(١) السنهوري ، الأنوار القدسية ، ص ٢٤٩-٢٥٠ . ومحمد أسعد صاحب ، بغية الواجد ، ص : ٢٦١-

(٢) محمد خالد : مولانا خالد النقشبندي ، ص ١٤٧ .

(٣) محمد أسعد صاحب ، حاشية محمد أسعد صاحب ، ص ٥٥ .

ولا توجّع ولا أنين ، وأقبل على الله ذاكراً وقد استمر على هذه الحالة ، حتى حان وقت صلاة المغرب ليوم الخميس ١٢ ذي القعدة سنة : (١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م) فشرع المؤذن يؤذن المغرب وهو يردد بعده الأذان ، ثم فتح عينيه وقال : (الله حق ، الله حق) ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ (١) .

فأجاب داعي مولاه الكريم واتصلت روحه بعالم القدس ، وصارت في مقعد صدق عند ملك مقتدر ، فلحق بالرفيق الأعلى ليلة الجمعة ١٣ ذي القعدة (٢) سنة : (١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م) (٣) فلبت روحه الذكية الشريفة الطاهرة الأمر الإلهي

(١) سورة الفجر ، رقم الآية : ٢٧-٢٨ .

(٢) كتب البعض بأنه توفي في ١٤ ذي القعدة والصحيح أنه توفي في ١٣ ذي القعدة الموافق ١٨٢٦م . ينظر : عباس العزاوي ، مولانا خالد النقشبندي ، مقال منشور في مجلة المجمع العلمي الكردي ، السنة : ١٩٧٣م ، ص ٧٠٣ . وعبدالرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق : محمد بهجت البيطار ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، سنة : ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م ، ص ٥٨٦ . ومحمد أديب آل تقي ، منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ٢ ، ص ٦٥٤ ، ومحمد خالد عبدالله ، مولانا خالد النقشبندي ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٣) منذر الموصلي ، عرب وأكراد ، ص ٢٧٢ . هذا وقد انفرد السادة عباس العزاوي - في كتبه التي تحدث فيها عن مولانا خالد ، و خليل مردم - في أعيان القرن الثالث عشر ، ومحمود العبطة - في القافلة بالقول : بأن مولانا خالد توفي عام ١٨١٧م حسب الرأي الأول ، وسنة : (١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م) على الرأي الثاني ، أو (١٨٦٢م) على الرأي الثالث ، والصحيح ما أوردناه فيما سبق . ينظر : عباس العزاوي ، تأريخ الأدب العربي في العراق ، مط : المجمع العلمي العراقي ، سنة : ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ج ٢ ، ص ٤٧ . وعباس العزاوي ، تأريخ العراق بين الإحتلالين ، مط : شركة التجارة ، بغداد - العراق ، سنة : ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ج ٦ ، ص ٢٦٨ . عباس العزاوي ، مولانا خالد النقشبندي ، ج ١ ، ص ٧٠٣ . ومحمود العبطة ، القافلة ، مط : الأسواق التجارية ، بغداد ، العراق ، ١٩٥٩م ، ص ٥١ .

واتصلت بعالم القدس في غاية العز والشرف والأنس ، وانتقلت من عالم الفناء إلى عالم البقاء .

### تشيبه:

حمل في ليلته إلى مدرسته فغسل ، وكفن فأحييت تلك الليلة بقراءة القرآن ، فلما أسفر النهار حمل إلى جامع بليغا ، وصلى عليه الجموع المحتشدة بإمامة الشيخ عبدالرحمن الكزبري ، ثم صلى عليه الشيخ محمد أمين بن عابدين في تل النور الكائن على سفح جبل قاسيون ولقنه الشيخ أبوبكر (ت : ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م)<sup>(١)</sup> ، فتوفى مولانا خالد بعد أن جمع الله له شهادات متعددة : الطاعون ، الغربة عن الديار ، طلب العلم ، وهكذا تكون نهاية أعمال الصالحين الذين ينظرون إلى الدنيا بأنها دار فانية ، وأنها محطة ولا بد من الرحيل إلى دار البقاء ، فقراءة سيرتهم واشتغالهم بالعلم والأدب والدين ، تجعل القارئ ينهر أمام انسان عاش زاهداً ، عابداً ، سابحاً بذكر الله أثناء الليل وأطراف النهار ولا يزال أريج وعبق غبار عبادتهم وزهدهم تملأ الدنيا إلى أبد الآبدين<sup>(٢)</sup> .

### صدي وفاته:

جزع لموت خالد النقشبندي كثير من المسلمين في أماكن عدة<sup>(٣)</sup> ، وذاب لفراقه قلب كل مقيم وغريب ، وضجت دمشق بالبكاء والنحيب ، ولم تر مؤمناً

(١) عبدالرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ص ٣٩ . ومحمد أسعد صاحب ،

حاشية محمد أسعد صاحب ، ص ٥٩ .

(٢) عبدالرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ص : ٥٨٦ . ومحمد عبدالله الخاني ،

البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ، ص ٩٧ .

(٣) محسن عبدالحميد ، الألو سي مفسراً ، ط ١ ، مط : المعارف ، بغداد ، العراق ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ،

إلاً وهو متأوه ، حزين ، وبوصول خبر وفاته إلى بغداد اضطرب الأهالي ، وتألوا وشرع المریدون والعلماء وأكابر الناس وأصاغرهم في الصلاة عليه (صلاة الغائب) خارج البلدة<sup>(١)</sup> ، وأقاموا مجالس العزاء بوفاته لا سيّما في مركز مدينة بغداد والسليمانية ، وكان أعظم الناس مصاباً به النواب المرشدون ، ثم الفقراء المریدون ، والعلماء العاملون .

وقد انتدب لندبه عشرات من الأدباء والعلماء في عصره ، ومن أجلهم الشيخ محمد أمين بن عابدين الذي يقول في رثائه له :

أي ركن من الشريعة مالا  
فرأينا قد أمال الجبالا  
هو قطب عليه دارت رحى العر  
فان وهو الفريد قالاً وجالا  
هو شيخ السلوك من نال هديا  
من سناه فقد تزكى فعالا  
وبه ازدان ديننا وطريق الن  
قشبندي زاد منه جمالا<sup>(٢)</sup>

### علاقة خالد النقشبندي بالدولة العثمانية:

بدءاً لا بدّ من الإشارة إلى أنه قد وصل أول نواب خالد النقشبندي ويدعى محمد صالح إلى إسطنبول في السنة الأخيرة من إقامته في السليمانية في

(١) محمد أسعد صاحب ، حاشية محمد أسعد صاحب ، ص ٥٨ . وإبراهيم فصيح الحيدري ، المجد الثالث ، ص ٤٩ .

(٢) محمد أحمد درنيقة ، الطريقة النقشبندية وأعلامها ، مط : جروس برس ، بدون سنة الطبع ، ص ٨٣ .  
ومحمد أسعد صاحب ، حاشية محمد أسعد صاحب ، ص ٦٥ - ٦٦ .

حدود سنة : (١٢٣٥هـ / ١٨١٩ - ١٨٢٠م) ، وكانت الطبقة العليا في تلك المدينة قد تعرفت على تعاليم النقشبندية المحددية ، منذ بضعة أجيال لا سيّما في عهد السلطان سليم الثالث (١٢٠٣ - ١٢٢١هـ / ١٧٨٩ - ١٨٠٦م) ، وكانت الظروف التي تمرّ بها إسطنبول في تلك المدة الفترة هي ظروف مصحوبة بالاستياء والخوف الذي أثارته الثورة اليونانية ، ربما أسهم ذلك الأمر في سرعة نجاح الطريقة في إسطنبول الذي صادف مع وجود نائبه عبدالوهاب السوسي ، ويبدو مما كتبه سليمان فائق : (ت : ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م) - وهو شاهد عيان للأحداث - ويصرّح بأن العديد من مبعوثي مولانا خالد قد وصلوا إلى إسطنبول منذ سنة : (١٢٣٥هـ / ١٨١٩ - ١٨٢٠م) وإلى سنة : (١٢٤٢هـ / ١٨٢٦ - ١٨٢٧م) ، وبأن كثير من الناس من ذوي المناصب العليا والثروة الجيدة من بين الوجهاء والعلماء في عصره قد انضموا إلى الخالدية ، والواقع أن ما هياً المناخ لنمو الطريقة الخالدية وانتشارها داخل الأراضي العثمانية هو الظرف الاجتماعي والسياسي قبل أي شيء آخر ، وعلى أي حال فإن الحضور القوي والمتزايد للقوى الأوروبية وتدخلاتها في الشؤون العثمانية أسهم في انتشار الطريقة<sup>(١)</sup> ، هذا ويبدو مما كتب في هذه المرحلة أن الخالدية في إسطنبول قد انتشرت بشكل خاص بين الشافعيين من مناطق الأناضول الشرقية ، وهذا يعني انتشارها بين المهاجرين الكورد إلى إسطنبول ، فضلاً عن انتساب علماء بارزين مثل مكّي زاده مصطفى عاصم (ت : ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م) الذي كان قد أصبح في منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر شيخ الإسلام لمرتين ، وظل يعمل لأربع عشرة سنة دون انقطاع (١٢٤٨ - ١٢٦٢هـ / ١٨٣٣ - ١٨٤٦م) وهو منحدر من عائلة نقشبندية - إذ كان والده وزوج أمه كلاهما من أتباع الطريقة الجاديين ممن كرّسوا حياتهم للطريقة ، وكان كثير المراسلة مع خالد كما كان يبعث بالهدايا له ، وقد كتب له مولانا خالد في إحدى رسائله جواباً له ، وقد شكره على اهتمامه بترقية الطريقة

(١) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص : ٨٩ .

في إسطنبول<sup>(١)</sup>، ومن الأشخاص أيضاً- كيججي زاده عزت ملا (الذي كان قاضي إسطنبول وشاعراً مشهوراً؛ إذ كتب قصيدة طويلة يمدح فيها خالداً والخالدية، وفيها أعلن انتسابه للطريقة<sup>(٢)</sup>)، كذلك الحال بالنسبة لعدد من «البيروقراطيين» مثل كورجو نجيب، أو موسى صفوتي الذين عرفوا بكونهم من أتباع الخالدية<sup>(٣)</sup>، وخسرو باشا الذي كان قد عمل في مواقع عسكرية ومدنية علياً وظلّ لمدة مديدة الذراع الأمين للسلطان محمد<sup>(٤)</sup>.

وفضلاً عن أن خالداً قد سار سير السلف الصالح، فقد اختار العزلة في خضم الصراعات المذهبية والخلافات السياسية التي كانت تدور رحاها بين الناس، فقد كان موضع تقدير الناس والأمراء وولاة الأمر؛ لأنه كان صادقاً مع نفسه، منفذاً لأوامر الله ومجنباً نواهيها، كما كان يتجنب التقرب من الولاة والأمراء وأصحاب الجاه، وأرباب الدنيا، فقد اختار لنفسه أن يعيش قنوعاً غير مكترث بالدنيا، فهو وعلى نحو عام يرى أن تقرب أو قرب نوابه ومريديه من أصحاب النفوذ والسلطة من أخطر الأدواء المخالفة للدين والطريقة، ويرى ذلك الداء الخطير من المزالق الكبرى؛ لذا يؤكد في مکتوباته مراراً-أيما تأكيد- ابتعاد أتباعه عن الحكام ويحذرهم من الوقوع في التقرب إليهم مهما كانت الأسباب أو المبررات، وهذه التحذيرات مبنوثة في مكاتيبه<sup>(٥)</sup>، بيد أن ذبوع صيته وكثرة أتباعه وانتشار طريقته بهذه السرعة الفائقة، وبهذه الكيفية العجيبة خلقت له مشاكل كثيرة، ويعدّ موضوع ترصده ومراقبته من قبل عيون السلاطين العثمانيين مشكلة أخرى من مشاكله فكتبوا من الأستانة إلى الوالي-في

(١) أبو منة، دراسات حول مولانا خالد والخالدية، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٠.

(٤) محمد علي القرداغي، مکتوبات الشيخ المجددي مولانا خالد النقشبندي البغدادي الشهرزوري،

ط ١، سنة: ٢٠١٥م، المكتبة الهاشمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٢.

بغداد- داود باشا- رسالة يستوضحونه عن أحوال الشيخ خالد وأطواره وميوله وطلبوا منه التحقيق في أمره ، فقام هو بإجراء التحقيق والسؤال عنه في مختلف الوجوه ، فكانت النتيجة هي : أن الشيخ من العلماء السالكين طريق الإصلاح ، وأنه وبأعماله وتصرفاته يقوم بإحياء سنة سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، فهو مصلح اجتماعي ، وهدم الرغبة في المناصب الحكومية ، والأمر الديني وبعبء كل البعد عن السياسة وأعمال الدولة ، فهو لم يقد بأي عمل يخالف وجهات نظر الدولة العلية ، وكتب الوالي بكل ذلك إلى المقامات العليا في الأستانة وشفع كتابه بتعهد من خالد النقشبندي ، وعلى هذا اطمأن المسؤولون من ناحيته بعض الوقت<sup>(١)</sup> . فالتهامات والشكوك الموجهة ضد خالد ما كانت تحمل أدلة ونصوصاً ، فهي مردودة ويكفيه ما اتفق عليه كثير من المترجمين له على أنه مجدد إسلامي في الحقبة التي عايشها ، فأحدث فيها حركة ثقافية إسلامية خرج فيها آلاف من الطلبة وشيد مئات من التكايا والمكتبات والجامع والمدارس ، ما زال عطاؤها قائماً إلى الآن ، فضلاً على تبني النقشبندية الخالدية مشاريع مقاومة المستعمرين والمحتلين ، وجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قد أفادت منها في تقليل الضغط عليها من قبل اللصوص والقتلة ممن كانوا يقومون بالسطو والنهب ؛ إذ كان المرء لا يستطيع السفر من بلد إلى آخر من غير توفير الحماية العسكرية للقوافل التجارية<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من أن السلطان العثماني في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي كان ضد انتشار الخالدية في إسطنبول ، فقد استطاع الخالديون كسب جمع من المريدين للطريقة بين سنوات : ١٢٣٥-١٢٤١هـ/ ١٨٢٠-١٨٢٦م) ،

(١) سليمان بك لطفي : تأريخ بغداد : ترجمته موسى كاظم نورس ، الناشر : مطبعة المعارف ، بغداد ،

١٩٦٢م ، ص ١٣٢ . وعباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

(٢) علي نجم عيسى ، الجهود العلمية للنقشبندية في شمال العراق ، مقال منشور على الموقع الإلكتروني :

تاريخ الزيارة : ١٠/١٢/٢٠١٦م . [www.alnoor.se/article.asp?id=8170](http://www.alnoor.se/article.asp?id=8170)



وعلى الرغم من أنه قد تم طردهم من العاصمة عام : ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م) لكننا نرى تواجدهم على مرّ القرن التاسع عشر في إسطنبول .

وقد كان في الأستانة من يشي ضد خالد النقشبندي ، ويكتب إلى الدولة ما يكدر به علاقة الشيخ بالسلطنة . فهذا حالت أفندي - أحد المنسويين للبلاط العثماني في عصر السلطان محمود خان يتصدى لخالد بالوشاية زوراً وبهتاناً ، فأراد أن يكدر خاطر السلطان على الشيخ<sup>(١)</sup> ، ولما بلغ خالد ذلك قال : إني حولت أمره إلى قطبه - مولانا جلال الدين الرومي - بجلبه إلى طرفه والعمل بما يليق به ، فحالت أفندي كان يداً من الأيادي العابثة التي كانت تلعب وراء الستار لتكدير صفو الجو ضد خالد في دوائر السلطنة ، كما أن الشيوخ التابعين له في إسطنبول لم ينعموا بالراحة ؛ وذلك لأن نجاحهم السريع والبارز قد أثار كثيراً من المعارضين .

يبدو من المرسوم الصادر سنة : (١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م) ، قلق الدولة العثمانية من ازدياد عدد المنتسبين للطريقة ؛ إذ اتهم المرسوم مبعوثي خالد بالضغط المتواصل لجلب الناس إلى طريقتهم خلافاً لأداب الطرق الصوفية ، وأنهم تحت ستار الإرشاد يعملون في الحقيقة على زيادة الأتباع لجمعيتهم ، ويبدو أن الشيوخ الخالديين كانوا متحمسين أكثر من اللازم في نشر دعوتهم مما أثار غيرة شيوخ الطرق الصوفية الأخرى وغضبهم ، ولم يقتصر الانزعاج من انتشار الخالدية على شيوخ الطرق الصوفية الأخرى ، بل يبدو واضحاً أن السلطان نفسه كانت لديه مخاوف معينة أيضاً ، ولم يكن مرتاحاً بوجه عام من وجود الخالديين في المدينة ؛ لأنهم كانوا عصابة غير معروفة جاءت من مقاطعات مختلفة إلى العاصمة ، فالسلطان محمود الثاني لم يكن راغباً في نشاط عام من نوع ليست له سيطرة عليه ، فقد كان الشك يراوده ، ويبدو أنه كانت هناك مسألتان تثيران إزعاجه في البداية ، أولهما : إغلاق أبواب المساجد خلال حلقات الذكر ، وأثناء

(١) محمد أسعد صاحب ، بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد ، ص ٢٢٠ .

ختم خواجهكان ، ومنع الغرباء من الدخول ، ثانيهما : كان مبعوثو خالد متحمسين أكثر من المعتاد وهم يدعون لطريقتهم ويدخلون المريدين الجدد فيها ، مما أثار حفيظة شيوخ الطرق الأخرى الذين كانوا يلجؤون إلى القوة أحياناً لتفريق تجمعاتهم وحتى إجبارهم على مغادرة المدينة<sup>(١)</sup> .

والواقع أن موقف الدولة العثمانية من الطريقة الخالدية كان مبنياً على أساس النظر إلى نقطتين ، هما :

١- واقع الحركة النقشبندية داخل الإمارة البابانية .

٢- دور الحركة النقشبندية داخل أراضي الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> .

وهذا يدل على أن السلاطين كان همهم الأول الحفاظ على كرسي الحكم ، وهناك مصادر تشير إلى أن السلطان قد غيّر ملابسه في إحدى المرات وجاء متنكراً إلى مكان اجتماع خالدي ليطلع على الأمر بنفسه<sup>(٣)</sup> ، وكانت مراقبة الدولة العثمانية ورصدها لأخباره في ازدياد ، بازدياد أتباعه وذياح صوته أكثر فأكثر ، فخصصت عيوناً لمراقبته في سفره الأخير للحج من بلاد الشام إلى الحجاز ، فكتب المكلف بالمراقبة للسلطان -محمود الثاني- ما يعكّر صفو العلاقة بين خالد والسلطان ، وكشف الله له الأمر ، فجاء أمير الحج متوسلاً إليه ليعفو عنه ، فقبل توسله شريطة أن يكتب بخطه أن ما ذكره في حقه لا أصل له<sup>(٤)</sup> ، كما كتب بعض مشايخ حلب إلى السلطان يحذرونه من قوة شوكته بما حشد

(١) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١٣١ .

(٢) مجموعة مؤلفين ، الطريقة الصوفية النقشبندية الخالدية ، ص ٥٧-٥٨ .

(٣) مجموعة مؤلفين ، الطريقة الصوفية النقشبندية الخالدية ، ص ٦٠ .

(٤) عبدالمجيد محمد الخاني : الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ، ص ٢٤٦ . ويس إبراهيم :

الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ، ص ٢٤٨ .

من العدد والعدة ، وكاد أن يسبق السيف العذل ويبلغ الكتاب الأجل لولا أن ألهم الله السلطان ، فاستشار في ذلك الإمام -مكي زاده- مصطفى عاصم أفندي- (شيخ الإسلام في الأستانة) الذي كان من أتباع خالد المخلصين- فقال له : قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأً فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾<sup>(١)</sup> فأرى أن ترسل لاستكشاف حاله معتمدًا ، وليتلطف ولا يشعرن به أحدًا . فأنفذ إليه رجلين تحليا بحلية درويشين جليلين ، فلما وصلا إليه في دمشق وقد أخفيا الأمر وأظهره الله عليه ، فأحسن إليهما الوفادة وأكرمهما وأعدّ لهما طعامًا وأطلعهما بحجة تأخير الطعام وتسليتهما برؤية داره غرفة ، غرفة ، فلم يجدا فيها سوى أثاث الإقامة ، فكان ذلك كرامة منه ، فقبلا قدميه وأوضحا له الأمر وأخذوا عنه الطريقة ، وأبيا أن يرجعا إلى السلطان ، فقال خالد لهما : بل الأولى أن تعودا فتفيدا حضرة السلطان بما أرسلتما به ، ومن شاء أن يرجع بعد فلا جناح عليه .

فلما رفع الرجلان صحة الأمر إلى السلطان حمد الله عز وجل ، وشكر شيخ الإسلام على ما اقترح عليه ، ثم عاد أحدهما لخدمته وتوفّى بدمشق<sup>(٢)</sup> ، فرجال الدولة المسؤولون كانوا ينظرون إليه باهتمام ويخشون أن تصل به الحال إلى ما وصل بمشايخ الصفوية الذين وصلوا إلى كرسي الحكم في إيران عن طريق التصوف<sup>(٣)</sup> .

وقد أدّى التوجس بالسلطين إلى اتخاذ إجراءات رادعة ضد النقشبنديين ؛ إذ إن عددًا من الموالين للخالدية قد أرسلوا من إسطنبول إلى المنفى في بداية عشرينات القرن الثالث عشر الهجري<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الحجرات ، رقم الآية ٦ .

(٢) السنهوري : الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ، ص ٢٣٤ .

(٣) سليمان بك لظفي : تاريخ بغداد ، ترجمته : موسى كاظم نوري ، ص ٢٣٣ .

(٤) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ٦٠ .

والواقع أن مخاوف السلطان ظلت تراوده حتى بعد وفاة خالد ، فلم يكن السلطان محمود الثاني مرتاحاً لما يقوم به الخالديون ، ففي عام : (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م) (بعد سنتين من وفاة الشيخ النقشبندي) قام السلطان بطرد نوابه ، وأرسل عدداً من قادة الخالدية إلى المنفى بعد ذلك بقليل ، وعلى الرغم من هذه الانتكاسات ، عاد الخالديون إلى ممارسة نشاطهم في المدينة ، وبقيت لهم مكانة الحظوة لدى العديد من أفراد الطبقات العليا هناك ، وبالتالي ، فقد تركت أثراً لا يستهان به في الإجراءات الإصلاحية خلال الحقبة الأولى من التنظيمات (الإصلاح) أو ما كان يطلق عليها تسمية -الإصلاحات الخيرية<sup>(١)</sup> .

على الرغم من كل ما ذكر ، من مراقبة الدولة العثمانية لخالد النقشبندي بمختلف الوسائل والسبل ، كان خالد حريصاً على توطيد العلاقة مع ولاية الأمر ، وكان ينظر إليهم نظرة الرعية لأمر المسلمين ؛ لذلك فهو يدعو لهم بالخير والنصر ، ويحث مريديه ونوابه على أن يدعون لهم بالخير والنصر والحفظ والدوام<sup>(٢)</sup> ، ففي رسالة أرسلها إلى نوابه في إسطنبول يختم الرسالة بالقول : (وهذا الفقير (يقصد نفسه) يأمركم بصالح الدعوات في الصباح والمساء ليداوم تأييد الدولة العلية العثمانية التي عليها مدار الإسلام ونصرتها على أعداء الدين والمرتدين اللثام . . .)<sup>(٣)</sup> ويبدو من رسائله أن خالدًا أعلن عن موقفه الصريح والمؤيد للسلطان العثماني خلال مدة تواجده في دمشق ، وفي الحقيقة فإنه ومن خلال أحد عشر عاماً ما بين عودته من الهند وهجرته إلى دمشق لا نملك دليلاً بأن خالد النقشبندي قد عبّر بطريقة واضحة عن موقفه ازاء السلطة المركزية ،

(١) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١٤ .

(٢) ينظر رسالة رقم ٥٦ من الرسائل العربية : عبدالكريم المدرس - يادي مه ردان (تذكار الرجال) ، ج ٢ ،

ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٣) محمد علي القرداغي ، مكتوبات الشيخ المجددي مولانا خالد النقشبندي البغدادي الشهرزوري ،

ص ٣١٠ .

فلم يتم بتقديم دعم لأي من شيوخ القبائل المحليين ، أو أمير ، أو حاكم<sup>(١)</sup> .  
كان خالد ينظر إلى الدولة العثمانية على أنها المعقل الأخير للإسلام ،  
فكان يدعو أتباعه إلى الصلاة صباح مساء من أجل الدعم الإلهي للدولة  
العثمانية ونصرها على أعداء الدين ، فضلاً عن ذلك تتلمس نداءات لدعم  
السلطان بصفته الحامي للإسلام ، كانت تتكرر دائماً في مراسلاته ، وفي بعض  
الأحيان كان يصاحب ذلك الدعاء الآتي : لترفع على يده -أي السلطان- راية  
شريعة النبي ...<sup>(٢)</sup> ، وتصح على مواقف النقشبندية مقولة : في الشدائد تعرف  
الرجال ، فهم وعند الثورة اليونانية ضد السلطان العثماني أبدوا موقفاً صارماً من  
دعاة الثورة واستغلوا هذه الفرصة لحث جماعة المسلمين -ليس في إسطنبول  
حسب- بأن يلزموا أنفسهم أكثر مما مضى بممارسة واجباتهم الدينية ، فضلاً عن  
ذلك فإنه تم استغلال تلك الفرصة من قبل النقشبنديين الخالديين ؛ من أجل  
حشد الرأي العام المسلم وراء السلطان<sup>(٣)</sup> .

وقد أوصى مجازه الشيخ إبراهيم أفندي الإستمبولي أن يدعو عقب ختم  
الخواجكان بالقول : (واحفظ اللهم مولانا السلطان الأعظم الهمام ، وأيده بجنود  
الغيب وأعنه على حماية بيضة الإسلام وأدام له خلفاً أهلاً من ذريته على مرّ  
الأيام ، اللهم انصر عساكره في البر والبحر ، وأصلح وزراه وأعوانه ، وسفراه  
وأجعله ، وإياهم سبباً لعمران البلاد وراحة العباد وأحي به السنة السنوية الغراء ،  
وارفع بهم منار الشريعة الزهراء وأخذل أعداءه ، فعدوه عدو الإسلام ، ودمر  
المتدعة من سائر المارقين والخوارج اللثام واقطع دابرهم والحق الداب منهم  
بالدارج)<sup>(٤)</sup> . وفي رسالة إلى أحد أتباعه وهو (مكي زاده مصطفى عاصم) أطلق

(١) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١١٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٥ .

(٤) محمد سعد صاحب : بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

خالد تسمية الخليفة الأعظم على السلطان العثماني ، وكتب إلى واحد من أتباعه في إسطنبول : أن واجبنا الصلاة (يقصد به الدعاء هنا) ليلاً ونهاراً من أجل السند والنصر -الإلهي- لخليفتنا السلطان ودمار أعداء الدين من الزنادقة والكفار<sup>(١)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن مراقفه هذه لم تكن مواقف مداهنات يرضى بها السلطان ؛ إذ إن نظرة سريعة على سيرته تكشف لنا حقيقة أنه لم يكن من الحاقدين أو المتأمرين على الخلافة ، بل كان مؤيداً صادقاً ، عاملاً في سبيل بقائها ونهضتها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه كان يحظى بعناية كبيرة من ولاة بغداد ، لا سيما الوالي سعيد باشا (١٢٢٧هـ/١٨١٢م) ، والوالي داود باشا (١٢٣٢هـ/١٨١٧م) ؛ لما رأيا فيه من أخلاق فاضلة وعقيدة صحيحة وتقوى صادقة ، وبعد عن التآمر والتفرقة ، وخير دليل على ذلك أنه عندما كتب الشيخ معروف النودهي (١١٦٦-١٢٥٤هـ/١٧٥٢-١٨٣٨م) -خصمه اللدود- رسالته المشهورة في تلعين خالد ، وأرسلها إلى سعيد باشا في بغداد ، عرض الباشا الرسالة على العلماء في بغداد فاستنكروها ، وقال في معرض تقييمه لها : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وكلف السيد محمد أمين أفندي الطبقجلي السويدي (١١٧٤-١٢٣٢هـ/١٧٦٠-١٨١٦م) أن يكتب في الرد على النودهي كتاباً ، فكتب كتابه -القول الصواب في رد ما سمي بتحرير الخطاب- وأرسله الباشا إلى الشيخ النودهي بمعية أحد الفضلاء ، وزوده بالتعليمات وأوعز إليه أن ينصح الشيخ بلزوم أوامر الشرع وأن يتجنب التعرض لهذا الرجل الصالح<sup>(٢)</sup> .

لقد كان داود باشا أحد تلاميذه وملازميه ، وقد فاز بالقدح المعلى من بركة توجيهاته ، كما حاز بقصب السبق بإخلاصه للطائف العلية ، ولم يأل جهداً في سبيل مرضاته ، ولما بلغه أن الشيخ مدين أمر بوفاء ديونه التي بلغت ثلاثين ألف

(١) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١١٥-١١٦ .

(٢) سليمان بك لطفي ، تاريخ بغداد ، ترجمة ، موسى كاظم نورس ، ص ١٣٢ .

ليرة ذهبية غازية -أذاها عنه دفعةً واحدة<sup>(١)</sup>- فكان هدف خالد من الحياة إرضاء الله وتحقيق مصالح المسلمين ؛ لذا فهو ينصح الأمير والوالي بالخير والسعي لخدمة المسلمين مرضاةً لله تعالى ، وقد طرد أحد نوابه من إسطنبول -المدعو عبدالوهاب السوسي- عندما تقرب من السلطنة لتحقيق مصلحة مادية ودنيوية لنفسه<sup>(٢)</sup> .

فقد حاول عبدالوهاب السوسي تأسيس طريقة فرعية باسمه ، وهي محاولة حظي فيها بتشجيع من كورجو نجيب أفندي على ما يبدو ، وإذا ما قدر لهذه الخطوة أن تنجح فإنها كانت ستؤدي إلى انشقاق الطريقة ، إلا أن خالدًا مدعومًا من قبل مفتي دمشق وعلمائها ، والمخلصين من النقشبندية في الأستانة ، ومنهم-مصطفى عاصم أفندي- قد نجح في كبح محاولة السوسي هذه ، في الحفاظ على وحدة الطريقة ، وإن كان ذلك بشكل مؤقت ، ولكن وعلى الرغم من هذه الإجراءات وغيرها ، فإن الخالدية نجحت في عشرينات القرن التاسع عشر في كسب الكثير من الموالين في إسطنبول<sup>(٣)</sup> .

فقد استطاعت الخالدية السيطرة على مراكز النقشبندية المجددية التي كانت موجودة في إسطنبول قبل هذا التاريخ ، واستطاعت مدّ سيطرتها على الفروع الأخرى وذلك لتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، ولجدارة شيخها الشيخ أحمد ضياء الدين جوموشنافي (Gumushanevi) (ت : ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م) ، فهو كان تركيًّا وعرفت زاويته بالتكية الجوموشنافية ، فاستطاع جمع عدد كثير من المريدين -منهم رجال

---

(١) يوسف عزالدين : داود باشا ونهاية حكم الممالك في العراق ، الناشر : مكتبة البصري ١٣٨٦هـ /

١٩٦٧م ، ص ٣٨ . ومحمد سعد صاحب : بغية الواجد في مكاتبات مولانا خالد ، ص ١٠٨ -

١٠٩ .

(٢) عبدالكريم المدرس ، يادي مه ردان تذكارات الرجال ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ٦٠ - ٦١ .

الدولة- من أصبحوا في حلقة مريديه القريبين منه ، وهو بجدارته دفع السلطان إلى أن يتعاطف معه ويسانده<sup>(١)</sup> .

وجدير بالإشارة أن خالدًا قد صرف شطراً من عمره في سبيل أن تسود العلاقة الطيبة بين البابانيين -حكام السليمانية آنذاك- وبين السلطان العثماني ؛ لأنه كان مقتنعاً بأن من مصلحة البابانيين أن يكونوا مع السلطنة العثمانية للوشائج والروابط الدينية التي تربطهم بها<sup>(٢)</sup> ، وظلّ المدّ والجزر في علاقة الخالدين بالدولة العثمانية باقياً حتى بعد وفاة خالد ، فعندما تمت إزالة حالت أفندي وقبل أن ينتهي ذلك العقد تحوّل السلطان محمود الثاني ضد الخالدية كرةً أخرى ، فبعد أقل من سنة على وفاة خالد وفي عشية الحرب مع روسيا أصدر في نيسان (١٢٤٣هـ/١٨٢٨م) فرماناً إلى والي دمشق ، ورد فيه أن قائم مقام خالد ويدعى عبدالله الهروي -أو الهراتي (ت : ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م)- قد أرسل اثنين من النواب إلى إسطنبول لنشر الطريقة ، ولكن كما حدث في السابق فإن أسلوبهما في تجنيد الأتباع قد أدى إلى الأضرار بالنظام العام ، وخالف رضا السلطان ، ولذا تم إبعادهما إلى سيواس ، وقد أمر الفرمان والي دمشق بطرد الهروي وبقيه الأجنب ؛ أي : من غير الدمشقيين المنتمين للطريقة إلى بغداد أو السليمانية من غير أن يتركوا أحداً منهم وراءهم ، كما صدر الأمر إلى والي بغداد والسليمانية بعدم السماح لأولئك الذين يصلون إلى بغداد بالعودة ، وعدم السماح بإرسال إي نائب إلى إسطنبول ، أو مكان آخر<sup>(٣)</sup> .

والملاحظ على مجريات الأمور في هذه الرحلة هو أن خالدًا أصبح ضحية التوجسات السياسية التي تميزت بها تلك الحقبة ، فالبابانيون كانوا ينظرون إليه

(١) مجموعة مؤلفين ، (الطريقة الصوفية النقشبندية الخالدية) ، ج١ ، ص ١٧ ، ج٢ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) عبدالكريم المدرس ، يادي مه ردان تذكاري الرجال ، ص ٣٥٦ .

(٣) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ٦٦



على أنه من مؤيدي سياسة العثمانيين<sup>(١)</sup> والعامل في سبيل دعم توجهاتهم ، في الوقت نفسه كان العثمانيون ينظرون إليه نظرة توجس وخوف . وبالتمعن في سيرة مولانا خالد ومجريات الأمور في حياته نصل إلى نتيجة مفادها أن دعوة خالد كانت دعوة إلى التسامح والعفو عن أساء إليه ، وإغضاء الطرف عن إساءة المسيئين للطريقة ، وفتح صفحة جديدة في العلاقة مع الخصم ، وقد أثمرت هذه السياسة الحكيمة لمولانا خالد فانتصر على خصومه ، فهو لاستقامته على شريعة الله وحسن أدابه ، وفصائله الجملة ولشهامته نفسه الأبية . ولتواضعه لله ولدينه ، ترك أعداءه جانباً ولم يتخندق لهم في الطرف المقابل ، بل دعا لهم بالرشد والعودة إلى جادة الصواب ، وعفا عنهم ، فكان ديدنه الدعوة إلى الوحدة والوفاق ، ونبذ الخلاف والتشردم<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن توجهات العثمانيين وخوفهم منه لم تذهب إلا بعد وفاته بسنوات كثيرة ، فهذا هو السلطان عبدالحميد وفي سنة : (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)<sup>(٣)</sup> قد أقام ضريحاً كبيراً على قبر خالد في حاضرة قاسيون على شكل مزار تعلوه قبة ، وفيه مسجد للصلاة ، وعدة مقاصر للمريدين المتجردين ومطبخاً ، وبركة عظيمة للماء ، كما عين خادماً وطباخاً لخدمة زوار المزار ، وربما حدث ذلك نتيجة جهود كرجي باشا الذي خدم كحاكم عام في دمشق عام : ١٢٥٦-١٢٥٧هـ / ١٨٤١-١٨٤٢م) ولجهود محمد الخارقي<sup>(٤)</sup> ، ثم

(١) مجموعة مؤلفين ، ريبازي ، الطريقة الصوفية النقشبندية الخالدية ، ص ٥٥ .

(٢) مجموعة باحثين ، بحوث المؤتمر العلمي حول التصوف ، جمع وإعداد : دارا أحمد إبراهيم كويخا

محمد ، ١ ، مط : كارو ، سنة : ٢٠١٤م ، ص ٤٨٧ .

(٣) محمد خال ، الشيخ معروف النودهي ، ١ ، مط : التمدن ، بغداد ، العراق ، سنة : ١٣١٨هـ /

١٩٦١م ، ص ٤٢ .

(٤) أبو منة ، دراسات حول مولانا خالد والخالدية ، ص ١٣١ .

عمر التكية والقبة -نجيب باشا- والي الشام<sup>(١)</sup>، وكانت للنقشبندية دور مبرز في معارضة الحركة الكمالية في تركيا، فقد فتحوا تكاياهم لمعارضة أتاتورك، واحتلوا مناطق واسعة في شرق تركيا؛ إذ هناك حركات قام بها الشيخ سعيد بيران النقشبندي (١٢٨٢-١٣٤٤هـ/ ١٨٦٥-١٩٢٥م)، وسعيد النورسي (١٢٩٠-١٣٧٩هـ/ ١٨٧٣-١٩٦٠م) ضد الحركة الكمالية، فقد أخذت الطريقة أشكالاً متعددة من المعارضة ضد الحركة الكمالية<sup>(٢)</sup>. والنظرة إلى الخريطة السياسية في تركيا الحالية وخلفياتها توصلنا إلى أن للجماعات النقشبندية الخالدية وإلى الآن دوراً في مجريات الأمور السياسية؛ فالطريقة هذه قد شكلت الإسلام السياسي في تركيا، وذلك من خلال حزب العدالة والتنمية، وأصبحت النظرة الخالدية هي النظرة المهيمنة على السياسة في تركيا، ومع نظرة مبالغة بعض الشيء يمكن القول إن حزب العدالة والتنمية وجميع الحكومات التي قادها كانت تنفذ أوامر ونظمًا دينية مستقاة من الطريقة الخالدية<sup>(٣)</sup>.

### أسرة خالد في بلاد الشام:

زوجاته :

تزوج خالد النقشبندي زوجات عدة، عُرف منهن :

(١) منذر الموصللي، عرب وأكراد، ص ٢٧١. ومحمد أديب تقي الدين، منتخبات التواريخ لدمشق،

ج ٢، ص ٦٥٤.

(٢) محمد حمدان: التكايا والزوايا في تركيا، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط ١،

سنة: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ١٦٠-١٦١.

(٣) معهد هودسيون، الطريقة النقشبندية الخالدية والإسلام السياسي في تركيا، مقال: منشور على

الموقع الإلكتروني:

[www.idraksy.net/thenaqshbandi-kalidi-order-andpoliticalislami-in-turkey](http://www.idraksy.net/thenaqshbandi-kalidi-order-andpoliticalislami-in-turkey)

تاريخ الزيارة: ١٠/١٢/٢٠١٦م.

- ١- امرأة من أقاربه - كانت كريمة قريبه يوسف آغا الميكائيلي - توفيت بعد وفاة خالد بمدة وجيزة .
- ٢- امرأة من بغداد تزوج بها بعد وصوله إلى بغداد في سفره الأول إليها ، بعد عودته من الهند سنة : ١٢٢٦هـ / ١٨١١م .
- ٣- امرأة من أهل غزة في فلسطين - تدعى عائشة - وهي شقيقة نائبه السيد إسماعيل الغزي ، وقد تزوج بها بعيد وصوله دمشق قادماً من بغداد سنة : ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م .

### أبناؤه:

- أنجبت زوجته الأولى ثلاثة أبناء هم :
- ١- السيد عبدالرحمن : توفى بالطاعون وهو في عمر السادسة ، وذلك في التاسع من شهر ذي القعدة عام : ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م ، يقدر تأريخ ميلاده بـ ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م ، وهو من مواليد بغداد ومدفون على سفح جبل قاسيون بدمشق . كان متقناً للقرآن الكريم ، واللغات : العربية ، والكردية ، والفارسية .
  - ٢- السيد شهاب الدين : توفى في أورفة - بتركيا أثناء انتقال أسرته من بغداد إلى دمشق ، وكان بصحبة والدته ، وذلك سنة : ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م .
  - ٣- السيد نجم الدين : وهو آخر أبنائه ، كان جنيئاً عندما توفى والده . يذكر أنه وبعد وفاة مولانا خالد ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م أرادت أم نجم الدين السفر إلى السلিমانية في العراق ، فسارت بصحبة الشيخ أحمد الأريبي ، وقد ولد نجم الدين في طريق العودة إلى السلیمانية ، وسمي بهذا الاسم من قبل والدته والشيخ أحمد ؛ إذ لم يشهد خالد ولادته ، فقد توفى (رحمه الله) قبل ولادة نجم الدين (١) .

(١) حسين حسن كرم ، إجازات مولانا خالد العلمية والتصوفية ، ص ٦٩ .

حظيت حرم خالد في السليمانية باحتفاء السيد محمود صاحب (أخي خالد)؛ إذ استقبلها وأعاد إليها ما كان عنده من تركة خالد، ثم عادت أم نجم الدين بعد مدة إلى بلاد الشام مرة بأربيل.

ومن زوجته الفلسطينية رزق مولانا خالد ببنات سماها فاطمة - تيمناً باسم فاطمة الزهراء - ولدت قبل وفاة والدها بسنة، وذلك عام: ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م. إذن، من ورث مجد خالد من ورثته هم: ابنه نجم الدين، وابنته فاطمة مما نتحدث عنهما وعن ذريتهما فيما يأتي:

١- السيد نجم الدين: عاش السيد نجم الدين إلى أن تنبل وتنبه وتكمل، فأخذ الطريقة على يد الشيخ عبدالفتاح العقري، والشيخ محمود صاحب. وتزوج فيما بعد، ورزق ولداً سماه محمد. توفى في الشام عن عمر ناهز ثلاثاً وثلاثين سنة، وذلك عام: ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م<sup>(١)</sup>.

٢- فاطمة بنت خالد: كانت ذكية، عالمة، متفحهة، سارت على نهج والدها في الطريقة الخالدية وقد أفادت من ثقافتها نسوة كثيرة، حفظت القرآن، وتعلمت الشعر، والكتابة، والإنشاء، وتكلمت باللغات: العربية، والكردية، والفارسية، والتركية.

تزوج بها السيد محمد الخاني عام: ١٢٨٠هـ، فولدت له كريمة دعيت بهية، وكان السيد محمد يحترمها ويقدرها كثيراً.

توجهت فاطمة عام: ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م للحج وزيارة مرقد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ففاجأتها المنية وهي في منى، ودفنت بالمعلاة في المملكة العربية السعودية.

### إخوته:

أما بالنسبة لأخوته، فقد كان لمولانا خالد ثلاثة إخوة هم:

(١) عبدالكريم المدرس، يادي مه ردان (تذكار الرجال)، ج ١، ص ٥٧-٥٩.

- ١- السيد محمد خان بن أحمد آغا الميكائيلي : كان أكبر من مولانا خالد ، وقد توفى قبيل عودة مولانا من بلاد الهند<sup>(١)</sup> .
- ٢- السيد يوسف بن أحمد آغا الميكائيلي : قال بانتمائه لأسرة مولانا خالد الرحالة -ريچ- عاش في كوردستان ، ولم يغادر مع أخيه إلى بغداد ولا لبلاد الشام .
- ٣- السيد محمود صاحب بن أحمد آغا الميكائيلي : وهو من أشهر إخوة مولانا خالد وأبرزهم صيتًا ، فهو من مواليد قرداغ في السليمانية عام : ١١٩٧هـ/١٧٨٣م ، وقد توفى والده قبل أن يبلغ مرحلة الرشد ، فترعرع في كنف أخيه -مولانا خالد- ورباه ، فعلمه القرآن الكريم ومقدمات العلوم ، ثم أكمل على يديه الدراسة ، فبلغ مرتبة عالية من الثقافة والعلوم ، وتمت له المقدمات والأحوال ، فأذن له بالإرشاد العام وخلف أخاه خلافة مطلقة ، فحصلت له المقبولية التامة ، قصده الناس من كل صوب وحذب ، وقد كان

---

(١) يذكر أن مولانا خالد النقشبندي قد سافر إلى بلاد الهند للتلمذ على يد شيخ من شيوخ الإرشاد والسلوك ، وهو الشيخ عبدالله الدهلوي المعروف بـ شاه غلام علي (١١٨٥هـ - ١٢٤٠هـ / ١٧٤٥م - ١٨٢٤م) وذلك عام : (١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م) ، وبقي هناك مدة سنة واحدة ، فأكمل علم الطريقة والسلوك على يد شيخه وحصل له مراده ووصل إلى درجة مقبولة في علم الزهد والتصوف فشهد له شيخه بالوصول ، وأذن له بطريق الخلافة وأجازه في طرق صوفية خمسة هي : النقشبندية ، والقادرية ، السهروردية ، الكبرى ، والجشتية ، فألبسه الخرقة وأمره بالإرشاد في الممالك العثمانية فنصبه خليفة له لا سيما في الطريقة النقشبندية التي أخذها منه بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها . كما أجازه بجمع ما يجوز له روايته من حديث ، وتفسير ، وتصوف ، وأحزاب وأوراد . ينظر : محمد أحمد درنيقة ، الطريقة النقشبندية وأعلامها ، مط : جروس برس ، بدون سنة الطبع ، ص ٨١ و ١٢٢ . حامد البيساراني ، رياض المشتاقين ، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزية جامعة صلاح الدين - أربيل - العراق تحمل الرقم ٢٢٧ . عثمان بن سند الوائلي ، أصفى الموارد في سلسال مولانا خالد ، مط : العلمية - مصر ، سنة : ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م ، ص ٣٢٢ .

نافذ الكلمة فيهم ، ولما رحل مولانا خالد من السلیمانیة إلى بغداد أقامه مقامه في خانقاه السلیمانیة ، ولما رحل مولانا إلى دمشق طلبه إليها وأرسله إلى الحجاز مبعوثاً عنه ، ثم عاد إلى دمشق وأمره أخاه بالعودة إلى السلیمانیة لئلاً يصير للطريقة فتور فيها ، فامتثل أمره وعاد إلى هناك واستمر على الإرشاد فيها إلى وفاة مولانا خالد (١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م) ، فوردت عليه في السلیمانیة حرم مولانا خالد ، فلاقاها أحسن لقاء وأكرمها وأعطاها جميع أملاك زوجها ، وما يتعلق بها في السلیمانیة ، ثم رحل بعد خمس سنين من وفاة أخيه إلى دمشق ، ونزل في محله في جامع العدّاس ، وجلس على سجادة الإرشاد ، وأقبلت عليه الناس ، واسترد أوقاف أخيه وأملاكه وداره ، ثم رحل إلى الحجاز وجاور بيت الله الحرام سبع سنين ، بعد ذلك عاد إلى دمشق وخلف النواب وأرسلهم إلى البلدان كالهند وبخارى ، وديار بكر ، وسندج (في غرب إيران) وبغداد<sup>(١)</sup> .

كرّمه السلطان عبدالحميد خان ببناء تكية له سمّاها -التكية السلیمانیة- في الشام . كما أوكلت إليه المشيخة ووظيفة التدريس ، وأقام فيها إلى وفاته عام : ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م عن عمر ناهز ستاً وثمانين سنة ، أوري الثرى جنب أخيه خالد على جبل قاسيون .

أمضى صاحب جلّ حياته بالطاعة والعبادة ، فما فاتته صلاة الجماعة منذ بلوغه ، وكان من القوامين في حوالمك الليالي ، كما كان قاضياً وقته بتلاوة القرآن ، فدأب على ذلك خمساً وستين سنة لا يشغله عنه شاغل . كان يكن كل التقدير والاحترام للعلماء والسادة ، فضلاً عن أنه كانت له هبة عظيمة في قلوب الناس .

له نواب أجلاء أكثرتهم من دمشق ، ومن أشهرهم الشيخ أحمد السمين البغدادي الذي كان مدرس الأعظمية في بغداد ، وملا أبي بكر الكلال؟

(١) حسين حسن كرم ، إجازات مولانا خالد العلمية والتصوفية ، ص : ١٨٢ .

الكردي ومحمد القرمشلي وعبدالفتاح الصباح<sup>(١)</sup> .  
خلف ولدين ، هما : الشيخ محمد أسعد الصباح مولود عام : ( ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م ) ، سلك الطريقة على يد والده كما تتلمذ على يد علماء أعلام ، منهم : أحمد السمين البغدادي ، علي رضا الخربوتي ، أبوبكر الأربلي ، عيسى الكردي في دمشق ، وأدخله أحمد خالد الزملكاني الخلوة لأربعين يوماً ، توفى عام : ( ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م )<sup>(٢)</sup> كان شيخاً من شيوخ الطريقة النقشبندية ، كما كان فقيهاً وعالماً مبرزاً من علماء الحقبة الأخيرة من حكم العثمانيين ، وقد وصل إلى درجة شيخ الإسلام في زمن السلطان محمد رشاد بن عبدالمجيد (محمد الخامس) ، ٦ ربيع الثاني ( ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م )<sup>(٣)</sup> ، وله مؤلفات كثيرة نخصّ الذكر منها آداب الطريقة النقشبندية والرابطة فيها .

يعدّ خير حافظ لتراث خالد ، ومن مؤلفاته : الجواهر المكنونة الأنيقة في آداب الذكر والطريقة ، نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم خواجكان ، الفيوضات الخالدية<sup>(٤)</sup> ، وهو من وجهاء دمشق ومشاهرها ، من أولاده :

محمود بن محمد بن أسعد الصباح (ت : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) كان رئيس أطباء دير الزور .

صلاح الدين بن محمد بن أسعد الصباح كان يعمل في مجال الخدمات الهندسية .

أما الابن الثاني للسيد محمود الصباح فهو الشيخ خالد الصباح ، الذي

---

(١) عبدالرحمن بيلاف البرزنجي ، ته ري قه تي نه قشه به ندي الطريقة النقشبندية ط١ ، مط : وزارة

التربية- أربيل ، ٢٠٠٢م ، ص ٤٢٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩٠ .

(٣) منذر الموصلي ، عرب وأكراد ، ط٢ ، مط : دار العلم ، دمشق ، سوريا ، ١٩٩١م ، ص ٢٨١ .

(٤) عبدالرحمن بيلاف البرزنجي ، ته ري قه تي نه قشه به ندي الطريقة النقشبندية ، ص ٢٩١ .

كان أحد علماء دمشق ومن مشاهير وعاظها وجهابذة رجال الفضل فيها<sup>(١)</sup>.

### مصير أسرة خالد:

أمّا عن مصير هذه الأسرة فنقول: إن الأخوين خالد ومحمود صاحب وذريتهما قد اندمجوا ببيئة دمشق اندماجاً كاملاً، وعرفت ذرية خالد فيما بعد بالحضرة، فهم آل الحضرة نسبةً إلى مولانا خالد ومكانته.

أما ذرية شقيقه -محمود صاحب- فقد اندمجت أيضاً بالبيئة الدمشقية، وعرفوا فيما بعد بـ آل صاحب، ويدعى الفرع من هؤلاء بالنقشبنديين، وهي أسرة متوسطة فيها التجار والموظفون وعلماء الدين والمحامون ومختلف الحرف، وضباط في الجيش السوري، منهم المقدم الشهيد عادل الحضرة الذي استشهد في فلسطين عام: (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)<sup>(٢)</sup>.

وبذا، فقد اندمجت الأسرة النقشبندية المنحدرة من مولانا خالد مع سكان دمشق وناسبتهم وانصهرت في المدينة، وتنتشر الآن في معظم أحيائها، إلا أن صلتهم الكردية منقطعة نسبياً، بل إن بعضهم لا يعرف أنه من أصل كردي إلاّ بالسماع.

وإن علاقات القرابة -وغيرها- بين آل الحضرة وآل صاحب هي علاقات واهية، (شبه مقطوعة حالياً) بسبب جملة أسباب من أهمّها: انقطاع التسمية المشتركة للأسرتين، واندماجهم الكامل في المدينة وتبعثرهم في أماكن شتى.

(١) محمد أديب آل تقي الحصني، منتخبات التواريخ لدمشق، ج٢، ص ٨٤٤.

(٢) منذر الموصلبي، عرب وأكراد، ص ٢٨٢.



## أهم نتائج البحث:

توصل البحث إلى عدد من النتائج والاقتراحات ، نذكرها فيما يأتي :  
أولاً : النتائج :

بعد دراسة موضوع علاقة خالد النقشبندي بالدولة العثمانية ، وصل الباحثان إلى نتائج أهمها :

- ١- إن وراء انتقال خالد من بغداد إلى بلاد الشام أسباب كثيرة ، من أهمها :  
رغبة مولانا خالد في نشر الطريقة في مناطق أخرى من الأراضي العثمانية ؛ إذ إن بغداد قد وفرت مساحة محدودة له أما دمشق وبفضل موقعها الجغرافي فقد وفّرت له إمكانيات أوسع لنشر الطريقة .
- ٢- إن موقف الولاة -لا سيّما ولاية بغداد- من خالد وطريقته كانت تحكمه التطورات السياسية ، فهم كانوا بعض الأحيان معه وبعض الأحيان ضده .
- ٣- أحبّ أهل دمشق -لا سيّما علماؤها- خالد ودخلوا في طريقته ، فصارت رحابه مهبط جباه السائلين وأعتابه معترك شفاه السالكين .
- ٤- يبدو من الرسائل التي أرسلها خالد من دمشق إلى بغداد ، أنّه كان يلعب دوراً خفياً في حياة الناس السياسية بعض الأحيان .
- ٥- تبدو من رسائل خالد إلى نوابه أنه وإلى انتقاله إلى دمشق ، لم يعلن عن مواقفه الصريحة من السلطنة العثمانية ، وقد شابّت العلاقة بين السلاطين العثمانيين والطريقة الخالدية -وراعيها- خالد مراحل من المدّ والجزر ، وبدى للباحثين أن مولانا خالدًا كان يتصرف بحكمة وعقلانية مع العثمانيين ، وما كان يريد أن يدخل في مناوشات ومعارك معهم ، في وقت كانت نظرتهم إليه وإلى طريقته نظرة توجس وخيفة ، فهم كانوا ينظرون إليه باهتمام ، ويخشون أن تصل به الحال إلى ما وصل بمشايخ الصفوية الذين وصلوا إلى كرسي الحكم في إيران عن طريق التصوف ، وقد ظلّ هذا الخوف من خالد وطريقته باقياً حتى بعد وفاة مولانا خالد .
- ٦- بدى من الدراسة أن أسرة خالد وأخيه محمود الصاحب وذريتهما قد

اندمجوا ببيئة دمشق اندماجاً كاملاً ، وعرفت ذرية مولانا خالد فيما بعد بالخررة - فهم آل الخررة - نسبةً إلى خالد ومكانته . أما ذرية شقيقه - محمود صاحب - فقد اندمجت أيضاً بالبيئة الدمشقية ، وعرفوا فيما بعد بـ آل الصاحب ، ويدعى الفرع من هؤلاء بالنقشبنديين .

## فرنسيس فتح الله مرآش الحلبي وفكره الإنساني الحديث

علي الشرع (\*)

### المَرَاش وأسرته:

ولد فرنسيس فتح الله مرآش في حلب في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦م<sup>(١)</sup> ، وهو ينحدر من أسرة مرآش ، التي عرفت في حلب منذ القرن الثامن عشر ، أو قبل هذا التاريخ على رأي بعض الدارسين . وكانت هذه الأسرة من أتباع مذهب الروم الكاثوليك الذي يدعى أحيانا بالروم الملكيين<sup>(٢)</sup> . ويبدو أن هذه الأسرة قد جمعت بين الاهتمام بالتجارة والانشغال بالعلوم والآداب ، ووصفت «بأنها بيت علم ينجب العلماء»<sup>(٣)</sup> ، وبأنها ذات مكانة علمية شبيهة بمكانة الأسرة اليازجية .  

---

(\*) أستاذ ، جامعة اليرموك / المملكة الأردنية الهاشمية .

- (١) الأب لويس شيخو اليسوعي ١٢٧٥-١٣٤٦هـ / ١٨٥٩-١٩٢٧م ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١٨٧٠-١٩٠٠م ، الطبعة الثانية ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ج٢ ، ص٤٥ ، وانظر كذلك لمزيد من المعلومات والاختلافات : علي الشرع ، فرنسيس فتح الله مرآش ودوره في النهضة الفكرية والأدبية الحديثة ، الطبعة الأولى ، دار الكندي ، إربد ، ٢٠٠٨م ، ص١١ وما بعدها .
- (٢) شيخو ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١٨٧٠-١٩٠٠م ، ج٢ ، ص٤٤ . وانظر كذلك : كامل حسين الغزوي ١٢٧١-١٦٥١هـ / ١٨٥٣-١٩٣٣م ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ٣ أجزاء ، المطبعة المارونية بحلب ، ج١ ، ص١٩٩ .
- (٣) مارون حنا الخوري يوحنا عبود ١٨٨٦-١٩٦٢م ، رواد النهضة الحديثة ، دار الثقافة ، بيروت ، ص١٢٣ .

في لبنان ، وأن بعض أفرادها كانوا يتقدمون أهل نحلتهم اهتماماً باللغة العربية وعلومها<sup>(١)</sup> . وكان لوالد المرّاش الذي وصف بأنه لغوي وأديب ، اهتمامات فكرية وسياسية ، وذكر أنه كان أحد أعضاء اللجنة التي شكلها مسيحيو حلب للذهاب إلى أوروبا لجمع التبرعات بعد الفتنة التي شهدتها حلب سنة ١٨٥٠م ، وذكر أيضاً أنه كان يناصب العثمانيين العداً ، وينشئ القصائد في هجو العثمانيين الذين يحطون من شأن العرب ، ولهذا أمضى سنواته الأخيرة مغترباً في بيروت حيث مات هناك سنة ١٨٥٧م<sup>(٢)</sup> .

وقد عُرف من أسرة المرّاش عبد الله مرّاش ١٨٣٩-١٨٩٩م ، شقيق فرنسيس ، وكذلك شقيقته مريانا . فقد اشتهر عبد الله في ميدان الصحافة ، وشارك في تحرير بعض الصحف العربية التي كانت تصدر في أوروبا مثل صحيفة مرآة الأحوال محررها رزق الله حسون ١٨٢٥-١٨٨٠م ، واستعان به رجل فرنسي في تحرير صحيفة (كوكب الشرق) . وكان عبد الله مرّاش على علاقة مع إبراهيم اليازجي ، وقد أشاد اليازجي بعلم عبد الله وبأخلاقه وأدبه<sup>(٣)</sup> .

أما مريانا مرّاش (١٨٤٨-١٩١٩م) فقد اشتهرت بالشعر والصحافة ، فكانت أول سيدة عربية تنشر مقالات متنوعة في الصحف ، وقد اهتمت بالفنون ، وأصدرت ديوان شعر بعنوان : بنت فكر<sup>(٤)</sup> .

(١) شيخو ، الأدب العربية في القرن التاسع عشر ١٨٧٠-١٩٠٠م ، ج٢ ، ص٤٤ .

(٢) أحمد فارس الشدياق ١٨٠٥-١٨٨٧م ، الساق على الساق في ما هو الفارياق ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص٦٤٦ .

(٣) انظر ما كتب عن عبد الله مرّاش في : شيخو ، الأدب العربية في الربع الأول من القرن العشرين ، بيروت ، ١٩٢٦م ، ث٢٠٠ . وقسطاكي يوسف بن ميخائيل الحمصي ١٨٥٨-١٩٤١م ، أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر ، المطبعة المارونية بحلب ، ١٩٢٥م ، ص١٧-٢٠ . وفيليب بن نصر الله ترزي (ت ١٩٥٦م) ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، ١٩١٣م ، ج٢ ، ص٢٧٨-٢٨١ .

(٤) ترزي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج٢ ، ص٢٤١-٢٤٢ .

## المراش والتنظيمات الإدارية العثمانية:

لقد بدأت حركة الإصلاح أو التحديث أو التنظيمات العثمانية قبل ولادة فرنسيس المراس، وذلك في عهد السلطان محمود الثاني وابنه أو خليفته السلطان عبد المجيد. ويتفق الدارسون على أن هذه الحركة جاءت رغبة في تحديث أنظمة الدولة العثمانية، واستجابة لتحديات الغرب وما رافقها من تحديات داخلية من قبل الولايات العثمانية الأوروبية والعربية<sup>(١)</sup>. وكان عمر المراس ثلاث سنوات عندما صدر مرسوم خط شريف كلخانة سنة ١٨٣٩. وعندما صدر المرسوم الثاني المعروف بخط شريف همايون سنة ١٨٥٢، كان عمر المراس ست عشرة سنة، وبالتالي لا يتوقع أن يكون المراس قد أدرك موجبات هذين المرسومين أو الظروف التي أوجدتهما. ومع ذلك فقد ورد في ملحق ديوان المراس: (مرأة الحسناء) الذي نشره في مجلة المشرق<sup>(٢)</sup>، لقد ورد في هذا الملحق قصيدة مؤرخة بسنة ١٨٥٦، بمدح فيها المراس السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م)، الأمر الذي يشير إلى بدايات وعي المراس بمجريات الأحداث والظروف التي أوجبت حركة الإصلاح أو التنظيمات العثمانية.

والملاحظ أن مضمون هذه القصيدة لا يخرج عن مضامين شعر المدح التقليدية من المبالغة في وصف مكانة المدوح وعلو شأنه، والإشادة بحكمته وشجاعته وعدله، دون أن نلمس الإشارة الدقيقة لما ورد في مرسومي الإصلاح من تشريعات خاصة بحركة التحديث والإصلاح. يقول المراس:

علتُ فلكَ المجد العظيم جوانبه  
فحلتُ أمانيه وسارت مواكبه

(١) عبد الكريم محمود الغرابية، ١٩٢٣-٢٠١٤م، تاريخ العرب الحديث، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٨م، ص ٢٧، و ص ٢٤٣-٢٤٥.

(٢) شيخو، «ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مراس» (مرأة الحسناء)، مجلة المشرق، السنة الخامسة عشرة، ع ١٤، كانون الثاني، ١٩١٢م، ص ٩٦.

ملك يصيب النائبات بمثلها  
إذا ما بدت كتّابه وكتّابه  
مجيد حلیم عادل ذو عناية  
حميد حكيم باسل عزّ جانبه  
لقد زان أفق الملك كوكب أنسه  
وليس يزين الأفق إلا كواكبه  
وقد طلب الفوز الكريم فناله  
على قدر المطلوب قد جاء طالبه  
تمور قلوب الخافقين مهابةً  
إذا انتشرت أعلامه وقواضيه  
ومذ لاح نور العدل منه انجلي به  
ظلام الردى والظلم هارت غياهبه  
سرت نسمات الأمن منه فانعشت  
قلوب الورى والدهر طابت مشاربه  
فيا ربّ صنه ما بدا الصبح باسماً  
على النور في الديجور شقت جلالبه

ووردت الإشادة بالسلطان عبد المجيد في سياق مدح المرآش لرشيد باشا الوثيق الصلة بعهد التنظيمات ، عندما قدم إلى حلب كمشير ، وجاء في مطلع القصيدة<sup>(١)</sup> :

ما لوجه الشهباء يشرق بشراً

وعلى م كل يقدم نذرا

ويمدح المرآش رشيد باشا بمعاني السمو والعدل ومحاربة الظلم وإحلال السلام وإقرار الأحكام والقوانين التي تحافظ على حقوق الناس ، مما انعكس إيجاباً على استقرار الحكم :

(١) شيخو ، الآداب العربية ، ص ٩٨ .

الرشيد السامي محمدٌ من قد  
راح يعلو على الكواكب قدرا  
من على الجور شنّ غارة عدل  
فحباه القدير فتحاً ونصراً  
مذ أتى جاء إثره الدهر بالسراء  
والدهر لا يجيء بســــراً  
كسبت في قدومه حلبٌ ثو  
بَ نعيم وجاءها الخير تترى

.....

في رياض الأحكام قد غرس الحقّ وأجرى من العدالة قدرا  
مهّد الحكم بالسواء وقد أنسج طرُق الأمانى برّاً وبحرا  
وفي نهاية القصيدة جاء قول المرّاش شاكر السطان عبد المجيد على إرساله  
رشيد باشا إلى حلب :

كم وكم حقّ شكرنا للمليك  
قد هدانا هذا الوزير الأغــــراً  
هو عبد المجيد ذو النعم واللائي  
على الناس ظلهنّ اســــبــــطراً  
من غدا في سما الممالك بدرّاً  
وبجيد الزمان أصبح درّاً

ويبدو أنّ المرّاش قد بدا أكثر اهتماماً بموضوع الإصلاحات العثمانية في عهد  
السطان عبد العزيز . فقد وردت الأبيات الشعرية الثلاثة التالية يؤرخ فيها المرّاش  
لتولي الحكم بعد وفاة أخيه السطان عبد المجيد ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م ، ومصدرة  
بقوله التالي (١) :

(١) فرنسيس فتح الله مرّاش ، كتاب مرآة الحسناء ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٧٣م ، ص ١٥٨-١٥٩ .

«وقال مؤرخاً جلوس عظمة السلطان عبد العزيز خان ، دام ملكه إلى مدى الدوران ، سنة ١٢٧٧هـ» :

على سرير الملك لما علا  
عبد العزيز ارتاحت الأنفسُ  
أقامه الله على أرضه  
خليفةً به الوري تحرسُ  
والملكُ قد حيّاه فهو الذي  
عود الرجاء أرخ به يُعرسُ

ويبدو أنّ المرآش كان حريصاً على إظهار ولائه للسلطان العثماني بغض النظر عن حقيقة هذا الولاء . فقد وردت لدى المرآش الفقرة التالية في مقدمة كتابه ، (شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة) ، في سياق لا يستدعي هذا المدح<sup>(١)</sup> : «وقد تمّ إنشاء هذه الرسالة في أيام خلافة مولانا الأعظم وسلطاننا الأفخم السلطان عبد العزيز خان ، ابن السلطان محمود خان الذي أحيا ملكه كما يحييها وابل المطر ، وأنارها كما تنيرها الشمس والقمر ، ولطف بالعباد كأنه بينهم عثمان أو عمر ، فأصبحوا يحمدونه في السرّ والإعلان ، ويدعون له بكل شفةٍ ولسان ، أيّد الله أنصاره ، وأدام ملكه السعيد ، وأنعم علينا بطول بقاياه المديد ، فإنّ ذلك عندنا من أفضل الفوز والظفر ، والحمد لله ارغاما لمن كفر» .

ولعل المرآش استبشر خيراً بجلوس السلطان عبد العزيز على عرش الدولة ، ورأى في توليه الحكم ، كما يقول ، استعادة لمجد الشرق وعنفوانه وفرصة لزوال تسلط الغرب عليه . وقد كتب معبراً عن ذلك في كتابه (مشهد الأحوال)<sup>(٢)</sup> :

«فها خيمّ التمام على الغرب وعم ، فتأمل زوالاً إذا قيل تم . أوما ترى النزاع بدا يسعى بين ملله ، والحسد بين دوله . . . وها قد استرجع الشرق متاعه . . .

(١) المرآش ، شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة ، مطبعة الأمريكان ، بيروت ، ١٨٩٢م ، ص ٤ .

(٢) المرآش ، مشهد الأحوال ، المطبعة الكلية في بيروت ، سنة ١٩٧٣م ، ص ٣٩-٤٠ .



وذلك على عهد عظمة سلطاننا عبد العزيز ذي الشوكة والسطوة ، والإدارة والدراية والتميز ، مبدع هذا العصر الزاهر ، وجامع نفايس الأوائل والأواخر ، وقد قلتُ تاريخاً لجلوس عظمته على عرش السلطنة . . . » .

وبما قاله شعراً بعد هذه المقدمة النثرية قصيدة معنونة بتاريخ الجلوس الهمايوني ، ومؤرخة في سنة ١٢٧٧هـ ، وفي هذه القصيدة نلمح قدراً هائلاً من التفاؤل بقدم خليفة أو سلطان تعقد عليه الآمال في إصلاح الأمور وتحسين الأحوال ، وفي هذه المعاني العامة يقول :

بشرى لكم بالفوز يا كلَّ البَشَرِ  
فالدَّهر عن وجه المكارم قد سَفر  
ولتَنعمنْ نفوسكم فاليوم قد  
لاحت شمس العزِّ من فلك القدر  
أهدى العزيز لنا الخليفة عبده  
من كان في عثمان كنزاً مدَّخر  
فاهتزت الدنيا به فرحاً وقد طوى  
الأسى والسعد كالسحب انتشر

...

ملك على عرش الخلافة مذ علا  
ظهر النعيم وحاز عزاً من صغر

.....

بالعدل كسرى والتسلط قيصر  
وذكاً سليمان به وقوى عمر  
نامت عيون الناس تحت ظلاله  
أما وبات لحفظه يرعى السهر  
أخلى قلوب الشعب من خوف الردى  
وأحل فيها الرعب منه والحذر

لكم الهنا يا خاضعون لحكمه  
فلقد ظفرتم بالرجاء المنتظر  
قد سدّ طرق النايبات بحزمه  
عن ساحة الملك الذي فيه ازدهر

...

إنّ المهيمن مذ دعاك خليفة  
في الأرض كي ترعى البششر  
نادى عليك العرش عش يا ذا القوى  
والدهر قال مؤرخاً سد بالظفر

ويبدو أنّ المرآش ظلّ يظهر تفاؤله أو يتظاهر به فيما يخصّ السلطان عبد العزيز ، فقد عاد لمدحه سنة ١٢٨٩هـ ، أي بعد اثنتي عشرة سنة من توليه الحكم ، وقبل وفاة المرآش نفسه بسنتين ، أي سنة ١٨٧٢م . وجاءت قصيدة المرآش مصدّرة بقوله<sup>(١)</sup> : «وقال بمدح السلطان عبد العزيز دام ملكه مدى الدوران» ، ولم تكن إشادة المرآش تخلو من المبالغة التي لا تتوافق وآراء المرآش نفسه في نظرية الحكم أو بناء الدولة ، أو مفهوم الأمة أو القوم أو الوطن :  
لأعتاب سلطان الأنام سعى فكري فيا ليت شعري هل يفني مدحه شعري

سليل سلاطين الأولى بسيوفهم  
أغاروا على الدنيا بالفتح والنصر  
ملك الورى عبد العزيز الذي جرى  
على سيفه الماضي دمّ الظلم والغدر

...

(١) المرآش ، مرآة الحسناء ، ص ١١٢-١١٣ .

أبى الله أن يدعو سواه خليفةً  
بلى فهو ظلُّ الله باقٍ إلى الحشر

...

على عرشه أثنى خفيٌّ وظاهرٌ  
فزكى لسانُ السرِّ السنة الجهر  
ملك رمى أسد العدى ونسورهم  
بقوس هلال نبله نجمة الفخر  
لذا نامت الأقوام تحت لوائه  
أماناً فأرباب الغنى وذوو الفقر

...

هناك نظام أحجل الغربَ شمْلُه  
فيا خجلة اليعسوب من نحلة البرِّ  
فما الشرق إلا محتدُّ السلم والهنا  
وما الغربُ إلا مرسح الكرب والكرِّ  
وها عندنا صرح الفضائل والتقى  
وعندهم نبج الكبائر والشرِّ

...

عزيز الملا عبد العزيز الذي عنت  
لدولته الأقدار في البرِّ والبحر  
هو الناظم الشمل الذي ائتلفت به  
ألوف قلوب طالما كن في نثر  
أقام من الشرع الشريف مجلة  
بها امتزج الأحزاب كالماء والخمر  
فراح الملا يعدون في سبل الولاء  
ولم يبق عدوان لزيد على عمرو

وما يلفت الانتباه في مدح المرآش للسلطان العثماني هو المقارنة الدائمة بين الشرق ممثلاً بالحكم العثماني ، والغرب بعامة . فالشرق (العثمانيون) يمثل الفضيلة والتقوى ، والغرب يمثل العدوان والشرّ . ولعله من نافلة القول إن مثل هذا المدح يعبر عن آمال معقودة على حركة الإصلاح أو التنظيمات العثمانية التحديثية . لكن الملاحظ أنّ مثل هذا المدح لم يكن مقتصرًا على المرآش وحده ؛ فأخته مريانا المرآش قد أسهمت شعراً في هذا المجال ، فقالت مادحة العهد العثماني (١) :

قرّت عيون الملأ بالأمن أجمعها  
لما علّت رايةً بالحلم تشتهر  
فالعذل مهدها والعقل أيدها  
والمجد سيدها والعزّ والظفر  
شعوب بني عثمان لا بؤس ولا كرب  
ولا هموم ولا ضيق ولا حذر

ولم يتوان الشعراء المشهورون من العرب المسيحيين عن مثل هذه المدائح ، فقد فعل ذلك الشيخ ناصيف اليازجي ، وكذلك ابنه إبراهيم اليازجي صاحب النص المشهور :

تنبهوا واستيقظوا أيها العرب  
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب  
والذي وصف (العلوج الأتراك) بكل صفات السوء والشرّ والمكر والخديعة .  
لم يتقاعس إبراهيم اليازجي عن مدح العثمانيين والسلطان عبد العزيز بخاصة ،  
وذلك في قصيدة طويلة جاء فيها (٢) :

(١) مريانا فتح الله المرآش ١٨٤٨-١٩١٩م ، ديوان : بنت فكر ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٩٣م ،

(٢) إبراهيم ناصيف اليازجي ١٨٤٧-١٩٠٦م ، الديوان ، دار مارون عبود ، ١٩٨٣م ، ص ١٣٠-١٣٢ .

الماجد المتسامي الدولة الملك الـ  
راقبي إلى سدة أعلى مراقبيها  
صاح السنني زانه فينا الاله بما  
حباه من فضل نعمى جل مهديها  
يرعى العباد بحق العدل معتصماً  
بحكمة فيه مولى العرش يديها

...

هذا يد الله يسري في أناملها  
سرّ من العرش عن يمن يوافيها

....

عبد العزيز من احتاز الهدى  
وعنت لبأسه الأرض دانيها ونائيها

...

ظل الاله صلاح في جوانبها  
وفضل أنعمه بالعزّ موليها

لكن ما قيمة هذه المدائح في الدلالة على موقف الشاعر أو المفكر العربي المسيحي من الدولة أو الحكم العثماني ، وقد اعتاد هؤلاء مدح التجار والمدراء والقناصل الأوروبيين ومثلي الشركات الغربية ، وحتى المحافظ الماسونية؟<sup>(١)</sup> وهل كانت التنظيمات العثمانية أو حركات إصلاح العثمانيين هي الحافز أو المسؤولة عن الأطروحات الفكرية الحداثية الطابع في إنتاج العرب المسيحيين بعامّة والمرّاش بخاصة؟؟

إن التعبير عن موقف المرّاش الحقيقي من حركة الإصلاح العثماني جاء من خلال أسلوب رمزي يحفظه ربما من المساءلة أو تبعات المجاهرة بالنقد . فقد نشر

(١) إبراهيم ناصيف اليازجي ١٨٤٧-١٩٠٦م ، الديوان ، ١٩٨٣م ، ص ١٣٠-١٣٢ .

المرآش مشهداً قصصياً رمزي الطابع في مجلة الجنان سنة ١٨٧١م بعنوان : «سياحة العقل»<sup>(١)</sup> . يستشفّ منه حقيقة موقفة من هذه المحاولات اليائسة في الإصلاح .

بدأ المرآش مقاله أو مشهده القصصي من خلال حوار بين الحق والعقل مشيراً إلى الأمانى المعقودة على ملك مستنير واع يحترم رعيته ويدير شؤونها بإحساس من المسؤولية ، حيث لا بذخ ولا قصور ولأرياش ولا ذهب ولا ماس ، سمّاه ملك التمدن . ووصف المرآش هذا الملك بقوله : «فما يخال هذا الملك إلا رجلاً كبقية الرجال» . لكن المرآش يشير إلى أن هذه الصورة المثالية للملك تنطوي على خديعة ؛ فالناس باستبشارهم وفرحهم كانوا يجهلون حقيقة الخديعة التي أجاد تمثيلها ملك التوحش . وأول المنخدعين بهذا الملك هم عامة الناس ، وقد وصفهم المرآش بقوله<sup>(٢)</sup> : «جم غفير من بني الإنسان يتموجون حول القصر صفوفاً صفوفاً ، وجميعهم لهم أعين ولا يبصرون ، وأذان ولا يسمعون ، وألسن ولا يتكلمون . . هؤلاء الذين يتصايحون باسم الناموس ، ويقولون ليعش الناموس ، وليدم مجدداً ومشرفاً ، ولا زالت شوكته طائفة ، ودولته مؤيدة . . هؤلاء هم عموم الناس» .

أما المفكرون ، كما يرى المرآش في هذا المشهد ، فلم تنطل عليهم هذه الخديعة وهذا الزعم بالإصلاح ، ولم يتوانوا عن الكتابة عن واقع الحال دون أن يكون لهم التأثير في عامة الناس الذين ، كما يقول المرآش ، ينقادون كالتيوس والثيران ، مسخرين لخدمة جلاديتهم من الحكام<sup>(٣)</sup> . لقد صور هؤلاء المفكرون الذين أدركوا سوء الأحوال ، وحاولوا أن ينبهوا الناس إلى ما هم فيه من الغفلة وعدم الإحساس بالظلم ، - لقد صوروا على هذه الشاكلة : «إن صورهم منقوشة

(١) المرآش ، «سياحة العقل» ، الجنان ، ١٨٧١م ، ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٨٧١م ، ص ٢٧٢ .

ومثبتة في إحدى قاعات قصر ملك التوحش المعروفة بقاعة الاحتطاف التي كانت كل جدرانها منقوشة بصور بزاة وصقور وكل الجوارح ، وفي منسر كل من هذه الطيور أو مخالفه نفس برية أو عقل رفيع ، أو قلب طاهر» ولهؤلاء المفكرين صور أخرى مثبتة في قاعة تدعى قاعة الاستشهاد التي كانت كل جدرانها منقوشة بصور القتل : «أناس يحرقون بالنار ، ويموتون بالجلد ، وأناس يعلقون بالحبال ، وعلى كل من هذه الصور مكتوب : هكذا يقول رب الجنود» .

ويعرّس المرائش بالمحاولات المتكررة في الإصلاح دون جدوى ، فيقول (١) : «وفي كل فترة كان يأتي رجل من بعيد ويدخل القصر من باب ويخرج من باب آخر ، مرتدياً بثياب تفوق ثياب العموم . . . وكلما شاهد القوم هكذا رجلاً داخلاً وخارجاً ضربوا له بالآلات الطرب والطبول والصنوج ، وصاحوا به ونادوا . . .» .  
أمّا القوانين أو التنظيمات الجديدة أو الدستور الذي حلم به الناس فقد كانت هذه صورته لدى المرائش في مشهده القصصي (٢) :

«فدخلا - (العقل والحق) - في مغارة هناك تدعى الفحشاء ، فنظر العقل هناك رجلاً لا يوجد أجمل منه ولا أبهج ، ولكنه مقيد بأغلال من حديد ، وعلى فمه غلق متين ، وعلى عينيه عصابة لكي لا يبصر ، وثيابه ممزقة ، وكل بدنه مشوّه ومثخن بالجراح ، وهو يتنهد ويتصعد .

فوقف العقل مندهشاً لدى هذا المنظر ، وقال للحق : أخبرني بالله عليك ما هذا الخطب ، فلا عاد لي صبر على فهم هذه المناظر؟ فأجابه الحق : أعلم يا صديقي أن هذا الرجل المسكين البادي لديك هو الناموس الذي كنت تسمع صياح القوم ومناداتهم به ، وقد طرحه ملك التوحش في هذه المغارة المظلمة مقيداً مغلولاً ، وكل رجل يتوظف في خدمة هذا الملك لا يباح له إجراء وظيفته ما لم يدخل هذا القصر ويطعن هذا الرجل المظلوم بحراب التعدي والرشوة

(١) المرائش ، «سياحة العقل» ، الجنان ، ١٨٧١م ، ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٨٧١م ، ص ٢٧١ .

والتصحب والتعصب والاعتقال ونحو ذلك» .

حقيقة إن هذه المشاهد الوصفية الخيالية ربما قد تفهم في سياقها الأدبي التخيلي ، وتظل دلالاتها الرمزية رهينة تأملات خيالية لأديب أو مفكر حالم بالإصلاح أو التحديث أو بدولة التمدن . لكن مع ذلك فإن تأملات المرآش هذه ارتبطت بقرائن دالة على واقع الدولة العثمانية في نهاية عهدها . فقد ورد في نهاية هذا المشهد القصصي ، العبارة التالية<sup>(١)</sup> : «فسأل العقل : إذاً يستحيل نزول ملك التمدن وحكمه على الأرض ، فأجابه الحق : قد قرب ذلك ، لأن ملك التوحش قد شاخ وهرم ، وصار على حافة القبر ، فكن مطمئناً» .

#### الواقع الذي انطلق منه فكر المرآش التنويري؛

السؤال المطروح هنا : هل كانت التنظيمات الإدارية العثمانية تتوافق وتطلعات المفكر العربي المسيحي بعامة والمرآش بخاصة؟ فإذا كانت الدولة العثمانية بإجماع الدارسين قد أعلنت تنظيماتها أو تشريعاتها الجديدة بسبب الضغوط من الدول الأوروبية ، أو جاءت محاولة منها لتسوية أمورها في الداخل مع القوميات المتباينة ، والحركات الوطنية الصاعدة في الأقاليم التابعة لها ؛ إذا كان الأمر كذلك فإن المفكر العربي المسيحي بعامة والمرآش بخاصة ، قد انطلق من دوافع أعمق تتعلق مباشرة بواقعه الاجتماعي والديني ، وبتأثر واضح بتيارات فكرية حديثة مصدرها حركة التنوير الغربية ، كما انطلقت أيضا من رغبة في البحث عن هوية جديدة تجمعهم بأبناء جنسه من العرب .

إن منطلق المرآش الفكري هو مما أحسّه وخبره في سنوات طفولته وشبابه المبكر في مدينة حلب ، فحلب بتكوينها الاجتماعي والديني وموقعها الإداري والسياسي هي المنطلق الذي انطلق منه المرآش في تشكيل ملامح وجوده الإنساني والفكري ، وهي المنطلق لمخيلته وأحلامه بحثا عن آفاق التعايش والخلاص .

(١) المرآش ، «سياحة العقل» ، الجنان ، ١٨٧١م ، ص ٢٧٣ .



إنَّ أهم ما لفت انتباه المرآش في صباه هو هذا الوضع الاجتماعي القائم على تقسيم المجتمع إلى طوائف حيث تعيش كل طائفة في عزلة حادة تبعتها عن الانتماء إلى بنية اجتماعية موحدة، وحيث يتوقع أفراد الطائفة الواحدة متماسكين في حيٍّ خاص بهم لا يشاركونهم فيه أحد من أبناء الطوائف الأخرى .

لقد عرفت حلب طوائف متعددة من المسيحيين منها : طائفة الروم الأرثوذكس أو الملكيين ، وهي الأكثر عدداً ، وطائفة الأرمن الكاثوليك ، والأرمن العتق ، وطائفة السريان والموارنة ، وطائفة اللاتين والكلدان والبروتستانت ، وهي أحدث هذه الطوائف وجوداً في حلب<sup>(١)</sup> . ويذكر أنَّ هذه الطوائف كانت تتنازع فيما بينها ، كما حدث سنة ١٨١٨م حيث قتل عدد من الكاثوليك<sup>(٢)</sup> .

ووصف وضع النصارى في حلب بأنهم كانوا يقطنون في أحياء خاصة لها بوابات تقفل عشية كل يوم كي لا يداهم تلك الأحياء طارق غريب . وكان روءسأؤهم الدينيون يمارسون حلّ المنازعات الشخصية دون تدخل السلطة المدنية ، ويقوم رئيس كل طائفة منهم بأجراء عقود الزواج ، وتسجيل المواليد والوفيات ، وجمع الضرائب ، وتسليمها للحكومة<sup>(٣)</sup> .

وروى الغزيّ أنه فرض على مسيحيي حلب منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر ، أن يتزويوا بزوي خاص بهم حتى يميّزوا عن بقية سكان المدينة<sup>(٤)</sup> .

(١) كامل بن حسين الغزي ١٢٧١-١٣٥١هـ / ١٨٥٣-١٩٣٣م ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ٣ أجزاء ،

المطبعة المارونية بحلب ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(٢) المرآش ، «سياحة العقل» ، الجنان ، ١٨٧١م ، ص ٢٧٢ .

(٣) عائشة الدباغ ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م - ٩ ، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع

عشر ومطلع القرن العشرين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٦٦ ، وانظر ما ذكره نعيم النجاش في

مذكراته ، التي نشرها الأب توتل اليسوعي في مجلة المشرق ، ١٨٣٨م ، ٣٦م ، ص ١١٠ .

(٤) الغزي ، نهر الذهب ، ٣م ، ص ٣٧٥ .

ورؤي بأنهم كانوا يتعرضون لألوان من الإهانات والشتائم ، وكانوا يتقبلون ذلك بصمت وحنن<sup>(١)</sup> ، كما أنهم كانوا مجبرين أحياناً على أن يشاركوا في احتفالات الولاء الموجهة لحكام الاستانة ، وكان عليهم أن يتظاهروا بالرضا عما تقدمه لهم من اهتمام ورعاية<sup>(٢)</sup> .

ولا شك في أن مثل هذا الوضع الطائفي المعقد لم يكن يخلو من اصطدامات ومشاحنات ، بل إن أجواء العزلة قد ولدت كثيراً من سوء الفهم وصعوبة التعايش بين هذه الطوائف ، وذلك مثل ما شهدته حلب من أحداث وفتن سنة ١٨٥٠م التي اتخذت طابعاً دينياً هوجم فيها حيّ الصليبية الذي يقطنه المسيحيون ، واعتدى فيها على الأموال والأعراض<sup>(٣)</sup> ، وهوجمت فيها الكنائس والمتاجر ، وساد على اثرها جو من الرعب والهلع في أوساط المسيحيين<sup>(٤)</sup> .

ولقد وصف الغزيّ هذه الأحداث بقوله<sup>(٥)</sup> : «هذه حادثة عظيمة لم يحدث بعدها من الثورات الأهلية في حلب أعظم منها» . وردّ الغزيّ أسباب هذه الحوادث إلى فرض السلطة العثمانية ضريبة جديدة ، وإلى فرض نظام التجنيد . ولم تكن هذه الأحداث مقتصرة على المسيحيين أو موجهة ضدهم ، وإنما كانت

(١) ميخائيل جرجس إبراهيم مشاققة ، ١٨٠٠-١٨٨٨م ، مشهد العيان لحوادث سورية ولبنان ، مصر ، ١٩٠٨م ، ص ٢٩ .

(٢) الأب فردناند توتل اليسوعي ، وثائق تاريخية عن حلب ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ، ١٩٤٠م ، ص ١٩٣ .

(٣) محمد راغب الطباخ ، ١٢٩٣-١٣٦٧هـ / ١٨٧٧-١٩٥١م ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، المطبعة العلمية بحلب ، ط ١ ، ١٩٢٦ ، ج ٣ ، ص ٤٣٩ .

(٤) عائشة الدباغ ، ١٣٤٠هـ-؟ ١٩٢١م-؟ ، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٦٦ .

(٥) الغزي ، نهر الذهب ، م ٣ ، ص ٣٧٣-٣٨٢ .

موجهة ضد السلطات العثمانية . وقد أشار محمد كرد علي إلى أن عدد القتلى الحلبيين من المسلمين كان خمسمائة ، في حين كان عدد القتلى المسيحيين خمسة عشر نفرًا<sup>(١)</sup> .

ومثلما قيل في حوادث سنة ١٨٥٠م ، يقال في بوادر الفتنة التي كادت تودي بحلب سنة ١٨٥٨م ، والتي جاءت صدى لأجواء التوتر إثر المواجهات بين تركيا ورعاياها المسيحيين في أوروبا<sup>(٢)</sup> .

لم يكن المرّاش بعيداً عن هذا الواقع الطائفي ، أو عن هذه الأحداث فقد كان أحد أقربائه ، واسمه نعوم بن جرجي مرّاش ، أحد ضحايا هذه الحوادث<sup>(٣)</sup> ، كما كان والده فتح الله مرّاش أحد أفراد اللجنة التي شكلتها الطوائف المسيحية في حلب لجمع التبرعات من أوروبا ، لمساعدة المتضررين من نصارى حلب<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن المرّاش بعيداً عن أحداث الساحل السوري في لبنان ؛ فقد عرف المرّاش لبنان في وقت مبكر عندما زارها بصحبة والده سنة ١٨٥٣م ، ومكث فيها مدة سنة تعرّف خلالها على طبيعة الوضع الطائفي في لبنان ، وكيف أدى هذا الوضع إلى حوادث سنة ١٨٦٠م التي اجتاحت لبنان ، وامتدت نحو دمشق ومناطق أخرى في سوريا ، وعبر المرّاش عن إحساسه إزاء هذه الأحداث

---

(١) محمد بن عبد الرزاق كرد علي ١٢٩٣-١٣٧٢هـ / ١٨٧٦-١٩٥٣م ، حفظ الشام ، مطبعة الترقّي ، ١٩٢٥م ، ٣م ، ص ٧٨-٧٩ .

(٢) الدباغ ، الحركة الفكرية في حلب ، ص ٦٦ . وانظر ما ذكره المعلم نعوم النجاش في مذكراته التي نشرها الأب توتل اليسوعي في مجلة المشرق ، ٣٦م ، ١٩٣٨م ، ص ١١٠ .

(٣) النجاش ، مذكراته ، مجلة المشرق ، ٣٦م ، ١٩٣٨م ، هامش ص ٢٢١ .

(٤) جرجي حبيب زيدان ١٢٧٨-١٣٣٢هـ / ١٨٦١-١٩١٤م ، مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ . وانظر توضيح سبب الزيارة في : أحمد فارس الشدياق ، ١٨٠٥-١٨٨٧م ، الساق على الساق في ما هو الفاريق ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٦٤٦ .

قائلاً<sup>(١)</sup> : «فهناك أرز لبنان ذو الصيت الذي ملأ بطون الكتب ، فإنّه لم يبق في غياضه المحتفّة ، وغاباته الملتفّة سوى بعض جراثيم هرمة تنوح على غابر أيامها بلسان الحال ، وهي تشكو المصائب بسبب الشيخوخة التي أبقتها لتشاهد حقارة الوجود ، وأن تنعدم بتلك الزوابع اللبنانية التي قد طارت بكثير من أرواح البشر الذين قد ضحّاهم فساد الطبيعة على هياكل آلهة البغض» .

وجاء في ديوانه «مرآة الحسناء» مشيراً إلى هذه الأحداث التي امتدت إلى مدينة دمشق<sup>(٢)</sup> :

ويح لسوريا بهذا لعصركم  
قد شبّ جمر الخطب فيها واضطرم  
وطئت رؤوس الكل أحماص الأسي  
وتأججت بقلوبهم نار النقم  
هبطت على لبنان صاعقة الردى  
وغدا يلاطم سفحه موج الألم  
فارتجّ قطر الشام من زلزاله  
وبناء ذيك الجمال قد انهدم  
صبغت دمشق ذبولها بدم الورى  
وجرى به بردى لدى كل النسم  
وغدا سرور الناس حزنًا هائلاً  
وأثارت النوح العظيم ذوو النعم  
وقد اكتسى ثوب المذلة والضنا  
من كان مكتسباً بجلباب الكرم  
ما جلق إلا كمكة بالتقى  
أيحلّ سفك دم بأبواب الحرم

(١) المرّاش ، تعزية المكروب وراحة المتعوب ، حلب ١٩٦١م ، ص ٧ .

(٢) المرّاش ، مرآة الحسناء ، ١٨٧٣م ، ص ٢٦٥ .

وأدرك المرآش أن الجهل والتعصب المذهبي والطائفي هما سبب الفتن  
وخراب البلدان<sup>(١)</sup> :

لولا اختلاف نواميس الشريعة ما  
بين الورى لم يقم بينهم شغب  
يا طالما عضدت أيدي الجهالة من  
يهوى الخراب وكم فوق الثرى خرب

ويقول أيضا<sup>(٢)</sup> :

إذا رمت يوماً أن تمت قبيلة فبث بها روح التعصب والجهل  
ورأى المرآش أن مثل هذه الأحداث دليل على غياب سلطان العقل وتفشي  
الجهل الذي يقوي الغرائز البدائية التي تقود الإنسان إلى الحقد والبغض .  
واعتبر أن مثل هذه الحوادث دليل على الهمجية البعيدة عن روح التمدن<sup>(٣)</sup> .  
ولقد أشاد المرآش بالحلبيين الذين لم يتورطوا في غمرة هذه الفتنة الأخيرة ،  
فقال<sup>(٤)</sup> :

رعيا لكم يا ساكني حلب فما  
زلت بكم قدم ولا خنتم قسم  
والجار ملتزم بإخلاص الوفا  
للجار في البلوى فبينهما ذم

بما لا شك فيه أن المرآش انطلق في تصوراته الفكرية الأولى من انتمائه إلى  
مجتمع الطوائف في الدولة العثمانية . وهذا الانتماء الطائفي واضح في بواكير  
مؤلفاته في مطلع ستينيات القرن التاسع عشر . فقد قدّم نفسه في كتابه العلمي

(١) المرآش ، مرآة الحسناء ، ١٨٧٣م ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٣) المرآش ، غابة الحق ، حلب ١٨٦٥م ، ص ٨٦ .

(٤) المرآش ، مرآة الحسناء ، ١٨٧٣م ، ص ٢٦٥ .

الطابع الذي سمّاه : المرأة الصفية في المبادئ الطبيعية ١٨٦٠م ، قائلاً : «أما بعد ، فيقول العبد الفقير . . فرنسيس ولد فتح الله مرآش الحلبي موطناً والروم الكاثوليكي مذهباً . .»<sup>(١)</sup> ، والولاء الطائفي والحرص على النصارى في حلب واضح جداً في مؤلفه الثاني الذي سمّاه : رسالة دليل الحرية الإنسانية ١٨٦١م ، والرسالة موجهة إلى أبناء وطنه من نصارى حلب ، كما يقول ، دعاهم فيها إلى التخلي عن عادة التحلي بالجواهر والحلي ، لما في ذلك من بربرية تخالف أصل المدنية الحديثة<sup>(٢)</sup> ، ومن حبس للأموال وتعطيل لها<sup>(٣)</sup> . وقد رأى أنه من الأفضل للنصارى في حلب أن يبتاعوا بهذه الجواهر عتاداً يتقنون به<sup>(٤)</sup> ، كما دعا في هذه الرسالة أبناء الطوائف إلى التزواج والتكاثر لئلا يأتي يوم ينقرضون فيه من حلب<sup>(٥)</sup> . ويبدو أن هذه الرسالة موجهة للأغنياء من النصارى لأهميتهم بالنسبة لأبناء ملتهم ، كما يبدو أنه ألف هذه الرسالة استجابة لأوساط دينية وصفها بمن لا يردّ طلبه<sup>(٦)</sup> .

والملاحظ أن النزعة الدينية الطائفية قد صاحبته حتى وقت متأخر من نشاطه الفكري . فقد كتب سنة ١٨٧١م كتابه : «شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة» ، شارحاً فيه ما استجدّ في عقول كثير من الناس من أفكار تناصب الدين والوحي والعداء ، ورأى «أنه لا يوجد شيء يصلح أحوال الناس ويهذب أخلاقهم ، ويكسوهم حلل الصفات الحميدة ، أعظم من تلك الشريعة الطاهرة ، ولا يوجد أمر يفسد الطبيعة الإنسانية ويهدم الأركان الأدبية ، جاعلاً في

(١) المرآش ، المرأة الصفية في المبادئ الطبيعية ، حلب ١٨٦١م ، ص ٢ .

(٢) المرآش ، رسالة دليل الحرية الإنسانية- حلب ١٨٦١م ، ص ٣-٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢ .

القلوب كل صفة ذميمة ، كرفض الشريعة الدينية واعتناق الكفر بدلا منها<sup>(١)</sup> ، ويبدو أن هذه الشريعة الطاهرة مقتصرة على الديانة المسيحية التي ، كما يقول ، انتشرت في كل الأقطار ، وزاحمت العقلية العلمية والفلسفية بسبب المعجزات الإلهية التي عززت وجودها وقبولها لدى البشر . وهذا التصور لا يصدق على الديانات الأخرى كتلك التي قامت على «إشهار الاغتصاب بقوة زمنية ، كما فعلت العرب قديماً»<sup>(٢)</sup> .

### الحضارة الغربية وأثرها في فكر المرآش؛

حقيقة إن انتماء المرآش إلى مجتمع الطوائف في ظل التبعية لدولة لم تزال بعيدة عن أسس الدولة الحديثة ومعاييرها ، ولم يزل الطابع الديني هو السمة الغالبة على تكويناتها الاجتماعية والتشريعية ، هو المسؤول عن تعلقه ، هو وغيره ، من المفكرين العرب المسيحيين بالغرب وحضارته .

ويبدو أن اتصال المرآش بالحضارة الغربية قد بدأ مبكراً جداً ، ومن عهد طفولته في حلب حيث كان للغربيين حضور واضح فيها إلى درجة أن بعضهم كان على علاقة مصاهرة مع سكانها من المسيحيين<sup>(٣)</sup> . وذهب محمد كرد علي للقول : «إن هؤلاء الأجانب قد أصبحوا يُعدّون منهم - أي من المسيحيين»<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن المرآش بعيداً عن النشاطات التبشيرية الغربية في مدينة حلب ، وهي النشاطات التي تزايدت مع قدوم إبراهيم باشا المصري الذي سمح للكثير من ممثلي المذاهب المسيحية بحرية العمل<sup>(٥)</sup> . وقد بدأ المرآش نفسه يتلقى

(١) المرآش ، شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة ، ص ٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

(٣) الدباغ ، الحركة الفكرية في حلب ، ص ٥٥ .

(٤) محمد كرد علي ، حفظ الشام ج ٤ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(٥) بديع شريف وآخرون ، دراسات تاريخية في النهضة العربية ، جامعة الدول العربية ، الإدارية الثقافية ،

دروسه الأولى في الطب على يد المبشّر الطبيب يوحنا ورتبيت الأرمني الأصل والإنجليزي الجنسية<sup>(١)</sup>.

ولعل إحساس المرآش بمجريات الحياة في الغرب قد بدأ في رحلته الأولى إلى باريس برفقة والده سنة ١٨٥٠م، وقبل أن يباشر هو نفسه تجربته الخاصة مع الحضارة الغربية، عندما ذهب إلى باريس لدراسة الطب سنة ١٨٦٦م، وقد هيأ نفسه لهذه الرحلة بتعلّم اللغتين: الإيطالية والفرنسية<sup>(٢)</sup>. والمطلع على إنتاج المرآش الفكري يلاحظ أنه كان على صلة وثيقة بالثقافة والعلوم الحديثة، وبالاتجاهات الفكرية المختلفة بالغرب، قبل ذهابه طالبا إلى باريس. وهذا ما نلاحظه في كتابه التعليمي الطابع المعنون بـ «المرأة الصفية في المبادئ الطبيعية (حلب ١٨٦١م) بما يشتمل عليه من مباحث في الفيزياء والكيمياء والرياضيات والميكانيكا... كما يلاحظ ذلك أيضا في كتابه المشهور «غابة الحق» الذي ألفه سنة ١٨٦٥م (وصدر بطبعات مختلفة في بيروت، ومصر). وقيمة هذا الكتاب لا تكمن فقط في كونه أول محاولة في كتابة القصة العربية الحديثة، وإنما في قيمته الفكرية، فقد اتخذ من الشكل القصصي الفضايف وسيلة للتعبير عن أفكار اجتماعية وسياسية وحضارية حديثة، كما سنرى بعد قليل.

إن اتصال المرآش بالحضارة الغربية الحديثة وتجربته المباشرة في معاشة مجريات الحياة في الغرب، أتاحت له المجال للمقارنة بين الواقع الشرقي أو العربي الذي انطلق منه، وواقع الحياة في الغرب في نواحيها المختلفة، وقد عبّر عن ذلك كله في مذكراته التي أودعها كتابه: رحلة باريس، وهو الكتاب الذي لا يقل قيمة عن مذكرات رفاة الطهطاوي، قبله بعدة عقود.

(١) نجيب يونس مكربنة، ١٣٠٥-١٣٩٨هـ / ١٨٨٧-١٩٧٧م، للذكرى والتاريخ، حلب، مطبعة الضاد،

١٩٦٦م، ص ٩٢.

(٢) قسطنطين يوسف بطوس الحمصي ١٨٥٨-١٩٤١م، أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر،

المطبعة المارونية بحلب، ١٩٢٥م، ص ٢٠.



وصف المرآش واقع التعليم والثقافة التي تلقاها في طفولته في حلب ، فقال : «انخرطت في سلك طلبة العلم وأنا في سن الرابعة عشرة ، ولم أزل أبضع مع الباضعين حتى بلغت العشرين ، وهنا شرعت أمتحن نفسي لأرى ماذا جنيت من الثمرات ، فلم أجد في مخيلتي سوى كمية وافرة من ألوان مسائل ومشاكل العلم العربي ، ولم أعثر في خزانتي إلا على كتب مطولات ومختصرات في النحو والصرف وما يلحقهما . وإذا تأملت الفائدة لم أجد لها سوى نظم الشعر ، فها أنا شاعر إذا أراد شعراء العصر . . . فأوحت لي كراحتي تلك الفائدة المفتداة - أي نظم الشعر - بأفخر سني حياتي ، أن أعكف على طلب العلوم العالية واللغات ، فأخذت أتبع أثرها عند علماء ماهرين من بني المغرب أو من أولاد المشرق ، وصرت أخلو بنفسي منكباً على الدراسة ليلاً ونهاراً . . .» (١) .

ولا أريد التعليق على طبيعة العلم العربي الذي وصفه المرآش أكثر من أن التراث العربي الهائل لم يكن متيسراً تحصيله أو الإلمام به أو معرفة قيمته لدى ممثلي عصر النهضة من العرب ، هذا إذا لم يكن هذا الوصف صادراً عن إعجاب بحضارة حديثة لا يفتقد مبرراته .

لقد وصف المرآش في «رحلة باريس» واقع المنطقة العربية التي انطلق منها في طريق رحلته ، ابتداءً من حلب وانتهاءً بالإسكندرية ، وقد أفزعه ما رآه من معالم الخراب والدمار في المدن الساحلية السورية والفلسطينية ، كما أفزعه ما لمس في مدينة القاهرة من انحطاط وخراب ، وقد أمضى في زيارتها مدة أسبوع ، وخرج منها أسفاً على هذا الوقت الذي أضاعه ليشاهد أكبر مدينة عربية بهذا المستوى من التأخر . ولم يغب عن المرآش الإشارة إلى صعوبة السفر في أرض تفتقر إلى كل وسائل الراحة ، والعامرة بقطاع الطرق والحالية من المعابر والجسور على الأنهار (٢) .

(١) المرآش ، رحلة باريس ، بيروت ، ١٨٦٧م ، ص ٦-٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤-١٩ .

لقد انشغل المرآش طويلاً في المقارنة بين الواقع الذي انطلق منه والعالم الجديد ممثلاً بالغرب وحضارته . فقد وصف الواقع الذي خبره قائلاً<sup>(١)</sup> : «رأيت العالم مشهداً ذريعاً ترتعد فيه الفرائض . . رأيت الأرض تضطرب قاذفة من أفواهاها لهيباً يحرق وجه السماء . . . رأيت القوي يدوس الضعيف ويأكل لحمه ويشرب دمه . . . رأيت أقواماً يرضعون الذل والخوف من أئداء أمهاتهم . . . رأيت الغني يأكل قوت الفقير ويجنى ثمرات أتعابه . . . رأيت جميع خيرات الأرض وثوراتها مملوكة من نزر من المغتصبين . . . » .

وبالمقابل يقدم المرآش صورة مغايرة عن باريس/ الحلم ، حيث تعرف على نمط من الحياة جديد بكل أشكاله وألوانه . لقد لمس نظاماً حديثاً في الحياة والإدارة ، وتعرّف فيها على نظام الدولة الحديثة التي تأخذ على عاتقها مسؤولية حماية الفرد والجماعة بسياج من الأمن دقيق وشامل ، ولهذا نراه يطير إعجاباً بهذا العالم الجديد<sup>(٢)</sup> :

إلى جنة الفردوس هل أنا سائر  
تري أم إلى دنيا أخرى مسافر  
أباطحهم في ذا الزمان حدائق  
وحصباؤهم درّ الندى وأزاهر  
وأقفارهم ذات الوحوش مزارع  
بها تأنس القطعان والذئب نافر  
بها غدت الأسفار أطيب لذة  
وكان بها كل العنا يتقاطر  
فما عاد للرمضاء وقع على السرى  
ولا لانتشاب الريح في الركب صافر

(١) المرآش ، رحلة باريس ، ص ٤-٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣-٢٦ .

ولا الضواري البيد وثب على امرئ  
ولا لهجومات اللصوص معابر  
هنا تصدح النعمى هنا يرقص الهنا  
هنا تبسم الدنيا هنا الحظ حاضر

وتتملك المرائش صيحة الأعجاب الغامر بباريس ، رمز الحضارة الغربية الحديثة ، وهي الآن ، كما يقول ، «مركز العالم وأعجوبته ، وموقع تيار التمدن والآداب ، .. إنها عروسة لجميع المدن المسكونة ... وشمس يدور حولها فلك العالم البشري .. بباريس ذات شوارع رحبة العرض مستقيمة الطول ، .. جامعة كل وسائط النظافة ، فلا يقوم هناك للجيف الطاعونية انبعاث .. بباريس ذات ساحة واسعة الفسحات ، محكمة الأسلوب ... (١) .

ويتعرف المرائش في باريس على مظاهر الحياة الاقتصادية بما فيها التجارة النشطة التي تجعل من أسواقها خلية نحل لا هدوء فيها ولا كلل ... كما يتعرف على مظاهر الحياة الفكرية : «فالمراسح (المسارح) متقنة الأساليب والترتيب ، ينشرون فيها لنزاهة الناس ما دفن في قبر الزمان من المواقع ، ويستحضرون ما طار على أجنحة الأجيال من الحوادث» (٢) .

ويتنبه المرائش إلى واقع التعليم الذي تشرف عليه الدولة وترعاه : «فالمدارس لا يفتر تشييدها ، ولا يكف نظامها ، فيوجد عندهم لكل قسم من العلوم مدرسة تحيط به وتجمع شمله جمعا لا يقبل التفريق ، وينتخبون لكل مدرسة معلمين مهرة في فنونها ، ويضعون لها نظامات وشرائح تجري بدون خلل تثبيتا لدوامها ، وإيجابا لحصول الفائدة ... ولتسهيل الدراسة أقاموا في كل جانب من المدينة مكتبة عظيمة تحوي من الكتب كل ما يطلبه القارئ ، وكل هذه المكاتب معدة لقبول الجمهور مطلقاً ، فيدخل الناس إليها أفواجا ، ويقرأون ما يريدون ،

(١) المرائش ، رحلة باريس ، ص ٢٨-٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

وينسخون ما يشتهون بكل راحة وهدوء بال : « .. هذا بالإضافة إلى ما فيها من المختبرات المجهزة بالمواد والأدوات التي تعين على دراسة موضوع من الموضوعات .. والمتاحف التي يحتفظ فيها بكل غريب وعجيب ، وكل معلم من معالم الحضارة<sup>(١)</sup> .

ويعجب المرآش بما يلحظه من إقبال الناس على اكتساب المعارف والآداب ، ويدهش لهذا الإقبال : « فهم يتراکضون على اغتراف العلم ويشبهون انحدار الغدران من أعالي الجبال ، فترى الآباء يسرعون إلى وضع أولادهم في المكاتب حالاً بعد فظامهم ، والأولاد تتراکض إلى المعلمين كالفراخ إلى مربيها ، والشبان تنقض على المدارس كالنسور على جبالها ، وهكذا فلا يوجد عندهم للجهل أدنى مجال . . . وهذا كله راجع للمكانة التي يحظى بها العلماء ، وللاحترام الذي يقابلون به<sup>(٢)</sup> .

والمرآش ، وهو يسجل هذه الانطباعات عن باريس ، كان يرجع بين لحظة وأخرى إلى واقعه العربي الذي يمثل له شبح الخوف والرعب والظلم والتعصب الديني . فصورة الواقع العربي المرعبة تلاحقه وتؤله عندما أدرك ما يسود فرنسا من أمن واطمئنان<sup>(٣)</sup> :

«فكم سرور واندهاش عندما ترى هذه الأمة الفرنسية تتموج على بعضها كقطعة واحدة بدون نزاع في جزئياته ، ولا انقسام في كلياتها ، سابحة في بحور الأمن والسلام ، بدون خوف من واثب أجنبي أو حسود غادر ؛ راتعة في مراتع الغني والثروة ، بدون حذر من وحش مفترس أو جار مختلس ؛ راقلة بأذيال الحرية الكاملة بدون خشية من التعثر بأشواك سيادة بربرية أو سلطة ضارية ؛ نائمة في سرير الحياة الممنوحة من الله بدون قلق من وقوع سيوف سافك دماء ،

(١) المرآش ، رحلة باريس ، ص ٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

أو انتشار نار خيانة لابسة ثياب الدين والدنيا ، بدون جزع من أفواه صالقة (أي سمجة) أو مخالاب خازقة ، ولا ذعر من سطوات شريعة مارقة ، «وهكذا فكم تستميل الإنسان هذه الديار التي تمنح غناء غير مسلوب ، وأمنا غير مثلوم ، وحرية غير مأسورة ، وحية غير مهدورة ولا مذعورة ، ولذلك فالابتسام هناك لا يفارق الوجوه ، والأفراح لا تهجر القلوب ، والأغاني لا تترك الأفواه ، والنعيم لا يدري بؤساً ، وشموس المسرات لا تعلم كسفاً» .

### تطور العقل الإنساني أساس الحضارة الغربية الحديثة؛

كان المرآش يحاول أن ينفذ إلى فلسفة الحضارية الغربية الحديثة والأسس التي تقوم عليها ، وقد تبين له أنها حضارة تقوم على العقل ؛ أي أنها حضارة تستند إلى نزعة إنسانية مستمدة من تجربة الإنسان الوجودية على الأرض . وهو يقول في هذا السياق<sup>(١)</sup> : «وكل هذا الجمال العجيب والكمال الغريب الذي ارتقت إليه هذه المدينة العظيمة ، إنما هو نتيجة ما بلغ إليه العقل عندهم من التقدم والنجاح ، فلا ريب أن سلطان عقل هذا الجيل في هذه الديار قد جلس الآن على قمة عرش كماله ، وأخذ يشنّ على العالم غارات قواته ، ليفتح معاقل الطبيعة ويقلب ممالك الظلام» .

إن إيمان المرآش بالعقل الإنساني أساساً للمعرفة والرقي البشري ، وبالتالي كونه المسؤول عن سيطرة الحضارة الغربية الحديثة ، ليس مجرد فكرة عارضة ، فقد ألحّ على جلاء هذه الفكرة في كتابه «مشهد الأحوال» الذي هو ثمرة من ثمرات رحلته إلى باريس ، لقد رأى أن سرّ حضارة الغرب وازدهارها وسطوتها راجع لإطلاق العنان لمقدرات العقل وإنجازاته<sup>(٢)</sup> :

«وما كان للعقل ليرضى بانحطاط مراتب أعماله وسقوط دولة أفعاله ،

(١) المرآش ، رحلة باريس ، ص ٣٧ .

(٢) المرآش ، مشهد الأحوال ، ١٨٨٣م ، ص ٢٣ .

ولذلك فريثما كان الشرق يلج في الظلماء ، كان الغرب يعانق الأضواء ، وما لبث أن تبوأ الغرب صهوة الضحى ، وهار نهار الشرق وانمحي ، وما زالت مناطق النور تمتدّ في الغرب إلى أن غمرت القارة . وهكذا فتحت الأبصار والبصائر . . . حتى انتشر العلم ، والجهل انطوى ، فتكملت المعارف والمفهومات . . . وسقطت الأكاذيب والأباطيل ، وهدمت الخرافات والأضاليل ، وارتفعت الحقائق ، وتشيّدت الطرائف ؛ فلم يعد للفلك أحكام ، ولا للعين سهام ، ولا للجن ، مسارح ، ولا للأرواح مراسح . فهناك الشمس ثبتت في مقرّها ، والأرض دارت على دائرتها ومحورها . . . والشريعة فصلت بين الحقائق والأوهام .

أمّا إهمال شأن العقل والتّعقل فهو سبب الخراب والدمار الذي يسود الشرق<sup>(١)</sup> :

« . . وما برحت التقلبات عند مضاربيها ، والمكائد تعدّ ملاعبها ، والزمان ينفث الانقلاب ، والخطأ يعبث بالصواب ، حتى أولج الدهر سنانه في مقتل العقل ، وأوقع الغلط حسامه في عنق النقل ، فهجم الظلام في خباياه ، وبرز الخراب في زواياه ، فتاهت الأهالي في هذه الدياجر ، وتساقطت في تلك المعائر ، واسترجع الإقبال يسره ، واستطلع الإدبار عسره ، حتى غرقت العقول في لجج الجهالة ، وغرفت الطباع في بطائح الرذالة . وهكذا انقلبت المدن العظيمة ، وانمحت الآثار القديمة ، واضطربت المتون الراسخة وهوت السرادقات الشامخة ، حتى نعب بوم الدمار ، ونعق غراب الاندثار ، وما زال أن سلّم الشرق نفسه ، ورفع الغرب رأسه . . » .

### غاية الحق والحلم بدولة التمدن الحديثة:

إن هذه التصورات والأفكار والرؤى التي عبّر عنها المرآش في كتابيه : رحلة باريس ١٨٦٧م ، ومشهد الأحوال ١٨٧٠م ، كانت تعبيراً عن امتعاض شديد

(١) المرآش ، مشهد الأحوال ، ص ٢٢ .

من واقع المجتمعات الشرقية بعامة والمجتمع العربي بخاصة ، في ظل دولة عتيقة تصارع من أجل البقاء في مراحلها الأخيرة . وفي الوقت نفسه كانت هذه التصورات والرؤى تتويجاً لميول سابقة لدى المرآش تجاه الغرب وحضارته ، وقد تعززت الآن بالاتصال المباشر مع الغرب (فرنسا) . أقول هذا وأنا أعرف أن صلة المرآش بالفكر الغربي وبالأسس التي تقوم عليها الدولة الحديثة في الغرب وما يترتب على وجودها من معايير في الحكم والإدارة ، ومن قوانين تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وفوق ذلك كله كيف تحقق هذه الأسس والمعايير أسباب القوة والمتعة والسيطرة . إنني أعرف أن كل هذه التصورات لدى المرآش قد بدأت قبل ذهابه إلى باريس طالباً . فقبل رحلة باريس ١٨٦٧م ألف المرآش كتابه (غابة الحق) القصصي الطابع ، والمثقل بأفكار المفكرين الغربيين في مجالات شتى من مجالات الحياة الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية .

إن كتاب «غابة الحق» يمثل حلماً لمفكر يهجمس بالبحث عن آفاق جديدة في تاريخ البشرية . ففي خضم التأملات في تاريخ الدول القديمة أدرك المرآش كيف زالت دولة الفرس ، وتلا ذلك دولة اليونان ثم الرومان . والجدير بالذكر هنا أنه لم يأت بالذكر على دولة العرب والمسلمين وإنما قفز مباشرة إلى آفاق الدولة الحديثة ممثلة بالغرب الذي تسلح بالعقل والعلم<sup>(١)</sup> .

« . . ولم يزل تحصحص لأعين تأملاتي تلك الظواهر إلى أن انفتح أخيراً لدى أبصار تبصراتي باب رحب مكتوب على قنطرتة : العقل يحكم ، ومنه عاينت بربة فسيحة جداً وتباين لي عن بعد بيرق يخفق مقترباً ، فوضعت نظارة الاختبار وأمعنت النظر فرأيت مكتوبا به : العلم يغلب . وظهر لي حينئذٍ من ورائه جيوش التمدين الزاهرة ممتطية متون الاختراعات العجيبة والمعارف الكاملة ، وهي تتخطر متموجة بأنوار أسلحة الحكمة والعدل ، متدرعة بدروع الحوية الإنسانية والخلوص المحض . ورأيت أمام هذه الجيوش المظفرة تتراكم ممالك

(١) المرآش ، غابة الحق ، ١٨٦٥م ، ص ٤-٥ .

الظلام مع كافة أجنادها ناكصة على أعقاب القهقري والانكسار ، وهي تزاحم بعضها بعضاً إلى الهبوط في لجج العدم والاضمحلال ، حيثما لا حركة ولا صوت .

«وهكذا مدتّ دولة العقل قوتها على كل بقعة ومكان ، وعمّ السلام على كافة المسكونة . وفيما أنني مشمول بشمول هذه المرثيات التصويرية في هذا العالم الفكري ، ثملُ بما أشاهد من هذا المرسح الجديد الذي تتلامع فيه شمس هذا العصر الحديث . وإذا قد ظهر لي من وراء الأفق الغربي دخان كثيف مدلهم ، وأخذت أذناي تسمع لغطاً أتيا من بعيد يشبه لعلعة رعد شاسع ، وكادت حينئذ نواظري أن تستلمح تلامع أسلحة الحرب . وإذا داخلني روح العجب لما عاينت من المنقلب ، نادتنني أصوات الأخبار الشائعة قائلة : هو ذا العالم الجديد (أمريكا) قد رفض شريعة التعبد ، ولذلك نهض ضد هذه العادة الخشنة بالأسلحة والنار ، إذ لا عاد يحتمل وجود بقية لدولة التوحش على سطح الأرض . . . فعندما استوعبت هذه الحوادث ، ووفيت التمعن حقّه ، تلاعبت يد الاضطراب في جهاز الحياة ، ومالت الأعضاء للارتياح . ولم أزل فريسة ترتعد بين مخالب تلك الانفعالات إلى أن أخذتني سنة المنام وانفتح لدى أعيني مرسح الأحلام» .

من الصعب الآن محاكمة المرآش على هذه التصورات وهذه الهواجس ؛ فقد كان يهجم ويحلم ويفكر وفق معطيات العصر والواقع الذي عاش فيه : جذور تفكير طائفي حجبت عنه رؤية تاريخ حضاري طويل للعرب والمسلمين ، وتجربة قاسية في مجتمع الملل والنحل والمذاهب في دولة لا يدين لها بالولاء ، ممثلة - برأيه - لدولة التوحش والقيم العتيقة ، وانبهار بإنجازات علمية هائلة في الغرب في القرن التاسع عشر . . وثورة في أمريكا تحت شعار الاستقلال عن أسلافها من الغرب ، وشعار الوحدة وارهاصات بتحرير العبيد . ولم يكن المرآش شاذاً في أحلامه المتفائلة بالخلاص على يد الغرب العقلاني المتسلح بالعلم ؛ فمعظم الأدباء والمفكرين العرب في المشرق العربي ، مسيحيين ومسلمين على السواء ،



كانوا على هذه الشاكلة ، ولم يظهر الغرب بعد على حقيقته ، وكان من المستحيل على المرآش أن يرى صورة أمريكا الحلم بهذه البشاعة في عصرنا الحالي .

مع هذا كله فقد بدت أحلام المرآش تختط معالم الدولة الحديثة وما عليها من تبعات ومسؤوليات ، وما على رعاياها من واجب المحاسبة والمراقبة وتصحيح الانحرافات التي تقترفها . وبدأ المرآش مبتعداً عن الإطار القصصي لغاية الحق ، يتحدث عن موضوعات كثيرة في بنية هذه الدولة من مثل : البحث في أصول التجمعات والتكتلات البشرية ونشوء الدول ، متأثراً بأراء مفكري الغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وأخذ يتحدث أيضاً عن تصوراته للنظام السياسي في دولته الحلم ، ولم يسلم في هذا الحديث من بساطة الرؤية ، ومن الولاء للنظام الملكي المستنير الذي يستمد سلطته من مصادر دينية (من الله) ، والمعتمد على مشورة الحكيم الذي دعاه «فيلسوف دولة التمدن» . وتحدث المرآش عن طبيعة جيش دولة التمدن الذي تناط به مسؤولية الحفاظ على سلامة هذه الدولة وحماية قيمها ومبادئها من هجوم دولة التوحش<sup>(١)</sup> .

ويتضح الخلط في تصورات المرآش السياسية عندما نجد بعض أقواله التي تشير إلى النظام الجمهوري في اختيار الحاكم ، أو في الثورة عليه ، وتنحيته إذا لم يحقق هدف الصالح العام<sup>(٢)</sup> ، أو عندما يتحدث عن حقوق الطبقات الفقيرة في الشؤون السياسية وإدارة الدولة<sup>(٣)</sup> .

والحقيقة أن أهمية ما يطرحه المرآش في كتابه (غاية الحق) لا تبدو من خلال تصوراته لطبيعة نظام الحكم بقدر ما تبدو في القضايا الفكرية والسياسية التي طرحها وهو يتحدث عن دولة التمدن التي يحلم بها . ولعل أبرز هذه

(١) المرآش ، غاية الحق ، ص ٢٣-٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

القضايا حديثه عن موضوع المساواة ، ووجوب تطوير القوانين لتتوافق وتطوّر الأحوال ، وكذلك حديثه عن مسؤولية الدولة الحديثة تجاه شعبها أو مجتمعاتها . هذا بالإضافة إلى إرهابات فكرية في معنى الحرية والوطن والتعايش السلمي بين فئات المجتمع المتنوع الأعراق والمذاهب والطوائف الدينية . لقد أولى المرّاش قضية المساواة أهمية كبيرة ، واعتبرها من أهم المقومات لصحة السياسة ، والحفاظ على بنية الدولة وسلامتها<sup>(١)</sup> .

«إن أعظم المقومات لصحة السياسة وإقامة الحق هو مجرى شرايعها متساوية على كل أبنائها بدون أدنى امتياز بين الأشخاص أو تفريق بين الأحوال . فلا يجب الأخذ بيد الكبير ودفع الصغير ، ولا التفات إلى الغني والإعراض عن الفقير ، ولا مؤازرة القوي ومواراة الضعيف ، بل يجب معاملة الجميع على حدّ سوي كي لا يقع خلل في نظام الحق ، لأنّ كل فئة من الناس لها منزلة في طريق السياسة تستدعي النظر إليها ؛ فكما أن العظماء والأغنياء هم القوّة الواصلة ، كذلك الضعفاء هم الآلة الموصلة» .

ويؤكد المرّاش على ضرورة مشاركة الجميع في إدارة شؤون الحكم بحيث تتاح لهم فرصة في ممارسة حقوقهم السياسية ، سواء في حق اختيار السلطة التي تمثلهم أو تولي زمام السلطة نفسها<sup>(٢)</sup> :

«ولماذا يوجد لأصوات الأغنياء أن ترنّ في قاعات السياسة ولا يوجد هذا الحق لأصوات بقية الشعب الذين هم الجانب الأكبر والأهم ، والذين بواسطتهم تقوم سطوة الممالك وقوات الملك ، وعليهم يتوقف مدار السياسات . فلا شك في أن لسان السياسة نفسه ينادي بوجوب حالة الاستواء» .

أما قضية وجوب تطوير القوانين لتتوافق وواقع الحال ، فقد تحدّث عنها المرّاش في سياق ما سمّاه : «حالة المطابقة» ، وهو يعني بذلك وجوب تطور

(١) المرّاش ، غاية الحق ، ص ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

القوانين وفق التطور الحاصل في مجريات الحياة . وقد رأى أن جمود القوانين على وضعية معينة ، ودون مراعاة المستجدات الحاصلة في الزمن ، يعني عزل هذه القوانين عن واقع المجتمع الجديد ، بالتالي ستكون هذه القوانين سبباً في اضطراب شؤون المجتمع وليست سبباً في حلّ مشاكله ، وإيجاد التوافق في هيئاته . وفي هذا المعنى يقول<sup>(١)</sup> : «هكذا ينبغي أن تكون السياسة مطابقة بقوانينها وشرائعها ما يقتضيه واقع الحال بدون زيادة ولا نقصان . ومتى عدت تلك المطابقة زاغت الهيئة عن واجباتها ، واضطرب كل نظامها» .

والأمر الثاني الذي نستنتجه من حالة المطابقة هو سن القانون بحيث يأتي حكمه موافقاً لحقيقة الحال التي سنّ من أجلها ، ومن هذا القبيل أيضاً أن يكون العقاب متناسباً ومدى المخالفة والجرم الحاصل ، بحيث لا يشتط القانون في إنزال العقاب الجائر في أمور لا تستحقه . وفي هذا المعنى يقول<sup>(٢)</sup> : «ولما كانت حوادث الهيئة الاجتماعية تختلف جرماً وموقفاً ، كان لكل منها شأن يستوجب حكماً يلائمه ويطابقه ، ولكل حكم قوانين تناسبه وتشاكلة ، وهكذا تكون الأحكام وقوانينها مختلفة اختلاف الحوادث الجارية» .

وتنبّه المرآش إلى ضرورة المحافظة على روح القوانين وأصولها والأخذ بها وعدم اللجوء إلى تأويلها وتفسيرها تبعاً للهوى ، أو اللجوء إلى تعطيل بعضها والأخذ ببعضها الآخر ، وفي هذا المعنى يقول<sup>(٣)</sup> : «وبما أن الأحكام تعتبر كأجزاء تؤلف جسم الشريعة في عالم السياسة ، وجب أن يكون كل من هذه الأجزاء ثابتاً على نقطة وضعه ، وبناءً على ذلك نرى أنه متى زاغ أحدها عن الوضع المعين له ، يقع حالاً في حركة الاضطراب ، ويستفزّ البقية إلى مشاركته في تلك الحركة ، ولم يرجع إلى سكونه ويسترجع ، ما لم ينقطع تأثير الفاعل ،

(١) المرآش ، غاية الحق ، ص ٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٦-٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

بحيث إذا دام متواصلًا يتهدم بناء ذلك الجسم ويتشتت شمل أجزائه». أما فيما يتعلق بمسؤولية الدولة الحديثة فقد أكد المرآش على ضرورة أن تتحمل الدولة مسؤولياتها إزاء شعبها، وأن تؤدي الخدمات لأفرادها وهيئاتها الاجتماعية. وقد ناقش هذه القضية في إطار ما سمّاه: حالة الصالح العام، فرأى أنه ركيزة من ركائز السياسة، ومن أسباب تطورها. ولخص رعاية الصالح العام بقوله<sup>(١)</sup>: ذلك يستريح على عدة أركان، الركن الأول هو تمهيد سبل العلوم، ويتضمن المساعدة على تشييد المدارس، وتسهيل الدخول فيها لأجل كل من يرغب، وترقية الناجحين بالدراسة على قدر الاستحقاق. والركن الثاني يتعلق بتسهيل طرق التجارة، وهو يتوقف على تقريب أبعاد السفر بواسطة إصلاح الطرقات، وعلى إزالة مخاوف ومعاثر الطرق، وعلى وضع أنظمة تجري على أصحاب هذه الحرفة بحيث لا يمكن لأحد أن يتجاوزها. والركن الثالث يتمثل بتقوية وسائط الصنائع والأشغال، ويتأسس ذلك على إثارة همم ذوي الاختراعات بتعظيم جوائزهم ورفع شأنهم وتمكينهم من اقتطاف ثمرات أتعابهم. والركن الرابع يتعلق بالإصلاح الزراعي، ويتمثل بمساعدة المزارعين والفلاحين، ورفع الجور عنهم، وفتح الطرق الزراعية وتعجيل خطوات الحصاد، ومنع حشر العشار واحتشاد الخزان . . .».

وكما أشرت سابقاً فإن المرآش في كتاب «غابة الحق»، قد تطرّق إلى قضايا مهمة في بنية وطبيعة الدولة الحديثة وطبيعتها، من مثل مفهوم الحرية والعبودية، ومعنى الوطن والوطنية، وموضوع التعايش السلمي بين فئات المجتمع المتعدّد الأعراق والأديان والمذاهب والطوائف.

لقد ناقش موضوع الحرية والعبودية من منطلق الحق الطبيعي أي: أن كل إنسان قد ولد حراً ويجب أن يعيش حراً<sup>(٢)</sup>، كما ناقش موضوع الحرية من زاوية

(١) المرآش، غابة الحق، ص ٧٧-٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

فلسفية اجتماعية ، ورأى أن الإنسان مقيد منذ ولادته وحتى وفاته ، وهو مرتبط بغيره ارتباطاً وثيقاً ، ولا يمكنه مع هذا الارتباط أن ينشد حرية مطلقة<sup>(١)</sup> . ولكن ، في غير هذا المفهوم الفلسفي ، فقد رأى المرّاش أنّ على الإنسان أن يطالب بحريته إذا اعتدى عليه معتد<sup>(٢)</sup> . ورأى المرّاش أن الإنسان إذا كان يعيش ضمن دولة متمدنة ، خاضعاً لأحكامها وقوانينها ، فإنّه لا يكون عبداً في إطار هذه الدولة ، بل على العكس من ذلك ، فإنه يقوم بواجب ملزم به أدبياً تجاه هذه الدولة . أمّا إذا كان يعيش في إطار دولة العبودية ، خاضعاً لأحكامها ، فإن عليه أن يثور ضد هذه الدولة وأحكامها وقوانينها<sup>(٣)</sup> .

ومن الطبيعي أن ترتبط دعوة المرّاش إلى الحرية بالدعوة إلى التخلص من ضدها ، أي العبودية . وقد رأى أن العبودية تنطوي على معنيين : العبودية الاجتماعية والسياسية ، وعبودية الرق . وبدا المرّاش متفائلاً بزوال النوع الأول الذي ساد في تاريخ الإنسانية ، بناء على أن مبادئ دولة التمدن الحديثة في القرن التاسع عشر لم تعد تتسامح مع هذا النوع من العبودية<sup>(٤)</sup> .

أمّا النوع الثاني ، وهو عبودية الرق ، فقد استنكره قائلاً : وكم يكون خشناً وبربرياً من يهجم على باعة الأسرى ليتعاطى بيع وشراء أشباهه في الطبيعة . . . وكيف يمكن للإنسان الطبيعي أن يشاهد إنساناً نظيراً له مغلولاً مقيداً بقيود التعبد (ولا يستشاط) غضباً<sup>(٥)</sup> . وقد عدّ المرّاش هذا النوع من مخلفات الحضارات القديمة ، ومن أمثلة استنكار المرّاش المثيرة على الرق ، تعليقه على بيت المتنبي المشهور :

(١) المرّاش ، غاية الحق ، ص ٢٩-٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٨ ، ١٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

لا تشتتر العبد إلاّ والعصا معه

إن العبيد لأنجاس مناكيد

فقد علّق المرآش قائلاً على لسان العبد الذي كان يشكو معاملة سيده : «ثم هجم عليّ بالعصا مكفهر الوجه والأعين وهو يردد هذا البيت البربري ماضغاً ألفاظه» .

### المرآش والفكر القومي؛

إذا كان كتاب (أو قصة) غابة الحق يمثّل حلم المرآش بمبادئ إنسانية عامة ، وبدولة التمدن الحديثة ، فإنه أيضا يقدم إرهابات أولية مهمة في موضوع الحسّ القومي . ولقد أشرت سابقا إلى أن المرآش كان يأتي على ذكر الأمم القديمة وحضاراتهم دون أن يذكر العرب من بين هذه الأمم والحضارات<sup>(١)</sup> . ومن العبث القول إن المرآش يجهل تاريخ العرب وحضارتهم الإسلامية ، ومكانة هذه الحضارة في تاريخ البشرية ، ومن هنا يتساءل المرء : لماذا لم ترد لديه إشارة إلى العرب؟ هل هذا يعني أنه لم يكن يشعر آنذاك بولاء لعروبته؟ أو أن شعوره بوجود الدولة العثمانية الإسلامية لا ينفصل عن شعوره باستمرارية العرب ودورهم في إطار هذه الدولة المسلمة؟ أو أنه أغفل الإشارة إلى العرب استصغارا لدورهم الحضاري؟ أو أن هناك أسبابا أخرى جعلته يتجنب ذكر العرب بين الأمم والحضارات القديمة؟؟

وفي سبيل الإجابة على هذه التساؤلات نرى أن المرآش لم يكن مهيباً في بداية حياته لأن يحمل مشاعر قومية ليدعو إليها ؛ فالظروف التي عايشها في حلب جعلته ينصب باهتمامه على شؤون الطائفة أو مجموع الطوائف التي ينتمي إليها . ومن المؤكد أن المرآش يعتقد أن الدولة العثمانية لا تمثل الوجه العربي كياناً وحضارة ، وأنه كان يدرك أيضا أنه يعيش في دولة تحارب القوميات

(١) انظر : غابة الحق ، ١٨٦٥م ، ص ٢-٤ ، ص ٨ ، وخطبة في تعزية المكروب وراحة المتعوب ، ص ٤-٦ .

المشكلة لكيانها . ولعل توجهات المرآش نحو القيم الإنسانية العامة المستمدة من أطروحات الفكر التنويري الغربي الحديث ، هي التي أبعدت عنه الانشغال بمبادئ الولاء لقوم لم تتشكل هويته السياسية بعد . ومع هذا كله فإن المرآش لم يكن بعيداً في تفكيره عن بدايات التيار القومي الضيق (القومية السورية) أو التيار القومي العام . فقد كان على علاقة وثيقة ببعض العرب المسيحيين الذين شكلوا الجمعيات السريّة بتأثير من تشجيع الغرب للحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية تحت شعار الحسّ القومي ، ومن هؤلاء حنين نعمة الله خوري ، وهو أحد أعضاء الجمعية السورية التي تأسست سنة ١٨٥٧ م . وللمرآش أبيات شعرية يودع بها صديقه حنين ، يقول فيها (١) :

رجوتُ اجتماعُ شملي مع  
حنين خوري فلم أنل وطري  
ذاك الحبيب الذي نأى فرمى  
فراقه مقلتي بالسهر

كما وردت لدى المرآش أبيات شعرية يمدح بها جريدة تدعى «المشتري» وكانت تطبع ببائيس ، وذات توجه سياسي مناهض للدولة العثمانية (٢) . ولعل بداية تصريح المرآش بانتمائه العربي جاء على لسان أحد شخصوصه القصصية في غابة الحق ، وهو العبد الذي روى حكاية تحرره واشتغاله بحاراً يخالط البحارة الغربيين . وما قاله هذا العبد الذي ترك مهنته بسبب احتقار البحارة الغربيين له (٣) : «صرت أسمع بثتيمة الجنس العربي واحتقاره من جميع الإفرنج الذين كانوا يصادفون مركبنا أو أحد ملاحيه ، حتى أن أولادهم

(١) شيخو ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) شيخو ، «ملحق يدوان فرنسيس مرآش» مجلة المشرق ، السنة الخامسة عشر ، ١٩١٢ م ، ص ١٠١ .

(٣) المرآش ، غابة الحق ، ص ١٣٧-١٣٨ .

يظنون أن العرب هم نوع منقطع عن الجنس البشري ، ولا تحسب إلا من جملة الحيوانات ، الأمر الذي ينتج عن كثرة استماعهم عبارات الازدراء والتحقير من آبائهم» وقد فسّر المرآش سبب هذه المكانة المتدنية للعرب بين الشعوب بقوله (١) : «إن الجهل الفاشي في هذا الجنس أوجب انحطاط شأنه . . . ولو كان عنده مدارس ومساعدون على تقديم العلم ، ومحبة وطنية منزهة عن أغراض الدين ، لما أصبح أضحوكة عندهم ، بل ربما يكون أرقى من جميع العالم علماً ، لشدة حدقه الطبيعي وحزمه . ولا ينكر الغرب فضل العرب عليه» .

ويعود المرآش للحديث عن العرب في مقال نشره في مجلة الجنان سنة ١٩٧٢م ، بعنوان «يوم باريس» . وفي هذا المقال الذي جاء تعليقا منه على الحرب الفرنسية الألمانية بسبب النزاع على عرش إسبانيا ، استنكر المرآش على الغربيين اقتتالهم ، وبدأ يقارن بينهم وبين العرب مبتدئاً من جاهلية الطرفين ، وما قاله في هذا الصدد (٢) :

«أما تخجلون إذ تدعون العرب برايرة وأمة غابرة ، وهم الذين طبعوا على الإنسانية ، وتزينوا بكل زينة سنية . وإذا رمت معرفة الفرق بين طبيعتهم وطبيعتكم سلوا جاهليتهم وجاهليتكم عساكم تفهمون وتعون ، وعن غيكم ترجعون . أقول فمن هاتين الجاهليتين تعرف الإنسانية أين . ولما أسلمت العرب وحضرت ، وهاجمت القياصرة واستظهرت ، لم يكونوا محضوضين من الشهوات والأطماع ، ولا عن خبث الطباع ، بل ناهضين بأمر الدين ، ومن قبله إلى المجاهدة في سبيله . وهكذا ساروا وسلكوا ، وسادوا وملكوا ، ثم نبغوا بالعلم والفنون ، وأتوا بكل المتون ، وشادوا المدارس ، وجادوا بالنفائس ، حتى همى غيثهم وغوثهم على سائر الأمم . . وما زالوا أن دخلوا في حماية أشرف صولجان ، وهو قضيب سلاطين الزمان وملوك الأوان آل عثمان . فلا تنخالوا أن العرب

(١) المرآش ، غاية الحق ، ص ١٣٨ .

(٢) المرآش «يوم باريس» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٢م ، ص ١٥٠ .



سقطوا الآن أو رجعوا في خذلان ؛ لأنّ أمة نظيرهم لا تسقط ، وإلى الحضيض لا تهبط ، وإذا كان ظلّ عزائمهم تقلّص فغدركم هو السبب . . . فاذكروا وقائعكم أيها الصليبيون وما عثتم وعبثتم من حلب إلى صهيون ، إذ كان العرب لاهين عنكم بأدابهم إفراداً أو إجمالاً ، فأخذتموهم اغتياً واحتيالاً . فوأسفا على ديار كانت دياركم أمامهم كالمراحيض ، وواحسرتا على بلاد كانت بلادكم بالنسبة إليها كالعظام المهيض . واذكروا حكم السلطان صلاح الدين ذي البطش المبين ، الذي حكم وعدل ، حتى كان يمنح المعوِّز منكم نفقة رحيله لترشيده سبيله ، وكان يعزّ من يلج في دين الإسلام ، ويدخله تحت راية السلام .  
ومثل هذه الإشادة بالعرب وتاريخهم نجدتها شعراً في ديوانه «مرآة الحسناء» ، إذ يقول معبراً عن إحساسه القومي ، ويفتخر بعروبته ، ويهاجم فيها الإفرنج (١) :

حتمّ تزرون يا إفرنج بالعرب  
مهلاً فلا خير بآبنٍ قد زرى بأبٍ  
ما فضل قوم من الأوباش لا نسب  
لهم على قوم إسماعيل ذي النسب  
إن كان بالعلم جئتم تفخرون فمن  
معالم العرب كل العلم والأدب  
أخذتم الطبّ عنهم والحساب وما  
يتلوه والشعر حتى كل منتخب  
وعنهم صنعة البنيان قد أخذت  
مع الزراعة والتحصيل والجلب  
تذكروا ما غنتم يوم ندوتكم  
في أرض أندلس من تلكم الكتب

(١) المرآة ، ديوان المرأة الحسناء ، ١٨٧٢م ، ص ٤٤ .

والملاحظ هنا أن المرآش في شعوره القومي يختلف عن معاصريه ، أولئك الذين رفعوا شعار القومية في لبنان بخاصة ؛ فالمرآش يفتخر بعروبته دون أن يهاجم الأتراك ، بل يفتخر بها في ظلّ الدولة العثمانية ، ومن خلال الهجوم على الغرب والغربيين . ونحن نتساءل عن هذه الظاهرة التي لم يكن يعرفها الاتجاه القومي وبخاصة لدى العرب المسيحيين ؛ فالغرب بالنسبة لهم هو المحرك لأفكارهم القومية والمعرض عليها ، بينما الذي يقف في وجه فكرهم القومي هم الأتراك . وتفسيرنا لهذه الظاهرة هو أن المرآش لم يكن غافلاً عن موقع العرب ، والعربي المسيحي بخاصة في الدولة العثمانية ؛ فوالده فتح الله مرآش كان واحداً من الذين ناوؤا حكم الأتراك ، واضطر أن يبتعد عن حلب ليموت أخيراً في بيروت<sup>(١)</sup> ، كما كان قريبه ومواطنه جبرائيل دلال قد سجن ومات بسبب قصيدة قالها بعنوان : العرش والهيكل ، واتهم بسببها أنه يناهض سلطة العثمانيين<sup>(٢)</sup> .

حقيقة أن المرآش لم يكن يجهل هذه الأمور ، ومن هنا فإن هذا التوجه في تفكيره القومي قد يفسر بسبب الظروف التي كانت تعيشها حلب في ظل الدولة العثمانية . فحلب لم تكن ولاية عادية بل كانت السلطة العثمانية توليها أهمية خاصة ، حتى إن ولايتها العثمانيين كانوا في الغالب من الباشوات أو الوزراء أو ممن رشحوا لمنصب الصدارة العظمى<sup>(٣)</sup> . ولهذا كان يصعب على المرآش أن يفتخر بعروبته دون أن يقرن ذلك بشيء من الاطراء للدولة العثمانية ، في حين أن حاملي الشعار القومي في لبنان كان يسهل عليهم ذلك تبعاً لوضع

---

(١) فارس نمر ، النهضة الدستورية في سوريا ، مجلة المقتطف ، ٣٦م ، ١٩١٠م ، ص ٢٥٨ ، وانظر : مذكرات

المعلم نعم نجاش ، مجلة المشرق ، ٣٥م ، ١٩٣٧م ، ص ٤٤٥ .

(٢) منير مشابك موسى ، الفكر العربي في العصر الحديث ، سوريا من القرن الثامن عشر حتى العام

١٩١٨م ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ٤٤ .

(٣) الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ١م ، ص ٣١٩ .

لبنان الخاص الذي تقررته صورته وعلاقته مع تركيا بنظام المتصرفية بعد حوادث سنة ١٨٦٠م . ولكن مع ذلك فإن افتخار المرآش بعروبته بمعان وأفكار شبيهة بما طرحه العرب لاحقاً بعد أن خضع الوطن العربي للاستعمار الغربي - أن هذا الافتخار قد يدل على وعي مبكر للمرآش بطبيعة العقلية الغربية إزاء الشعوب والحضارات الأخرى . وقد عرف المرآش هذه العقلية عن قرب في مدينة حلب ، وربما عرفها بعمق في أثناء وجوده طالباً في باريس .

وما يجدر ذكره الآن أن إحساس المرآش بعروبته وافتخاره بإنجازات العرب والمسلمين ، لم يكن مثاليًا ليحلم بكيان عربي واسع مستقل يغطي المنطقة العربية كلها . فما كان يحلم به المرآش في بداية الثلث الأخير من القرن التاسع عشر يتوافق وأفكار الإصلاحيين العرب المعتدلين الذين كانوا يحلمون بإيجاد تكتل عربي في إطار الدولة العثمانية ، وقد عبّر المرآش عن شيء من هذا التفكير صراحة في مقالة نشرها في مجلة الزهرة سنة ١٨٧٠م حيث قال (١) : «وحيثُ تسعد حالنا في ظلّ معدلة دولتنا العلية الأبدية القرار المسهلة طرق تقدمنا ونجاحنا» .

ولعل خلاصة التفكير القومي لدى المرآش قد جاءت في سياق حديثه عن الوطن والوطنية ، حيث بدت لديه الملامح الأولى لفكرة القومية العربية في حدود سوريا (بلاد الشام) أو الوطن السوري ، وهي الملامح التي سيكون لها شأنٌ بعد أكثر من ستين عاماً من انشغال المرآش بها .

### **المرآش والفكر الوطني والقومية السورية:**

لقد ألح المرآش على فكرة الوطن والوطنية متنقلاً في إلحاحه من المعنى الطائفي الضيق إلى معنى المواطنة التي تجمع أبناء الوطن على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم . لقد انتقل من مجموعة الأفكار التي بثّها في «رسالة دليل

(١) المرآش «الوطن» ، مجلة الزهرة ، ١٨٧٠م ، ع٢٤ ، ص١٨٦ .

الحرية» المعبرة عن حرصه على مصلحة المسيحيين في حلب ، إلى أفكار أكثر سمواً في معنى الوطن والوطنية ، عبّر عنها في كتابه «غابة الحق» .  
 إن كتاب «غابة الحق» يقدم التصورات النظرية لمعنى الوطن دون أن ترتبط ببقعة مكانية محددة ، وأساس هذه التصورات هو المصلحة المشتركة لجماعات من البشر اقتضت مصالحهم وظروفهم أن يجتمعوا متعاونين في إطار بقعة من الأرض اكتسبت قدسيتها لأنها هيأت لهم أسباب حياة كريمة ، ولهذا فهم ملزمون بالدفاع عنها لكونها سبباً في استمرار وجودهم وسجل شرائعهم . وقد جاءت هذه التصورات في سياق حديثه عن حاكم دولة التمدن المتخيلة ورعيته<sup>(١)</sup> :  
 «فأوعز إليهم رئيسهم أن يجتمعوا في إحدى الساحات الفسيحة : روءساء ومرؤوسين ، رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، أغنياء وفقراء ، دون امتياز أو مميّز ، لكون الجميع لهم أن يحاموا عن حقوق الوطن ، ويقتسموا مطالب محبته سوية لوجوب حقه على كل من لا يُنكر عليه حق التمتع بخيراته» .

والمرآش ، منطلقاً من الواقع الذي يعيشه ، لا يتجاهل عن المشكلة التي تحول دون قيام وحدة وطنية تجمع الأفراد والجماعات على هدف واحد ، وهي مشكلة اختلاف الأجناس والعقائد والمذاهب والطوائف ، وقد عبّر عن ذلك من خلال حديث قائد جيش التمدن في «غابة الحق» الذي استبعد قيام وحدة وطنية في مثل هذه المجتمعات المتنوعة الولاء ، كما يقول<sup>(٢)</sup> : «لأنهم شعب مجموع من كل قبيلة وملة تحت السما ؛ فكل حزب منهم يبغض الآخر ، ويجتهد في خرابه واندثاره ، بناءً على أن المحبة الوطنية لا تقوم على اختلاف الأجناس . ومتى بطلت المحبة زال التمدن ، لأنها الأساس الأول . ومتى زال التمدن تمزقت أحشاء الوطن ، وخفقت سناجق العبودية ، فلا يمكن دفع هذه الصعوبات مالم يمر زمن طويل» .

(١) المرآش ، غابة الحق ، ١٨٦٥م ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

لكنّ المرّاش على الرغم من إدراكه هذه المشكلة ، لا يستبعد قيام الدولة الوطنية لهذه المجتمعات المتعددة الولاءات العرقية والدينية ، وقد جاء ذلك على لسان الحكيم في «غابة الحق» ، ردّاً ، على قول قائد جيش التمدن<sup>(١)</sup> : «إنّه ولئن كانت هذه المبادئ صحيحة ، فقد لا يمتنع نهوض التمدن في وسطها ؛ لأنّ قوة انتشاره تغلب كل تلك الصعوبات ، كما جرى ذلك في غير أقوام مختلفي الأصل والفصل ، وبقوة هذا التمدن تستطيع الأجناس أن تقيم كياناً وطنياً واحداً» .

ونحن إذا عرفنا أن من مقومات أركان التمدن الأساسية ، تهذيب السياسة التي تعني ، كما يقول ، قيام دولة ذات سيادة وسياسة ترعى مصالح كل فرد وتحفظ حقّه مهما اختلف جنسه أو دينه<sup>(٢)</sup> - نحن إذا عرفنا ذلك ، تبين لنا رأي المرّاش بوضوح وهو : أن إمكانية قيام دولة وطنية للمجتمع المتعدد الأجناس والعقائد ، أمر مرهون بوجود سياسة نابعة من مصالح مكونات هذا المجتمع وليس من مذاهبهم وعقائدهم ، شريطة أن تغرس مبادئ هذه السياسة في النشء من نعومة أظفارهم ، لتصبح جزءاً من تكوينهم ، ولا يمكنهم من الخروج عليها<sup>(٣)</sup> .

إن فكرة التعايش المصلحي تشكّل ركيزة أساسية في مفهوم المرّاش للوطن والوطنية . وهو لم يتخلّ عن هذه الفكرة في إنتاجه اللاحق ، بل أصلها ورسخها لأنها المخرج الوحيد الآمن لأناس مختلفي الانتماءات والولاءات تجمعهم الظروف على رقعة أرض واحدة . لقد عبّر المرّاش عن هذه الأفكار في مقالة بعنوان «الوطن» نشرها في مجلة الزهرة سنة ١٨٧٠م ، وقد عمد في هذه المقالة إلى تحديد مفهوم الوطن : لغة واصطلاحاً ، ورأى أن المعنى الاصطلاحي للوطن هو وجود المرء في أمته . والأمة بهذا المعنى تتركز على دعامتين : الجنس الواحد

(١) المرّاش ، غاية الحق ، ص ٧٠ .

(٢) انظر : المرّاش ، غابة الحق ، ١٨٦٥م ، فصل التمدن ، ص ٧١-٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

والسياسة الواحدة . وحدّد المرآش مفهوم الجنس الواحد للأمة بقوله (١) : صعود هذه الأمة إلى أصل واحد أو جملة أصول وحدّتها مقومات اللغة المشتركة والعادات والدين . أما السياسة الواحدة فهي التي تنبع من (وتراعي) مصالح الأفراد والجماعات .

وبلاحظ هنا أن المرآش يخلط بين مفاهيم الوطن والقومية والأمة (٢) . لكن المهم في هذا السياق أن ما يقوله المرآش هنا لم يكن الحديث العام أو الحديث النظري عن هذه المفاهيم ، وإنما كان يتحدث حصراً عن الوطن العربي أو الأمة العربية . وقد رأى المرآش في هذا المقال أن شعور العرب بعروبيتهم ووطنيتهم لم يتكامل بعد ، ولم يرتق إلى المستوى المطلوب . والمرآش يواجه قراءه بحقيقة حال العرب ؛ فما هم عليه من فرقة واختلاف لا ييسر لهم أن يشكلوا قومية ، أو يحققوا أحلامهم في مبادئهم القومية وهو يقول في هذا السياق (٣) .

«وربّ معترض منا يقول : كيف لا يوجد لنا وطن وها نحن في وطننا ، فأجيب بما تقدّم أننا قوم لا وطن لنا سوى البيت أو الحلة أو المدينة . . . فاختلاف لغتنا ظاهر من احتقارنا لها مع أنها أشرف اللغات وأغناها وأوضحها وأجملها ، واحتقارنا لها ظاهر من عدم التفاتنا إليها أو من ازدرائنا بها كلما ذكرت لغة إفرنجية ، حتى صرنا نأنف التكلّم بها ونتكلم بالإفرنجية . . . واختلاف عاداتنا ظاهر من النظر إلى كل مدينة من مدننا . . . وهكذا أيضاً تختلف عادات الإسلام والنصارى . . . وكل من طوائف هذه الملل . . . أما اختلاف المذهب بيننا فهو واضح لدى كل إنسان» .

لكن إدراك المرآش حقيقة حال العرب في الثلث الأخير من القرن التاسع

(١) المرآش ، «الوطن» مجلة الزهرة ، ١٨٧٠م ، ٢٤٤ ، ص ١٨٦ .

(٢) انظر تفصيل هذه القضية في : علي الشرع ، فرنسيس فتح الله مرآش ودوره في النهضة الفكرية

والأدبية ، عمان ، ٢٠٠٨م ، ص ١٢٢-١٣٤ .

(٣) المرآش ، «الوطن» ، مجلة الزهرة ، ١٨٧٠م ، ٢٤٤ ، ص ١٨٧ .

عشر ، لم تحجب عنه الأمل في إمكانية قيام الكيان العربي ، وطناً وأمةً ، وفي هذا السياق يقول (١) :

«ولقائل منا يقول : هل لا سبيل إلى التوطن في وطننا والحالة هذه ، الجواب : نعم ، إنه يوجد سبيل عظيم لذلك ، وهو أن نعتبر ذواتنا جنساً واحداً وطنياً غير ملتفتين إلى ما يقذف الإفرنج به العرب من كلمات الاحتقار والاستهوان ؛ فباعتبارنا أنفسنا هكذا جنساً واحداً ، لا يعود المسلم منا ينفر عن النصراني ، ويسعى بإضراره ، ويحتسبه غريباً ، ولا يعود النصراني يبادل المسلم إمارته هذه ، ويوجه نظيرها نحو اليهودي ، ولا يعود الروم يبغض الماروني ويقول هذا ليس من طائفتي ، ولا من السرياني يعرض عن الأرمني ويقول هذا ليس مني بل أجنبي عني . هكذا نصير جميعاً أمة واحدة وطايفة واحدة ، ولا نمتاز عن بعضنا البعض إلا في معابدنا . . . وهكذا يعود من واجبنا أن نتكلم جميعاً بلغتنا العربية ونسعى في فلاحها وترقيتها . . . » .

«فمتى حصلنا هكذا على الوحدة الوطنية لا يعود لنا إلا السعي بخيرنا وحث مطايا جدنا وجهدنا في سبيل النجاح والفلاح ، والعلوم والفنون ، حتى إذا أطلقنا أقدامنا في هذا السبيل العظيم ، لا تعود أجنحة حذاقة جنسنا ونباهة فطرتنا قاصرة عن أن تطير بنا إلى أعلى الآفاق التي تحوم فيها الآن بزاة المغرب (أي الغرب) ، وهكذا فيكون مثلنا مثل الأمة الفرنسية التي عندما كانت منقسمة إلى جملة قبائل . . . كانت في غاية الضعف والانحطاط ، وكرةً تتلقفها الأجانب ، كما يشهد على ذلك تاريخها ، ولكن عندما انضمت إلى جنس واحد ذي غاية واحدة ، وعادات واحدة ، ومذهب واحد ، أو بالحري ترك التعصب المذهبي ، أضحت على أشم قمم التمدن وأبذخ سرادق الكمال الوطني . وهكذا يقال في الأمة الإنجليزية . . . وحينئذ تسعد حالنا في ظل معدلة دولتنا العلية الأبدية القرار ، المسهلة طرق تقدمنا ونجاحنا . » .

(١) المرائش ، «الوطن» ، ص ١٨٧ .

وأخيراً ، وكما أشرت مراراً ، فإن المرآش لم يكن مثالياً في فكره الوطني أو القومي . فقد كان يفكر انطلاقاً من الواقع الذي عايشه ؛ فمفاهيمه عن العرب والوطن العربي والأمة العربية ، انحصرت في إطار العرب المتواجدين في سوريا (بلاد الشام) ، وفي هذا السياق يقول<sup>(١)</sup> : «ولما كان لا يمكن وجود حبّ بدون محبوب ، كما لا يمكن وجود أثر دون مؤثر ، كان غير الممكن وجود حبّ وطنيّ في أحد بدون وطن له ؛ فيجب علينا إذا نحن المقيمين في سوريا أن نتوطن أولاً لنشعر بحب الوطن ، ثمّ نشرع بما يؤول إليه صالحه ، ويكون شروعا هذا طبيعياً واختيارياً ولا تكلفاً واقتساراً» . .

إنّ هويّة الوطن العربي لدى المرآش المقتصرة على بلاد الشام ، لم تخرج عما كان يحلم به المفكرون العرب السوريون في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وربما كان المرآش هو المؤسس لهذه الفكرة التي ستأخذ أبعاداً أخرى بعد أكثر من نصف قرن على وفاته . وليس واضحاً موقف المرآش من الأبعاد التاريخية لهذا الوطن السوري . فهل يعود به تاريخياً إلى العهود التي سبقت الحضور العربي الإسلامي في بلاد الشام كما ذهب القوميون السوريون فيما بعد؟ والواضح هنا أنّ المرآش كان يفكر ويحلم بوطن في واقع التجزؤ الذي ساد المنطقة العربية لعدة قرون ، وفي ظروف غياب الإحساس بالهوية العربية ، حيث كان من السابق لأوانه أن ينادي المفكرون السوريون بوحدة وطنية أبعد من الوحدة في إطار بلاد الشام ، بل ربما كانت الوحدة بهذا الإطار حلماً من الأحلام البعيدة . ونضيف إلى ذلك أنّ مفهوم القومية أو الوحدة العربية المتداول اليوم جاء متأخراً ، ولم يطرح إلا بعد أكثر من سبعة عقود على طروحات المرآش . هذا فضلاً عن أنّ الدعوات القومية في وقتنا الحالي لم تكن إلا مجرد شعارات خاوية إزاء التقوقع في حدود الإقليم الواحد . واليوم بات الحفاظ على الإقليم الواحد الذي خُطّط بسطرة الجنرال والتاجر الغربيين ، في مهب الرياح .

(١) المرآش «الوطن» ، مجلة الزهرة ، ١٨٧٠م ، ع ٢٤ ، ص ١٨٦ .



## المَرَّاش والفكر الاجتماعي الإنساني العام:

إنَّ المتتبع لإنتاج المَرَّاش الفكري يلاحظ التطور السريع في فكره الاجتماعي ، وهو التطور الذي ينقله من أضيق دائرة في الانتماء الاجتماعي إلى أوسع دوائر الفكر الإنساني الرحب . ولقد أشرت مراراً إلى قلقه ومخاوفه إزاء وضعه الديني والطائفي الذي عبّر عنه في «رسالة دليل الحرية» ١٨٦٠م . وإذا كان لهذا القلق ما يببره ، فإن المَرَّاش انتقل ، ربما بدافع من هذا القلق ، إلى أفق فكري اجتماعي جديد يتمثل في إقراره للنظام الطبقي في بنية المجتمع . ولعل من ملامح هذا الإقرار زعمه بأن خير من يتعاطى السياسة «يجب أن يكون رجلاً من أصل كريم وموسر ، لأنه متى كان هكذا يوجد ذا تربية حسنة وصالحة ، فيكون ذا صفات حميدة وأخلاق رضية . . .» (١) .

ويؤكد المَرَّاش نظريته الطبقيّة في بنية المجتمع في فترة لاحقة ، عندما نشر سنة ١٨٧٠م ، مقالة في مجلة الزهرة بعنوان «العالم البشري» . ويرى المَرَّاش هنا أن المجتمع ، بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الديني أو المذهبي أو الطائفي ، ينقسم إلى ثلاث طبقات وهي : طبقة الشعب العالي ، وطبقة الشعب الواطي ، وطبقة الشعب المتوسط . وحدّد علاقات هذه الطبقات مع بعضها ؛ فالطبقة العالية تعتمد في شؤون حياتها الضرورية ، وفي تحقيق طموحاتها على الطبقتين الأخيرين (٢) .

وتقسيم المَرَّاش المجتمع إلى ثلاث طبقات لا يتضمن معنى من معاني الاستنكار بل على العكس من ذلك ، فإنه يتضمن معنى الإقرار والتبرير لوجوده . إن أحكامه في هذا التقسيم لا تدل على وعي حقيقي لأسباب تخلف ما سمّاه طبقة الشعب الواطي ، بل يفترض أن مجرد كون أحد الناس من الطبقة العالية يعني أنه ذو تهذيب وتآدب وليونة طباع وحسن أخلاق . وقد شاء المَرَّاش

(١) المَرَّاش ، غابة الحق ، ١٨٦٥م ، ص ٧٢ .

(٢) المَرَّاش ، «العالم البشري» ، مجلة الزهرة ، ١٨٧٠م ، ١٤ ، ص ١٥٧ .

أن يجمع لوجاهة هذه الطبقة الاجتماعية وجاهة أخرى هي وجاهة العلم<sup>(١)</sup> .  
ومن المؤسف أيضاً أنه يقرّ في هذا المقال بضرورة دوام هذا الهيكل الطبقي ،  
حتى إنه يلقي على الأقدار مسؤولية انهياره وسقوط أحد أفراد أو إحدى  
جماعات الطبقة العالية ، إلى هاوية الطبقة الرطابية<sup>(٢)</sup> .

حقيقة أنّ فكر المرآش الاجتماعي يمثّل قفزات سريعة من تصور إلى آخر ،  
فينتقل في فترة زمنية ضيقة من الولاء الطائفي إلى التفكير الطبقي ، إلى رحاب  
الفكر الإنساني العام . ولا شك في أن هذا الانتقال السريع راجع إلى الواقع  
الاجتماعي الذي خبره ، وإلى اتصاله المعرفي بتيارات الفكر السياسي  
والاجتماعي التي خبرها في الفكر الغربي الحديث ، وربما هو راجع أيضاً إلى  
رغبة ملحة في البحث عن هوية اجتماعية خارج التصنيف الديني أو العرقي .  
وقد عبّر عن إحساسه الإنساني العام بقوله<sup>(٣)</sup> :

صدقوني كل الأنام سواء

من ملوك إلى رعاة البهائم

كلكم إخوة وأي كبير

كان منكم فليمس لكل خادم

ويلاحظ أن المرآش في مراحلهِ الأخيرة كان على صلة بمبادئ الفكر  
الاشتراكي التي اطلع عليها في أثناء وجوده في فرنسا . فقد نشر سنة ١٨٧٣م  
في مجلة الزهرة ، مقالا بعنوان «الأعيان» ، حدّد فيه أسساً جديدة في التمايز  
والتفاضل الاجتماعي . والأساس الأول للتفاضل بين الناس هو العمل ، وأكثر  
الناس عملاً في صالح المجتمع ، هو العين والوجيه ، وهو المقدم في رأي ذوي  
التبصّر والتمعن<sup>(٤)</sup> :

(١) المرآش ، «العالم البشري» ، ص ١٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .

(٣) المرآش «المرأة الحسنة» ، ١٨٧٣م ، ص ٢٣٨ .

(٤) المرآش «الأعيان» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٣م ، ص ١١٩ .

«من هم يا ترى الأعيان؟ هل هم أولئك الذين يملكون الأرض ويجمعون عندهم أموال الناس بكل وسيلة كانت ، ويسكنون المنازل الفسيحة . . . ويلبسون الديباج . . . ويقتنون الخيول والمركبات الذهبية ، ولا يسدون جميلاً ، أم هم أولئك الذين يفلحون الأرض . . . وينون بأيديهم المنازل . . . ويحكون الأقمشة ، ويجرون المركبات . . . ويجاهدون في سبيل الوطن ، وخير الأمة ، وكل أصناف العمران؟ . . . لعمرى أن العموم يرون أصحاب الغنى والإسراف هم أعيان القوم . . . إمّا الأخصاء من الناس فإنما لا يرون غنياً أو كبيراً إلا من كان ذا قدم يسعى إلى الخير ، ويد تمدّ إلى إفادة الجمهور ، مهما كان مقلاً . . . ألا أن الذي يستنبت نبتاً أو يبني بيتاً هو أفضل ممن يأكل الثمر ويسكن البيت ، والذي يخيط الثوب هو أعظم ممن يلبسه ، ومن تأمل بنية الإنسان ، وتروى بها حق التروى ، رآه مخلوقاً للعمل لا للكسل ، وللحراثة لا للوراثة» .

ويضيف المرّاش إلى هؤلاء الأعيان/ العمال/ فئة العلماء الذين يشاركون العمال هذا الشرف<sup>(١)</sup> : «فمن أجهد قواه في الكدّ والكدح ، وأعمل عقله في الإدراكات ، ونوّره بالمعارف ، هو خير ممن اتكأ على وساد البطالة ، وأفضل ممن أسبل على عقله ظلام الجهل والغباوة ؛ فالعلماء أو العمال الذين ينفعون الإنسانية ، وإن كانوا فقراهم ، أفضل من الأغنياء المترفين الجاهلين الذين شأنهم الإضرار بالناس ، فأولئك هم الأعيان ، وهؤلاء هم السوقة ؛ لأن خير الناس من نفع الناس» .

ويردّ المرّاش أسباب التفاوت في الثروات بين الأفراد والطبقات الاجتماعية الى عاملين اثنين هما : الوراثة الرديئة الأصل ، أو الاحتمالات التجارية التي هي سرقات شرعية<sup>(٢)</sup> : «الفقير ينتج منه عمل الخير في خدمة الجمهور . . . إذ يحرث الأرض ويفلحها ، ويصنع الطرقات . . . بينما يكون الغنيّ مرتاحاً على

(١) المرّاش «الأعيان» ، ص ١١٩ .

(٢) المرّاش ، «الأعيان» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٣م ، ص ١٢٠ .

الأرجوان والديباج ، ومحتفأً بخدام أمواله المجموعة من تعب الفقير ، إن يكن بالوراثة الرديئة الأصل ، أو بالاحتيالات التجارية التي هي سرقات شرعية ، كما قال بعض الحكماء» .

ورأى المرآش أن إصلاح هذا الخلل في الترتيب الاجتماعي الناتج عن الفساد لا يمكن إصلاحه بمجرد المطالبة السهلة الحاملة بإحقاق الحق وإقامة العدل ، والسبيل الوحيد للتغيير هو إراقة الدماء . وهو يتساءل بمرارة قائلاً<sup>(١)</sup> : «فهل يستطيع العدل الذي هو ميّت بين البشر أن يحيي الحق المقتول باسم فساد الطبيعة البشرية ، ويردّه الى منبر قضائه ، ليحكم بتوقيف هذه العادة الجارية منذ القدم؟ لا لعمري لأن دون إرهاب العادة إهراق الدم» .

وأدرك المرآش أن الإحساس بالظلم والسعي نحو مقاومته ، لا يتحقق إلاّ بوعي المظلوم ، وتنبهه لما هو فيه ، أو للأسباب التي أوصلته الى ما هو عليه . ومن هنا تنبّه المرآش الى خطورة العلم والمعرفة في تغيير البني الاجتماعية ، وأدرك أن سياسة التجهيل تخدم الطبقات المستعالية ، وتحقق أغراضهم في السيطرة والاستبداد . ولهذا كانت دعوته للإقبال على العلم لأنه الوسيلة الأساسية للتحرر من سيطرة المسيطرين<sup>(٢)</sup> :

«فعلى كلّ السعي وراء العلم والجد والجهد به ، بدون اكتراث بأعدائه الذين لرعاية أغراضهم يوسوسون في صدور الناس على مقت التعليم ، لأن من هؤلاء الأعداء من يرى أن العلم يضرّ بتسلطه وتسوده ، ومنهم من يرى أنه يضرّ بخرافاته التي يرغب زرعها في حقل الإنسانية . . . . . فلا ريب إذن أن مثل هؤلاء يبغضون العلم لكي يمكنهم الجهل من تقييد الناس بقيود أغراضهم ، وخفض الأعناق تحت نيران شهواتهم ، لأنهم يرغبون أن يكون البشر كالثيران لحراثة حقول أوطانهم واطماعهم» .

(١) المرآش «الأعيان» ، ص ١٢٠ .

(٢) المرآش ، «القرن التاسع عشر» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٠م ، ص ٥٦٣ .

### المراثش يمثل عقلانية القرن التاسع عشر التنويرية:

إن المراثش هو ابن القرن التاسع عشر الأوروبي ، قرن حركات التنوير ونسف المسلمات التي لا تستند إلى البرهان العقلي . ولقد خصّ هذا القرن بمقالة بعنوان «القرن التاسع عشر» ، وما جاء في وصفه لهذا القرن قوله (١) :

«هذا هو القرن التاسع عشر الذي تزّين بعلم الموجودات ومعرفة الكائنات ، وإدراك الواجبات . وتجمّل بتنظيم النواميس والشرائع ، وضمم شمل الهيئة والمواقع ، ورفع صولجان العقل القاطع . هذا هو القرن التاسع عشر الذي بلغ أعلى مراتب الكمال ، وأرفع درجات المعالي والفخار ، وجلس على رؤوس الأدهار . فماذا جعل هذا القرن سلطان القرون . . .؟ إنه العلم الذي مهّد له المسالك ، وأوصله إلى ذلك . . . ولئن كانت أنوار العلم والأدب في هذا القرن الجديد قد درأت غياهب جهالة القرون العتيقة وحمافاتها ، ولئن كانت رياح التهذيب والتمدن لهذا الجيل الحاضر قد قشعت غيوم خشونة الأجيال الماضية وتوحشها ، فمع ذلك لم يزل إلى الآن يوجد قوم من مردة الفلاح ، وباغضبي الصلاح ، يسعون في سدّ سبل الآداب عن البشر ، وحجب كلّ نور عن أبصارهم ، فما كانوا ليخلعوا إنسانهم العتيق ذا الطباع الخشنة والسجايا الوحشية ، حتى إنّ العامة تخالهم بقية من جماعة القرون الوسطى . فهؤلاء القوم ، لما رأوا أن انتشار العلم وفلاح الآداب يؤول إلى الضغظ على شهواتهم ، وكشف بهت جهلهم ، أخذوا يحاربون العلم والعلماء . . .» .

إنّ تشبّع المراثش بروح العلم والتنوير والمستجدات المعرفية في عصره هو المسؤول عن العقلية النقدية تجاه التراث العربي ، وتجاه الأرضية التي انطلق منها هذا التراث ، وإن كان ذلك مرتبباً أيضاً بروح حضرية معادية للروح البدوية في زمنه (٢) :

(١) المراثش ، «القرن التاسع عشر» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٠م ، ص ٥٦١-٥٦٥ .

(٢) المراثش ، «مشهد الأحوال ، ص ٨٩ .

لا والذي خلق الإنسان مكتسباً  
بالذوق غير عقيم العقل والعملِ  
لكل عصر رجال حسب دولته  
فالآن ما الرجل العبسي بالرجلِ  
واليوم لم يبق للأقفار من رهطِ  
ولم يعد لظهور النجب من دخلِ  
ولم يعد في خيام العرب من سكنِ  
غير اللصوص وسقط الناس والسفلِ

...

هذي عصور علينا في الحجى جدد  
فلا نبليها بالأعصر الأولِ  
وقد أصاب بهذا الدهر كل فتى  
بحر الكمال فلا يهفو إلى الوشلِ

ومن خلال هذه العقلية النقدية الحادة يطلّ المرآش على الإنجازات الحضارية الإنسانية القديمة . والأقوال التالية في هذه المعالم الحضارية ، وأثار الملوك وقصورهم ، قلما يجدها الدارسون في كتابات رواد النهضة العربية الحديثة . وفي هذه الأقوال ما يشير إلى تأثر المرآش بالفكر الاشتراكي الذي كان في بداياته في باريس وأوروبا بشكل عام . يقول المرآش (١) :

«ومن لي إذا قلت إن أكواخ الفلاحين وقباب الرعاة هي أعظم من قصور القياصرة وأهرام الفراعنة ؛ لأنك إذا تأملت القصور ، وتفحصت مشتملاتها رأيتها نتيجة الكبرياء أم الخراب ، وأثر المجد الباطل أبي الإسراف . كل شيء يعجبك منها إنما هو حاصل من تعب العموم ، وأمواهم المبتذلة منهم قهراً على شخص واحد قصد التوغل في أوسع عباب الترف والنهم . فلا تسئل عن

(١) المرآش ، «الأعيان» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٣م ، ص ١٢١ .

مشاعري لما رأيت قصر فرساي الذي بناه لويس الرابع عشر ملك الفرنسيين إجلالا لأمر حبيبته ، الذي تكلف لأجله بذلك البنيان خرب كل الأمة والوطن» .

«ولا تسل عن خاطري لما كنت أجوب مخادع القصر ولا أرى فيها سوى صور رجال يسميهم الناس أبطالا عظاما ، لأنهم كانوا ماهرين بصناعة سفك الدم . فلا تسل من ثمّ عن حزازات الأسف التي كانت تأكل قلبي عندما كنت أرى عموم الناس يؤخذون بخمرة الطرب إلى هذه المناظر ويتمايلون تيتها ، وعلى وجوههم وسائم البهجة والسرور ، فكأنهم أطفال لا يدركون سوى أعراض الأشياء . ولكن من تأمل كوخ فلاح رآه أثر الاقتصاد والتواضع ، ولم نجد فيه سوى آلات العمران وأدوات الحياة . فهلا يكون هذا الكوخ أسمى لدى أعين العقل من ذلك القصر الباطل؟ ولعمري أن الذي يزور هذا الكوخ يخلق فيه حب الكدّ في سبيل الحياة المدعو إليه كل إنسان ، والميل إلى الهدوء والسلم والاقتصاد . أما الذي يزور ذلك القصر فيخلق فيه حبّ الكسل والنهم والميل إلى المشاغبة والاقتتال والنهم من كل شيء» .

«وهكذا من اطلع على تاريخ الأهرام علم أنها نتيجة الكبرياء التي هي شرّ ما طبع عليه الإنسان . فإن الفراعنة كانوا يشيدونها لتكون قبورا لهم يحفظون فيها رماد أجسادهم بحيث تبقى رمهم منعزلة عن رم عموم البشر في أمنع الحصون ، كما كانوا منعزلين عنهم في حياتهم وراء أكثف حجب الكبرياء» .

«ولا شك فيما كان يتكلف كل هرم من المال والرجال والزمن ، حتى إن مدينة عظيمة كان يمكنها أن تقوم بنفقة هرم واحد . . فما عظمة هذا الهرم الذي تكلف ما ذكر من المال والرجال والأحوال على شهوة رجل واحد . لا ريب أنّ قبة راع أفضل منه ، لأنها لم تبني على أساس الدنس والزيغ والكبرياء» .

إننا لا نأتي بجديد عندما نقول إن إنتاج رواد النهضة العربية الحديثة ينطلق من منطلق تربوي ؛ فهذه سمة تصدق على إنتاج معظم رواد النهضة . ولعل ذلك أمر طبيعي بالنسبة لمفكرين يعيشون في مجتمع يقف على مفترق الطرق .

ولكن الملاحظ أيضاً أن هذا المنطلق المشترك اختلف في لونه وفلسفته اختلاف  
التكوين الثقافي والفكري والاجتماعي لهؤلاء الرواد . والمرآش كان واحداً من  
هؤلاء المفكرين التربويين ، ولا أبالغ إذا قلت إن إنتاجه كله يخدم أهدافاً تربوية ؛  
«فدليل الحرية» و«غابة الحق» و«رحلة باريس» ، و«مشهد الأحوال» وكل مقالاته  
الأخرى ، كانت ذات توجه تربوي .

لقد رأى المرآش أن نوعية التربية تكمن وراء كل تصرفات الإنسان وسلوكه ،  
وبخاصة المبادئ التربوية الأولى التي تلقاها في سني حياته الأولى . ورأى أنه  
من المؤسف أن يهمل الناس هذه الحقيقة ، متجاهلين خطورتها . والمؤهل لغرس  
أصول التربية السليمة ، كما يقول ، هم المؤدبون والآباء<sup>(١)</sup> : «فعلى هؤلاء  
الاعتناء بفلاحة الفطرة البشرية في عصر غضاضتها وبضاضتها ، ويتم ذلك  
بتطبيع هذه الفطرة على السلوك في طريق الشريعة الإنسانية» .

وإذا كانت هذه التصورات قديمة ومألوفة ، فإن الجديد لدى المرآش هو  
الأسس التي ارتأها أصولاً للتربية الحديثة ، وأهم هذه الأسس إعطاء الطفل  
الحقيقة كما هي ، وترويضه على تقبلها ، وأن لا يلجأ إلى زرع الخرافات  
والأساطير والأكاذيب والأوهام في عقل الطفل<sup>(٢)</sup> . ويستشف من كلام المرآش  
أنه يركز على الواقعية في التربية ، فهو يعيب على مجتمعه الخضوع لحكم العادة  
والتقاليد الناتجة عن المبالغة في إظهار العواطف والانفعالات في الحزن ، على  
سبيل المثال ؛ فهو ينتقد<sup>(٣)</sup> «أولئك الذين يجعلون من الحزن شريعة بهذا المقدار  
ظالمةً ، حتى إنها لا تسمح قط لمن يدخل تحت لوائها أن يستعمل أدنى شيء من  
لوازم الطبيعة إلا بعد بضع سنين» .

ورأى المرآش أن تثقيف العقل بالعلوم هو الكفيل بتخفيف أثر البيئة في

(١) المرآش ، «السلوك» ، مجلة الجنان ، ١٨٧١م ، ص ٦٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢٩ .

(٣) المرآش ، غابة الحق ، ١٨٦٥م ، ص ٩٣ .



التربية . والمرآش ، إذ يفترض أن بساطة الإنسان وطيب فطرته قد فقدتا بعامل البيئة والعراك على أسباب الحياة ، فإنه يرى أن الإنسان قادر على استعادة طبيعته الأولى بالعلم والعقل . وفي هذا السياق يقول<sup>(١)</sup> : «ومن ثمّ لم يعد الإنسان قادراً على الدخول في دائرة التمدن الذي يتطلب بساطة الصفات وسلامة الطباع إلا إذا كان متزناً بثقيف العقل الذي يعتبره هالة عظيمة بها يمكن لكل من البشر أن يسترجع إلى طبيعته ما أفقدها التوحش ، ولا يتمّ هذا الثقيف إلا بالتروض في العلوم والفنون ، ودراسة المعارف الطبيعية والأدبية ، على أنه أمر محقق كون العلم يخلق في الإنسان قلباً نقياً وروحاً مستقيمة ، ويجعله ظافراً بكل الصفات الصافية ، وناشراً عن كل ما يشين الجوهر الإنساني ولا يترك له سبيلاً إلى التفكير بالأمر الدينية . » .

ومن الجوانب المشرقة في آرائه التربوية تمييزه بين العلم القائم على الاستظهار والحفظ ، والعلم الذي ينشط ملكة الإبداع ويدفع صاحبه إلى التفكير والبحث ؛ فالشاعر مثلاً ليس ذلك الذي يضع الألفاظ المتناثرة في قوالب العروض الجاهزة ، إنما هو ذلك الذي يعي واقعه ، ويقول ما من شأنه الإنارة والتنوير . والمهندس كما يقول<sup>(٢)</sup> : «ليس من له إلمام بأشكال إقليدس والمقدرة على حلّ مشاكل مثلثاتها ومربعاتها بقوة البراهين الموضوعية ، بل من له إلمام تام بكل العلوم الهندسية والحسابية بحيث يمكنه الوصول إلى معرفة أوضاع هذا الكون الخضم وأبعاده ومساحاته وحوادث دورانه إفراداً وإجمالاً ، وبذلك يستطيع إرشاد غيره إلى معرفة عظام هذا الكون الكبير ، وإدراك سمو العناية التي علقت ميزانه على عاتق الجاذبية » .

(١) المرآش ، غابة الحق ، ص ٨٠ .

(٢) المرآش ، «السلوك» ، مجلة الجنان ، ١٨٧٠م ، ص ٦٣١ .

## تجربة أبو خليل القباني المسرحية في سوريا وعلاقتها بالسلطة العثمانية الحاكمة في القرن التاسع عشر

يحيى سليم عيسى البشتاوي (\*)

### الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تعرّف تجربة الرائد أبو خليل القباني (١٨٣٣-١٩٠٣م) المسرحية في سوريا، وعلاقتها بالسلطة العثمانية الحاكمة في القرن التاسع عشر؛ حيث عبرت هذه التجربة عن حالة من المد والجزر بين القباني والسلطة الحاكمة فرضتها طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية، وعلى الرغم من أن القباني قد أولى القالب المسرحي العربي عنايته من خلال العودة إلى الحكايات الشعبية والشخصيات التاريخية واستخدام التقنيات المسرحية القريبة من وعي الناس وأذواقهم؛ إلا أن ذلك لم يرق لمعارضيه الذين لم يكتفوا بتحريض الباب العالي للسلطنة العثمانية لإيقاف مشروعه، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك؛ إمعاناً منهم في الإساءة له، فأحرقوا مسرحه. وسيتم في هذه الدراسة التركيز على المضامين الفكرية والجمالية لمسرحيات القباني وطبيعة المواقف السياسية والدينية والاجتماعية منها.

الكلمات الدالة: القباني، السلطة العثمانية، المسرح العربي.

---

(\*) الجامعة الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.

## المقدمة:

لم تكن العلاقة بين المواطن والسلطة العثمانية علاقة مرضية ، فلا تقوم السلطة إلا على رعاية مصالحها . وقد كانت أجهزتها جاهزة دائماً لكبح جماح معارضيتها .

ومنذ أن دخل المسرح الديار العربية ، وقدم الرائد مارون النقاش (١٨١٧-١٨٥٥م) مسرحية (البخيل) في بيروت سنة ١٨٤٧م داعياً في كلمة مشهورة له الجمهور إلى صياغة هذا الذهب الإفرنجي في قلب عربي ، وذلك لتقريبه من الذائقة العربية التي تستهويها الأغاني ، والرقصات ، والحكايات الشعبية ، منذ ذلك الحين ، ورواد المسرح يعيشون حياتهم بين مد وجزر مع السلطة ، وإذا كانت تجربة النقاش هي الرائدة في تطويع هذا الفن لأسباب حضارية ؛ تلبية لرغبة شريحة اجتماعية ميسورة ، فإن الأمر بدأ ينحو باتجاه آخر مع الرائد السوري أبو خليل القباني (١٨٣٣-١٩٠٢م) ، الذي أولى القلب العربي عنايته من خلال العودة إلى الحكايات الشعبية والشخصيات التاريخية والشعبية القريبة من الناس وأذواقهم ؛ الأمر الذي لم يرق لمعارضيه الذين حرضوا الباب العالي للسلطنة العثمانية عليه لإيقاف مشروعه ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ؛ إمعاناً منهم في الإساءة له ، فأحرقوا مسرحه ، وأطلقوا الأطفال خلفه يوبخونه .

ويمكن القول إن السلطة بجميع أشكالها ، حينما شعرت بالمغزى التنويري لتجربة القباني ، اتخذت هذا الموقف العدائي منه ، وقد روى تلميذ القباني الفنان كامل الخلعي (١٨٨١-١٩٣١م) ما يعزز رؤية القباني التنويرية لفن المسرح ، حينما قال إن القباني كان دائماً يقول : «التمثيل جلاء البصائر ، ومראה الغابر ، ظاهره ترجمة أحوال وسير ، وباطنه مواضع وعبر ، فيه من الحكم البالغة والآيات الدامغة ما يُطلق اللسان ، ويشجع الجبان ، ويصفي الأذهان ، ويرعّب في اكتساب الفضيلة ، ويفتح للبليد باب الحيلة ، ويرفع لواء الهمم ويحركها إلى مسابقة الأمم ، ويبعث على الحزم والكرم ، يلطف الطباع ويشنف الأسماع ، وهو أقرب وسيلة لتهديب الأخلاق ومعرفة طرق السياسة ، وذريعة لاجتناء ثمره

الأداب والكياسة . هذا إذا تدرّج فيه من ذكر الأحوال إلى ضرب الأمثال ، ومن بيان المنهاج إلى الاستنتاج ؛ ليرتدع الغر عن غيه وينزجر ، ويجد العبرة في غيره فيعتبر»<sup>(١)</sup> .

وتعد تجربة القباني من التجارب الخالدة في المسرح العربي ، وقد شكل مشروعه الثقافي ظاهرة حضارية مثّلت حضوراً متقدماً في طور النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي ، وتحديدًا في بلاد الشام ومصر ، ثم امتدت بتأثيرها إلى أرجاء الوطن العربي الكبير ، وامتاز القباني بتفاعله مع الثقافة ذاتياً ومجتمعياً ، وبما يجلو جوهر الثقافة العربية وتفاعلها مع الآخر ومكوناته الثقافية ، من هنا فقد تم تناول تجربته المسرحية من قبل النقاد والباحثين بجميع تفاصيلها الفنية والجمالية ، لكن هذه الدراسة جاءت للوقوف على علاقة القباني بالسلطة العثمانية الحاكمة في زمنه وأثرها في تجربته الفنية ، وفي ضوء ذلك جاءت هذه الدراسة للإجابة عن السؤالين الآتيين :

- ما المضامين الفكرية والجمالية في تجربة أبو خليل القباني المسرحية في سوريا؟

- ما علاقة تجربة القباني المسرحية بالسلطة العثمانية الحاكمة في القرن التاسع عشر؟

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تسلط الضوء على موضوع لم يأخذ حقه في البحث على النحو الوافي ، ويمكن لهذه الدراسة أن تحقق الفائدة للدارسين وللمهتمين وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة للمعرفة .

(١) محمد كامل الخلعي (ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م) ، كتاب الموسيقى الشرقي ، منشورات مؤسسة هنداوي

للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢م ، ص ٣٠١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الخلعي ، كتاب

الموسيقى الشرقي .

### - الريادة المسرحية وموقف المجتمع العربي منها:

على الرغم من وجود ظواهر مسرحية عرفتْها الحضارة العربية الإسلامية كالمقامات ومواكب العزاء ورقص السماح وحفلات الذكر وخيال الظل ، إلا أن الدراما كما نعرفها الآن ، وكما عُرفت في الغرب ، وكما عرفها رواد الكتابة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي فنٌ لم تعرفه الثقافة العربية في السابق ؛ لذا فبقدر ما كان لاستدعائه في الثقافة العربية وقع الدهشة والإبهار فقد كان له بالمثل ، وقع الاستنفار والمعارضة في أوساط لم تر فيه إلا إفساداً للعامة ، وتضييعاً لمكارم الأخلاق .

وعلى الرغم من شيوع ظاهرة التأسيس للمسرح العربي بوجه بارز في ستينيات القرن العشرين ، فإن حضور المسألة في الممارسة العربية للمسرح تعود إلى أيام الرواد الأوائل ؛ إذ تكفي العودة إلى تجربة الرواد ، وتتبع تجليات الظاهرة عبر استنطاق ما تركه هؤلاء من نصوص مسرحية إبداعية ونقدية لتأكيد أن مسألة التأسيس لم تكن وليدة اللحظة الراهنة ، وإنما ترجع ، في الأساس ، إلى البدايات الأولى لنشأة هذا الفن ذاته في الثقافة العربية .

لقد شكل المسرح العربي فناً جديداً وطارثاً في الحياة الثقافية والاجتماعية العربية القديمة ، وجاءت ولادته بين منتصف القرن التاسع عشر ونهايته ليعاني في جميع الأقطار العربية من مشكلات واحدة ، لا سيما أن النظرة له لم تخرج عن أنه فسق وفجور أكثر من كونه وجهاً حضارياً ، وفي الوقت الذي كان فيه المسرحيون العرب يتعلمون أصول هذا الفن من أوروبا ويتأثرون بتياراته ومذاهبه ، كانوا يخوضون معركة مزدوجة ، فبينما يسعون إلى تثبيت وجود المسرح وتحويله من فن طارئ متهم إلى فن مقيم له أصالته في الحياة الثقافية والاجتماعية العربية ، مجدهم أيضاً يسعون جاهدين إلى تطوير أدواتهم الفنية ؛ ليخوضوا بذلك معركة من أعنف المعارك الثقافية في العصر الحديث .

لا شك في أن الريادة العربية المطلقة في الفن المسرحي تعود للرائد المسرحي الأول مارون النقاش (١٨١٧-١٨٥٥م) ، الذي افتتح عرض مسرحيته

الأولى (البنخيل) عام ١٨٤٧م بخطبة شهيرة ، حيث شكلت ، فضلا عن قيمتها التاريخية ، وثيقة فنية مهمة لما تضمنته من آراء مختلفة حول المسرح كفن ، ووظيفته الاجتماعية والرسالة المتوخاة منه وغيرها من المسائل المهمة . يقول في ذلك : «وها أنا متقدم دونكم إلى قدام ، محتملا فداء عنكم إمكان الملام ، مقدما لهؤلاء الأسياد المعتبرين ، أصحاب الإدراك الموقرين ، ذوي المعرفة الفائقة ، والأذهان الفريدة الرائقة الذين هم عين المتميزين بهذا العصر ، وتاج الألبا والنجبا بهذا القطر ، مبرزوا لهم مسرحا أدبيا وذهبا إفرنجيا مسبوكا عربيا . . .» (١) .

ومما يلاحظ أن (النقاش) كان يدرك جيدا ، ومنذ البداية ، مدى خطورة المحاولة التي أقدم عليها في مجتمع تقليدي محافظ ، لم تكن له معرفة سابقة بهذا الفن ، باستثناء تلك الفنون التي عُرفت في الثقافة العربية الشعبية ، كخيال الظل ، والكراكوز ، والحكواتي ، والقوال ، وغيرها من الأشكال التي ارتبطت في أذهان الكثيرين بالتسلية واللهو ، فكيف لهم أن يستوعبوا هذا الوافد الجديد الذي ارتبط بالغرب المستعمر والقاهر للذات العربية .

ولهذا ، لم يجرؤ (النقاش) على تقديم عرضه الأول «البنخيل» أمام عامة الناس ، وإنما قدّمه في منزله ، واقتصر جمهوره على طبقة خاصة من السادة وذوي الجاه والسلطان والمعرفة الفائقة والأذهان الفريدة الرائقة ، وكأنه بذلك يعتذر مقدّمًا عمّا قد يحدث نتيجة لهذه التجربة ، لذلك نجده قد أثنى عليهم مرارا راجيا منهم العفو والحماية والعطف بوصفهم أهل الحل والربط ، الذين اقتصر عليهم عرضه ، كما أن حصر التمثيل في دائرة أفراد العائلة ، واتخاذ البيت مكانًا للعرض ، على الرغم من أن المسرح فن الساحات العامة ؛ لأنه احتفال شعبي ولقاء جماعي بالدرجة الأولى ، يدل على وعي النقاش بما قد

(١) انظر : نقولا النقاش ، (ت١٣١٢هـ / ١٨٩٤م) ، أرزة لبنان ، منشورات المطبعة العمومية ، بيروت ،

١٨٦٩م ، ص ٣٣٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : النقاش ، أرزة لبنان .

تحديثه تلك التجربة من عواقب غير محمودة ، لذلك نجدد يبرر أسباب اختياره لهذا الفن ، وكيفية التعامل معه والأهداف المرجوة من ورائه ، قائلاً : «على أنني عند مروري بالأقطار الأوروبية ، وسلوكي بالأمصار الإفرنجية ، قد عاينت عندهم فيما بين الوسائط والمنافع ، التي من شأنها تهذيب الطبايع ، مراسحا يلعبون فيها ألعاباً غريبة ، ويقصون فيها قصصاً عجيبة . . . . . ظاهرها مجاز ومزاح ، وباطنها حقيقة وصلاح . . . . .»<sup>(١)</sup> ، ومن المرجح أن النقاش قد أدرك الاختلافات الثقافية والحضارية بين هذا الفن من جهة ، وبين خصائص الحضارة العربية من جهة أخرى ، مما دفعه إلى ضرورة إيجاد صيغة أو طريقة يمكنه بواسطتها أن يجعل هذا الفن الدخيل مقبولاً ومرحباً به في مجتمعه .

ومثلما كان الاشتغال بالمرحح مجازفة بالنسبة للنقاش ، كان الأمر بالنسبة للرائد المسرحي السوري أحمد أبو خليل القباني لا يخرج عن ذلك أيضاً ، فقد أدرك أن مهمته صعبة ، وأن ما أقدم عليه لم يكن بالأمر الهين ، وأن نجاح تجربته رهين بنجاحه في الاقتراب من ذوق متلقيه وتكوينهم الثقافي ، ويرى الباحث محمد يوسف نجم أن المسرح قد بدأ في سورية مع أبي خليل القباني ، يقول : «لا نعرف للتمثيل تاريخاً في سورية ، قبل ظهور أحمد أبي خليل القباني فيها ، حوالي سنة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) ، وإن كنا نعرف أنه كان من عادة مدارس الإرساليات في القرن الماضي ، أن تقدم مسرحيات عربية يمثلها الطلبة ، في نهاية العام الدراسي ، ولا بد أن دمشق قد شهدت شيئاً من هذا التمثيل»<sup>(٢)</sup> .

وهذه الريادة التي تحدث عنها نجم ، التي تتعلق بالقباني ، أكدها أيضاً محمد كرد علي بقوله : «وفي دمشق أيضاً رجلٌ من أبنائها هو السيد أحمد أبو

(١) النقاش ، أرزة لبنان ، ص ١٦ .

(٢) محمد يوسف نجم ، (ت ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، المسرحية في الأدب العربي ، دار بيروت للطباعة

والنشر ، بيروت ، ١٩٥٦م ، ص ٦١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : نجم ، المسرحية في الأدب

العربي .

خليل القباني ، من البارزين في الموسيقى ، المشهود لهم بالإجادة فأنشأ داراً للتمثيل ، وبدأ يصنع روايات تمثيلية وطنية من تأليفه ونظمه وتلحينه ، ويمثلها فتجيء دهشة الأسماع والأبصار ، لا تقل في الإجادة من حيث موضوعها وأزياؤها ونغماتها ومناظرها عن التمثيل الجميل في الغرب . . . ، ووجه الفخر في أبي خليل أنه لم ينقل فن التمثيل عن لغة أجنبية ، ولم يذهب إلى الغرب لغرض اقتباسه ، بل قيل له إن في الغرب فناً هذه صورته فَقَلَّدَهُ ، وقيل إنه شهد رواية واحدة مُثِّلَتْ أمامه ، ولما كانت عنده أهم أدوات التمثيل ، وهو الشعر والموسيقى والغناء ، ورأى أنه لا ينقصه إلا المظاهر والقوالب ، أوجدها وأجاد في إيجادها ولذلك كان أبو خليل مؤسس التمثيل العربي» (١) .

ولما كان القباني من العارفين بالموسيقى والغناء العربيين ، فقد حرص على إيجاد وسيلة أكثر نجاعة يمكنه بوساطتها شد انتباه الجمهور السوري المحافظ إلى عروضه من غير أن تفقده ممارسته لهذا الفن الجديد احترامه بين الناس ، وهو الشيخ الورع ، شديد التدين لا سيما أن النظرة السائدة للمسرح كانت في ذلك الوقت لا تخرج عن وصفه بأنه بدعة يجب محاربتها ، وذلك لارتباطه في الأذهان بالخلاعة والمجون ، وقد عمل القباني على خلق تيارات مسرحية يمكن أن تحقق رواجاً بين الجماهير ، واهتم في مسرحه ببعض عناصر الثقافة العربية كالغناء والشعر والرقص ، وجعلها ، في كثير من الأحيان ، المبرر الأول لقيام المسرحية ؛ فهو يحاول من خلال مسرحه أن يقدم فرجة مسرحية يتغنى فيها البطل أو البطلة أو المجموعة بالأمجاد العربية الخالدة ، وإلى جانب ذلك فقد لجأ القباني إلى الاعتماد على المصدر الشعبي متمثلاً في حكايات ألف ليلة وليلة وغيرها من الحكايات المعروفة في التراث الشعبي العربي ، لا سيما أن «حكايات الليالي ، بل الحكايات الشعبية ، بعامتها ، عرفت انتشاراً واسعاً بين

(١) محمد كرد علي (ت ١٣٣٢هـ / ١٩٥٣م) ، خطط الشام ، الجزء الرابع ، مطبعة الترقفي ، دمشق ،

١٩٢٦م ، ص (١٤٣-١٤٤) . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : كرد علي ، خطط الشام .



الناس في تلك الحقبة ، سواء كانت في شكل كتب تُتداول للقراءة أو في شكل ملاحم وسير شعبية يقوم بروايتها الشعراء الشعبيون في المقاهي»<sup>(١)</sup> . بالإضافة إلى ذلك ، فقد اتخذ القباني من المسرح الغنائي الشعبي قالباً لهذه القصص ، بما جعل مسرحياته أقرب إلى فن الأوبرا ؛ وذلك بهدف إرضاء الجمهور .

ومثلما قدم النقاش عرضه الأول لجمهور نخبوي ، فإن القباني لم يجزؤ هو الآخر على تقديم مسرحيته الأولى (ناكر الجميل) أمام الجمهور وإنما قدمها في بيت جده ، واقتصرت على جمهور من الخاصة ؛ تفادياً منه للعواقب الوخيمة التي من الممكن أن تحدث نتيجة لهذه المغامرة في مجتمع تقليدي كان يعاني من الجهل والسيطرة العثمانية ، وبذلك يكون اختياره للمنزل هو اختيار منطقة أمان مؤقتة ، وكذلك اختيار الغربية ؛ لأن المسرح هو فن الساحات والناس وليس فن الاختناق وراء الجدران<sup>(٢)</sup> .

ويعد القباني ناقلاً وفيما للتراث ، حيث يبدو ذلك واضحاً في أعماله المسرحية التي استمدتها من حكايات ألف ليلة وليلة ، مثل : هارون الرشيد ، والأمير غانم بن أيوب وقوت القلوب ، وهارون الرشيد مع أنس الجليس ، والأمير محمود نجل شاه العجم . ويبدو أنه قرأ التراث دون أن يعطي لنفسه فرصة إعادة صياغة هذه القصص التراثية صياغة نقدية ، وهذا يرجع إلى خطورة التجربة التي أقدم عليها من جهة ، والحن التي لقيها من جراء اشتغاله بهذا الفن من

(١) انظر : شاکر مصطفى (ت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، القصة في سورية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ٤٣ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : مصطفى ، القصة في سورية .

وانظر ، توفيق البرو ، القومية العربية في القرن التاسع عشر ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، د . ت ، ص (١٤٣-١٤٤) . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : البرو ، القومية العربية في القرن التاسع عشر .

(٢) انظر : نجم ، المسرحية في الأدب العربي الحديث ، ص ٦٥ .

جهة أخرى ، الأمر الذي أملى عليه ضرورة إيجاد مسوغات منطقية تبرر اشتغاله بهذا الفن ، ثم محاولة إيجاد أقصر السبل وأيسرها لإرساء دعائم هذا الفن وتأصيله ، لذلك نجده ومنذ العرض الجماهيري الأول له من خلال مسرحيته (الشيخ وضاح ومصباح وقوت الأرواح) عام ١٨٧١م ، التي قدمها القباني أمام الجمهور العادي في (كازينو الطليان) ، قد حصل على إقبال كبير ؛ حيث فاجأ الجمهور الدمشقي بهذا العمل الفني الجريء وبهذه الكوميديا المحلية الراقية ، وكان الباحث حسني كنعان قد ذهب إلى أن القباني قد «شاهد فرقة فرنسية في مدرسة العزارية في باب توما المسيحي في دمشق ، حيث قدمت روايات تاريخية واجتماعية وأخلاقية ، وقد شهد القباني تلك الروايات جميعها ، وأخذ فكرة عن المسرح والتمثيل والممثلين وتوزيع الأدوار والمكياج»<sup>(١)</sup> ، ومن ثم استطاع ومن خلال مشاهدته لعروض تلك الفرقة أن يهتدي إلى معرفة فن المسرح .

ويرى الباحث أن مسرح القباني لم يكن فيه أي إسفاف أو استخفاف بالحياة العام ، وإنما جاء مسرحا للفرجة وأداة فعالة في المشروع التنويري ، وأن وظيفته التعليمية الجليلة قد جعلت منه مرتكزا من مرتكزات الثقافة السائدة ، وقد أدرك القباني منذ بداياته أن نسخ المسرح الأوروبي عمل عقيم ، فاتجه إلى استنبات المسرح من الأرض الثقافية العربية كي تنمو التجربة بذلك بما يتوافق مع البيئة المحلية ، لذلك فلا عجب أن نجد إقبالا جماهيريا كبيرا على مسرحه ، ويذكر إبراهيم الكيلاني بعض الطرائف عن إقبال الناس على مسرح القباني ، ومنها قوله : «ولم يكد أبو خليل القباني يمثل رواياته حتى فتن بها الدمشقيون على اختلاف طبقاتهم ، حتى صار الباعة وصغار التجار يقتطعون أول ما

(١) انظر : حسني كنعان ، «أبو خليل القباني باعث نهضتنا الفنية الحديثة» ، مجلة الرسالة ، دمشق ،

عدد ٨٠٤ ، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨م ، ص ٤٨-٥٤ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : كنعان ،

«أبو خليل القباني» .

يقتطعون من دخلهم اليومي أجر الدخول أو لمشاهدة (القوميض) الكوميدي حسب اللهجة الشامية القديمة . وقد بلغ شغف العوام بالتمثيل أن أهملوا واجباتهم العائلية ، وصار سكان النائية ، تجنباً لأخطار المرور ليلاً في الأزقة ، يأتون زرافات منذ العصر ، ويبيتون على أبواب المسرح حتى الصباح . وحدثني أحد المعمرين من أدركوا أبا خليل وشهدوا رواياته أن الناس كانوا يتناقلون ، على سبيل التندر ، خبر اللحام محمد البحصاص الذي باع قبر أبيه ليشاهد بثمنه روايات أبي خليل<sup>(١)</sup> ، ولكن النجاح الجماهيري الذي حصده القباني ، وخوف القوى الرجعية من مشروعه التنويري ، جعل أعداءه يشنون عليه حملة شرسة أدت إلى إسقاطه وحرق مسرحه ، مما اضطره للرحيل إلى مصر عام ١٨٨٤م ليواصل مشروعه الفني هناك .

### - تجربة القباني المسرحية والسلطة العثمانية الحاكمة في القرن التاسع عشر؛

ينتمي أبو خليل القباني لأسرة دمشقية عريقة يتصل نسبها بـ (أكرم أقبیق) ، الذي كان يعمل مستشاراً للسلطان (سليمان القانوني) ، وأحد أجداده هو (شادي بك أقبیق) أحد أفراد عائلة آق بيق التركية المعروفة ، من مدينة بورصة إلى الجنوب من إسطنبول ، التي هاجر أفراد منها إلى دمشق في القرن الثامن عشر بصفة ضباط في سلك الانكشارية<sup>(٢)</sup> ، وقد ذهب (الزركلي) إلى أن القباني هو «من أوائل منشئي المسرح التمثيلي العربي في الشام ومصر ، وقد تعلم في بلده دمشق ، ونظم عدة موشحات ولحنها ، وأنشأ مسرحاً للتمثيل

(١) إبراهيم الكيلاني ، «أبو خليل القباني المعلم العربي» ، مجلة العربي ، عدد ١٥٠ ، كانون الثاني ١٩٤٨م ، ص ٤٨- ٥١ . «وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الكيلاني ، «أبو خليل القباني المعلم العربي» .  
(٢) عبد القادر الباز ، من تاريخ الأسر العربية في الشام ، بيروت ، ١٩٢٤م ، ص ١٧٥ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الباز ، من تاريخ الأسر العربية في الشام .

عرض فيه بضع روايات غنائية من وضعه وتلحينه»<sup>(١)</sup> ، وقد لُقّب في عهده بالقبّاني لأنه كان يملك قبّان في باب الجابية ونسبة إلى القبّابين التي كانت بذلك الزمان ملكاً لفريق من العائلات في كل حي من أحياء دمشق ، وأبو خليل القبّاني هو عم لأبي الشاعر السوري نزار توفيق قبّاني ، وعم لأمه فائزة أقبیق أيضاً .

عاش القبّاني يتيماً ، وقد كفله خاله بعد مماته فأرسله إلى الكتاب وللدراسة في جامع الطاووسية وفي المساجد الأخرى ، حيث تلقى شتى العلوم من نحو وصرف وبيان وبدیع ، بالإضافة إلى دراسته العلوم الدينية والفقه ، كما درس التركية والفارسية ، ولأن خاله أراده أن يكون متعلماً ومثقفاً ، فقد أخذه إلى الجامع الأموي الكبير ليتعلم اللغة العربية ، والقرآن الكريم ، وهكذا أصبح القبّاني فقيهاً وشاعراً وموسيقياً بارعاً ، حيث اهتم بكتابة الأزجال وتلحين الموشحات والأغاني ، ونظراً لمتابعته دروس الدين وحلقات الصوفية فقد لقب بالشيخ ، وتعلم فوق ذلك رقص السماح الذي أخذه عن الشيخ أحمد عقيل الحلبي ، «وقد اكتسب من الشهرة في فن الموسيقى والغناء ، ما جعل أساتذة هذه الفنون يلهجون بذكره ويشيدون بمقدرته وبراعته ويرجعون إليه»<sup>(٢)</sup> .

ولم يمض وقت طويل حتى ذاع صيته ، نظراً لحدة ذكائه وجمال صوته ، وبعد الانتهاء من دروس الجامع الأموي ، كان القبّاني يرتاد المقاهي سرّاً للتفرّج على فصول (خيال الظل) والاستماع إلى أهل الفن ، وقد كان معجباً بخيال الظل وبمحرّكه علي حبيب «الذي كان أبرع أهل زمانه بتحريك الخيالات التي

---

(١) انظر : خير الدين الزركلي (ت ١٨٩٣هـ / ١٩٧٦م) ، الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ٨ ، الجزء الأول ، تحقيق وإشراف ، زهير فتح الله ، منشورات دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٤٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الزركلي ، الأعلام .

(٢) نجم ، المسرحية في الأدب العربي ، ص ٦٢ .

تقدم القصص الهزلية الضاحكة أو التاريخية الحماسية وما أشبه . وكان الشعب يقبل ويتسابق إلى مشاهدة براءة علي حبيب في مقهى العمارة بدمشق»<sup>(١)</sup> .

وتحت تأثير خيال الظل ، بدأ القباني في نحو عام ١٨٦٥م بالتفكير في مشروعه المسرحي ، وحينما كان يخلو إلى غرفته كان ينهمك بتقليد علي حبيب بما علق في ذهنه من حوار ، وأثناء ذلك بدأ يفكر وبشكل جدي بمرحلة أكثر عملية ، حيث جمع رفاقه وقال لهم : «نحن نشاهد الخيالات المصنوعة من الجلد والتي يحركها ويقوم بجميع أدوارها شخص واحد . وهذه الأعمال متعبة جدا ، وإن دلت فإنما تدل على براءة فائقة واستعداد عظيم وإرادة قوية وصلبة ، فإذا كتب أحدنا قصة لخمسة أشخاص أو أكثر ، ثم أخذنا نتحاور في كل ما من شأنه أن يعود بالفائدة على المجتمع ويحطم الأدمغة المتحجرة ، أليس ذلك أفضل من تلك الخيالات التي يزرع فيها الحياة رجل واحد؟ ومع مرور الأيام نختار القصص العربية والتاريخية والإسلامية الطافحة بالتوجيه والمواظ والعبر والشجاعة والفداء والتضحية ، ومن ثم نضيف إليها من يغني ويغرب ومن يرقص السماح ويبدع ، ونقيم الحفلات المبدئية في قاعات البيوت الكبيرة»<sup>(٢)</sup> ، وما يذكر أنه حينما بدأ القباني بإقامة حفلاته الفنية في دارة أبيه في باب سريجة ، قام الأب بطرد ابنه أحمد ورفاقه من المنزل رافضا ما يقومون به ، فلجأ أحمد إلى خاله ، وراح يغني ويرقص كلما دُعي إلى حفل حتى ذاع صيته وصيت ألحانه في دمشق كلها .

وحينما ذاعت شهرة القباني بين الناس ، سمع به الوالي العثماني صبحي باشا الذي ولي سورية بين عامي (١٨٧٠ - ١٨٧١م) ، «وكان ممن يقدرّون الفن والمواهب ، فحضر بنفسه تمثيل رواية من الروايات في حفلة أقيمت على شرفه ،

(١) وصفي المالح (ت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ، تاريخ المسرح السوري وذكرياتي ، وزارة الثقافة ، دمشق ،

١٩٨٤م ، ص ١٢ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : المالح ، تاريخ المسرح السوري .

(٢) المالح ، تاريخ المسرح السوري ، ص ١٣ .

بصورة خاصة في بيت ثري من أثرياء الشام ، وهم أكثر في ذلك العهد ، فدُهِش بما سمع ورأى ، وهام بحب أحمد كل الهيام ، وأدناه من مجالسه ، وجعله موضع عنايته»<sup>(١)</sup> .

وكان لتشجيع صبحي باشا أثره الكبير على القباني في الاستمرار وتطوير مشروعه المسرحي ، والخروج بمسرحياته إلى الجمهور متحديا الجهل والرجعية ، بل وجاءت الدعوة للقباني للخروج من إطار مسرح الهواة إلى مرحلة متقدمة من الاحتراف ، «ولما كلفه صبحي باشا بتأليف فرقة مسرحية ، قام بالعمل على خير وجه ، ولاقت هذه الفرقة التي كانت تضم جورج ميرزا وإسكندر فرح نجاحا كبيرا»<sup>(٢)</sup> . ثم قدم القباني وبنجاح أول عرض مسرحي متكامل في دمشق عام ١٨٧١م وهو مسرحية (الشيخ وضاح ومصباح وقوت الأرواح) ، وقد أنجز في سنوات عمله الأولى ما يقرب من أربعين عرضا مسرحيا وغنائيا ، واضطر للاستعانة بصبيبة لأداء أدوار الإناث في البداية ، مما استنكره المشايخ فشكوه إلى والي دمشق ، ولاقى القباني صعوبات جمّة في البداية ، وتوقفت عروضه المسرحية إلى حين عودة مدحت باشا إلى ولاية دمشق ؛ حيث سهل له متابعة العمل المسرحي .

وبعد أن صرف الوالي صبحي باشا عن ولاية سورية ، جاء بعده عدد من الولاة الذين ناصرُوا القباني بعد إعجابهم بفنه ، ولكن الولاة كانوا متفاوتين ومتباينين في التشجيع ، وبينما كان بعضهم يشجعه لنصرة الفن ونهضة البلاد وتغذية العقول وتنويرها ، نجد أن آخرين كانوا يشجعونه لغايات سياسية الهدف منها إشغال الشعب ، وقد استمرت تلك المرحلة في مسيرة القباني ما يقرب من عشر سنوات قضائها يقدم مسرحياته في الخانات والبيوت . ولما آل الأمر في

(١) انظر : كنعان ، «أبو خليل القباني» ، ص ٥٠ .

(٢) انظر : توفيق حبيب ، «تاريخ التمثيل العربي قديما وحديثا» ، مجلة الستار ، عدد ١٦ ، ١٦/١/١٩٢٨م ،

ص ٢٣-٢٥ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : حبيب ، «تاريخ التمثيل العربي قديما وحديثا» .

ولاية دمشق إلى الوالي مدحت باشا بين عامي (١٨٧٨ - ١٨٧٩م) استبشر الناس خيرا؛ لكون الوالي من أصحاب المواقف العظيمة في الدعوة للحرية والعدل والمساواة، وحينما شاهد كثرة المقاهي التي يمثل فيها حكايات الكركوز، «انتقد وجهاء دمشق وعلماءها على هذا المستوى المنحط، ولا مهم لإقبالهم على مشاهدة مناظر مخجلة واستماع الفاظ بذیئة، وسألهم: ألا يوجد في دمشق أناس ممن يستطيع إقامة مسرح تمثل فيه الروايات الأدبية؟ فأجابوه بأن الشاب أحمد القباني يقوم بتمثيل بعض الروايات في سهرات خاصة مع فريق من أصحابه في بيوت دمشق، وهو خير من يفی بالغاية المتوخاة، فأمر بإحضاره، فخشي عاقبة الأمر وظن أنه قضى لا محالة، وذهب ضحية واش وشى به. وكانت الناس تؤخذ بالشك والريبة في عهد السلطان عبد الحميد. ولما كلفه بتمثيل رواية ليشاهدها بنفسه ارتد إليه روعه واطمأن على حياته، فامتثل للأمر وشرح له أن التمثيل يحتاج إلى مسرح وأدوات تمثيلية لا بد منها، فأمر أن يعطى من بلدية دمشق تسعمئة ليرة ذهبية لهذه الغاية»<sup>(١)</sup>.

وبعد الدعم الذي قدمه الوالي مدحت باشا، استأجر القباني قطعة أرض في باب توما وراح يمرن رفاقه من هواة التمثيل لتقديم رواية عايدة، وحضر الافتتاح مدحت باشا الذي أبدى إعجابة وسروره بولادة مسرح القباني في دمشق.

ويلحظ أن مشروع القباني قد نما وازدهر في الوقت الذي كفلته سلطة سياسية، مثل سلطة مدحت باشا الذي كان من كبار ساسة العثمانيين وعظماء رجالاتهم، وقد كان مهموما بالإصلاح والتشييد وبناء المدارس والأسواق مما خلد له أعظم الذكر في دمشق، وقد «رأى هذا الداهية المجرب أهل دمشق غارقين في ليالي القباني وحفلاته فوجدها فرصة سانحة للإصلاح والعمران، وأراد أن

(١) أدهم الجندي، أعلام الأدب والفن، ج ١، مطبعة مجلة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤م، ص ٢٤٩.

وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: الجندي، أعلام الأدب والفن.

يزيدهم بما هم فيه من لهو وامتعة ، فأدنى القباني من مجالسه ، وصار يتردد على مسرحه وينشطه كما كان يفعل سلفه صبحي باشا ، وكان يجلسه في مجالسه الخاصة بجانبه ويغدق عليه المنح والأعطيات حتى غدا لديه من أقرب المقرين ، يستشيريه في أمور البلد ويركن له ويعول عليه ؛ لأنه رأى فيه صفات الفنان المخلص لفنه المولع بعمله ، وقد لقبه بلقب كوميدي الشرق»<sup>(١)</sup> .

ولكن نجاح القباني لم يعمر طويلا ، فلم تطل ولاية مدحت باشا لأكثر من عامين ، حيث تسلم الولاية بعده للمرة الثانية ، الوالي أحمد حمدي باشا ، وفي عهد هذا الوالي بدأت الأصوات تتعالى ، وبالأخص من بعض رجال الدين المتزمتين ، ممن اعتادوا ، دوماً قيادة الدهماء من العامة ضد كل ما هو جديد ، وانبرى من هؤلاء شيخ يدعى (سعيد الغبرة) ، وكان تقي الدين الحصني أكثر وضوحاً عندما ترجم للشيخ الغبرة بالقول إنه كان : «يشن الغارة على قمع البدع غير المرضية ، المخالفة للشرع ، وقد شد الرحيل مراراً لعاصمة الدولة الإسلامية لرفع الكثير منها التي ظهرت في دمشق ، على الأخص كوميديا التمثيل للروايات ، فلما وصل الخبر إلى السلطان عبد الحميد صدر أمره بإبطالها والغائها ، وقد انتقل مؤسسها أبو خليل القباني الدمشقي إلى مصر ، ومثلها هناك ، وقد كثر من بعده فن التمثيل العربي بمصر وبرع فيه كثير من أهلها الذين تلقوا هذا الفن عنه»<sup>(٢)</sup> .

لقد بقيت المؤامرات والدسائس تحاك ضد القباني ومسرحه ، وضد كل المتنورين في سورية ، وذلك من قبل القوى الرجعية التي شنت عليه حملة شعواء ، خاصة بعد انتهاء ولاية (مدحت باشا) صاحب الأفكار الليبرالية ،

(١) كنعان ، «أبو خليل القباني» ، ص ٥٢ .

(٢) محمد أديب آل تقي الدين الحصني (ت ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) ، منتخبات التواريخ لدمشق ، ٣م ،

ج ٢ ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٨م ، ص ٧٢١-٧٢٢ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد :

الحصني ، منتخبات التواريخ لدمشق .



وبتسلم الوالي (فاضل باشا) الولاية من بعده ، بدأ مشروع القباني المسرحي بالتقهقر ؛ ذلك لأن هذا الوالي قد كان «ضعيفاً خائر العزائم مفلك الأعصاب يفزح من خياله ، فاغتنم خصوم القباني فرصة ضعف هذا الحاكم ، وأخذوا يدسون عليه ، ويناوئونه في عمله حسداً ولؤماً وغيره ، فوجدت وشاياتهم وتخرصاتهم عنده أذناً صافية ، وقلباً واعياً . وكانوا من الأشرار الذين تأكلت أكبادهم من السل حسداً وخسة ودناءة ، فبدأ القباني يترضى هذه الفئة بالمال والرشوة ، وباعطائهم بطاقات دائمة يدخلون بها المسرح من غير أجره إسكاتاً لهم وإخراساً لأفواههم ، فوجدوا بهذا الصنيع باباً للكسب ، جرأهم على طلب المزيد منه ، وجرأ غيرهم على اقتفاء آثارهم ، وبعد أن كان القباني ينفق ثلاثة أرباع دخله على المسرح وترقيته وجلب الناقص إليه ، غداً ينفق هذا الفائض من الدخل على إسكات الخراصين الهمازين المفسدين ، فطمع فيه الناس ، وهان على خصومه أمره ، فأفسدت عليه هذه البادرة عمله ، ولم تقتصر هذه الرشوات على تلك الفئة من أبناء البلاد والزكونية والقبضيات أمثال (أبو قاعود وأبو زطام وأبو اصطيف) بل تعدتهم إلى الشيوخ الانتهازيين المرتزقين الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ، فصاروا إذا ما بدا منه قصور في هذا الباب أثاروا الدهماء عليه من سواد الأمة وسوقتها باسم الدين ، وقديماً كان وتر الدين في مثل هذه المواقف حساساً يستولي به الخاصة على العامة»<sup>(١)</sup> .

ونتيجة لحالة الضعف التي ظهر عليها الوالي فاضل باشا عم الفساد والاضطرابات في الشام ، واهتم الوالي بتثبيت مركزه وإشغال أهل الشام عنه بغيره ، فأشعل النزاع القائم بين جماعة القباني ومريديه وبين خصومه وحساده ، حيث «أضرم النار وأذكاها ليلهيهم عنه على قاعدة فرق تسد ، فانقسم الناس في هذا السبيل قسمين ؛ قسم بجانب القباني يناصره ويسانده ، وهو الطبقة الراقية المثقفة في البلاد ، وقسم يناهضه ويعاكسه ، وهو طبقة الرعاع والجامدين

(١) كنعان ، «أبو خليل القباني» ، ص ٥١ - ٥٢ .

والرجعيين . فاشتد الأمر على القباني وعظم الكرب وحرار في أمره ، وكانت المهاترات والتراشق بالحجارة والشتائم توجه إليه وإلى أنصاره كلما أبصره خصومه صباحا ومساء ، وكانت كثيراً ما تقع الواقعة ما بين أهل باب السريجة مسقط رأسه وباب الجابية التي نشأ فيها وترعرع ، وما بين حي العمارة والقيصرية مواطن خصومه ومنافسيه ، فيقتتلون من أجله بالحجارة والمدى والخناجر ، وتتقلب ساحات هذه الأحياء إلى ساحات قتال تنذر بأفدح العواقب وأسوأ الخواتم . وقد خرجت هذه الخصومات عن كونها داخلية صرفة ، فانتقلت أخبارها إلى الخارج»<sup>(١)</sup> .

ولما رأى معارضو القباني أن لا قدرة لهم على تقويض أركان مسرحه ، ومنع صاحبه من مزاوله العمل نظراً للدفاع الرأي العام الواعي المثقف عنه ، ألفوا وفداً وعلى رأسه الشيخ سعيد الغبرا ، ولما وصل الوفد إلى دار الخلافة مكث فيها مدة وهو يحتال للوصول إلى مقر السلطان من غير جدوى ، وهم الوفد بالعودة إلى دمشق ، بيد أن الشيخ الغبرا قد سمع من أحد أفراد الحاشية أن السلطان سيصلي صلاة العيد في أيا صوفيا ، ففرح فرحاً شديداً لهذا النبأ ، وأزمع أن يرفع إليه شكواه وهو في طريقه إلى المسجد مهما كلفه الأمر ، وقد كان له ذلك ، حيث حرص وأعوانه السلطان ضد الشيخ الذي يفسد ، في نظرهم ، الأخلاق والدين عن طريق هذا الفن الوافد ، وهو «فن المسرح» ، وقد روى (الخلعي) هذه الحادثة ، حيث ذهب إلى أن بعض مشايخ الشام قد «قدموا تقريراً إلى دار خلافة الإسلام ، قالوا فيه : إن وجود التمثيل في البلاد السورية مما تعافه النفوس الأبية ، وتراه على الناس خطباً جليلاً ، ورزءاً ثقيلاً ؛ لاستلزامه وجود القيان ، ينشدن البديع من الألحان بأصوات توقظ أعين اللذات في أفئدة من حضر من الفتيان والفتيات ، فيمثل على مرأى الناظرين ومسمع من المتفرجين أحوال العشاق وما يجدونه من اللذة في طيب الوصل بعد الفراق ، فتطبع في الذهن

(١) كنعان ، «أبو خليل القباني» ، ص ٥٣ .

سطور الصباية والجنون ، وتميل بالنفس إلى أنواع الغرام والشجون ، والتشبه بأهل الخلاعة والمجون . فكم بسببه قامت حرب الغيرة بين العواذل والعشاق وسفك الدماء البريئة وأراق! وكم سُلِب قلب عابد وفُتِن عقل ناسك وحُلَّ عقد زاهد! كذا قد يرى الإنسان فيه من اللهو ، وأحاديث اللغو ما يذهب بفكره ويضل الطير عن وكره ، حتى إذا ما ارتكبت النفس أعظم الموبقات واجترمت أنكر المحرمات وابتذلت الخدور ونفقت سوق الفحش والفجور وذهب المال وساء الحال ، لا ينفع من ثمَّ التلافي بعد التلاف ، ولا يرد السهم إلى القوس وقد خرق الشغاف ، ومثلوا بالتمثيل زاعمين أنه أس كل رذيلة وفعل وبيل»<sup>(١)</sup> .

وهذا التفسير لا يبدو مقنعاً ، لا سيما أن مقاهي الشام في تلك الفترة كانت تنتشر فيها وبكثرة حكايات «الكركوز» ، التي تشتمل على كثير من البذاءة والألفاظ المكشوفة ، وهذا ما وجه له مدحت باشا النقد حين ولي على دمشق ، حيث لام وجهاء دمشق لإقبالهم على مشاهدة هذه المناظر المخجلة ، واستماعهم إلى تلك الألفاظ البذيئة ، وهنا لم ينتفض رجال الدين رفضاً للكركوز ، ولم يقوموا بإحراق الخيمة ، أو منع أصحابها من العمل في مقاهي الشام .

لكن (عمر وصفي) الذي عمل ممثلاً في فرقة القباني ، ذهب إلى رواية مختلفة قائلاً : «فقد ذهبت النساء إلى رجال الشريعة يشكون أزواجهن ؛ لأنهم يتغيبون عن البيت . . . واشتكى أصحاب العمل من أن العمال أخذوا يهملون في العمل ويتغيبون عن المصانع لمشاهدة التمثيل . . . وزادت الشكوى ، فاجتمع علماء المدينة وأرسلوا منهم وفدًا إلى الوالي مدحت باشا ليأمر بمنع التمثيل والقضاء على كل هذه الشكاوى ، ولكن الوالي ، وهو الذي حث وساعد على تأسيس هذه الفرقة ، لم يستمع إلى كلامهم ولم يُعِره التَفَاتًا . رأى العلماء بعد ذلك ألاّ مناص لهم من الالتجاء إلى السلطان لينقذهم من ذلك الخطر المداهم ،

(١) الخلعي ، كتاب الموسيقى الشرقي ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

فأوفدوا إمام الأئمة إلى إسطنبول لرفع الشكوى إلى الأعتاب السلطانية . ووصل الشيخ إلى إسطنبول ولكنه لم يتجه بشكواه إلى القصر السلطاني ، بل انتهز فرصة صلاة السلطان في أحد المساجد في يوم الجمعة فدخل مع المصلين ، ولم تكذنته الصلاة حتى سمع الناس رجلاً يبكي ويولول ويصيح : انقذوا الشام . . . أدركوا دمشق ، أنقذوا إخوانكم المسلمين من الفسق والفجور! وقبض طبعاً على الرجل فوراً ، وأخذ إلى مركز البوليس للتحقيق معه ، فأخذ يث شكواه ويصف ما آلت إليه دمشق من الانحطاط الخلقي مهولاً في ذلك ما أمكن . وكان من الطبيعي أن يسأل من أمر ذلك الرجل الذي أزعج السلطان بصياحه في المسجد ، فعرضت شكواه على السلطان ، فأصدر أمراً بمنع التمثيل في دمشق»<sup>(١)</sup> .

وأخيراً ، مُنع القباني من التمثيل في الشام ، بل وقد منح موقف السلطة السياسية لمعارضيه مشروع القباني التبرير للإجهاد على مسرحه وحرقه ، ومن الملاحظ أنهم قد عزفوا على وتر الفضيلة ؛ لأنهم يدركون جيداً أنهم إن لم يفعلوا ذلك فإن أحداً لن يصغي إليهم أبداً . كما ساءهم أن يروا الأفكار الجديدة وهي تشق طريقها إلى الناس ، فتزيح تدريجياً ظلام الجهل عن عيونهم ، لذلك سعوا إلى الإجهاد على تجربة القباني ، حتى لا يستفحل خطرهما ، وكان لهم ما أرادوا ، فقد «صدرت الإرادة السنية إلى حمدي باشا والي الشام بمنع أبي خليل القباني من التمثيل وإغلاق مسرحه»<sup>(١)</sup> . ولم يقف بهم عند هذا الحد ، فقد وجد خصومه الفرصة سانحة للنبيل منه ، فأغروا به صببة الأزقة وحفظوهم بعض الأغاني والأشعار ، ليشتموه بها ، كلما قابلوه في الطريق ، مما اضطره إلى الرحيل

(١) عمر وصفي ، مجلة المصور ، القاهرة ، العدد ٧٢٠ ، ٢٩ / ٧ / ١٩٢٨ م ، ص ٢٢ - ٢٤ . وسيشار إليه عند

وروده فيما بعد ، وصفي ، مجلة المصور .

(٢) انظر : الكيلاني ، «أبو خليل القباني المعلم العربي» ، ص ٥٠ .

وانظر : نجم ، «المسرحية في الأدب العربي الحديث» ، ص ٦٧ - ٦٨ .

عن دمشق باتجاه مصر ، حيث تابع هناك تجربته الرائدة بنجاح كبير ، وبخاصة ، في مجال المسرح الغنائي .

وقد تحدث المؤرخون عن المتاعب التي لاقاها أبو خليل القباني من بعض مشايخ دمشق وغوغاءها ، وما استتبع ذلك من إحراقٍ لمسرحه في خان الكمرك ، ومهاجمته والتعرض له وملاحقته بالسباب والشتائم ، وقد روى (كنعان) بعضاً من الأشعار التي كانت تردد من قبل أفراد المجتمع السوري في ذلك الوقت للسخرية من القباني وتوبيخه ، ومن بينها :

«أبو خليل النشـواتي  
يا مزيف البنات  
ارجع لكارك أحسن لك  
ارجع لكارك نشـواتي  
أبو خليل مين قال لك  
على الكوميضة من ذلك  
ارجع لكارك أحسن لك  
أرجع لكارك قبباني  
أبو خليل القبباني  
يا مرقص الصبباني  
ارجع لكارك أحسن لك  
أبو خليل القبباني  
وما كان يهزج له به أيضاً :  
أبو خليل يا بومـة  
يا بومة اللغة المبرومة  
أعطيني من ذقنك شعرة  
لأصلحها التاسومة» (١) .

(١) انظر : كنعان ، «أبو خليل القباني» ، ص ٥٤ .

إن الجهود المسرحية التي بذلها القباني في دمشق ، وتعهدتها بالصبر ، والتودد للحكام ، بل وحتى بدفع الرشى لذوي الأمر إلى أن بسقت وأتت أكلها في مصر كانت مصدر اعتزاز وإلهام لكثير من النقاد والمسرحيين ، لكن هذه التجربة اصطدمت بموقف السلطين الدينية والسياسية الأمر الذي أدى إلى تأخر المشروع الثقافي المسرحي العربي على نحو عام ، ومشروع القباني على نحو خاص ، وما يثير الدهشة في هذه الهجمة الشرسة هو أنها تفتقد إلى التعبير الموضوعي ، فالقيم والأفكار التي تنطوي عليها مسرحيات القباني لا تتعارض إلا في الحدود الثانوية ، مع ما كان يطرح في المجتمع السوري المحافظ والتقليدي من قيم وأفكار .

لقد بقي القباني ينشد التقرب من السلطة من خلال أغاني التمجيد والثناء والدعاء للسلطان ، إلا أن ذلك لم يشفع له حينما تحرك معارضوه ضده ، وعلى الرغم من أن القباني لم يقدم في مسرحه «سوى شخصيات الأمراء والملوك ، ولا كانت القيم والمفاهيم التي يعبر عنها سوى قيم المجتمع الإقطاعي الوسيط الذي كان لا يزال يعيش في ظل السلطان العثماني ، وهكذا لم يكن بينه وبين المجتمع الجديد الذي كان يتكون في سورية إلا أوهى الصلة ، فإذا أهملته الطبقة البرجوازية النامية ، فلأنها لم تجد فيه ما يمثلها ، وإذا ما قسا عليه الجمهور ، فلأنه ليس ثمة تجاوب بينهما ، بينما احتضنه السلطان وحاشيته في النهاية ، واعتذروا له بالمال والراتب عن إهمالهم الأول»<sup>(١)</sup> ، إلا أن هذا الاستنتاج الذي يبدو لأول وهلة منطقيًا ، هو استنتاج أقرب إلى الميكانيكية في تفصيل حوادث التاريخ ، لا سيما أن شاكر مصطفى قد تناول مضمون الأعمال التي قدمها القباني ، ولكنه لم يتحدث عن أهمية تجربة القباني المسرحية بوصفها قد جاءت ضمن هذا الجو المشحون والمتزمت .

وإذا كانت المسرحيات التي قدمها القباني لا تعبر إلا عن قيم ومفاهيم

(١) مصطفى ، القصة في سورية ، ص ٢٠٨ .

مجتمع إقطاعي رجعي يترنح أمام ضربات برجوازية متنورة في طور التكوين ، فلماذا قاد ممثلو المجتمع الأول المجتمع الرجعي بتركيبه الإقطاعي الديني للهجوم العنيف على تجربة القباني ؛ إذ إن الذي حمل المضبطة إلى الأستانة ليس أحد ممثلي البرجوازية المتنورة ، وإنما هو الشيخ سعيد الغبرا الذي جمع تواقيع معظم أعيان دمشق آنذاك ، وذلك في الوقت الذي كانت قد بدأت فيه موجة الإرهاب الحميدي تغيب في السجون وفي قيعان البوسفور ، مجموعات من الشبان الأحرار يمثلون فعلاً برجوازية بازغة من شقوق مجتمع إقطاعي يتصدع<sup>(١)</sup> .

ومن المؤكد أن الرجعية قد وقفت بشراسة ضد تجربة القباني المسرحية متذرعة بالأسباب الأخلاقية ، حيث شكل الشيخ الغبرا أداة من أدوات الإطاحة بالقباني ومشروعه ، فهو قد «كان له جسارة في الأمور ودأب عظيم ، وكان يخيل له أنه من كبار العلماء المدرسين»<sup>(٢)</sup> ، وعلى الرغم من تعدد التفسيرات لأسباب الهجوم على مشروع القباني ، إلا أن الدوافع الأخلاقية لم تكن إلا قناعاً أخفى أسباباً أخرى ، وقد أكد الكيلاني حتمية الصدام بين عناصر الرجعية وولادة المسرح ، معللاً ذلك بالموقف العام من كل جديد ، ورد ما لاقاه القباني إلى ملابسات شخصية ، حيث ذهب إلى أن «أبا خليل بما فطر عليه من لطف الحسن ، قد تنبه إلى الخطر المحدق بحركته الفنية ، وهي ما تزال في مهدها ، فعمد إلى استرضاء زعماء الرجعية المتسلطين على الجهال والرعاغ فقاسمهم الريح . ويظهر أن نصيب أحدهم ، الشيخ سعيد الغبرا الذي تسلط

(١) انظر : سعد الله ونوس (ت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، الأعمال الكاملة ، المجلد الثالث ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٩٦م ، ص ٥٣ - ٥٤ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : ونوس ، الأعمال الكاملة .

(٢) عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥هـ / ١٩٥٦م) ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ٣ ، الجزء الثاني ، تحقيق ، محمد بهجة البيطار ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٦٣م ، ص ٦٥١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : البيطار ، حلية البشر ،

على عقول العامة ببيانه ولسانه كان ضئيلاً، فشد رحاله إلى الآستانة، عاصمة الخلافة، بعد أن أعجزته الحيلة عن محاربة أبي خليل القباني في بلده»<sup>(١)</sup>، حيث يعزز مسعاه قيام ما يقرب من ستة وعشرين شخصاً من شيوخ دمشق وأعيانها بالتوقيع على المضبطة التي حملها الشيخ (الغبرا) إلى الآستانة، ولو كان ثمة عداً شخصياً قد نشب بين القباني والشيخ سعيد، فإن ذلك لا يشكل العنصر الجوهرى في القضية، ولا يعد السبب المباشر للحملة التي تشكلت في أوساط الرجعية .

لقد عدت الرجعية أن المسرح بدعة يجب إبطالها، وكان رجال الدين يشهرون سلاح البدعة في العهد العثماني وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بغية تحقيق أهداف معينة، فقد كان نظام الحكم العثماني (اوتوقراطياً) وكانت بنية النظام الاجتماعي فيه لاسيما بعد انتهاء عهد الفتوحات، وتوزيع الإقطاعات على الجيش، بنية إقطاعية متخلفة، تركز على تحالف وثيق بين كبار الإقطاعيين ورجال الدين، وكان الإقطاعيون يمدون رجال الدين بكل ما يحتاجونه من نفوذ مادي ومعنوي، وذلك كي يقدموا لهم التبرير الأيديولوجي الذي يضمن استقرار النظام الإقطاعي القائم، ويؤكد (لوتسكي) ذلك بقوله إن «رجال الدين الإسلامي - في العهد العثماني - دعامة النظام الإقطاعي، وكان كبار الإقطاعيين يهبون العقارات الكبيرة إلى المؤسسات الإسلامية لدعم هذا النظام. وفي زمن قوة الدولة العثمانية واستقرارها، لم يكن هذا التحالف يكلف أي عناء، أو يطرح صعوبات خاصة ولكن بدأ الإشكال حين أخذ التفكك والفساد، نتيجة عدد من العوامل التاريخية، ينخران جسد الدولة، ومن ثمّ النظام الإقطاعي الذي تقوم عليه... فقد ازداد عبء التبرير الأيديولوجي صعوبة وازداد معه رجال الدين نفوذاً. كان الصراع الاجتماعي قد بدأ يبرز في أرجاء الدولة المريضة، فكان عليهم أن يسندوا

(١) مصطفى، القصة القصيرة في سورية، ص ٢٠٨.



الطبقة التي يركزون عليها ، ويحامون عنها بكل ما يملكون من وسائل . وحين أجبرت الضرورة التاريخية دولة بني عثمان على الاختيار بين أن تنهار أو تتجاوز نظامها الإقطاعي المتفسخ بعدة إصلاحات حديثة ، وشبه برجوازية ، شكل رجال الدين معارضة شرسة قاومت كل التحديث ورفعت راية (البدعة) في وجه كل تغيير يمكن أن يمس النظام الإقطاعي القائم<sup>(١)</sup> ، وبذلك فقد رسخت سلطة رجال الدين إمكانية تدخلهم في شؤون الدولة ، وعرقلت التقدم في مختلف الميادين تحت مسميات شتى لتحقيق أغراضهم السياسية والاجتماعية الهادفة إلى إيقاف انهيار الطبقة الإقطاعية التي تحالفوا معها ، والحيلولة دون نمو البرجوازية التي بدأت تكتسح أسواق المدن ، وتمتد في أوصال الجهاز الحكومي ، لا سيما بعد منتصف القرن التاسع عشر .

ووفقا لذلك ، فقد استشرع رجال الدين الخطر الكامن في تجربة القباني ، لا سيما التي تكمن في الظاهرة المسرحية ، لا في الأفكار التي كان يلقيها المشخصون على الخشبة ، وذهب (سعد الله ونوس) إلى وجود ثلاثة عوامل رئيسية أدت إلى الوقوف ضد مشروع القباني ، هي :

«العامل الأول : إن ظهور المسرح كان جزءا من حركة التنوير التي رافقت صعود البرجوازية في المجتمع ، وكان ذلك يلبي حاجة من الحاجات الثقافية ، والاجتماعية لهذه الطبقة الصاعدة ، فالمجتمع البرجوازي الذي يتكون ويناضل لذلك التكوين ، كان يحتاج إلى أسلوبه الخاص في التعبير الفكري والأدبي وفي الإنتاج الاقتصادي وفي العلاقات الاجتماعية والسياسية ، والظاهرة المسرحية التي انبثقت من حركة النهضة ، كانت في الوقت نفسه شكلاً ثقافياً جديدا يعكس هذه النهضة ، ويؤكد قوة الطبقة التي تضطلع بها ، وفي فترة

(١) فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة ، عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١م ، ص ٧٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث .

انقلاب اتقدت فيها الحماسة للانفلات من سجن الانحطاط ، وبدأت أفكار اليقظة القومية تنتشر كالهزات ، وتنامت الرغبة في توكيد الذات واللحاق بركب المدينة .

العامل الثاني : يرتبط بالطابع الاجتماعي للظاهرة المسرحية ، فقد تميز الرواد الأوائل للمسرح العربي بادراك عميق لشروط البيئة ، وذهنية المتفرج الذي يتوجهون إليه ، ولهذا لم يحاولوا نسخ التجربة المسرحية نسخا ، بل طوعوها وأكسبوها نكهة محلية ، ولا ريب أن تلك المسرحيات التي كانت تحفل بالجدة والارتجال والتجارب النشطة كانت مقلقة ومخيفة ، ففي غضون تلك الاحتفالات شبه العفوية كان المتفرجون يعيشون متعة جماعية ، ويشعرون بالتساوي فيما بينهم ، وكانوا يتعلمون وعي حالتهم وأوضاعهم بالتدخل في سياق الرواية ، والتعقيب على مواقفها ، وتبادل الاستجابات المتنوعة حيالها ، وحين يعيش المتفرجون ضمن احتفال متجدد فإنه يتحقق التأثير والتغيير بكيفية أخصب وأكثر تشعباً ، وكانت الرجعية تلاحظ بانزعاج قوة التأثير والتغيير هذه ، فلم يرق لها ذلك .

العامل الثالث : يتعلق بأخطر عناصر الظاهرة المسرحية وهو (التشخيص) ، فالنظم الإقطاعية الدينية تعتمد في سيطرتها على تأكيد الحدود الصارمة بين الطبقات ، وهي تعتمد تارة على احتكار اللغة والكهنة ، وتارة على إسباغ قدسية إلهية على ممثليها حيناً لتضفي على نفسها نبلاً وسموا لا متناهيًا ، وحيناً تلجأ إلى اختلاف الزمرة الدموية ، وقد تستخدم كل هذه الوسائل مجتمعة ، لكن ما يعنيه هو أن تظل بهالتها القدسية فوق الشعب ، ورواية قسطندي رزق عن قيام رجال الدين بسبب ظهور هارون الرشيد على المسرح تبدو معقولة جداً ، لكن ذلك لم يكن غيراً على الخليفة الذي تقلصت شخصيته لتظهر بصورة رجل عادي ، ربما كان يثلغ ، أو يباليغ في الأداء ، أو تبدر منه حركات مضحكة ، وما ينطبق على الرشيد ينطبق على سواه ، وإذا تجرؤوا اليوم وشخصوا الخليفة فما الذي يمنعهم غداً من تشخيص أعيان دمشق ، وحكام السلطنة ، والعلماء

ذاتهم ، ويمكن بالتشخيص أن يجعلوا منهم أضحوكة ، بل ويتعلم الناس التناول عليهم»<sup>(١)</sup> ، وأرى أن القباني قد استلهم من التراث ما يعبر عن أمجاد العرب ويطولاتهم ، وأن مسرحياته لم تخل من مختلف عناصر الثقافة العربية ، حيث حفلت بكثير من الأشعار العربية فضلا عن الأغانى والنوادر ومختلف الفنون الشعبية التي تخللت ثنايا الأحداث المسرحية ، فجاءت بذلك نابعة من وجدان الشعب وضميره الجمعي ، وملتصقة بهوموم وتطلعاته .

### الخاتمة:

شكل المسرح العربي فناً جديداً وطارثاً في الحياة الثقافية والاجتماعية العربية القديمة ، حيث نظر أبناء المجتمع العربي له نظرة دونية أكثر من كونه وجهاً حضارياً ، ووصفوه بأنه بدعة ، وقد أدرك الرواد الأوائل للفن المسرحي العربي خطورة المحاولة التي أقدموا عليها في مجتمع تقليدي محافظ ، لم تكن له معرفة سابقة بهذا الفن ، لذلك مثلما قدم النقاش عرضه الأول لجمهور نخبوي ، فإن القباني لم يجرؤ هو الآخر على تقديم مسرحيته الأولى (ناكر الجميل) أمام الجمهور وإنما قدمها في بيت جده ، واقتصرت على جمهور من الخاصة ، تفادياً منه للعواقب الوخيمة التي من الممكن أن تحدث نتيجة لهذه المغامرة في مجتمع تقليدي كان يعاني من الجهل والسيطرة العثمانية .

وعلى الرغم من أن مسرح القباني لم يكن فيه أي إسفاف أو استخفاف بالحياء العام ، وإنما جاء مسرحاً للفرجة وأداة فعالة في المشروع التنويري ، فإن معارضيه وخصومه من أبناء المجتمع ومن رجالات السلطة قد تنبهوا لخطورة مسرحه ولدوره التعليمي ، مما جعلهم يشنون عليه حملة شرسة أدت إلى إسقاطه وحرق مسرحه ، مما اضطره للرحيل إلى مصر عام ١٨٨٤م ليواصل مشروعه الفني هناك .

(١) انظر : ونوس ، الأعمال الكاملة . . . . ص ٦٠ - ٦٤ .

ويُلاحظ أن مشروع القباني قد نما وازدهر في الوقت الذي كفلته سلطة سياسية ، مثل سلطة مدحت باشا ، ولكن بقيت المؤامرات والدسائس تحاك ضد القباني ومسرحه ، وضد كل المتورين في سورية ، وذلك من قبل خصومه الذين شنوا عليه حملة شعواء ، خاصة بعد انتهاء ولاية (مدحت باشا) صاحب الأفكار الليبرالية ، وتسلم الولاية فاضل باشا ، ونتيجة لحالة الضعف التي ظهر عليها الوالي فاضل باشا عم الفساد والاضطرابات في الشام ، واهتم الوالي بتثبيت مركزه وإشغال أهل الشام عنه بغيره ، فأشعل النزاع القائم بين جماعة القباني ومريديه وبين خصومه ، وقد استغلت السلطة العثمانية الهجمة الشرسة على مشروع القباني من قبل خصومه في محاولة منها لإشغال الناس بذلك للتخفيف من الاضطرابات التي صارت تقوم ضدها في الولايات العثمانية . وفي الوقت الذي رأى فيه معارضو القباني أن لا قدرة لهم على تقويض أركان مسرحه ، ومنع صاحبه من مزاولة العمل نظراً لدفاع الرأي العام الواعي المثقف عنه ، ألفوا وفداً على رأسه الشيخ سعيد الغبرا ، حيث حرضوا السلطان ضد الشيخ الذي يفسد الأخلاق والدين عن طريق فن المسرح ، ومُنِع القباني من التمثيل في الشام ؛ إذ منح موقف السلطة السياسية لمعارضيه مشروع القباني التبرير للإجهاز على مسرحه وحرقه ، ويمكن القول إن مشروع القباني بات مثار قلق للسلطة العثمانية الحاكمة ولرجال الدين ، لا سيما بعد أن أدرك القباني شروط البيئة وطبيعة ذهنية المتفرج الذي يتوجه إليه ، وإمكانية التأثير به ، فأصبح مسرحه مثار قلق على الصعيد السياسية والاجتماعية والثقافية .

## الزراعة في منطقة الكفارات في لواء بني كنانة في إربد وأدواتها الفلاحية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر «حقة التنظيمات العثمانية»

ضيف الله عبيدات (\*)

تقديم:

تعتبر منطقة شمال غرب الأردن ، حيث تقع منطقة بني كنانة ، من المناطق الزراعية الخصبة والغنية بتنوعها النباتي . وهي وفيرة المياه ؛ إذ يبلغ معدل هطول الأمطار السنوي أكثر من ٤٠٠ ملم . كما تشهد المنطقة تساقط الثلوج في فصول الشتاء . وتتربع شجرة الزيتون حالياً على قائمة الزراعات المعروفة فيها ، سواء من حيث عدد الأشجار أو من حيث المساحات المزروعة بها ، كما كانت عبر مختلف العصور (غوانمة ١٩٨٢م : ٧٩) . وتأتي زراعة الحبوب بمختلف أنواعها في المرتبة الثانية . علماً أن الأمر كان ، وحتى قبل عقود قليلة مضت ، يختلف عما هو عليه الآن ؛ إذ كانت محاصيل الحبوب ، مثل القمح والشعير والعدس والكرسنة ، تشكل العماد الرئيس في الإنتاج الزراعي لهذه المنطقة .

سوف تتناول هذه الورقة الأدوات الزراعية التي كانت تستخدم في أعمال زراعة الحبوب في جميع مراحلها ، منذ بذارها وحرثها الأرض ، مروراً بأعمال الحصاد والرجاد<sup>(١)</sup> ، ومن ثم أعمال درس المحصول وأعمال التذرية (استخراج

---

(\*) جامعة آل البيت ، المملكة الاردنية الهاشمية .

(١) الرجاد تعني نقل المحصول من الحقل ، بعد أن تم حصده ، إلى البيدر في القرية أو بقربها ، لكي تتم بعد ذلك عملية الدرس أو استخراج الحبوب .

الحبوب بفصلها عن التبن) . وتتمثل المراحل الأخيرة في رحلة الحبوب بنقلها إلى البيت والعمل على تنقيتها وتنظيفها جيداً مما يكون ما يزال عالقاً بها من حبيبات ترايبية أو حجرية صغيرة ، من خلال عمليات الغريلة ، ليتم بعد ذلك تخزينها في الأماكن المخصصة لذلك . وقد كان التبن بمختلف أنواعه وأشكاله ، التي تنتج بعد عمليات الدرس والتذرية ، يعد مادة مهمة في حياة المجتمعات القروية ، فالتبن هو غذاء الحيوانات طوال موسم الشتاء القادم ، والقصل<sup>(١)</sup> وقود رئيس لطواوين الخبز ، بالإضافة إلى استخدامه في إعداد الطين المستخدم في كافة أعمال البناء .

كانت مواسم الحصاد والرجاد والدرس وما تبعها من أعمال من أهم المواسم في حياة سكان القرى في هذه المنطقة ، فهي طويلة من حيث الوقت الذي تستغرقه ، حيث تمتد تقريباً على امتداد فصل الصيف ، منذ شهر أيار وحتى نهاية شهر أيلول تقريباً ، وهي فترة يمتزج فيها الكد والتعب مع الفرح والسرور ، حيث يكون الفلاح قد تمكن من تأمين العنصر الرئيس في غذاء أسرته ، أي رغيف الخبز ، حتى موسم الحصاد القادم ، كما أنه بمقدوره أن يبيع من الحبوب ما يفيض عن حاجته للحصول على الفلوس التي تلزمه لتأمين مستلزمات أسرته من ملابس ، أو لإتمام أي مشروع آخر . ومن الجدير بالذكر أن العديد من المناسبات كان يتم تأجيلها حتى نهاية موسم البيدر ، مثل الخطبة لأحد الأبناء أو تزويجه على سبيل المثال ، أو بناء بيت جديد أو على الأقل حجرة جديدة لتوسعة المسكن .

(١) القصل هو العقد في ساق نبات القمح والشعير ، وعادة ما تكون ناسية ، لا تأكلها الدواب مثل بقية التبن ، ولذلك فهي كانت تستخدم كوقود للطواوين . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن كلمة القصل تطلق أيضاً على الجزء العلوي المجوف والخالي من العقد من نبات القمح ، وكان هذا يستخدم في صناعة بعض الأشياء المنزلية سوف يتم توضيحها لاحقاً .

وقد شهدت هذه المنطقة نشاطاً زراعياً نشيظاً منذ بداية القرن الماضي ، ويبدو أن لمرور الخط الحديدي الحجازي فرع درعا حيفا ، الذي يمر في وادي اليرموك ، أثراً كبيراً في ذلك ، حيث أصبح بمقدور السكان توريد منتجاتهم إلى أسواق المدن التي ترتبط بهذا الخط الحديدي (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٤٣١) .

ونتيجة لذلك زاد اهتمام سكان هذه المنطقة في تربية المواشي وعلى رأسها الأبقار (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٣٦٩) ، التي بالإضافة إلى منتجاتها المختلفة كانت تشكل عنصراً مهماً في حراثة الأرض . ومن الجدير بالذكر أن أهالي قرية حرثا على سبيل المثال كان لديهم عجاليين من الأبقار ، أحدها للأبقار الحلابة والآخر للثيران .

استخدم الفلاحون أنواعاً مختلفة من الأدوات الزراعية في هذه الأعمال ، التي يناسب كل منها مرحلة من مراحل العمل ، جلها مصنوعة من مواد محلية ، حيث اعتمدوا على ما يتوافر في البيئة المحلية من مواد خام لإعداد جميع أدواتهم وأشيائهم التي يحتاجونها في أعمالهم الزراعية المختلفة وصناعتها وصيانتها . ولم يكونوا يستوردون من الخارج (أسواق المدن) إلا ما يصعب توفيره محلياً ، مثل الغرابيل وسكك المحراث .

اعتاد الفلاحون على أن يقوم كل منهم بصنع ما استطاع من أدواته بنفسه ، وما تعذر عليه منها كان يقوم به الحرفيون المتخصصون في هذه الأعمال ، سواء داخل القرية أو خارجها في المدينة . ففي كل قرية ، تقريباً ، كان هناك شخص (نجار) يتقن تصنيع «عود الحراث» (المحراث) وصيانتته . أما الأدوات الأخرى مثل سكة المحراث ، على سبيل المثال ، فكان يتم شراؤها أو «صرفها» (شحذها) ، في مدينة إربد . مع العلم أن كبار السن من الفلاحين ذكروا بأنهم كانوا يقومون بهذه الأعمال قبل ذلك في مدينة دمشق ، قبل أن تتوافر هذه الأعمال في مدينة إربد ، وربما قبل أن تمهد الطرق من القرى باتجاهها . حيث كانت أسواق مدينة دمشق هي الأقرب لهم ، وكانوا يصلونها على ظهور الدواب ، أو بواسطة

القطار<sup>(١)</sup> . بالإضافة إلى بعض الأدوات التي كان يأتي بها النور في بعض المواسم مثل الغرابيل والكرابيل والسكاكين وغيرها من السلع .  
وتحاول هذه الورقة التعريف بهذه الأدوات الزراعية ، واستخداماتها بقدر الإمكان ، وذلك بشكل متسق مع التسلسل التتابعي لجميع مراحل الأعمال الزراعية المختلفة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأدوات الزراعية لم تكن قادرة وحدها على تلبية حاجة الفلاح ، بل كان الحس الجماعي لدى المجتمع القروي ، هو الضامن الحقيقي للقيام بجميع هذه الأعمال الزراعية ، في الوقت المحدد لها . فقد كان الأقارب والجيران يهبون ، متطوعين ، لمساعدة بعضهم بعضاً في إتمام هذه الأعمال ، وذلك بدافع ذاتي تلقائي ، دون أن يطلب منهم صاحب العمل ، ودون أن يطلبوا أجراً على ذلك .

### تعريف بالمنطقة وموقعها:

منطقة الكفارات<sup>(٢)</sup> هي جزء من لواء بني كنانة<sup>(٣)</sup> ، الذي يقع في الجزء الشمالي الغربي لمحافظة إربد ، ويبعد عن مركز المحافظة مسافة ١٥ كم . وهو من أكبر ألويتها ، من حيث عدد السكان . وقد تم استحداث لواء بني كنانة في عام

---

(١) كان الناس يذهبون إلى وادي اليرموك حيث يمر الخط الحديدي الذي كان يربط بين مدينة درعا وفلسطين ، وقد كان في هذا الوادي محطات لهذا القطار . يركبون القطار إلى مدينة درعا ثم إلى الشام .

(٢) الكفارات ، القرى ، وهي جمع كفر ، والكفَرُ: القرية الصغيرة ، معجم المعاني الجامع ، كانت منطقة الكفارات تشكل ناحية في لواء حوران في أواخر العهد العثماني ، كما أشار إلى ذلك محمد خليل رفعت الحوراني أبو فخر ٢٠٠٥م : ٢٧ ، الذي يذكر أنها من مناطق عجلون ، فيها ١٢ قرية معروفة منها ٥ أمست خراباً ، أبو فخر ٢٠٠٥م : ٢٨ .

(٣) حول أصل التسمية ، انظر : ٢٠١٠م : ٥ .



١٩٨٥م ، وهو يضم خمسة مجالس بلدية ، هي : بلدية الكفارات وبلدية السرو وبلدية الشعلة وبلدية اليرموك الجديدة وبلدية خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> (موقع وزارة الداخلية ٢٠١٦م ؛ عبيدات ١٩٨٤م : ١٥) .

تقع منطقة (ناحية) الكفارات في الجزء الشمالي من لواء بني كنانة ، على خط الطول (٣٥،٨٥) وخط العرض (٣٢،٦٩) ، على بعد نحو ١٨ كم إلى الشمال من مدينة إربد . يحدها من الشمال وادي اليرموك حيث مجرى نهر اليرموك ، الذي يمثل الخط الحدودي بين كل من الأردن وسوريا ، ومن الجنوب والغرب منطقة السرو ومن الشرق وادي الشلالة الذي يفصلها عن منطقة الرمثا . وتشكل منطقة الكفارات مع منطقة السرو ما يعرف إدارياً بلواء بني كنانة ، في محافظة إربد .

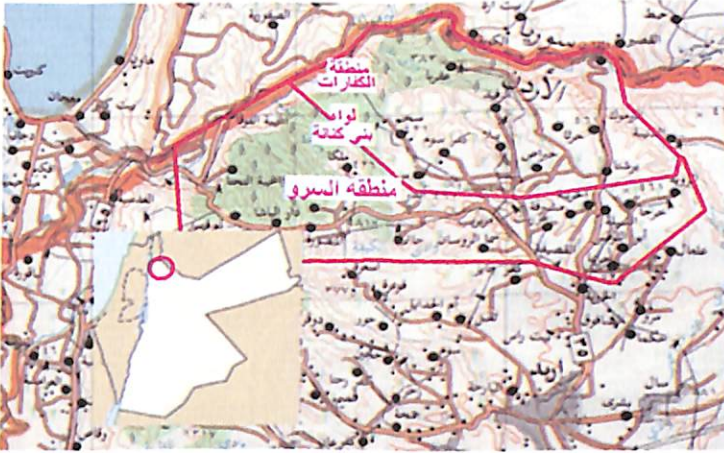
كانت منطقة (ناحية) الكفارات في العهد العثماني من الأقسام الإدارية التابعة لقضاء عجلون . وقد أشار إليها الرحالة بيركهارت ، عندما زار مناطق جنوب دمشق في عام ١٨١٢م ، معرّفًا بأقسامها الإدارية . فقد وصف منطقة الكفارات بأنها شريط ضيق من الأراضي على امتداد الحدود الجنوبية لوادي شريعة المناظرة (وادي اليرموك) من حدود بلاد إربد إلى أم قيس ، وقريتها الرئيسة هي حبراص (Burckhardt 1822: 288) . ووصفها شوماخر عند زيارته للمنطقة في عام ١٨٨٥م ، ضمن تعريفه بتقسيمات قضاء إربد ، موضحًا موقعها بأنه يحدها من الشمال والشمال الغربي بشريعة المناظرة أو اليرموك ، ومن الجنوب ناحية السرو ووادي الحمرة ، ومن الشرق وادي الشلالة وقضاء حوران ، وبأن منطقة ناحية الكفارات تتكون من هضبة تغطيها في معظمها غابات أشجار

---

(١) من قرى اللواء : سما الروسان وحرما وحبراص وحرثا وعقربا وكفرسوم والرفيد وبيلا وسمر الكفارات وسحم الكفارات وخرجا واليرموك والقصفه والسيله والخريبه وبرشتا وقراقوش وحاتم وإبدر وملكا والمنصورة وأم قيس وأبو اللوقس والمخيبة الفوقا والمخيبة التحتا وغيرها

البلوط ، وتمتاز بتربتها الخصبة ، وهي تشبه سهل حوران من هذا القبيل (Schumacher 1889: 48) .

وتضم منطقة الكفارات حالياً القرى الآتية : حرتا وكفرسوم وسحم وسمر وبيلا والرفيد وحبراص وعقربا وحرما وخرجا والسيلة والقصفة والخريبة . بالإضافة إلى التجمعات السكانية التي تكونت حديثاً ، من سكان خرجوا من هذه القرى ، واستقروا في أماكن أخرى بقربها ، مثل برشتا واليرموك (قرقوش) والمزيريب والزوية .



خريطة تبين الموقع الجغرافي لمنطقة الكفارات في شمال غرب الأردن

تستلقي منطقة الكفارات باستحياء تحت ظلال أشجار زيتونها وبلوطها ، وسط مساحات شاسعة خضراء تمتد حتى الأفق ، تعانق زرقة سمائها الصافية ، مروج اقتطعها الخالق من جناته وخصها بها . تمتاز جغرافياً بأنها شبه مستوية ، كما الهضبة ، تربتها من النوع المعروف بتربة حوض البحر الأبيض المتوسط الحمراء (Bender, 1974; Michael Schmidt, et al 2006) . وهي تشكل امتداداً لسهل حوران ، الذي عرف على مر العصور بزراعة الحبوب . ترتفع نحو ٤٥٠ م فوق مستوى سطح البحر ، وهي منطقة زراعية خصبة وغنية ووفيرة المياه ، حيث يبلغ معدل هطول الأمطار السنوي أكثر من ٤٠٠ ملم . وصفها العديد من

الرحالة الأوروبيون مثل بيركهارت وسيتزن وشوماخر أثناء زياراتهم لها في القرن التاسع عشر ، بأنها منطقة خصبة تشبه منطقة حوران ، ومغطاة بأشجار الزيتون والبلوط (Seetzen 1854-59; (Burckhardt 1822.; Schumacher 1889: 48).

وما تزال المناطق الحرجية المغطاة بأشجار البلوط تشكل جزءاً كبيراً من مساحتها . كما توسعت زراعة أشجار الزيتون في العقود الأخيرة ، وذلك على حساب المساحات التي كانت تزرع بالحبوب . علماً أن الأمر كان ، وحتى قبل عقود قليلة مضت ، يختلف عما هو عليه الآن ؛ إذ كانت محاصيل الحبوب ، مثل القمح والشعير والعدس والكرسنة ، تشكل العماد الرئيس في الإنتاج الزراعي لهذه المنطقة؛ Issa and Samarah 2006: 322; (أبو الشعر ١٩٩٥ م : ٣٠٠) .



منظر عام من منطقة الكفارات ، بترتها الخصبة ذات اللون المائل للحمرة ، وأشجار الزيتون .

تتبوأ منطقة الكفارات/ لواء بني كنانة مكاناً مميزاً من الخاصرة الشمالية الغربية للأردن ، وتشكل عيناً من عيونها الجميلة التي يطل بها نحو الشمال إلى ما وراء اليرموك حيث منطقة الجولان في سوريا ، حيث جبل الشيخ بحلته البيضاء ، ونحو الشمال الغربي حيث جبال الجليل في شمال فلسطين ، التي تحتضن مدينة الناصرة ومدينة صفد .



منظر من منطقة الكفارات باتجاه الشمال ، حيث هضبة الجولان السورية ومن خلفها جبل الشيخ تكسوه الثلوج

يشكل وادي اليرموك ، بنهره الخالد «نهر اليرموك»<sup>(١)</sup> ، أو كما كان يعرف أيضاً شريعة المنذور (أبو فخر ٢٠٠٥ م : ٢٥) ، الحد الشمالي لمنطقة الكفارات . وكان له أهميته الخاصة بالنسبة لها ؛ إذ كان له دور كبير في حياة سكانها ، وساهم في صياغة مفرداتهم الشعبية وتشكيلها . فهو بالإضافة إلى مياهه الوفيرة ، عرف أيضاً بنباتاته التي تنمو على ضفتيه ، مثل أشجار الصفصاف والقصب والدفلى ، وغيرها من الأشجار والشجيرات البرية التي كان يعتمد عليها سكان هذه المنطقة في سد العديد من احتياجاتهم اليومية ، فقد كانوا يحتطبون منها لأغراض الوقود ، وكان نبات القصب مهماً لهم لسقف

(١) يعتبر نهر اليرموك من أهم روافد نهر الأردن ، وهو ينبع من بحيرة المزيريب في الأراضي السورية ، ويرفده عدد من الأودية من منطقة جبل العرب والجولان مثل الزيدي ، أبو الذهب ، الهرير ، العلان ، الرقاد ، بالإضافة إلى عدد من الأودية والسيول من الأراضي السورية والأردنية . وينحدر نحو الغرب في وادي اليرموك مسافة نحو ٥٧ كم ليصب في نهر الأردن في وادي غور الأردن ، ويشكل مجراه جزءاً من الحدود الرسمية الأردنية السورية . أقيم على مجراه في سوريا سد اليرموك ، ثم أقيم عليه حديثاً سد الوحدة المشترك بين الأردن وسوريا .

مساكنهم ، كما كان لأشجار الدفلى استخدامات كثيرة ومتنوعة في أعمالهم الزراعية .

وكان وادي اليرموك أيضاً يعد مصدراً مهماً ، والوحيد ربما ، حتى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي ، للحصول على الرمل (رمل السيل) الذي استخدم في الخلطات الإسمنتية لتغطية أرضيات الحجرات السكنية ، وغيرها من الاستخدامات . ومصدراً للحصول على المدقات الحجرية ، وحجارة التمليس أو الدلك (المدالك) ، التي كانت تستخدم في العديد من الأعمال مثل ذلك سطوح المنازل بعد إضافة الطين ، والأرضيات ، وفي صناعة الطوابين ، وغيرها (عبيدات ٢٠١٠م : ٢٠١٣م) .

وكان وادي اليرموك يشكل مناطق رعي وفيرة ، لمواشي وقطعان سكان هذه المنطقة . وكان الوادي يشكل في فصلي الشتاء والربيع مصدراً مهماً لغذاء سكان هذه المنطقة المتمثل بالعديد من النباتات البرية والفطر .

ولا ننسى الدور التاريخي الهام لوادي اليرموك في التاريخ الإسلامي ، فعلى أرضه وقعت معركة حملت اسمه «معركة اليرموك»<sup>(١)</sup> ، إحدى المعارك الحاسمة في تاريخ الدولة الإسلامية (ابن الأثير ١٩٨٧م : ٢٥٨) .



منظر عام لوادي اليرموك ، حيث مجرى نهر اليرموك ، الفاصل بين المناطق الأردنية (في المقدمة) والسورية (في الخلفية) .

(١) حدثت معركة اليرموك في عام ١٥هـ/٦٣٦م .

وقد شهد وادي اليرموك في مطلع القرن العشرين ، حدثاً جديداً أدى إلى إحداث العديد من التغييرات في جميع مجالات حياة سكان هذه المنطقة ، وهو مرور خط القطار الفرعي «درعا-حيفا» ، التابع للخط الحديدي الحجازي<sup>(١)</sup> . فقد ربط هذا الخط المناطق التي يمر بها بالمدن الرئيسية ، فأدى إلى تشجيع التجارة وتنشيطها بينها وبين هذه المدن ، مثل دمشق ومدن منطقة الساحل الفلسطيني ، فقد كان له أثر كبير في تسهيل عملية نقل البضائع والمنتجات الزراعية . كما أصبح بمقدور سكانها الذهاب إلى أسواق هذه المدن ، بكل يسر وسهولة ، من أجل التسوق والحصول على الأشياء الضرورية ، غير المتوافرة في بيئتهم المحلية ، أو لبيع بعض منتجاتهم ، أو من أجل العمل في ميناء حيفا الذي أصبح يشهد حركة عمرانية نشطة (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٤٣١ منصور ٢٠٠٨م ؛ ٢٠٠٦م) .

وقد نال منطقة الكفارات نصيبها من التغيير والتطور ، كغيرها من المناطق الأخرى . فقد شهدت آنذاك نشاطاً عمرانياً ملحوظاً ، ودخول مواد إنشائية معمارية جديدة ، ولعل من أهمها ، على سبيل المثال ، استخدام العوارض الحديدية ، من قضبان الخط الحديدي ، في نظام تسقيف الحجرات السكنية في البيوت القروية ، التي حلت محل القناطر لهذا الغرض (عبيدات ١٩٨٤م : ٧٣ ؛ أبو الشعر ١٩٩٥م : ٣٦٠) .

(١) وكان الخط الحديدي الحجازي ، قد بدأ العمل في إنشائه في عام ١٩٠٠م ، ليصل دمشق بالمدينة المنورة ؛ حيث احتاجت الشركة التي كانت تقوم بمهمة تنفيذه إلى كميات كبيرة من المواد الإنشائية المستوردة من أوروبا ، وكان لا بد من جلبها بحرّاً إلى أحد موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ليتم نقلها برّاً إلى مناطق العمل في الداخل . فوقع الاختيار على ميناء حيفا . لهذا فقد كان لا بد من إقامة خط حديدي يربط ميناء حيفا بمسار الخط الحديدي الحجازي الرئيس . وبدأ العمل بإنشاء هذا الخط الفرعي في عام ١٩٠٣م ليتم افتتاحه في عام ١٩٠٥م ، وهو ينطلق بمساره من درعا عبر وادي اليرموك مروراً بقبرية سمخ بالقرب من مدينة طبريا ثم مدينة بيسان إلى مدينة حيفا ، منصور ٢٠٠٨م ؛ ٢٠٠٦م .



الرسم يوضح مسار الخط الفرعي درعا-حيفا المتفرع من الخط الحديدي الحجازي ، والصورة لقطار كان يعبر وادي اليرموك .

بالإضافة إلى وادي اليرموك ، يتخلل منطقة الكفارات عدد من الأودية الأخرى المنحدرة باتجاه الشمال والشمال الغربي ، التي تؤدي جميعها إلى وادي اليرموك ، مثل : وادي قويلبة ، ووادي حرثا ووادي عقربا ووادي كفرسوم ووادي عين التراب ووادي سمر والحمره وشق البارد ، وغيرها . وتزخر هذه بينابيع المياه العذبة (عبيدات ١٩٨٤م : ٢٧ ؛ البخيت ٢٠٠٨م : ٢٤٩) ، التي ساعدت على أن تكون هذه الأودية مزارع جميلة وواسعة لأفضل الأنواع من أشجار الرمان والتين .



وادي قويلبة المعروف بنبع مائه ، ومزارع الرمان والتين ، والتي تحتضر حالياً بعد حرمانها من مياه النبع .

## النمط الاقتصادي لسكان منطقة الكفارات

كانت كل من الزراعة والثروة الحيوانية تشكل الدعائم الاقتصادية الأساسية لسكان القرى في هذه المنطقة ، وهو ما يعرف بالاقتصاد الفلاحي ، وذلك حتى الخمسينيات من القرن الماضي ، حيث كانوا يعتمدون على أنفسهم وعلى الموارد المحلية المتوافرة محلياً في تأمين قوتهم اليومي من خلال أعمالهم في الزراعة وتربية المواشي (البخيت و باسكوال ٢٠١٣م) . كما كانوا يقومون ببيع ما يزيد على حاجتهم اليومية في أسواق المدن ، سواء من إنتاج الحبوب والثمار أو من بيع ما يزيد لديهم من مواشي ومن منتجات الألبان . أما بعد ذلك فقد بدأ العديد من أبناء هذه المنطقة يتوجهون للعمل في الوظائف الحكومية وفي القوات المسلحة وغيرها من الأجهزة الأمنية . بالإضافة إلى العمل بشكل مؤقت في بعض المشاريع التي تنفذها الشركات والمؤسسات المختلفة ، سواء داخل المنطقة أو خارجها .

علمًا أن البحث عن عمل قد بدأ قبل ذلك ، ربما منذ العشرينيات من القرن الماضي ، وذلك في المدن الفلسطينية وخاصة في الموانئ مثل ميناء حيفا ، الذي قد بدأ يشهد ازدهارًا كبيرًا منذ اتخاذ ميناءً رئيساً لنقل مستلزمات بناء الخط الحديدي الحجازي ، وتوصيل خط درعا حيفا (منصور ٢٠٠٨م ؛ ٢٠٠٦م) .

## تربية الحيوانات والرعي

كانت الثروة الحيوانية تشكل الدعامة الاقتصادية الثانية لأبناء منطقة الكفارات ، كغيرهم من سكان القرى في المناطق الأخرى ، حيث اهتموا بتربية المواشي ، للإفادة من منتجاتها ولحومها في الغذاء اليومي ، مثل الأبقار والأغنام والماعز ، بالإضافة إلى استخدامها في جميع أعمال الفلاحة اليومية والنقل والتنقل ، مثل الخيول والحمير والثيران (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٣٦٠ ؛ السواريه ١٩٩٦م : ٣٢٩-٣٣٢) .

وقد كان الناس يعلقون مواشيهم ، في الأوقات التي يندر فيها الرعي ، من



منتجات زراعتهم من التبن (التبن الأبيض من القمح والشعير والتبن الأحمر من والعدس والكرسنة) وبعض الحبوب مثل الشعير والكرسنة . أما في بقية الأوقات أواخر الشتاء والربيع والصيف فقد كانت هذه المواشي ترعى في سفوح الأودية الغنية بمختلف أنواع الحشائش والأعشاب ، والمناطق البور غير المزروعة ، أو في الحقول التي تم حصادها ونقل منتجاتها إلى البيدر ، بالإضافة إلى الحشائش التي كانت تحصد وتنقل للبيت لإطعام المواشي ليلاً في أواخر فصل الشتاء وفصل الربيع .

وقد كانت عملية الرعي قديماً في كل قرية توكل لشخص (الراعي) يقوم بهذا العمل ، حيث تقوم كل أسرة من مالكي الأبقار ، بعد حلبها وسقايتها ، بسوقها إلى مكان تجمع العجّال ، بفتح العين وتشديد الجيم ، (وهو القطيع) ، ثم يقوم الراعي بقيادتها إلى المرعى ومرافقتها إلى المرعى ثم العودة بها مساءً إلى مكان انطلاقها صباحاً ، لتقوم كل أسرة باسترداد أبقارها إلى البيت ثانية . وغالباً ما كان في القرية الواحدة عَجّالين اثنين ، أحدها للإناث من الأبقار والثاني للثيران ، وكان لكل منهما راع خاص . في دراسة للدكتورة هند أبو الشعر (١٩٩٥م : ٣٦٩ ؛ ٢٠٠٢م : ٤٢٢) بعنوان «شريقي الأردن في عهد الحكومة العربية الفيصلية» أشارت إلى أعداد الأبقار في بعض قرى منطقة الكفارات ، وهي قرية حرثا ، البالغ نحو ١٤٦ رأساً ، في عام ١٩١٩م ، وذلك من خلال المعلومات المتعلقة باهتمام الحكومة العربية بالوضع الصحي والطب البيطري العائد لانتشار أمراض وبائية في أواخر أيام الدولة العثمانية ، وفق ما ورد في صحيفة العاصمة في ذلك العام . ولعل هذا الرقم ، إذا ما أخذ بعين الاعتبار عدد سكان هذه القرية في ذلك الوقت ، يشير إلى مدى اهتمام سكان قرى هذه المنطقة بتربية الأبقار لمختلف الأغراض .

وكانت مخلفات المواشي تشكل عنصراً مهماً من عناصر الوقود ، فهي مصدر مهم للوقود ، وقد كانت مخلفات الأغنام والماعز (البعر) يجمع ويستخدم وقوداً للطواين . كما كانت مخلفات الأبقار (الشطاط) تجمع وتخلط بالقصل

وتشكل أقراصاً (طبابع مفردها طبوع)<sup>(١)</sup> لصناعة الجلة ، والتي كانت من مواد الوقود الرئيسية في القرى الزراعية سواء للطوابين أو لأغراض التدفئة والطبخ المختلفة (عبيدات ٢٠١٠م : ٩٢-١٩١) .

كما كانت نساء القرى يربّين بعض أنواع الطيور ، مثل الدجاج والحبش والحمام التي توفر البيض ، وكذلك اللحوم للعائلة . وقد كان يتم تأمين علف الطيور من مخلفات البيدر والغريلة ومخلفات الطعام وبقاياها ، بالإضافة إلى أن الطيور كانت هي الأخرى تترك لترعى من خيرات الطبيعة من أعشاب وحشائش وبذور وغيرها .

كما كانت بعض الأسر تهتم بتربية النحل للحصول على العسل ، وكذلك الأرناب ؛ وذلك كعمل أو نشاط جانبي أو ثانوي .

(١) طبابع الجلة أقراص بيضوية الشكل مفلطحة تصنع من مخلفات الأبقار ، الشطاط ، وكان يخلط بالقصل والقش ويعجن قليلاً ، وينشر على الأرض أو يلصق على السناسل ، الأسوار ، والجدران المبنية من الحجارة حتى يجف تماماً تحت الشمس والهواء ، وتحتاج هذه العملية إلى ٣-٤ أيام . وقد كانت طبابع الجلة تجمع بعد جفافها وتنقل للشونة ، والشونة هي المكان المعد لتخزين الجلة ، وكانت تقام هذه في فناء البيت ، وكانت تغطى بطبقة من نفس المادة لكي تكون بمثابة العازل لها لحمايتها من مياه الأمطار ، وكانت الشون تأخذ شكلاً بيضويًا قاعدتها شبه دائرية وترتفع لتصل إلى ثلاثة أمتار أو أكثر ، وتنتهي من الأعلى بشكل القبة غيلا المنتظمة ، وتغلق عندما تمتلئ ، وعند الحاجة لاستخدام الجلة كان يتم فتح فتحة بالقرب من قاعدتها . ومن الجدير بالذكر أن البقرة الواحدة البالغة تخرج في اليوم الواحد ما معدله ثلاث عشرة مرة . وهكذا يكون هناك دائما روث وافر لجمعه سواء من صير ، زرائب أو حظائر ، الأبقار أو من أماكن رعيها . وقد كانت هذه المهمة من الأعمال الموكولة للنساء .

## الزراعة

كان سكان هذه المنطقة قبل تراجع الأعمال الزراعية ، في العقود الأربعة الأخيرة ، وتوجههم نحو الوظائف الحكومية والخاصة ، يعتمدون في حياتهم اليومية على الزراعة ، وتربية الأبقار والأغنام ، بالإضافة إلى حيوانات العمل مثل الخيل والحمير . وكانت هذه المنطقة تنتج من المحاصيل الزراعية ما يسد حاجاتها ، بل وكانت تباع الفائض منها إلى غيرها من المناطق (عبيدات ١٩٨٤م : ٤٢) ، أو تورد إلى أسواق بعض المدن المربوطة بالخط الحديدي في سوريا وفلسطين (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٣٨٥) ، ثم تولت مدينة إربد هذه المهمة وأصبح سوقها يستقبل كل ما يود الفلاحون بيعه ، ومنه يحصلون على كل ما يحتاجون إلى شرائه ؛ حيث أصبح التجار في مدينة إربد يصدرونه إلى أسواق الدول الأخرى ، مثل لبنان ، التي كانت بدورها تصدره إلى الأسواق العالمية .

ومن الجدير بالذكر أن تفتت ملكية الأراضي بفعل النمو والزيادة السكانية وما لحقها من الهجرة إلى المدن في العقود الأخيرة ، كان عاملاً رئيساً في تراجع الزراعة كمقوم اقتصادي رئيس لسكان هذه المنطقة وغيرها من المناطق المجاورة . فلم تعد المساحات المتبقية لكل فرد كافية لإعالتهم وأسرته ، مما دفع الناس إلى التفكير بمصادر دخل أخرى جديدة .

وقبل دخول التقنيات الزراعية الآلية الحديثة منذ عقد الخمسينيات في القرن الماضي ، كانت جميع أعمال الزراعة تتم يدوياً وباستخدام الوسائل التقليدية ؛ حيث أخذت التقنيات الحديثة تحل محل التقنيات التقليدية شيئاً فشيئاً ، إلى أن تلاشت هذه الأخيرة على نحو تام تقريباً .

- تقسم الزراعة التي كانت تعرف في هذه المنطقة ، إلى نمطين زراعيين :
- الزراعات البعلية ، وهي الأكثر شيوعاً .
  - الزراعات المروية ، في وادي اليرموك والأودية الأخرى التي توجد بها الينابيع .
- وتقسم الزراعات البعلية وفقاً لفصول السنة إلى قسمين (موسمين) :

- الزراعات الشتوية ، وتتضمن الحبوب مثل القمح والعدس والشعير والكرسنة على نحو رئيس ، وبعض أنواع الحبوب الأخرى ، مثل الفول والحمص والبيقيا والحلبة ، على نحو ثانوي .
- الزراعات الصيفية ، وتتضمن عددًا من المحاصيل ، مثل البطيخ والشمام والقثاء (الفقوس) والكوسا والباميا والبندورة والسّمسم والذرة البيضاء وذرة المكاس .

كان سكان هذه المنطقة يتبعون نظام الدورة الزراعية الرباعية ؛ إذ يقسمون أراضيهم غير المزروعة بالزيتون ، إلى أجزاء وفقها لكي يكون لديهم محصول مختلف من كل منها في كل سنة . والدورة الزراعية هي أن تزرع قطعة الأرض بمحصول مختلف في كل سنة ، فسنة تزرع بالقمح ، والسنة التالية بالقطاني (العدس أو الكرسنة) ، والسنة التي تليها تزرع بمزروعات صيفية ، وفي السنة الرابعة لا تزرع نهائيًا وتترك بورًا ؛ لكي ترتاح الأرض ؛ لتبدأ في السنة التي تليها الدورة الجديدة .

كان الفلاح يزرع جزءًا من أرضه بالقمح والشعير والقطاني (العدس والكرسنة) كمحاصيل شتوية (السوارية ١٩٩٦م : ٣١٥ ؛ عبيدات ١٩٩٢م : ٣٢ ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٣٦) ، ويزرعون الجزء الآخر بمحاصيل صيفية ، مثل البطيخ والشمام والقثاء (الفقوس) والبندورة والباميا واللوبيا والذرة البيضاء والسّمسم . وكان الفلاح قد اهتمدى إلى تطبيق نظام الدورة الزراعية بالفطرة والخبرة والتجربة ، بحيث يزرع المحاصيل الصيفية مكان المحاصيل الشتوية ، والعكس .

في الموسم الصيفي كان الفلاح يزرع تشكيلة من المحاصيل ، مثل البطيخ والشمام والقثاء (الفقوس والجعابير) وعباد الشمس ؛ فقد كان البطيخ يمثل المحصول الرئيس من بينها ، فبالإضافة إلى الاستهلاك المحلي والعائلي كان يهدف إلى بيع الفائض من الإنتاج ؛ حيث كان يتم بيع المحصول عند نضجه إلى تجار متخصصين من خارج المنطقة ، وغالبًا ما كانوا يأتون من مدينة إربد ، أو

في بعض الأحيان كان يتم توريد الإنتاج من البطيخ إلى أسواق خارجية ، وبالتحديد إلى لبنان ، وكانت هذه العملية محفوفة بالمخاطر ؛ إذ كثيراً ما كان الفلاح يضطر إلى بيع إنتاجه بسعر لا يغطي نفقات الشاحنة التي استأجرها للنقل . في حين أن المحاصيل الأخرى كانت تزرع للاستهلاك المحلي للعائلة فقط . ولهذا كانت تزرع بكميات قليلة لا تتعدى عدة أسرب (من السرب) في طرف الحقل المزروع بالبطيخ . وكان عباد الشمس (دويرة الشمس) يزرع على أطراف الحقل فقط . كما كان الفلاح يزرع على أطراف الحقل ذرة المكناس . وكانت المقائي تتعرض للتخريب ، الطيور والحشرات ، لذلك كان الفلاح ينصب للطيور ما يعرف بخيال المقائي أو الفزاعة ، وهي هيكل من الخشب بشكل الصليب ، يضع فوقه ملابس بالية ؛ لكي يوهم الطيور بأنها بشر فتبتعد . كما كان للمتطفلين دور في التخريب ، لهذا كان الفلاح عند اقتراب نضج المحصول يقيم عريشة في طرف الحقل لكي تكون مفرأً للناطور الذي يقوم بمهمة الحراسة .

## زراعة الأشجار

### الأشجار الحرجية

ينمو في منطقة الكفارات العديد من الأشجار والشجيرات الحرجية البرية (تنمو وتتكاثر على نحو تلقائي من غير تدخل البشر وفقاً للمعطيات البيئية) ، بالإضافة إلى ما زرعه المؤسسات الرسمية مثل وزارة الزراعة في العقود الأخيرة ، وهي بمساحات محدودة تكاد تقتصر على جوانب الطرق الرئيسة التي تربط قرى هذه المنطقة بمدينة إربد .

وتنتشر الأشجار الحرجية البرية على رؤوس الجبال الوعرة وسفوحها . وحسب ما ذكر في موقع الجمعية الملكية لحماية الطبيعة ، فإن هذه المنطقة تضم نحو ٥٩ نوعاً من النباتات ، مثل أشجار البلوط متساقط الأوراق (الملول) ، والصفصاف الأبيض ، والبطم الأطلسي ، والدلب الشرقي ، والصنوبر الحلبي ،

(موقع الجمعية الملكية لحماية الطبيعة<sup>(١)</sup> (٢٠١٥م) .

بالإضافة إلى الأشجار والشجيرات التي تنمو على امتداد مجرى نهر اليرموك ، مثل الصفصاف والدفلى والقصب ، وفي بعض الأودية الأخرى في المنطقة .

كما زرع الناس بعض أنواع الأشجار الحرجية أحياناً حول بساتينهم ، لتكون سياجاً يحميها .

### الأشجار المثمرة

أما بالنسبة للأشجار المثمرة ، فتشتهر هذه المنطقة كغيرها من مناطق الأردن الشمالية الغربية وبقية مناطق بلاد الشام ، كما كانت عبر العصور ، بزراعة الأشجار المثمرة ، من أهمها الزيتون (علي ١٩٢٥ الجزء الرابع ص ١٩٨) . كما كانت تزرع أشجار اللوزيات والكرمة (الدوالي) في الحدائق المنزلية أو بين أشجار الزيتون المزروعة حديثاً . بالإضافة إلى أشجار الرمان والتين في الأودية التي توجد فيها ينابيع مياه .

### شجرة الزيتون

يعتبر إقليم البحر المتوسط موطناً طبيعياً لشجرة الزيتون . ويبدو أن سكان مناطق بلاد الشام قد عرفوا هذه الشجرة وفوائدها وقيمة ثمارها الغذائية وزيتها الذي كان يستخدم في الطعام وكذلك لغايات الإنارة . وكانت هذه الشجرة من أول الأشجار التي بدأ الإنسان في زراعتها والعناية بها منذ بداية معرفته

---

(١) أنشأت الجمعية الملكية لحماية الطبيعة في عام ٢٠١٠م محمية طبيعية «محمية اليرموك الطبيعية» في الجزء الشمالي الغربي من منطقة الكفارات ، على مساحة قدرت بـ ٢٠٢٠ كم<sup>٢</sup> ، ضمن قائمة المحميات الطبيعية في مناطق الأردن المختلفة ، التي تديرها وتشغلها الجمعية الملكية لحماية الطبيعة على موقع الجمعية الإلكتروني .

الزراعة؛ إذ يعتقد أن سكان منطقة شرق البحر المتوسط قد استخدموا زيت الزيتون منذ العصر الحجري النحاسي (RecepEfe 2011; wilford. 2000). وفي العصور الإسلامية المتتالية كانت منطقة الأردن على نحوٍ عام مزروعة بأشجار الزيتون وعلى نطاق واسع، غوانمة ١٩٨٢م: ١٠٩.

هذه الشجرة المعمرة المباركة، التي أقسم الله بها في قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾، تعدّ ثروة لما لها من فوائد اقتصادية وبيئية، وثمارها ذات فوائد كثيرة، فهي غذاء كامل، ويعدّ زيتها من أفضل أنواع الزيوت وأجودها، وذا فوائد صحية وغذائية عالية وهو عنصر لسكان هذه المنطقة، بالإضافة إلى ثمار الزيتون المختلفة (الخضراء والسوداء) التي يتم كبسها وتحليلها، وهي أيضاً تعدّ عنصراً رئيساً في غذائهم اليومي.

ومن الجدير بالذكر أن سكان هذه المنطقة يعرفون قيمة زيتها وجودته الذي يعرف بالزيت «الكفاري» نسبة إلى منطقة الكفارات، بل إنهم منحازون إلى حد بعيد لذلك، ويرون أن زيتهم لا يضاهيه في جودته أي زيت آخر من أي منطقة أخرى.

### الزيتون الرومي (البلدي)

ينتشر في هذه المنطقة وبمساحات كبيرة، وهي أشجار قديمة كانت موجودة قبل استقرار سكان المنطقة الحاليين، ويرجح أنه بدأ في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً<sup>(١)</sup>. وهي تشترك بهذا مع غيرها من المناطق الأخرى في كل من الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان. وتشير هذه التسمية إلى قدم هذه الشجرة؛ فشجرة الزيتون شجرة معمرة، وليس من المستغرب أنها تعود إلى فترات زمنية

---

(١) يسكن هذه المنطقة عائلات مختلفة ومن أصول مختلفة، ولعل أبناء عشيرة العبيدات يمثلون النسبة الأكبر من بينهم. ويتناقل أبناء هذه العشيرة رواية يجمعون عليها حول قدمهم واستقرارهم، عبيدات ١٩٨٤م.

قديمة . ولكن من الصعب الحكم على الأشجار ، التي يطلق عليها الرومية حالياً ، على أنها تعود للعصر الروماني (الصوافي ٢٠١٣م : ١٢٢-٢٣ ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٣٨) .

كانت عملية عصر الزيتون تتم محلياً في ما يعرف بمعاصر الزيتون التقليدية ؛ حيث كان في كل قرية معصرة واحدة أو أكثر ، بالإضافة إلى بقايا المعاصر الأثرية القديمة (البخيت ٢٠٠٨م : ٢٧٢) . وهي معاصر بسيطة في مكوناتها ، وتتكون من مكان درس الزيتون وهو حجر بشكل الصحن الكبير يسمى بالبد ، ويدور فوقه حجر أسطواناني الشكل ثقيل الوزن يعرف بحجر البد ، وكان غالباً من حجر البازلت ، وكان يدور باستخدام الدواب . وبعد تهريس ثمار الزيتون تنقل وتعبأ في ما كان يعرف بالقفف الدائرية ، التي كانت تصنع من خيوط الليف ، ثم ترص هذه القفف فوق بعضها على المكبس المعدني ، بوضع أقراص معدنية بين كل مجموعة من القفف ، وكان الزيت الذي ينتج بعد عملية الكبس يوضع في حوض حتى يترسب ما علق به من فتات ثمرة الزيتون وبعدها ينقل إلى البيت ليتم تخزينه في الدنان ، التي هي عبارة عن جرار فخارية مصنوعة خصيصاً لتخزين زيت الزيتون .



دنة الزيت (جرة فخارية لتخزين الزيت)



## الزراعات الحديثة لشجرة الزيتون

كما كان لعامل تفتت ملكية الأراضي دور في التوجه مؤخراً إلى زراعة أشجار الزيتون؛ فهي تتلائم مع طبيعة الأعمال الجديدة غير الزراعية التي أصبح الناس يتوجهون إليها، من حيث إنها لا تستدعي العمل الحقل المتواصل، فقد اقتصر العمل بالأراضي المزروعة بأشجار الزيتون على حراثة الأرض مرة أو مرتين في العام، الذي أصبح يوكل إلى الحارث الآلية (التراكتورات)، التي توجه بعض سكان القرى إلى اقتنائها وأصبحت بالنسبة إليهم مجال عمل مُجدٍ لمن لا فرصة لديه بالحصول على وظيفة حكومية. ثم العمل على قطاف ثمار الزيتون في موسمه، الذي يمكن تدبير الوقت للقيام به من خلال العطلات أو الإجازات، أو حتى الاستعانة بالأيدي العاملة للقيام بذلك.

وعلى نحو عام، يمكن القول إن سكان منطقة الكفارات كان لديهم أربعة مواسم زراعية في كل سنة، هي موسم الزراعات الشتوية (الحصاد أو البيدر)، وموسم الزراعات الصيفية، وموسم الزيتون، وموسم الرمان. وكثرة هذه المحاصيل الزراعية كان يتطلب القيام بالعديد من الأعمال الزراعية المختلفة، التي تمتد تقريباً على مدار العام، ولعل أعمال الحراثة في مقدمتها.

## زراعة الحبوب

عرف سكان منطقة الكفارات، كبقية مناطق السهول في بلاد الشام (علي ١٩٢٥م الجزء الرابع ص ١٩٤-١٩٥)، زراعة أنواع مختلفة من الحبوب، مثل القمح، وكان يعد أكثر المحاصيل زراعة (Al-Issa and Samarah 2006: 322)، والعدس والشعير والكرسنة والذرة البيضاء والسهمس والحمص والحلبة والبيقيا، إلا أن محاصيل القمح والشعير والعدس والكرسنة كانت هي الأكثر شيوعاً، وهي تعد المحاصيل الرئيسية. وهذه المنطقة لا تختلف عن غيرها من المناطق الزراعية سواء في شمال الأردن ووسطه (البخيت ٢٠٠٨م؛ أبو الشعر ١٩٩٥م: ٣٧٤؛ السوازيه ١٩٩٦م: ٣١٣-٣١٦).

ويعدّ القمح المادة الأساسية في غذاء سكان هذه المنطقة ؛ فمنه يحصلون على الدقيق لإعداد الخبز ، الذي يشكل المادة الغذائية الرئيسة لهم . كما يدخل القمح (الفريكة والبرغل) والعدس في العديد من وجباتهم اليومية<sup>(١)</sup> ، وبأشكال مختلفة . وتعدّ محاصيل الشعير والكرسنة ، بالإضافة إلى التبن المواد الغذائية الرئيسة لدوابهم ومواشيهم وقطعانهم . وكانوا يبيعون ما زاد عن حاجتهم من هذه المحاصيل وتبناها ليحصلوا على النقود لتلبية احتياجاتهم اليومية الأخرى . كما كانت مخلفات التبن الخشنة (القصل) تستخدم وقوداً لطوايين الخبز .

بعد الانتهاء من جميع أعمال البيدر ، وتخزين الغلال ، والتبن ، يكون الصيف قد أوشك على الانتهاء . وفي شهر أيلول من كل عام يبدأ الفلاحون في الترقب وإعداد أنفسهم للموسم الزراعي الجديد ، وكانوا كلما شاهدوا غيمًا في السماء استبشروا خيرًا ، مرددين المثل : «أيلول ذيله مبلول» ؛ أي أن نهاية شهر أيلول قد تشهد تساقط البشائر الأولى من الأمطار ، التي يستبشر بها الناس ويعدّونها رسالة واعدة من السماء لهم ، تبشرهم بموسم أمطار غني ووفير . وفي الوقت نفسه يكون الفلاح مشغولاً بتحضير أدواته وجميع المستلزمات الخاصة بالموسم الزراعي ، وأهمها المحراث أو كما يعرف بـ «عود الحراث» . ويكون كل منهم قد خصص الكمية التي تلزمه من الحبوب (البذار) لهذا الموسم .

كان أغلب الناس يسارعون عادة إلى زراعة القمح مبكرًا ، حتى قبل هطول الأمطار ، بعد منتصف شهر أيلول وبداية شهر تشرين الأول (Al-Issa and Samarah 2006: 322 ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٤٧) . وتسمى هذه الزراعة بزراعة العفير ، حيث تكون الأرض جافة ، ويثور الغبار عند حراثتها معفرًا (مغبرًا) الحراثين . ويلجأ الناس إلى هذه الزراعة لعدة أسباب ، أهمها : استباق هطول

(١) الأكلات الشعبية التي تقوم على القمح ومرفقاته ، البرغل والفريكة ، كثيرة ومتعددة ، ويدخل معها بعض المواد الأخرى ، وفقًا للموسم ، وكلها من الإنتاج المحلي .

الأمطار ، واستثمار الوقت ، خاصة من كان لديه أراضي واسعة ولديه أعمال أخرى كثيرة ، والإفادة من الأمطار المبكرة عند هطولها . كما كان الناس يعتقدون بأن زراعة القمح المبكرة تعطي مردوداً أفضل . وتستمر زراعة القمح المبكرة حتى شهر تشرين الثاني ، وربما حتى شهر كانون الأول .

كانت الزراعة المتأخرة تسمى بالزراعة «اللكسية» ؛ أي المتأخرة . وتبقى الفرصة سانحة لزراعة الحبوب حتى نهاية شهر شباط تقريباً ، وبعد ذلك يكون الوقت قد أصبح متأخراً ، وكما يقول المثل : «لن طلع الدحنون ضب (خبث) بذارك يا مجنون» . ومثل آخر : «بشهر نيسان ضب العدة والفدان» ؛ أي أن موسم زراعة الحبوب قد انتهى (١) .

كانت أعمال الزراعة تبدأ في وقت مبكر من اليوم ، يسري الفلاح خارجاً إلى حقله ، مصطحباً معه محراثه سائقاً دوابه ، الحصان (الكديش) أو غيره من حيوانات العمل مثل الثيران (العمال أو الفدان<sup>(٢)</sup>) أو الحمير التي تستخدم لجر المحراث ، ومزوداً بكمية البذار التي يقدرها لذلك اليوم . يبدأ العمل ببذر الحبوب في المساحات التي كان قد حددها مسبقاً ، من خلال المحراث ، حيث يحدد

---

(١) عند هطول المطر المبكر والغزير ، قبل المربعانية التي تكون فترتها عادة قليلة الأمطار ، كان الفلاحون يتهجون ويقولون إن الأرض قد القحت ، تلقحت ، وعندما يتأخر هطوله حتى نهاية المربعانية ودخول شهر شباط كانوا يشعرون بشيء من اليأس ، ويرددون ، بمشير بتساوي اللوكسي والعفير ، دلالة على أن القمح الذي زرع عفير ، مبكراً ، والذي زرع لكسي ، متأخراً ، سوف يتساويان في شهر شباط ، وهو شهر أمشير بالتقويم القبطي والمصري القديم .

(٢) لهذا المصطلح «الفدان» معنيان مختلفان ، فهو من جهة يقصد به الزوج من الثيران المستخدمة في الحراثة ، ومن جهة أخرى كان يستخدم كوحدة مساحة ، فهو يشير إلى مساحة الأرض التي يمكن أن يحراثها الزوج من الثيران في يوم عمل واحد ، القسوس ١٩٩٤م : ٤٧ ، كما كان الفدان مقياساً للثروة لدى سكان هذه المنطقة وغيرها من مناطق حوران وفقاً لما أشار إليه بيركهاردت ، أبو الشعر ١٩٩٥م :

مساحات معينة مستطيلة الشكل ، ويُعرف كل منها بالمعناة<sup>(١)</sup> ، وهي المساحة التي يستطيع حراستها في يوم عمل واحد ، وذلك من خلال خطوط يشقها بالمحراث ، وتعرف بالتلام (مفردا تلم ، وهي تلم)<sup>(٢)</sup> .

(١) المعناة هي مساحة من الأرض بعرض .

(٢) تشير هند أبو الشعر في كتابها إربد وجوارها ، ١٩٩٥ : ٣٧٢-٧٣ ، إلى وصف أبناء تلك المنطقة بالمزارعين ، وذلك في السجلات الشرعية . كما أن هذه السجلات تميز بين المزارعين والفلاحين ؛ فالمزارعون هم أصحاب الأراضي وملاكها ، بينما الفلاحون ، أو الحراثون ، هم العاملون لديهم . وتشير هند إلى أن هذه التسميات قد اختلفت في السجلات الشرعية منذ ١٩٢٨م ، بعد عمليات مسح الأراضي وتسجيلها . كما أشار شوماخر إلى هذه الفئة ، الحراثين ، عند زيارته منطقة الكفارات ، وأنه قابل في قرية حبراص عدداً كبيراً منهم ، Shumacher, 1889: 49 . ومن الجدير بالذكر أن كبار السن من سكان منطقة الكفارات ، قرية حرثا على سبيل المثال ، ذكروا أن سكان القرية الأوائل من عشيرة العبيدات ، وهم كانوا أول من سكن هذه القرية في نحو منتصف القرن التاسع عشر ، قد استقدموا أعداداً كبيرة من الباحثين عن عمل في الحراثة ، وكانوا يطلقون عليهم الفلاحين ، الحراثين ، وأن عدداً كبيراً منهم أقام في القرية بعد ذلك ، وأن أغلبهم قد طاله نصيب من قسمة أراضي القرية عند التسوية وأصبحوا ملاكاً ، وما زال أحفادهم يسكنونها حتى الوقت الحاضر ، وما زالت تسمية الفلاحين تطلق على أي شخص من سكان قرى هذه المنطقة من غير أبناء عشيرة العبيدات . ويبدو أن قرية حبراص قد شهدت تغيرات ديموغرافية شاملة في القرن التاسع عشر ؛ حيث يبدو أن سكانها اللذين ذكرهم بيركهارت عند زيارته لها في عام ١٨١٢م ، بأن أغلبهم من النصارى ، قد هجروها ، وأن حبراص كانت القرية المميزة في منطقة الكفارات ،

Burkhardt 1822: 269.

كانت مهنة الحراثة من المهن الرئيسة في القرى الزراعية ، وكان الفلاحون يتقاضون أجورهم من إنتاج الأراضي التي يزرعونها ، بالإضافة إلى تعهد مالك الأرض بتأمين جميع مستلزماتهم وأسره من ملابس ومأكل وإقامة .

وتبدأ عملية البذار بربط «المبذرة»<sup>(١)</sup> إلى خصره من خلال دكتها ، ثم يملأها بالبذار (الحبوب) . يقبض الفلاح بطرفي المبذرة الأماميان بإحدى يديه ، ويملأ قبضة يده الأخرى بالحب ، ويبدأ بنشرها أمامه بحيث يراعي توزيعه على نحو متساوٍ على مساحة الأرض أمامه ، داخل حدود المعناة (المساحة) المحددة مسبقاً (القسوس ١٩٩٤م : ٤٧) ، وهكذا حتى ينتهي من نثر الحبوب على امتدادها . لتبدأ بعدها عملية الحراثة ؛ لطمر الحبوب في باطن الأرض . وتستمر أعمال الفلاحة حتى نهايتها يومياً ، ومن غير توقف إلا في حال هطول الأمطار الغزيرة ؛ حيث تصبح الأرض موحلة «غرق» ؛ أي في حالة لا يمكن معها مواصلة العمل .

### الأدوات الزراعية:

استخدم الفلاحون أنواعاً مختلفة من الأدوات الزراعية في هذه الأعمال ، التي يناسب كل منها مرحلة من مراحل العمل ، جلها مصنوعة من مواد خام محلية ؛ حيث اعتمدوا على ما يتوافر في البيئة المحلية من مواد خام لإعداد جميع أدواتهم وأشياءهم التي يحتاجونها في أعمالهم الزراعية المختلفة وصناعتها وصيانتها ، والتي ورثوها أو ورثوا تقنياتها عن أسلافهم . ولم يكونوا يستوردون من الخارج (أسواق المدن) إلا ما يصعب توفيره محلياً ، مثل الغرابيل وسكك المحراث .

وقد اعتاد الفلاحون على أن يصنع كل منهم ما استطاع من أدواته بنفسه . وما تعذر عليه منها كان يقوم به الحرفيون المتخصصون في هذه الأعمال ، سواء داخل القرية أو خارجها في المدينة . ففي كل قرية ، تقريباً ، كان هناك شخص (نجار) يتقن تصنيع «عود المحراث» (المحراث) وصيانتته (القسوس ١٩٩٤م : ٧٢) .

(١) والمبذرة قطعة من القماش الخام الأبيض ، مربعة الشكل بطول نحو ١م ، ومزودة من الخلف بدكة أو مرابط لكي يثبتها الفلاح على وسطه .

أما الأدوات الأخرى ، مثل سكة المحراث ، فكان يتم شراؤها أو «صرفها» (شحنها) ، في مدينة إربد . مع العلم أن كبار السن من الفلاحين ذكروا أنهم كانوا يقومون بهذه الأعمال قبل ذلك في مدينة دمشق ، قبل أن تتوافر هذه الأعمال في مدينة إربد ، وربما قبل أن تمهد الطرق من القرى باتجاهها . حيث كانت أسواق مدينة دمشق هي الأقرب لهم ، وكانوا يصلونها على ظهور الدواب ، أو بوساطة القطار . بالإضافة إلى بعض الأدوات التي كان يأتي بها النور في بعض المواسم ، مثل الغرابيل والكرابيل والسكاكين والأبر والمسلات والخيطان (مصيص وفتلة) ، وغيرها من السلع<sup>(١)</sup> .

### المحراث

كان المحراث ، أو «عود الحراث» كما يسمى في المنطقة ، يصنع من خشب البلوط الذي يتم الحصول عليه من شجر البلوط المنتشر في غابات المنطقة ، وهو يتكون بدوره من عدة أجزاء ، بحيث يتم اختيار الأغصان (الجدوع) ، ومفردتها (جدع) التي تناسب كل جزء من أجزاء المحراث ، من حيث الشكل والسماكة والمتانة والوظيفة ، فتقطع وتنظف من الزوائد والعقد ، وتسوى وتعديل إن كان بها ميل أو اعوجاج ، ثم تعرض للنار وتنعم باستخدام الفارة والمبرد . وكان هناك في كل قرية شخص (نجار) ، أو أكثر ، يتقن عملية صناعة المحارث وصيانتها ، يتوجه إليه الناس لهذه الأمور . وكانت أدواته بسيطة تتكون من القدم والمنشار والمقحذ والفاروعة والمبرد . وعادة ما يقوم الفلاحون بصيانة محارثهم قبل بدء موسم الزراعة . ومن الجدير بالذكر أن منطقة الكفارات لا

(١) بالإضافة إلى أن فئة أخرى من النور كانوا يعرفوا بالبرامكة يقومون بمهنة حذو الخيل وتلقيحها ، عند زيارتهم للقرى ، وكان ذلك في أواخر فصل الصيف بعد موسم البيادر ، حيث كانوا يقيمون على البيادر لعدة أيام ، مصطحبين معهم الفحول من الخيل والحمير الكبيرة ، ويقومون في القرية لبضعة أيام ، ويتلقون أجرتهم نقداً أو من الحبوب ، ثم يرتحلون بعد انقضاء مهمتهم إلى قرية أخرى .

تختلف في هذا الشأن عن غيرها من القرى الزراعية في مختلف المناطق الأردنية ، سواء في الشمال أو في الجنوب ، بل وحتى في بقية مناطق بلاد الشام (صغير ٢٠١٧م ؛ المجالي ٢٠٠٢م : ١٦٧-١٦٩ ؛ قازان ٢٠٠٢م : ١١٢ ؛ السوارية ١٩٩٦م : ٣١٦ ؛ القسوس ١٩٩٤م : ٤٨ ، ٧٢ ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٤٤ ؛ Schumacher 1889: 157).

ومن الجدير بالذكر أن فكرة المحراث واستخدام الدواب في عملية حراثة الأرض هي تقنية قديمة جداً ، وقد زدتنا بعض مقابر المصريين القدماء برسومات كثيرة توضح ذلك .



صورة من أحد المقابر الفرعونية توضح عملية الحراثة بالمحراث البلدي (١) .

## أنواع المحارث

وهناك نوعان من المحارث ، ووفقاً لعدد الدواب التي تجرها منفردة أو مزدوجة ، وهما عود الكديش وعود العمال . فمحراث الحصان (الكديش) أو

(١) الصورة مأخوذة من بحث محمود مندراوي ، بعنوان الزراعة في مصر القديمة ، منشور على الإنترنت ،

الموقع : <http://www.civilizationguards.com/2014/06/agriculture-in-pharaonic-egypt.html>

البغل يختلف عن محراث الأبقار (القدان أو العمال)<sup>(١)</sup> والحمير ، في الجزء الأمامي منه .

### محراث الكديش

وهو المحراث المخصص للحراثة باستخدام حيوان منفرد قد يكون كديشاً<sup>(٢)</sup> (حصاناً) أو بغلاً ، أو حماراً كبيراً . وتكون الوصلة بفرعين بشكل حرف (U) ، يثبت فيهما حلقات معدنة لتثبيت الرطايب التي تربط من الأمام بالكدانة على رقبة الدابة (صغير ٢٠١٧م ؛ 159: Schumacher 1889) .



محراث القدان



محراث الكديش

### محراث القدان

أما عود الحراث المخصص لزوج من الدواب ثورين (قدان) أو حمارين أو ثور وحمار ، فهو مصمم لكي يتم جره من قبل دابتين في الوقت نفسه ، وهو لا

(١) القدان تعني زوجاً من الثيران ، أو ثور وبقرة ، علماً أن استخدام الأبقار الإناث كان قليلاً خاصة إذا كانت حاملاً أو مرضعة . ولكن في حال عدم توفر الثورين فيمكن الاستعانة بحمار ، لكي يقابل الثور في عملية جر المحراث .

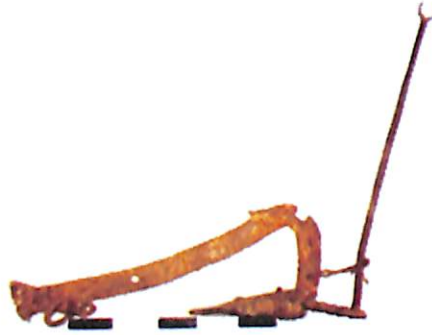
(٢) الكديش هو الحصان ، وإن كانت أنثى تسمى كديشة وصيغة الجمع لها كدش ، وهي الخيول التي تستخدم في العمل ، في حين أن الخيول الأصيلة لم تكن تستخدم إلا للركوب ، السوارية ١٩٩٦م :



يختلف عن المثال السابق سوى بالجزء الأمامي من القطعة التي تعرف بـ«الوصلة»؛ حيث تنتهي في هذه الحالة بقطعة واحدة على نحوٍ مستقيم، ويثبت في طرفها الأمامي رطيبة واحدة أو حبل يصل إلى منتصف النير المثبت فوق أكتاف الفدان (صغير ٢٠١٧م؛ Schumacher 1889: 159).

### المحراث الحديدي

دخل المحراث المصنوع من الحديد، بجميع أجزائه، في الستينيات من القرن العشرين. وهو يحاكي المحراث الخشبي بتصميمه، ويمتاز عنه بصغر حجمه وبخفة وزنه، ومن ثمّ فهو سهل النقل من مكان لآخر. وهو أكثر متانة من المحراث الخشبي، ولا يحتاج إلى صيانة متواصلة ومستمرة. وفي حال استخدام حيوان واحد لجره، فيثبت بطرفه الأمامي قطعة (ماسورة) من الحديد، تسمى الميزان، وفي حال الحراثة على الفدان فتثبت الحبال التي تصل بالنير مباشرة في مقدمته.



محراث حديدي

### نهاية دور المحاريث ودخول المكننة

في نهاية الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي دخلت الجرارات الزراعية إلى المنطقة، وبدأت تحل شيئاً فشيئاً محل المحاريث التقليدية في حراثة الأراضي

السهلية خاصة . كما استخدمت الجرارات الزراعية بعد ذلك في جميع أعمال الزراعة ، مثل نقل المحصول «الرجاد» إلى البيدر ، وكذلك الأمر في درسه أيضاً ، حيث دخلت ماكنات المدرس التي تقوم بمهمة درس القش ، ووفرت على الفلاح كثيراً من الجهد والوقت ، وكان عليه القيام بمهمة التذرية لفصل الحبوب عن التبن . ثم تطورت هذه الدراسات وأصبحت تقوم بعملية فصل الحبوب عن التبن . كما دخلت الحصادات الآلية بنوعها ، حصادات الشملة ، والحصادات التي تقوم بفصل الحبوب مباشرة وتعبثتها في الشوالات مباشرة ، مخلفة التبن في الحقل . إلا أن الحراثة على الدواب ما تزال قائمة ولكن على نطاق ضيق جداً .

## موسم الحصاد

### حصاد (قلاعة العدس) أو القطاني

كان العدس النوع الأكثر شيوعاً في زراعات القطاني في هذه المنطقة ، ثم تأتي الكرسنة في المرتبة الثانية ، وهي تنضج قبل العدس ، وكانت تقلع قبله (عبيدات ١٩٩٢م : ٤٢) . تبدأ عملية حصاد العدس ، أو كما تعرف بقلاعته عند اكتمال نضجه ، وقبل أن يجف تماماً ، ويكون ذلك منذ منتصف شهر نيسان ، عندما يصبح لون النبتة مائلاً للاصفرار . وحتى قبل هذا الموعد ، كان الفلاحون يقومون بقلاعة المساحات (البقع) الأجزاء التي مالت للون الأصفر قبل غيرها ، ولذلك عرف هذا بالتبقيع . وتوضع الكميات التي يتم قلاعتها بشكل أكوام صغيرة تعرف بالغمار ؛ حيث يلقي القلاع كلما امتلأت قبضته من العدس المقلوع خلفه بشكل أكوام (غمار) ، وتترك لتجف حتى الانتهاء من قلاعة قطعة الأرض المزروعة بالعدس (المارس) كاملاً ، حينها يتم تجميع الغمار التي تكون قد اكتمل جفافها ، في صباح يوم ندي ، بشكل أكوام كبيرة تعرف بالحوابين (مفردها حابون) (عبيدات ١٩٩٢م : ٤٤) . ثم يتم بعد ذلك نقلها على القوادم إلى البيدر ، ثم بعد دخول التراكتورات أصبحت عمليات النقل بوساطتها وباتت أسهل .

## حصاد القمح (١)

تبدأ عملية الحصاد بالشعير ، فهو ينضج قبل القمح ، وهو يزرع في الأراضي الوعرة في الحلالين (مفردها حلان) وهي المساطب أو المناطق القابلة للزراعة في المنحدرات والأودية ، وهو على نحو عام كان يزرع بكميات أقل من القمح (السوارية ١٩٩٦ : ٣١٤-١٥) . ومع حلول شهر حزيران يكون نبات القمح قد جف تمامًا ، وأصبح مهيبًا للحصاد . حيث تتفرغ الأسرة كاملة للقيام بهذه المهمة ، التي يجب أن تتم بأسرع وقت ممكن ؛ حيث إن عملية الحصاد مرتبطة بالصباحات الندية ، وتنتهي في كل يوم عند الضحى عندما يتطاير الندى بفعل أشعة الشمس . وخوفًا على الحصاد من الحريق أو من الاعتداء على الحقول من الرعيان وقطعانهم .

والأداة الرئيسية في أعمال الحصاد هي المنجل ، وهو من الأدوات التي على الفلاح أن يشتريها من عند الحداد ، وهو قطعة من الحديد ملتفة بشكل الهلال مسننة من الداخل كما هو المنشار ، لها مقبض من الخشب (طبازة ٢٠١١ : ٢٦٨) .

وفي شهر حزيران يكون القمح والشعير قد نضج وجف في الحقل ، لتبدأ

(١) كان موسم قطع الفريكة عادة يسبق موسم الحصاد ؛ حيث كان يتم قطع سنابل القمح وهي في مراحل نضوجها الأخيرة ، تكون فيه حبات القمح ما تزال غضة وطرية ولونها ما يزال مائلًا للخضرة ، قبل أن تنضج وتجف تمامًا . بعد قطع الكمية المطلوبة من السنبل يتم حرقها ، تهويسها ، على النار التي يكون وقودها من الأعشاب الجافة ، وتكوم الأعشاب الجافة وتنتثر السنبل فوقها وتضرم بها النار ، وتمتاز الأعشاب الجافة هذه بأنها سريعة الاشتعال ، وبما أن السنابل ما تزال غضة فهي لا تحترق كليًا مع الأعشاب ، وإنما تكوى بنارها ، الأمر الذي يؤدي إلى إكسابها طعمًا مميزًا ومرغوبًا . وتجمع السنابل المحترقة جزئيًا وتفرك فوق المقطف أو الكريال ، ثم تذرى لفصل الحبوب عن التبن ، وبهذا يتم الحصول على الفريكة بلونها الأخضر ، ثم تجفف تحت أشعة الشمس ثم تخزن ليصار إلى استخدامها ، مجروشة أو سليمة ، في العديد من الأكلات .

عملية الحصاد بمشاركة جميع أفراد العائلة ، ولكل دوره . وكانت أعمال الحصاد تتم إما يدويًا أو باستخدام المنجل<sup>(١)</sup> . وهي من أعمال الرجال على نحو رئيس ، إلا أن النساء كن يشاركن بهذا العمل وذلك بطريقة القلع بالأيدي ، وكان أحيانًا من بين النساء من تتقن استخدام المنجل (القسوس ١٩٩٤م : ٥٠) . والمنجل يختلف من حيث الحجم ، فالكبير يستخدمه الرجال الحصادون المحترفون ، بينما المنجل الصغير الذي يعرف بـ «الحاشوشة» كان مخصصًا للشباب الصغار والصبية ، فهو يناسب قبضات أيديهم الصغيرة (المجالي ٢٠٠٢م : ١٧٧) .



نماذج من المنجل الكبير والصغير (الحاشوشة)

(١) وقد كان الفلاحون يتغنون بالمنجل في أثناء عملية الحصاد ، ويرددون ، القسوس ١٩٩٤م : ٥٠ :

منجلي يا منجله راح للصايغ جلاه

ما جلاه إلا بعلبة ريت هالعلبة عزاه

منجلي يا أبو الخراخش منجلي بالزرع طافش

منجلي يا أبو رزة شو اللي جابك من غزة

جابني إللي جابني جابني حب البنات . . . والحدود الناعمات

جابني إللي جابني جابني حب البنات . . . البنات المزونات

وبالنسبة إلى غزة ، فلأن المناجل الجيدة كانت تصنع فيها أو في الناصرة ، وذلك قبل أن تبدأ صناعة

المناجل وغيرها من الصناعات الحديدية في مدينة إربد .

تبدأ أعمال الحصاد عادة في الصباح الباكر وفي الأيام الندية ؛ حيث يساعد الندى على سهولة القيام بهذه المهمة ، وينتهي يوم العمل في الحصاد عند ارتفاع حرارة الجو وتطايير الندى ؛ حيث تزيد صعوبة العمل في هذا الحر اللافح ، وتصبح عملية الإمساك بالقش الجاف مسألة صعبة ، ويكون حجم السنابل المتطايرة من قبضة اليد أكبر .

يقف الحصادون متجاورين في صف واحد ، ويبدؤون عملية الحصاد بما هو أمامهم ، ويفضل اختيار الجهة المعاكسة لميل السنابل ، حتى لا تؤذي عيونهم . وتسمى المساحة التي يبدأ بها الحصاد بالوجه ، ويزيد عرض الوجه كلما زاد عدد الحصادين ، ومهارتهم أيضاً . وعندما تمتلئ قبضة الحصاد كان يلف أو يربط هذه الكمية ، التي تعرف بـ «شمال وجمعها شملة» ، ببعض سيقان القمح ثم يضعها جانباً ، بشكل كومات صغيرة الحجم تسمى أغماراً أو «غمار» ، والغمر الواحد هو كومة صغيرة من القمح المحصود ، يتكون من عدد من الشملة . وكلما تقدم الحصاد في الوجه زاد عدد الغمار التي يخلفها وراءه . وكما يقول المثل : كلما طالت لت أغمار .

وكانت الكميات التي يتم حصادها في كل يوم تنقل أولاً بأول إلى البيدر ، وذلك باستخدام القوادم الخشبية التي تحملها الحمير . وفي حال عدم نقل الحصاد في يومه فإنه يتم تجميع الغمار التي تكونت في أكوام (حلل ، ومفردتها حلة) ، وتوضع فوقها الحجارة (تحجيرها) لكي لا تتبعثر عند هبوب الرياح ، حتى يحين وقت نقلها إلى البيدر .

### أدوات أخرى استخدمها الحصادون

أدوات ماء الشرب : القرب الجلدية والأباريق والجرار الفخارية .  
الجود أو القربة كانت تصنع من جلود الشياه<sup>(١)</sup> لنقل مياه الشرب . ومثل

(١) عند ذبح الخراف الماعز وسلخ جلودها كان يتم مراعاة أن تبقى سليمة من أية ثقوب ؛ حيث كانت تنظف من الصوف أو الشعر ، وبعد ذلك تمر بمراحل تصنيع مختلفة يستخدم فيها ملح الطعام وقشور بعض النباتات ، مثل قشور الرمان والبلوط ، لدباغتها ، طباعة ٢٠١١م : ١٢٨ ؛ المجالي ٢٠٠٢م : ١١٥ ث .

هذه الأدوات الجلدية ما كان يستخدم لوضع الحليب وترويبه ثم خضه بعد ذلك لاستخلاص الزبدة من اللبن المخيض .

الأباريق والجرار الفخارية : كانت الأباريق (الواحد منها يعرف ايضاً بالدورقة) ، وهي من الأواني الملازمة للفلاح في جميع أعماله اليومية ؛ فهي تحافظ على برودة المياه مدةً زمنية أطول ، خاصة عند لفها بقطع مبللة من الخيش . وهي تختلف عن الخوابي (جرار الفخار الكبيرة) التي كانت توضع على نحو ثابت في فناء المسكن ؛ ليشرّب من مائها جميع أفراد الأسرة في كلّ الأوقات .

### نقل المحصول (الرجاد)

كانت عملية نقل الحصاد (الرجاد) تتم في العادة أولاً بأول ويومًا بيوم . ولا يؤجل ذلك في الغالب ، إلا إذا تعذر توفير حيوانات النقل ، وهي الحمير عادة ، باستخدام القوادم الخشبية (عبيدات ١٩٩٢م : ١٧ ، ٤٤-٤٦) . يتم تحميل القادم (شد القادم) بالحصاد بحيث يقوم أحد الرجال ذوي الخبرة ، الأب أو أحد أبنائه الكبار ، بتحضير القادم ووضعها في مكان مستوٍ ، ثم يؤتى إليه بالغمار شيئاً فشيئاً ، وعادة ما تقوم النساء بهذه المهمة التي تعرف بالتغمير وهي جمع الغمار وإحضارها للقادم ؛ حيث يوضع الغمر على القادم ويقوم الشخص المشرف على عملية «شد القادم» بالتأكد من صحة وضعها ، وهكذا حتى يمتلئ القادم . ويحمل القادم فوق ظهر الحمار برفعه من أحد جانبيه لكي يتيح المجال للحمار الوقوف تحته ، ثم يتم سحب الجهة المرفوعة لتستقر فوق ظهر الحمار ، ثم يربط القادم بالحمار كي لا يقع في أثناء سيره . ثم يقوم الرجاد ، وعادة ما يكون أحد الفتية ، باقتياد الحمار أو مجموعة الحمير ، بسوقها أمامه على طريق البيدر . وعند وصول الحمير المحملة إلى البيدر يتم تفريغ الحمولة من خلال فك الحبال المربوطة . وهكذا تستمر العملية حتى ينتهي يوم عمل الحصادين ونقل (رجاد) الكمية التي تم حصادها .

وهكذا تتوالى هذه العملية يومياً حتى ينتهي الحقل كاملاً ، ومع نهايته تكون جميع الكمية التي حصدت قد نقلت إلى البيدر .

### أدوات نقل المحصول (الرجاد) ، القدام



القدام وجمعها قوادم ، وهي الأداة التي يتم بوساطتها نقل الحصاد من الحقل إلى البيدر على ظهور الدواب . وهي تصنع من خشب البلوط ، بشكل السلم المزدوج (السيبة) ، ويثبت على جانبية قطع خشبية مثلثة الشكل تعرف بالفرشات . وتستخدم الحبال المصنوعة من الليف للتربيط . وهناك قوادم خاصة بالحمير ، وأخرى خاصة بالجمال (المجالي ٢٠٠٢م : ١٧٩ ؛ القسوس ١٩٩٤م : ٥١ ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٤٤) .

الهيكل الأساسي للقدام من

خشب البلوط

### مكونات القدام

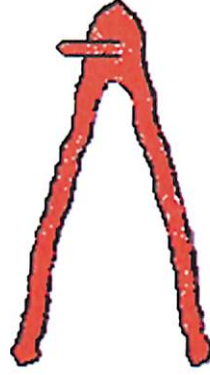
الهيكل الأساسي : ويصنع من أربع قطع من الخشب ، تسوى كل منها بشكل المورينة ، وبكل منها ثلاثة ثقوب . يثبت كل قطعتين (مورينتين) معاً بقطع خشبية صغيرة متساوية الطول في الثقوب السفلية ، لتشكّل ما يشبه السلم ، وهي بمثابة جانب (واجهة) من جانبي القدام . ثم تثبت واجهتا القدام من الأعلى ، في الثقوب العلوية ، بوصلة (قطعة) خشبية واحدة ، تشكّل ما يشبه المحور ، بحيث تسمح لواجهتي القدام بالحركة ، ضمّاً وانفراجاً . وعلى هذا المحور العلوي يربط زوجان من حبال الربط ، ويثبّت في طرف كل منها عقفة خشبية (المجالي ٢٠٠٢م : ١٧٩) .

الفرشات : يحتاج كل قدام إلى فرشتين اثنتين ، كل منهما عبارة قطعة واحدة من الخشب ومن غصن شجرة بشكل الشعبة ، متصلة من جانب ،

وأطرافها طويلة متباعدة . تثبت من أطرافها السفلية بأسفل القدام . ويثبت في طرف الفرشة العلوي ، ومن خلال ثقب فيها ، قطعة صغيرة من الخشب تسمى إصبع الفرشة ، ودوره لتثبيت الحبال بعد وضع القش في القدام .



عقفة



فرشة قدام

العقف : مفردها عقفة ، وهي قطعة من الخشب من جذع شجرة واحد بشكل الزاوية الحادة ، تثبت الحبال في طرفها الأطول ، وتمرر حبال الشد في زاويتها الداخلية . وهي تسهل عملية شد الحبال وإحكام ربطها على القش .  
الحبال والمرس : الحبل أسمك من المرس ، وهما متشابهان من حيث الصناعة ، وكانت حبال الليف هي المفضلة في الاستخدام في القوادم لمتانتها ومرونتها واستوائها وخلوها من العقد . كان القدام الواحد يحتاج إلى حبلين اثنين طويلين ، كل منهما بطول نحو خمسة أمتار . أما المرس فتثبت به أجزاء القدام الفرشات والعقف .

الجلال (الحلس) : والجلال (بتسكين الجيم) أو الحلس ، كما يسمى أيضاً ، يشبه السرج في وظيفته ، إلا أنه أبسط في صناعته ، ويتم ذلك في كل بيت ، يوضع على ظهور الدواب لحمايتها وتسهيل استخداماتها ، يصنع من طنيزيتين (لفاتين) متجاورتين من الخيش أو الليف محشوتين بالقصل ويخاطان إلى قطع من الليف أو الخيش ، أو أي قطعة من أي مادة أخرى من الأسفل والأعلى .



يثبت على ظهر الدابة بمربط أسفل صدرها كما هو السرج .  
الطنعيزية : وهي لفافة من الخيش أو الليف ، محشوة بالقصل أو بقطع من  
المادة نفسها . تستخدم في صناعة الحلس (الجلال) ، كما يوضع أو تثبت واحدة  
منفردة منها فوق الجلال عند عملية الرجاد وغيرها من عمليات النقل ؛ زيادة في  
تأمين الحماية لظهر الدابة ، ولتسهيل تثبيت الحمل فوق ظهرها .

### قوادم الجمال

ومن الجدير بالذكر أن استخدام الجمال في عملية الرجاد كان نادراً .  
وعموماً فللجمال قوادم خاصة بشكل الشباك ، وهي تختلف كلياً عن قوادم  
الحمير . وقوادم الجمال بسيطة في تركيبها ، والقادم الواحد يتألف من واجهتين  
اثنتين ، كل منهما يتألف من زوج من العصي ، أو الأخشاب طول كل منها يزيد  
قليلاً على المتر الواحد ، يفصل بينهما مسافة وترتبط مع بعضها بشبكة من  
الحبال أو المرس . وتثبت واجهتا القدام مع بعضهما من خلال الحبال فوق  
شداد<sup>(١)</sup> الجمل المصنوع بدوره من الخشب .



شباك (قادم) جمل

(١) شداد الجمل يصنع من الخشب ، ويوضع فوق الجمل لتسهيل استخدامه للنقل ، سواء نقل الأفراد أو  
المتاع .

### درس المحصول:

بعد الانتهاء من جميع أعمال الحصيد ونقل المحاصيل إلى البيدر<sup>(١)</sup> تبدأ عملية الدراس . ويقصد بالدراس أو الدراس عملية تكسير سيقان القمح وتحويلها إلى تبين ؛ لتسهيل عملية فصل الحبوب عنها . وهي عملية طويلة تبدأ بفرد أو فرش أو تمهيد البيدر (الكومة) ، أو جزء منه إذا كان كبيراً ، بشكل دائري ، بعرض يتراوح بين ٢-٣م وارتفاع نحو ١م ، يحيط بالكومة الرئيسة (البيدر) ، وذلك باستخدام الشاعوب . ويعرف هذا الجزء الذي تم فرده أو تمهيده باسم «الطرحة» ، ثم تبدأ عملية الدراس ، وذلك باستخدام الحمير أو غيرها من الدواب التي تقرن أو تربط ببعضها بعضاً متجاورة في صف واحد ، وتساق لتدور فوق الطرحة ، في حركة دائرية متواصلة ، حتى يتم تكسير القش وتسويتها لتكون مناسبة للمرحلة التالية من الدراس ، وهي باستخدام لوح الدراس (القسوس ١٩٩٤م : ٥١) .

كان لوح الدراس يربط عادة إلى الكديش ، أو غيره من حيوانات العمل ؛ لجره فوق الطرحة بحركة دائرية متواصلة ، حتى يتم تكسير القش ، عندها يتم

---

(١) تطلق كلمة بيدر ، وجمعها بيادر ، على المكان الذي تجمع وتوضع فيه الكميات التي تم حصدتها ونقلها من الحقل تمهيداً لدرسها . وكان في كل قرية ، وعلى مقربة منها ، مساحة من الأرض تترك بوراً لا تحرث ولا تزرع ، مخصصة لهذه الغاية ، كان يطلق عليها البيادر ، أبو الشعر ١٩٩٥م : ٢٩٧ ، حيث كان لكل عائلة بيدرها الخاص بها ، عبيدات ١٩٩٢م : ط١٥ . وكانت هذه المنطقة تستخدم خلال بقية العام لأغراض أخرى ، فهي مكان مناسب للأفراح والأعراس وغيرها من المناسبات ، وهي في فصلي الشتاء والربيع مراعي للمواشي . ومن الجدير بالذكر أن كلمة بيدر كانت تطلق أيضاً على كومة القش نفسها ، القمح أو الشعير أو العدس وغيرها ، التي يتم تجميعها بعد عملية الحصاد ونقل الحصيد إلى البيدر ، فيقال بيدر قمح أو بيدر عدس أو بيدر شعير . . . إلخ ، أبو الشعر ١٩٩٥م : ٢٩٧-٢٩٩ .

قلب الطرحة ، بجعل سافلها أعلاها ، بواسطة الشاعوب ، لكي يظهر على سطحها القش الذي لم يتكسر بعد . وفي أثناء عملية دوران لوح الدراس يحرص أحد الأشخاص على إعادة ما تناثر من القش مبتعداً عن مجال الطرحة ، للخارج أو للدخل ، وتعرف هذه العملية برد الطرحة . وهكذا يتوالى درس الطرحة وقلبها حتى تتم عملية التكسير على نحو متماثل لكل كمية الطرحة ، وتتوالى الطرحات فوق بعضها بعضاً إلى أن تنتهي كمية القش في الوسط . وتعرف هذه المرحلة من الدرس بـ «التكسير» ؛ حيث يكون القش قد تم تكسيه لأجزاء ، طول كل منها أقل من ١٠ سم .

وبعد أن يتم تكسير كامل محصول البيدر ، يتم جمعه في كومة واحدة في الوسط ، تعرف بـ «العرمة» ، لتبدأ بعد ذلك المرحلة التالية والأخيرة في عملية الدرس وهي مرحلة «التنعيم» . يفرد أو يفرش قدر معين من الدريس المكسر ، بشكل دائري حول العرمة ، وتبدأ ثانية عملية الدرس باللوح ، وتتوالى عمليات القلاب والرد ، وهذه المرة باستخدام المذراة ، حيث يكون الشاعوب قد فقد فاعليته ؛ لأن أجزاء القش قد أصبحت صغيرة ، حتى يتم تنعيم القش وتحويله إلى تبين ، وتكون أجزاء القش بأطوال أقل من ٢ سم ، وهكذا بالنسبة لجميع الكومة . وتتبع الطرحة الأخيرة ، يعاد جمع الكمية في كومة أو عرمة واحدة أيضاً ، ويكون البيدر جاهزاً للمرحلة التالية وهي عملية التذرية ؛ لفصل التبن عن الحب .

### التذرية (المذراة)

بعد الانتهاء من عملية الدراس ، تبدأ عملية التذرية ، وهي فصل الحبوب عن التبن . يتم اختيار الوقت المناسب لهذه العملية وخاصة من حيث جهة هبوب الرياح وشدها . وتستخدم المذراة الخشبية لهذه الغاية ؛ حيث يقف الشخص الذي يقوم بهذه المهمة في أعلى العرمة ويملأ المذراة بالدريس ويقذفها عالياً في الهواء ، الأمر الذي يؤدي إلى تطاير

التبن<sup>(١)</sup> مع الهواء بعيداً ، في حين أن حبات القمح تسقط في مكانها نحو الأسفل ، وهكذا حتى يتم فصل الحبوب عن التبن على نحو كلي ، وتكون الحبوب ، وما شابها من حصى وكدر ، قد تجمعت في كومة واحدة تعرف بـ «الصبية» ، تمهيداً لمرحلة أخرى ، وهي عملية الكربة والقطف .

### قطف الصبية:

تبدأ عملية تنظيف الحبوب ، في الصبية ، من الشوائب كبيرة الحجم وثقيلة الوزن مثل الحصى والكدر والقصل وربما بعض بذور نباتات أخرى برية ، وذلك باستخدام الكريال للتقليل من هذه الشوائب . إلا أن ثقب المقطف كبيرة ، فيبقى قدر كبير من الحصى والكدر ، لذلك لا بد من استخدام المقطف . والمقطف مثل الكريال إلا أن ثقبه أصغر قليلاً . تبدأ عملية القطف بأن يقف أحد الأشخاص ذوي الخبرة في مكان تم تنظيفه وإعداده لذلك . ويقوم عدد آخر من الأشخاص بمساعدته ، مستخدمين الغريال ، حيث يقوم كل منهم بالغرف بالغريال من الصبية ، وفي مكان قريب يقوم بتحريك أو هز (روغ) هذه الكمية في الغريال ، وتعرف هذه العملية بـ «الرواغة» ، حتى يتم التخلص من حبيبات التراب الدقيقة والناعمة التي تنفذ من ثقب الغريال ، ثم يتوجه نحو الشخص الذي يقوم بعملية القطف ويحركه رشيقاً ومتقنة ومن مسافة قد لا تقل عن ٢م

(١) يقسم التبن وفق حجم ووزن جزيئاته إلى ثلاثة أقسام : القصل وهو العقد الموجودة في ساق نبات القمح والشعير ، وهو أثقلها ، ويتساقط على مقربة من الصبية ، كومة الحب ، أو حتى مع الحب نفسه ، ويستخدم القصل كوقود لطواحين الخبز . والتبن متوسط من حيث الحجم والوزن ، وهو يتساقط خلال التذرية بعيداً عن كومة الحبوب ، ويمثل الكمية الأكبر ، وهذا يستخدم علفاً للدواب . أما النوع الثالث وهو الأصغر من حيث الحجم والأخف وزناً ، وهو ما كان يطلق عليه التبن «العور» ، فهو يتطاير إلى مسافة أبعد من التبن المتوسط ، ولا ترغبه الدواب في طعامها ، وهو يستخدم في أعمال الطين حيث يخلط مع التراب لزيادة تماسكه .

يقوم بإلقاء حمولة الغربال ، فيقوم حامل المقطف ، وبحركة رشيقة وحذقة أيضاً ، بالتقاطها ، ثم يقوم بتحريك المقطف ، فتساقط الحبوب وما مائلها في الحجم من شوائب نحو الأسفل ، وتتطاير بواقي التبن التي قد تكون ما تزال عالقة بالحبوب . وهكذا تتوالى العملية حتى يتم الانتهاء من كامل الكمية ، وتكون الصبة قد نقلت إلى مكان آخر ، وقد أصبحت نظيفة وجاهزة للمرحلة التالية ، وهي مرحلة الكيل .

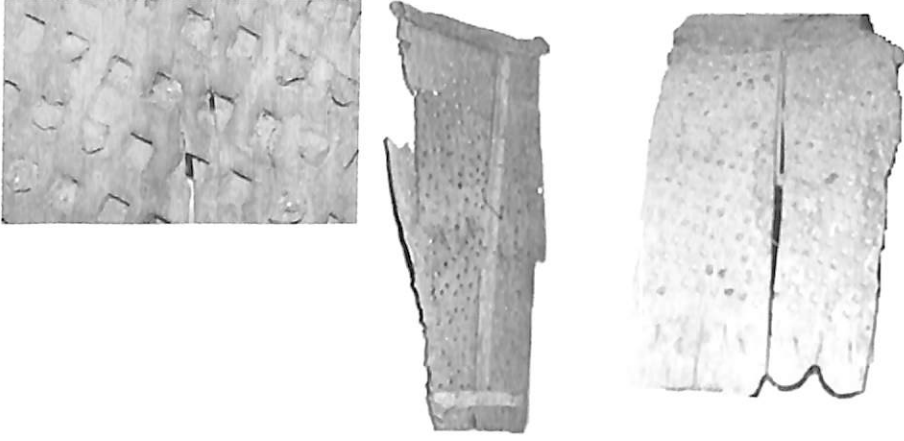
## أدوات البيدر

### لوح الدراس

لوح الدراس لوح خشبي بطول متر ونصف وعرض متر واحد تقريباً . واجهته السفلية مثقبة ليثبت بها حجارة بازلتية صغيرة ، تعمل كالمشار في تقطيع النباتات الجافة وتكسيروها ، جراء عملية الدوران المتتالية . يقف أو يجلس أحد الفتية (دراس) على لوح الدراس في أثناء دورانه ؛ لكي يحافظ على حركة الحصان الدائرية ، ويكسب اللوح ثقلاً يساعد على زيادة فاعليته (المجالي ٢٠٠٢م : ١٧٩ ؛ القسوس ١٩٩٤م : ٥١ ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٤٦ ؛ عبيدات ١٩٩٢م : ٤٦-٥٠) .

يربط لوح الدراس من طرفيه الأماميين بعصي خشبية ، من خشب الدفلى ، طويلة وسميكة تعرف بـ «الرتايب» ، وتربط هذه بدورها بالحواة المثبتة على رقبة الدابة .

تبين الصورة الثانية لوح دراس من الصفيح ، يبدو أنه تعذر على الجماعة التي استخدمته الحصول على لوح خشبي ، فشقوا برميلاً معدنياً للحصول على لوح معدني مستو ، ثم ثقبوه ، وقووه بعوارض خشبية في الوسط والأطراف . ومن الجدير بالذكر أن أطراف الثقوب الحادة تقوم بمهمة تقطيع القش ، دون الحاجة إلى استخدام الحجارة البازلتية ، كما في اللوح الخشبي .



لوح دراس خشبي وآخر معدني (من الصفيح) ،  
وعلى اليسار صورة تفصيلية للوح الدراس من الأسفل .

### الشاعوب

الشاعوب من الأدوات الرئيسية التي لا يمكن الاستغناء عنها خلال جميع أعمال البيدر ، فهو يسهل العمل ، ويختصر الوقت ، كما أنه يحمي اليدين من الأشواك التي يمكن أن تكون مخلوطة بالحصيد . يصنع من الحديد وله أربعة أصابع طويلة ، ويثبت به مقبض ، عبارة عن عصا غليظة طولها نحو متر ونصف (المجالي ٢٠٠٢ م : ١٨١ ؛ الشريدة ١٩٩٧ م : ١٤٦) .



شاعوب

### المدراة

للمدراة أصابع خشبية (ستة أو سبعة) ، وفيها انحناء بسيطة نحو الداخل ، مدببة من الأمام ، ومثبتة من الخلف إلى مقبض خشبي (عصا غليظة) طوله متر ونصف تقريباً ، وذلك باستخدام قطع وخيوط من الجلود ، لتشكّل ما يشبه الكف البشري (الشريدة ١٩٩٧ م : ١٤٦) .



مذراة

## أدوات تنظيف الحبوب

### الكربال والمقطف والغربال

الغرابيل والمقاطف والكرابيل من الأدوات الأساسية في المجتمع الفلاحي ، كانت صناعتها وبيعها من اختصاص جماعات النور (العجر) ، التي كانت تتردد على القرى في أوقات مختلفة لبيع مثل هذه الأدوات وغيرها من الأشياء التي يحتاج إليها الفلاحون ، مثل أبر الخياطة والمسلات والخيطان (المجالي ٢٠٠٢م : ١٨٢ ؛ الشريدة ١٩٩٧م : ١٤٤ ؛ أبو الشعر ١٩٩٥ : ٣٧١) .

وهي تصنع من الخشب والجلد ، فإطارها الخشبي الذي كان يطلق عليه إسم «الطارة» يتراوح ارتفاعه بين ٨-١٠سم ، به ثقب على أبعاد متساوية في أسفله ، وهو في الأصل قطعة طويلة (مورينة) من الخشب ، عولجت بالماء والنار لتكتسب مرونة لجعلها مستديرة الشكل (الإطار) . أما الشبكة فهي تصنع من الخيوط الجلدية (السيور ، ومفردها سير) ، التي تتداخل عبر الثقوب وتتشابك مع بعضها لتصبح شبكة فتحاتها بقياسات معينة .

الغربال : فتحات الغربال صغيرة تتراوح بين ٢-٣ملم ، وهي لا تسمح بمرور الحبوب ، وإنما حبيبات الحجارة والتراب الصغيرة والزوان ، وغيرها من بذور النباتات غير المرغوب بها . وكلما صغرت فتحات الغربال سمي بالغربال «الظابوي» ، لأنه يظبط الحبوب ، وإذا كانت فتحاته كبيرة سمي بـ «الفاروطي» ، لأنه يفرط بالحبوب ويدعها تتساقط من فتحاته الواسعة .

المقطف : وتتراوح فتحاته بين ٣-٥ ملم ، وهي تسمح بمرور الحبوب وتمنع الحصى والكدر والقصل .

الكربال : وفتحاته واسعة تتراوح بين ٨-١٢ ملم ، وهو يستخدم لعزل الشوائب كبيرة الحجم عن الحبوب تمهيداً لعملية القطف ، كما يستخدم لقطف الحمص ولعزل القصل عن التبن .

ومن الجدير بالذكر أنه ، بالإضافة إلى هذه الاستخدامات الأساسية لهذه الأدوات فقد كان لها استخدامات أخرى متنوعة في الحياة اليومية لسكان القرى ، في تهيئة بعض المواد الغذائية وتنقيتها وفركها ، خاصة تلك المستمدة من الأعشاب والنباتات . كما يستخدم الغربال لغربلة التراب والحوار المستخدم في تنقية التراب المستخدم في مختلف أغراض البناء ، وفي صناعة بعض الأشياء مثل الطابون على سبيل المثال . وكان يستخدم أيضاً لفرك أوراق التبغ ، المعروف بالهيشي ، بعد تجفيفها .



الرحت : قطعة من الخشب مستطيلة الشكل (٣٠×٤٠سم) ولها مقبض ، هو عصا مستقيمة وغلظتها بطول نحو ١م لتنظيف الأرضية بعد انتهاء الدراس . يستخدم الرحت لإزاحة بواقي البيدر القريبة من سطح الأرض وتنظيفها ، خاصة بعد أن تصبح الأدوات الأخرى ، مثل الشاعوب والمذراة ، غير ذات فاعلية ، كما يستخدم لتنظيف مخلفات البيدر بعد عملية التذرية وتنقية الحبوب .





مقشة (مكنسة) البلان : ومكنسة البلان حزمة من نبات البلان الشوكي ، الذي ينمو بكثرة في البطنان وسفوح الجبال والأراضي غير المزروعة في هذه المنطقة ، مربوطة إلى عصا غليظة طولها نحو ١,٥ م . وتستخدم مقشة البلان لتنظيف البيدر بعد انتهاء أعمال نقل الغلة إلى البيت ، حيث تكون كميات من الحبوب قد علقت على سطح الأرض بعد إزاحتها بالرحت .

### أدوات كيل الغلة (الصاع)

الصاع مكيال خشبي كان يتم شراؤه من مدينة دمشق ، وهو وعاء أسطواناني الشكل له قاعدة خشبية أيضاً ، ويعرف بأسماء مختلفة في مناطق أخرى ، مثل «النصمد» في جنوب الأردن (المجالي ٢٠٠٢ م : ١٨٣ ؛ القسوس ١٩٩٤ م : ٥٢) ، وهي تعني نصف مد . وبعد الانتهاء من عملية تنظيف الحبوب التي تعرف بعملية «القطف» ، تكون الحبوب نظيفة إلى حد بعيد من الشوائب ، ومجمعة في كومة واحدة تسمى «الصبة» ، بضم الصاد . ثم تبدأ عملية كيل الغلة باستخدام الصاع المصنوع عادة من الخشب بشكل أسطواناني . ويتسع الصاع إلى نحو ١٠ كغم من القمح ، ويطلق عليه نصف مد ، حيث إن المد يتكون من صاعين اثنين ؛ أي ٢٠ كغم . وهناك وحدات كيل أخرى أصغر من الصاع مثل الربعية ؛ أي ربع المد ، وهي تعادل ٥ كغم ، وهذه الأداة شبيهة بالصاع في شكلها ، إلا أنها أصغر حجماً وسعة . وهناك الثمنية ؛ أي ثمن المد ، وتساوي ٢,٥ كغم (أبو الشعر ١٩٩٥ م : ٤٤١) .

والمد وحدة الكيل الرئيسية ، وكل ثلاثة أمداد تسمى «علبة» ، وكل ستة أمداد تسمى «كيل» . وتحسب كمية الغلة الإجمالية بعدد الأمداد<sup>(١)</sup> .

---

(١) وكان الفلاح يستخدم يديه أحياناً كأدوات كيل ، مثل : «العرام» ، وهو ملء الكف الواحدة من القمح أو أي شيء آخر . و«الحفنة» ، وهي ملء الكفين معاً . وعند بيع المحصول أو بعضه للتجار ، القادمين غالباً من إربد ، كانت الحبوب توزن بالقبان ، وهو ميزان لوزن الكميات الثقيلة والكبيرة .



الصاع ؛ وحدة كيل مصنوع من الخشب .

غالبًا ما يكون الفلاح في هذه اللحظات ، بعد أن يفرغ من التذرية وقطف الحبوب ، على موعد مع «الديانة»<sup>(١)</sup> ، الذين كان يتم إعلامهم بذلك ، أو حتى إنهم كانوا يترقبونها بأنفسهم ويحضرون من غير استدعاء ، مصطحبين معهم شوالاتهم وأدوات كيلهم ؛ إذ إنهم لا يثقون بأدوات كيل غيرهم . ويبدأون باكتيال الكمية التي يدين لهم بها الفلاح . وفي بعض الأحيان كانت كمية الدين كبيرة لدرجة أن جل أو حتى كل ما جاد به الرحمن على الفلاح من الحبوب ، خاصة في سني المحل والقحط ، يذهب سدادًا .

بعد استيفاء الديانة لديونهم ، كانت كل أسرة تقدر حاجتها من الحبوب (المونة) للسنة القادمة ، سواء من القمح أو من العدس ، وكذلك الشعير كعلف للدواب ، لتقوم بتخزينها . أما ما يفيض عن ذلك فكان يخصص للبيع ، وإن تيسر المشتري كان الفلاح يبيعه مباشرة على البيدر ، أو ينقله مع المونة للبيت في انتظار المشتري .

(١) الديانة غالبًا هم من التجار ، سواء أصحاب الدكاكين في القرية أو من التجار في مدينة إربد ؛ حيث يكون الفلاح خلال السنة الماضية قد اشترى منهم بعض احتياجاته أو استدان منهم مبلغًا من المال بشكل ما كان يعرف بـ «الطلاع» ، على أن يسدد لهم هذا المبلغ على البدر .

### أدوات نقل الغلة (العدل والشوال)

قبل معرفة الشواليات المستوردة المصنوعة من خيوط القنب واستخدامها ، كان «العدل» المصنوع محلياً من خيوط الصوف أو من شعر الماعز هو المخصص لهذه الغاية (المجالي ٢٠٠٢م : ١٤١ ؛ أبو الشعر ١٩٩٥م : ٥٠٢ ، ٥١٨ ؛ قازان ٢٠٠٢م : ١١٣ ؛ Burkhardt 1812: 293) . حيث كان الفلاح يكيل في العدل بين خمسة وستة أمداد ، وينقله إلى البيت على ظهر حمار<sup>(١)</sup> . يتم إفراغ العدل في المكان المخصص لذلك ، ثم يعود الشخص ليتم ملء العدل ثانية ، وهكذا حتى يتم نقل كامل الكمية .

وقبل عدة عقود عرفت الشواليات أو الأكياس المصنوعة من الليف أو القنب ، وبأسعار رخيصة ، فاستخدم الفلاحون عدداً منها يكفي لجميع الكمية ، كانت تعبأ بها الغلة وتنقل إلى البيت ، وتبقى في هذه الأكياس حتى المراحل أو الأعمال الأخرى ، مثل الغريلة والتصويل . وبعد انتشار أكياس الليف أو القنب أصبحت العدول تخصص لنقل الدقيق (الطحين من وإلى المطحنة) .



العدل (كيس من خيوط الصوف)

(١) حيث يتقابل رجلان يشبكان أيديهما معاً ، ويحملان الكيس إلى ظهر الحمار ، ثم يسك أحدهما بطرفه ويسوق الحمار نحو البيت .

ومن الأدوات المستخدمة في هذا المجال «المسلة» أو المخاط (المجالي ٢٠٠٢ م : ١٨٣). وهي إبرة كبيرة الحجم ، تستخدم لخياطة العدل أو الكيس بعد ملئها بالحبوب ، استعداداً لنقلها . وكانت الخيوط المصنوعة من الصوف هي المستخدمة لهذه الغاية ، ثم دخلت خيوط القنب .

## الغريلة

بعد انتهاء أعمال البيدر ونقل الحبوب إلى المنزل ، تبدأ أعمال تنظيفها على نحو جيد ونهائي من حبيبات التراب والحجارة الصغيرة التي ما تزال تختلط مع الحبوب . ليتم تخزينها بعد ذلك ، كمونة ، للفترة القادمة وحتى موسم البيدر القادم . والأداة الرئيسة في هذا العمل هو الغريال . وهو عمل نسائي تقوم به ربة البيت وبناتها ، ومن هبت من الجارات للمساعدة . وتتم عملية الغريلة بأن تجلس المرأة بحيث يكون جانبها باتجاه مصدر الرياح ، وهي غالباً الغربية ؛ أي أن الجالسة تقابل الجهة الشمالية أو الجنوبية . ثم تغرف بالغريال قليلاً من القمح ، غير المغريل ، الموجود أمامها أو على مقربة منها ، ثم «تروغه» أو تحركه يميناً ويساراً عدة مرات ، ثم تبدأ بهز الغريال (ترقيصه) بحركة ذات إيقاع منتظم ، تؤدي بمساعدة الهواء إلى فرز ما بداخل الغريال ، حيث تتجه كتل الحجارة والتراب إلى أقصى اليمين بسبب ثقل وزنها ، ويتمركز الحب في الوسط ، في حين أن الكتل الصغيرة من التراب والحجارة وكذلك التبن أو القصل وغيرها من الشوائب الخفيفة تذهب إلى أقصى اليسار . فتغرف السيدة بيدها الحصى والتراب الثقيل أولاً ثم الشوائب الخفيفة ويبقى في الغريال الحبوب النظيفة ، التي يتم إفراغها في المكفية أو أي إناء آخر ، حيث تقوم نساء أخريات بتنقيته باليد من أي شوائب ما تزال عالقة . والجزء الأكبر من هذه الكميات يتم تخزينها بعد غربلتها في الكواير (مفردها كواره) لأغراض الطحين ، حيث يفتح باب الكواره السفلي لتعبئة العدل أو الشوال عند الحاجة ، ثم ينقل إلى المطحنة لطحنه والحصول على الدقيق للخبز .

## تصويل الحبوب

يتم «تصويل» الحبوب؛ أي غسلها بالماء، بغمرها في أوانٍ كبيرة الحجم وتقليبها عدة مرات، مما يؤدي إلى ذوبان جميع الكتل الترابية بالماء، وطفو حبيبات التبن وغيرها من الشوائب الخفيفة على سطحه. ويتم اللجوء إلى هذه العملية عندما تكون كمية حبيبات التراب، وكذلك الشوائب الخفيفة، عالية مع الحبوب التي تعد لغايات التخزين. وتكون عملية الغرلة بعد ذلك للتخلص من الحجارة الصغيرة فقط. وغالبًا ما تعالج كمية القمح المراد تخزينها للمونة لغايات الطحن بعد ذلك.

## سليقة القمح وعمل البرغل

ويقصد بها سلق القمح بالماء، في أنية كبيرة الحجم تعرف بـ «القطوة»<sup>(١)</sup>، على نار حامية حتى يصبح لينًا طريًا، ثم ينشل من الماء، وينقل إلى السطح ليتم نشره حتى يجف، مع مراعاة تقليبه يوميًا لضمان جفافه وبدرجة متساوية (عبيدات ١٩٩٢م: ٣٥)، ليصبح لدينا ما يعرف بـ «البرغل». وفي كل سنة يحرص أهل البيت على برغلة الكمية الكافية حتى الموسم القادم. يخزن البرغل الجاف، ويؤخذ منه كمية قليلة عند الحاجة ليتم «سمدها»؛ أي جرشها للحصول على السميدة بنوعيتها الناعمة والخشنة. وتتم هذه العملية مع الطحنة في كل مرة في المطحنة.

يدخل البرغل المسمود في العديد من الأكلات الفلاحية في جميع مناطق حوران (أبو الشعر ١٩٩٥م: ٥٢١؛ عبيدات ١٩٩٢م: ٣٦؛ Burckhardt 1922:

---

(١) القطوة إناء معدني كبير، قد يكون نحاسياً أو من الألمنيوم؛ لكي يتسع إلى كمية كبيرة من القمح المراد سلقه. وقد استخدم الناس أيضاً البراميل، وذلك بقصها على نحوٍ طولي أو عرضي للحصول على قطوات كبيرة الحجم.

293) ، وهو يأتي بالدرجة الثانية بعد رغيف الخبز ، كعنصر غذائي ، في غذاء سكان هذه المنطقة .

وبالإضافة إلى المطاحن التي تقوم بمهمة جرش البرغل ، فقد كان الفلاحون يستخدمون تقنيات أخرى يدوية في جرش الفريكة والعدس ، وذلك باستخدام الرحي البازلتي . حيث كانت الرحي تعد تقريباً من المستلزمات الضرورية في كل بيت . وقد أشار بيركهارت إلى هذه الأداة (الطاحونة اليدوية) عند زيارته لمنطقة حوران في عام ١٩١٢م ، بأنها من مقتنيات البيوت الرئيسة في هذه المنطقة ، حيث يستخدمها الفلاحون في فصل الصيف عندما تجف مياه الأودية وتتوقف الطواحين المائية عن العمل (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٥٠٢ ؛ Burckhardt : 293 (1922) .



الرحى لجرش الفريكة والبرغل  
والعدس وطحنها

### الفريكة

وكانت من الصناعات الغذائية الريفية في جميع المناطق التي تهتم بزراعة القمح ، حيث كان يتم حصاد كمية من القمح قبل تمام نضجه ؛ أي أن سنابل القمح تكون ما تزال خضراء اللون ، والحبوب طرية . ويتم شواء أو تحميص (حرق) السنابل على كومة من القش والحشائش الجافة ، مع تقليبها باستمرار لكي لا تحترق كلياً . ثم تفرك على المقطف لعزل الحبوب ومن بعد تنظيفها من

الشوائب ، ثم تجفف تحت أشعة الشمس وتخزن بعد ذلك لحين الاستعمال . ويمكن أن تطبخ حبوب الفريكة كما هي أو يتم جرشها (سمدها) ، وذلك حسب نوعية ومتطلبات الأكلة التي سوف يتم إعدادها .

### وسائل التخزين الغلال

منذ أن بدأ الإنسان في زراعة الحبوب فكر في كيفية حفظ الفائض من الإنتاج ، بطرائق ووسائل مختلفة لذلك ، مستخدماً الحفر في الأرض (Kuijt 2009; Kuijt and Finlayson 2008; الحوري ١٩٩٢م) . ثم بدأ بعد ذلك بتصنيع وحدات تخزين من الطين وبأشكال وأحجام مختلفة (Bar-Yosef and Gopher 1997; Kenyon 1981; Finlayson et al. 2003; Kuijt and Finlayson 2001; Rollefson et al. 1992; Rollefson 1989; Garfinkel 1987) . كما صنع الإنسان الجرار الفخارية كبيرة الحجم ، في العصر النحاسي ، لغايات تخزين الحبوب ، كما أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية في موقع أبو حامد في وادي الأردن (Dollfus and Kafafi, 2007) ، وفي العصر الحديدي في تل جحفية بالقرب من مدينة إربد (Bastert and Hockmann 2009; Lamprichs 2002) ، واستمرت الجرار الفخارية بعد ذلك في العصور التالية وحتى وقتنا الحاضر تستخدم لحفظ مختلف أنواع الأطعمة وتخزينها . كما استمرت عمليات التخزين في الحفر مختلفة الأشكال المحفورة في الأرض ، ثم أصبحت تحفر في الصخر منذ العصر الروماني لتخزين الحبوب والأعلاف ، وكذلك تخزين السوائل مثل زيت الزيتون والخمور .

وقد استخدم الفلاحون في قرى منطقة الكفارات ، كما في غيرها من المناطق في الأردن وفلسطين وبقية مناطق بلاد الشام ، ما يعرف بالكواير لتخزين الحبوب وخالصة القمح (الحجاج والنعامنة ٢٠١٦م ؛ جرادات ٢٠١١م) . والكواير (مفردها كواره) أوعية كبيرة الحجم تصنع من الطين المخلوط بالتبن . وقد صنعت بأشكال وأحجام مختلفة ، وكان لها فوهة من الأعلى لتفريغ الحبوب ،

وفتحة صغيرة في أسفلها لتفريغ الكمية المرادة من الحبوب عند الحاجة . حيث كان يتم تفريغ الحبوب بعد نقلها من البيدر وغربلتها وتنظيفها من الشوائب لتكون جاهزة للطحن عند الحاجة . وقد أورد بيركهارت الكواير ، التي يخزنون بها حبوبهم من قمح وشعير ، في منطقة حوران في عام ١٨١٢م ، مشيراً إلى أنها تصنع من الطين ، ارتفاعها بمقدار خمسة أقدام (نحو ١,٥ متر) ، وقطرها قدمان ، ويبدو أن شكلها كان أسطوانياً (Burckhardt 1922: 292) .

استخدم الخشب لصناعة الكواير لحفظ الحبوب وتخزينها ، ولكن على نطاق ضيق في هذه المنطقة . وكانت بشكل صناديق كبيرة الحجم ، لها فتحات علوية لوضع الحبوب وأخرى سفلية صغيرة لاستخراجها . وكان للفتحات السفلية أغطية خشبية تتحرك صعوداً ونزولاً خلال مجرى لها . ومن خلال دراستها لحجج حصر الإرث في منطقة بني عبيد ، أشارت هند أبو الشعر إلى أثار البيوت ، ومن بينها ذكرت الكواير الخشبية (أبو الشعر ١٩٩٥م : ٥١٨) . ومنذ الستينيات في القرن العشرين شاع استخدام الكواير المصنوعة من الصفيح . وكانت هذه بشكل الصناديق كبيرة الحجم ، بفتحات علوية كبيرة لوضع الحبوب ، وأخرى سفلية لإخراجه ، وكانت هذه الفتحات (العلوية والسفلية) مزودة بمغالق (أبواب) تتحرك أو تنزلق في مجار لها على الجانبين .

كما استخدم الفلاحون في هذه القرى الآبار المحفورة في الصخر ، بشكل حبة الكمثرى ، لتخزين الحبوب والتبن أيضاً ، عوضاً عن الاستخدام الأساسي للآبار في تجميع مياه الأمطار وتخزينها . وتزخر القرى الأردنية جميعها بمثل هذه التقنيات (الآبار والبرك) لجمع المياه وتخزينها (البحيث ٢٠٠٨م : ٢٤٦ ، ٢٥٧) . وقد كان يطلق عليها الآبار الرومانية ، وهذا يشير إلى أنهم لم يحفروها بأنفسهم ، وإنما وجدوها على حالها واستخدموها لهذه الغاية . كما يشير إلى أنها قديمة وقد تعود بالفعل للعصر الروماني والبيزنطي ، حيث إن هذه المنطقة من المناطق التي كانت مأهولة ، وعلى نحوٍ كثيف ، خلال هذه العصور .



## نقل التبن (التتبين) وتخزينه

بعد أن يتم نقل الغلة من الحبوب وتخزينها ، تبدأ عملية التتبين ، وهي نقل التبن إلى التبان (مستودع تخزين التبن) . ويفضل أن تتم هذه العملية في ساعات الصباح الباكر ، حيث الندى وحيث تكون الرياح ساكنة تقريباً في هذه الأوقات . يعبأ التبن في أكياس كبيرة تعرف بـ «الخيشة» أو التبانية ، ارتفاعها بين ١,٥ - ١,٧٠م وقطرها نحو ١م ، وهي مصنوعة من الخيش أيضاً . تملأ هذه بالتبن وتنقل على ظهور الحمير إلى التبان ، حيث يتم تفرغها والعودة بها مجدداً .

قد يكون التبان مبنى أقيم خصيصاً لتخزين التبن بنوعية الأبيض والأحمر ، وكان يسمى «الخان» ، أو قد يكون مبنى سكنياً قديماً تم استخدامه لهذا الغرض بعد أن بنت الأسرة مسكناً آخر بجواره ، وقد يكون كهفاً أو مغارة طبيعية أو من الكهوف الأثرية .

بالإضافة لتخزين التبن ، كان الخان يستخدم في جانب منه أيضاً لمبيت الدواب ، خاصة في فصل الشتاء ، حيث كان يزود بمرباط وطوايل (معالف) لوضع العلف من التبن والشعير فيها .

كما كان الناس يستخدمون الآبار القديمة المحفورة في الصخر ، التي كانت تعرف عند الفلاحين بالآبار الكفرية أو الرومية لتخزين التبن وأحياناً الحبوب أيضاً ، وهي آبار وجدها الناس ولم يقوموا بحفرها ، ومن المرجح أنها تعود للعصور الرومانية والبيزنطية . حيث إن جميع القرى القائمة حالياً في هذه المنطقة ، وغيرها من المناطق الأردنية ، تقوم فوق أنقاض مواقع أثرية تعود في أغلبها إلى هذين العصرين ، وذلك من خلال المخلفات الأثرية التي ما تزال موجودة على السطح (١) .

(١) قد تود هذه الآبار إلى هذين العصرين الروماني والبيزنطي ، حيث إن جميع القرى القائمة حالياً في هذه المنطقة ، وغيرها من المناطق الأردنية ، تقوم فوق أنقاض مواقع أثرية تعود في أغلبها إلى هذين العصرين ، وذلك من خلال المخلفات الأثرية التي ما تزال موجودة على السطح . ومن المعروف أن منطقة الأردن ، وخاصة الشمالية الغربية منها ، كانت تشهد استيطاناً كثيفاً خلال هذين العصرين .

### أواني تصنع من سيقان القمح (البدي)

تبدأ عملية البدي (تصنيع) الأواني من القش (القصل<sup>(١)</sup>) بتوفيره من سيقان القمح التي تعرف بعملية «التقصيل»، وذلك بعد وصول حصيد القمح إلى البيدر. وهي من الأعمال النسوية، حيث كانت النساء تحرص على الحصول على «القصل»، من سيقان نبات القمح الجيدة، الطويلة والغليظة والمستقيمة، وهي الجزء العلوي من النبتة الخالي من العقد (جرادات ٢٠١٤م: ٢٣٢؛ طبازه ٢٠١١م: ٩٢). وكان لهن حرية اختيار القصل من أي بيدر، بغض النظر عن مالكة، ومن غير اعتراضه. ومع الغروب تعود النساء إلى البيت، بحزم من القصل التي قمن بجمعها، حيث تربط بشكل حزم وتعلق على جدار البيوت، وذلك حتى انتهاء موسم البيدر، والانتهاء من جميع أعمال الغرلة وخزن المونة وغيرها من الأعمال الأخرى. وفي أوقات الشتاء يكون لدى النساء عادة متسع من الوقت للقيام ببعض الأعمال الأخرى مثل صناعة القصل، لصنع بعض الأواني أو الأشياء التي تستخدم في الحياة اليومية، مثل الطبق والمنسفة والمكفية (المغمقان) والقبعة، ومن الأدوات المستخدمة في هذه الصناعة الخرز<sup>(٢)</sup> والميجنة<sup>(٣)</sup> (المدقة).

(١) القصل، مفردها قصلة، يقصد بها هنا الجزء العلوي، الممتد من العقدة العلوية في الساق وحتة السنبل، المجوف والخالي من العقد من سيقان نبات القمح جيدة النمو. وهذه يتراوح طولها عادة بين ٣٠-٥٠ سم، وسمكها يتراوح حول ٢-٤ ملم، وهي تكتسب، بعدما يجف النبات، لوناً ذهبياً ولمساً صقيلاً. ويختلف عن القصل الذي يعني العقد في ساق نبتة القمح، التي تستخدم وقوداً للطوابين، الذي تم توضيحه في الهامش رقم ٢.

(٢) قضيب معدني صغير طوله نحو ١٠ سم، مدبب من أحد طرفية، وطرفه الثاني مقبض يلف بقطعة قماش، أو قطعة من الخشب.

(٣) الميجنة مطرقة خشبية، تصنع من قطعة أسطوانية الشكل، مثقوبة من الوسط لتثبيت المقبض، وهو أيضاً عصا خشبية.

الأطباق : يصنع الطبق على شكل قرص دائري مسطح ، ويختلف حجمه بحسب وظيفته . فهناك الأطباق التي تصنع لتقسيم العجين ورقه قبل خبزه ، وهذه تكون صغيرة نسبياً ، في حين تكون الأطباق المعدة للطعام أوسع ، خاصة تلك الأطباق التي تصنع للضيوف (١) .



طبق العجين و طبق السفرة

المنسفة : إناء يشبه الصحن الواسع ، تستخدم لوضع الخبز بعد خبزه ، أو عند تقديم الطعام ، وهي تشبه الطبق ، إلا أن لها حوافاً مرتفعة .



قبة

مكفية (مغفان)

منسفة

(١) تستخدم هذه الأطباق لوضع الصحن وغيرها من أواني الطعام للضيوف فقط . وهي تكون متقنة الصناعة ومزينة بالفصل الملون . وكان الناس يتباهون بكبر هذه الأطباق دلالة على كرمهم وكثرة ما يقدمون عليها من أصناف الطعام .

المكفية (المغمقان): إناء عميق من القصل ، تشبه بشكلها نصف الكرة تقريباً . وهي تستخدم لنقل الحبوب أو ما شاكلها ، وتحمل فوق الرأس . وتعرف في مناطق أخرى باسم «الجونة»  
 القبة: إناء صغير من القصل ، كروية الشكل تقريباً ، فوهتها ضيقة نسبياً ، وكانت تستخدم لنقل الحبوب بكميات قليلة ، أو لحفظ بعض الأشياء في المنزل ، مثل البيض وبعض المأكولات مثل الفواكه الجافة ، كما كان لها استخدامات عديدة تخص سيدة البيت .

تبدأ عملية صناعة الأواني بنقع كمية من القصل الذي سوف يستخدم للف بالماء حتى يلين ولا يتكسر في أثناء العمل ، وعند بدء العمل تحزم المرأة بيدها مجموعة من القصل ، لتكون بمثابة الحشوة ، ولا يشترط أن تكون منقوعة بالماء ، ثم تلف حولها القصل المنقوع بحيث تغطي الحشوة التي تصبح بشكل الحبل . وتقوم بتدوير هذه اللفافة حول بعضها وتثبيتها ببعضها من خلال غرز القصلة الخارجية ، وهكذا تثبت اللفافات المتتالية ببعضها بعضاً . ووفقاً لتصميم الشكل المراد صناعته يتم توجيه اللفافات أولاً بأول ، فإذا كان المقصود صناعة طبق مستو فيراعى أن تكون اللفافات بجانب بعضها بعضاً ، وإذا كان المراد صناعة مكفية أو منسفة أو قبة فيراعى أن تكون اللفافات فوق بعضها ، وهكذا (جرات ٢٠١٤م : ٢٣٢ ؛ طبازه ٢٠١١م : ٩٥) .

ومن الجدير بالذكر أن جودة ودقة صناعة هذه الأواني المصنوعة من القصل كانت تختلف وفقاً لوظيفة هذا الإناء والغاية من استخدامه ؛ فهي غالباً تصنع للاستخدامات المنزلية اليومية ، وبهذه الحالة لا يراعى في صناعتها الدقة الفائقة ، وتكون اللفافات غليظة نسبياً ، أما في حال صناعة أوانٍ لاستخدامات خاصة ، مثل طبق الطعام المعد للضيوف ، أو القبع المعدة لتحتفظ ست البيت ببعض أشيائها بها ، فتكون اللفافات رفيعة ومشغولة بدقة وبدرجة عالية من الإتقان . وهذا يتطلب جهداً أكبر ووقتاً أطول .

كانت بعض الأواني تصنع من القصل كما هو بلونه الطبيعي ، الأصفر

الذهبي ، كما كانت بعض حزم القصل تلون بألوان مختلفة ، من الصبغات الترابية المعروفة بـ(الدودة) ، وذلك لتزيين بعض الأدوات مثل القبعة وطبق الطعام ، خاصة طبق الضيوف ، التي تستخدم داخل البيت فقط . وقد يتم الاكتفاء بوضع القصل الملون على أطراف بعض هذه الأواني فقط . كما يمكن أن يلون الإناء كاملاً ، وذلك بتصميمات مختلفة يغلب عليها التصميم الهندسي ، يقوم على وحدات مثلثة أو دائرية الشكل ، على أرضية بلون القصل الطبيعي .

دخل في العقود الأخيرة القصل المصنوع من مادة البلاستيك (طبازه ٢٠١١م : ٩٣) ، وهو بألوان مختلفة ، وقد استخدم عوضاً عن القصل الطبيعي في صناعة بعض الأشياء التي يغلب عليها الدور التزييني الجمالي أكثر من الدور الوظيفي ، خاصة أن الحاجة إلى الأواني المصنوعة من القصل الطبيعي قد تراجعت أو حتى تلاشت ، مع انتفاء الحاجة بانتهاء العديد من الأعمال الزراعية ، أو مع دخول أواني صناعية غلب عليها البلاستيك .

### أدوات أخرى من أدوات الزراعة:

الشليف ، كيس من الخيش أو القنب مفتوح من وسطه من جانب واحد ، شبه الخرج ، وكان يستخدم لنقل التراب والزبل .

الخرج ، جيبان (كيسان) متقابلان ، يصنع ، كما هو العدل ، من الصوف أو شعر الماعز . يوضع على ظهور الدواب (الخيل والحمير والجمال) ، لنقل أدوات الماء والطعام وعلف الدابة ، وغيرها من الأشياء ، والخرج البسيط كان يصنع من شوالات القنب ، أما خرج الفرس أو الجمل فكان يصنع من نسيج الصوف الملون ، ويزين بشرائيب تتدلى من جوانبه وأطرافه (المجالي ٢٠٠٢م : ٥٧) .

السحاحير ، وعاءان متقابلان مصنوعان من الصفيح ، لهما قواعد وجوانب ، ومفتوحة من الأعلى ، تشبه الصناديق المفتوحة من الأعلى ، توضع على ظهور الدواب ، وكانت تستخدم لنقل الحجارة ، كما كانت تستخدم لنقل البطيخ والبندورة ، في حال تعذر وجود بكس (صناديق) الخشب .

الفأس (المنكوش) ، وهو يستخدم في أعمال الحفر ونكش الأرض واقتلاع الأعشاب خاصة الشوكية وذات الجذور القاسية والعميقة .  
الصابة (الطورية) ، وتستخدم للحفر أيضاً ونكش الأرض ، ولتسوية وتنظيف قنوات المياه في الزراعات المروية .  
القدوم ، ويستخدم في أعمال النجارة وتقطيع الأخشاب .  
الفاروعة (البلطة) ، وتستخدم في تقطيع الأخشاب وجميع أعمال التحطيب .  
الكريك ، لإزاحة التراب والزبل ، وتعبئته في الأوعية المختلفة .  
الميجنة ، وهي مدقة تصنع من الخشب ، ولها مقبض خشبي أيضاً ، وكان لها استخدامات مختلفة .  
المنخل ، لتنخيل الطحين ، وهو يشبه الغربال ، له إطار من الخشب ، وتغطي واجهته بشبكة معدنية دقيقة الثقوب .

## قائمة المصادر والمراجع

### Bibliography

#### العربية:

أبو الشعر ، هند

٢٠٠٠م ذاكرة الوطن ، شرقي الأردن في عهد الحكومة العربية والمملكة السورية ،  
صحيفة الرأي الأردنية العدد ١٠٧٣٧ ، بتاريخ ١/٢/٢٠٠٠م .

٢٠٠٢م شرقي الأردن في عهد الحكومة العربية الفيصلية (أيلول ١٩١٨م- تموز  
١٩٢٠م) ، بحث مقدم إلى الملتقى الثقافي العاشر ، وزارة الثقافة ٢٠٠٢م ،  
ص ٤٠٥-٤٢٨ ، في كتاب (أعمال الملتقى الثقافي العاشر) ، مجلد ٢ ،  
منشورات وزارة الثقافة الأردنية .

١٩٩٥م إربد وجوارها (ناحية بني عبيد) ١٨٥٠-١٩٢٨م . منشورات جامعة آل  
البيت وبنك الأعمال ، عمان .

ابن الأثير ،

١٩٨٧م الكامل في التاريخ ، المجلد الثاني ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي ،  
الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية ، بيروت .

أبو فخر ، فندي

٢٠٠٥م خليل رفعت الحوراني ، تاريخ حوران ودعوته النهضوية في أرياف بلاد  
الشام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، متوافر على شبكة الإنترنت :  
(www.awu-dam.org)

البخيت ، محمد عدنان

٢٠١٠م ناحية بني كنانة شمالي الأردن في القرن العاشر الهجري - السادس  
عشر الميلادي ، مكتبة الأسرة الأردنية ، القراءة للجميع ، منشورات وزارة  
الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية .

٢٠٠٨م دراسات في تاريخ بلاد الشام (الأردن) ، منشورات وزارة الثقافة ،  
عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية .

- البخيت ، عدنان و جان-بول باسكوال  
٢٠١٣م أطلس الأردن - التاريخ ، الأرض والمجتمع . تحرير مريم عباسية .  
منشورات مركز الإفبو (Ifpo)  
الحجاج ، وائل و النعامنة ، محمود  
٢٠١٦م الكوادر في قرية النمته - محافظة الطفيلة حتى نهاية القرن العشرين :  
دراسة إثنوآركيولوجية . المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، عمادة البحث  
العلمي/الجامعة الأردنية ، المجلد ١٠ ، العدد ١ : ١٠٧-١٣٢،  
الحوري ، نوال  
١٩٩٢م الحفر الأثرية واستعمالاتها في موقع تل أبو حامد خلال الألف الرابع  
قبل الميلاد ، دراسة إثنو - أثرية مقارنة مع قرية أبو سيدو . رسالة ماجستير  
غير منشورة ، معهد الآثار والأنثروبولوجيا ، جامعة اليرموك - إربد .  
جرادات ، إدريس محمد صقر  
٢٠١٤م واقع الصناعات القشية الشعبية التراثية بين الأصالة والانتماء أو  
الطمس والاندثار ، ص : ٢١٩-٢٦٣ في كتاب التراث الشعبي  
الفلسطيني في محافظة نابلس . جامعة القدس المفتوحة ، موسوعة التراث  
الشعبي الفلسطيني/ العدد الرابع . الإشراف العام والتحرير حسن  
سلوادي .  
٢٠١١م المصنوعات الشعبية التراثية من تربة الريف المقدسي وطينته ، ص :  
١١٩-١٥٠ في كتاب التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف  
هوية وانتماء . جامعة القدس المفتوحة ، موسوعة التراث الشعبي  
الفلسطيني/ العدد الثاني . الإشراف العام والتحرير حسن سلوادي .  
الشريدة ، أيمن إبراهيم حسن  
١٩٩٧م ناحية الكورة في قضاء عجلون (١٨٦٤-١٩١٨م) ، طبع بدعم من وزارة  
الثقافة ، عمان الأردن .



الصوافي ، طالب

٢٠١٣م الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية «منطقة الخليل نموذجًا» ،  
ص: ١٠٧-١٣٤ في كتاب التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة  
الخليل . جامعة القدس المفتوحة ، موسوعة التراث الشعبي الفلسطيني/  
العدد الثاني . الإشراف العام والتحرير حسن سلوادي .

صغير ، علي

٢٠١٧م المِخْرَاطُ العَرَبِيُّ من أرشيف البروفيسور علي صغير . ترجمة لمقال  
شوماخر المنشور في مجلة (ZDPV 1889: 157-166) موقع «المدار»  
الإلكتروني : بتاريخ ٢٠١٧/٣/٩ م ، <http://www.almadar.co.il/> ،

القسوس ، نجيب سليمان

١٩٩٤م ملامح من التراث الشعبي في محافظة الكرك . منشورات جامعة مؤتة .  
قازان ، صلاح يوسف

٢٠٠٢م عمان في مطلع القرن العشرين السجل الشرعي الأول لناحية عمان  
١٣١٩-١٣٢٦ هـ / ١٩٠٢ - ١٩٠٨ م ، دراسة و تحقيق . مكتبة الأسرة  
الأردنية ، القراءة للجميع ، منشورات وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية  
الهاشمية .

محمود ، عبدالعزيز وأحمد العموش وميشيل بيفرس وفرانسوا دبليور  
١٩٩٧م قرية محي ، دراسة سوسيو-أنثروبولوجية . منشورات جامعة مؤتة ،  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا (٤٧) .

علي ، محمد كرد

١٩٢٥م خطط الشام الجزء الرابع ، مطبعة الترقى بدمشق .

غوانمة ، يوسف درويش

١٩٨٢م التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي ، دار الفكر للنشر  
والتوزيع ، عمان ، الطبعة ٢ .

- السواريه ، نوفان رجا الحمود  
١٩٩٦م عمان و جوارها خلال الفترة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م - ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م ،  
عمان ، منشورات بنك الأعمال ،  
المجالي ، فراس دميثان  
٢٠٠٢م السجل المصور للتراث الشعبي الكركي . كتاب الشهر (٤٩) ، سلسلة  
ثقافية تصدرها وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية .  
منصور ، جوني  
٢٠٠٨م الخط الحديدي الحجازي تاريخ وتطور قطار درعا - حيفا . مؤسسة  
الدراسات المقدسية .  
٢٠٠٦م دور سكة حديد الحجاز في تطوير حيفا ، مجلة الدراسات الفلسطينية ،  
مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، مج ١٧ ، عدد ٦٥ : ١ - ١٧ ،  
عبيدات ، سليمان  
١٩٨٤م التطور الحضاري لقضاء بني كنانة في محافظة إربد من عام ١٩٠٠ -  
١٩٨٤م ، عمان ، جمعية المطابع التعاونية .  
١٩٩٢م كفرسوم وذكريات الماضي الجامعة الأردنية ، عمان .  
عبيدات ، ضيف الله  
٢٠١٠م الطوابين في منطقة شمال الأردن : دراسة أثرية اثنوآركيولوجية ، المجلة  
الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد ٤ ، العدد ٤ : ١٧١ - ١٩٨ ،  
٢٠١٣م مواعيد إعداد الخبز الطينية (الأفران) ، مجلة الثقافة الشعبية ، العدد ٢٦ ،  
السنة السابعة صيف ٢٠١٤ : ١٧٢ - ١٩١ ،  
طبازة ، نمر خليل  
٢٠١١م دراسة توثيقية للحرف اليدوية التقليدية الأردنية ، مكتبة الأسرة  
الأردنية ، القراءة للجميع ، منشورات وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية  
الهاشمية .

أحمد بن يحيى البلاذري ، كتاب فتوح البلدان 9th century

مندراوي ، محمود

٢٠١٤م الزراعة في مصر الفرعونية ، بحث منشور على النت ، الموقع : الصورة من  
بحث منشور على النت موقع :

(<http://www.civilizationguards.com/2014/06/agriculture-in-pharaonic-egypt.html>)

الموقع الإلكتروني للجمعية الملكية لحماية الطبيعة :

(<http://www.rscn.org.jo/ar/>) ، تاريخ ٢٠١٦م

موقع وزارة الداخلية الأردنية بتاريخ : ١٤/١١/٢٠١٦م

(<http://moi.gov.jo/Pages/viewpage.aspx?pageID=311>)

معجم المعاني الجامع (<http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>)

موسوعة المعرفة الإلكترونية : (<http://www.marefa.org/index.php>)

الأجنبية:

**Al-Issa, Talal A. and Samarah, Nizar H.**

2006 Tillage Practices in Wheat Production under Rainfed Conditions in Jordan: An Economic Comparison. World Journal of Agricultural Sciences 2 (3): 322-325.

**Bar-Yosef, O. and Gopher, A.**

1997 The Archaeology of Netiv Hagdud (Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, Harvard University, Cambridge, MA.

**Bastert, K. und Hockmann, D.**

2009 Tell Johfiyeh Die Keramik des Tiefschnitts (eine quantitative Analyse). Ugarit-Forschungen 40, 2009, 65-127.

**Bender, F.**

1974 Geology of Jordan. Gebru"der Borntra"ger, Berlin.

**Burckhardt, J. L.**

1822 Travels in Syria and the Holy Land (London; reprint New York 1983).

**Dollfus, G. and Kafafi Z.**

2007 The Ceramics of the Late Neolithic and Chalcolithic: Abu Hamid and the Burnished Tradition, Paléorient , 2007, V. 33 Nu. 1: 51-76.

**Finlayson B, et al.**

2003 Dhra? excavation project, 2002 interim report. Levant 25:1-38.

Fisher, W.B., Bowen-Jones, H., Atkinson, K., Beaumont, P., Smith, K. and Stevens, J.H.

1968 Soil and Land Potential Survey of the Highlands of North-West Jordan. University of Durham, Durham UK.

**Garfinkel, Y.**

1987 Yiftahel: A Neolithic Village from the Seventh Millennium B.C. in Lower Galilee, Israel. Journal of Field Archaeology 14: 199-212.

**Kenyon KM, and Holland TA**

1981 Excavations at Jericho (The British School of Archaeology in Jerusalem, London), Vol. III.

**Kuijt, I.**

2008 Demograph and Storage Systems During the Sothern Levantine Neolithic Domographic Transition, In Jean-pierre Bocquet -Apple, Ofer Bar-Yosef (ed): The Neolithic Demographic Transition and its Consequences, Springer

Science + Business Media, Vol.3.

**Kuijt, I and Finlayson, B.**

2009 Evidence for Food Storage and Pre-Domestication Granaries 11.000 Year ago in the Jordan Valley, PNAS, Vol.106, No.27.

**Lamprichs, R.**

2002 "Tell Johfiyeh: An Archaeological Site in Northern Jordan. A preliminary report on the 2002 field season", in Lamprichs, R., Kulla, A. (Hrsg.), Occident & Orient , Newsletter of the German Protestant Institute of Archaeology in Amman Vol. 7, No. 2, 2002, S. 1-4

**Rollefson, G. O.**

1989 The Late Aceramic Neolithic of the Levant: A Synthesis. Paleorient 15(1): 168-173.

**Rollefson, G. O., A. H. Simmons and Z. Kafafi**

1992 Neolithic Cultures at Ain Ghazal, Jordan. Journal of Field Archaeology 19: 443-470.

Schmidt M., Lucke; Bernhard, R. Baeumler; Z. al-Saad; B. al-Qudah; A. Hutcheon

2006 The Decapolis region (Northern Jordan) as historical example of desertification? Evidence from soil development and distribution. Quaternary International 151. Special Issue, I. Dark nature: responses of humans and ecosystems to rapid environmental changes, 74-86. Available online at WWW.sciencedirect.com.

**Schumacher, G.**

1889 Abilla of the Decapolis. London

1889 Der arabische Pflug. Zeitschrift des Deutschen - Pal?stina Vereins XII: 157-166.

1890 Northern 3Ajl?n, "Within the Decapolis" (London).

1897 Das s?dliche Basan. Zum ersten Male aufgenommen und beschrieben,  
Zeitschrift des Deutschen Pal?stina-Vereins 20, 65-227.

1924 Karte des Ostjordanlandes, Im Auftrag des Deutschen Vereins zur  
Erforschung Palästinas aufgenommen (Leipzig).

**Seetzen, J.**

1854-59 Reisen durch Syrien, Palästina, Phänicien, die Transjordan-Länder,  
Arabia Petraea und Unter Aegypten. Herausgegeben und commentirt  
von Professor Dr. Fr. Kruse, I-IV (Berlin).

**wilford M. hess,**

2000 recent notes about olives in antiquity. BYU studies 39 no 4.

**Recep Efe, Abdullah Soykan, Isa, Curebal and Suleymn Sonmez**

2011 Olive and olive oil culture in the Mediterranean Region: Environment  
and Ecology in the Mediterranean Region, Edition: 1, Chapter: 5,  
Publisher: Cambridge Scholars Publishing, Editors: R. Efe, M. Öztürk,  
S. Ghazanfar.

## الصرة الهمايونية للقبائل العربية الموجودة على طريق الحج ضمن مناطق الأردن الحالي في القرن التاسع عشر الميلادي

محمد عبد القادر خريسات (\*)

رابعة مزهر شاكر (\*\*)

الصرة أعطيات نقدية وعينية يقدمها السلطان العثماني عند سفر قافلة الحج المصري والشامي إلى الحجاز، وتمنح إلى زعماء القبائل الموجودين على طريق الحج وإلى العلماء والفقراء، وبعض أهالي الأماكن المقدسة، مثل القدس والخليل، إضافةً إلى مكة والمدينة.

وقد اختلفت أهداف إرسال الصرة باختلاف متلقيها، فالصرة الموجهة إلى زعماء القبائل التي كانت تسكن بالقرب من طريق الحج، وعليها درك الحاج؛ أي حراسته خلال موسم الحج، كانت من أجل عدم تعديهم على قوافل الحج، أما ما كان يوزع على العلماء فكان من أجل كسب ودهم ومناصرتهم للدولة، وكانت هذه الأعطيات تشتد وتزداد في أوقات الأزمات التي كانت تمر بها الدولة العثمانية.

وأما الفقراء، فقد كانت أعطيائهم قليلة توزع على مجاوري الأماكن المقدسة الإسلامية، وعلى منازل الحج.

وبخصوص بداية نشأة الصرة، فليس لدينا ما يشير إلى بداية استخدام هذا

---

(\*) أستاذ، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.

(\*\*) باحثة عراقية، الولايات المتحدة الأمريكية.

المصطلح في الدولة الإسلامية ، ولكن إذا كانت الصرة تعني توزيع الأعطيات على سكان مكة والمدينة ، فيعدّ الخليفة المهدي العباسي أول من سنّ ذلك عندما حج في سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م ؛ إذ يذكر الطبري<sup>(١)</sup> أن المهدي قسم في هذه السنة مالا عظيماً على أهل مكة والمدينة بلغ نحو ثلاثين ألف درهم ، ووصل إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فقسم ذلك كله ، وفرّق من الثياب مائة وخمسين ألف ثوب ، ووسع في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

أما الخليفة الثاني ، فهو الرشيد (ت ١٩٣هـ/٨٠٩م) ؛ فقد وصفه المسعودي<sup>(٢)</sup> بأنه كان مواظباً على الحج ، متابعاً للغزو ، واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور في طريق مكة ، وأظهر ذلك بها ، وببنى من عرفات ، ومدينة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فعمّ الناس إحسانه .

وفي إشارة ثالثة إلى أن إرسال العطايا لأهل الحرمين قد بدأت زمن الخليفة العباسي المقتدر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ، كما أن الفاطميين أرسلوا الأموال إلى الحرمين ، وخصصوا لهذا الغرض (١٢٠) ألف دينار سنوياً ، وارتفع هذا المبلغ زمن الوزير اليازوري إلى (٢٠٠) ألف دينار<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن الأمر استقر بعد الفاطميين على الإرسال السنوي من قبل الأيوبيين والمماليك والدولة العثمانية فيما بعد .

ولسنا هنا في مجال تتبع الأمر زمن الأيوبيين والمماليك ، ولكن لا بد من

(١) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٧م ، ج ٨ / ١٢٣ .

(٢) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعان الجواهر ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٣م ، ٤ / ٣١٦ .

(٣) سويلة ، سليمان شفيق ، مز أوغلي ، رحلة إلى بلاد الشام (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م) ، دراسة وترجمة فاضل مهدي البيات ، جامعة آل البيت ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٧ .



الإشارة إلى الحقبة القريبة من السيطرة العثمانية على المنطقة ؛ إذ يذكر ابن الحمصي<sup>(١)</sup> «أنه في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م طلب السلطان المملوكي قانصوه الغوري ، كبار العربان ، وأحسن إليهم ، وخلع عليهم ، ودركهم الحاج ، ورتب لهم (١٤) ألف دينار صرراً في كل سنة ، ورسم بمائة مملوك من أمراء دمشق صحبة الحاج» .

«وكانت العربان قبل ذلك قد اجتاحت المرج القبلي من دمشق ، فطردوا ؛ لما حصل منهم من المفاصد والأذى للمسلمين»<sup>(٢)</sup> .

والقوة البدوية التي التجأ إليها الماليك في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي هم بنو لام ؛ إذ يذكر ابن طوق<sup>(٣)</sup> ، «أن عرب بني لام قالوا للعثمانيين في سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م : لا تحملوا همماً من هنا إلى الحجاز ، لو راح لكم عقال علينا . وأعطاهم الرومي ألف دينار ، وخلع عليهم» . والرومي هو السلطان العثماني . وهذا يدل على أن العثمانيين أدركوا أمر مسألة حماية قوافل الحجاج قبل أن يحتلوا بلاد الشام ومصر .

ويدلّ هذا النص على اهتمام العثمانيين بإرسال الصرة إلى القبائل القاطنة جوار طريق الحج ، وليس فقط بإرسال المبالغ إلى الحرمين ؛ إذ يذكر جارشلي أن أول من أرسل الصرة بايزيد يلدرم (ت ٨٠٥هـ/١٤٠٢م) وابنه محمد جلبي وابنه مراد (ت ١٤٥١م) ، فقد أرسل إلى مكة والمدينة والقدس وخليل الرحمن صرة

---

(١) ابن الحمصي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأعيان ، تح عمر عبد السلام التدمري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ٢٧٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٨/٢ .

(٣) ابن طوق ، شهاب الدين أحمد ، التعليق ، تح الشيخ جعفر المهاجر ، المعهد الفرنسي ، دمشق ، ٢٠٠٠م ، ٤٠٤/٤٠٤ .

مقدارها (٣٥٠٠) فلوري<sup>(١)</sup>، وفي سنة ١٤٥١هـ/١٤٥١م أرسل (٨٠١) كيس ، كل كيس يساوي ١٣٠ ألف أقيجة ، وانخفض فيما بعد إلى ٢٠ ألف أقيجة ، ثم ارتفع في منتصف القرن السادس عشر إلى ٤٠ ألف أقيجة<sup>(٢)</sup> .

وبعد فتح القسطنطينية أرسل محمد الفاتح الصرة ، وكان الفاتح قد أرسل رسالة البشرية بالفتح إلى أهل مكة ، ومع الرسالة هدية لأمير مكة الشريف بركات بن حسن بن عجلان مقدارها (٢٠٠٠) قطعة ذهبية ، وأرسل من مال الغنائم (٧٠٠٠) قطعة ذهبية لتوزيعها على الأشراف والمحتاجين بمكة والمدينة<sup>(٣)</sup> . كما أصلح آبار المياه على طريق الحج ، بما كان أحد الأسباب التي أدت إلى تدهور العلاقات العثمانية المملوكية<sup>(٤)</sup> .

وما إن تم فتح بلاد الشام ومصر حتى عين السلطان سليم أول أميراً للصرة ، وذلك في سنة ١٥١٧هـ/١٥١٧م ، وهو الأمير مصلح الدين ومعه اثنان من

(١) الفلوري تساوي ٣٨ أقيجة .

(٢) جارشلي ، إسماعيل حقي ، أشراف مكة وأمرائها في العهد العثماني ، ترجمة خليل مراد ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٤هـ ، ص ٣٨ .

(٣) انظر : العز بن فهد ، عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي ، غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام ، نخ فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى ، ١٩٨٦م ، ٥/٣ وما بعدها ؛ شافعي ، لمياء أحمد عبدالله ، الصرة العثمانية ، الموجهة إلى مكة (٧٩١-١٣٨٩هـ/١٥٦٦م) بحث مقبول للنشر ، مجلة جامعة أم القرى ، ١٢ ؛ قورشون ، زكريا ، الدعم اللوجستي وتأمين طرق الحج (الترميم والحفاظ على الآبار والقلاع الموجودة على طريق الحج بين الشام والمدينة المنورة في القرن التاسع عشر) بلاد الشام في العهد العثماني (بحوث الندوة الدولية المنعقدة بدمشق ٢٦-٣٠ أيلول ٢٠٠٥م ، أرسیکا ، استانبول ، ٢٠٠٩م ، ص ٤٣ .

(4) Sehabettin Tekindag, Fatih Devrinde Osmann Mamlülü Münasebetleri, Istanbul Üniversitesi Edebiyat Fkültesi, Tarih Dergisi, Sayi: 30 (Mart 1976), p. 77.

العلاقات العثمانية المملوكية في عصر السلطان محمد الفاتح .

القضاة ، وأرسل ٢٠٠ ألف فلوري ذهب وحبوب إلى الشرفاء والمشايخ والفقراء في مكة والمدينة<sup>(١)</sup> .

وبذلك يكون السلطان سليم الأول ، أول من أدخل الصرة ضمن المهام السياسية للدولة ورصد المبالغ لها بعد أن أرسل شريف مكة أمانات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومفتاح الكعبة ، ودعا له في الخطبة باسم خادم الحرمين الشريفين . وبعث السلطان سليم بالإضافة إلى الصرة النقدية سبعة آلاف أردب من الحبوب ، منها خمسة آلاف لأهالي مكة وألفان لأهالي المدينة<sup>(٢)</sup> وأطلق عليها أهل الحرمين الصدقات الرومية ، وفي بعض الأحيان «الصدقة السلطانية» والإكرامية والإنعامية للبدو ، شريطة تأمين الطريق التي يبلغ طولها ١١٥٠ كيلومتراً ، وتحتاج الإبل لقطعها إلى ما بين ٢٤٥ - ٣٥٠ ساعة ، أو على الأقل أن لا يقطع البدو الطريق<sup>(٣)</sup> . ولم يقتصر ذلك على القبائل ، بل امتدت الصرة والهبات إلى حراس القلاع ، وإن كانت تعطى بصورة مشروطة ، ففي عام ١٧٧٦ - ١٧٧٧م جاء في إحدى الوثائق أنه يخصص سنوياً إلى عبدالله وإبراهيم أولاد أبي بكر وحرس قلاع معان ومن تبعهم مقابل إسقاط دم أبيهم ، وتقطع عنهم هذه الصرة إذا خالفوا الأوامر وقاموا بالفساد ، وتعطى إليهم صورة هذا الكتاب المبلغ المذكور فيه<sup>(٤)</sup> . ومنذ ذلك الوقت أصبحت وظيفة صرة أميني (أمين الصرة) من الوظائف المعتبرة في الدولة العثمانية ؛ حيث كان يُختار صاحبها من ذوي الرتب العالية من العسكر أو من الموظفين الإداريين وعلماء الدين المشهود لهم بالتدين والصدق والخلق الرفيع ، ويرافقه عدد من الحراس

(١) جارشلي ، أشرف مكة ، ص ٣٩ .

(٢) سويلة ، الرحلة ، ص ٦٩ .

(٣) قورشون ، الدعم اللوجستي ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٤) الأرشيف العثماني ، رئاسة الوزراء / استانبول HMK. EV 2422. SR ؛ قورشون ، الدعم اللوجستي ،

والمرافقين والكتبة ، وتُرسل الصرة باحتفال مهيب يسمّى صرة الآبي (عرض الصرة)<sup>(١)</sup> .

وكانت الحبوب والدشيشة (الحنطة النظيفة) تقدم من أوقاف الحرمين ، والجزء الأعظم من أموال الجزية المأخوذة من غير المسلمين ، تحت اسم صدقات جوالي SadakatCevalli ، واستمر تخصيص ذلك باستمرار منذ عهد سليمان<sup>(٢)</sup> .

والواقع أن اهتمام السلطان سليم بإرسال الصرة إلى الحرمين كان قبل سيطرته على بلاد الشام ومصر ، وجاء أن سليم أرسل صرة مقدارها (٦٠) ألف دينار ذهبي في سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م<sup>(٣)</sup> . وكتب السلطان سليم إلى طومان باي حاكم مصر بعد مقتل قانصوه الغوري رسالة قال فيها : أنا أولى منك بخدمة الحرمين الشريفين<sup>(٤)</sup> . ولم يقتصر إرسال الصرة على الحرمين ، بل أرسلت أيضاً إلى الأعراب (البدو)<sup>(٥)</sup> .

وكانت الصرة في البداية ترسل من مصر ، واستمر ذلك حتى سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م ؛ حيث أصبحت ترسل من بلاط السلطان ضمن مراسيم معينة ، ويحمل الأمين معه كتاباً إلى أمير مكة وفق مراسم معينة أيضاً ، وعند العودة يعود ومعه كتاب إلى السلطان بالعربية<sup>(٦)</sup> .

(١) قورشون ، الدعم اللوجستي ، ص ٧٤ .

(٢) جارشلي ، أشراف مكة ، ص ٤١ .

(٣) العز بن فهد ، عبد العزيز بن عمر الهاشمي ، بلوغ القرى في ذيل إنحاف الوري بأخبار أم القرى ، تخ صلاح الدين بن خليل وآخرون ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ٣/٢٠١٩ .

(٤) ابن إياس ، محمد بن أحمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تخ محمد مصطفى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ٥/١٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ٥/٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ص ٣٥٥ .

(٦) جارشلي ، أشراف مكة ، ص ٧٣ .

ولأجل حماية الصرة وقوافل الحجاج من تعديات الأعراب عليهم قامت الدولة بتخصيص أموال نقدية وعينية لهؤلاء البدو أطلق عليها اسم صرة العربان ، بلغت في أوائل القرن الثامن عشر نحو (٢٠) ألف قرش (١) .

وكان دفع الصرة لبعض البدو ، وعدم دفعها للآخرين كثيراً ما يثير حفيظتهم ضد الدولة ، فقد ذكر الخياري (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) أن عرب المفارحة كانوا لا يأخذون الصرة ، فهاجموا الحجاج لعدم دفع الصرة لهم ، وطلبوا مائة ألف من الذهب الأحمر من الحجاج ، واستقر الوضع على دفع ٣٣ ألف قرش أسدي جمع من الحجاج وسلم إلى البدو (٢) .

وفي كثير من الأحيان كان البدو يعتبرون المخصصات والمدفوعات الواردة حقاً لهم ، وعلى الرغم من أخذ هذه المخصصات في كثير من الأحيان ، فإن بعضهم كان يواصل الهجمات على القوافل من أجل الحصول على أموال أكثر ، بل ويدخلون في مفاوضات ، إن لم تسفر عن تحقيق رغباتهم يغيرون على القوافل ينهبون ويقتلون دون هوادة .

ففي سنة ١٨٢٥م اشتكى الحجاج على أمير الحج/ والي الشام مصطفى باشا وعلى أمين الصرة لأنهم أتعبوا الحجاج ، ولم يقدموا الكفاية المطلوبة ، ولا أرضوا العربان ليكفؤا شرهم عن الحجاج ، فأرسلت الدولة لجنة لمحاسبة أمير الحج عن الأموال التي أخذها ، وعُزل عن الشام (٣) .

واستمرت الدولة العثمانية في تقديم الصرة إلى سنة ١٩١٥م ، وهي السنة التي سبقت ثورة الحسين بن علي ١٣٣٤هـ/١٩١٦م في أثناء الحرب العالمية

(١) جارشلي ، أشراف مكة ، ص ٨٤ .

(٢) الخياري ، إبراهيم عبد الرحمن (ت ١٠٨٣هـ) ، الرحلة ، تح رجاء محمود السامرائي ، وزارة الثقافة/ بغداد ، ص ٨٤ .

(٣) الشهاب ، حيدر أحمد ، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، تح أسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ، ١٩٨٩م ٣/٧٧٩ .

الأولى ، وآخر السلاطين محمد وحيد الدين الذي أمر بوقف الصرة المرسله إلى أمير مكة وإلى القبائل الذين أسهموا في ضرب الجيش العثماني ، لكنه عاد وأمر بإرسال الصرة<sup>(١)</sup> ، وربما أنها كانت لأهل الحرمين فقط وليست للقبائل التي حاربت ضد العثمانيين ، هذا مع العلم أن القبائل التي كانت على طريق الحج ، سواء كان الشامي أو المصري ، لم تقف موقفاً واحداً تجاه الدولة العثمانية ، بل في غالبها انقسمت قسمين ؛ قسم حارب ضدها ، وقسم كان إلى جانبها ولو عاطفياً . فعلى سبيل المثال كان الحويطات عرب التوايهة نحو ١٥٠٠ خيمة مع الثورة العربية الكبرى ، في حين كان الجازي نحو ١٠٠٠ خيمة مع العثمانيين ، ومنهم في منطقة معان نحو ٥٠٠ خيمة ، ومعهم في الجنوب النعيمات وكانوا نحو ٨٠٠ خيمة ، والحجايا نحو ٦٠٠ خيمة ، وبنو عطية على سبيل المثال كانوا يخيّمون إلى الشرق من سكة الحديد إلى جهة الجوف ، والحويطات إلى غرب السكة إلى جهة البحر<sup>(٢)</sup> .

ولم يقتصر تقديم الصرة على المبالغ النقدية ، فقد كانت الدولة قد عينت أميناً للخلع ، يحمل فرو السمور المخصص للوزراء إلى أمير مكة ، وهو بمثابة البشري للبقاء في المنصب ، وبقيت حتى سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م حيث استبدل الفرو بالخلعة الهروانية ذات اللون الأخضر الرمادي ، بالإضافة إلى المناديل والحريير والأحذية والملاعق . . . وغيرها كما سنرى<sup>(٣)</sup> .

أما أموال الصرة المخصصة لقافلة الحج الشامي فكانت تأتي من مال اللاذقية ، إيالة صيدا ، وكيلاز (مخازن) الحج ، وجمرك دخان الشام ، ومقاطعة حيفا ، ويافا ، وخزينة القدس ، واحتساب (حسبة) القدس ، وجزية الشام ،

(١) جارشلي ، أشرف مكة ، ص ٨٧ .

(٢) جريدة القبلة ، إعداد وتقديم محمد يونس العبادي ، عمان ، ١٩٩٧م ، ٢ / ١٩٥ .

(٣) جارشلي ، أشرف مكة ، ص ٨٨ .

وجمرك حلب ، ومال دخان حماة وحمص (١) .

ويبدو أن محمد علي باشا حاول أن يوقف إرسال الصرة من خزينة بلاد الشام ، وجاء ذلك عندما طلب محمد شريف بك والي الشام من قبل إبراهيم باشا أن تدفع الصرة من خزينة الشام ، كما جرت العادة سابقاً ، إلى عرب عنزة من أولاد علي وحسن وبني صخر وغيرهم ، فلم يوافق وذلك في ١٣ رمضان ١٢٤٩هـ/١٨٣١م (٢) .

وكان بنو صخر قد طلبوا الصرة من جردة طرابلس ، فوافق حنا البحري على ذلك ، إلا أن إبراهيم باشا اعترض على ذلك ، وقال : ليس هناك ما يوجب إعطاء عربان بني صخر مبلغ (٢٠٠) كيس (٣) . والسبب في رفض إعطاء بني صخر من الصرة الموقف العدائي الذي وقفته بنو صخر من حملة إبراهيم باشا ، وأخذهم الأموال منه لتقديم جمال لنقل الأسلحة من عكا ، وعدم تنفيذهم ذلك ، مما دفع إبراهيم باشا إلى الإيقاع بهم في منطقة الزرقاء (٤) .

وأما أموال الجردة فقد كانت تجمع من إيالة طرابلس ومنطقة نابلس والقدس والخليل وعجلون ، فمثلاً خُصص ١١٩٤٧٤ قرشاً من إيالة طرابلس لنفقات استقبال الحج (٥) .

(١) نعيمة ، يوسف ، المرجع في وثائق تاريخية عن الشام أثناء حملة محمد علي باشا ١٢٤٧-١٢٥١هـ/١٨٣١-١٨٤٠م .

(٢) رستم ، أسد ، المحفوظات الملكية المصرية ، بيروت ، ١٩٤٠م ، ٣٨٣/٢ .

(٣) محافظ الأبحاث ، محافظة ٥٨ ، ٣ الشام ، صورة الوثيقة العربية ٤ ، ٢ ذي القعدة ١٣٢٧/١٣٢٨هـ ؛ سالم ، لطيفة محمد ، الحكم المصري في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠م) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٢١٩ .

(٤) لمزيد من المعلومات ، انظر : خريسات ، محمد ، المسيحيون في قضاء السلط (١٨٦٩-١٩٢٠م) ، وزارة الثقافة ، عمان ٢٠١٢م ، ٨١/١ - ٨٢ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٤٢ .

وخارج نطاق العربان في بلاد الشام كانت الصرة تمنح لأهالي القدس والخليل ومنازل الحج ومعان والقلاع الواقعة على طريق الحج . ففي القدس - على سبيل المثال- منحت لشيخ الحرم ، والمفتي ، ونقيب الأشراف ، وخدام المسجد الأقصى ، والعلماء ، والخطباء ، وجوه العموم (مشايخ الحارات)<sup>(١)</sup> . وقد بينت دفاتر الصرة المحفوظة بالقدس الشريف ، والمصورة في مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام/ الجامعة الأردنية ، الفئات التي كانت تتقاضى الصرة بالتفصيل ، ومقسمة عدة فئات :

- الفئة الأولى : أصحاب الوظائف الدينية ، وهم (الخطباء والأئمة (المسجد وقبة الصخرة) ، والمؤذنون ، والمبلغون (مرددو التكبيرات خلف الإمام) ، وقرّاء الحرم الشريف ، وقرّاء يوم الجمعة ، وقرّاء أجزاء القرآن الكريم على أرواح السلاطين ، قرّاء أجزاء القرآن الكريم على أمهات السلاطين) .
- الفئة الثانية : وتضم الكُتّاب ، وجباة الأوقاف .
- الفئة الثالثة : خُدّام الصخرة المشرفة ، وبوالي الحرم ، والصلحاء والمجاورون ، وماعة الحارات (القطانية ، وباب حطة ، والأروام المجاورون ، ومحلة باب العمود والعزائمة ، وباب الخط التحتاني قرب الحرم ، ومحلة الشرف ، وغيرها)<sup>(٢)</sup> .

وقد حاول إبراهيم باشا إلغاء مشايخ الحارات في جميع بلاد الشام ، فقال : هؤلاء المشايخ لا لزوم لهم ، ويكفي أن يمر رجالي دون أن يرافقهم أحد من

(١) خريسات ، المسيحيون ، ص ١١٤ .

(٢) لمزيد من المعلومات ، انظر : خصاونة ، أسماء جاد الله ، الصرة السلطانية المرسله إلى القدس الشريف (دراسة وثائقية) من خلال دفتر الصرة رقم ٢٩٩ لعام ١١٣٧هـ/١٧٢٤م ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، ١٠م ، ع ٢ ، ٣ (٢٠١٦م) ، ص ٢١ وما بعدها ؛ الحزماوي ، محمد ، الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف في العهد العثماني (١١١١-١٣١٧هـ/١٧٠٠-١٩٠٠م) ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، ٤م ، ع ٤ (٢٠١٠م) ص ٧٠ وما بعدها .



الأهالي . وذلك في رجب ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م<sup>(١)</sup> . ويبدو أنه لم يتمكن من ذلك لا سيما في القدس ؛ حيث تشير دفاتر الصرة إلى استمرار وجود مشايخ الحارات فيها .

وبعد الإيقاع ببني صخر من قبل إبراهيم باشا بالزرقاء ، جاء قسم منهم بزعامة حميد الخرشان<sup>(٢)</sup> ، والتجأ إلى متسلم حوران وأظهر الدخول في الطاعة والتمس العفو عما سبق ، فقبل والي الشام محمد شريف بك طاعته مقابل شروط معيَّنة في ١٩ ذي القعدة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٠م<sup>(٣)</sup> .

وفي المقابل ، فإن إبراهيم لم يقطع الصرة عن قبائل عنزة ، على الرغم من موقفها المتذبذب من حملة إبراهيم باشا<sup>(٤)</sup> . كما استدعى الشيوخ البارزين وأمر بالباسهم الخلع ، ومن هؤلاء عرب الفضل وأميرهم حسن المحمد<sup>(٥)</sup> . وبعد خروج إبراهيم باشا من بلاد الشام كان أمام الدولة العثمانية تحديات عديدة تتعلق بشؤون القبائل الموجودة على الأراضي الأردنية ، لا سيما على طريق القوافل ، وأهم هذه التحديات :

### التحديات الأمنية:

بدأ الأعراب يشكلون قوة مؤثرة على طريق الحج منذ القرن السابع عشر

(١) نعيسة ، المرجع في وثائق تاريخية ، ص ١١٤ .

(٢) وردت في الأصل الطرشان ، ولدى الرجوع إلى قوائم أنساب بني صخر لم أعثر على اسم الطرشان ، والأقرب إلى الصحة هو الخرشان أحد بطون بني صخر .

(٣) رستم ، المحفوظات الملكية ، محافظ عابدين ، ٢١١ ، رقم ٥٨ .

(٤) محافظ الأبحاث ، محفظة ١٠ ، ٦٥ ، الشام ، صورة الوثيقة العربية ١٣٠ ، ١٢ ، ذي القعدة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م .

(٥) المرجع نفسه ، محفظة ٦٢ ، ٦ ، ٧ ، الشام ، صورة الوثيقة العربية ١٢٨ ، ١٧ جمادى الثانية ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م ؛ سالم ، الحكم المصري ، ص ٢٢٠ .

الميلادي ، وقد أدرك هذا الوضع منذ أن وقعت بلاد الشام تحت سيطرتهم ، وذكر ابن كنان أن العثمانيين عينوا منذ البداية شخصاً تحت مسمى شيخ عربان الشام ؛ ليكون حلقة الوصل بينهم وبين مختلف القبائل ، بعد أن سجّلت الدولة هذه القبائل وحددت أماكنهم ، وفرضت عليها الضرائب ، ودفع الصرة للقبائل المتنفذة منهم<sup>(١)</sup> .

وجاء في سجل القدس الشرعي أن الدولة العثمانية استدعت شيخ عرب آل موسى ، وكان هؤلاء من عربان الشوبك/ الكرك سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م ، وخصصت له المرتبات الوافرة ، والتشاريف السلطانية ، والخلع السنوية ، مقابل تعهده بعدم مهاجمة قافلة الحج الشريف<sup>(٢)</sup> .

ولما افتتح العثمانيون بلاد الشام طلب السلطان سليم كبار العربان وأحسن إليهم وخلع عليهم ودركهم الحج ؛ أي قسم طريق الحج بين القبائل ، ورتب لهم (١٤) ألف دينار وصرراً في كل سنة ، كما يسم بماية مملوك تجهز من أمراء دمشق صحبة الحاج<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نلاحظ أن اهتمام العثمانيين بأمور الحجاج وتقرير الصرة لهم كان قبل أن يتجهوا إلى العلماء في مكة والمدينة والقدس وإلى سكان هذه المدن . من هنا ، كان مشايخ العربان يتقدمون إلى السلطان العثماني بطلب لمنحهم الصرة وإدخال أسمائهم في دفاترها ، وكان قد صدر مرسوم يقضي بعدم منح

---

(١) ابن كنان الصالحي ، محمد بن عيسى ، المواكب الإسلامية في الممالك والحاسن الشامية ، تخ حكمت إسماعيل ، وزارة الثقافة/ دمشق ، ق/١/٦٤ .

(٢) انظر : سجل القدس الشرعي رقم ١ ، ح ٢ ، ٢٩ ، ذي القعدة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م ، ص ٣٤٧ ؛ الجزيري ، درر الفوائد ، ٥٠٧ ؛ اليعقوب ، محمد أحمد سليم ، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، عمان ، ١٩٩٩م ، ص ٤٧ ؛ وانظر : دفتر مفصل لواء عجلون رقم (١٢٨) ، لوحة ٣٤م .

(٣) ابن الحمصي ، حوادث الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

الصرة عند شغورها إلا لمستحقيها وبعد تقصي أحوال كل واحد من المتقدمين لها<sup>(١)</sup>.

وزاد من تعقيد الأمر أن القبائل التي كانت تقيم على طريق الحج بدأت بحيازة شراء الأسلحة من مصر، مما عرض المنطقة والدولة إلى مخاطر عظيمة، فكان لا بد من إجراءات سريعة لإخضاع المنطقة الواقعة في جنوبي الأردن إلى سيطرة الدولة، وتمثل ذلك في تشكيل لواء هناك، وإنشاء خط سكة الحديد<sup>(٢)</sup>.

### التحديات المالية؛

كانت الدولة العثمانية إذا فشلت في كبح جماح البدو تلجأ إلى دفع الصرة لشيخ القبائل، وشهدت الحقبة العثمانية التعديات الكثيرة على قوافل الحج عندما تحجم الدولة عن دفع الصرة، مما كان يوقع الأذى الكبير على الحجاج، بالإضافة إلى النفقات المالية التي كانت تصرفها الدولة على الحراسة. فمثلاً، دفعت الدولة العثمانية لشيخ عشيرة المساعيد؛ الشيخ سعيغان، وكان قد أطلق عليه أمير الدربين (درب القوافل التجارية ودرب الحج) في رجب سنة ١٠١٠هـ/١٦٠١م (٢٢٠) ديناراً ذهبياً كل سنة يستلمها في عقبة أيلة، والمساعيد فخذ من بني عقبة كانوا في منطقة الكرك<sup>(٣)</sup>.

وفي التقرير الذي رفع إلى مركز الدولة العثمانية، الذي يقترح إنشاء

(١) مهمة دفترى ٣، ص ٣٩٦، حكم ١١٨٤، ١ رمضان ٩٦٧هـ/٢٦/٥/١٥٦٠م؛ البلاد العربية في

الوثائق العثمانية أواخر السلطان سليمان القانوني، ترجمة فاضل البيات، إستانبول (٢٠١٤م)،

٣١٩/٣.

(2) EnginDenizKarli, Establishment of Ma'an- KarakMutasarrifiyya (1891-1894), Dirasat,

Vol. XIII (1980), No. 1, P. 29

(٣) سجل القدس الشرعي رقم ٨٣، ح ١٥٠٥، رجب ١٠١٠هـ/١٦٠١م، ص ٨٩؛ اليعقوب، ناحية

القدس، ص ٢٦١.

متصرفية لواء معان- الكرك ذكر أنه سيوفر نحو ٣٠٠ ألف قرش تدفع كل سنة للقبائل البدوية القاطنة على طريق الحج ، بالإضافة إلى السيطرة الأمنية على القبائل<sup>(١)</sup> . فضلاً عن الرواتب الشهرية التي كانت تدفعها الدولة لشيخ بعض القبائل وكتبهم ، مثل الحمائدة ، وكان مُخصَّص له ٧٥٠ قرشاً شهرياً ، وشيخ المجالي ، وشيخ الطفيلة (العوران) ألف قرش شهرياً<sup>(٢)</sup> . وإلى شيخ بني صخر ، وغيرهم من الشيوخ .

والواقع أن الدولة العثمانية حاولت في سنة ١٨٥٦م الاستغناء عن الجردة ؛ نظراً إلى زيادة المبالغ التي كانت تخصص لقافلة الحج ، فقد كانت هذه المبالغ قبل سنة ١٨٥٩م نحو (٢٠) ألف ليرا إنجليزي ، ارتفعت بعد ذلك إلى (٧٠) ألف ليرة إنجليزية<sup>(٣)</sup> .

### التحدي الأوروبي؛

حاولت بعض الدول الأوروبية ، مثل فرنسا وبريطانيا ، الاتصال بالبدو ، وإقامة علاقات ودية معهم ، واستغلالهم لسيطرة نفوذهم ، كما فعل الفرنسيون بفتح المدارس في مناطق الدرروز على سبيل المثال ، والبريطانيون بفتح المدارس في العديد من مدن بلاد الشام . وأرسل الفرنسيون لاسكاريس ؛ قنصلهم في طرابلس في أوائل القرن التاسع عشر ، إلى مضارب عنزة في الصحراء ، مصطحباً معه ترجماناً يدعى فتح الله أنطون الصايغ ؛ لكسب ودهم ضد الدولة ، فاستقطبت الدولة العثمانية شيخ الحسنة ، ومعه العديد من عشائره ولد علي والقدعان والأسبعة والعمارات والرولة ، وشكلوا أكبر تهديد للدولة والفلاحين ،

(1) Karli, Establishment of Ma'an, op. cit., p. 31.

(2) Karli, op. cit., p. 34.

(٣) المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان (١٨٤٠-١٨٦٠م) ، تعريب فيليب الخازن

وفريد الخازن ، دار نظير عبود ، ٣٤٣/١ ، ٣٩٣ .

وعينته زعيماً على بدو الصحراء ، ولقب بأمير البدو<sup>(١)</sup> . كما استمالوا الشيخ عطائر بن سماير ولد علي<sup>(٢)</sup> .

وليس لدينا معلومات عن موقف الدول الأوروبية من النزاع الذي حصل بين بطون أكبر القبائل الأردنية في الجنوب ، وهم الحويطات ، تلك القبيلة القوية التي قدرت خيامها بعدة آلاف ، وامتدت مضاربها من العلا إلى معان والعقبة وغزة وسيناء . ونجم عن الصراع بين شيخ الجازي عبطان بن جازي ، وشيخ التوايهة ، عودة أبو تايه ، أن دُفع عودة أبو تايه إلى الهجرة إلى منطقة قرب قرية الكاف من قريات الملح<sup>(٣)</sup> .

### تحدي طريق الحج الطويل ومخاطره وتأمين وسائل النقل:

اهتمت الدولة العثمانية بطريق الحج اهتماماً كبيراً ، لكن كان أمامها تحديات الأحوال الجوية ، سواء كان ذلك في فصل الصيف عندما تجف ينابيع المياه ، ومحاولة تزويد الحجاج بالماء ، وفي سنوات الجذب والقحط ، والأمراض التي كانت تصيب الحجاج ودواب النقل ، وانخفاض درجات الحرارة في الشتاء المتمثلة في الثلوج والسيول الجارفة ، ومن هنا فكرت الدولة ومنذ حقبة مبكرة باستخدام الطريق البحري للتخفيف على الدولة وعلى الحجاج من المخاطر . لقد حاول السلطان سليمان القانوني بناء ترسانة للسفن في السويس

(١) نعيمة ، يوسف جميل ، مجتمع دمشق (١١٨٦-١٢٥٦م/١٧٧٢-١٨٤٠م) ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٦م ، ٣٢٨/١ ؛ وانظر :

Moaz, Moshe, Ottoman Reform in Syria and Palestine (1840-1861), Oxford (1968), pp. 130-138.

(٢) نعيمة ، مجتمع دمشق ، ٣٣٠/١ .

(٣) التنوخي ، عز الدين ، الرحلة التنوخية من الزرقاء إلى القريات ، تمح يحيى عبد الرؤوف جابر ، سلسلة أسفار العرب ، ١٩٨٥م ، ص ٢٣ ، ٢٥ .

واستخدامها لنقل حمولات أمير الحج المصري ، غير أن ازدياد هجمات البرتغاليين على شواطئ الجزيرة العربية وإغراقهم بعض السفن المحملة بالمواد الغذائية دفعه إل الطلب من بكلربكي مصر تعمير العقبة ، فأوعز البكلربكي إلى الشيخ عماد بن شاهين ، شيخ بني عقبة بذلك ، مقابل منحه مقداراً من الصرة على شكل مبلغ نقدي وكمية من الحبوب من المخازن الخاصة ، كما أوكل إليه مَهْمَة الاعتناء بمنازل الحج الواقعة في دركه وحراستها وتعميرها والحفاظة عليها ، ولقاء عمله هذا كان يتناول الصرة من أمير الحج المصري (١) .

وعندما انقطع الحج المصري عن طريق سيناء ، وتحول إلى طريق بحر جدة سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م كانت قبيلة الحويطات أبرز من خسر مرتبات الصرة ، ولما حاولت الحكومة المصرية تجنيدهم خرجوا إلى الحجاز ، فأرسل الخديوي من أعادهم وأعفاهم من الجندية ، وخصص للشيخ مرتبات سنوية على النحو الآتي (٢) :

المبلغ		الاسم
جنيه	مليم	
٩٨	٩٩٠	الشيخ محمد حسين جاد/ شيخ العلويين
١٢٨	١٠٠	الشيخ سالم محمد حسن رشيد/ شيخ العلويين
٥٧	١١٠	الشيخ عواد نصار جازي/ شيخ العلويين
١٣	٩٧٦	الشيخ حسن سليم/ شيخ بني عقبة
٢٥	٧٩٥	الشيخ عليان رفيع/ شيخ السواعيد (المساعد)
٥٠	٢٢٥	الشيخ خضر مقبول/ شيخ العمران
١٣	٦٦٠	الشيخ سلام هليل/ شيخ العصابين
٣٨٧,٨		المجموع
٥٦٤		

(١) البيات ، البلاد العربية في الوثائق العثمانية ، ١١٣/١-١١٤ ، ١١٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩٧ ، ٥٢٤ .

بالإضافة إلى الحبوب من فول وعدس وشعير وبقسماط وأرز .  
ويهمنا هنا تتبع أمور الصرة الهمايونية وتوزيعها على القبائل التي استقرت  
فيما بعد على الأراضي الأردنية ، كما أشرت ، ومنها قبيلة الحويطات التي  
كانت مضاربها من سيناء إلى العُلا ، وقد تقاسم درك الحج المصري كل من بني  
عطية (كان شيخهم في سنة ١٩١٠م يدعى حرب ، دركه على المحطات من تبوك  
إلى المدينة)<sup>(١)</sup> ، وبني عقبة ، وكان لهم درك العقبة- المويلح<sup>(٢)</sup> ، والحويطات وهم  
يشرفون على السوق الكبير الذي كان يقام في العقبة أيام الحج تباع فيه الأقمشة  
والمأكولات والحبوب والبنّ وقمر الدين ، ولهم جعل يدعى القرش ، وهو رطل من  
كل ما يباع في سوق نخل والعقبة وللتياها رطلان ، كما كانوا يتقاضون ٤,٥  
قرش عن رسم جمرك الحجر عن كل راس ماعز ، و٥,٥ قرش عن كل رأس  
ضأن ، و٤٣ قرشاً عن كل جمل<sup>(٣)</sup> .

وإذ قررت الحكومة المصرية استخدام طريق البحر لنقل حجاج مصر ، فإن  
الدولة العثمانية بدأت تفكر في مدّ سكة الحديد من بلاد الشام إلى بلاد  
الحجاز سميت بالخط الحديدي الحجازي .

ونحن هنا لسنا في مجال دراسة الدوافع الحقيقية وراء مد الخط الحديدي  
الحجازي بقدر ما يهمنا الخسارة التي بدأت تتكبدها القبائل التي كانت على  
طول طريق الحج الشامي ، وتمثّلت هذه الخسائر بالنواحي التالية :  
أولاً : إسهام القبائل في تأمين الجمال لقافلة الحج الشامي من دمشق حتى  
مكة والعودة ، مقابل أجور كانوا يتقاضونها .

ثانياً : الصرة التي كان يتقاضاها البدو ، ومع أن الدولة استعاضت عنها ببعض  
المرتبات ، إلا أن هذه المرتبات لم تبلغ حد المبالغ التي كانت تدفعها

(١) المقتبس ، ع ٥١٣ ، ١٩١٠م ، ص ٣ .

(٢) شقير ، نعم بك ، تاريخ سيناء القديم والحديث ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٩١م ، ص ١٠٨-١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣-٢٦٤ ، ٢٦٧ .

الدولة لهم ، بالإضافة إلى التهديد المستمر الذي كانت تمارسه القبائل إذا رفضت الدولة العثمانية دفع الصرة .

ثالثاً : الفائدة المالية التي كان يتقاضاها البدو من الأسواق التي كانت تقام للحجاج ، وفي حالة الخط الحجازي لم يبق سوى بعض المحطات التي يتوقف بها القطار .

ولا يستبعد الدور الذي أداه تجار الشام في التحريض على سكة الحديد ، فقد تأثرت تجارة قافلة الشام بازدياد استخدام الحجاج الأروام للطريق البحري إلى الحجاز ، لا سيما بعد فتح قناة السويس (١٨٦٩م) . كما أن عدداً متزايداً من الحجاج العرب والأعاجم بدأ يسافر بحراً من الخليج العربي إلى جدة<sup>(١)</sup> .

وذكر القساطلي أن أول نكبة دهمتها (أي دمشق) تسببت عن سير سفن البخار في البحار . . . ، وعندما فتحت ترعة السويس حلت بليّة عظيمة وطامة كبرى على تجارة دمشق ؛ لأنها سلبت كل ما بقي لها من التجارة البرية وفتحت باباً قريباً للحجاز ، فامتنع الحجاج عن الإتيان إليها ، فخسرت جداول الذهب الغزيرة التي كانوا يسكبونها فيها ذهاباً وإياباً<sup>(٢)</sup> .

فإذا كان هذا وضع دمشق التي بقيت قافلة الحج الشامي تنطلق منها في كل عام ، ويقام سوقها الكبير في المزيريب ، فماذا ستكون عليه حال القبائل التي كانت تخيم على طريق الحج؟ علماً أن العديد من الحجاج الأردنيين بدأوا يتجهون إلى غزة ومنها إلى قناة السويس في طريقهم إلى جدة ؛ لقلة مشقة هذا الطريق ومخاطره .

لم تمارس القبائل التعدييات على سكة الحديد في بداية إنشائها ، وربما يعود

(١) رافق عبد الكريم ، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة

دمشق ، ع ٦ ، ١٠٨١ ، ص ٢٠ .

(٢) القساطلي ، نعمان ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، بيروت ، ص ١٢٤ ؛ رافق ، قافلة الحج ،

ص ٢٠ .



ذلك إلى أن العديد من أفراد القبائل انخرطوا في العمل في مد السكة ، لا سيما تزويدهم بالمياه ، ولكنهم بعد بدء العمل استشعروا مقدار الخسارة التي لحقتهم جراء هذا الخط .

وفي سنة ١٩٠٨م بلغت الغارات على الخط ١٢٨ غارة ، ما بين قطع أسلاك البرق ونزع القضبان وإتلاف مباني المحطات ونهب المسافرين ، وقالوا سكة الحديد شيء «إفرننجي نجس» ، هددت مصالحهم في نقل الحجاج<sup>(١)</sup> .  
وإذا حرمتهم قبل إتمام الخط من نقل الحجاج ، فإن الدولة أيضاً أصدرت فرماناً مؤرخاً في ٢ رمضان ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م ومن الصدارة العظمى في ٥ رمضان بمنع بيع الأراضي على بعد ١٠ كم من جانبي الخط ، ومنع المواطنين من التحري عن المعادن قرب حدود الخط<sup>(٢)</sup> ؛ بُغية منعهم من الرعي في المناطق القريبة من الخط أو التخميم بها .

كما أشارت بعض المصادر إلى أن شريف مكة كان يشارك البدو الرأي في موقفهم من سكة الحديد ، بل وصل الأمر به إلى تحريضهم على ذلك . وقد نُقل عن رفعت باشا أمير الحج سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، وكان المحمل قد سلك الطريق السلطاني ، أنه سمع مشايخ العربان يقولون : إن الشريف أخبرهم بأن مد الخط الحديدي إلى الحجاز يمكّن الألمان من بلادهم ، وينزل الضرر بهم وبأرزاقيهم ؛ لأنه سيحرمهم من نقل الحجاج وأمتعتهم ، وهذا مصدر من مصادر عيشهم ، كما أن

---

(١) الدقن ، سيد محمد ، سكة حديد الحجاز الحميدية (دراسة وثائقية) ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٢٤٤ ؛

وانظر : وليم اوكنسوالد ، سكة حديد الحجاز ، القصة والمغامرة ، تقديم سليمان موسى ، مجلة العربي ، ع ٢٧٦ ، تشرين الثاني ، ١٩٨١م ، ص ١٤٧ ؛ الشريعة ، إبراهيم ، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي ، مجلة الدارة ، م ٣١ ، ع ٤ (١٤٢٦) ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦١ .

ذلك ينجم عنه نشر الحرية بين الناس ، فيقف السيد مع العبد جنباً إلى جنب في المقاضاة<sup>(١)</sup> .

لقد تعرضت سكة الحديد من معان إلى مكة إلى تخريبات كثيرة أكثر مما وقع على السكة الواقعة ما بين دمشق ومعان ، وربما يعود ذلك إلى تخصيص قوة عسكرية لحماية الخط الحديدي ، ودفع بعض المرتبات لشيوخ القبائل الموجودة في المنطقة ، إلا أن أحداث عام ١٩١٠م أدت إلى تخريب أجزاء عديدة من الخط ، وقتل بعض مأموريه ، ونهب الأمتعة ، وقطع أسلاك البرق ، وإطلاق الرصاص على القطارات<sup>(٢)</sup> .

وذكرت جريدة المقتبس أن الأسباب غير المباشرة لانتفاضة الدرروز وهبة الكرك عام ١٩١٠م تعود إلى قطع الدولة المرتبات المعتادة عن شيوخ القبائل<sup>(٣)</sup> ، وأكد ذلك العلاف ؛ حيث أشار إلى أن فتنة الكرك حدثت بعد أن قطعت الدولة مرتبات بني صنخر والخرشان وغيرهم من أهل الوبر ، الذين حرموا من الرواتب السنوية المقدرة بأربعة آلاف ليرا بالسطو على بعض محطات سكة حديد الحجاز على طول أكثر من ٢٠٠ كم ، ونهبوا قطاراً بحمولته ، واعتدى الكركيون بأديهم وحاضرهم على التجار والموظفين والحامية العسكرية وقتلوا ١٥٠ إنساناً ، وحرقوا الأماكن الأميرية كلها ، ونهبت خزينة الدولة ودور الموظفين<sup>(٤)</sup> .

والواقع أن معظم القبائل المجاورة للسكة ، مثل : النعيمات ، والحجايا ،

(١) رفعت باشا ، إبراهيم ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، دار الكتب

المصرية ، ١٩٢٥م ، ١/٣٨١-٣٨٢ ؛ الدفن ، سكة حديد الحجاز ، ص ٢٤٤ .

(٢) انظر : المقتبس ، ع ٥٤٤ (١٩١٠م) ، ص ٢ ؛ ع ٥٤٥ (١٩١٠م) ، ص ٢ .

(٣) المقتبس ، ع ٥٦٤ (١٩١٠م) ، ص ١ .

(٤) العلاف ، أحمد حلمي ، دمشق في مطلع القرن العشرين ، إعداد علي جميل نعيسة ، دمشق ،

١٩٧٦م ، ص ٢٧٧ ؛ كرد علي ، الخطط ، ٣/١١٠ .

والحويطات ، وأهالي معان ، والطفيلة ، وبني حميدة قد شاركوا إلى جانب بني صخر وأهالي الكرك في الهجوم على محطات سكة الحديد ، والحقيقة التي يجب إبرازها في هذا المجال أن الحركة التي حدثت في الكرك وسُميت بالهبة ، لم تكن شرارتها الأولى من أهالي الكرك ، إنما جاءت من بني حميدة بسبب قطع راتب شيخها الذي كان يتقاضى ٧٥٠ قرشاً في الشهر ، بالإضافة إلى راتب كاتبه .

ويستدل على خطورة الأحداث التي كانت عام ١٩١٠م أن أمير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف رفض الرجوع بالحج الشامي عن طريق البر ، مدعياً عدم الأمان ، وأصر شريف مكة على رجوع الحج الشامي ومحملة ، على عادته بطريق البر ، إلا أن عبد الرحمن باشا ترك الحج وسافر بحراً إلى مصر فالشام ، فتوجه ركب الحجاج عن طريق البر وعليه الشريف ناصر بن علي ليوصله إلى الشام ، وكان معه الأمير عبدالله بن الحسين<sup>(١)</sup> .

أما التخريب الثاني الذي تعرضت له سكة الحديد فكان في أثناء الحرب العالمية الأولى ، وقد حاول الحسين بن علي تعميره سنة ١٩٢٢م ، وأمر بتأليف لجنة باشرت عملها بالأردن ، وأرسل إليها (٤٠٠٠) جنيه مصري ، وبدأت في إصلاح الجسور والمنافذ ، فأتمته حتى المدينة ، إصلاحاً مؤقتاً وليس جذرياً<sup>(٢)</sup> .

### القبائل التي كانت تتقاضى الصرة والخلع على الأراضي الأردنية

ذكر التميمي النجدي بعض القبائل العربية في الأردن التي كانت تأخذ الصرة ، منها قبيلة السردية ، ووصفهم بأنهم حمال الحاج (يحملون الحاج) ، ولهم صر معلوم كانوا يتناولونه من الدولة العثمانية قبل أن تهزمهم عنزة ، من

(١) عبدالله بن الحسين ، مذكرات الملك عبدالله ، المطبعة الهاشمية ، عمان ، ١٩٧٠م ، ص ٢٨ .

(٢) الدقن ، سكة حديد الحجاز ، ص ٣٦١ .

ولد علي ، حمالة الحاج ، ولهم صر من الدولة العلية<sup>(١)</sup> .  
ولم ينقطع اهتمام الدولة العثمانية بالصرة طيلة حكمها ، وكثيراً ما ذهب  
ولاة الشام وأمراء الحج ضحايا لهذه الصرة من قبل القبائل البدوية ، ففي سنة  
١٨٢٥م مثلاً ، وردت شكوى من الحجاج على أمير الحج مصطفى باشا والي  
دمشق وأمين الصرة ، بأنهم أتعبوا الحاج ولم يقدموا الكفاية المطلوبة ولا أرضوا  
العرب ليكفوا شرهم عن الحاج ، فأرسلت الدولة قبجي باشا لمحاسبتهما عن  
الأموال التي أخذها ، وبعد التحقيق عُزل أمير الحج/ الوالي<sup>(٢)</sup> .  
ونظراً إلى الاهتمام الكبير الذي كان يبديه السلاطين العثمانيون تجاه إرسال  
الصرة ، لا سيما في أيام الأزمات التي كانت تمر بها الدولة العثمانية ، كانت  
تجري وفق مراسيم معينة وبرفقة الجند المزودين بالمدفعية خوفاً من البدو الذين  
قامت حياتهم على الإغارة على القوافل ، مما جعلهم يشكلون كابوساً للدولة  
والحجاج معاً .

وكان يشرف على الصرة مسؤول يُسمى صرة أميني (أمين الصرة) ، يرافقه  
عدد من الحراس والمرافقين يتم اختيارهم من العسكريين من ذوي الرتب العالية  
ومن الموظفين الإداريين أو من علماء الدين المشهود لهم بالتدئين والصدق والخلق  
الرفيع ، ويُرسَل باحتفاء مهيب يُسمى «صرة الأبي» ؛ أي عرض الصرة<sup>(٣)</sup> .  
وإلى جانب الصرة كان هناك علم السعادة ، والمحمل الشريف ، وعلم

(١) التميمي النجدي ، الشيخ محمد البسام ، عشائر العرب (الدرر المفاخر في أخبار العرب والأواخر) ، تم

إبراهيم أحمد علي ، الدار العربية للموسوعات (١٩٩٩) ١/١٥٣ ، ١٤٩ .

(٢) الشهابي ، حيدر أحمد ، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، تم أسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ،

١٩٦٩م ، ٢/٧٧٩ .

(٣) التنوخي ، عز الدين ، الرحلة التنوخية من الزرقاء إلى القريات (١٣٣٢-١٣٣٤هـ/١٩١٤-١٩١٦م) ،

تم محيي عبد الرؤوف جبر ، ١٩٣٥م ، ص ٧٤ .

السنجق ، وهو أسود اللون ، ومنسوب إلى الرسول ، صلى الله عليه وسلم (١) .  
 وبين أيدينا عدة وثائق تتناول دفاتر قلاع طريق الحج ، وما كان يقدم  
 للقبائل ، مثل : ولد علي ، والأخضر الذين التجأوا إلى بني صخر ، وعربان عنزة  
 من الحسنة ، وعنزة من ولد علي ، وعربان بني صخر ، وبني عطية ، ومعان ،  
 والحويطات ، والعقبة ، وجغيمان (المدورة) ، وبلي ، والشرارات .  
 أولاً : الصرة (٢) :

- صرة عربان الحسنة من عنزة ، وعددها (٢٥) صرة تراوحت بين ٢٢٠ - ٢٧٠٠ قرشاً .
- صرة عربان ولد علي من عنزة وعددها (٢٩) صرة تراوحت ما بين ٨٦ - ٨٩٩٢ قرشاً .
- صرة عربان بني صخر :

البطن	المبلغ بالقروش
١- آل موحه دبيس	٧٩٩٣٩
٢- آل مزيد	٨٦
٣- آل خليل الموحه	٣١٤
٤- بريكان	٧٨٩
٥- آل حوران	٤٥
٦- آل سعد زيدان	٣٤٤٤
٧- آل وابل (دابل)	٩٥٠٨٢ + ٣٢٥
٨- آل بريكان عبدالله سوقي	٢٥٦
٩- آل خضير	٦٧

(١) التنوخي ، الرحلة التنوخية ، ص ٧٥ .

(٢) انظر : نعيمة ، المرجع في وثائق تاريخية ، ٣٤٣ وما بعدها . محافظ الأبحاث ٧٤ ، محفظة رقم ٢٤٨ ،

ترجمة الوثيقة العربية ، ص ٣٤٢

١٣٣٤٩ + ٢٧	١٠- آل بذال
١٠٤٤	١١- بذال موعد مزحم
١١٥	١٢- ميرك سعيدان
٥٠٢	١٣- آل رشيد
٩١١	١٤- آل العنون محمد بريص
١٦٠٦٤ + ١٤٣	١٥- آل حابر
١٣٥	١٦- آل درويش
٣٥	١٧- آل محمود مثني
١١٠	١٨- آل سيف ضاحي
٢٧	١٩- آل فضول مجهم تلعب
١٦٨٢٦	٢٠- آل برادعه محمد جويزي
٢٥٩	٢١- آل دخنين
٣٨٨	٢٢- آل فضول محمد يحيى
٦٠٦	٢٣- آل زهير
١٢٣	٢٤- آل هدبا
١٨٧٢٧	٢٥- آل جوده عوض
٣٣٦	٢٦- آل عوايده
٨١٨	٢٧- آل علم قايمت (قائمة) الخوازيق
٦٨٠	٢٨- الحلبات
٣٤٥٠	٢٩- قايمت (قائمة) الخرشان
٢٤١٦٧ + ٤٥٥	٣٠- آل سيف القاضي
٢٥٢	٣١- آل غيث القاضي
٢٣١	٣٢- آل مرعي القاضي
٨٢٦	٣٣- الدهامشة مرشد عامر
٣٨٥	٣٤- آل فطيم ضوحي

٢٦٣٤٩ + ٤٨٦	٣٥- آل وري
٩٢٣ «وردت زين»	٣٦- آل زين
٤٨٢ «وردت زين»	٣٧- آل زين عثمان حمد
٨٩١	٣٨- آل مغيالين الهرقد وايل ماضي
٥٩٣	٣٩- آل المغيالين دوبلان كليب
٥٩٤ + ١٤٠	٤٠- آل راشد سيف
٧٥٤ + ٢٩٣٧٩	٤١- آل المغيالين دوبلان كليب+آل راشد سيف
٢٠٩٥	٤٢- آل دهامشة منصور مشعل
٣٢٢٢٩	٤٣- دوس قوائم بني صخر

وكانت تتقاضى بني صخر من معتاد الغلة والإنعامات

إردب	غرارة	غرش
١٠٠ (شعير)	١٥٢ (قمح)	١٥٢٠٠

٢- صرر القلاع :

١٣٨٦ قرشاً	صرة خدمات الزلفات
٨٢٠ قرشاً	صرة نحا (وربما الحسا)
١٠٦٦ قرشاً	صرة عنزة
٤٠٠ قرش	صرة معان
٧٤٥ + ٣٩٤٥ قرشاً	ظهر العقبة
٥٦٠ قرشاً	خدمات جعيمان (المدورة)
٨٦٥ قرشاً	خدمات تبوك

٣- مصاريف في طريق الحج الشريف (المناطق الأردنية)

١٨٥ قرشاً	شيخ الرمثا ، الشيخ مصطفى
١٠٠ قرش	خادم مزار أبي عبيدة ، الشيخ محمد يحيى
٣٠ قرشاً	معتاد مزارين الغرب بالزرقاء

٥٥ قرشاً	معتاد مرعي النجاف يتوجه لطلب مشايخ بني عطية يتوجه من الزرقاء
----------	---

إنعام زيد أبو شامة من عرب بلي (٤٠٠) قرش ، وإلى أتباعه (١٠٠) قرش  
يأخذها من الرمثا بدار الحمرة .

٤- صرر البدو على طريق الحج الشامي

١ . صرة عربان الحسنة من عنزة

٢٠١٢ قرشاً	صرة آل مزيد
٢٧٠٠ قرش	صرة الحسنة إلى الأحمدي من عرب عنزة
٧٩٦٩ قرشاً	صرة آل مزيد
٢٠٥٤ قرشاً	صرة آل فاضل المزيد
١٩٥١ قرشاً	صرة آل شميمس
١١٣٨ قرشاً	صرة آل شماس
١١٥ قرشاً	صرة آل خليفة
١٨١٧ قرشاً	صرة آل فحينان
٢٥٤٦ قرشاً	صرة آل وبر العرفج
/	صرة آل سالم
١٧٩٨ قرشاً	صرة آل مردن
٩٦١ قرشاً	صرة آل نهيب
٩٤٣ قرشاً	صرة آل يعيش
٢٢٠ قرشاً	صرة آل فروج العريش
٤٧ قرشاً	صرة آل نابي القریش
١٩٩ قرشاً	صرة الجمل
٦٣٤ قرشاً	صرة آل سيف حمور
٧٩٧ قرشاً	صرة آل هنيمة جديد
١٠٤٩ قرشاً	صرة آل مقبل



صرة آل عويجر	٥٧٩ قرشاً
صرة آل قضب	٨٩٨ قرشاً
صرة آل راضي	٢٩١ قرشاً
صرة آل خماعلة	٢٢٩ قرشاً
صرة آل صفر	٢٢٩ قرشاً
صرة آل عمر الصبلوان	٤٩٠ قرشاً
صرة آل شراعية	٧٠٩ قروش
صرة آل حامد	٧٢٤ قرشاً

٢ . صرة عربان ولد علي من عنزة

صرة آل طيار	١٧٧٠ قرشاً
صرة آل مرعب	٩٧٦ قرشاً
صرة آل جفال	٥٣١ قرشاً
صرة آل منابع	١٣٤١ قرشاً
صرة آل معيوف يحيى	٥٧٠ قرشاً
صرة آل نوفل	٨٨ قرشاً
صرة آل معيوف مبرك	٧٢٨ قرشاً
صرة آل فوزان	٨٧٤ قرشاً
صرة مسعد ملحم	٤٩٥ قرشاً
صرة أبو لحية	/
صرة آل المشطة سمير بطاح	١٩٩٢ قرشاً
صرة آل جبر روضان	٧٦٦ قرشاً
صرة آل زبيني	١٥١ قرشاً
صرة آل جهنم	٨٦ قرشاً
صرة آل فاضل نوفل	٢٢١ قرشاً
صرة آل مازن الطلوح	٣٢٠٠ + ٣٧٠ قرشاً

الصرة الهمايونية للقبائل العربية الموجودة على طريق الحج

صرة آل القوالد ضويحي	٢٣٤٣ قرشاً
صرة آل راتب	٤٦٤ قرشاً
صرة آل طبور المرشد	/
صرة آل عرفة المشطة	٢٨٤ قرشاً
صرة آل معيوف محمد زارع	٢٩٢ قرشاً
صرة آل حمامة	١٨١٨ قرشاً
صرة آل خميس منى الطلوع	١٢٢٩ قرشاً
صرة آل مرعي عبد المقبل	٤٣٨ قرشاً
صرة روس قوايم عنزة	٩٦٧ قرشاً
صرة روس قوايم ولد علي	١٧٦٦ قرشاً
صرة الموزعة	١٢١٩ قرشاً
صرة التميرزة	/

٤- الخلع

١- قبيلة بلي

الخلعة والعدد

اسم الشيخ	ناقة	أتاري	خفتان	شخشير	بوشية	عباءة	فيما	جزما	مست
	كورك	قطني							بابوج
زيد أبو شامة	١	١	١	١	١	٣	٣	١	١
ذياب أبو شامة		١				١			
فلاح أبو سبيلة						٣			
(بدلة كاملة)									
صالح أبو شامة	١	١	١	١	١			١	١
(بدلة كاملة)									

٢- مشايخ عربان بني عطية المدفوعة لهم بتبوك  
الخلعة والعدد

اسم الشيخ	ناقة كورك	أنتاري قطني	خفتان	شخشير	بوشية	طربوش	جزما	مست بابوج
خليل عطية	١	١	١	١	١	١	١	١
عيد عطية	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
هندي عطية	١	١	١	١	١	١	١	١
هرماس عنسه خطارم	١	١	١	١	١	١	١	١
ابن هرماس	١	١	١	١	١	١	١	١
عيد بن عطية	بنش ١	عباءة ١						
سلمان هرماس	-	١						

٣- خلع القبائل المقيمة على الأرض الأردنية :

- ١- معتاد الشيخ دوخي السمير بعد اطلاع المرتبه له بالدفتر وإلى ولد علي .
  - ٢- معتاد أولاد فضالة النازحين من الأخضر إلى عند بني صخر .
  - ٣- معتاد خلّاع (خلع) قوائم عربان عنزة من حسنة تدفع لهم بالمزيريب .
  - ٤- معتاد خلّاع (خلع) عنزة من ولد علي تدفع لهم بالمزيريب .
  - ٥- خلّاع قوائم عربان بني صخر تدفع لهم بالمزيريب .
- وهذه جاءت على النحو الآتي :

الخلعة والعدد

اسم الشيخ	سمور كورك	أنتاري	خفتان	شخشير	بواشي	جزمة	مست بابوج
دوخي السمير	١	١	١	١	١	١	١
دوخي وولد علي	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١

١	١	١	١	١	١	١	قاسم فضالة (الأخضر)
٣/١	٣/١	٣/١	٣/١	٣/١	٣/١	٣/١	سالم فضالة (الأخضر)
			عباءة جوخ ٢		بدلة كاملة ٢		فاضل اللحم (الحسنة)
			بدلة ١		بدلة كاملة ١		المطلق كنعان (الحسنة)
			عباية ١		بدلة كاملة ١		زيد وكنعان

ومن حصل على خلع من حسنة ، جحيم (حجيم) مزيد ، وآل خليفة ، وآل شمس عبدالله مطلق ، وآل شماس ، وآل عينات ، وآل جهيم زيد الوفج ، وآل سالم ، وآل مردن ، وصالح ، وشملول ، وبعمدن ، وآل فهد ، وآل يعيش ، وآل فرج ، وحسن جميعات آل نامي ، وآل عجل ، وعزام معلا ، وآل هيثمي ، ونبال شديد ، وآل حامد ، وآل مقبل ، والقضاة ، وآل رامي ، وآل نداس ، وآل فوزان ، ورميثان ، وآل الصيليوان ، وآل حجاج الفقرا ، والشراعية .

ومن ولد علي :

آل طيار الذيعج (الذيعج) ، وآل مرعب ، وآل جفال ، وآل ضمن (ضامن) ، وحمدان صانع ، والحي مقلد ، ومبارك نبتان ، ونوفل مهران ، وفوزان حمود ، وآل هديا ، وملحم سعد ، وروضان جازي آل زبيني ، وآل جهم ، وآل فاضل ، وآل مازن ، ومرشد مازن ولده ، وقيوسي ، وآل مزان (مازن ، ميزان ، مزان) ، وآل ضويحي ، وآل رافد ، وعوزام مرشد ، وآل طيور ، وعبره غبن ، ورشيد أبو لحية ، والحمامدة ، ومحمد زارع ، ومرعي عيد ، وألو لحية ، وسمير بطاح ، ومحسن بن يحيى ، وفياض بن حمد السمير ، ومحمد المسنجي ، وقاسم المرنجي ، وسليمان السمير .

عربان بني صخر :

شخصير	بوشيه	فيما	عباءة	
		١	٤	آل فايز (بدلة كاملة عدد ٢)
			١	آل موعد
		١	١	آل خليل
		١	١	آل بريكان
				محمد حاقد (بدلة كاملة عدد ١)
		١	١	آل دابل
			١	آل خضر مرشد
			٣	آل مسعد صعب وعبد النبي (بدلة كاملة عدد ١)
				مهدي مجردا (بدلة كاملة عدد ١)
		٢	١	عبدالله سيوفي
			١	آل حويان
			١	آل بزال حمدان
		٢	١	الخوازيق
		٢	١	آل سعيدان مبارك
				آل رشيد (بدلة كاملة عدد ١)
				آل بريص (بدلة كاملة عدد ١)
		٢	١	آل موعد مزحم
			١	آل جابر
			١	آل ضاحي
			١	آل درويش
		٢	١	آل قني
			١	آل مجهم ملعب
		٢	١	محمد جويزي

الصرة الهمايونية للقبائل العربية الموجودة على طريق الحج

	١			آل دخنين
١	١			خليل عقيل فدعوس
	٢	١		آل فضول محمد يحيى
		١		آل زهير (بدلة كاملة عدد ١)
	١	١		آل هديا
	١	١		آل جودة حسنين
	١	١		آل عربان
	٢	١		آل جويات
	٢	١		الحلبات
		٣		الخریشان (بدلة كاملة عدد ٢)
١	١	١		سيف القاضي
	٢	١		حسين القاضي
	٢	١		مرعى القاضي
		١		عثمان مجدواله
	٢	٢		حسين الزيدان
	٢	٢		آل فطيم الطوابحي
	٢	٢		الدهاينة
		١	١	آل وردي
			١	آل زين (زين) (بدلة كاملة عدد ٢)
			١	كليب دوبلان
١		١	١	الفيالين (الغيايين)
			١	سيف راشد
١	١	٢	١	الدهامشة

آل فياض عددم والده (بدلة كاملة عدد ١)

إسماعيل بحلي (مجلي) الفايز من الكرك<sup>(١)</sup> (بدلة كاملة عدد ١)

خلع القلاع :

قلعة الزلفا/ بني عطية

محارم	عباءة	أنتاري قطني	فيما	شخشير	خفتان	جزمه
٤	١	١	١	١	١	١
سويلم خادم القلعة وولده محمد						
٢/١	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١	٢/١
قلعة البلقاء بنش جوخ عدد (١)						
قلعة القطرانة	عباءة عدد	أنتاري قطني عدد	لفة بعرق عدد	طربوش عدد		
(١)	(١)	(١)	(١)	(١)		
(معتاد سالم بن هداية شيخ القلعة)						
قلعة الحسا	ناقة بورك	أنتاري قطني	خفتان	شخشير	بوشيه	جزمه مست بابوج
	١	١	١		١	١
جاد بوير	شخشير عدد (١)		كورك سمور عدد (١)		محرمة أمان عدد (١)	
قطيفان	١	١	١	١	١	١
أبو زعيمة	١	٢	٢	٢	٢	٢
أبو جرى	١	١	١	١	١	١
حسن دردار القلعة	١	١	١	١	١	١
قلعة عنيزة						

(١) ليس لدينا ما يشير إلى سبب ضم إسماعيل مجلي الفايز من الكرك إلى بني صخر .

الصرة الهمايونية للقبائل العربية الموجودة على طريق الحج

١	١	١	١	١	١	١	١	عبدالله سويدان
١	١	١	١	١	١	١	١	سليمان دردار القلعة
							١	أوده باشي قلعة
		١	١				١	سماره عباه
							١	ناصر عليوه
							١	غنيم
قلعة معان (إسماعيل الكريشان وحموده الرصاعي)								
جزمه	مست	بوشيه	شخشير	بنش	خفتان	أنتاري	ناقة	
	بابوج			جوخ			كورك	
١٠	١٠	١٠	١٠	١	١٠	١٠	١٠	إسماعيل كريشان
١١/١	١١/١	١١/١	١١/١	١١/١	١١/١	١١/١	١١/١	محمود الرصاعي
							عباه ٤	أهالي معان
				٢				بوابين القلعة
							١	أسعد الرصاعي
فرصق كورك عدد (٢)				أولاد سبت من جماعة محمد بن رشيد				
نصف قبوط بنش عدد (١)				حسين قباة من معان				
معتاد النجاب الذي يتوجّه إلى الشام								
جزمه	مست	بوشيه	شخشير	بنش	خفتان	أنتاري	ناقة	
	بابوج			جوخ			كورك	
(١)	(١)	(١)	(١)	(١)	(١)	(١)	(١)	(١)
(١٣)	كورك ناقة	(٤)	بنش جوخ	(٤)	عباه جوخ	(٢)	قبوط وسط	كورك فرصق (٢)
(١٢)	مست بابوج	(١٢)	بوشيه	(١٢)	خفتان سادة	(١٢)	شخشير	أنتاري قطني (١٢)



قلعة معان الشامية							
شيخ معان الشامية محمد عبد النبي (النسعة)							
ناقة كورك	بنش	أنتاري قطني	خفتان	شخشير	بوشيه	جزمة	مست بابوج
٣	١	٣	٣	٣	٣	٣	١
الشيخ جازي الحويطي الوارد بحملة غزة إلى معان							
ناقة كورك	شال	قاط	حشكلي	خفتان	شخشير	طربوش	جزمة
١	١	١	١	١	١	١	١
جماعة المذكور (الشيخ الجازي)							
ناقة كورك	أنتاري	خفتان	شخشير	حشكلي	جزمة	مست بابوج	
٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	
محمد بن رشيد الحويطي بمعان							
سمور كورك	شال	جماشور قاط	أنتاري	خفتان	شخشير	طربوش	جزمة
١	١	١	١	١	١	١	١
محمد الصوا من أهالي معان							
سمور كورك	ناقة كورك	بنش	أنتاري	خفتان	شخشير	بوشيه	جزمة
١	١	١	١	١	١	١	١
المجموع							
جماشور قاط	شال	برما	أنتاري	خفتان	لفة	بنش	ناقة كورك
٢	٢	٣	٢	٢	٢	٢	٦

أنتاري قطني	شخشير	طربوش	خفتان	بواشي	جزمة	مست
٦	٨	٢	٦	٤	٨	٨
			سادة			بابوج

وفي العودة كانت الإنعامات على بوابي قلعة معان غير الذين نالوا خلعهم في الطلعة ، وهي :

- إنعام سعيد العاقر بنش (٢) ، بنش جوخ (٢) .
- إنعام محمد خطيب الفايز سمور كورك (١) ، ٣٥٠ قرشاً<sup>(١)</sup> .
- وكذلك تقدم الخلع إلى النحابين من تبوك المتوجهين إلى الشام ، وهم :
- بصيبص النجاب بنش جوخ (٣) ، أنتاري قطني (٢) ، بوشيه (٢)
- عبد الغافر النجاب بدلة كاملة
- فالج النجاب بدلة كاملة
- سليم النجاب بنش جوخ (١)
- خدمات قلعة ظهر العقبة
- عبد العال عباه (١) ، بنش (١)
- دغيمان عباه (١)
- رشيد عباه (١)
- أوده باشي (أوضة) القلعة بنش (١)
- خادم بير أبو قيطار بنش (١) ، أنتاري قطني (١)
- خادم عن الكلية بنش (٢) ، أنتاري قطني (٢)
- المجموع عباه جوخ (٣) ، بنش (٥) ، أنتاري قطني (٢)

(١) نعيسة ، وثائق تاريخية ، ص ٣٧٠ .

قلعة جغيمان (المدورة)

- خادم القلعة وعليان ومحمود عباه (١) ، فيما (٤) ، بوشيه (١)
- عليان بنش (١)
- سلمان بنش (١)
- سلامة هرمان بنش (١) ، ناقة كورك (١)
- أوده باشي القلعة بنش (١)
- حسن بن عليان أنتاري قطني (٢) ، بوشيه (١)
- بصيبص النجاب ناقة كورك (١)
- المجموع عباه جوخ (٤) ، بنش جوخ (٦) ، كورك ناقة (٢) ، أنتاري قطني (٢) ، فيما (٤) ، بوشيه (٢)

خدمات قلعة ذات حج

- خدام القلعة
- مرشد الحشاش
- خادم بير عون
- سلمان بن موسى
- أوده باشي القلعة
- شيخ ذات الحج عليان
- المجموع
- عباه (٤) ، فيما (٤) ، محارم أمان (٢) ، جزمة (١)
- بنش (١)
- بنش (١)
- بنش (١) ، جزمة (١)
- بنش (١)
- محارم أمان (٢)

خدمات قلعة تبوك

- خدام تبوك المشايخ
- أصحاب الرموم
- سليمان بن منصور
- أوده باشي القلعة
- بنش جوخ (١٦) ، فراجة جوخ (١)
- عباه (١٢) ، فيما (٤)
- بنش (١)
- بنش (١) ، ناقة كورك (١)

عباه (١) ، محارم أمان (١)	- الرئيس الذي يمشي مع الحج من ذات الحج
سالم من الخيم (١)	- عبد بن سلمان
بريما سمور كورك (١) ، أنتاري قطني (١) ، شال	خدام طريق العقبة تدفع في
كرماني (١) ، عباه (١) ، بيد سندا الأيدا	بير الجديد
عباه (٤)	- حمادن
عباه (١)	- خادم قبر أحمد بك
عباه (١)	- الشرافات
بنش (٣) ، عباه (٤)	- مسعد
عباه (٤) ، أنتاري قطني (١) ، بريما	- زايد الأيدا
سمور كورك (١) شال كرماني (١)	
عباه (١)	- علوش
بنش (١)	- عمر خلف
ناقة كورك (١) ، أنتاري قطني (١)	- دبل الأيدا
عباه (١) ، بوشيه (١)	- عقلي

بدلات خدام طريق العقبة المذكور أعلاه تندفع في بير الجديد

مست	جزمة	بوشيه	شخشير	خفتان	أنتاري	ناقة كورك
بابوج					قطني	
١	١	١	١	١	١	١

بالإضافة إلى ما كان يدفع لمشايخ عربان بني عطية في تبوك ، وكانوا ستة شيوخ ، هم : خليل عطية ، وعيد عطية ، وهندي عطية ، وهرماس عنسة خطارم ، وابن هرماس ، وسلمان هرماس . ومن كان يتقاضى الخلع أنيس الشرارات<sup>(١)</sup> . وكان أمين الصرة بالمحمل الشامي بحاجة إلى ١٥٦ جملاً ؛ لحمل الخلع والحبوب التي كان يفرقها على القبائل ، وبأجرة مقدارها ٣٥٠ قرشاً للجمل الواحد<sup>(٢)</sup> ، وكانت هذه الأسعار ترتفع وتنخفض وفق الظروف التي تمر بها قوافل الحجاج .

وقد بلغت صرة عربان الحسنة وولد علي وبني صخر وصرة القلاع وعرب حرب سنة ١٢٥٠هـ (١٤١٠٢٠) قرشاً و(٢٥) بارة ، ومعتاد الخنطة والشعير والإنعامات إلى الحسنة وولد علي وبني صخر (٥١٣٥٠) قرشاً . واستناداً إلى إحدى دفاتر الصرة الخاصة بالعربان ، الذي يعود إلى القرن التاسع عشر ، نجد العديد من أسماء البدو المستخدمين في القلاع ، فقد دفع مبلغ (٤٤٥) قرشاً لسبعة عشر شخصاً في قلعة جغيمان ، و(٤٠٠) قرش لتسعة أشخاص في قلعة معظم ، و(٢١٠) قروش لثمانية أشخاص في قلعة مداين ، و(٨٤٤) قرشاً لتسعة أشخاص في آبار الغنم ، و(٧٢٠) قرشاً لأربعة عشر شخصاً في موقع هديه أشمه سي قرب (تبوك) ، و(٢٨٥) قرشاً لسبعة أشخاص في ظهر العقبة ، و(٢٠٠) قرش لشيخ المفرق ، و(١٥٠) قرشاً لشخصين في الزرقاء<sup>(٣)</sup> .

وقد أدت كثرة التعديت على قوافل الحج إلى بناء القلاع ، وظهر ما عرف فيما بعد باسم استحكامات الصحراء أو حصون الصحراء ، وعُيّن عدد من رؤساء القبائل وأكابر البدو والمقيمين بجوار هذه القلاع والحصون لحمايتها بعنوان

(١) انظر : نعيمة ، وثائق تاريخية ، ص ٣٣٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤١ .

(٣) أرشيف الدولة العثمانية EV. HMK. No. 2422 ؛ قورشون ، الدعم اللوجستي ، ص ٤٥ .

«خدام القلعة» ، وقارب عدد هذه القلاع العشرين في القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup> .  
 كما شكلت الدولة كتيبة من الجند تسمى «الباش بزغ» ، أي غير النظاميين التابعين لجيش بلاد العرب ، تحت اسم حماة موكب الحج ، ففي سنة ١٨٩٠م كانت هذه القوات مكونة من (٢٠٠) فارس ، ونصف طابور مشاة ، وطاقم مدفعية جبل (تنقل على الجمال) مكون من مدفعين ، وكتيبة من قوات الدرك (جاندرمه) عددها (٢٠٠) جندي إضافةً إلى (٦٥) فرداً من نياشي بوزق من البدو<sup>(٢)</sup> .

### الصرة في معان:

كان بوَدُّنا لو عثرنا على دفتر صرة معان ، الذي بموجبه كانت الأعطيات توزع على أهالي معان ، ومع ذلك فقد تمكنا من الحصول على بعض الحجج الشرعية المتعلقة بالصرة وردت في سجل معان الشرعي ما بين ١٣١٦هـ-١٣٢٢هـ ، وقد أمدتنا هذه الحجج بمعلومات عن بيع هذه الصرر وتوريثها ورهنها ، كما كان أهل معان قد أطلقوا عليها مسميات عديدة منها :

مرتبات الصرة الهمايونية<sup>(٣)</sup> .

مرتب خزينة موكب الحج الشريف<sup>(٤)</sup> .

مرتبات الحج الشريف من جهة الخزينة<sup>(٥)</sup> .

(١) قورشون ، الدعم اللوجستي ، ص ٤٥-٤٦ .

(٢) كمال ، سليمان شفيق بن علي ، الرحلة الحجازية ، دار الخلافة ، ١٣١٠ ، مخطوطة ، جامعة إستانبول

رقم (٤١٩٩) ، ورقة ٦٤-٦٥ ؛ قورشون ، الدعم اللوجستي ، ص ٥٢ .

(٣) سجل محكمة معان الشرعية رقم (١) ، ح ٦ ، ٧ شعبان ١٣١٦هـ .

(٤) المصدر نفسه ، ح ٧٢ ، ٥ شوال ١٣١٩هـ .

(٥) المصدر نفسه ، ح ٥ ، ٤ شعبان ١٣١٦هـ .

- مرتب من خزينة الجردة السنوية<sup>(١)</sup> .
  - صرة موكب الحج الشريف<sup>(٢)</sup> .
  - دفتر موكب طلعة الحج الشريف<sup>(٣)</sup> .
  - صدقات مولانا السلطان ، مرتب في طلعة موكب الحج<sup>(٤)</sup> .
  - مرتب في دفتر الجردة السنوية من حملة الصدقات الجارية<sup>(٥)</sup> .
  - طلعة الحج الشريف / الصدقات الجارية<sup>(٦)</sup> .
  - الصرة الهمايونية والجردة السنوية<sup>(٧)</sup> .
  - الإحسانات السامية<sup>(٨)</sup> .
  - الصرة الهمايونية المرتبة في موكب الحج الشريف والجردة السنوية<sup>(٩)</sup> .
- وما تقدم ، يُلاحظ أن بعض أهالي معان كانوا يستلمون الصرة عند طلعة موكب الحج الشريف ، وبعضهم عند الجردة ، أما الصنف الثالث فكان يتسلم صرته في الطلعة والرجعة ، وهؤلاء ربما كانوا شيوخ معان البارزين .
- لقد رأينا فيما سبق أن من شيوخ معان الذين كانوا يستلمون الصرة نحو منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، أبو جرى ، ضمن معتاد فلة الحسا ، ومعه

- (١) سجل محكمة معان الشرعية ، ح ١٢ ، ٢١ ذي القعدة ١٣١٩ هـ .
- (٢) المصدر نفسه ، ح ٦٥ ، ٥ شعبان ١٣٢٠ هـ .
- (٣) المصدر نفسه ، ح ٨٣ ، ٢١ ذي القعدة ١٣٢٠ هـ .
- (٤) المصدر نفسه ، ح ٨٤ ، ١١ ذي القعدة ١٣٢٠ هـ .
- (٥) المصدر نفسه ، ح ١٠٣ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٢١ هـ .
- (٦) المصدر نفسه ، ح ١٠٦ ، ٢٢ ربيع الأول ١٣٢١ هـ .
- (٧) المصدر نفسه ، ح ١٠ ، ٤ جمادى الثاني ١٣٢٢ هـ .
- (٨) المصدر نفسه ، ح ١٢٣ ، ص ١٣٦ ، ١٩ رجب ١٣٢١ هـ .
- (٩) سجل محكمة معان الشرعية رقم (١) ، ح ٣ ، ١٦ ، ٥ ، ٣ ذي القعدة ١٣٢٢ هـ .

سالم بن هدايه (الحجايا) ، وقطيفان ، وأبو زعيلة<sup>(١)</sup> ، وإسماعيل كريشان ضمن قلعة معان ومعه حمود الرصاعي ، وأسعد الرصاعي وهما من الحويطات ، بالإضافة إلى أولاد سبت من جماعة محمد بن رشيد ، وهم حويطات أيضاً ، ومن معان حسين قباعة<sup>(٢)</sup> .

وأشارت الوثيقة كذلك إلى أن شيخ معان الشامية هو محمد عبد النبي<sup>(٣)</sup> ، ولدى المقارنة مع الأسماء التي وردت في السجل الشرعي نستخلص أن محمداً هذا من النسعة . ومن هذه العائلة من كان عضواً في مجلس الإدارة ، وفي رئاسة بلدية معان في مطلع القرن العشرين<sup>(٤)</sup> .

وكانت الصرة تنتقل بالإرث شأنها شأن الأمور النقدية والعينية ، ووفق الشريعة للذكر مثل حظ الأنثيين ، وهذه العادة قد جرت منذ ١٥٣٢م/١٩٣٨م بأنه من مات وله ولد يعطى نصيبه من الصرة لولده سواء كان ذكراً أو أنثى<sup>(٥)</sup> . وفي العام التالي ، أي في عام ١٥٣٣م/١٩٣٩م ، أكد المرسوم السلطاني أن من مات واسمه في الدفتر وله ولد يرصد اسم ولده عند أهل الثقة ويرسل بالاسم إلى الأبواب الخنكارية التي يقرر له بكتابة اسمه ضمن دفتر المستحقين بدقة وأمانة<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : نعيسة ، وثائق تاريخية ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٤) انظر : خريسات ، محمد عبد القادر والعبيدي ، رابعة مزهر شاكر ، الأردن في العهد العثماني

(١٥١٦ - ١٩١٨م) ، عمان ٢٠١٦م ، ٦٧٣/٢ ، ٧٣٨ .

(٥) ابن فهد ، جار الله بن العز بن النجم ، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتخاف الورى ، (تاريخ مكة

المكرمة ٩٢٢ - ٩٤٦هـ) ، نخ محمد الحبيب الهيلة ، الفرقان للتراث ، لندن ، ٢٠٠٠م ، ص ٥٤٦ -

٥٤٧ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٥٥٧ .



ويبدو أن تثبيت أسماء الورثة كان يبدأ من إصدار حجة حصر الإرث للمتوفى ، ومنها ينقل إلى أمين الصرة الذي كان بدوره يثبت الأسماء ، ومن خلال بعض الحجج التي وردت يُلاحظ أنه لا فرق بين الذكور والنساء في الحصول على حقوقهم الإرثية من الصرة ، كما أن النساء كن يتقدمن إلى المحكمة الشرعية للمطالبة بهذه الحقوق .

فقد ادعى سليمان وأختاه صبيحة وسارة أولاد محمد بن موسى أبو جرى على محمد و خليل ولدي عبدالله بن محمد النسعة ، مشيرين إلى أن جداهم والد أمهم فاطمة هو عبدالله بن محمد النسعة والد المدعى عليهما قد مات عن أمهم فاطمة وعن المذكورين (المدعى عليهم) وعن زوجة ، وقد ترك مخلفات من جملة صرة في موكب الحج الشريف (٣٠) ريالاً مجيدياً ، ومن حين وفاة الجد التي كانت قبل عشرين سنة والمدعى عليهما واضعين أيديهما عليها ، ولم يعطوا (يعطيا) لنا شيئاً من حصة أمنا المتوفية بعد جدنا ، وكانت النتيجة الصلح على ١٨ ريالاً مجيدياً وإبراء ذمة المدعى عليهما<sup>(١)</sup> .

وادعت فاطمة ومريم وخديجة بنات المرحوم الحاج يعقوب بن حسين بن علي أبو صالح على إخوانهن سليمان و خليل ومحمود للمطالبة بحقوقهم الإرثية ، فأعطوا لأخواتهن مبلغ ستة آلاف قرش عن طريق التخارج لكل واحدة منهن ألفا قرش ، ومن ضمن ذلك ما خصهن من مرتبات الصرة الهمايونية في مركب الحج الشريف والجردة السنية<sup>(٢)</sup> .

وقبضت شفا بنت محمود بن سليمان النسعة من سعد الله وعبدالله أولاد حسن عوجان بطريق التخارج في المحكمة الشرعية (٥٠٠) قرش من متروكات زوجها المتوفى عنها ، وهو سليمان بن حسين عوجان ، ومن ذلك ما خصها من

(١) انظر : سجل محكمة معان الشرعية رقم (١) ، ح ٦٥ ، ص ٩٧-٩٨ ، ٥ شعبان ١٣٢٠هـ .

(٢) المصدر نفسه ، ح ١١ ، ص ١٦١ ، ٤ جمادى الآخر ١٣٢٢هـ .

الصرة الهمايونية المرتبة في موكب الحج الشريف والجردة السنية<sup>(١)</sup> . ويشير السجل الشرعي أيضاً إلى بيع مخصصات الصرة ، سواء كان ذلك بطريق البيع الوفايي المتمثل في إرجاع الصرة إلى صاحبها إذا ما أعاد المبلغ المستدان ، أو عن طريق البيع البات الذي لا رجعة فيه أو التوكيل في القبض . ففي مجال التوكيل أصدر الحاكم الشرعي حجة القبض عما يخص سليمان بن سرحان بن عمر أبو مرعي من أهالي وسكان معان الشامية إلى زوجته عائشة بنت محمد بن علي أبو صالح ثلاثين قرشاً في كل سنة من مرتبات الحج الشريف من جهة الخزينة العامرة ، وهذا المبلغ عن بدل نصف أردب شعير<sup>(٢)</sup> .

ووكل محمد بن هارون كريشان كلاً من محمد بن شكري أفندي وإبراهيم بن عيد كريشان في استلام ما يخصه من مرتبات مواكب الحج الشريف<sup>(٣)</sup> . وفي مجال الشراء ، اشترى عبد القادر بن علي بن كريم البزايعي من أهالي معان الحجازية من الحاج منصور بن محمد بن منصور البزايعي ومن زوجته بكره بنت سليمان بن جغيمان ، الدار الكائنة بقصبة معان الحجازية ، وزقاق البزايعة ، والسدس ، وهي أربعة قراريط من أصل المرقوم من مبلغ مائة قرش من مرتبات الصرة الهمايونية في كل سنة إضافةً إلى قمباز جوخ ، وطربوش ، وخمسة ملاعق خشب ، وجزمة ، و $\frac{5}{3}$  مداس ، و(٤١) طلعة في كل سنة<sup>(٤)</sup> . ويُلاحظ أيضاً أن بعضهم كان يفرغ بحصته من الصرة إلى أحفاده ، ومن ذلك ما قام به محمد بن هارون الخطيب ، الذي فرغ لحفيديه هوميل بن إبراهيم وسالم بن هارون ما خصه من الجردة السنية ، ومقداره ريال ونصف في كل

(١) سجل محكمة معان الشرعية ، ح ١٦ ، ص ١٦٥ ، ٣ ذي القعدة ١٣٢٢ هـ .

(٢) المصدر نفسه ، ح ٥ ، ص ٦ ، ٤ شعبان ١٣١٦ هـ .

(٣) المصدر نفسه ، ح ٤٧ ، ص ٨٨ ، ٩ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ .

(٤) المصدر نفسه ، ح ٦ ، ص ٧ ، ٧ شعبان ١٣١٦ هـ .

سنة ، وبدل هذا الفراغ ٢٥٠ قرشاً<sup>(١)</sup> .

ويستدل من الحجج الشرعية التي تعرضت للصرة التفاوت في المبالغ التي كان يتقاضاها المواطنون في معان ، فقد خص خضرة بنت محمد بن أحمد أبو عوينة من بني عطية في كل سنة ستة ريالات ، وأفرغت حصتها مقابل (٨٠٠) قرش على أن لا يبقى لها أي حق في قبض الصرة<sup>(٢)</sup> .

ووجد في السجل الشرعي بيع العديد من شيوخ الحويطات أو رهن صرهم تحت مُسمّى بيع الوفاء ، ومن هؤلاء عرسان بن ذياب بن عودة من عشيرة الذيابات من عرب الحويطات ، الذي باع ما يستحقه من الصرة لخليل أفندي بن محمد الشلبي الشراري ، أحد أعضاء مجلس الإدارة ، ومقداره ٤٠ قرشاً بمبلغ ٣١٢ قرشاً يتناوله سنوياً<sup>(٣)</sup> .

وباع الشيخ قاسم بن سالم أبو تايه من عشيرة الفريحات خليل أفندي ابن محمد الشلبي الشراري ما ينحصره من الصرة ومقداره (٣٠٩) قروش بمبلغ (٨٨) ريالاً مجيدياً ؛ أي ما يساوي (٢١١٢) قرشاً في ذلك الوقت ، على اعتبار أن الريال يساوي (٢٤) قرشاً<sup>(٤)</sup> .

أما الشيخ مقبول بن إبراهيم بن مقبول ، شيخ فرقة العمران/ حويطات فباع خليل أفندي ابن محمد الشلبي الشراري أربعة أرداب فول ونصف من دفتر موكب طلعة الحج الشريف بواحد وثلاثين مجيدياً ونصف ، وجاء في حيثية البيع أنه متى جاء البائع المذكور بنظير الثمن يعيد له البيع ثانية . . . ، بيع وفائي منزل منزلة الرهن<sup>(٥)</sup> .

(١) سجل محكمة معان الشرعية ، ح ١٢ ، ص ٦٢ ، ٢١ ذي القعدة ١٣١٩ هـ .

(٢) المصدر نفسه ، ح ٧٣ ، ص ٥٤ ، ٥ شوال ١٣١٩ هـ .

(٣) المصدر نفسه ، ح ٧٥ ، ص ٥٦ ، ١٠ شوال ١٣١٩ هـ .

(٤) المصدر نفسه ، ح ٥٧ ، ص ٩٣ ، ٢ جمادى الثاني ١٣٢٠ هـ .

(٥) المصدر نفسه ، ح ٨٣ ، ص ١٠٩ ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٢٠ هـ .

وباع سالم بن خضر بن مقبول شيخ عشيرة فرقة العمران كُلاً من الحاج خليل ابن الحاج علي بن حسين التلهوني وصالح آغا ابن أحمد الكبريتي (كباريتي) الأيل إليه من صدقات مولانا السلطان مرتب في طلعة موكب الحج الشريف اثنين وعشرين أردب فول بمبلغ مائتين وعشرة ريالات مجيدي ، بيع وفاء منزل منزلة الرهن (١) .

وكان مقدار صرة الشيخ علي بن حسين شيخ عشيرة النجادات في دفتر طلعة موكب الحج الشريف من حملة الصدقات الجارية (١٨) ريالاً مجيدياً ، باعها لخليل أفندي ابن الحاج موسى صلاح من أهالي قصبه معان الحجازية بمبلغ (٥٤) ريالاً مجيدياً (٢) .

وباع سالم بن علي بن رشيد من بني عطية فرقة العقيلات ما يخصه من أردب الشعير في جردة الحج السنوية من الإحسانات السامية بمبلغ قدره سبعة عشر ريالاً مجيدياً ونصف (٣) .

ولم يقتصر البيع على الرجال حسب ، بل كانت النساء يبعن ما يخصهن من الصرة ، ومن ذلك حسن بن حسين بن مرعي الكراشين الذي اشترى من سارة بنت محمد بن مرعي ما هو مرتب لها بدفتر الطلعة وقدره ستون قرشاً بمبلغ (٢٠) ريالاً مجيدياً بيعاً باتاً صحيحاً (٤) .

وباعت رية (ريا) بنت إبراهيم بن محمد الخطيب أولاد زوجها المتوفى يعقوب بن حسين بن علي أبو صالح ما خصها من مرتبات الصرة الهمايونية ، وما آل إليها من الإرث بمبلغ (١٠٨) ريالات مجيدية (٥) .

(١) سجل محكمة معان الشرعية ، ح ٨٤ ، ص ١٠٩ ، ١١ ، ذي القعدة ١٣٢٠ هـ .

(٢) المصدر نفسه ، ح ١١٢ ، ص ١٢٦ ، ٩ ، جمادى الأولى ١٣٢١ هـ .

(٣) المصدر نفسه ، ح ١٢٣ ، ص ١٣٦ ، ١٩ ، رجب ١٣٢١ هـ .

(٤) المصدر نفسه ، ح ١٠٩ ، ص ١٢٧ ، ٢١ ، ربيع الثاني ١٣٢١ هـ .

(٥) المصدر نفسه ، ح ٦ ، ص ١٥٩ ، ٢٦ ، جمادى الأولى ١٣٢٢ هـ .

ومن هنا نجد أن الحجج الشرعية المتعلقة بالحقوق تختم بأنه لم يبق في ذمته / ذمتها لا حقاً ولا استحقاقاً ولا ديناً ولا عيناً ولا ذهباً ولا فضة . . . ، ولا في الصرة الهمايونية المرتبة في موكب الحج الشريف والجردة السنية<sup>(١)</sup> .  
وعليه ، فقد استمر العثمانيون في كسب ود القبائل التي كانت تقيم بالقرب من الطريق بتقديم الصرة والإنعام عليهم ، حتى آخر أيامهم ، وعلى الرغم من الحروب التي كانت دائرة ؛ ففي عام ١٩١٤ - ١٩١٥م زار التنوخي مضارب قبيلة بني صخر/ الخرشان ، ولما سأل عن حديثه الخريشا وشقيقه شاهر الخريشا ، قيل له إنهما غادرا إلى دمشق لاستلام صرتهما ، وكانت الدفعة الأولى من الصرة تؤخذ بالمزيريب<sup>(٢)</sup> .

---

(١) سجل محكمة معان الشرعية ، ح ١٦ ، ص ١٦٥ ، ٣ ذي القعدة ١٣٢٢هـ .

(٢) التنوخي ، الرحلة ، ص ١٥ .

## تطور العمران والتجمعات الحضرية على امتداد محطات الخط الحديدي الحجازي في محافظة المفرق

عبدالمجيد الرجوب (\*)

### الملخص:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مدى تأثير تشييد الخط الحديدي الحجازي وإقامة المحطات عليه في قاطع المفرق خلال حقبة التنظيمات العثمانية في نشوء وتطور التجمعات السكنية التي مر عبرها الخط الحديدي في محافظة المفرق ، وتحديد مدى تأثير تلك المحطات والمنشآت في التطور الحضري والعمراني والاقتصادي لتلك التجمعات السكنية أو نشوء تجمعات حضرية جديدة ، وكذلك دراسة الطابع المعماري للمباني والمنشآت المختلفة التي كانت ملحقه بالخط الحديدي والمساندة لتشغيله على امتداد سيره كالمحطات والمباني الملحقه بها والجسور والقناطر والسدود وغيرها من المنشآت التي شيدت إبان تلك الحقبة الزمنية في تلك المنطقة . واستخدم البحث المنهج الوصفي الاستقرائي للوصول إلى الأهداف ، واستعان ببعض الأساليب والأدوات البحثية والمراجع التاريخية لجمع المعلومات والتصوير وقراءة الخرائط والزيارات الميدانية والمقابلات الشفاهية وغيرها . وقد أظهر البحث وجود أثر كبير للخط الحديدي في تطور منطقة الدراسة ونشوء التجمعات السكنية ، وكان الأثر الأكبر واضحا في تأثير محطة

---

(\*) كلية الهندسة ، جامعة آل البيت ، المملكة الاردنية الهاشمية .

المفرق في نشوء مدينة المفرق . كما أظهر البحث التنوع الكبير في المنشآت والمباني لهذه المحطات الذي يدل على تطور كبير في طرز العمارة وأنماطها واستخدام أساليب بناء دقيقة ومواد بناءية متطورة في ذلك الوقت . ويؤكد البحث ضرورة الحفاظ على خط السكة الحديدي الحجازي وحمايته ومنع الاعتداءات عليه بشتى الطرق والوسائل المتاحة ، وذلك باعتبار الخط والمحطات التابعة له وما تحويه وفقاً إسلامياً ، وضرورة الاعتناء بمواقع المحطات ومبانيها والعمل على ترميمها وصيانتها وإعادة استخدامها لتسهم في تنمية التجمعات المحيطة بها اجتماعياً واقتصادياً وسياحياً وبما يحقق الفائدة للسكان وللمنطقة على نحو عام .

كلمات مفتاحية : عمارة عثمانية ، الخط الحديدي الحجازي ، تطور حضري ، طراز معماري ، المفرق .

### المقدمة:

تبوأ الأردن موقعاً استراتيجياً مهماً على مدى التاريخ ، مما جعله مركزاً لمرور القوافل التجارية من خلال الطرق التي اعتمدت الدواب أو قدم الإنسان للسير والانتقال عليها ، مثل الطريق الروماني التاسع (طريق تراجانوس) . وقد جُددت هذه الطرق وأعيد استخدامها إبان الحكم العثماني ، وكان الاهتمام الأكبر بما سُمِّي بـ«درب الحاج الشامي» ، الذي كان يربط دمشق بمكة المكرمة ، ونال اهتماماً كبيراً في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) عندما أمر بتشديد المحطات والقلاع على امتداده ، وكان من ضمن وظائفها حفظ الأمن وحماية حجاج بيت الله الحرام وخدمتهم في أثناء مرورهم منها ، سواء في رحلة الذهاب أو الإياب (الحصان ، ١٩٩٩) . ونال هذا الطريق اهتماماً آخر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عندما أمر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) عام ١٩٠٠م بتدشين الخط الحديدي الحجازي على امتداد هذا الطريق مساهمة منه في إيجاد وسيلة اتصال حديثة في ذلك

العهد . وقد عُرف خط حديد الحجاز في السجلات العثمانية باسم «خط شمندرف الحجاز» أو «خط حديد الحجاز الحميدي» ، وكان هدفه في الدرجة الأولى تسهيل مَهْمَة الحجاج في الوصول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وتقليص الوقت اللازم للسفر ما بين الشام ومكة المكرمة ، بالإضافة إلى مَهَمَّات أخرى ، منها حرص الدولة العثمانية على إبقاء وحدة أقاليمها تجنّباً لتفككها وانهارها . وقد اعتمد طريق الحاج الشامي القديم ، الذي كان معتمداً من الدولة العثمانية في تسيير قوافل الحجيج من الشام والأراضي العثمانية ، مساراً جديداً للخط الحديدي وحُدِّدت مواقع المحطات بناء على وجود القلاع والخانات التي شيدها الدولة العثمانية لخدمة الحجيج حمايتهم سابقاً (الحصان ، ٢٠٠٨) ، ولم يعرج الخط على المدن الرئيسية في حوران والأردن والحجاز لتقصير المسافة ولتقليل الزمن اللازم للوصول إلى المدينة المنورة (خزنة كاتبي ، ٢٠١٦) ، ومع ذلك فقد ساهم إنشاء الخط وبناء المحطات على امتداده في حدوث تغيير كبير في معالم الحياة في المنطقة ، وخاصة في منطقة شرق الأردن (أبو الشعر ، ٢٠١٠) .

وقد تضمن المشروع ، بالإضافة إلى إنشاء خط سكة حديد الحجاز ليربط بين خط سكة حديد الأناضول وخط سكة حديد بغداد ، تأسيس شبكة اتصال تلغرافية تكون بمحاذاة الخط الحديدي ، ولينطلق الخط من دمشق مروراً بعمّان ومعان ثم بتبوك ومدائن صالح وصولاً إلى المدينة المنورة ، وكان في خطة المشروع الحجازي أن يمتد بعد ذلك إلى مكة ومنها إلى جدة ، إلا أن ذلك لم يتحقق . وبعد الانتهاء من العمل به عام (١٩٠٨م) بلغ طول الخط الكلي (١٣٢٠) كم ، فيما بلغ عدد محطاته (٥٩) محطة تبدأ من محطة القدم من دمشق وتنتهي بمحطة المدينة المنورة . وقد وصل أول قطار من الشام إلى المدينة المنورة في ٢٣ آب من عام ١٩٠٨م في رحلة استغرقت زهاء (٥٥) ساعة ؛ حيث أقيم احتفال رسمي بافتتاح الخط بعد ذلك بأسبوع ؛ أي في الأول من أيلول ، ليصادف ذكرى جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على كرسي السلطنة . وقد كان لهذا المشروع أهداف متنوعة ، منها :



- الأهداف الدينية : وهي الأهداف المعلنة ، وغايتها خدمة الحجاج المسلمين من خلال تقديم وسيلة سفر حديثة نسبياً تعمل على توفير الأمن والسرعة وتسهيل سفر الحجيج والاطمئنان عليهم ؛ حيث كانوا يواجهون مصاعب كثيرة في أثناء رحلة الحج التي كانت تستغرق عدة شهور ، ولتقريب العاصمة المقدسة مكة المكرمة من العاصمة السياسية اسطنبول ، وحماية الحجاج من الاعتداءات وقطع الطرق التي كانوا يتعرضون لها أحياناً في الطريق البري والبحري ، والإسهام في زيادة عدد الحجاج الراغبين في تأدية فريضة الحج بسبب انخفاض التكاليف .

- الأهداف السياسية والعسكرية : وذلك من خلال ربط البلاد الإسلامية بعضها ببعض ، والسيطرة على حركات القبائل المتمردة ، وتشديد قبضة السلطان عبد الحميد على الولايات العربية التي يمر بها الخط ، وإظهار أن الدولة العثمانية قادرة على عمل منجزات حضارية كبيرة نحو استقلاليتها عن أوروبا من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية .

ونظراً إلى كِبَرِ حجم المشروع وطول المسافة التي يقطعها ، فقد احتاج إلى بناء العديد من المنشآت والمباني والبنى التحتية والتجهيزات اللازمة لإشغال الخط ، مثل مباني المحطات الرئيسية ، وورش الصيانة ، والمستودعات ، ومساكن الجنود والحراسة ، وخزانات المياه والوقود وغيرها ، وكذلك تجهيزات الخط نفسه من سكك حديدية وجسور وسدود ؛ لتخطي العوائق الجغرافية والطبيعية وأي إجراءات فنية لمنع حركة الرمال التي كانت تغطي الخط باستمرار (Daradkeh ، ٢٠١٣) . وقد أسهم في تصميم الخط والإشراف على تشييده كادر هندسي وتقني ولجان هندسية وتقنية من ألمانيا وبلجيكا وفرنسا ، فيما شارك بالبناء والتنفيذ العمال من مختلف المناطق التي مر بها الخط وكذلك الجنود<sup>(١)</sup> . وقد

(١) لمواجهة نقص العمال استُخدمت قوات من الجيش العثماني بلغ عدد أفرادها ستة آلاف جندي ،

إضافة إلى مائتي مهندس كانوا يعملون في الخط بصفة دائمة .

كان لإنشاء الخط آثار كبيرة في المناطق التي مر منها والمجتمعات التي كانت مستقرة فيها ، من أهمها :

- إحداث نهضة حضرية وعمرانية واقتصادية في العديد من المدن الواقعة على امتداده الذي يبلغ ٤٢٠ كم داخل الأردن ، بدءاً من محافظة المفرق في الشمال ثم الزرقاء وعمان وصولاً إلى معان في الجنوب . وقد تجلّى التحول الحضري في هذه المدن في كثير من الظواهر ، أهمها التوسع في رقعة المناطق السكنية وبناء المتاجر والفنادق والمصارف ودخول الكهرباء والتلغراف إليها (درادكة ، ٢٠١١) .

- نشوء تجمعات حضرية عمرانية جديدة على امتداد الخط عبر الأراضي الأردنية ، وخصوصاً في المواقع التي أقيمت عليها محطات الخط الرئيسية ؛ وذلك نتيجة لسهولة انتقال السكان من مدينة إلى أخرى ، واستقرار العديد من عائلات العمال والموظفين الذين كانوا يشتغلون في هذه المحطات قرب مكان عملهم .

- تقوية الروابط الاجتماعية بين المدن والقرى التي يمر فيها الخط ، مما أدى إلى تحضر سكان البادية من خلال الإطلاع على ثقافة المناطق الأخرى والإفادة منها ، وكذلك توطين هذه القبائل بالقرب من المحطات والتشجيع على استقرارها ، وخصوصاً حول المحطات التي كانت تجاور بقايا قلاع كانت مبنية سابقاً لتكامل بذلك دورها العمراني والحضري للمناطق سابقاً .

- تحقيق نهضة تجارية واقتصادية للمدن الواقعة على امتداد الخط ، وتسهيل نقل البضائع التجارية والمنتجات الزراعية إلى المناطق الأخرى بطريقة سريعة ، بالإضافة إلى تعمير المناطق الواقعة جنوبي نهر الأردن وتطوير الزراعة وتنشيط اقتصاد الجزيرة العربية باتصالها ببلاد الشام وساحل البحر المتوسط .

### أهداف البحث:

- إلقاء الضوء على محور البيئة الحضرية والعمرانية من خلال بيان مدى تأثير

تشيد الخط الحديدي الحجازي وإقامة المحطات عليه في قاطع المفرق خلال حقبة التنظيمات العثمانية في نشوء وتطور التجمعات الحضرية والقرى والحرب التي مر عبرها في محافظة المفرق ، وبيان مدى تأثير تلك المحطات والمنشآت في التطور الحضري والعمراني والاقتصادي لتلك التجمعات السكنية ، وإيجاد تجمعات حضرية لم تكن موجودة أصلاً .

- دراسة المنشآت المختلفة التي كانت ملحقة بالخط الحديدي الحجازي ومساندة لتشغيله على امتداد سيره ، كالمحطات والمباني الملحقة بها والجسور والقناطر والسدود وغيرها من المنشآت التي شيدت إبان تلك المدة في تلك المنطقة ، ومن أهمها محطة المفرق والطرز والخصائص المعمارية لمراقفها ومبانيها .

### منهجية البحث:

انتهج الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي للوصول إلى الأهداف ، واستعان ببعض الأساليب والأدوات البحثية كالرجوع إلى الكتب والأبحاث المتعلقة بموضوع البحث والتصوير وقراءة الخرائط وعمل الزيارات الميدانية للمحطات والتجمعات التي أنشئت حولها والمقابلات الشفاهية مع السكان وغيرها . واقتصرت الدراسة على التجمعات الحضرية الواقعة ضمن الحدود الإدارية لمحافظة المفرق مرتبة بالتسلسل وحسب مرور الخط الحديدي عبرها من الشمال إلى الجنوب ، كالاتي : جابر السرحان ، زملة الطريقي ، سما السرحان ، رباع السرحان ، الغدير الأبيض ، المفرق ، القهوجي (ثغرة الجب) .

### الخصائص الحضرية والعمرانية للتجمعات والقرى على امتداد الخط:

أُتبعَت منطقة الدراسة إداريًا في العهد العثماني إلى لواء عجلون ، وتميزت المنطقة بانتمائها لبيئة البادية ذات النمط الرعوي والزراعي . وقد بدأ السكان بالاستقرار بفضل مرور طريق قافلة الحج الشريف في أراضي اللواء في المناطق المحاذية للخط الحديدي ، ليصبح بعد ذلك سمة بارزة لأغلبية السكان

وللمنطقة . ولما كانت القافلة موضع عناية السلاطين والولاة في دمشق ؛ فقد كان الاهتمام بإعمار القلاع والحصون وصيانة البرك وتوفير الجردة (الدوريات العسكرية) لمرافقة القافلة واستقبالها وحمايتها من هجمات العشائر البدوية ؛ وبخاصة عندما تتأخر الدولة في دفع الخاوة السنوية أو الصرة السلطانية إلى شيوخ العشائر (البخيت ، باسكوال ، ٢٠١٣) . ومع بدء البناء والعمل على تشييد الخط الحجازي ، ثم تشغيل المحطات على امتداده ، برزت العديد من العوامل التي ساعدت على جذب السكان ، سواء للعمل كموظفين وفنيين وعمال في هذه المحطات ، أو للتنقل عبر القطار من وإلى المدن الواقعة على امتداده ، ثم الاستقرار في مدن غير مدنهم الأصلية . ومن هذه العوامل أيضاً الشعور بفعالية العامل الأمني نظراً إلى بناء المخافر والمحطات الأمنية والعمل على تحصين القلاع القديمة وضبط جباية الضرائب وغيرها (الجالودي ، ١٩٩٤) . بالإضافة إلى أن المحطات كانت تؤدي دوراً أمنياً أيضاً لوجود الحراس فيها . وفي ما يأتي وصف مختصر لهذه المحطات والتجمعات التي أنشئت حولها :

- جابر السرحان : وهي أول محطة بعد دخول الخط الحجازي الأراضي الأردنية على موقع كيلومتري (١٤٧ كم) ، وكان موقعها إلى الشرق من المنطقة الأثرية ، وتتكون من مبنى واحد يحتوي على ثلاث غرف متلاصقة ، ويُعتقد أنه كان مخصصاً لغايات الحراسة ومراقبة الجسور الحجرية المقامة على الخط الحديدي والقريبة منه ، وفي الحرب العالمية الأولى دُمّر المبنى ، وما زال البئر الخاص بتزويد المحطة بالماء موجوداً في الموقع لغاية الآن (الحصان ، ٢٠٠٨) . ومنذ الثلاثينيات من القرن الماضي بدأ السكان يستقرون في المنطقة ، الذين ينحدر أغلبهم من أصول حورانية من قرى في جنوب سوريا (قرى نصيب وأم المآذن) (عبد العزيز ، ٢٠١١) . وسكنوا بالقرب من الموقع الأثري ذي الأصول النبطية والرومانية والبيزنطية ؛ نظراً إلى توافر المياه ووجود الأراضي الزراعية . بالإضافة إلى قربهم من مناطق سكنهم ، ولتكون نواة لقرية جابر الحديثة . وفي الخمسينيات من القرن الماضي قَدِمَ بعض عشائر السرحان للاستقرار

فيها للأسباب السابقة نفسها . ولقرية جابر السرحان في الوقت الحاضر أهمية جغرافية واقتصادية ، خاصةً بعد إنشاء مركز حدود جابر/ نصيب بين الأراضي السورية والأردنية في ثمانينيات القرن الماضي ، وأصبح يمر منها الخط البري الدولي الواصل إلى سوريا ، وإلى الشرق منها تقع المنطقة الحرة الأردنية السورية ومحطة للشاحنات .

- قرى سما السرحان ومغير السرحان ورباع السرحان : وهي تجمع لثلاث قرى متجاورة يمر عبرها الخط الحجازي ، تقع إحداها ، وهي مغير السرحان ، إلى الغرب من الخط ، بينما تقع قريتا سما السرحان ورباع السرحان إلى الشرق منه . وتمتاز هذه القرى بوقوعها في منطقة التقاء أودية موسمية وبرك تجميع لمياه الأمطار ، وتصلح أراضيها للرعي والزراعة مما ساعد السكان على الاستقرار فيها . وكان السكان يستغلون الخط الحديدي وتوقف القطار في المحطة لنقل المواشي إلى المفرق بُغيةً بيعها هناك في سوق الحلال (الماشية) ، وكذلك لجلب المياه إلى محل إقامتهم مما ساعد على جذب المزيد من عشائر السرحان إليها ، وخصوصاً منذ الخمسينيات من القرن الماضي (محمود ، ٢٠١١) .

- زُملة الطريقي : وهي إحدى قرى السرحان يمر الخط الحديدي من غربها ، وتقع إلى الشمال من مدينة المفرق بمسافة نحو ١٧ كم ، واسمها مكوّن من شقين ؛ الأول يحمل وصفاً لجغرافيتها ، بينما يشير الشق الثاني إلى شخصية لها جذور في تكوين هذا المكان ؛ حيث إن «الزُملة» تعني التلة الدائرية التي تقع في منطقة مفتوحة ، ولا يوجد حولها أية تلال أخرى . أما «الطريقي» فيعود إلى أحد أجداد أبناء القرية ، وهو «الطريقي عجيان» ، الذي استقر في هذه البقعة ، وثبّت ملكيتها لأبناء القرية من أيام الانتداب البريطاني ، ولهذا فقد نُسب المكان إليه اعترافاً بفضله ، وتكرماً لذكراه . وأغلب سكان القرية الحاليون هم من عشائر السرحان ، ولهذا فإنه وإن كان خط سكة القطار يحدها من الغرب ، فإن الحدود الثلاثة الأخرى متاخمة لتلك القرى

الشقيقة ؛ حيث يحدها من الشرق سما السرحان ، ومن الشمال منشية الكعيبير ، ومن الجنوب سمياً السرحان . وأكثر ما يميز «زملة الطريقي» وجود الجسر التركي القديم عند مدخلها ، ويلاحظ المتأمل له أنه أنشئ بعدة أقواس حجرية ، يسير فوقها خط سكة حديد الحجاز ، وهو ما يزال محتفظاً بتماسكه ، وهندسته التي تؤثّر على ملامح معمارية لبقية المنشآت والبنى التحتية للخط الحجازي ، ومنها تلك الجسور التي تحتفظ بذاكرة قديمة مرتبطة بها (العدوان ، ٢٠١٠) (العدوان ، ٢٠١٠) .

- استراحة (الغدير) الأبيض : وهي محطة تقع إلى الشمال من المفرق ، على بعد ٩ كلم منها ، وعلى موقع كيلومتر (١٥٢ كم) ، وتتكون من مبنى واحد من غرفتين متلاصقتين كان مخصصاً للاستراحة والمراقبة وتزويد المياه . ونشأت بالقرب منها قرية الغدير نظراً إلى وجود غدير عميق من الماء يتكون من التقاء أودية موسمية ، وتتجمع المياه فيه حتى أشهر الصيف ، مما كان حافظاً قوياً لجذب السكان والاستقرار في الموقع .

- مدينة المفرق : تقع مدينة المفرق في شمال الأردن على بعد (٦٥) كم من العاصمة عمان على الطريق الدولي الواصل بين حدود الأردن مع سوريا عبر معبر جابر/ نصيب البري وعمان ، وكذلك على الطريق الدولي الواصل إلى العراق . ونالت مدينة المفرق شهرة في بدايات القرن الماضي كونها احتوت على محطة سكة الحديد ومرافق شركة نفط العراق (I.P.C) والقاعدة العسكرية البريطانية والمطار العسكري . وهي الآن المركز الإداري والتجاري لمحافظة المفرق ، وفيها تتمركز المؤسسات الرسمية الحكومية والفعاليات الاقتصادية والاجتماعية والترفيهية للمحافظة على نحو عام (sqour, 2016) . وقد نال موقع المدينة أهمية وعناية مميزة من الدولة العثمانية باعتباره محطة رئيسة على درب الحاج الشامي للقادمين من تركيا ودمشق عبر الأردن إلى الديار المقدسة ، وتجلى ذلك الاهتمام في بناء «قلعة الفدين» في أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، التي ما زالت آثارها قائمة إلى الآن في موقع الفدين

الأثري؛ وذلك لاستخدامها من قبل حامية القلعة، التي كانت تقوم على حماية قوافل الحجيج وخدمتهم في أثناء مرورهم من المنطقة (الرجوب والحصان، ٢٠١٠). ولم يكن لبناء القلعة وارتباطها بطريق الحاج وما رافق ذلك من نشاط تجاري بين الحجيج وسكان المنطقة من القبائل البدوية أي أثر يذكر على استقرار السكان في الموقع. الصورة (١).

- أهمية المحطة في نشوء مدينة المفرق حديثاً: بقي موقع المدينة فارغاً من أي نشاط سكاني حتى بدايات القرن العشرين عندما اعتمد الموقع القريب من القلعة العثمانية وخربة الفدين الأثرية محطة رئيسة على الخط الحديدي الحجازي وبُنيت فيه مباني «محطة المفرق» عام ١٩٠٣م وعلى موقع كيلومتری (١٦٢ كم). وكان ذلك العامل الأهم في جذب أعداد كبيرة من المواطنين للعمل في هذه المحطة وتشجيعهم على الاستقرار فيها، خاصة السكان الذين قدموا من المدن البعيدة عنها التي تقع على امتداد الخط الحجازي، مثل معان وعمّان ودمشق، وأقيمت بيوت وأحياء سكنية في مناطق قريبة من المحطة. الصورة (٢)



الصور (١): تبين موقع محطة المفرق في العشرينيات من القرن الماضي، ولا يظهر أي أثر للعمران حولها. (المصدر: الحصان)



الصورة (٢): تبين موقع محطة المفرق في الثلاثينيات من القرن الماضي ، ويظهر نشوء بدايات العمران حولها . (المصدر : الحصان)

وبسبب ذلك ظهرت في المدينة أحياء جديدة سُمّيت بأسماء المدن التي قدم سكانها منها كحي المعانية وحي الشوام مثلا ، كما قدم إليها السكان من المدن القريبة منها كإربد وجرش وعجلون بحثاً عن فرص العمل التي قدمتها لهم المدينة الجديدة ، سواء كعمال وفنيين في المحطة أو في الخدمة العسكرية في المعسكرات التي أنشئت فيها . وتركت تلك العوامل أثراً كبيراً في توسع المدينة وازدهارها وزيادة عدد سكانها وبدء النمو الحضري الحديث فيها . وكان تأسيس القواعد العسكرية والقاعدة الجوية (المطار) خلال وجود القوات البريطانية في المنطقة عاملاً رئيساً في وضع المفرق على قائمة المواقع العسكرية المهمة في شرق الأردن خلال الحرب العالمية الثانية .

ومنذ ذلك الوقت غدت المدينة محطة رئيسة على الطريق البري الوحيد الواصل بين شمال المملكة والعاصمة عمان ثم باقي مدن المملكة ، وعلى الطريق البري الواصل إلى بغداد أو إلى دمشق سواء عن طريق البر أو بالقطار



عبر الخط الحديدي الحجازي (قازان، ٢٠٠٧). واستمر تطور المرفق منذ ذلك الوقت حتى غدت مركزاً تنموياً اقتصادياً مهماً جاذباً للسكان، وبدأت تظهر ملامح المدينة والنهوض العمراني والخدمي فيها لتلبية احتياجات السكان، مما أدى إلى زيادة في استقطاب السكان من المدن والقرى المجاورة للعمل والاستقرار فيها. الصورة (٣)



الصورة (٣): الموقع العام لمحطة المرفق بالنسبة إلى المدينة. (المصدر: Google Earth)

- ثغرة الجب، القهوجي، وهما اسمان لمحطة واحدة صغيرة أشهرها اسم «القهوجي»، وهي محطة مهجورة حالياً وتقع إلى الجنوب من مدينة المرفق على موقع كيلومتر (١٧٣ كم)، وفيها مبنى شبيه بالمبنى الذي كان موجوداً في محطة جابر مبني من مزيج من الحجارة الطبيعية الكلسية والبازلت وملحق به بئر ماء، وكانت الأغراض الدفاعية للمبنى واضحة من خلال وجود درج يؤدي إلى سطح البناء وطلاقات وواقيات للرصااص أعلى المبنى ومن الجهات الأربع (الحصان ٢٠٠٨). وإلى الشرق من الخط الحديدي والمحطة نشأت قرية ثغرة الجب فوق مرتفع عال يطل على سهول خصبة إلى الغرب منه.

## الخصائص العمرانية للمباني ومنشآت المحطات على الخط الحديدي الحجازي بشكل عام؛

- أنواع المباني ووظائفها : تنوعت الوظائف الرئيسية التي كانت منوطة بالمحطات على نحو عام من تأمين الخط وحمايته وإجراء الصيانة اللازمة له ، بالإضافة إلى تزويد القطارات بالمياه والوقود (الخطب) ، ولم تكن أغلبها معدة لأغراض خدمات السفر والمسافرين . ولأسباب استراتيجية وتقنية تباعدت المحطات عن بعضها مسافة من ١٠-٢٠ كم . من هنا نجد تنوعاً في عدد مباني المحطات وحجومها ووظائفها ، وكذلك تنوعاً في عدد الخطوط الحديدية للسكة ، وذلك تبعاً لأهمية المحطة والخدمات التي كانت تقدمها حسب تصنيفها وموقعها . وقد توزعت المباني على نحو عام على امتداد الخط الحديدي من جهة واحدة ، سواء من اليمين أم من اليسار باتجاه الجنوب ، سوى بعض المحطات الرئيسية ، التي كانت المباني فيها من الجهتين ، كما في عمان ومعان . وتوزعت الوظائف الرئيسية للمباني والمنشآت في المحطات بشكل عام على النحو الآتي :

المباني الإدارية : وهي المباني المخصصة مكاتب للموظفين والقائمين على إدارة شؤون المحطة وتسيير أعمالها والحراس (المخفر) وغيرها .

المباني السكنية : وهي المباني التي كانت مخصصة لسكن ناظر المحطة والشاويش والحراس والموظفين . الصورة (٤)

المباني الخدمية : وهي المنشآت المخصصة لخدمة القطارات وصيانتها وتزويدها بالوقود (الخطب في ذلك الوقت) وخزانات المياه والمستودعات والمرافق الصحية وغيرها . الصورة (٥)



الصورة (٤) : تبين المباني السكنية الخاصة بالعمال والموظفين في محطة المفرق (المصدر : من تصوير الباحث)



الصورة (٥) : مباني الورش وصيانة العربات في محطة عمان (المصدر : من تصوير الباحث)

المنشآت الصغيرة والملحقات الخدمية : كالمصاطب<sup>(١)</sup> والأعمدة المخصصة للإضاءة وحمل الخطوط السلوكية المخصصة لخدمات البرق والهاتف والمظلات وآبار تجميع المياه . الصورة (٦)

(١) هي بناء من الحجر يرتفع قليلا عن مستوى الخط الحديدي بحدود (١٢٠) سم وبطول يبلغ (٢٠) م ، وكانت معدة لتسهيل نزول المسافرين والبضائع عليها من عربات القطار ، وعادة ما تقع على امتداد الخط الحديدي في أحد جوانب المحطة .



الصورة (٦) : تبين المنصة وخزان المياه والمبنى الإداري في محطة الزرقاء (المصدر : شبكة المعلومات العنكبوتية)

الجسور والقناطر والعبارات : تميزت المناطق التي يسير عبرها الخط بأنها ذات أراضٍ مستوية إلى حد ما ، لكنها لم تخل من وجود انحدارات وارتفاعات بسيطة في أجزاء منها تمثلت في بعض التلال والهضاب ، كما واجه مسير الخط مناطق تمر منها أودية ومسارات للمياه الموسمية ، مما دعا إلى تشييد عدد من الجسور والقناطر الحجرية ذات الاتساعات المختلفة لتخطي تلك العوائق وللحفاظ على خط سير للخط بمستوى أفقي قدر الإمكان . وقد شُيِّدت هذه المنشآت بأسلوب إنشائي متقن وبحرفية عالية بحيث تتحمل مرور العربات من فوقها ، وما يزال أغلبها محافظاً على حالتها الأصلية لغاية الآن . الصورتان (٧ و ٨) .



الصورتان (٧) و(٨) : بعض الجسور والعبّارات المشيدة على امتداد الخط الحديدي في محافظة المفرق (المصدر : تصوير الباحث ، وشبكة المعلومات العنكبوتية)

الطابع المعماري ومواد البناء : احتوت المباني الإدارية والسكنية في الأغلب على غرف صغيرة المساحة لتتوافق مع الوظائف التي كانت تؤديها ، بينما كانت المباني الخدمية كالورش الفنية وعبّارات الصيانة والتخزين متسعة وذات سقوف عالية وأبواب كبيرة تتسع لعبور عربات القطار منها وإجراء الصيانة اللازمة لها . وبالنسبة إلى المحطات المنتشرة على امتداد الخط فقد كان بعضها مكوناً من غرفة واحدة أو عدة غرف ، كما في جابر والغدير الأبيض والقهوجي ، فيما كانت محطة المفرق هي المحطة الرئيسة في المنطقة . ويظهر ذلك جلياً في أهمية موقعها وكبر مساحتها وتنوع مبانيها ومرافقها . وجاء طابع المباني للمنشآت المعمارية المشيدة في هذه المحطات متوافقاً مع ما يحيط بها من ظروف بيئية ومناخية ومواد بناء متوافرة ، وكانت المباني على قدر من القوة والتحمل والثبات ، وما تزال أغلب المباني محافظة على وضعها الأصلي كما كانت عليه من قبل ما يزيد على قرن من الزمان ، وعلى الرغم من بعض الإهمال التي تعرضت له نتيجة

توقف العمل على الخط لوقت طويل وهجران المباني وعدم إجراء الصيانات اللازمة للكثير منها . وكان الطابع المعماري للمباني أقرب إلى الطابع المعماري التقليدي المتوارث في المنطقة على نحو عام ، إلا أن التأثر بالطابع الغربي كان واضحاً من خلال استخدام السقوف المثلثية (المائلة) المصنوعة من الخشب والقرميد .

وكانت مادة الحجر الطبيعي هي المادة السائدة والرئيسة المستخدمة في إنشاء المباني على نحو عام ، وكانت هذه الحجارة مشغولة في الجدران الخارجية والواجهات بشكل جميل ، بحيث يتم تركيب الحجارة من صفوف أفقية (مداميك) على هيئة طبقات فوق بعضها بعضاً ، ولبلغ سمك الجدار فيها ٦٥سم تقريباً ، واستخدمت فيها دقة (نقشة) الحجر التي كانت شائعة في ذلك الوقت ، وهي الدقة النافرة (الطبزة) ، كما استخدمت دقة الحجر الناعمة (المسمم) في زوايا وأعلي الأبواب والشبابيك (السلاحات والقموط) بحيث بلغت قياسات الحجر الواحد منها على الأغلب (٥١×٢٠×٣٠سم) . وقد استخدمت مواد رابطة (ملاط) لكي تلتصق الحجارة ببعضها بعضاً ، واستخدمت لذلك خليط من مادتي رمل السيل والجير المطفئ (الكلس) ، كما استخدمت مكونات الخلطة نفسها لأعمال تكحيل الواجهات وسد الفراغات بين القطع الحجرية والمداميك . واستخدم الحجر الطبيعي المشذب والمشغول يدوياً مادة بناء رئيسة للجدران ، كما تنوعت ألوان الحجارة المستخدمة حسب ما توافر منها في المنطقة ، فأحياناً نشاهد الحجر الطبيعي الجيري المائل للصفرة والبني أو الحجر البازلتية الأسود ، وأحياناً كثيرة نرى المزيج بينها . وتخلل الواجهات من جميع الجهات فتحات للتهوية (النوافذ) ، وكانت ذات أبعاد صغيرة نسبياً ، وفي بعض المباني كان هناك فتحات صغيرة (طلاقات) هدفها المراقبة والدفاع عن المباني في حال الهجوم عليها . الصورتان (٩) و(١٠)



الصورة (٩) : المبنى الرئيس لمحطة المفرق والمشيد من مادة الحجر الطبيعي ، ويظهر عليه آثار الإهمال . (المصدر : تصوير الباحث)



الصورة (١٠) : المبنى الرئيس في محطة الخربة السمرا ، ويظهر فيه واضحاً استخدام الحجر البازلتي الخالص . (المصدر : تصوير الباحث)

### الوصف الحضري والمعماري لمباني المحطة ومنشأتها:

نظراً إلى مكانة محطة المفرق وأهمية موقعها وتنوع وظائف مبانيها ومنشأتها وتأثيرها الواضح في نشوء مدينة المفرق ، فقد أبرز الباحث اهتماماً خاصاً لها في هذا البحث ليكون شاملاً ، وذلك على النحو الآتي :

موقع المحطة : تقع محطة سكة حديد المفرق في وسط مدينة المفرق على الموقع الكيلومتری (١٦٢) كم ، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار (٧١١)م وتبلغ مساحتها (٦٦٨٥٥) م<sup>٢</sup> ، وتعد أكبر محطة على الخط بعد الدخول إلى الأراضي الأردنية من سوريا . ويبلغ عدد المباني فيها خمسة ، بالإضافة إلى بئر لتجميع المياه ، وبئر أخرى لتصريف المياه العادمة ، ومصطبة لتنزيل الركاب والبضائع تقع بمحاذاة رصيف السكة ، علاوة على الحديقة الملحقة بها .  
الصورة (١١)



الصورة (١١) : محطة المفرق في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي وتُضخ مبانيها الرئيسة والحديقة مع بدايات تشكل العمران حولها في ذلك الوقت . (المصدر : الحصان)

### الوصف المعماري لمباني المحطة ومنشأتها:

المبنى الرئيس : وهو مبنى مستطيل الشكل تبلغ أبعاده (١١,٣٠) م من الشمال إلى الجنوب ، و(٦,٩٠) م من الغرب إلى الشرق ، ويتكون من طابقين بالإضافة إلى القبو . وكان المبنى معداً لإقامة ناظر المحطة وعائلته ، بالإضافة إلى أنه مقر إداري للموظفين العاملين في المحطة . وللمبنى مدخلان اثنان : أحدهما من الجهة الغربية المطلّة على خط السكة الحديدية والآخر من الجهة الشرقية ، وهما متساويان في الارتفاع (٢,٨٥) م والعرض (١) م . ويصعد إلى الطابق العلوي من



خلال درج خشبي يبلغ عرضه (٨٠) سم ، مكون من ثلاثة أجزاء ، في كل منها خمس درجات مع مصطبتين واحدة في الأسفل والأخرى في الوسط .

- الطابق الأرضي : ويتكون من خمس غرف ذات وظيفة إدارية أمنية ، بالإضافة إلى بيت الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي ، والدرج المؤدي إلى القبو (الخدق) الموجود تحت مستوى سطح الأرض على امتداد مساحة المبنى كاملاً ، وفي ما يأتي وصف لكل غرفة فيه على حدة :

✳️ الغرفة الوسطى : وكانت مقر ناظر المحطة ، وهي متصلة مع الغرفة التي بجوارها ، ولها نافذة نحو الغرب ، وتوجد في زاويتها الجنوبية الشرقية مدخنة خاصة بالمدفأة الحجرية مثبتة على الجدار بارتفاع يعلو ارتفاع المبنى الكلي وبارز عن السطح المائل للمبنى .

✳️ الغرفة الشمالية : وهي الغرفة المخصصة للاتصالات ؛ حيث يوجد فيها جهاز الاتصال (المقسم) الخاص بالاتصالات السلكية مع جميع المحطات الأخرى ، ولها بابان : الأول يفتح على غرفة الناظر المجاورة لها ، والآخر يفتح على غرفة التذاكر الشرقية ؛ ونافذة واحدة تطل على الجهة الشمالية من المبنى .

✳️ غرفة (بيت) الدرج : وهي غرفة مربعة تحتوي الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي ، ويبلغ عرض الدرج الخشبي فيها (٨٠) سم .

✳️ غرف الحراس (الأمن) : وهما الغرفتان المحاذيتان للجدار الجنوبي للمبنى ، ويدخل إليهما من الجهة الغربية المطللة على الخط الحديدي ، وكانت وظيفتهما مكاتب للأمن والحماية بدليل وجود فتحات صغيرة (طلاقة)<sup>(١)</sup> في جدارهما الغربي المقابل للخط الحديدي تبلغ أبعادها (٤٦

(١) تستخدم الطلاقة عسكرياً في القنص والدفاع عن المباني ، ويتكرر استخدام هذا النظام في أكثر من

موقع في المبنى ، وقد اختلفت أشكال الطلاقات ، فمنها الدائري ، ومنها المستطيل ، وتبلغ أبعاد

الطلاقة (٤٦ سم × ٣٩ سم × ٤٠ سم) بارتفاع نحو ١,٥ م عن مستوى الأرضية .

سم ٣٩×سم ٤٠×سم) بارتفاع نحو ١,٥ م عن مستوى الأرضية ؛ وذلك لاستخدامها في المراقبة والقنص والدفاع عن المباني إذا لزم الأمر ، ويتكرر استخدام هذا النظام في أكثر من موقع في المبنى ، واختلفت أشكال الطلاقات فمنها الدائري ومنها المستطيل .

- الطابق العلوي : وهو مشابه للأرضي في عدد الغرف ونوعيتها سوى الاختلاف في وجود المطبخ والمرق الصحي في الجهة الشمالية للمبنى .

- الطابع المعماري للواجهات والسقوف : جاء الطابع المعماري للمبنى مشابهاً للمباني الإدارية في معظم محطات الخط الرئيسة وبأسلوب متوافق مع الطابع الذي كان سائداً في تلك المدة من حيث استخدام الحجر الطبيعي الكلسي القاسي في بناء الجدران ، التي بلغ سمكها (٦٥ سم) ، وكان الحجر مشغولاً على نحو متقن ومصفوفاً على شكل مداميك متراصة ، ويتخلل الجدران فتحات للنوافذ والأبواب قليلة الاتساع نسبياً ومتساوية جميعها مزينة بحجارة ذات سطح ناعم مشكلة بروازاً جميل المظهر . ويمتد حول المبنى من جوانبه الأربعة على ارتفاع سطح الطابق الأرضي (٣,٥ م) فاصل حجري بارز ، يبدو كأنه يفصل الطابق الأرضي عن الأول . وتما يميّز واجهات المبنى الشمالية والجنوبية وجود لوحة تعريفية حجرية منحوتة وبارزة ضمن إطار حجري كتب عليها كلمة «مفرق» لتدل على اسم المحطة . فيما كان السقف مشيداً من هيكل خشبي فوقه غطاء من القرميد الأحمر ، ويميل من محور متوسط نحو الجهتين الشرقية والغربية .

وقد أضيف حديثاً مظلة ذات هيكل معدني تحمل سقفاً من القرميد على مدخل المبنى من الجهة الغربية المطلّة على الخط الحديدي . وعلق عليها لوحة كتب عليها اسم المحطة (المفرق) ومزينة بصورة جلاله الملك عبدالله الثاني ، كما رُكبت بعض المقاعد وأحواض المزروعات لتمنح زوّار المحطة نوعاً من الشعور بالاتساع والراحة ، وتستوعب عدداً أكبر منهم . الصورتان (١٢) و (١٣)



الصورة (١٢) : صورة حديثة للمبنى الرئيس (الإداري) لمحطة المفرق تبين حالته في الوقت الحاضر (المصدر : تصوير الباحث)



الصورة (١٣) : اللوحة التعريفية بمحطة المفرق (المصدر : تصوير الباحث)

الخضر (الجندرة) : ويقع إلى الشمال الشرقي من المبنى الرئيس على بعد ٣٣ م منه ، وهو بناء حجري مميز ذو شكل دائري يبلغ قطره (٤,٥ م) وارتفاعه ٧ أمتار ، مبني على قاعدة حجرية مرتفعة بارتفاع درجتين ارتفاع كل واحدة منها (٣٥ سم) ، يُدخل إليه من جهة جنوب الغربي عبر باب بارتفاع مترين وعرض (٩٠ سم) ، ويمكن الصعود إلى سطحه بواسطة درج معدني ، كما يوجد درج معدني عمودي (سلم) مثبت بالجدار من الجهة الخارجية ، مما يدل على أنه كان ذا وظيفة أمنية دفاعية يمكن للحراس الاحتماء به من الداخل أو اعتلاء سطحه من الخارج للاحتماء بالتحصينات الحجرية التي كانت مثبتة عليه وأزيلت لاحقاً بعد وضع خزانات المياه . وللمبنى نافذة واحدة من الجهة الغربية وطلاقة دائرية من الجهة الشمالية الشرقية . الصورة (١٤)

بئر المياه : وهي بئر محفورة عميقة وواسعة بنيت من الداخل بالحجر المحكم لمنع تسرب المياه في الأرض ، ولها غطاء من الحجر والأسمنت على شكل مربع طول ضلعه ١٧٠ سم وارتفاعه مدماك واحد ٣٠ سم ومغطاة بغطاء معدني متين . وكانت تجمع فيها المياه وتخزن لأغراض تزويد القطار البخاري عند مروره من المحطة . وقد أدت البئر دوراً مهماً لسكان المدينة حتى بداية الأربعينات من القرن الماضي عندما كان يتم تزويد أغلب عائلات العاملين بالمحطة من سكان المرفق بمعدل تنكتين (٤٠ لتراً) للعائلة الواحدة يومياً ، وذلك عندما كانت المياه تجلب للمدينة بواسطة القطار من مدن أخرى (من مدينة درعا السورية ومن عيون سيل الزرقاء) نظراً إلى شح المياه في المدينة ، وخاصة في أيام الصيف<sup>(١)</sup> .  
المباني السكنية : وهما مبنيان متشابهان تقريباً في الشكل والوظيفة ، ويتكونان من غرف سكنية واسعة نسبياً ، لكل منها مدخل مستقل وتتجه نحو الشرق ، وكانت وظيفة الأول سكن شاويش المحطة والثاني للموظفين ، وأضيفت

(١) وذلك حسب رواية أحد الموظفين في محطة المرفق خلال زيارة قام بها الباحث بتاريخ

لاحقاً غرفتان (مطبخ ومرفق صحي) في الجهة الشرقية لكل منهما ، بالإضافة إلى سور يحيطهما . ويتميز المبنى الأول بأنه مزود بقبو تحت مستوى الأرض تبرز من جهته الغربية أربع فتحات للتهوية أو طلاقات ، يُعتقد أنه كان مستخدماً خندقاً (ملجأ) للاختباء في حال الطوارئ . الصورتان (١٥) و (١٦)

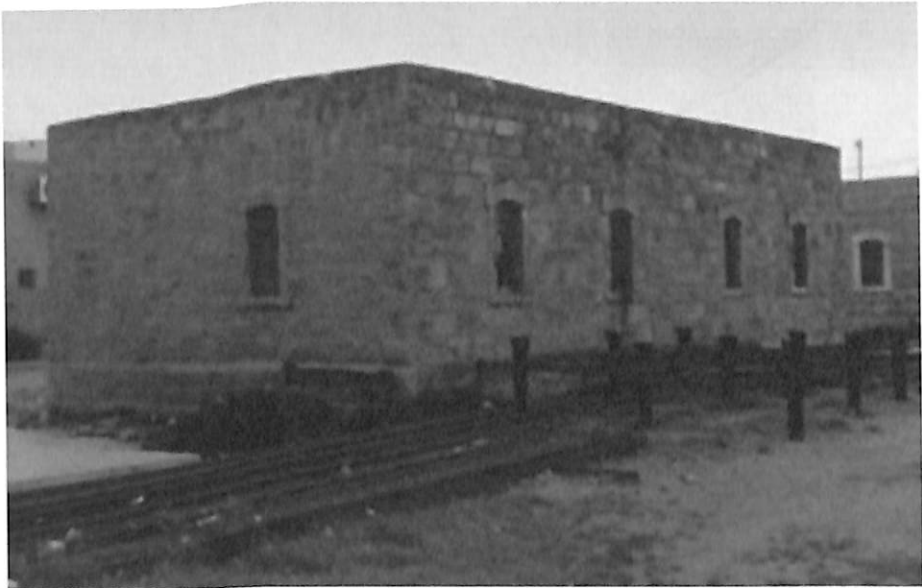
المرافق الصحية (الحمامات) : وهو مبنى المحطة الخدمي ، يقع إلى جنوب المبنى الرئيس على بعد (١٨م) منه ، تبلغ أبعاده ٥ أمتار من الشمال للجنوب و٢,٥م من الغرب للشرق . ويتكون المبنى من ثلاث غرف صغيرة ؛ الأولى لها باب يتجه نحو الغرب ونافذة تطل على الجهة الشرقية ، وكانت وظيفتها الاستحمام والغسيل والوضوء . أما الغرفتان الأخرى فتتجهان نحو الشرق ، وهما مرفقان صحيان منفصلان للنساء وللرجال . ويتصل المبنى عبر قناة مسقوفة بالحجارة والأسمنت بئر لتجميع المياه العادمة تقع على بعد خمسين متراً نحو الشرق . وما تزال تظهر على هذا المبنى آثار قذائف أطلقت من الطائرات الصهيونية التي هاجمت المرفق ومطارها العسكري عام ١٩٦٧م . (الحصان ، ٢٠٠٨) . الصورة (١٧)



الصورة (١٤) : المبنى الدائري (الخفر) في محطة المرفق (المصدر : تصوير الباحث)



الصورة (١٥) : تبين مبنى سكن شاويش المحطة  
(المصدر : تصوير الباحث)



الصورة (١٦) : تبين مبنى المستودعات في المحطة (المصدر : تصوير الباحث)

- منصة المسافرين (المصطبة) : وهي مستوى مرتفع من الأرض له جدار حجري طوله ٢٠ متراً ملتصق بالخط الحديدي من جهة الشرق ، ويقع أقصى الجهة الجنوبية من المحطة على بعد (٣٠ م) من المبنى الرئيس فيها ، مُعدّ لتسهيل نزول المسافرين والجنود والبضائع والحيوانات . الصورة (١٨)



الصورة (١٧) : مبنى المرافق الصحية في المحطة -الجهة الغربية (المصدر : تصوير الباحث)



الصورة (١٨) : تبين منصة المسافرين وتنزيل البضائع والحيوانات من عربات القطار (المصطبة)  
(المصدر : تصوير الباحث)

الحديقة : وتمتد على طول خط سكة الحديد الشرقية ما بين الخفر الدائري وبئر جمع المياه في الشمال على طول ٥٠م وبعرض ٢٠م وأشجارها متنوعة وباسقة ، وما تزال لغاية الوقت الحالي تحتفظ باسمها التركي «باغجة / Bahçe» ؛ أي حديقة وقد زُرعت الأشجار فيها في العهد العثماني . الصورتان (١٩) و(٢٠) .



الصورتان (١٩) و(٢٠) تبيّنان المبنى الإداري والشارع المؤدي إلى الحديقة الملحقة حديثاً بالمحطة .



## النتائج:

أظهرت الدراسة النتائج الآتية :

- كان لإنشاء الخط الحديدي أثر كبير في التطور الحضري للتجمعات السكانية على امتداده ، وإقامة تجمعات حضرية جديدة ، وتغيير في نمط المعيشة للسكان الذين كانوا يعيشون في المنطقة نتيجة للشعور بعامل الأمن والحماية مع وجود المحطات بالقرب منهم . وبالرجوع إلى التجمعات العمرانية التي نشأت على امتداد الخط ودراسة تكويناتها الحضرية ، تبين أن جزءاً منها كانت تجمعات حضرية نشأت على بقايا آثار كانت موجودة ومأهولة بالسكان قبل مرور الخط الحديدي منها ، وتطورت تاريخياً عبر الزمن ، كالخرب والمستوطنات التي كانت موجودة في حضارات سابقة على امتداد طريق تراجانوس ودرب الحاج الشامي ؛ حيث كان لبقايا آثارها ومبانيها ومصادر المياه والأراضي الصالحة للزراعة دور كبير في جذب السكان واستقرار بعض الجماعات فيها . وبعد مرور الخط الحجازي منها ، ومع وجود محطات لنقل الركاب والبضائع على امتداده ، فقد ساعد كل ذلك على استقرار بعض العشائر الرُّحل الذين كانوا يمارسون الرعي والزراعة في المنطقة ، وتطوّرت هذه التجمعات لتصبح قرى عامرة . وكانت محطة المفرق المحطة الأكبر والأبرز في المنطقة ، ومدينة المفرق هي المدينة الأهم من بين هذه التجمعات .

- اتسمت المباني في المحطات على نحو عام بأنها مباني دائمة ومتينة ، وكانت ذات طابق واحد ، في حين كان المبنى الإداري في المحطات الرئيسية مكوناً من طابقين ، واستخدمت الأقبية في الغالب ملحقات في بعض من هذه المنشآت ، وبُنيت الجدران لتكون حاملة إنشائياً ، وكانت مبنية من الحجارة الطبيعية المستخرجة من المحاجر القريبة من هذه المحطات ، ومشغولة يدوياً بأسلوب دقيق وبأيدي عمال مهرة . وتميزت سقوف المباني السكنية والخدمية ذات الأبعاد الصغيرة في أغلب الأحيان بأنها مستوية ، واستُخدمت الجسور والهياكل الحديدية والخشبية لإنشاء السقوف المائلة في المبنى الرئيس

للمحطة كما هي الحال في محطة المفرق ، واستعملت فيها مادتا الخشب والقرميد لتغطية السقوف ، وفي هذا دلالة واضحة على التأثير بالطابع الأوروبي للتسقيف ؛ إذ لم تشهد المنطقة استخداما لمادة القرميد من قبل ، ولا توجد دلائل على استخدامها لهذا الغرض في المباني . وقد تنوعت مواد البناء الرئيسية في تشييد المباني لتشمل الحجر الطبيعي بنوعية الكلسي والبازلتية والجير المطفأ والقرميد والخشب والمعدن .

### التوصيات:

يوصي الباحث بـ الآتية :

- تأكيد الحفاظ على خط السكة الحديدي الحجازي وحمايته ومنع الاعتداءات عليه بشتى الطرق والوسائل المتاحة والممكنة ، وذلك باعتبار الخط والمحطات التابعة له وما تحويه وفقاً لإسلامياً .
- ضرورة الاهتمام بمواقع التجمعات الحضرية المقامة على امتداد الخط الحديدي وتأهيل مجتمعاتها وسكانها .
- ضرورة الاعتناء بمواقع المحطات ومبانيها والعمل على ترميمها وصيانتها وإعادة استخدامها لتسهم في تنمية هذه التجمعات اجتماعياً واقتصادياً وسياحياً وبما يحقق الفائدة للسكان وللمنطقة على نحو عام .
- ضرورة توجّه الأبحاث والدراسات نحو الاهتمام بالطابع المعماري والإنشائي لمباني محطات الخط الحديدي الحجازي في الأردن ، وإظهار خصائصها وميزاتها .
- ضرورة إزالة التشوهات البصرية المضافة حديثاً إلى المحطة ومبانيها ، كالمباني الأسمنتية والدهان بأشكاله ، وكذلك مظلات الزينكو وغيرها .
- العمل على تنشيط السياحة المحلية عبر القطار لزيارة المحطات على امتدادها ، والمواقع الأثرية في المفرق خاصّة والأردن عامة ؛ لما في ذلك من تجسيد للذاكرة الوطنية .

## قائمة المراجع

### اللغة العربية:

- \* صالح درادكة ، «سكة حديد الحجاز (جدلية التحدي والنجاح) قراءة تاريخية في مجريات العمل» ، مجلة البيان ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، ٢٠١١م ، جامعة آل البيت ، ص ٢٩ .
- \* صلاح قازان ، المفرق وجوارها في عهد الملك المؤسس عبد الله بن الحسين ، المفرق ، ٢٠٠٧م .
- \* عبد العزيز محمود ، نشوء العمران وتطوره على امتداد الخط الحديدي الحجازي ، مجلة البيان ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، ٢٠١١م .
- \* عبد القادر الحصان ، خط السكة الحديدية الحجازية ، وزارة الثقافة ، ٢٠٠٨م ، عمان ، ص ٢٧ .
- \* عبد القادر الحصان ، محافظة المفرق ومحيطها عبر العصور ، مطابع الأرز ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ص ٥٠٤ .
- \* عبد المجيد الرجوب ، عبد القادر الحصان ، العمارة الإسلامية العثمانية في الأردن ، قلعة الفدين/ نموذجاً ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد ٤ ، العدد ٤ ، ٢٠١٠م ، ص ٥٠ .
- \* عليان عبد الفتاح الجالودي ، قضاء عجلون (١٨٦٤-١٩١٨) ، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٩٤م ، ص ١٥٠ .
- \* محمد عدنان البخيت ، جان بول باسكوال ، بلاد شرقي الأردن في مطلع العهد العثماني ، الفصل الرابع ، العصران الإسلامي والعثماني (٦٢٥ ق م - ١٩١٨م) ، في كتاب أطلس الأردن ، تحرير: مريم عباسية ، منشورات المعهد الفرنسي للششرق الأدنى ٢٠١٣م ، الموقع الإلكتروني : <http://books.openedition.org/ifpo/7749>
- \*مدوح العدوان ، موسوعة القرية الأردنية/ بوح القرى/ الجزء الثاني - منشورات

- مركز الرأي للدراسات والأبحاث- عمان ، ٢٠١٠م .
- \* موفق عادل «خزنة كاتبي» ، محطة عمان/ في الأربعينيات من القرن العشرين كما عشتها وعرفتها ، منشورات وزارة الثقافة ، مطبعة السفير ، عمان ، ٢٠١٦م ، ص ١٥ .
- \* هند أبو الشعر ، تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني ، وزارة الثقافة ، عمان ، ٢٠١٠م .

### اللغة الإنجليزية:

- \* Daradkeh Saleh. "The Hijaz Railway". In Atlas of Jordan History, Territories and Society. Ababsa M. Chapter four - Islamic and Ottoman Times (629 AD - 1918) P 205-208. Ifpo Press 2013.
- \* Saqer Sqour and others. "Development and Trends of Urban Growth in Mafraq City, Jordan" Architecture Research, 6(5) 2016. pp. 116-122. Web site: <http://article.sapub.org/10.5923.j.arch.20160605.02.html>

## ملاح من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في شرقي الأردن في ضوء كتابات الرحالة في القرن التاسع عشر الميلادي

غيداء عادل خزنة كاتبتي (\*)

نصر محمود الشقيرات (\*\*)

### المقدمة

تُعدّ الرحلات من أبرز المصادر التاريخية التي يمكن الاستفادة منها في مجال وصف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في المراكز الحضرية التي تطالها أقدم الرحالة؛ فهي توفر تلك الملاحظات والمشاهدات، بالإضافة إلى الدقة والتصوير، الذي يصل عند بعضهم مستوى متقدم من التحليل ينجم عنه كشف كوامن الطبقات الاجتماعية التي يصادفونها.

شهدت منطقة شرقي الأردن في القرن ١٤هـ/١٩م العديد من الرحلات المهمة، ومنها رحلتا التركي سويله مز أوغلي سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م، ورحلة الألماني غاي لي سترينج سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٤م، إلى جانب غيرهما من الرحلات التي احتوت على ملاحظات مهمة عن شرقي الأردن في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، اللذين يمكن الاستفادة منهما في فهم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرن التاسع عشر الميلادي، إلى جانب مقارنة معلوماتها بالمصادر المعاصرة؛ للوقوف على دقة المعلومات الواردة عند الرحالة.

---

(\*) أستاذة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.

(\*\*) وزارة التربية والتعليم الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.

## الكتابة التاريخية عند الرحالة

عرض الرحالة في معرض تناولهم للمشاهدات في العديد من المناطق الأردنية بعض التحديات التي واجهتهم ، وهي عديدة ، ومنها ذلك النقص في الخرائط المحمولة معهم ؛ حيث لا يشار فيها إلى أسماء بعض القرى ، كما يدفعهم إلى سؤال الأهالي الذين لا تفي إجابتهم بالغرض<sup>(١)</sup> ، وأحيانا قد يظهر هناك عدم تطابق بين الأسماء المقيدة على الخريطة والأسماء الموجودة فعلياً التي تطلق على المواقع<sup>(٢)</sup> ، كما يشير بعضهم إلى أنهم لم يذكروا أسماء بعض المواقع على خرائطهم ، في حين يشار إليها في متون النصوص التي يدونونها<sup>(٣)</sup> ، ولعل عدم ذكرها عائداً إلى أسباب فنية تتعلق بعدم وجود مساحات على الخرائط لرسم وتحديد بعض المواقع التي يرونها أقل أهمية من أخرى يجب ذكرها<sup>(٤)</sup> ، ومن المعوقات لعملهم أيضاً وجود بعض العادات والأعراف التي تمنع الرحالة أحياناً من وصف الحياة الاجتماعية لبعض فئات المجتمع ، خاصة المرأة<sup>(٥)</sup> .

وعلى الرغم من بعض المآخذ على مؤلفات بعض الرحالة ، التي جاءت في معظمها متعلقة بمدحهم أو ذمهم لبعض الجماعات التي يرون بها ، غير أن الحيادية نجدها أحياناً واضحة في أقوالهم ، بما في ذلك نقدهم للرحالة الآخرين

(١) غاي لي سترينج ، رحلة عبر عجلون والبلقاء خلال خريف عام ١٨٨٤م (ملحقة بكتاب عبر نهر

الأردن لغوتليب شوميخر) ، ترجمها أحمد عويدي العبادي ، مطبعة السفير ، عمان ، ٢٠٠٦م ،

ص ٣١١-٣١٢ . وسيشار إليه في ما بعد : لي سترينج ، رحلة عجلون والبلقاء .

(٢) وليام ليبي ، فرانكلين هوسكنز ، وادي الأردن والبتراء ١٩٠٢م ، ترجمة أحمد عويدي العبادي ،

الأهلية ، عمان ، ٢٠٠٥م ، ص ١٠٩ . وسيشار إليه في ما بعد : وليام ليبي ، وادي الأردن .

(٣) س . كوندور ، أعمال المساحة في شرق الأردن ، ترجمة أحمد عويدي العبادي ، وزارة الثقافة ،

عمان ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٤ . وسيشار إليه في ما بعد : كوندور ، أعمال المساحة .

(٤) كوندور ، أعمال المساحة ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٥) لي سترينج ، رحلة عجلون والبلقاء ، ص ٣١٢ .

من وصفوا هذه الجماعات أو الأفراد بعينهم . يقول الرحالة هنري عن الرحالة تريسترام الذي زار شرقي الأردن في القرن التاسع عشر : «والحقيقة أن الرجل وجماعته عاملونا بلطف واعتبار ، مما يجعل حكاية الرحالة (تريسترام) عن المعاملة الخشنة التي واجهها تبدو كأنها لا تدل على طبيعة هؤلاء الناس»<sup>(١)</sup> .

ويعترف الرحالة بأنهم اكتسبوا العديد من العادات الإيجابية من سكان منطقة شرقي الأردن ، لا سيما البدو في صحوهم من النوم مبكراً ، مما ساعد الرحالة في إكمال مراحل كبيرة من المسح الميداني الخاص بالعديد من المدن ، كما يفضل الرحالة التنقل بين المدن أو حتى تحديد موعد رحلتهم في فصل الخريف<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن الأمر لم يكن مجرد صدفة ، بل هو عمل مدروس أكدته الرحالة (لي سترينج) بقوله : «إن الخرائب لا تكون مغطاة بالأعشاب الطويلة أو الزراعة ، وحيث إن برودة الطقس تلزمنا التوقف قليلاً عند الظهر ، وهو أمر على الرغم مما فيه من إزعاج يتيح للرحالة فرصة العمل طيلة ساعات النهار القصير التي تمتد من السابعة صباحاً حتى الخامسة مساءً»<sup>(٣)</sup> ، كما يُستفاد أحياناً من دقة اختيار الإدلاء الذين يرافقونهم في البوادي والقرى ، فقد يستضيف الأدلاء الرحالة الذين يرافقونهم في خيام (مضارب) قبائلهم لتوفير الضيافة لهم<sup>(٤)</sup> .

ويواجه الرحالة أحياناً بعض الصعوبات المتصلة بالإعياء والتعب ، الذي قد يدفعهم إلى عدم التدقيق في المباني الأثرية التي يصادفونها في أثناء مسيرهم ، ما يجعلهم يعتمدون في أخبارهم على بعض المعلومات السماعية (الشفوية)

---

(١) هنري ريجواي ، رحلات في الأردن وفلسطين ، ترجمة سليمان الموسى ، دار ابن رشد ، عمان ، ١٩٨٤م ، ص ٨٨ . وسيشار إليه في ما بعد : هنري ، رحلات .

(٢) انظر مواعيد رحلات الرحالة إلى شرقي الأردن في فصل الخريف ، مثل : غوتليب شوميخر ، عبر نهر الأردن ، ص ٩ .

(٣) لي سترينج ، رحلة عجلون والبلقاء ، ص ٣٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

التي يحصلون عليها من بعض الأفراد ، وهو أمر يجعل الركون إليها يحتاج إلى الحرص والتدقيق ، يقول الرحالة سويله مز عن بعض هذه المواقف التي واجهته : «وكنت اليوم أعاني من إرهاق شديد ، فدخلت منذ الصباح داخل الهودج ، ولهذا لم أتمكن الذهاب إلى الخان - يقصد موقع خان العنب (الزبيب) - وزيارته»<sup>(١)</sup> .

ويبدو أن مسألة تنقل الرحالة في البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية كانت تلقى رقابة شديدة ، خاصة مع وجود خوف في بعض الأوساط من سعيهم إلى الحصول على أسرار الدولة ، التي كثيراً ما يشار إليها<sup>(٢)</sup> ، وقد اتجه بعض الرحالة للحد من قسوة الرقابة المفروضة عليهم إلى تبني خطة مفادها الدخول بأسماء مستعارة غير حقيقية يبدو عليها الطابع العربي والإسلامي ، فمثلاً اتخذ الرحالة (دومينغو باديا) ، الذي زار المغرب العربي في القرن التاسع عشر ، اسم أمير عربي هو (علي باي) ، في حين اتخذ رفيقه (سيمون دي روخاس) اسماً عربياً هو (محمد بن علي) ، إلى جانب ثقافتهم العربية والدينية لتنطلي شخصيتهم المنتحلة على السكان<sup>(٣)</sup> . أما فيما يخص رحالة القرن التاسع عشر ، الذين زار بعضهم شرقي الأردن خلال رحلتهم لبلدان عربية ، فقد «ساروا على النهج نفسه ، ومنهم الرحالة (فالين) الذي زار الجزيرة العربية وبلاد الشام باسم الشيخ عبد الوالي»<sup>(٤)</sup> .

(١) سليمان شفيق بن علي كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي إلى بلاد الشام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م ،

ترجمة فاضل مهدي بيات ، جامعة آل البيت ، الفرق ، ٢٠٠٠م ، ص ١٤٨ . وسيشار إليه في ما

بعد : كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي .

(٢) وليام ليببي ، وادي الأردن ، ص ١١٩ ؛ كوندرا ، أعمال المساحة ، ١٥ .

(٣) دومينغو باديه ، رحلة إلى المغرب ، ترجمة أغناطيوس غوتيرث دي ثيران ، دار الدون كيشوت ،

دمشق ، ٢٠٠٥م ، ص ١٢ . وسيشار إليه في ما بعد : دومينغو ، رحلة إلى المغرب .

(٤) جورج أوغست فالين ، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ترجمة سمير سليم شبلي ، دار الوراق ،

بغداد ، ط ٢ ، ٢٠٠٩م ، ص ٥٤ ، فالين ، رحلات .



## النظرة الاقتصادية عند الرحالة

تتضمن ملاحظات الرحالتين (سويله مز أوغلي) و(لي سترينج) على ملامح مهمة في مجال الفكر والنشاط الاقتصادي في شرقي الأردن خلال القرن التاسع عشر الميلادي، تتضح فيها طبيعة التخطيط الاقتصادي المطلوب لإنعاش الأوضاع الراهنة، إلى جانب ملامح النشاط الاقتصادي عامة؛ فقد ورد كثير من النصائح والتوصيات التنموية المتعلقة بضرورة التنبيه إلى مسألة الإصلاح الاقتصادي في مختلف القطاعات في سورية عمومًا، وتبنت الدولة العثمانية جملة من التنظيمات الإدارية والسياسية والاقتصادية التي بدأت تصدر عنها على نحو دوري<sup>(١)</sup>، كما تشير وثائق محمد علي باشا في أثناء مدة حكمه لبلاد الشام، ومنها شرقي الأردن، إلى ما يفهم منه هذا الاتجاه الإصلاحي؛ حيث تشير الوثائق التي تعود لعصره إلى نماذج إصلاحية تهدف إلى النمو الاقتصادي، منها تبني السياسة الزراعية القائمة على «أن الذي يزرع كرمًا وبستانًا في أرض غير حسيا تصير له ملكًا ولا يكون عليه مال»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن نقف على بعض الملامح الواردة فيها حول إمكانية تنمية القطاع الزراعي والتجاري في منطقة شرقي الأردن؛ فقد رأى بعضهم أن من أبرز عوامل نمو هذه المنطقة (سورية) هو بإعمار المدن والقرى، بما فيها الخبرة منها من عين تاب شمالاً وحتى الكرك والشوبك جنوبًا، خصوصًا أن ذلك لا يحتاج إلا إلى القليل من الإصلاح للإفادة من الأراضي التي حولها، التي هي الأخرى بحاجة

(١) شملت الإصلاحات سياسة فرض ضرائب جديدة. انظر: البشير، السنة ٢٧، العدد ١٢٦٠، سنة ١٨٩٦م، ص ٤.

(٢) انظر نص هذه الوثيقة عند: يوسف نعيسه، ووثائق تاريخية عن الشام أثناء حملة محمد علي باشا ١٨٣١-١٨٤٠م، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٢١٢. وسيسار إليه في ما بعد: يوسف نعيسه، ووثائق تاريخية.

إلى التنمية<sup>(١)</sup>، كما دعت بعض الآراء إلى ضرورة إنشاء البلديات في المراكز الإدارية والمدن الواقعة في شرقي الأردن، لاهتمامها في إصلاح الطرق ونجاح جميع شؤونها<sup>(٢)</sup>.

وقد وافق إبراهيم باشا على منح متسلم اربد قرضاً لأجل لوازم العمار، ويقتضي أن يقيده على الفلاحين سلفة على سبيل القرض يؤخذ منهم بأوقات مواسمهم<sup>(٣)</sup>.

وفي السياق نفسه نلحظ أن الكثير من النصائح التنموية الاقتصادية أخذت نوعاً من الاختصاص في توجهها، فقد رأى بعضها ضرورة إصلاح المطاحن المائية التي تنتشر في سورية، ومنها منطقة شرقي الأردن باستبدال أجزاء حديدية ببعض الأجزاء الخشبية؛ لزيادة سرعة دورانها وعلى نحو أفضل مما هي عليه الآن<sup>(٤)</sup>، وهي من غير شك ترسم توجهاً عاماً لدى المهتمين من الاقتصاديين أو المثقفين بضرورة الإصلاح والتنمية الاقتصادية الشاملة.

من جهتهم أورد الرحالة الذين زاروا منطقة شرقي الأردن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بعض النصائح بهذا الخصوص، فقد قال الرحالة بيركهارت عند ملاحظته عدم الاهتمام بتنظيف بعض البرك التي يستخدمها

(١) انظر إلى مقال متزامن نشره مع فترة الدراسة: «سورية وعوامل نموها»، المنشور في مجلة المقتطف، العدد ١٤، ج٩، ١٨٩٠م، ص ٦١١.

(٢) انظر: محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك، مطابع الدستور، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٤٤-١٤٥. وسيشار إليه في ما بعد: الطراونة، البلقاء.

(٣) انظر نص هذه الوثيقة عند: لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام (١٨٣١-١٨٤١م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١٣٠. وسيشار إليه في ما بعد: لطيفة، الحكم المصري.

(٤) انظر مقال أمين أفندي عربون، بعنوان: (المطاحن المائية)، المقتطف، مجلد ٢٤، ج٤، ١٩٠٠م، ص ٣٦٠.

الأهالي في الزراعة في مادبا ما نصه : «لو أنهم نظفوا الأرض المحيطة بها من الأنقاض لتجري المياه إليها»<sup>(١)</sup> ، ويبدو أن مثل هذا الإدراك كان متوافراً عند بعض سكان شرقي الأردن ، فقد علق وليام ليبي وزميله ؛ عضوا البعثة الأثرية الأمريكية لشرقي الأردن ، سنة ١٩٠٢ م ، قائلين : «حيث وجدنا السكان الحاليين يقومون بتنظيفها لإعادة استخدامها ثانية لهذا الغرض»<sup>(٢)</sup> .

أما في ما يخص الرحالين موضوع الدراسة ، فقد وجَّها في أثناء وصفهما للمشاهدات في شرقي الأردن بعض النصائح إلى جانب خطط تنموية يمكن الاستفادة منها في تحسين الوضع الاقتصادي ، حيث يعرض الرحالة (سويله مز) مثلاً بعض المقترحات لإعادة إنعاش سهول البلقاء ، بقوله :

«وسهل البلقاء كان مأهولاً ومعموراً ، إلا أن عدم توافر العيون والأنهار هنا قد أدى إلى الاستعانة في السابق بالآبار والأحواض والسدود ؛ بغية توفير المياه ، ومن الممكن تحويل سهل البلقاء اليوم إلى موضع قابل للسكن ، وذلك بعمل هذه الأشياء أيضاً . . . ومن الممكن إقامة قنوات اصطناعية ، بحفر عدة آبار وربط بعضها ببعض ، وبهذه الطريقة يتم الحصول على الماء بكثرة من الآبار التي ستحفر ، وما يؤيد هذا النماذج الموجودة في وان»<sup>(٣)</sup> ، والملاحظ أنه يربط بين إمكانية تطبيق مثل هذه الخطط التنموية واعتمادها وتنفيذها في مدن تقع ضمن حدود الدولة العثمانية ، وتحديدًا في مدن تقع شرقي دولة تركيا حاليًا .

وينطبق ذلك عند حديثه عن ضرورة الاعتناء بإغناء منطقة وادي الزرقاء ، وذلك لما : «له من مقومات تؤهله لأن يكون بلدة جميلة ، وذلك بإعمارها والإسكان فيه . . . ، وما يسهل إعمار هذا الوادي وإحياءه ملاءمته من حيث

(١) جون لويس ، بيركهارت ، رحلات بيركهارت ، ٢ جزء ، ترجمة أنور عرفات ، وزارة الثقافة والإعلام ،

الأردن ، ١٩٦٩ م ، ج ٢ ، ص ٩٣ . وسيشار إليه في ما بعد : بيركهارت ، رحلات .

(٢) وليام ليبي ، وادي الأردن ، ص ٨٦-٨٧ .

(٣) كمال باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٤٥-١٤٦ .

الأراضي والمناخ وقربه من سواحل البحر المتوسط بنحو ٣٠-٣٥ ساعة ، كما أنه صالح لحجر الحجّاج صحياً ، ولهذا من البدهي وجوب إعمارهِ وإحيائه والمحافظة عليه»<sup>(١)</sup> ، ونجد أن لديه اهتماماً واضحاً بذكر العناصر المساهمة لقيام تنمية ناجحة في المنطقة ، مع محاولته التنبيه لقيمة هذه المواقع الاستراتيجية ، خاصة لاتصالها بأهم نشاطات الدولة العثمانية في بلاد الشام ، وهو تأمين قافلة الحج ، وضمان الأمن اللازم لاكتمال رحلتها .

ولم يكتف بالنصائح المتعلقة مباشرة بالتطور الاقتصادي ، وفي مقدمتها المياه والري ، بل لفت انتباه الدولة العثمانية إلى ضرورة تطوير المسمى الإداري لمعان الواقعة جنوب شرقي الأردن وجعلها مركز لواء ؛ لأن ذلك يُعدّ سبباً في تحقيق تمدّنها ورقّيها في جميع المجالات ، خاصة أنها كانت عرضة لفرض الأتاوات على الفلاحين من قبل القبائل البدوية المحيطة بها<sup>(٢)</sup> ، وهو أمر من شأنه حرمان الدولة العثمانية من الوارد المالي الذي يمكن تحقيقه منها .

ويبدو أن الرحالة (لي سترينج) كان يجري مقارنة بين المدن التي يزورها في شرقي الأردن وحالتها في نصوص الجغرافيين والمؤرخين القدامى<sup>(٣)</sup> ، وكثيراً ما نجده معجباً بحالتها الاقتصادية ، بخاصة الزراعية منها ، في عهدها التاريخية السابقة وعلى نحو أفضل من واقعها الحالي<sup>(٤)</sup> ، وفي سبيل عودة الألق إليها ، وتطويرها في جميع المجالات ، يرى أنه : «يمكن أن يعود بسهولة إذا ما قدمت

(١) كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(٣) عرف عن لي سترينج اهتمامه الواضح بالتأليف الجغرافي ؛ فهو صاحب كتاب : بلدان الخلافة

الشرقية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٤م ،

مقدمة التحقيق ، ص ٦-٨ .

(٤) لي سترينج ، رحلة عجلون والبلقاء ، ص ٣٠٤-٣٠٥ .

الحكومة التسهيلات اللازمة»<sup>(١)</sup>، مشيراً إلى تقديم الدولة العثمانية الرعاية الخاصة لبعض الفئات<sup>(٢)</sup>.

## ١. ملكية الأراضي

تظهر إشارة إلى انتقال بعض الفلاحين من مناطق خارج شرقي الأردن إليها في القرن التاسع عشر، فقد أفادت جريدة البشير عن وجود (٧٥) عائلة تعمل في النشاط الزراعي كانت قادمة من مصر واستقرت في السلط، ثم صدر الأمر بنقلها إلى مناطق أخرى<sup>(٣)</sup>؛ لتنشيط الحياة الزراعية، ولعل البساتين هي أكثر أشكال الملكية انتشاراً؛ حيث يشير الرحالة سويله مز أوغلي إلى وجود ما بين ٢٠-٥٠ بستاناً في معان وحدها<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن البساتين كانت منتشرة في منطقة شرقي الأردن، كما يبدو من مشاهدات الرحالة لي سترينج أيضاً<sup>(٥)</sup>، وتسهب مشاهدات البعثات الأثرية المرسلت إلى شرقي الأردن في وصف البساتين والحقول المملوكة للأفراد، التي تزرع بمختلف أنواع الأشجار<sup>(٦)</sup>؛ حيث يدل امتلاك العديد من الأفراد وثائق ملكية للأراضي يبين حقوقهم فيها<sup>(٧)</sup>، مما يدل على سعة انتشارها وتوزعها في شرقي الأردن، ولا يشترط على ما يبدو أن تكون الزراعة متوافرة في المناطق المأهولة بالسكان؛ حيث يقول الرحالة سويله مز أوغلي «وادي الضليل مأهول

(١) لي سترينج، رحلة عجلون والبلقاء، ص ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٣) البشير، العدد ١١٣٦، سنة ١٨٩٤م، ص ٣.

(٤) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٥٦.

(٥) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١١.

(٦) وليام ليببي، وادي الأردن، ص ١٠٥.

(٧) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣٤٦.

ولكن غير مزروع»<sup>(١)</sup>، في حين تشير كتب الرحلات في القرن التاسع عشر إلى انتشار الملكيات العائلية لبعض الأسر<sup>(٢)</sup>، مع ضرورة توافر عناصر ومقومات عديدة للنشاط الزراعي، مثل المياه والأيدي العاملة الخبيرة في هذا المجال . وتعرض الأراضي المزروعة لبعض المخاطر، مثل هجمات القبائل، الأمر الذي قد ينجم عنه الاقتتال بين الطرفين<sup>(٣)</sup>، وقد وجهت الدولة العثمانية كثيراً من الحملات لهذا الغرض، خاصة أن هناك على ما يبدو اقتحاماً للمزروعات من قبل البدو بأغنامهم وإبلهم من أجل رعيها<sup>(٤)</sup>، في السنوات القاحلة المجدة، بالإضافة إلى الضرائب العالية التي يجب دفعها لخزينة الدولة العثمانية والتي تجعلهم أحياناً يتعرضون للمصادرة<sup>(٥)</sup>، وجميعها عوامل تؤدي إلى ضعف النشاط الزراعي والتقليل من إنتاجيته .

واتجهت بعض القبائل القوية إلى فرض ما يسمّى (الخوة) على القرى والمسافرين من التجار وحتى القبائل الضعيفة؛ بزعم أن الصحراء إنما هي أرضهم الموروثة، وكل بقعة عليها كانت في القديم ملكاً لأجدادهم، ولا يجوز السكن عليها أو المرور بها إلا بإذن من تلك القبائل القوية؛ لذا وجب دفع المال من أجل توفير الحماية لهم<sup>(٦)</sup>، وقد شكلت هذه الفروض عبئاً ثقيلاً على المزارعين تزيد من صعوبة واقعهم .

(١) كمالي باشا، رحلة سويله مز أو غلي، ص ١٣٨ .

(٢) انظر: ميريل سيلاه، شرق الأردن: سجلات وملاحظات في بلاد مؤاب وجلعاد وباشان، ترجمة

محمد رفيق النجار، الأهلية، عمان، ٢٠١٠م، ص ٢٨٣ . وسيشار إليه في ما بعد: ميريل، شرق

الأردن .

(٣) البشير، العدد ١١٧٠، سنة ١٨٩٥م، ص ٢ .

(٤) البشير، العدد ١١٨٣، سنة ١٨٩٥م، ص ٢ .

(٥) وليام ليبي، وادي الأردن، ص ٩٩-١٠١ .

(٦) فالين، رحلات، ص ٣٠ .

## ٢. الزراعة والثروة النباتية والحيوانية

يوجد على ما يبدو فئة من الفلاحين مقيمون في القرى والبلدات التي زارها الرحالة ، وتشير السجلات إلى لقب المزارع مضافاً إلى بعض الأسماء<sup>(١)</sup> ، مما يدل على قيمتهم ومكانتهم المميزة في المجتمع ، وهناك آخرون تطلق عليهم بعض كتب الرحلات في القرن التاسع عشر (الفلاحين الرحل) ، وربما قصد بذلك بعض القبائل التي تمتهن الرعي والزراعة في أوقات معينة<sup>(٢)</sup> ، لذلك نجد الرحالة سويله مز أوغلي يشير في ملاحظاته عن بعض القبائل التي مر بها في جنوبي الأردن بأنها تمتهن تربية الإبل والبستنة<sup>(٣)</sup> ، ويورد جدولاً مهماً يوضح فيه ملامح النشاط الزراعي لبعض القبائل ، بالإضافة إلى رعايتها للثروة الحيوانية ، على الوجه الآتي :

اسم العشيرة	عدد الخيم	المهنة	مكان التنقل
الحويطات	٥٠٠	تربية الإبل والبستنة	في قرية الشوبك وجوارها ، وهي قرية كبيرة تقع إلى غرب معان ، ويمر فيها نهر كبير <sup>(٤)</sup> .
النعيمات	٨٠٠	وهم مزارعون يشتركون	في داخل قرية الطفيلة وجوارها ،

(١) سجل محكمة السلط الشرعية ، رقم ٢ ، ١٣٠٣هـ ، حجة ثمة ١١٦ ، ص ١٣٥-١٣٦ .

(٢) لطيفة ، الحكم المصري ، ص ١٢٠ .

(٣) كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٦١ .

(٤) المقصود بالنهر ما يسمى حتى مدة قريبة في القرن العشرين باسم سيل وادي نجل القرية المركزية في

لواء الشوبك اليوم ، أما عدد الحويطات فيقول في موقع آخر ١٠٠٠-١٥٠٠ خيمة : كمالي باشا ،

رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٦٠-١٦١ .

وهي قرية كبيرة تقع إلى الغرب من معان (١) .	في ذلك مع أهالي معان .		
في الشمال الشرقي من معان ، بجوار قلعة العنيزة وبالقرب من جبال الكرك (٢) .	وهم مزارعون ، ويدفعون العشر إلى شيوخ بدو الكرك .	٦٠٠	الحجايا

ومع ضرورة التدقيق في مناطق تنقل القبائل الواردة في الجدول ، غير أن فكرة الإحصاء وإضافة الجداول تدل على دقة الرحالة سويله مز ، وإعطاء ملامح عن الأنشطة التي تقوم بها بعض قبائل شرقي الأردن . يتضح من اطلاعه على بعض الوثائق والسجلات أن عدداً من مرافقيه هم قوة الدرك العثمانية (٣) . وقد أسهم حكم إبراهيم باشا في نقل كثيراً من المزارعين من الكرك إلى مناطق أخرى في حوران (٤) ، كما فرضت على المزارعين الضريبة التي كانت في أثناء حكم إبراهيم باشا على كل الأراضي تقاس باستخدام ثورين وما يستطيعان حرثه لمساحة من الأرض لمدة ثماني ساعات في اليوم (٥) .

أما فيما يخص الثروة النباتية ، فقد أثارت النباتات والمزروعات انتباه الباحثين في القرن التاسع عشر ، بدليل تأليف كثير من الدراسات حولها خلال

(١) تقطن قبائل النعيمات اليوم في جنوبي الأردن في منطقة قرب معان يطلق عليها اسم قرى النعيمات (منها ؛ بسطة ، والفرذخ ، وأيل ، والقاع (راشد) ، وبشر أبو دنه) : كمالى باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٦١ .

(٢) تقطن قبائل الحجايا اليوم في جنوبي الأردن في مناطق (الحسا ، وجرف الدراويش ، وسد السلطاني ، وقسم من القطرانة) : كمالى باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٦١ .

(٣) كمالى باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٥٣ .

(٤) فالين ، رحلات ، ص ٤١ .

(٥) لطيفة ، الحكم المصري ، ص ١٠٠-١٠١ .



حقبة الدراسة<sup>(١)</sup>، وقد شجع بعض من زار شرقي الأردن ضرورة دراسة التنوع النباتي في الأردن، باعتبارها: «حقلًا واسعًا للدارسين في الجيولوجيا وعلم النبات»<sup>(٢)</sup>؛ حيث انتشرت في منطقة شرقي الأردن العديد من أنواع الأشجار، مثل الحرجية التي يفاد منها في عمل الفحم، الذي ينقل بكثرة من أحراش عجلون من غير دفع الرسوم الأميرية عليه<sup>(٣)</sup>، وكثيراً ما يقطع الأهالي أشجار الغابات، مثل البطم والبلوط لاستخدامها وقوداً<sup>(٤)</sup>، وقد ظهر في سنوات أن معدلات استهلاك الدولة العثمانية من الفحم تبدو عالية في القرن التاسع عشر<sup>(٥)</sup>، علماً أن عجلون من مراكز إنتاج الفحم النباتي والحجري أيضاً<sup>(٦)</sup>، ويصف الرحالة لي سترينج غابات عجلون بقوله: «حيث إن الغابات كثيفة وأغصانها متدلّية ورافة إلى الأرض فإنه من المتعذر رؤية الرفيق لرفيقه الخيال إذا أبتعد عنه عشر ياردات»<sup>(٧)</sup>، وهناك انتشار لأشجار البلوط والصنوبر في مدن جلعاد وعرجان<sup>(٨)</sup>؛ حيث يتراوح طول بعضها ما بين ٣٠-٤٠ قدماً<sup>(٩)</sup>.

(١) مثل كتاب (نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها، تأليف جورج بوست)، أشير إليه في:

المقتطف، ج٩، العدد ٨، ١٨٨٤م، ص ٥٧٥.

(٢) وليام ليبي، وادي الأردن، ص ٧٩.

(٣) أوجدت الدولة العثمانية ما يسمى بـ (دائرة غابات الولاية) للرقابة العامة على الملكيات الحرجية.

انظر: البشير، العدد ١١٥١، سنة ١٨٩٤م، ص ٢.

(٤) كوندور، أعمال المساحة، ص ٢٧.

(٥) حيث بلغت تكلفة الاستيراد سنة ١٨٩٤م: (٢٥٠ ألف فرنك من إنجلترا، و٣٠٠ ألف فرنك من

فرنسا، و١٥٠ ألف فرنك من بلجيكا). البشير، العدد ١١٤٠، سنة ١٨٩٤م، ص ٤.

(٦) اللطائف، ج٩، سنة ١٨٩١م، ص ٣٥٢.

(٧) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١٣.

(٨) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٣، ميريل، شرق الأردن، ص ٢٨٣.

(٩) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١٣.

وتنتشر زراعة العنب في معظم مناطق شرقي الأردن ، كزراعته في عجلون<sup>(١)</sup> ، كما اشتهر الزبيب السلطي الذي يسمى (زبيب بنات الشام)<sup>(٢)</sup> ، الذي يصفه الرحالة بأنه ألد أنواع العنب في جميع أنحاء ولاية سورية<sup>(٣)</sup> ، وانتشرت زراعة القمح والشعير في معظم مناطق شرقي الأردن ، وكثيرا ما ترد مشاهدات الرحالة (لموارس الحنطة)<sup>(٤)</sup> في معظم الحقول الممتدة في سهول شرقي الأردن<sup>(٥)</sup> ، ويحيل بعض زائري شرقي الأردن من الرحالة والبعثات الأثرية سبب نجاح زراعته إلى خصوبة التربة التي لم يُلْتَفَت إليها إلا متأخرًا ، فقد بقي بعضها مدة طويلة من غير زراعة ، مما جعلها تحتفظ بخصوبتها لحقب زمنية طويلة أيضا ، يقول وليام ليبي وزميله عن زراعة القمح في جرش : «أخصب بقاع سوريا ؛ إذ إنها تنتج كميات هائلة من الحنطة بعد أن بقيت بورًا على مدى عدة قرون»<sup>(٦)</sup> .

ويعمد الأهالي في بعض مناطق شرقي الأردن إلى حفظ الحنطة في بعض المباني الأثرية المجاورة لهم<sup>(٧)</sup> ، وهو بلا شك يدل على مدى قدرة الإنسان في شرقي الأردن على الإفادة من جميع المكونات البيئية المحيطة به ، ولا سيما المتوافرة منها بكثرة ، مثل المباني الأثرية .

ومن الأشجار المهمة الزيتون ، الذي ورد في مشاهدات الرحالة في كثير من

(١) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١٥ .

(٢) البشير ، العدد ١١١٠ ، سنة ١٨٩٤م ، ص ٢ .

(٣) هنري ، رحلات ، ص ٨١ .

(٤) مثلاً بالقرب من ياجوز ودابوق : لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٣٤ ؛ ميريل ، شرق

الأردن ، ص ١٨٩ ، ٢٦١ .

(٥) انظر : ميريل ، شرق الأردن ، ص ١٨٩ ، ٢٦١ .

(٦) وليام ليبي ، وادي الأردن ، ص ٨٩ .

(٧) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٣١ ؛ وليام ليبي ، وادي الأردن ، ص ٨٠ .

مناطق شرقي الأردن<sup>(١)</sup>، ومن الفاكهة المنتشرة أيضاً العنب الأسود والأبيض والتوت الأسود والرمان والمشمش والخوخ والسفرجل<sup>(٢)</sup>، والتين وغيره من الفاكهة المتنوعة<sup>(٣)</sup>، ومن الحبوب المزروعة الذرة في كثير من السهول، مثل سهول معان بالقرب من عين دلاغة المجاورة لها<sup>(٤)</sup>؛ حيث كان أهالي شرقي الأردن يأتون بالذرة عبر العقبة من غزة، إلى جانب أنواع الذرة كالهندية المستوردة عن طريق ميناء جدة<sup>(٥)</sup>.

ويغلب على الرحالة لي سترينج المقارنة بين واقع زراعة بعض المناطق في شرقي الأردن والحال الذي كانت عليه في العصور السابقة، كزراعة الغور في القرن التاسع عشر وما كانت عليه في الحقب السابقة<sup>(٦)</sup>.

أما عن أبرز الآفات التي تواجه المزارعين وتهددهم فهو الجراد، وقد تنبّهت وسائل الإرشاد العام في ولاية سورية، خاصة الصحف والمجلات، إلى نشر آلية القضاء على هذا الخطر، ومن أبرز خطوات القضاء عليه وإنهاء خطر انتشاره حرث الأرض؛ حيث تمكّن الحرث من تعريض بيض الجراد الموجود في الحقول إلى أشعة الشمس لموتها، كما يمكن خبط الأرض أو ضربها بالرفوش عند تفقيس بيوض الجراد، ويكون هذا الإجراء في الأيام العشرة من تفقيسه، وقد تكون

(١) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٢١٢؛ ميريل، شرق الأردن، ص ١٧٦-١٧٧؛

لانكستر هاردينج، آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى، دار ورد، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٤٩. وسيشار

إليه في ما بعد: هاردينج، آثار الأردن.

(٢) كمال باشا، رحلة سويله مز أو غلي، ص ١٥٦؛ كوندرا، أعمال المساحة، ص ١٣٧.

(٣) سجلات السلط الشرعية، حجة غرة ١٠٩٠، سجل رقم ٢، ١٣٠٣هـ، ص ١٢٦.

(٤) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٢٣٧؛ فلين، رحلات، ص ٢٩؛ ٣٤-٣٥.

(٥) البشير، العدد ١١٨٣، ١٨٩٥م، ص ٢.

(٦) فلين، رحلات، ص ٣٤-٣٥.

عملية رش الأرض بالكاز على الرغم تكلفتها مفيدة في هذه الناحية أيضاً<sup>(١)</sup> .  
وتعددت سنوات ظهور الجراد في عموم جهات سورية ، ومنها مناطق شرقي الأردن ؛ حيث تظهر وثائق الحكم المصري في شرقي الأردن إعادة إبراهيم باشا مزارعي الكثير من القرى في شرقي الأردن إليها بعد خروجهم منها بسبب الجراد ؛ حيث جاء في إحدى الوثائق : «إن أهالي قرية المأمونية من قرايا الشام أعرضوا إلى مجلس الشورى ؛ حيث كانت متراكمة عليهم المصاريف والدهايك من الولاة السابقين وطحوم الجراد فتركوا قريتهم ، والآن ملتمسين الرجوع إلى قريتهم لكي يعمروها»<sup>(٢)</sup> ، كما ظهر الجراد في العديد من مدن شرقي الأردن ، مثل : السلط سنة ١٨٩٦م ، وعجلون سنة ١٨٩٦م ، ومأدبا سنة ١٨٩٨م ، وغيرها<sup>(٣)</sup> ، ويبدو أن عودة الفلاحين إلى قراهم أدى إلى تحسن الأوضاع الزراعية فيها لاحقاً .

لذا عمدت الدولة العثمانية وللتخفيف من حدته ، إلى أن تفرض على كل شخص من الأهالي في المناطق التي ينتشر فيها الجراد جمع نحو ثلاث أقات من بيض الجراد<sup>(٤)</sup> ، وترد إشارات إحصائية دقيقة إلى كمية بيوض الجراد التي يتم جمعها في مناطق من شرقي الأردن ، مثل السلط<sup>(٥)</sup> ، وقد اتجهت الدولة العثمانية إلى مكافحته والقضاء عليه ؛ نظراً إلى خطورته على الموسم الزراعي ،

(١) انظر الإجراءات المتبعة بالتزامن مع هذه الحقبة عند : المقطف ، الجزء ٨ ، العدد ١٢ ، عام ١٨٨٨م ، ص ٤٩٩-٥٠١ .

(٢) انظر نص الوثيقة عند : لطيفة ، الحكم المصري ، ص ١٢٨ .

(٣) البشير ، العدد ١٢٢٧ ، سنة ١٨٩٦م ، ص ٣ ؛ نوفان السوارية ، عمان وجوارها خلال الفترة ( ١٨٦٤ - ١٩٢١م ) ، منشورات بنك الأعمال ، عمان ، ١٩٩٥م ، ص ٣١٩ . وسيشار إليه في ما بعد : السوارية ، عمان .

(٤) الهلال ، الجزء ٢٠ ، العدد ٣ ، عام ١٨٩٥م ، ص ٧٩٥ .

(٥) قدرت سنة ١٨٩٦م بنحو (٢٣٩ صاعاً) انظر : البشير ، العدد ١٢٣٤ ، سنة ١٨٩٦م ، ص ٢ .

ومن ثمّ تضاؤل الضرائب المحصّلة .

ويرد في مشاهدات الرحالة وجود انتشار للجراد في مناطق شرقي الأردن ، بالإضافة إلى بيان أثره في نظافة المياه في بعض الأحواض والبرك التي يرون بها مثل أحواض قلعة البلقاء<sup>(١)</sup> ، مما يمنع الأهالي من الإفادة منها في سقي الحيوانات .

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية ، فقد أدت كثير من الظروف السياسية التي شهدتها منطقة شرقي الأردن إلى فرار الأهالي عن أراضيهم وترك مواشيهم غنيمة بيد جيش إبراهيم باشا ، كما هي الحال في ثورة عجلون سنة ١٨٣٩م<sup>(٢)</sup> ، ولكن أسهمت مدة الحكم المصري في إيراد أصناف من الغنم والماعز إلى بلاد الشام ، ومنها شرقي الأردن<sup>(٣)</sup> ، ويحرص الرحالة سويله مز على تصنيف الماعز والأبقار بحسب مقدار إنتاجها من الحليب<sup>(٤)</sup> ، وقد وصفت الثروة الحيوانية من الأغنام والماعز في بعض مناطق شرقي الأردن (الزرقاء) بأنها ممتازة نظراً إلى جودة المراعي<sup>(٥)</sup> .

ويرتبط برعي الأغنام ظهور مصطلح (المرباع) ، وهو اتخاذ أحد حيوانات قطع الماعز أو الأغنام ليكون قائداً لها في المراعي ، ويبدو أن الأهالي كانوا يحرصون على تزيينه بالألوان والحناء<sup>(٦)</sup> ، وهناك الخيول التي كانت مرغوبة جداً في بعض الدول المجاورة لشرقي الأردن ، مثل مصر وسوريّة ، بخاصة خيول قبائل

(١) نحو سنة ١٨٩٠م : كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٤٦ .

(٢) فندي أبو فخر ، انتفاضات الشام على مظالم محمد علي باشا ١٨٢١-١٨٤٠م ، دار البانبيع ، دمشق ، ٢٠٠٤م ، ص ١٠٢ ؛ الهلال ، ج ٨ ، سنة ١٨٩٢م ، ص ٣٥٢ .

(٣) يوسف نعيسه ، وثائق تاريخية ، ص ٢١١ .

(٤) كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٠٤ ؛ وليام لبيبي ، وادي الأردن ، ص ٨٧-٨٨ .

(٥) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ .

(الحجايا الذين يقطنون في جنوب الأردن)<sup>(١)</sup>، ومعظم القبائل القاطنة في شرقي الأردن تمارس هواية صيد الغزلان<sup>(٢)</sup>، وهناك الطيور والحيوانات البرية<sup>(٣)</sup>.  
وتفيد مشاهدات الرحالة سويله مز أوغلي إلى وجود الثروة السمكية في منطقة نهر الزرقاء<sup>(٤)</sup>، وفي وادي الموجب<sup>(٥)</sup>، وقد اعتمدت الدولة العثمانية على الضرائب المفروضة على الأغنام<sup>(٦)</sup>؛ حيث عُيِّن لهذه الغاية كاتب يطلق عليه اسم (مفتش أغنام) في عجلون<sup>(٧)</sup>، مسؤول عن عمليات الإحصاء وفرض الضرائب، وقد أشار سويله مز أوغلي إلى وجود الملايين من الإبل والأغنام في جنوبي شرقي الأردن (معان)، تُحصل منها الدولة العثمانية كثير من الضرائب<sup>(٨)</sup>، والملاحظ أن الإصلاحات المالية العثمانية الهادفة لإنعاش خزانة الدولة نفسها تعتمد على فرض ضرائب جديدة على الأغنام<sup>(٩)</sup>، وهذا ما يُفسر موقف الدولة العثمانية المرن مع القبائل بخصوص هجماتها على القرى والمناطق الزراعية.

(١) فالين، رحلات، ص ٥٣.

(٢) انظر وصف الرحالة تريسترام لرحلة مطاردة الغزلان عبر طريق الحج بالقرب من قصر المشتى:

تريسترام، رحلات، ص ١٨٩.

(٣) انظر بعضها: ميريل، شرق الأردن، ص ١٩٠.

(٤) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٣٩؛ هنري، رحلات، ص ٧٤؛ كوندرا، أعمال المساحة،

ص ٥٥.

(٥) تريسترام، رحلات، ص ١٢٨.

(٦) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٤٦.

(٧) البشير، العدد ١٢١٦، ١٨٩٦م، ص ٢.

(٨) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٥٧-١٥٨؛ ميريل، شرق الأردن، ص ٢١٦، هاردينج، آثار

الأردن، ص ٣٥.

(٩) البشير، العدد ١٢٦٠، سنة ١٨٩٦م، ص ٤.

وتوجد كثير من قطعان البقر والغنم في الغور<sup>(١)</sup>، وهناك أيضاً وجود لقطعان من الأبقار في منطقة وادي السير تحديداً في الوادي المسمّى (أم المدارس)<sup>(٢)</sup>، وتستخدم الحمير والبغال في حمل المياه والأمتعة، كما اعتمدت عليها الدولة العثمانية نفسها في ملاحقة البدو في الصحراء<sup>(٣)</sup>.

وتعتبر مستويات سقوط مياه الأمطار مهمة في النشاط الاقتصادي؛ لذا فقد أشارت جريدة البشير على هذه الأهمية وعلاقتها بالحياة الاقتصادية، خاصة صلتها بارتفاع الأسعار وهبوطها<sup>(٤)</sup>.

وذكر الرحالة هنري الذي زار منطقة شرقي الأردن وجود كثير من الآلات المستخدمة في ري البساتين، مثل (الشادوف)<sup>(٥)</sup>. ومن الوسائل الأخرى (الناعور) الذي ينصب على كثير من الآبار<sup>(٦)</sup>، ويسمى أحد أودية السلط نسبة إليها باسم وادي النواعير<sup>(٧)</sup>، كما أفاد الأهالي من نظم الرّي القديمة المنتشرة في شرقي الأردن<sup>(٨)</sup>، خصوصاً في مسألة استغلالها لجمع مياه الأمطار، في حين جرى تقسيم كثير من البساتين في البلدات من خلال قنوات ماء خاصة بكل

(١) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٠٣-١٠٤؛ هنري، رحلات، ص ٨٨.

(٢) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣٤٢.

(٣) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٠٣؛ ميريل، شرق الأردن، ص ١٨٨، وليام لبيبي، وادي الأردن، ص ١٠٦.

(٤) البشير، العدد ١٢٥٩، سنة ١٨٩٦م، ص ٤.

(٥) هنري، رحلات، ص ٧٣.

(٦) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٥١.

(٧) انظر أماكن أخرى يذكرها الرحالة تحمل الاسم نفسه المشتق من الناعور؛ آلة أو عجلة تستخدم لاستخراج المياه: كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٤٢؛ كوندور، أعمال المساحة، ص ٥٢.

(٨) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٤٣.

بستان<sup>(١)</sup> ، يوفر إمكانية الري المستمر لكل منها ، ويصل التنظيم في الرّي حدّ تقسيم أوقاته بين المزارعين ، عن طريق تخصيص يوم كامل أو أقل<sup>(٢)</sup> ؛ لضمان سقيها على نحو مناسب .

ويشير لي سترينج إلى أن الري يعد مهماً ، لاستمرار الثروة الزراعية وتنميتها ؛ حيث يُلاحظ انتشار الآبار في مدن شرقي الأردن ، ويقول إن هندسة بنائها تشبه ما كان معمولاً به في فلسطين<sup>(٣)</sup> ، كما وصف كثيراً من الأنهار ، مثل نهر الزرقاء الذي لم يكن عمقه أكثر من قدم واحد<sup>(٤)</sup> ، ويبدو أن هذا ينطبق على أشهر الصيف أو الجفاف ، في حين يكون صعب الاجتياز عند هطول الأمطار<sup>(٥)</sup> ، كما تفيد مشاهدات لي سترينج أنه كان شحيح الماء في صيف سنة ١٨٨٤م<sup>(٦)</sup> ، وهناك ذكر لكثير من العيون والينابيع ، مثل ينابيع وادي السلط<sup>(٧)</sup> ، ونبع عين جنة<sup>(٨)</sup> ، وعين بسطة في جنوبي شرقي الأردن بالقرب من معان<sup>(٩)</sup> ، وغيرها كثير من الينابيع ، بما فيها الموجودة بالقرب من بقايا الآثار نفسها<sup>(١٠)</sup> .

- 
- (١) سجلات السلط الشرعية ، سجل ٢ ، ١٣٠٣هـ ، حجة نمرة ١٠٩ ، ص ١٢٦ .
  - (٢) ميريل ، شرق الأردن ، ص ١٩٧ .
  - (٣) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١٣ .
  - (٤) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٢٩ ، قارن مع ملاحظات : كمال باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٣٩ .
  - (٥) ميريل ، شرق الأردن ، ص ٢٧٩ .
  - (٦) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٤١ .
  - (٧) بيركهارت ، رحلات بيركهارت ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
  - (٨) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٢١ .
  - (٩) وصفت بعذوبة وغازاة الماء فيها : فالين ، رحلات ، ص ٢٩ .
  - (١٠) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٠٧ ؛ ميريل ، شرق الأردن ، ص ٢٩٧ ؛ كوندور ، أعمال المساحة ، الطراونه ، البلقاء ، ص ٣٢-٣٤ .



نوع مصدر المياه	الأبعاد/ المساحة	الموقع	ملاحظات
بئر	الطول ٦ أقدام ، والعرض ٦ أقدام ، والعمق ٢٠ قدمًا	عجلون	مياه غير صالحة (١)
حوض	الطول ٢٥ مترًا ، والعرض ١٣ مترًا	الحسا	طمر قسم من الحوض (٢)
حوض	الطول ٥٠ مترًا ، والعمق ٦ أمتار	القطرانة	لم ينظف ويغمره الطين (٣)
حوض	الطول ١٥ مترًا ، والعرض ١٠ مترًا	البلقاء	وقع به الكثير من الجراد (٤)
بركة ماء	الطول ١٠ أمتار ، والعرض ٨ أمتار	رأس أبيل (٥)	

ويبدو هناك حرص على استقصاء كميات المياه الموجودة في هذه الأحواض باعتبارها تتعلق بطرق الحج المار شرقي الأردن ، وجميع معلوماته يحرص العديد من الرحالة على العناية بها<sup>(٦)</sup> ، وقد اهتم الرحالة المارين بمنطقة شرقي الأردن

(١) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٢١٣ .

(٢) كمال باشا ، رحلة سويله مز أو غلي ، ص ١٥١ ، قارن مع ملاحظات : فالين ، رحلات ، ص ٥٨ .

(٣) كمال باشا ، رحلة سويله مز أو غلي ، ص ١٤٩ .

(٤) كمال باشا ، رحلة سويله مز أو غلي ، ص ١٤٦ .

(٥) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١٠ .

(٦) يقدر عدد الحجاج من سوربة بين عامي ١٨٠٧-١٨٩٣م بنحو ٨٠٣٠٠-٨٦٤٠٨٩ حاج ، انظر :

دولشتين ، الرحلة السرية ، ص ٣٦-٣٧ .

بإرفاق بعض المقاسات التقديرية للأحواض والبرك التي يمرون بها<sup>(١)</sup>، ويتضح من جميع الخرائط التي ضمنها الرحالة سويله مز رحلته إبراز أماكن عيون الماء والآبار والقنوات المائية المخصصة للسيول أو نقل المياه من الأحواض<sup>(٢)</sup>، وقد عمد الأهالي للتغلب أحياناً على انخفاض منسوب المياه في الأحواض بإلقاء الحجارة فيها لرفع منسوبها وسقي الحيوانات منها<sup>(٣)</sup>.

### ٣. النشاط التجاري

يحظى التجار بمكانة بارزة في شرقي الأردن، يدل على ذلك إطلاق كثير من الألقاب عليهم، مثل لقب (افتخار التجار المؤتمنين)<sup>(٤)</sup>، وألقاب أخرى مثل الخواجا التاجر<sup>(٥)</sup>. وعلى الرغم من استخدام كثير من أنواع العملة إلى جانب العملة العثمانية في بلاد الشام فإن العملة العثمانية كانت أكثر تداولاً بالإضافة إلى أنها استخدمت في تحديد الأسعار<sup>(٦)</sup>. أما أبرز التجارات في منطقة شرفي الأردن فكانت تجارة الخيل والإبل من

(١) انظر، مثلاً، المقاسات الدقيقة لبركة زيزياء، وأم الرصاص وحسبان عند: تريسترام، رحلات، ص ١٤٠، ١٧٨؛ وليام لبيبي، وادي الأردن، ص ١١٢.

(٢) كمالي باشا، رحلة سويله مز أو غلي، ص ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦.

(٣) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١٠.

(٤) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١٦.

(٥) أشارت المصادرة المعاصرة للقرن التاسع عشر إلى الألقاب، فخواجا: كلمة فارسية معناها المعلم، ولكنها تطلق على كبار التجار، ومنها اتخذها المصريون والسوريون للدلالة على التاجر الكبير، انظر: سجل محكمة السلط الشرعية، رقم ٢، ١٣٠٣هـ، حجة نمرة ١٠٧، ص ١٢٣؛ الهلال، ج ٤، سنة ١٨٩٣م، ص ١٦٦.

(٦) سجل محكمة السلط الشرعية، رقم ٢، ١٣٠٣هـ، حجة نمرة ١٢٦، ص ١٤٥.

قبائل البدو ، التي تُباع حتى في أسواق مصر<sup>(١)</sup> ، كذلك تجارة الصوف ، حيث وصلت إلى مناطق في الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن الصرف والشعير بالإضافة إلى النقود كانت من الأتاوات التي تدفعها بعض القرى خاوة للقبائل لقاء حمايتها والامتناع عن مهاجمة زراعتها<sup>(٣)</sup> ، وهو أمر بلا شك أضر بكمياتها التجارية .  
ومن أساليب التجارة البيع بالدين<sup>(٤)</sup> ، الذي اختلفت أنواعه بين استدانة الحبوب أو الأموال<sup>(٥)</sup> ، ولا شك أن الظروف المعيشية والاقتصادية هي من أهم الأسباب التي دفعت إلى وجود مثل هذه المعاملات ، إلى جانب وجود نظام المقايضة بين سكان القرى والقبائل المجاورة لهم<sup>(٦)</sup> ، وهناك أسلوب المضاربة خاصة في أيام الحج ومرور القافلة في بعض المناطق مثل معان<sup>(٧)</sup> ، التي كانت تحصل على بضائعها من أسواق فلسطين تحديداً من غزة والخليل ، بالإضافة إلى أسواق مدينة العقبة المجاورة لها<sup>(٨)</sup> .

وهناك إشارة إلى وجود عدد من الشركات الأجنبية التي تتولى النقل بين ميناء العقبة وبعض المدن في شرقي الأردن وفلسطين ، مثل شركة كوك ؛ حيث تصل قيمة المبالغ التي يتقاضونها لقاء تولىهم مسؤولية حمل البضائع والأفراد إلى نحو (٥٠) دولاراً ، واللافت أن أي عقود تبرم ، كانت تحمل أختاماً الشيوخ القائمين على نقل البضائع والأفراد ، يتم تقييدها في مقرات الإدارة

(١) فالين ، رحلات ، ص ٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

(٣) تريسترام ، رحلات ، ص ٩٧ .

(٤) فالين ، رحلات ، ص ٣٩ .

(٥) السواريه ، عمان ، ص ٣٢١ .

(٦) فالين ، رحلات ، ص ٣٢ ؛ هارديج ، آثار الأردن ، ص ١٨٣ .

(٧) في أيام اقامة الحجيج فيها (أربعة أيام تسمى أيام الموسم) ، انظر : فالين ، رحلات ، ص ٣٤ .

(٨) فالين ، رحلات ، ص ٣٣ .

العثمانية<sup>(١)</sup>، لضمان أمر تنفيذها، وفي مراكز الأقضية تُسجل عقود البيع التي قد تشمل على أكثر من طرفين في محاضر رسمية داخل المحاكم، بما في ذلك براءة القبض والاستيفاء<sup>(٢)</sup>؛ لضمان عدم مطالبة بعضهم بأي أموال غير مستحقة لاحقاً.

ولتنشيط التجارة تم تفعيل استخدام الوكالات التجارية التي يمتلكونها نيابة عن أفراد في مدن خارج مناطق شرقي الأردن<sup>(٣)</sup>، مما زاد في إنعاش الحركة التجارية. ويرتبط بالتجارة تأجير وسائل النقل بخاصة الخيول التي يصفها الرحالة لي سترينج بأنها صالحة للاقتناء والخدمة<sup>(٤)</sup>، وتنوعت إسهامات القبائل في التجارة، مثل المساهمة في مرافقة قوافل الحج وتأمين الطريق لها، وذلك بسبب امتلاكهم أهم وسائل النقل، وهي الإبل، وأحياناً يتعذر على قبائل شرقي الأردن القيام بهذه المهمة بسبب النزاعات القبلية، فيذكر يوسف نعيمة عن الوثيقة المؤرخة بسنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، ما نصه: «في هذه السنة المباركة لم يحضر عربان بني صخر وعنزة لنقل قافلة الحجاج من مرحلة معان، وإنما جاءت عربان بني عطية بمائة وخمسة وثلاثين جملاً وزعت على المقومين أحاد ومثنى، ولكنها لم تسد الحاجة...»<sup>(٥)</sup>.

وأسهمت قبائل شرقي الأردن في نقل مادة القلي أو (رماد شجر الدردار) المستعمل في صناعة الصابون، الذي يباع إلى التجار من نابلس؛ حيث بلغ سعر المائة وعشرين باوند بنحو شلنين ونصف الشلن<sup>(٦)</sup>، كما بيع إلى غيرها من

(١) هنري، رحلات، ص ٧٥.

(٢) سجل محكمة السلط الشرعية، رقم ٢، ١٣٠٠هـ، حجة نمرة (١٠٢)، ص ١٢٦.

(٣) سجل محكمة السلط الشرعية، رقم ٢، ١٣٠٣هـ، حجة نمرة (١٢٤)، ص ١٤٢.

(٤) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣٥٢.

(٥) يوسف نعيمة، وثائق تاريخية، ص ٢١٣.

(٦) بيركهارت، رحلات بيركهارت، ج ٢، ص ٨١.

المدن<sup>(١)</sup> ، وقد تدخلت الحكومات التي سيطرت على منطقة شرقي الأردن ، سواء الدولة العثمانية أو الحكم المصري ، بمنع هذه القبائل من بيع هذه المادة مباشرة لتجار نابلس وغيرهم من غير أن يكون لهم دور الوسيط ، وفي بعض الأحيان كانت تتخلى عن دور الوسيط مقابل الحصول على حصة معينة من البيع<sup>(٢)</sup> .

#### ٤. الصناعة والحرف

تشير كتب الرحلات إلى انتشار بعض الحرفيين في مناطق شرقي الأردن ، مثل النحاس والحدّاد وصانعي الأسلحة ؛ حيث جاء بعض الماهرين في هذه الحرف إلى شرقي الأردن من مدن مجاورة مثل الخليل<sup>(٣)</sup> ، ويصف الرحالة لي سترينج أحد الحدّادين في قرية العالوك بقوله : « قرية ذات بيوت طينية ، وكان بينها دكان لأحد الحدّادين ، وهو يعمل بأقصى طاقته »<sup>(٤)</sup> .

توفر الحرف المحلية الأدوات اللازمة للحياة اليومية ، مثل الآلات الزراعية بما فيها المحارث والأجزاء المكونة لها ، كذلك أدوات عمل القهوة مثل المهباش ، وجميع المستلزمات المعيشية الأخرى التي يكثر ذكرها<sup>(٥)</sup> ، مثل (الزق) ويعمل من الجلد ويستخدم لحفظ الزبدة عند القبائل<sup>(٦)</sup> ، ويقول الرحالة سويله مز أوغلي عن العلاقة الإنتاجية بين الإنسان العربي والإبل التي يمتلكها : « العربي الذي يمتلك عدداً من الإبل ، بإمكانه تأمين كل حاجاته الضرورية ، فمن وبر

(١) السواريه ، عمان ، ص ٣٥٤ .

(٢) لطيفة ، الحكم المصري ، ص ١٥٨-١٥٩ .

(٣) فالين ، رحلات ، ص ٣٧ .

(٤) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٣٠ .

(٥) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١١ ، ٣٣٣ .

(٦) تريسترام ، رحلات ، ص ٢٤٣ .

الإبل يتم صنع الخيام والملابس ، ومن جلدها القرب والنعال ، وحليبها يستخدم بديلاً للماء والطعام»<sup>(١)</sup> ، مما يدل على دور الثروة الحيوانية المحلية في سد الحاجات المعيشية .

وهناك كثير من الإشارات المتصلة بانتشار الطواحين المائية المستخدمة في طحن الحبوب ، بخاصة القمح والذرة ، في مناطق عدة من شرقي الأردن ، مثل وادي السير<sup>(٢)</sup> ، ويذكر وليام ليبى هناك بعض الطواحين التي تدار على الآلة البخارية ، مثل تلك التي في عجلون في حدود سنة ١٩٠٢ م ؛ حيث شوهدت تعمل آنذاك ، ولكن لا نعلم إن كانت في العام نفسه قد وضعت أم قبله ؛ حيث تستطيع أن تطحن تقريباً (١٥٠ مداً في اليوم) ، بخاصة لمن يأتي إليها من مسافات بعيدة<sup>(٣)</sup> .

وعمل بعض سكان منطقة شرقي الأردن أدلاء للرحالة يعرفونهم الطرق والأماكن<sup>(٤)</sup> ، كما أن الحالة الاقتصادية الصعبة دفعت كثير من الأهالي للعمل في مهنة التنقيب عن الكنوز ، مع ملاحظة الأثر السلبي الناجم عنها في تخريب كثير من الآثار وتخطيطها<sup>(٥)</sup> ، كذلك السماح للرحالة بالمبيت عندهم مقابل المال<sup>(٦)</sup> ، كما عمل بعضهم في صنع الفحم ، بما في ذلك الفحم الحجري ، كما هي الحال في عجلون<sup>(٧)</sup> .

(١) كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٤٧ .

(٢) هناك إشارة إلى وجود طاحونتين ، انظر : لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٣٠ ؛

الطراونة ، البلقاء ، ص ١٦٧-١٧٢ .

(٣) وليام ليبى ، وادي الأردن ، ص ٨٨ .

(٤) تريسترام ، رحلات ، ص ٥١ ؛ لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٢٦ .

(٥) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣٠٨ .

(٦) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١٦ .

(٧) اللطائف ، ج ٩ ، سنة ١٨٩١ م ، ص ٣٥٢ .

## الحياة والمعتقدات الاجتماعية في شرق الأردن

تناولت كتب الرحالة جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية للأردن ،  
بخاصة أن جزءاً كبيراً منها يأتي في سياق وصفهم للمساكن والطعام والعادات  
والتقاليد التي يمارسها البدو والفلاحون ، فضلاً عن إشارتها إلى ملامح فكرية  
اجتماعية مهمة تعكس أحياناً جوانب الاعتقاد الاجتماعي لدى الأفراد .

## الحياة الاجتماعية في شرقي الأردن

عكست مؤلفات الرحالة جوانب رئيسة في الحياة الاجتماعية ، مثل  
حديثها عن التعليم ، وقد بدأ الاهتمام بالتعليم منذ فتح الدولة العثمانية  
المدارس في بعض مناطق شرقي الأردن متأخراً ، ففي سنة ١٨٩٤م اتجهت  
الدولة إلى فتح مكاتب (مدارس) ابتدائيين في كل من قصبه معان  
والطفيلة<sup>(١)</sup> ، وتزامن ذلك مع ظهور أول مدرسة ابتدائية في الكرك سنة  
١٨٩٤م ، تلاها في الشوبك سنة ١٨٩٩م<sup>(٢)</sup> .

ويشير رحالة إلى بعض مظاهر التعليم من خلال ملامح شاملة ، مثل وجود  
مدرسة بالكرك يمثل مديرها نموذج المثقف صاحب المستوى العلمي المرموق القادر  
على استقبال الأجانب ، بخاصة المارين بالمدينة ، مثل الرحالة<sup>(٣)</sup> ، وفي معان  
كان المسؤول عن التعليم إمام المسجد الذي درس في القاهرة<sup>(٤)</sup> حيث تعد مركزاً  
رئيساً لتخريج القائمين على التعليم ، كما يبدو أن الرحالة أنفسهم كانوا ممن  
توجه له بعض الأسئلة من قبل الأهالي على سبيل التعلم منهم<sup>(٥)</sup> .

(١) البشير ، العدد ١١٥٤ ، سنة ١٨٩٤م ، ص ٢ .

(٢) الطراونة ، اللقاء ، ص ٣٠٤-٣٠٥ .

(٣) تريسترام ، رحلات ، ص ٨٦ .

(٤) فالين ، رحلات ، ص ٣٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

وفي المجال الصحي، تُشكل الرعاية الصحية سبيلاً مهماً في تقدم المجتمعات، خاصة أن كثير من الأنشطة تحتاج إلى وجود صحة عامة جيدة يتمتع بها الأفراد، حتى إن بعض أبناء ولاية سورية ممن يعمل طبيباً في أوروبا أبدى رغبة في إقامة البيمارستانات (المستشفيات)، مطالباً الأغنياء بمد يد العون له<sup>(١)</sup>، فضلاً عن وجود العديد من الإعلانات في الصحف المطبوعة حول كثير من العلاجات، خاصة المتعلقة بمعالجة الحمى<sup>(٢)</sup>، التي انتشرت في كثير من الموانئ<sup>(٣)</sup>، والمراكز الاقتصادية في المنطقة المجاورة لشرقي الأردن.

ويبدو أن اهتمام الدولة العثمانية يتركز في هذا الاتجاه على إرسال الأطباء إلى مناطق محددة من شرقي الأردن في حالة انتشار الأوبئة أو حالات المرض الجماعي الذي ينتشر في بعض السنين، ففي سنة ١٨٩٢م عندما انتشرت الحمى في لواء عجلون (قرية جرش)، أرسلت طبيباً إليها ليعاين أسباب المرض، فخلص للقول بأن السبب هو تلوث الماء والهواء فيها، موصياً بأن الحل الصحي هو انتقال الأهالي في فصل الصيف إلى المناطق الجبلية المجاورة حتى انقضاء موسم الصيف، الذي يعدُّ مناخه مناسباً لانتشار الحمى<sup>(٤)</sup>. وقد أسهمت بعض المراكز الطبية الأجنبية بجانب من هذه الرعاية؛ إذ بعث المستشفى الإنجليزي سنة ١٨٩٦م طبيباً إلى لواء عجلون لفحص بعض مواقع المياه المعدنية التي يزورها كثير من الأهالي للتأكد من جدوى نفعها<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر تحت عنوان (باب المراسلات): الهلال، ج١٧، العدد ٦، سنة ١٨٩٨م، ص ٦٥٥.

(٢) البشير، العدد ١٢٥٩، سنة ١٨٩٦م، ص ٤؛ البشير، العدد ١٢٥٧، سنة ١٨٩٦م، ص ٤.

(٣) مثل ميناء جدة، انظر: عبد العزيز دولتشين، الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى

الحجاز سنة ١٨٩٨-١٨٩٩م، الدار العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٢٦. وسيشار إليه في ما بعد:

دولتشين، الرحلة السرية.

(٤) البشير، عدد ١٠٤٦، سنة ١٨٩٢م، ص ٢.

(٥) البشير، العدد ١٢٣٦، سنة ١٨٩٦م، ص ٢.



وَوُجِدَتْ هناك بعض المستوصفات (المراكز الصحية) الطبية التابعة للبعثات الكنسية ، مثل ذلك التابع للبعثة الكنسية الموجهة للسلط منذ عام ١٨٧٣م<sup>(١)</sup> ، مما يظهر عدم وجود مراكز صحية مقيمة في مناطق شرقي الأردن على نحو عام . أما فيما يخص البادية ، فقد عرفت وجود خبرات محلية لعلاج بعض الحالات ، مثل علاج الجراح واستخراج الرصاص من الجسم وغيرها ، مما يتوافر لديهم من مواد بيئية بخاصة النباتات<sup>(٢)</sup> ، وقد برع سكان شرقي الأردن بهذا الأسلوب العلاجي ، بالإضافة إلى اهتمام سكان القرى بزراعة بعض الأشجار التي تستخدم في علاج الأمراض ، مثل زراعة أهالي معان للرمان<sup>(٣)</sup> .

وقد أشار رحالة ممن زار منطقة شرقي الأردن إلى دورهم في علاج بعض من يرون بهم ، ليس على سبيل مكافحة الأمراض بقدر اتخاذها وسيلة إلى التقرب منهم<sup>(٤)</sup> ، يقول الرحالة تريسترام عن شهرته بالعلاج بين الأهالي : «كان نجاحي الطبي في معالجة أحد المرضى قد طَير سمعتي بين الناس إلى درجة تفوق قدرتي الحقيقية ، كما جلبت لي المتاعب لتوافد الناس علي . . . ، وكان أسهل الأمراض علاجاً هو الرمد ؛ وذلك لتوافر كميات من سلفات الزنك»<sup>(٥)</sup> ، مما يشير إلى طبيعة وأنواع بعض الأمراض المنتشرة في شرقي الأردن في القرن التاسع عشر ، ويعتبر الرحالة أن تقديم العلاج للأهالي ، هو فرصة يحظون بها للقضاء على وقت الملل المتأتي من إقامتهم الطويلة في بعض المدن<sup>(٦)</sup> .

(١) وليام ليببي ، وادي الأردن ، ص ١٠٩ .

(٢) مقال حبيب أفندي (شذرات من طب البادية) : المقتطف ، ج ٩ ، سنة ٢٣ ، ١٨٩٩م ، ص ٦٤٦-

٦٤٨ ؛ ميريل ، شرق الأردن ، ص ٢٠١ .

(٣) فالين ، رحلات ، ص ٣٤ .

(٤) تريسترام ، رحلات ، ص ٩٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢٥٩ .

(٦) هنري ، رحلات ، ص ٧٥ .

ويذكر الرحالة لي سترينج أن الأهالي كانوا يطلبون منه أن يقدم لهم علاجاً ووصفاً لبعض الأعراض المرضية ، مثل ضيق التنفس<sup>(١)</sup> ، وبذا يتبين لنا النقص الحاد في الرعاية الصحية الرسمية لمنطقة شرقي الأردن ، باستثناء ملاحم لخبرات صحية محلية وبعض الجهود الفردية غير الكافية التي يبدو للرحالة دور فيها في حدود المناطق التي يزورونها .

وتلقي مؤلفات الرحالة ملاحم تتصل بمساكن الأفراد في شرقي الأردن ؛ حيث يسكن أهالي القرى بالبيوت الحجرية المسقوفة بالأخشاب ، ويتم الحرص على إبقاء بعض الطاقات والنوافذ فيها لتوفير التهوية الصحية ، وأحياناً يفيد السكان من وجود الكهوف أو المغر في المناطق الجبلية المحيطة بهم ، وغالباً ما يستخدمون هذه الكهوف إسطبلات (حظائر) للحيوانات<sup>(٢)</sup> ، بالإضافة إلى الاستفادة من بعضها للسكن فيها أو أخذ بعض حجارتها لبناء المساكن<sup>(٣)</sup> ، ويحصل بعضهم على الذور عن طريق البيع والشراء<sup>(٤)</sup> ، يمتلكون من خلالها أماكن للسكن تتفاوت حجوماً ، وقد وصف الرحالة كثيراً من البلدات في شرقي الأردن بكثرة البيوت فيها ، إلى جانب الكهوف المحيطة بالمدن للإفادة منها في حفظ المحاصيل والحيوانات<sup>(٥)</sup> .

وتتميز خيام القبائل المحاكة من الشعر ، بأنها تقسم قسمين ، أحدهما يكون للنساء ويسمى (المحرم) ، والآخر للرجال واستقبال الضيوف ويسمى (الشق)<sup>(٦)</sup> ، ويصف لنا الرحالة سويله مز أوغلي أبعاد إحدى خيام الشعر التي دخلها وطبيعة

(١) لي سترينج ، رحلة عجلون والبلقاء ، ص ٣٣١ .

(٢) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١٦-٣١٧ ، ص ٣٢٠ .

(٣) وليام ليبي ، وادي الأردن ، ص ٩٦ ؛ كوندور ، أعمال المساحة ، ص ٩٥ .

(٤) انظر نماذج عقود بيع الدور : سجل محكمة السلط الشرعية ، رقم ١ ، ١٣٠٠هـ ، ص ٩ .

(٥) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٣١٢ .

(٦) تريسترام ، رحلات ، ص ٢٤٢ .

الفرش بداخلها؛ حيث يقول: «طولها من ١٠-٢٠ مترًا، وعرضها نحو ٤ أمتار، وارتفاعها متران، ومصنوعة من الشعر الأسود، ومزينة ومفروشة بالسجاد الراقي، ووضع على طرفيها الفرش والمخاديد»<sup>(١)</sup>، كما يلفت الانتباه إلى سرعة بعض موظفي قافلة الحج في نصب الخيام وإعدادها، وهم من يسمون (العكامة)، ويوصي بضرورة إفادة الدولة العثمانية منهم في إقامة المخيمات عند اضطراب جيوشها النزول في مناطق سورية وقت الحروب<sup>(٢)</sup>، على اعتبار أن الخصائص المتوافرة لديهم قد تفيد في توفير التموين للدولة العثمانية في حالات التحرك العسكري في تلك المناطق.

أما فيما يخص الملابس فقد تمحورت تقريبًا حول وجود لباسين (كسوتين)، إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء<sup>(٣)</sup>، ولا يختلف البدو عن الفلاحين باللباس إلا بتباين بسيط<sup>(٤)</sup>. ويشير الرحالة سويله إلى أن الأهالي يمتلكون الملابس الملونة<sup>(٥)</sup>.

ويشكل الطعام والضيافة قيمة أساسية لسكان شرقي الأردن؛ حيث يقدم البدو لمن يأتي إليهم من الضيوف الخبز والحليب، بالإضافة إلى القهوة العربية<sup>(٦)</sup>، ويصف الرحالة تريسترام عملها بقوله: «تمّ تنقية حب القهوة

(١) كمال باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) عليان عبد الفتاح الجالودي، قضاء عجلون (١٨٦٤-١٩١٨م)، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان،

١٩٩٩م، ص ٤٣٤. وسيشار إليه في ما بعد: الجالودي، قضاء عجلون؛ إحسان النمر، تاريخ جبل

نابلس والبلقاء، ٢ جزء، مطبعة النصر التجارية، نابلس، ١٩٦١م، ج ٢، ص ٣٠٥. وسيشار إليه في

ما بعد: النمر، جبل نابلس والبلقاء.

(٤) هاردينج، آثار الأردن، ص ٣٤.

(٥) أكماي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٤١.

(٦) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣٠٤.

الأخضر النيء ثم تميمه في محماسة النار، ثم أودع في المهباش حيث يدق، ثم ألقى في الدكة التي كانت بجانب النار»<sup>(١)</sup>، ومن عادة نساء القبائل في منطقة شرقي الأردن استقبال المارين بهم من الضيوف وتقديمهن واجب الضيافة<sup>(٢)</sup>، ومن طعام أهل القرى الرز واللحم<sup>(٣)</sup>، أما أهل البادية والقبائل فهو الخبز العربي الذي يخبز على شكل فطيرة ثم يوضع عليه السمن<sup>(٤)</sup>، ومن أطعمة البدو أيضاً اللحوم المقلية وطعام يعرف باسم (مرجوجة) لحم مقلي في أسفله لبن عليه رز ودهن أو سمن مذاب<sup>(٥)</sup>، ويؤتى بالأرز من دمياط في مصر<sup>(٦)</sup>، وهي أطعمة دسمة قد يرفض الرحالة أحياناً تناولها، ولكن نشاط رجال البادية والحركة المستمرة كفيلة على ما يبدو بهضمها، وفي بعض الأحيان يعدّ الأهالي خبزاً من ثمار بعض النباتات، مثل (السمح)؛ حيث تجمع قروونه وتنقع بالماء ثم تطحن ليعمل منها الخبز، كما وصفه الرحالة باللذيد<sup>(٧)</sup>، وفي مجال الترفيه فهناك ذكر لوجود بعض الفرق الموسيقية التي تحبب القرى والبلدات، وقد التقى الرحالة أنفسهم ببعضها<sup>(٨)</sup>، مما يوضح حيوية المجتمع.

وتحرص الدولة العثمانية على تحسين علاقتها بسكان شرقي الأردن، خاصة القبائل، بمنح العديد من رجالاتها ما يعرف بالصرّة العثمانية، بالإضافة إلى

(١) تريسترام، رحلات، ص ١٥٩.

(٢) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣٢٨؛ ميريل، شرق الأردن، ص ١٩٩.

(٣) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣١٦.

(٤) لي سترينج، رحلات عبر عجلون والبلقاء، ص ٣٣٣.

(٥) كمالي باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٤٠.

(٦) فالين، رحلات، ص ٣٤-٣٥.

(٧) فالين، رحلات، ص ٣٨.

(٨) ميريل، شرق الأردن، ص ٢٠٥.

الخلع والهدايا<sup>(١)</sup>، كما حصل بعضهم في أثناء الحكم المصري على أختام من الفضة تدل على زعامتهم<sup>(٢)</sup>. بدورهم اعتمد شيوخ القبائل على سياسة الإهداء للرحالة، مثل منحهم (جلود الفهود) التي يصيدونها<sup>(٣)</sup>، في حين يقدم الرحالة لرجال القبائل وشيوخها أو وجهاء القرى بعض التبغ أو العيارات النارية وأحياناً بعض القطع الفضية<sup>(٤)</sup>. أما المعتقدات الاجتماعية<sup>(٥)</sup> فقد تنبعت كتب الرحالة إلى مسألة الاعتقاد لدى الأفراد في المناطق التي يزورونها، والمتصلة بتفسيرهم للعديد من القضايا، بخاصة المتعلقة بتسمية الآثار المنتشرة في شرقي الأردن وما يدور حولها من معتقدات؛ حيث وفرت المكانة الروحية لبعض الحوطات المبنية حول بعض القبور مكاناً يضع فيه الأهالي الحنطة والمحارث، مما يوفر رادعاً للصومسوخ الذين يخافون من هيبته أو مكانتها الاعتقادية، فيمتنعون عن سرقة ما بها من مدخرات<sup>(٦)</sup>، فمثلاً كانت تودع المحارث بجانب قبر نمر بن قبلان العدوان (المتوفي سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م) طلباً للحماية<sup>(٧)</sup>.

كما يبدو أن بيئة بعض المناطق القاحلة، تجعل الأفراد يطلقون عليها

(١) انظر نماذج من الخلع المدفوعة سنة ١٨٣٠م: يوسف نعيسة، الوثائق التاريخية، ص ٣٤٤.

(٢) كمال باشا، رحلة سويله مز أوغلي، ص ١٣٥.

(٣) تريسترام، رحلات، ص ١٦١.

(٤) تريسترام، رحلات، ص ٢٤٣.

(٥) تعتبر الدراسات الاجتماعية المعتقدات جزءاً من الولكلور الشعبي؛ حيث يشتمل الفولكلور على الخرافات والقصص الشعبية والأساطير وغيرها. للمزيد انظر: عبد اللطيف البرغوثي، مجموعة أبحاث متفرقة (بين التراث الرسمي والتراث الشعبي)، جامعة بيرزيت، فلسطين، ١٩٨٥م، ص ٤-٥. وسيشار إليه في ما بعد: البرغوثي، أبحاث متفرقة.

(٦) لي سترينج، رحلة عجلون والبلقاء، ص ٣٣١؛ ميريل، شرق الأردن، ص ١٩٦؛ كوندور، أعمال المساحة، ص ٢٥.

(٧) لي سترينج، رحلة عجلون والبلقاء، ص ٣٣٥؛ كوندور، أعمال المساحة، ص ٥٧.

مُسميات تعبر عن ذلك الواقع الجغرافي ، مثل تسميتهم بعض الأجزاء من الصحراء الواقعة في شرقي الأردن بصحراء التيه ، وعلى الرغم من إشارة الرحالة إلى أن هذه الصحراء توجد في جزيرة سيناء<sup>(١)</sup> ، غير أن الاعتقاد له مدلوله البيئي أو المناخية الذي يسود بعض المناطق .

كما أشار رحالة آخرون زاروا منطقة شرقي الأردن إلى وجود مثل هذه المعتقدات المتصلة بأسماء بعض الأشجار أو النباتات<sup>(٢)</sup> ، أو المرتبطة بتكون بعض المناطق والأودية ، مثل وادي عربة<sup>(٣)</sup> ، وكثيراً ما ترد لدى الرحالة تريسترام قصص تعكس هذا النوع من المعتقدات ، مثل سبب تسمية بعض الأبراج في مدينة أم الرصاص<sup>(٤)</sup> ، وتحدث هذه القصص عن وجود حيوانات مفترسة خيالية يطلقون عليها العديد من الأسماء في الغالب ، منها اسم (الغول) ، والملاحظ أن المجلات المنشورة خلال حقبة الدراسة تحاول في بعض صفحاتها الإجابة عن استفسارات القراء العجيبة المتصلة بمثل هذه الأسماء ، من بينها التي تدور حول حقيقة وجود مثل هذا الحيوان الخيالي<sup>(٥)</sup> ، وهي إشارات تؤكد انتشار مثل هذه الاعتقادات على نحوٍ واسع في المحيط البيئي المجاور لمنطقة شرقي الأردن .

وقد أشير إلى هذه المسألة في العديد من ملاحظات رحالة القرن التاسع

(١) كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٤٨ .

(٢) انظر ملاحظات حول شجرة تشبه التفاح لكن ثمرها مختلف تسمى تفاح سدوم ، يظن الأفراد أنها بسبب عذاب الله تعالى لتلك الأقاليم : بيركهارت ، رحلات بيركهارت ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

(٣) يربطه الأفراد باعتقاد ديني يتصل بقصة سيدنا موسى ، عليه السلام . انظر : هنري ، رحلات ، ص ٧٨ .

(٤) تريسترام ، ه . ب . رحلات في شرقي الأردن عام ١٨٧٢م ، ترجمة أحمد عويدي العبادي ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٧م ، ص ١٤٤ . وسيشار إليه في ما بعد : تريسترام ، رحلات .

(٥) انظر : الهلال ، ج ١ ، العدد ٥ ، ١٨٩٦م ، ص ١٤٤ .

عشر الميلادي عن مناطق عربية أخرى سبق لهم زيارتها ، ومن ذلك مشاهدات الرحالة كارستن نيبور (المتوفي سنة ١٨١٥م) الذي ذكر أن بعض سكان الموصل في شمال العراق ، يأخذون بعض التربة من قبور القديسين فيها ؛ بغية استخدامها في علاج الحمى<sup>(١)</sup> ، وقصص أخرى تتصل بسبب تسمية بعض المدن والقرى<sup>(٢)</sup> ، مما يجعل الثقافة العامة لبعض الأفراد خلال هذا القرن واحدة تقريباً في بعض مظاهرها .

ولكن يمكن القول إن سبب انتشار هذه المعتقدات بين أفراد المجتمع الحاجة إلى توفير الأمن وردع محاولة الاعتداء على الممتلكات الخاصة المستخدمة في المعيشة ، ولعل أهمها (المحراث) من جهة ، بالإضافة إلى إبقاء بعض الآثار التاريخية بعيدة عن العبث والسرقة من جهة أخرى ؛ نظراً إلى حصولهم ؛ أي الأفراد ، على عوائد مالية كبيرة ، منها أن الرحالة كانوا يدفعون أموالاً كثيرة لمن يدلهم على مواقع أثرية لم تطلها أيدي الباحثين عن الكنوز<sup>(٣)</sup> ؛ حيث حصل بعض الرحالة على شيء من هذه الكنوز والآثار<sup>(٤)</sup> ، وربما يريدون أن يكون لهم سبق اكتشافها من غير سواهم من الرحالة المستكشفين ، وبخاصة الأوروبيين .

وقد كشفت مشاهدات الرحالة لي سترينج عن وجود العديد من التوابيت الحجرية التي تحطمت خلال البحث عن الدفائن<sup>(٥)</sup> ، كما صرح غيره بأن هناك أساطير على حد قوله تشير إلى انتشار الأفاعي في بعض مباني الآثار<sup>(٦)</sup> ، مما

(١) كارستن نيبور ، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص ٢٩٤ .

(٢) كارستن نيبور ، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص ٣٠٨ .

(٣) تريسترام ، رحلات ، ص ٦١ ؛ كوندور ، أعمال المساحة ، ص ٢٧-٢٨ ؛ وليام ليببي ، وادي الأردن ، ص ٢٠١ .

(٤) ميريل ، شرق الأردن ، ص ٢٩٩ .

(٥) لي سترينج ، رحلات عبر عجلون والبلقاء ، ص ٢٠٨ .

(٦) كمالي باشا ، رحلة سويله مز أوغلي ، ص ١٥٣ .

يشير إلى أن باعآ هذه المآقآاء كان لغايات آدور حول هذا الإطار .  
وقد ألمح الرحالة كذلك إلى أن ضعف الآلآم والنقص الحاد في الآقفف كان سبباً في انآشار الجهل وما یرافقه من سرعة انآشار هذه المآقآاء غیر العلمیة ، یقول الرحالة سوبله : «لومتّ نشر الآلآم في هذه الأماكن - بعض مناطق شرقى الأردن- فإنهم بلا شك سببرزون وسبدهشون العالم في غضون مدة قصیرة ؛ وذلك لذكانهم وما یتوافر في طبائهم من خصال الكرم والشجاعة الفطریة»<sup>(١)</sup> .

ومن ثمّ ، فهو یرى أنهم یحملون أسباب نهضآهم ، ولكن یآناجون إلى اآتمام الدولة العآمانیة بهم ، ولم یكن هو الرحالة الوحید الذى ذكر وجود آقافة الاستعداد لدى الأفراد في شرقى الأردن المتعلقة برغبآهم الشدیة في آحطى حالة الجهل الآى یعیشونها<sup>(٢)</sup> ، هذا إلى جانب ملاحظآآ آآصل بوجود عدم وعى اجآصاعى لدى جمیع العرب في القرن الآسع عشر ، بل وإیمانهم ربما بالآعآقادات الأسآوریة و غیر العلمیة بوصفها مساعداً في آفسیرهم بعض المفاهیم الآیآیة الآى آآصل أآیاناً بالمستقبل<sup>(٣)</sup> ، خاصة أن العدید من هذه المآقآاء یأخذ بعداً دینیاً<sup>(٤)</sup> ، یمكن الآروج منه بالآبع من آلال إصلاآ الآلآم .

(١) كمالى باشا ، رحلة سوبله مز أوغلى ، ص ١٤٥ .

(٢) فالین ، رحلات ، ص ٥٤ .

(٣) مثل الآلط بین الفلك والآنجیم انظر : دومینغو ، رحلة إلى المغرب ، ص ١١٤-١١٥ .

(٤) انظر مثلاً المآقآد الظاهر فیما یسمى (بظمة الآركى) شجرة بطم نسبة لرجل تركى قد یكون درویشاً

(شیحاً روحياً) . كوندور ، أعمال المساحة ، ص ١٩٤ .



## الخاتمة

إن دراسة مصادر القرن التاسع عشر الميلادي المتعلقة بالأردن يمكن لها أن توفر قاعدة بيانات معرفية جيدة من شأنها بيان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الأردن في حقبة تعدّ أساسية في فهم التطور الاقتصادي في مطلع القرن العشرين ، وعلى الرغم من أن كتب الرحلات توفر معلومات ومشاهدات مباشرة ، إلا أنها بحاجة من الناحية المنهجية إلى مقارنتها بالمصادر الأخرى ؛ للخروج بقراءة واضحة ودقيقة للأردن في القرن التاسع عشر . وقد أتت هذه الدراسة على رصد وتحليل أهم ملامح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الأردن خلال القرن التاسع عشر ، لتخلص إلى نتيجة مهمة ، وهي أن منطقة الأردن شهدت ظهور بدايات نشاط اقتصادي متنوع بخاصة في مجال تربية الثروة الحيوانية والزراعية ، التي كانت سبباً أساسياً في ربطها بعلاقات تجارية مع البلدان المجاورة ، مثل فلسطين ومصر والجزيرة العربية ، التي شكلت أسواقاً لبيع الخيول والمواشي والأصواف ، وقد وفرت كتب الرحالة إحصائيات عديدة تظهر أعداد الثروة الحيوانية ، فضلاً عن دورها في تدعيم ركائز التجارة الداخلية ، إلى جانب ذلك بدت الحرفة اليدوية ذات الصلة بأساليب وأنماط المعيشة منتشرة في معظم المناطق ، بخاصة المتعلقة بتجهيز الأدوات الزراعية .

أما المجال الاجتماعي فإن قيمة المروءة كانت واضحة تماماً في التعاملات الاجتماعية ، حتى إننا نطالع العديد من النصوص في كتب الرحالة التي تؤكد ذلك ، فضلاً عن كشف مؤلفات الرحالة في المجال الاجتماعي لواقع التعليم والصحة في الأردن ، الذي كان متواضعاً في بعض جوانبه ، غير أنه من اللافت وجود سمة الإرادة للتعلم وطلب المعرفة بشكل كبير عند أهالي البادية والقرى .

*followed in the face of European intervention?”*, “*Why was the double qaimaqamatie administration accepted even though it is completely inversion to Tanzimat and centralist politics?”* can help in reading about and understanding the sociocultural and religious transformations in the Mount Lebanon.

The basic assumption to be emphasized in this study is that the dream of the Tanzimat reformists to re-create the Ottoman state did not bring much excitement, especially for residents who lived in remote areas. Considering that the social hierarchy of Damascus was accepted politically, legally and culturally until the beginning of the 19th century, and that social conflicts were polar rather than sectarian, the intensity of the social reaction to the intervention made by the Kavalal? to the region before the Tanzimat and the conditions brought about by the Tanzimat afterwards can be better understood. From this point of view, an analysis of the rich accumulation and internal dynamics in the region of Mount Lebanon, where a mosaic of communities of Ottoman history were represented, can shed light on today's politics.

Ottomans would not be able to ensure the peace until the Mutasarrifate management was established in Lebanon.

## Conclusion

The reality of the modernization and change that was inevitable for the Ottoman state led to the radical transformation of the administrative, military and legal structures in the 19<sup>th</sup> century and resulted in sociocultural as well as political solutions. Centralization, which was the most important emphasis of Tanzimat, was intended to make people feel the power of the state again, with the social equality brought about by a restored social equilibrium. But it was not possible to achieve these aims due to the political and economic currents which started to change dynamics between social classes and religious groups before the Tanzimat.

The politics that the Ottoman state tried to implement in Syria in order to obtain recentralization encountered strong opposition from owners of the political discourse, who spoke from challenges in the conditions of the period. Some questions that emerged in this period received different answers and in different ways on how to implement the Tanzimat in the Bilad al Sham.

Although anachronic history readings may not be useful in studies involving the social sciences, asking past questions while assessing historical events can give direction to understanding the policies of the period. For example, in this study, answering questions such as “*what would happen in the Mount, if Amir Bashir refused to cooperate with Ibrahim Pasha by remaining faithful to the Ottoman state?*”, “*Could a strong internal policy be*

The situation was related in part to the way the Druzes and Maronites understood and interpreted Tanzimat. The centralist approach that the Ottoman Empire tried to implement was not typical for communities in the region. But the sectarian approach which showed growth in the 1830s in the region was not welcomed by the people either. Thus, officials who were appointed by the center were relied upon to provide the peace needed to resolve problems between the two communities.

To Europe, however, Lebanon was no longer a region for either the people who lived in it or the Ottoman Empire which held the territory to govern for themselves. In Lebanon, reaching a boil in 1860, a bloody civil war broke out which was exacerbated by events in Syria. Great powers began to pursue their own interests in order to maximize their gain in and profit from the conflict. France, in its own political self-interest, attempted to hit three birds with one stone by demanding the arrest of the Druze, compensation of Christians and withdrawal of the Ottoman troops.<sup>(51)</sup> Meanwhile, England, which did not want France to establish domination in Lebanon, on the one hand tried to prevent the Druze from being crushed, and on the other hand, argued constantly about the differences in religious sects. The Ottomans first of all insisted on respect for sovereignty rights as recognized by the Treaty of Paris in 1856, and second of all tried to move cautiously in order to bring about a permanent management structure in Lebanon to prevent it from becoming an intervention port.<sup>(52)</sup> However, the

---

50 BOA, I.DH 249/15283, 10 JamaziyalAvval 1268

51 HR. TO, 199/13, 20 Mach 1861

52 Engin Deniz Akarlı, *Cebel-i Lübnan da Mutasarrıflık Düzeni*, 1861-1915, p.39

atmosphere of conflict with the Druzes, which could happen after Amir Bashir's appointment.<sup>(47)</sup> However, as mentioned earlier, the increase in church hegemony in the second half of the 18th century also affected the relations of the Maronite villagers with the church. Villagers used the church as a mediator in their problems with their own Muqata`jis, but this resulted in people having authority in the church. In any matter related to the Ottoman state, it was necessary to act in accordance with the wishes of the church.<sup>(48)</sup>

European influence on the Druzes was perceived differently. Because the Druzes did not have a religious authority similar to the church, and they were not members of the same religion as the British who supported them, the relationship between the Druzes and the British was weaker and ensured that the allegiance the Druzes felt towards the Ottoman state did not deteriorate much. In 1841 the Druzes promised to take back their territory in talks with the Colonial Rose, Numan Junblat's request for formal protection from the British Queen received a positive response<sup>(49)</sup>. However, Abu Nakad and the Junblats informed the Ottoman authorities after the conflict that they did not want British protection anymore, and that they appreciated the support of the State for its people, and this is proof of the Druzes' continued allegiance to the State.<sup>(50)</sup>

---

46 BOA, HR. SFR, 3/30, December 1844

47 Tayyip Gökbilgin, "1840 tan 1861'e Kadar Mount-i Lübnan Meselesi ve Dürzîler", p. 656

48 Engin Deniz Akarlı, *Cebel-i Lübnan da Mutasarrıflık Düzeni*, 1861-1915, p.27

49 Hassan al Haysami, *Al Murasalat Ictimaiyye ve Iktisadiyye Li Zu'ama Mount Lubnan Hikal Salasat al Qurun*, Beirut 1979- 1980, v1, p. 50

France held the Ottoman state directly responsible for the Christian massacres in the Druze and Maronite conflict up through 1845, which strengthened both the Maronites and Europeans hands. In a French report by Monsieur Kizo of French foreign affairs to the embassy in Beirut, it was reported that the Druzes backed by the Turks attempted gruesome savagery against Baron De Bourgueney, Christians were exposed to countless enemies, and the Ottoman state needed to take action urgently and effectively to prove to Europe that the Porte had no bad intentions towards Christians. The statement mentioned in the report that The Sublime Porte's saying the return of Amir Bashir would drag Lebanon into turmoil was not convincing was an expression of France's real intention to have Bashir reassigned.<sup>(45)</sup>

Although the Maronites were satisfied with France's support, the rights guaranteed and extended to non-Muslims with the Tanzimat increased the Maronite community's commitment to the Ottoman state. Selim Pasha, who was sent to the region to determine the differing assertions from the consulates following Omar Pasha's assignment, reported that the demands that someone from the Shihab family be appointed came from public consent<sup>(46)</sup>, and that the Maronite patriarchs and some Greek Catholics were threatening people who expressed being content with the Omar Pasha with keeping them out of the Church. Many Maronites were satisfied with the new style of administration and were not in favor of creating a new

---

44 Haluk Ülman, "1860-1861 Suriye Buhranı", Ankara, AÜ SBF Yayınları, 1966, p.265

45 BOA, HR.TO, 189/20, 2 June 1845

as officers in the region without any direct connection to administrative affairs. The French officials took the issue in hand and made an attempt by the statue of the *army Mushir* through the consulates in Beirut both for the annexation of the Beqaa valley to Lebanon and for the appointment of the Harfush, one of the tax farming families in the Ba`albak, to the administration of the district.<sup>(42)</sup> The Sublime Porte intervened in the matter, but was not able to suppress the foreign influence, which had been intervening between the society and the state now for a long time.

Although internal reactions to the European influence in the region were felt in every part of the society, it was mostly interpreted by the hegemony as attempting to be established over the two major sects of Lebanon. The Maronite community which began to increase in power and influence starting in the second half of the 18<sup>th</sup> century became not only a religious, but also an agricultural, economic and cultural power, thanks to the churches and monasteries that began to spread throughout Lebanon.<sup>(43)</sup> Even the smallest irregularities related to tax and legal issues at the time were turned into serious problems by the Maronite community. In the 1845s, France, which was deeply disturbed by the transition of the Lebanese administration from the Amirate to the Qaimaqamat, discussed such problems in both their domestic and the international arenas and used the internal politics of the Ottoman state to regain their broken power against England.<sup>(44)</sup>

---

tanbul, 1996, p. 14

42 BOA, HR.SYS. 1527/51, 18 December 1847

43 Engin Deniz Akarlı, *Cebel-I Lübnan da Mutasarrıflık Düzeni, 1861-1915*, p.26-27

without England , which was said with the purpose of provocation.<sup>(40)</sup>

The practice of foreign envoys to intimidate state authorities by attracting people to their side rather than to act as intermediaries facilitating relations of the state with the people resulted in the failure of the central state-society balance for a long time in Lebanon. In particular, an Ottoman citizen who was under the protection of a foreign country obtained the title of "*mahmilik*" (protégé) and used the foreign consulate as a mediator, which made his work easier. The winning over of Ottoman citizens to the foreign countries led to state's control of the area to weaken gradually.<sup>(41)</sup> The people worked so hand in glove with foreign consuls that unfair interference of the envoys with authorities became widespread. Meanwhile, the situation strengthened the hands of the envoys, and the envoys began to intervene in every area in the region at the direction and will of the people. So much so that the scope of the intervention sometimes went beyond the envoys, and even ordinary foreign officials began interfering at times with the administrative work. For example, in 1847, some Muqata`ji families living in Lebanon requested the state to annex the Beqaa valley that had fertile soil to Lebanon, when in fact the valley was a *Zeamet land* subject to Damascus. Upon receiving a negative response by the Ottoman authorities, the Muqata`ji families brought the issue to the two French officials who served

---

*feyyay*", Lubnan Tarikhihi va Turath, Beyrut : Merkezü'l-Hariri's-Sekâfe, 1993, v.1, p.347

40 BOA, I.DH. 52/2580, 3 ?aban 1257

41 Mustafa Akar, *Arsiv Vesikalart Istıgında Cebel-i Lübnan ve Sam Hadiseleri (1860-1861)*,

*Istanbul Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, (Bastılmamıs Yüksek Lisans Tezi)*, Is-



shorter time and in a more effective manner. However, in reality, the European states had motives for their intervention in the region which were different than that of Tanzimat.

The international intervention in the decisions made in 1840 led the Sublime Porte to return to Syria with its allies. While the Ottoman state was dispatching his wali (governor) of Syria again to Damascus, Britain, France, Russia and Austria were seeing their new ambassadors off to Beirut. The main objective of the ambassadors was to eliminate via diplomatic means rival countries who wanted to dominate world politics throughout the region. For the ambassadors, the best way to do this was to protect their interests on the Ottoman state, which could be a common partner for them all. The diversity in Syria made it a good place for the realization of European goals. In the 19th century, Lebanon had become the international arena for religious and political disintegration, with Maronites leaning on France, Druzes on England, the Orthodox Christians on Russia, and the Catholic Christians on Austria.<sup>(39)</sup> The situation in Lebanon would become for the Ottoman state the greatest challenge in implementing the centrality envisaged by the Tanzimat. While the Ottoman state viewed Lebanon more holistically as a single entity, Europe viewed it as more sectarian and disunited. When the Ottoman state was more individualistic in its domestic politics, Europe became more involved. So much so that the European ambassadors spread the rumor that the State could not rule the people

---

*Sam Olayları*" , p.26

39 Adel Ismail, "*Ahd al Fawda va al idhderabat 1840- 1860: Taqseem va al fetan at- Tae-*

officials, the state never achieved the central control that it wanted. Moreover, the Double Qaimaqamat system made it possible to formally divide communities that were living together in a small area where no sectarian problems existed. The complete removal of the difference between the Muslim and non-Muslims by the 1856 Edict of Reform led to reversing the six hundred year-old tradition of the Ottoman state, and in the words of Rashid Pasha, to careen right into the opposite, which led to the great events that would cause the conflicts in Damascus, Aleppo and Hitta-i Irakiye.<sup>(38)</sup> For these reasons, until 1860, the existence of the state in the region was spoken of only in terms of measures to resolve administrative disagreements in the context of conflicts.

### **3. European influences and internal reactions in Lebanon:**

The failure of the Ottoman state to handle the issue of Muhammad Ali alone set the stage for the London conference. The declaration of Tanzimat constituted an important leap forward in the diplomatic affairs of the state, and an image was on display where European states took sides with the Ottoman Empire, which accepted the modernization and principles of equality in the face of the “Kavalalı Muhammad Ali” threat, and which therefore gradually increased his political and economic power. With European support, it was thought that the centralization policies against local Amirs in the direction of Tanzimat reforms would be implemented in a

---

37 Engin Deniz Akarlı, *Cebel-i Lübnan da Mutasarrıflık Düzeni, 1861-1915*, p.31

38 Adil Baktıaya, “19. Yüzyıl Suriyesinde Hristiyan- Müslüman İlişkilerinde değişim 1860

With the 1845 arrangement, the division of Lebanon as a Druze qaimaqamat in the north and a Maronite qaimaqamat in the south was a reflection of the transformation of Ottoman ideals to accommodate sectarianism. However, the sectarian divisions drawn by sharp boundaries did not satisfied the Druzes, the Maronites nor the Ottoman state. Confusion created by the Druze and Nasara qaimaqamats on the one hand fueled the sectarian separation, and on the other hand caused the attempt of Muqata`ji families to regain political hegemony to become a civil war. Since Muqata`ji families were obligated to act according to the decisions of the assemblies established under the presidency of the qaimaqams, their rights of tax collection and adjudication were limited.<sup>(37)</sup> Thus, Muqata`ji families had no intention of giving up their rights, nor of operating under the assembly.

For the state, the highest priority was to prevent conflicts and to establish peace in the region within the framework of reforms at that time. The Qaimaqamate system was seen as an intermediate solution, which was somewhere between the old system and the new understanding of the state. The state tried to place the new system as close to the center as possible. Towards this end, the authority to appoint qaimaqams was removed from the governor of Sidon and given to the Sublime Porte, and also monthly salaries of the assembly members would be paid directly by Istanbul. But, though the state transformed both qaimaqams and assembly members into state

---

34 Laila Fawaz, *An Occasion for War*, p.27

35 Engin Deniz Akarlı, *Cebel-I Lübnan da Mutasarrıflık Düzeni*, 1861-1915, p.30

36 Fawwaz Traboulsi, *A History of Modern Lebanon*, London, Ann Arbor, Mi, 2007, p.42

authority among the qadi, qaimaqam (district governor) and undersecretaries.<sup>(34)</sup> In the assemblies formed under the leadership of Druze and Maronite qaimaqams, there would be 12 administrative judges, consisting of a vice qaimaqam and an Islamic qadi, as well as a qadi and a counselor for each Druze, Maronite, Greek, Catholic and Shi i Metavile community.<sup>(35)</sup> The main goal was to have all the communities working in harmony through equal representation when addressing emerging problems. At the same time, this meant that the "millet system" was replaced by the "Ottomanism" identity, which could be described in the secular context with the Tanzimat. However, in the 19th century, sectarianism and not Ottomanism was dominant, and sparks of conflict, which would drag the region into chaos, affected the efforts of the Maronites and Druzes, who would redefine themselves through sectarian politics.

Sectarian politics would explain the conflicts of 1841-45 that emerged in the political and legal struggles of the congregations dominating the region. In the struggle for domination over the Maronites, the Druzes were victors in the conflicts, but political superiority was maintained by the Maronites. The internal war transformed the Druze community, who sought protection of its influence as far as through a system of iqta and as that of a minority trying to prevent extinction.<sup>(36)</sup> In addition, the conflict resulted in the identity of the sect becoming clearer and being defined along political lines. The social struggle became a war of identity and recognition on the basis of sectarian identity.

---

versty Library, 1981, p. 29

Maronites, and therefore the Pasha came at the people's request,<sup>(30)</sup> his efforts to weaken the local administrations in the context of Ottoman authority and his failure to meet requests of the parties caused his administrative life to be very short. The Pasha first wanted to make up for the suffering of the Druzes to some extent and gave back some of the land they lost.<sup>(31)</sup> In return, he received letters from the Druzes that supported the legitimacy of the Ottoman Authority.<sup>(32)</sup> However, the Druzes who won their battle with the Maronites were not satisfied with the support provided by Omar Pasha. The desire of Maronite patriarchs to see Bashir II again as their Amir instead of Omar Pasha made the Pasha's effort in vain.<sup>(33)</sup> The failure to stop the conflicts that began between the Druzes and the Maronites caused the discharge of Omar Pasha, and this discharge resulted in the failure of the last initiative of Ottoman centralism in the region. The endless conflicts in the Lebanon brought with it the Double Qaimaqamate system in 1842, which was an implementation not previously seen in any Ottoman administrative unit.

According to the regulations revised by Shekib Effendi in 1845, the power of the local authority was narrowed by dividing governance and

---

29 Ahmed Lütfi Efendi, *Tarih-i Lütfi*, v.7, p. 1118

30 Ahmed Lütfi Efendi, *Tarih-i Lütfi*, v.7, p. 1118

31 Samir Khalaf, *Persistence and Change in 19th Century Lebanon*, American University of Beirut, p. 68

32 BOA HR. SFR 3, 3/64, 30 January 1842

33 Engin Deniz Akarlı, *Cebel-i Lübnan'da Mutasarrıflık Düzeni, 1861-1915*, Bogaziçi Uni-

eliminate.<sup>(26)</sup> It was clear that the Maronites were taking measures against the Druze Amirs rather than Tanzimat policies. Likewise, the Maronite church, which also used the political weakness of Bashir Qasim, began to ascend in becoming Lebanon's sole political power after a successful revolt against the Kavalali. By 1840, Maronites were not only an effective religious and political force, but also an organization with a large army of soldiers.<sup>(27)</sup> They went as far as saying to smother Druzes just by spitting in their faces.<sup>(28)</sup>

#### **b. Sectarian Administration and its Problems for the Tanzimat**

The opportunity to see Tanzimat implemented in Syria was more quickly realized with the appointment of Omar Pasha. In October 1841, by turning a small fight in Baaqlin into a major conflict and the inability of Bashir Qasim to prevent conflicts “-idarei umura ademi iktidary ve esnawy ihtilalde vacibaty memuresini yerine getirememesi-” resulted in Macar Omar Pasha’s appointment.<sup>(29)</sup> Lebanon, where the Amirate period ended, was now directly under Ottoman rule. Although the Serasker Mustafa Nuri Pasha, who was sent to the region before Omar Pasha, had convinced the

---

25 Marun Ra'd, *Lubnan min al Ijarah ila al Mutasarrıfiyyah: 1840-1861*, p. 64

26 Emel Mihail Besshour, *Suriyya va Lubnan fı asr'il İslah , 'ıl Osmani: Haqabatı Tanzimat min sana 1840- 1880*, Trablus: Al Muassasat al Hadisa Lil Kitab, 2006, p. 76,

27 A.J. Ibrahim, *Lebanon at Mid Century Maronite- Druze Relations in Lebanon 1840-1860: A Prelude to Arab Nationalism*, University Press of America, 1981, p. 69

28 Tayyip Gökbilgin, “1840'ıan 1861'e Kadar Mount-i Lübnan Meselesi ve Dürzfler”, p. 644

Amir. Another claim was that the Amir wanted to forcibly Christianize the Druze community as well. In return for appointing an Amir from their own people like the Junblat family, the Druzes would have to obey all rules brought about by Tanzimat and pay all the new required taxes.<sup>(25)</sup>

No doubt the enmity between the Druzes and the Bashir was not based on religious sensitivity. From 1697 to 1750, non-Sunni Druzes were ruled by Sunni Shihabs, and during such period, there was no sectarian disorder. The fundamental issue during the Tanzimat was that the Druzes were willing to let the state represent them by focusing on their Islamic identity, despite what the state had emphasized as Muslim-non-Muslim equality under the Tanzimat. In spite of the declaration which eliminated Muslim-non-Muslim differences in the context of social equality in the period of Ibrahim Pasha before Tanzimat, the privileges given to the Christians were already seen as an important problem for the Druzes. It was not an acceptable situation for Tanzimat reforms to continue in the same context, rather Tanzimat should change such context, in a sense.

It was not just the Druzes who used Tanzimat to their own interest. In 1841, the patriarch Yusuf Hubaysh organized a meeting with tax farmers and local Amirs and attempted to unite the whole Maronite community under the church by stating that he wanted to ensure a Maronite union. The patriarch would be the sole representative of the Maronites to the Sublime Porte and would take the place of a multi-headed administration that Tanzimat tried to

---

24 Tayyip Gökbilgin, "1840'tan 1861'e Kadar Mount-i Lübnan Meselesi ve Dürzîler", p.649

Druze sheikhs such as the Junblats, Arslans and Talhuq. In contrast to Ibrahim Pasha's egalitarian approach, the Druzes did not agree on having equal rights as the Maronites and planned to regain the political superiority that they used to have. The Consultative Council would only be convened by the direct intervention of the governor, but the constant complaints prevented decisions from being made.<sup>(22)</sup>

The Bashir showed a stronger reaction to the objections and threatened all Amirs to take the land into their own hands. According to Churchill, Bashir was unwilling to properly govern the Druze families, even those under his authority, and his intention was to bring to an end to the power of the Druze sheikhs who governed over the Lebanese territory and who were put in power through the inheritance system.<sup>(23)</sup> In fact, this situation involved not only the Druzes but it also was an attempt to weaken the Druzes, who so far had kept power in their own hands. This policy of Bashir Qasim caused a counter reaction by the Druzes who sent a petition to the governor of Sidon stating clearly their rejection of Bashir Qasim.<sup>(24)</sup> In the letter sent to the Sultan, the Druzes stated that they were being subjected to the Islamic religion and they were to be governed by an Islamic body of sheikhs (Mesayih-i Islam). However, this situation changed in the time of Sidon governor Abdullah Pasha, and then they faced the insults of a Christian

---

21 Ahmed Lütüf Efendi, *Tarih-i Lütüf*, Dersaadet, Sabah Matbaası, 1328, v. 6, p. 1032

22 Tayyip Gökbilgin, "1840'tan 1861'e Kadar Mount-i Lübnan Meselesi ve Dürziler", p. 642

23 Winston S. Churchill, *The Druzes and Maronites: under the Turkish Rule from 1840-1860*,

Reading: Garnet Publishing, 1994, p. 37



both for the Amir and for the Tanzimat period of the Ottoman Empire. The reforms of the Tanzimat stipulated the abolition of the Iltizam regime. Through a Firman, a decision was made to abolish the Iltizam regime, which caused losses and resulted in complaints by the people and the government. Within the framework of this decision, a principle was adopted of collecting a single tax in proportion to the income of each one, instead of several taxes by various names. Thus, the tax farmers (mültezims), who played an important role in the collection of the state's incomes in addition to mediating between the public and the state, were discharged, and officials, called *muhassıl-ı emvâl* (civilian collectors), who were responsible for tax collection, were assigned to report directly to the Ottoman center.<sup>(21)</sup> Although this system of muhassılık did not survive long, and the state returned to the Iltizam regime a short while after, direct authority via muhassılık could not be established in Lebanon. Tax farmers declared that they did not recognize the system of muhassılık. Similar objections came from the people who were accustomed to the local authority. For these reasons, the system continued to be maintained in its old form.

Another aspect of resistance to Tanzimat provisions appeared during the establishment of the Divan. The divan was established in the context of preserving continuity of the Consultative Council (Meclis-i Mesveret), though the Ottoman authority was felt much more. The divan included a 12-person board with two representatives from each sect and was under the presidency of the Amir. Early objections to the board came from important

reinstatement of the previous administration. Within this scope, the states of Tripoli, Damascus, Aleppo, Sidon, Jaffa and Adana were reunited. In incorporating Tripoli into Damascus, the number of states was reduced to three. The capital city of Sidon changed from Acre to Beirut. The importance of Beirut stemmed from its proximity to a troubled region in Lebanon. The reinstatement was an effort to try to preserve the direct intervention of the governor. Similarly, Jerusalem and Palestine also had privileged sanjaks, but were under the control of the Sidon governor.

In October 1840, the appointment of the Amir Bashir Qasim (Bashir III) to Lebanon was another step of the central administration. According to many, Qasim was of a much smoother character and his external connections were weaker than his predecessor. This weakness made it easier for him to become the Amir, and he was considered a valuable asset by the Ottoman state. Orders from the center could be implemented directly by Bashir without any objection. For the Ottomans, however, what was more important was Bashir Qasim's loyalty. Bashir Qasim proved his obedience to the Ottoman when he fought against Ibrahim Pasha. <sup>(20)</sup> The state's basic search in the nineteenth century was for weak local leaders, but more importantly, what was really needed were reliable officials.

The appointment of Amir Bashir coincided with a turning point in the old and new interests of the tax farmer families. Demands of Druzes who had returned from exile to reclaim their rights brought significant difficulties

---

20 M. Tayyip Gökbilgin, "1840'tan 1861'e Kadar Mount-i Lübnan Meselesi ve Dürzîler",

Belleten, TTK Basımevi, C: 10, Sayı: 37-40, 1946, p. 643.

within the framework of centralist politics, and to tidy up local governments, which were beset with serious problems. However, it would be inevitable for administrative reforms to be met with resistance from people and Amirs in the lands with an Amirate tradition like Lebanon. At this point, it was a priority for the Sublime Porte to avoid events that would lead to rebellions and to maintain public loyalty.<sup>(18)</sup>

The main objective planned for the Tanzimat's Syria was within the administrative framework, but what the Sublime Porte had in mind was actually to prevent a new Kavalian domination in the region. Nevertheless, it would be detrimental for the order to challenge the local Amirs in the first stage. The Ottoman state decided to begin a new phase and platform for governance and administration with the Tanzimat, and it was imperative that the uneasiness in domestic politics be minimized. In this context, the governor of Sidon sent a statement to the Council of Ayan in Syria expressing that the Sultan wished the implementation of the "*Tanzimat-i Hayriye*" to be compatible with the rights and priorities of the Syrians. Both the weight of the Sultan was emphasized and the appropriate ground was provided by informing the notables in the region about upcoming changes in advance.<sup>(19)</sup>

The important administrative change made in the Tanzimat's Syria was the removal of the partition made by Muhammad Ali Pasha and the

---

18 Roderick Davison, *Reform in the Ottoman Empire: 1856-1876*, Princeton: Princeton University, 1963, p.46

19 Ceasar Farah, *Arabs and Ottomans: A checkered Relationship*, Istanbul: Isis, 2002, p. 157

parts of the society and avoided any plans that would force Maronites to confront the Druzes. When Ahmad Pasha al-Jazzar requested help from the Amir during Napoleon's siege in 1799, he did not send help, making excuses instead. On the other hand, Amir Bashir II also rejected the proposal from Napoleon and avoided the danger that he knew a French occupation would bring to the region, which would further increase the tension between Maronites and Druzes.<sup>(17)</sup> This time, however, in taking the side of Ibrahim Pasha in choosing between Egypt and his own society, he brought about his own end, and the region became a place where the seed of sectarianism was planted and which sealed its fate up through modern times.

Furthermore, political calculations made based on Muhammad Ali caused the Druzes to lose confidence in their Amirs and afterwards to decide to struggle against the Shihabs. Similarly, when the Shihab Amirate lost its legitimacy in the eyes of the Ottoman state as a result of Bashir's struggle against the Empire, the state followed a more careful policy in the aftermath, both for enforcing the Tanzimat and for seeking an end to the Amirate.

## **2. Tanzimat Implementations and the Internal Problems**

### **a. Reactions to the new administration:**

One of the most important points that the Tanzimat reformists emphasized was changes considered in local administrative structures. The Sublime Porte was trying to settle the argument of the new state system

---

17 Yasin Atıloglu, *Savasta ve barısta Lübnan Marunileri : Aziz Marun dan İç Savas'a Maruni kimligi ve çattıma*, İstanbul : Kaknüs Yayınları, 2014, p.138

power of the Kavalali, was willing to ally himself closer with this power and receive support from Cairo against the factions that would come out of his own region. In this way he thought he would reinforce his domination against his opponents. But this was the indication that Bashir had a compulsory preference rather than playing a winning horse. As a matter of fact, with Syrian lands passing through the hands of the Ibrahim Pasha, Lebanon became dependent on the centralized system more than before, and the Amir became in a sense a servant of the Pasha. This meant that the authority of both local Ayans and the Amir had collapsed. At the same time, it became one of the first causes of social uprisings, leading to the deterioration of the traditional order of the Amirate and the dissolution of relations between the Amir and the Muqata`ji families.<sup>(15)</sup> At the end of 1840, with the understanding that the Kavalian administration would come to an end, it was again a compulsory choice for Bashir to remain on the side of the Kavalalı, even though he was offered to take the side of the Ottoman state in return for the continuation of his Amirate by inheritance. The three grandchildren of Amir, Mesud, Majid and Mahmud, were soldiers of the Egyptian Army, and therefore, in a sense, hostages of the Kavalalı.<sup>(16)</sup>

The idea of confronting Maronites with the Druzes was perhaps the worst decision that Bashir made. Previously, the Amir had protected vulnerable

---

15 Leila Tarazi Fawaz, *An Occasion for War: Civil Conflict in Lebanon and Damascus in 1860*, London: I.B. Tauris, 1994, p.21

16 Marun Ra'd, *Lubnan min al Ijarah ila al Mutasarrıfıyyah: 1840-1861*, Beyrut: Daru Nadhir Abbud, p.23

to the Christians, but the question of how to handle Lebanon had not been finalized yet.<sup>(13)</sup> Instructing Bashir to arm Maronite youths for quelling the rebellion would be the beginning of a deep break between the two major sects.

The fact that Amir Bashir II, who was the most brilliant leader of the Shihab period in Mount Lebanon, could not clearly reveal his preference in the political rivalry between the Ottoman state and Muhammad Ali Pasha constituted the beginning of an unstable period and social disintegrations in the region. Ibrahim Pasha knew that he needed the Bashir for his domination in Mount Lebanon. It was always possible that Bashir would take the Ottoman side and act against Ibrahim Pasha. Moreover, Amir Bashir opposed anything that would affect the social balances in Mount Lebanon. The decree of Muhammad Ali to recruit troops among the Druzes was not welcomed by Amir Bashir even before the Druzes themselves. According to a report given by the British consul, resident in Damascus (Sham), Amir Bashir objected to and caused difficulties in the recruitment of 1,200 troops from Lebanon and Kesrawan.<sup>(14)</sup> Evidently, Bashir would not be a loyal commander for Ibrahim Pasha. Therefore, upon entering Syria, Pasha transferred almost all of Lebanon to be under the administration of Bashir and tried to keep Bashir on his side by giving him a wide sultanate.

As for Amir Bashir, his inability to overcome Kavalalı's domination led him to change his political attitude. The Amir, who came to appreciate the

13 BEO, HR.SYS. 965/5, 31 ZilHijjah 1251

14 BOA, HAT, 360/20075, 3 Rabiulavval 1251

Maronite community. while the economic and cultural relations of the European-based companies, which opened in Beirut with the Maronites thanks to commercial privileges, were in a sense Ottoman "*capitulations*". The Maronite church obtained religious privileges in return for supplying Bashir with soldiers, and the Maronite clerics gained political power, which caused a gradual erosion of ties with the Druzes.<sup>(11)</sup>

The sectarian influence of Pasha's domination in Lebanon became more evident with his compulsory military service and disarming of the people. The possibility that the Ottoman state could attack at any time required strengthening the army and gathering the weapons of the people in order to restrain the authority of the local notables. However, young people recruited for military service received no compensation as salaries and could not conduct agricultural activities on account of the military service, therefore the people experienced economic difficulties.<sup>(12)</sup> In 1835, the decree of Ibrahim for disarming the people and the recruitment of troops by casting lots began but was only exercised for two years. In 1837, the Sublime Porte was cautiously monitoring a rebellion in the Hawran region which was initiated by the Druzes who opposed the practice of compulsory military service. News also was coming out about how the state was aware of the inconveniences that started among the Druzes because of favoritism shown

---

11 William Harris, *Lebanon: A History 600-2011*, Oxford : Oxford University Press, 2012, p. 138

12 Riyadh Ghannam, *El-Mukataatü'l-Lübnaniyye fî zilli hükmi'l-Amir Besir es-Sihabi es-Sani ve nizami'l-kaim makamiyyeteyn : 1788-1861*, p.108

directly rejected the request when it was re-sent during the siege of Acre and was therefore met with the state's complaisance.<sup>(8)</sup> However, Muhammad Ali threatened, "I'll collapse your mountain around you," which caused Bashir to be discouraged and to change his side.<sup>(9)</sup>

The centralized political system established by Ibrahim Pasha, who settled in Syria in 1832, unified the administration and facilitated the implementation of social security and tax equality, as well as the decisions made by the Consultative Council (*Meclis-i Mesveret*) that each sect would have its own representative. Rapid progress was being recorded in agriculture, trade and industry, sericulture was becoming widespread, and Lebanese hard coal mining was expanding, and therefore significant economic revenues were being realized.<sup>(10)</sup> Pasha's stable political system enabled people to achieve great gains in the modernization and transformation of their area. The gains were so great that the practices of Ibrahim Pasha were considered commonly as a preliminary proof of the success of the Tanzimat Reforms in 1839.

The positive effects of transformation and modernization were mainly one-sided in Mount Lebanon, however. The expansion of the silk trade to the north where Maronites were concentrated led to a rise in the welfare of the

---

8 BEO, HAT. 355/19959, 29 Rajab 1247

9 Riyadh Ghannam, *El-Mukataatü'l-Lübnaniyye fî z'illi hükmi'l-Amir Besir es-Sihabi es-Sani ve nizami'l-kaim makamiyyeteyn* : 1788-1861, Beirut : Bisân li n-Nesr, 1998, p.104

10 Sabahattin Samur, *Ibrahim Pasa Yönetimi Altında Suriye*, Kayseri : Erciyes Üniversitesi, 1995, p. 49



taken Ibrahim Pasha's side, and had lead betrayal and disorder in the Mountain of the Druze.<sup>(5)</sup> Although Abdullah Pasha's statements about Amir Bashir raised the state's attention, the state took into account both Abdullah Pasha's personal enmity toward Bashir II and the possibility of a crisis if Mount Lebanon's Amir were changed in its ongoing struggle against Muhammad Ali into consideration. The situation prevented the state from taking required steps against the Bashir, and instead, the state preferred to address the Amir's concerns by demonstrating that the state had sufficient power to protect the Amir and his people. In this way, it was thought necessary to warn the Druzes not to join the Egyptians. From the Ottoman state's perspective, the inhabitants of the Druze Mountain had lived in Bilad al Sham for a long time in a comfortable and protected manner and had not created any difficulties for the governor of Sidon to whom they were subjected. Therefore, the state would listen to Amir Bashir first and then warn him, if necessary. Because the state was strong enough to protect Bashir and the Druzes, and thus it was desirable for the state to have people on the state's side.<sup>(6)</sup>

The positive disposition of the Ottoman state towards the Amir resulted in the reluctance of Amir Bashir towards Ibrahim. Although Amir previously promised to provide soldiers that Pasha had requested from him, Amir initially replied that "*there was not enough supply*"<sup>(7)</sup>. Then later, Amir

---

5 BOA, HAT, 354/19898, 19 Ramadhan 1247

6 BOA, HAT, 906/39739, 29 Zilhijjah 1247

7 BOA, HAT. 472/23088, 29 Zilhijjah 1247

in 1832, and the indirect response of European states to Ottoman state policies. The social crises created by these two points in Mount Lebanon rocked the social balance between the communities as well as state-society relationships, which were reshaped under the Tanzimat decree.

### **1. The Break: The Position of Amir Bashir II During Ibrahim Pasha's Period**

In 1821, the escape of Bashir to Egypt as a result of the "*ammiyyah*" uprising against him due to high taxes, planted the first seeds of the bond of fate to be established with Muhammad Ali Kavalalı. In 1824, after returning to Mount Lebanon, the support sent by Muhammad Ali Pasha to Amir Bashir in his conflict with the former ally Bashir Junblat, deepened the rapprochement between the two sides.<sup>(3)</sup> Seven years later, in an attempt by Ibrahim Pasha to seize Bilad al-Sham, Bashir welcomed Ibrahim at Acre with his soldiers and fought for Tripoli together against Ottoman forces.<sup>(4)</sup>

When news of Bashir's cooperation with Muhammad Ali reached the ears of the governor of Sidon, Abdullah Pasha in a short time caused the Pasha to send a letter to the "Serasker of Arabia" to take action as a precaution as soon as possible at the beginning of conflicts. Pasha, in his letter, asked for the dismissal of Amir Bashir immediately and replaced him with his son Numan Bey from the Shihab family. His reason was that Amir Bashir had obtained wealth from the Ottoman state for many years, had

3 Claude Boaziz Kanaan, *Lebanon 1860-1960 A Century of Myth and Politics*, London: Saqi, 2005, p.65.

4 Dick Douwes, *Ottomans in Syria*, London : I.B. Tauris, 2000, p. 42.

structures, Ottoman governors did not make changes in mountainous regions such as Mount Lebanon. It was not that the Mount Lebanon's subjects were neglected by the Ottoman bureaucracy. Mount Lebanon had a complex structure, in its religious mosaic and its problematic political situation at times. Nevertheless, the region always played a significant role for the Ottoman governor even before the Tanzimat era and before European influence affected the region.

Until the beginning of the 19th century, it was difficult to pinpoint the meaning and prevalence of community identities among different denominational groups of Mount Lebanon's people. Nevertheless, it was clear that religious communities shared a common worldview, separating traditional and sectarian interests. For this reason, traditional and religious rituals and practices, as well as certain social and moral norms, contributed to giving members of various communities a common sense of identity.<sup>(2)</sup> European-centered movements, which began to become apparent in the region at the beginning of the century, caused the identities of the sects to become associated with political alliances and a cultural melting pot with the principle of equality declared by the Tanzimat.

The reforms and application of Tanzimat in the Bilad al-Sham province in general and in Mount Lebanon in particular, were more problematic than in other provinces of the state. There were two important starting points: the reformation process, which started with the Kavalal? dominating the region

---

2 Carol Hakim, *The Origins Of The Lebanese National Idea 1840- 1920*, University of California Press Berkeley, Los Angeles, 2013, p.18.

that arose during the implementation of the reforms, but also to show the influence of European intervention, which greatly affected society in the region in this period. The study also aims to provide insight into the extent of administrative and political problems in Mount Lebanon at the peak period of the Ottoman state's modernization efforts.

**Key Words: Tanzimat, Society, Politics, Power, Mount Lebanon**

### **Introduction:**

The Ottoman Empire heralded in 1839 that major changes would be made. The Ottoman government's proclamation of Tanzimat essentially envisaged centralization and represented its efforts to establish a modern state. For these purposes, Tanzimat was in a way a call for new laws, security and an end to corruption as well as the reordering of taxation and the military.<sup>(1)</sup> Thus, it was labeled as reforms that the government carried out against domestic problems it faced in various fields, rather than a reflex the government showed because of the West's pressure or concerns it had against the West's political and economic power. In reorganizing the state and bringing about modernization in a western style, Ottoman sultanates III. Selim and II. Mahmud tried to transform the state during the late 18th century. They didn't succeed in realizing their dreams, however, all of their attempts eventually led to the proclamation of the Tanzimat edict.

During the 18th century, while reforming the military and administrative

---

1 Makdisi, Ussama, *The culture of sectarianism: community, history, and violence in nineteenth-century Ottoman Lebanon*, University of California Press, 2000.p. 10.

**The Struggle For Reform: An Inside Perspective of the Administrative and Political Problems and Their Impact on Tanzimat Implementations in Mount Lebanon (1840-1860)**

**Tuba Yıldız<sup>(\*)</sup>**

**Abstract:**

Although the experience of modernization of the Ottoman state can be explained by the political weight of external factors, an important part of it includes the conflict of the traditional ruling class with the reformers and their newly-implemented policies. In implementing such reforms, Tanzimat encountered the reaction of local autonomous governments that were politically remote from the center as well as of many governors and pashas who opposed change on account of political and socio-economic ramifications such as the communal response. The most unexpected reaction against the change and the most basic principles of Tanzimat's centralization came from Bilad al Sham and its associated Mount Lebanon region.

In this study, the reflections of the local political powers and the sectarian groups that are the building blocks in Mount Lebanon to the Tanzimat implementations and the measures of the Ottoman state between 1840-1860 are examined. The aim of the work is not only to reveal the social reactions

---

(\*) Res. Assist., PhD Candidate, Istanbul University, Department of Islamic History

tuba.m.yildiz@gmail.com

## أسماء المشاركين بحسب حروف الهجاء

الاسم	العنوان
١ . إلياس جرجس جريج	أستاذ ، الجمهورية اللبنانية
٢ . أمين أبو بكر	قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين
٣ . Tuba Yıldız	Istanbul University - Department of Islamic History
٤ . جواد فقي علي	قسم القانون ، جامعة كوية ، جمهورية العراق
٥ . كامران جمال محمد	كلية التربية ، جامعة كوية ، جمهورية العراق
٦ . جورج طريف	المملكة الأردنية الهاشمية
٧ . حسين منصور	جامعة حيفا ، فلسطين
٨ . خالد عبد القادر الجندي	قسم التاريخ ، الجامعة اللبنانية ، الجمهورية اللبنانية
٩ . رابعة مزهر شاكر	باحثة عراقية ، الولايات المتحدة الأمريكية
١٠ . ضيف الله عبيدات	قسم التاريخ ، جامعة آل البيت ، المملكة الأردنية الهاشمية
١١ . طلال ماجد المجذوب	أستاذ ، صيدا - الجمهورية اللبنانية
١٢ . عبد المجيد رجوب	قسم الهندسة المعمارية ، جامعة آل البيت ، المملكة الأردنية الهاشمية
١٣ . علي الشرع	قسم اللغة العربية ، جامعة اليرموك ، المملكة الأردنية الهاشمية
١٤ . فاروق احمد حبلص	الجامعة اللبنانية - الفرع الثالث ، طرابلس ، الجمهورية اللبنانية

١٥ . يحيى سليم عيسى البشتاوي	كلية الفنون ، الجامعة الأردنية ، المملكة الأردنية الهاشمية
١٦ . غيداء عادل خزنة كاتبي	قسم التاريخ ، الجامعة الأردنية ، المملكة الأردنية الهاشمية
١٧ . محمد عبد القادر خريسات	قسم التاريخ ، الجامعة الأردنية ، المملكة الأردنية الهاشمية
١٨ . نصر محمود الشقيرات	وزارة التربية والتعليم الأردنية ، المملكة الأردنية الهاشمية

# الفهارس

إعداد

تحسين محمد أبو دياك

- الأعلام
- الأمم والجماعات والشعوب
- الأسر والعائلات والقبائل
- المواقع والبلدان
- الجامعات والمدارس والمراكز العلمية
- الكتب والدوريات والوثائق
- المصطلحات



الأعلام

-أ-

٢١١	أمنة إبراهيم منصور المصطفى
١٠٦	أمنة سليم محمود أبو زينب
١٠٧	أمنة محمد اليعفوري
٦٦	الأباتي غوندولفي
٩٩	إبراهيم آغا الجوهري
٥٧٩	إبراهيم أبو بكر
٤١١	إبراهيم الاستمبولي
٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٤٤٥ ، ٢٩٠ ، ١١١ ، ١٠٠ ، ٧٢ ، ٦٧١ ، ٦٧٠ ، ٦٦٦ ، ٦٦٠ ، ٥٨٥	إبراهيم باشا
٣٧٨ ، ٣٧٧	إبراهيم بشارة
٢٢٤	إبراهيم الخطيب شحادة
٣٧١ ، ٣٦٨	إبراهيم خليل النوري
٥٨١	إبراهيم الحيارى
٣٧١	إبراهيم السلیمان
٣٦٩	إبراهيم سليمان القسوس
٣٧٧	إبراهيم الشامى الدبسى
٣٧١ ، ٣٦٩	إبراهيم شتيوي إبراهيم
٣٣٤	إبراهيم الشرايرى
٢١٣	إبراهيم شهاب الشولى
٣٠٩	إبراهيم صدقى
٣٢٦	إبراهيم طاهر أبو الطيور
٦١٨	إبراهيم عيد كريشان

٤٨٩	إبراهيم الكيلاني
٣٥٢	إبراهيم لينع
٢٢٥، ٢٢٠	إبراهيم متري سرسق
٣٧٨	إبراهيم مصطفى الشامي
٣٠٧	إبراهيم مهيار
٢٢٥، ٢٢٣	إبراهيم موسى الإبراهيم
٤٣٤، ٤٢٦	إبراهيم اليازجي
٥١٧	ابن الأثير
١٩١	ابن الأمير قرقماس
٤٩٦	أبو اصطيف
٤٠٢	أبو بكر (الشيخ)
٤٢١	أبو بكر الإربلي
٤٢٠	أبو بكر الكلال الكردي
٣٥٨	أبو جابر
٦١٥، ٦٠٧	أبو جرى (شيخ)
٣٤٨، ٣٤٧	أبو حنيفة النعمان
٤٩٦	أبو زطام
٦١٦، ٦٠٧	أبو زعيلة
١٢٩	أبو زيد الهلالي
٤٩٦	أبو قاعد
٤١٦	أتاتورك
٢٣٠	أترانديفيل الرومي
٣٢٥	إحسان أفندي (معلم)
٤٨٨، ٤٨٧، ٤٨٦، ٤٨٣، ٤٨٢، ٤٨١	أحمد أبو خليل القباني
٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٩١، ٤٩٠، ٤٨٩	

٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١،	أحمد أفندي (معلم)
٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٧،	أحمد الأنطالي
٣٠٩، ٣٢٩	أحمد باشا الجزائر
٣٢٨	أحمد باشا زكريا
٢٤، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٥،	أحمد بن سليمان الخطيب
١٦	أحمد بن محمد بن حمزة الدالي بلطه
٢١١	أحمد بن محمود الأنطاكي
١١١	أحمد جلال الدين
٣٢٨	أحمد الحاج غام
١٠٦	أحمد حامد السالم
٣٢٩	أحمد حلمي (معلم)
٣٣٤	أحمد حلمي العلاف (مؤلف)
٣٢٨	أحمد حمدي باشا
٥٩٤	أحمد خالد الزملكاني
٤٩٩، ٤٩٥، ٣١٨	أحمد الخطيب الإربلي
٤٢١	أحمد الخليل
٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٥، ٤١٧،	أحمد خليل الددا
٣٥٠	أحمد رضا
١١٠	أحمد زكي
٩٨	أحمد السمين البغدادي
١٢٥	أحمد شكري
٤٢٠، ٤٢١	أحمد ضياء الدين جوموشنافي
١٠٢	أحمد الظاهر
٤١٣	
٣٣٤	

٩٨	أحمد عارف الزين
٣١٥	أحمد عبدالله
٣٠٧	أحمد عبدالهادي
٤٩١	أحمد عقيل الحلبي
٣٢٩	أحمد علي البخاري
٣١٦	أحمد علي القمحاوي
٢١٢	أحمد محمد أبو جوهر
١٠٧	أحمد محمد خضر
١٠٧	أحمد مختار بيهم
٣٥٢، ٣٥٠	أحمد مصطفى القادري
٣٠٨	أحمد نعمان
٢١٥، ٢١٤	أحمد النيني
١٢٠، ١١٩	الأخوة أبيلا
٥٦٤، ٥٦٢، ٥٥٩	إدريس محمد صقر جرادات
٧١	إدمون دي برتوى
٢٢٧	أديب إسكندر الجمال
٣٣٤، ٣٣٣	أديب وهبة
٣٥٢، ٣٤٩	أسعد أحمد الشيخ يوسف
٢١٢، ٢١١	أسعد بن عودة النصر
٢٠٠	أسعد بن محمد
٢٣١	أسعد حبيب حوا
٦٠٨	أسعد الرصاصي
٦١٦	أسعد الرصاعي
٢٤٥	أسعد يعقوب الخياط
٢٢٧، ٢٢٦	إسكندر الجمال

٤٩٣	إسكندر فرح
٢٢٣، ٢٢٠	إسكندر نقولا سرسق
١١٣	إسماعيل آغا البعاصيري
٣٢٦، ٣١٠، ٣٠٩	إسماعيل أفندي (معلم)
٣٥٢، ٣٤٩	إسماعيل أفندي (إمام)
٣٩٩، ٣٩٨، ٣٩٥، ٣٩٢، ٣٨٨	إسماعيل الأناراني
٦٠٧	إسماعيل بحلي (مجلي) الفايز
٣٢٩	إسماعيل بن إسلام حاج عيسى حسن
٣٢٨	إسماعيل بن حسين
١١١	إسماعيل بن الشيخ بكري الصوص
٣٢٨	إسماعيل الحاج سلام الجرکسي
٩٩	إسماعيل حسن بعاصيري
٣٨٨	إسماعيل الرزنجي الكونه كوتري
٤١٧، ٣٨٩	إسماعيل عبدالغني الغزي
٦١٦، ٦٠٨	إسماعيل الكريشان
١٠٤	إسماعيل النقيب
٣٧١، ٣٦٩	أفرايموس القسوس
٤٩٠	أكرم أقبیق
٢٣٢	البرت يوسف سرسق
٢٢٠	ألفرد موسى سرسق
٦٠٤	ألو لحية
٢٣٢	إلياس إبراهيم ديمتري سرسق
٢٤٤	إلياس جريج
٩٨	إلياس الزهار
١٩٦	إلياس قعوار

٢٠٨	إلياس اللحام
١٠٤	إلياس نخلة إبيلا
٣٩٩	أم بهاء الدين
٤١٨	أم نجم الدين
١٠٥	أمين أفندي (بيكباشي)
١١١	أمين شريف
٢١٧، ١١٥	أمين عبدالله الفاهوم
١١٢	أمينة بنت الحاج أبو جيدة المغربية
٣٧٠، ٣٦٨	أنسطاس قعوار
١٣١	أنطوان الجميل
٣٦٢	أنطون (الخورى)
٢٢٣	أنطون حبيب عبدالنور
١٩٥	أنطون كتفاكو
٦٠٠	إنعام زيد أبو شامة
٦١٠	إنعام سعيد العاقر
٦١٠	إنعام محمد خطيب الفايز
٦١٣	أنيس الشرارات
٦٠٨	أوده باشي قلعة
٦١٦، ٦٠٨	أولاد سبت
٥٥١، ٥٥٠، ٥٤٩، ٥٣٥، ٥٢٠، ٥٢٨، ٥٢٤	أيمن إبراهيم الشريدة
٣١٤	أيوب المصري
- ب -	
٥٧٧	بايزيد يلدرم
٣٠٥	بنخيت الإبراهيم
٥٩٨	بذال موعد مزحم

٥٧٨	بركان بن حسن عجلان
٣٧١، ٣٦٩	برهم السليمان
٣٧١، ٣٦٩	برهم السماوي
٥٩٧	بريكان
١٢٣	بشارة إفندي (مهندس)
١٠٣، ٩٨	بشارة غور
١٠٣	بشارة نور
٢٧، ٢١	بشير الشهابي الثاني
٦١١، ٦١٠	بصبيص النجاب
٢٨٢، ٢٥٩	بطرس البستاني
٣٠٩	بطرس الصناع
١١٠	بكر سامي
٦١٨	بكره سليمان جغيمان
٣٢٨	بهاء الدين أفندي
٣٩٧	بهاء الدين خالد النقشبندي
٤١٨	بهية محمد الخاني
٦٦٠، ٥٦٠، ٥٥٨، ٥١٥، ٥١٣	بيركهارت (رحالة)

-ت، ث-

٦٨٨، ٦٨٥، ٦٨٣، ٦٥٧	تريسترام (رحالة)
٤٩٥	تقي الدين الحصني
٥٩٥	التميمي النجدي
٦٢١	التنوشي
١٨٣	تولر (مؤلف)
٣٢٦، ٣١٥	توفيق أحمد السختيان

٣٤٥	توفيق أفرام
٩٨	توفيق البساط
٢١٨	توفيق يوسف الفاهوم
٩٨	توما الكيال
١٩٥	ثيودور كتفاكو
-ج، ح، خ-	
٦٠٧	جاد بوير
٣٠٩	جادالله أفندي
٦٠٩	جازي الحويطي
٤٦٤	جبرائيل دلال
٢٣٣	جبران خليل سرسق
٢٠٨	جبران نصار
٦٠٤	جحيم مزيد
٥٧٧	جارشلي (مؤلف)
٢٧	جرجس موسى عبود
١١٥	جرجس يوسف النعسان
٢١٠	جرجيس انصير
٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧	جرجيس التويني
٢٣٢، ٢٢٣	جرجيس سرسق
٢٣٢	جرجي لطف الله ديمتري سرسق
٣٦٨، ٣٧٠	جريس صالح السلفيتي
٤٠٧	جلال الدين الرومي
١٠١	جمال أفندي (نائب)
١٤١	جمال باشا (قائد)



٣٣٤	جميل سماوي
٣٨٣	جواد فقي علي
١٠١	جودت باشا
٣٣٤	جورج سعد
٢٨٩	جورج فريد طريف الداود
٣٩٤	جورج ميرزا
٥٢٠، ٥١٨	جونى منصور
٣٥٢، ٣٤٩	حاتم حسن عبدالله العبدالجبار
٤١٤، ٤٠٧	حالت أفندي
٣٥٢، ٣٥٠	حامد علي سعد الدين حشيشو
٣٢٦	حامد خليل
٣٩٠	حامد العطار
٣٢٦	حامد مريش
٢٣٠	حاييم بن أشير لبيب الموسوي
١١٢	حبيب أفندي (كاتب)
٢٢٧	حبيب اسكندر الجمال
٢٢٢	حبيب بسترسو التويني
١٠٤	حبيب منحول صهيوني
٦٢١	حديثة الخريشا
٥٩١	حرب بني عطية
٣٢٨، ١٠٤	حسن أفندي (بيكباشي)
٣٤٤	حسن أبو غنيمه
١١١	حسن اسكندراني
٣٤٥	حسن البركات
٦١١	حسن بن عليان

٣٩٠	حسن البيطار
٦٠٤	حسن جمعان آل نامي
٦٢٠	حسن حسين مرعي الكراشين
٥٩٠	حسن سليم
٣٩٠	حسن الشطي
٣٧	حسن شهاب
٥٨٥	حسن المحمد
٣٤٧	حسن المغربي
٣٣٤	حسني فريز حسين الشامي
٥٠٠، ٤٨٩	حسني كتعان
١٢٦	حسني المجذوب
٩٣	حسين أفندي بيهم
٥٨١	الحسين بن علي
١٣٠، ١٢٥، ٩٨	حسين الجوهري
٢٩	حسين حميد
٦٠٦	حسين الزيدان
٣٠٩	حسين الطراونة
٦٠٦	حسين القاضي
٦١٦، ٦٠٨	حسين قباعة
٣	حسين محمد القهواتي
٤٠٠، ٣٩٠، ٣٨٥	حسين المرادي
١٧٩	حسين منصور
٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥	حسين وهبة
٩٩	حفظي المجذوب
٣٣٩	حقي بك (مؤلف)

٦١٢	حمادان
٣١٦	حمد علي القمحاوي
٦٠٤	حمدان صانع
٢٢٣	حمدي محمد النمر
٦١٦، ٦٠٨	حمود الرصاعي
٣٥٢، ٣٤٩	حمود محمد النصر
٢٩	حميد بك أفندي
٥٨٥	حميد الخرشان
٣٧٠، ٣٦٨	حنا إلياس غاوي
٥٨٣	حنا البحري
١١٢	حنا خطار
٣٥٥، ٣٤٩	حنا سلمان القسوس الهلسا
١١٢	حنا فران
٩٩	حنا لطوف
٤٦١	حنين نعمة الله خوري
٦٠٤	الحي مقلد ولد علي
٩٣	خالد أفندي (نائب)
٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١	خالد الصاحب
٢٤١	خالد عبدالقادر الجندي
٣٨٩، ٣٨٨، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٤، ٣٨٣	خالد النقشبندي
٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠	
٤٠٤، ٤٠٣، ٤٠٢، ٤٠٠، ٣٩٨، ٣٩٦	
٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٨، ٤٠٧، ٤٠٦، ٤٠٥	
٤١٦، ٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤١٢، ٤١١	
٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧	

١١٥	خديجة سعيد الصباغ
٦١٧	خديجة يعقوب حسين علي أبو صالح
٢٠٨	خزنة عوده الموسى
٢٠٨	خزنة عيسى الجبر حديدن
٢١٣	خشفة محمد أبو العون
٥٩٠	خضر مقبول شيخ العمران
٦١٩	خضرة محمد أحمد أبو عوينة
٣١٤	خلف البوريني
٣٤٤	خلف محمد التل
٣٥١ ، ٣٢٧	خليفة عبدالمهدي
٢١٠	خليل انصير
١٩٦	خليل بولص
٣٧٣	خليل الجمل (قس)
٣٧١ ، ٣٦٩	خليل الخوري
٣٧١ ، ٣٦٩	خليل سليمان القسوس
٦١٧	خليل عبدالله محمد النسعة
٢١٩	خليل عبدالمجيد الفاهوم
٦١٣ ، ٦٠٣	خليل عطية
٦٠٦	خليل عقيل فدعوس
٦٢٠	خليل علي حسين التلهوني
٣٤٦	خليل القسوس
٢٢٥ ، ٢٢٠	خليل متري سرسق
٦١٩	خليل محمد الشلبي الشراري
٦٢٠	خليل موسى صلاح
٣٥٨	خليل نوري الزعمت

خليل وهبة ٣٠٥

خليل يعقوب حسين أبو صالح ٦١٧

خما نمور ٩٩

- د، ر، ز -

داود باشا (والي بغداد) ٤١٢، ٤٠٦، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٥

داود باشا (متصرف) ٦٧، ٣٩، ٣٧

داود الجرکسي ٣١٤

داود الزهار ١٠٣

داود عبدالرحمن تفاحة ٣٣٤

داود عبدالرحمن عبدالرزاق الداود ٣٧٨، ٣٧٦

داود عبدالرزاق ٣٠٧

داود مهيار ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥

الدباغ (مصطفى مراد) ١٨٥

دبل الأيدا ٦١٢

درافيو (رحالة) ١٩١، ١٨٢

درويش وحدتي ٩٤

دغيمان ٦١٠

دوخي السمير ٦٠٣

دوخي ولد علي ٦٠٣

دومينغو باديا (رحالة) ٦٥٨

ذياب أبو شامة ٦٠٢

رابعة مزهر شاكر ٥٧٥

راغب شموط ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥

راغب النشاشيبي ١٥٢

١٠٧	رجب (شخص)
٢٢٥	رجب أفندي (معلم)
٤٢٦	رزق الله حسون
٧٩	رشدي باشا (والي)
٣٢٤	رشدي الشمعة
٦١٠	رشيد (خادم قلعة)
٤٢٩، ٤٢٨، ٦٥	رشيد باشا (وزير)
٣٦١	رشيد باشا (متصرف)
٦٠٤	رشيد أبو حية
٣٤٥	رشيد طليح
٣٢٣	رشيد المدفعي
١٠١	رشيد وهبي
٣٠٨	رضا أفندي (نائب رئيس)
٣٢٦	رضا عبدالرحمن البشتاوي
٤٤٦	رفاعة الطهطاوي
٣٣٩	رفعت باشا (مؤلف)
٥٩٣	رفعت باشا (أمير الحج)
٢٥	رفعتلو أفندي
٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٢	رفول متى حنا فرح
٦٠٤	رمثيان
٦٠٤	روضان جازي آل زبيني
٣٣٤	رياض سعيد المفلح
٦٢٠	رية إبراهيم محمد الخطيب
٤١٩	ريج (رحالة)
٦١٢	زايد الأيدا

٤٩٠	الزركلي
٣٥٢، ٣٤٨	زكريا حسن عمر
٣٢٩	زكي أفندي (معلم)
٢٣٠	زئر (قس)
٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٨	زهدي باشا (وزير)
٦٠٢	زيد أبو شامة

- س، ش -

٦٢٠	سارة محمد مرعي
٦١٧	سارة محمد موسى أبو جرى
٦١٦	سالم بن هداية الحجايا
٣٠٥	سالم الحسين أبو حمور
٦٢٠	سالم خضر مقبول
٦٢٠	سالم علي رشيد بني عطية
٦٠٤	سالم فضالة الأخضر
٥٩٠	سالم محمد حسن رشيد
٦١٨	سالم هارون
٣٥١، ٣٢٦، ٣١٥	سالم يحيى الخليلي
٣٤٤	سامح حجازي
١٢٦	سري أفندي (مدير برق وبريد)
٣٣٩	سري بك (مؤلف كتاب)
٣٤٤	سظام الفايز
٦١٧	سعد الله حسن عوجان
٥٠٤	سعد الله ونوس
٢١٣	سعدة شهاب الشولي

٤١٢	سعيد باشا (والي)
١٠٣	سعيد البزري
٣١٤	سعيد بسلان مامي
٤١٦	سعيد بيران النقشبندي
٣٢٩	سعيد الخواجا
٥٠٧، ٥٠٢، ٤٩٧، ٤٩٥	سعيد الغبرا
٣٧٠، ٣٦٨	سعيد الفار
٣٧٨	سعيد محمد خير علي أبو قورة
٣٤٤	سعيد المفتي
٣٥١، ٣٢٦	سعيد النابلسي
٤١٦	سعيد النورسي
٢١٨	سعيد يوسف الفاهوم
٥٨٧	سعيقان (الشيخ)
٥٩٠	سلام هليل شيخ العصابين
٣٢٦	سلامة طاهر صالحه
٣٧١، ٣٦٩	سلامة عيسى القسوس
٦١١	سلامة هرمان
٣٠٨	سلطي أفندي (كاتب)
٣٧٠، ٣٦٨، ٣٢٦	سلطي إلياس أبو سلوم
٦١١	سلمان (خادم قلعة)
٦١١	سلمان بن موسى
٦١٣، ٦٠٣	سلمان هرماس
٢٣١	سلمون ريناك الموسوي الفرنسي
١١٢	سليم أفندي (كاتب)
٥٨٦، ٥٨٠، ٥٧٩، ٥٧٨	سليم الأول (السلطان)



٤٠٤، ٨٨، ٨٦	سليم الثالث (السلطان)
٩٦	سليم باشا (والي بيروت)
٢٢٣	سليم إبراهيم عبد الخالق الياسين
١١٠	سليم أباطة
٢٤٥	سليم باسيلا
٢٤٠، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢١	سليم جرجيس الريس
٣٥٠	سليم الخطيب
٢٢٢	سليم خوري
٦١٠	سليم النجاب
٩٨	سليم نكري
٢٢٣	سليمان إبراهيم عبد الخالق الياسين
٢١٢	سليمان أحمد أبو جوهر
٣٨٦، ١٩٦، ١٩٥، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٠، ١٧٩	سليمان باشا العادل (والي)
٦١١	سليمان بن منصور
٦١٧	سليمان حسين عوجان
٣٧١، ٣٦٩	سليمان السالم
٦١٨	سليمان سرحان عمر أبو مرعي
٦٠٤	سليمان السمير
١٠٣	سليمان شاهين يحيى
٩٨	سليمان ضاهر
٢١٧	سليمان العابد
٢١٤	سليمان عبدالرحمن الشراكي الحاجبي
٤٠٤، ٣٨٥	سليمان فائق
٦٢٤، ٤٩٠، ٥٨٩، ٥٨٠	سليمان القانوني (السلطان)
٣٢٥	سليمان كوكش

٦١٧	سليمان محمد موسى أبو جرى
٢٢٣	سليمان محمود الأحمد الطه النصيف
١٠٣، ٩٨	سليمان مصوبع
٦١٧	سليمان يعقوب حسين علي أبو صالح
٦٠٨	سماره
٦٠٤	سمير بطاح
٥١٥	سيتزن (رحالة)
١٢٩	سيف بن ذي يزن
٦٠٦	سيف راشد
٦٠٦	سيف القاضي
٣٥٦	سيكس (قس)
٦٥٨	سيمون دي روخاس (رحالة)
٦٦٥، ٦٦٣، ٦٦١، ٦٥٩، ٦٥٨، ٦٥٥	سويله مز أوغلي (رحالة)
٦٦٦، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٦، ٦٧٩، ٦٨٤	
٦٨٥، ٦٩٠	
٤٩٠	شادي أقيب
٣٢٣	شادية خانم بنت حسني
٣٤٧	الشافعي (الإمام)
٥٠١	شاكر مصطفى
٦٢١	شاهر الخريشا
٣٤٠	شاهين مكاربوس
٢٣٣	شربل خليل سرسق
٣٧٨، ٣٧٧	شريف عبدالقادر السختيان
٣٢٨	شعيب أفندي (معلم)
٦١٧	شفا محمود سليمان النسعة

١٠٤	شفيق بك (بيكباشي)
١٠٥	شكري بك (أمير آلاي)
٣٥	شكيب أفندي
٣٢٩	شكيب الداغستاني
٦٠٤	شملول
٥٧٧	شهاب الدين أحمد بن الحمصي
٤١٧	شهاب الدين خالد النقشبندي
٣٠٨	شوكت أفندي (رئيس)
٣٤٤	شوكت المفتي
٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٥، ٥١٥، ٥١٤، ٥١٣، ٢٢٢	شوماخر (مهندس ألماني)
٣٩٠	شيلشر (مؤلف)

- ص، ض -

٦٠٤	صالح (من حسنة)
٣٠٦	صالح أفندي (رئيس نائب)
٣٥٢، ٣٤٨	صالح إبراهيم
٦٠٢	صالح أبو شامة
٦٢٠	صالح أحمد الكبرىتي (الكباريتي)
٣٤٤، ٣٢٧، ٣١١	صالح المصطفى التل
٣٣٤	صباح الروسان
٢١٢	صبحة علي عليان
٦١١	صبحي محمد موسى أبو جرى
٤٩٥، ٤٩٣، ٤٩٢	صبحي باشا (والي)
١٣٠	صبحي أباطة
٣٤٤	صبحي أبو غنيمة

١٠٣	صبحي الددا
١٣٠	صبحي القونيلي
٣٢٩	صدقي أفندي (معلم)
٥٣٥	صلاح يوسف قازان
٣٦٣	صلاح الدين (السلطان)
٤٢١	صلاح الدين محمد أسعد الصاحب
٢٦٠	ضاهر (معلم)
، ٥٢٢، ٥١٩، ٥١٨، ٥١٧، ٥١٣، ٥٠٩	ضيف الله عبيدات
، ٥٤٩، ٥٤٣، ٥٤٢، ٥٣٨، ٥٢٤، ٥٢٣	
٥٥٧، ٥٥٠	
٣٣٩	ضياء الدين أفندي (مؤلف)

- ط، ظ -

٣٢٥	طاهر أبو الطيور
٥٢٨	طالب الصوافي
٥٧٦	الطبري
١٩١	طراباي بن علي الحارثي (امير)
١٩٠	طراباي بن قراجة
٦٣٠	الطريقي عجيان
٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨	طعمه الخوري
٥٣٠، ٥٢٩، ٥١٥	طلال العيسى
٨٥	طلال ماجد المجدوب
١١٢	طنطش (صاحب وقف)
٥٧٧	ابن طوق
٥٨٠	طومان باي

١٢٩	الظاهر بيبرس
٢٠٩، ١٩٦، ١٩٣، ١٩٢، ١٨٨، ١٨٥، ١٨٣	ظاهر العمر الزيداني
-ع، غ-	
٤٢٢	عادل الحضرة
٣٢٨	عارف أبو الخير
٣١٦	عامر صدقة
٤١٧	عائشة إسماعيل الغزي
٣٨٩	عائشة عبدالغني
٦١٨	عائشة محمد على أبو صالح
٢٦٨	عباس الأزهري
٣٢٨	عبد حقي
١١٤	عبدالله أفندي (كاتب بنك)
٣٢٥	عبدالله أفندي (معلم أول)
٥٧٩	عبدالله أبي بكر
٦٤٣	عبدالله الثاني (الملك)
٥٩٥، ٣٣٣	عبدالله بن الحسين (الأمير)
٩٨	عبدالله الحر
٦١٧	عبدالله حسن عوجان
٣٥٢، ٣٤٩	عبدالله حسين السعدي
٣٣٣	عبدالله الداود
٣٧٥	عبدالله الزعبط
٦٠٨	عبدالله سويدان
٦٠٥	عبدالله السيوفي
٢١٥، ٢٠١، ٢٠٠	عبدالله عبدالمجيد الفاهوم

٣٧٠ ، ٣٦٨	عبدالله قيعين
٣٤٤	عبدالله الكليب الشريدة
٤٢٦	عبدالله مراش
١٠٤	عبدالله النقاش
٣٨٨	عبدالله النهري
٤١٤	عبدالله الهروي
٣٨٨	عبدالله الهيراني
٣٢٧	عبدالحكيم البغدادي
٣٢٦	عبدالحليم زيد
٣٥١	عبدالحليم زيد القادري
٣٤٤	عبدالحليم عباس المبارك
١١٠	عبدالحليم علي حسني
١٠٦	عبدالحמיד أبو ظهر
٤٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٧ ، ١٤٣ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ،	عبدالحמיד الثاني (السلطان)
٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٣٤١ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٩٤ ،	
٤٩٥ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦	
٣٠٩	عبدالحמיד القلعجي
٣٤٤	عبدالرحمن ارشيدات
٥٩٥	عبدالرحمن باشا اليوسف
٤١٧ ، ٣٩٨	عبدالرحمن خالد النقشبندي
٢١٤	عبدالرحمن الشراكي الحاجبي
٤١٨ ، ٣٨٤	عبدالرحمن العقري
٣٧٧	عبدالرحمن غنيم
٤٠٢ ، ٣٩٠	عبدالرحمن الكزبري
٣٣٤	عبدالرحيم محمد الواكد

٣٣٤	عبدالرزاق فلاح الحمد الخريسات
٣١٥	عبدالرزاق المفلح القواسمه
٣٠٥	عبدالرزاق النابلسي
٣٢٧	عبدالرؤوف شمسي الجوهري
٦١٠	عبدالعال
١١، ٩١، ٩٢، ١٠١، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١،	عبدالعزيز (السلطان)
٤٣٤، ٤٣٢	
٣٢٩	عبدالعزيز أفندي (معلم)
٣٢٨، ٣٠٨	عبدالعزيز الكايد
٦١٠	عبدالغافر النجاب
١٠١	عبدالغني الحاج أحمد الطوباسي
٣٩٠	عبدالغني السادات
١٣١	عبدالغني مكاوي
٢١٨	عبدالفتاح أمين الفاهوم
٤٢١	عبدالفتاح الصاحب
٣٩٨	عبدالفتاح العقري
٢٩	عبدالقادر الجزائري (الأمير)
١٠١	عبدالقادر الدنا
٣٩٦، ٣٨٨	عبدالقادر الديملاني
٦١٨	عبدالقادر علي كريم البزايحي
٢٨٠، ٢٦٨	عبدالقادر قباني
٣١٦	عبدالقادر موسى الشرع
٣٤٤	عبدالكريم الخنص
١٣٠	عبداللطيف لطفي
١١، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٩٨، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩	عبدالمجيد (السلطان)

٢٠٠	عبدالمجيد بن الشيخ عبدالله
٦٢٣	عبدالمجيد الرجوب
٢١٩، ٢١٧	عبدالمجيد عبدالله الفاهوم
٢٢٤	عبدالهادي إسماعيل
٢٧	عبدالواحد الحبوش
٤١٣، ٤٠٤	عبدالوهاب السوسي
٣٢٦	عبدله حمد
٣٧٨	عبدله محمد حسن
٣٢٧	عبدله محمد عبده
١١٢	عبدي باشا (صاحب وقف)
٦٠٤	عبره غبن
٥٨٩	عبطان بن جازي
٣٧١، ٣٧٠	عيلة المدانات
٤٧	عثمان باشا المحمد
٤٣٠، ٤٠٠	عثمان بن عفان
٨٦	عثمان الثاني (سلطان)
٦٠٦	عثمان مجدواله
٢٨٣	عثمان محمد المرعبي
٣٢٩	عثمان نوري
٦١٩	عرسان ذياب عودة
٦٠٤	عزام معلا
٣٢٧	عزت أفندي (مدرس)
٣٣٩	عزمي بك (مؤلف)
٣٧١، ٣٦٩	عطا الله نوري الزعمرط
٣٤٧	عطار زاده



٥٨٩	عطاير بن سماير ولد علي
٣٢٧، ٣١٤	عفيف زيد القادري
٣٧٠، ٣٦٨	عفيفة غالية
٣٠٧	علاء الدين طوقان
٦١٢	عقلي
٣٤٥	عقيل أبو الشعر
٦١٢	علوش
٣٠٩، ٣٠٨	علي أسعد
١١٥	علي بن حسن المهتار
٦٢٠	علي بن حسين
٢١٠	علي بن موسى المنصور
٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥	علي الحاج عطية
٤٩٢، ٤٩١	علي حبيب
١١٠	علي حسن جوهرى
٣٤٥	علي خلقي الشرارى
٤٢١	علي رضا الخربوتى
١٠٦	علي سليم محمود أبو زينب
٥٣٧، ٥٣٥	علي صغير
٣٥١	علي صلاح الدين
٣٣٤	علي عبدالله مسمار
٣١٦	علي العنبتاوى
٣٢٦	علي محمد الأسطة
٣٣٩	علي نظمي بك
٣٤٤	علي نيازي التل
٣٥٣	علي وصفى

٦١١	عليان (موظف قلعة)
٥٩٠	عليان رفيع
٥٩٠	عماد بن شاهين
٤٣٠، ٢٠٢، ١٤١	عمر بن الخطاب
٦١٢	عمر خلف
٣٥٢	عمر لطفي
١٣١، ١٣٠	عمر نحولي
٤٩٨	عمر وصفي
٢١١	عمشة حسين أبو نبوت
١٢٩	عنتر العبسي
٣٠٨	عواد حجازي
٥٩٠	عواد نصار جازي
٦٠٤	عوازم مرشد
٥٨٩	عودة أبو تايه
٢٠٨	عودة الجبران
٣٧١، ٣٦٩	عودة الخميس
٣٧٠، ٣٦٨	عودة الفار
٣٦٩، ٣٥٥، ٣٤٦	عودة القسوس
٢١٠	عودة ميخائيل أبو نخلة
٣٢٧	عوض الهامي
٦١٢	عيد بن سلمان
٦١٣، ٦٠٣	عيد عطية
٣١٥	عيسى الأحمد الملكاوي
٤٢١	عيسى الكردي
٣٥١	غازي عبدالرحمن

٦٥٥، ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٧،	غاي لي سترينج (رحالة)
٦٦٩، ٦٧٤، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٤، ٦٨٩	
٤٤٠، ٤٣٩	الغزي (مؤلف)
٦٠٨	غنيم
٦٥٥	غيداء عادل خزنة كاتب
٢١	غير (قنصل فرنسي)
- ف، ق -	
١١	فاروق أحمد حبلص
٥٠٧، ٤٩٦	فاضل باشا (والي)
٢٥٨، ٢٥٧	فاضل بيات
٦٠٤	فاضل الملحم الحسنة
٤١٨	فاطمة خالد النقشبندي
١٠١	فاطمة خليل الكلش
٤١٨	فاطمة الزهراء
٦١٧	فاطمة عبدالله محمد النسعة
١٠٦	فاطمة عمر الراس
٦١٧	فاطمة يعقوب حسين علي أبو صالح
٦١٠	فالح النجار
٦٥٨	فالين (رحالة)
٤٩١	فايزة آقبيق
٥٨٨	فتح الله أنطون الصايغ
٤٦٤، ٤٤١	فتح الله مراش
٢٤٨	فخري (مدير مكتب)
١٩١	فخر الدين المعنى الثاني (أمير)

، ٥٥٣ ، ٥٥١ ، ٥٤٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٠ ، ٥٣٥	فراس دميثان المجالي
٥٦٥ ، ٥٥٩	
٣٧٠ ، ٣٦٨	فرح العبد
٢١١	فرحة إلياس فرح
، ٤٣٢ ، ٤٣٠ ، ٤٢٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦	فرنسيس مراش الحلبي
، ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٤	
، ٤٤٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤١	
، ٤٥٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٠ ، ٤٤٩ ، ٤٤٨	
، ٤٥٩ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٤	
، ٤٦٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٠	
، ٤٧٣ ، ٤٧٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٦٨ ، ٤٦٧	
٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٤	
٣٩	فرنقو باشا (متصرف)
٢١٨	فضل عباس الفاهوم
٢٣٣	فكتور خليل سرسق
٦٠٢	فلاح أبو سبيلة
٥١٦	فندي أبو فخر
٣٧٧	فهمي زيد القادري
٣١٤	فهمية خانم
٣٧٠ ، ٣٦٨	فؤاد الزعمرط
٣٤٤	فواز الروسان
٦٠٤	فوزان حمود
٣٤٤	فوزي الملقى
٦٠٤	فياض حمد السمير
٢٠١ ، ٢٠٠	فياض أسعد محمد عبد الغني

١٢٤	فيليب سكاف
١٩٦، ١٩٥	فيليب كتفاكو
٣١٥	قاسم (شيخ)
٦١٩	قاسم سالم أبو تايه
٦٠٤	قاسم فضالة الأخضر
٢٢٣	قاسم محمد النمر
٦٠٤	قاسم المرنجي
٥٨٠، ٥٧٧	قانسوه الغوري
٥٩٦	قبجي باشا
٥٠٥	قسطندي رزق
٦١٦، ٦٠٧	قطيفان
٦٠٤	قيوسي

-ك، ل-

٦٨٩	كارستون ينيور (رحالة)
٤٩٧، ٤٨٢	كامل الخلعي
١٠٣	كامل كزبر
١٠٥	كامل الزالق
٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥	كايد الياسين
٤١٥	كرجي باشا (حاكم دمشق)
٢٣٠	كلوشدا فرتان الإنجليزي
٦٠٦	كليب دوبلان
٣٣٢	كمال الدين الأدهمي
٥٨٦	ابن كنان
٣٥٩	كودرك (الأب)

٤١٣، ٤٠٥	كورجو نجيب
٤٠٥	كيججي زاده عزت الملا
٥٠٢	الكيلاني مصطفى (مؤلف)
٥٨٨	لاسكاريس (قنصل)
٢٢٥، ٢٢٣، ٢٢٠	لطف الله متري سرسق
٧٢	لنش (ضابط بريطاني)
٥٠٣	لوتسكي
٤٧٧	لويس الرابع عشر
٢٥٩	لويس الصابونجي
٦٨	لويس دي بند يكور
-م، ن-	
٦٨	م . باستيد (وزير)
٦٨	م . بوره (قنصل فرنسي)
٧٧	م . دروين دي لويس (وزير)
٧٦	م . دي إيسار (قنصل)
٨٠	م . سينكي ويكز (قنصل)
٦٦	م . غيزور (وزير)
٧٣	م . كونستان (سفير)
٦٦	م . ملواز (قنصل)
٦٩، ٦٧	م . والوسكي (نائب قنصل)
٥٠٦، ٤٨٨، ٤٨٦، ٤٨٥، ٤٨٤، ٤٨٢، ١٢٩	مارون النقاش
١٠٣	مارون الوزير
١٠٣	مارية أرملة الأمير حبيب إبيلا
٦٠٤	مبارك نبتان

٥٩٨	ميرك سعيدان
٢٢٧، ٢٢٢	متى فرح
٢٦١	متري بولين
٣٧١، ٣٦٩، ٣٥٥، ٣٠٩	متري الزريقات
٤٥٩	المتنبي
٣٠٧	محرم أفندي (طبيب)
٦٠٤	محسن بن يحيى
٥٧٩، ٤١٨، ٤٠٦، ٣٩٥، ٣٨٥	النبي محمد صلى الله عليه وسلم
٤٠٥	محمد (سلطان)
٣٢٩	محمد أفندي (معلم)
٢٨٠	محمد الأول (محمد جلبي السلطان)
١٠٦	محمد أبو ظهر
١١٢	محمد أبو نخلة
١٠٣	محمد أحمد آغا حمود
٣٢٦	محمد أحمد تقي الشامي
٢٢٤	محمد أحمد الحسن
٣٥٢	محمد أحمد الخليل
٢٢٤	محمد أحمد العبدالله
٣٧٨	محمد أحمد عبد اللطيف
٢١١	محمد أحمد محمود أبو جوهر
٣٢٩	محمد أديب
٤٢١	محمد أسعد الصاحب
٤١٢	محمد أمين الطبّجلى السويدي
٤٠٣، ٤٠٢، ٤٠٠	محمد أمين عابدين الدمشقي
٢١٧	محمد أمين عبدالله الفاهوم

٣٠٨	محمد أسعد
٤٩٠	محمد البحصاص (شخصية مسرحية)
٣٢٧	محمد بشير طوقان
١٠٣	محمد بكار
٣١٤	محمد جانبلاط الجركسي
٥٧٧	محمد جليبي
٣٨٩	محمد الجملي الخلوتي الدمشقي
٦٠٥	محمد جويزي
٤٧	محمد باشا المحمد
٦٠٥	محمد حاقد
٣٧٨	محمد حسن الأسطواني
٥٩٠	محمد حسين جاد
٢١٠	محمد حسين الخطيب
٢٢٦	محمد الحسين الرشيد
٣٠٨	محمد الحمود
٤١٥	محمد الخارقي
٣١٠، ٣٠٩	محمد خالد
٣٥٤، ٣٤٧	محمد خالص أحمد عبدالله
٤١٩	محمد خان أحمد آغا الميكائيلي
٤١٨، ٣٩٥	محمد الخاني
١٠٧	محمد خضر
٣١٥	محمد الخطيب
٣٠٥	محمد خير أبو قورة
٣٣٤	محمد الدلقموني
٤٢١، ٩٤	محمد رشاد الخامس (سلطان)



٩٣، ٩٢، ٢٩	محمد رشدي باشا المعظم
٦١٦، ٦٠٨	محمد رشيد
٦٠٩	محمد رشيد الحويطي
٦٠٤	محمد زارع
٣٢٧، ٣٢٣	محمد زكي عبدالهادي
٣٢٦	محمد سعدي طوقان
٣٠٩	محمد سعيد
١٠٧	محمد سعيد الصلح
٣٠٩	محمد سليم
٦٠٧	محمد سويلم
٣٥١	محمد الشيخ
٥٨٤، ٣٨٥، ٢٩٠	محمد شريف باشا
٦١٨	محمد شكري
٣٢٧، ٣٠٨	محمد سناق
٤٠٣	محمد صالح
٣٥١، ٣٤٧	محمد صالح خليل امريش
٢٢٥	محمد صالح العودة
٣٢٨	محمد صالح مصطفى التل
٣٤٥	محمد صالح سلامة الشرع
٦٠٩	محمد الصوا
٣٥٣	محمد طاهر
٣١٦	محمد الطيب التونسي
٣١٥	محمد عبد حمدان النابلسي
٦١٧	محمد عبدالله محمد النسعة
٣٨٤	محمد عبدالرحمن الكزبري

٦١٦	محمد عبدالغني
٥٧٥	محمد عبدالقادر خريسات
٦٠٩	محمد عبدالنبي
٥٢٩، ٥٢٨، ٥١٩، ٦٠٣	محمد عدنان البخيت
٣٢٧	محمد علي (قاضي)
٣٢٦، ٣١٤	محمد علي الأفغاني
١٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٨٨، ٨٩،	محمد علي باشا
١٣٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٧، ١٩٧، ١٩٨،	
٢٣٤، ٥٨٣، ٦٥٩	
١٠٣	محمد علي التميمي
٣٤٣	محمد علي جانبولاد
٩٨	محمد علي حشيشو
٣٤٥	محمد العجلوني
٢١٨	محمد علي يوسف الفاهوم
٣١٤	محمد عودة
٣١٥	محمد عويدات
٥٧٨	محمد الفاتح
٣٥١، ٣٤٧، ٣٢٥	محمد فهمي زيد القادري
٣٠٥	محمد فيضي
٢١٥	محمد القاياتي
٤٢١	محمد القرمشلي
٣١٦	محمد القصراوي
٣٢٦	محمد الكامل محمد أديب العطار
١٠٣، ٩٨	محمد كامل المغربي
٥٢٩، ٥٢٦، ٤٨٦، ٤٤٥، ٤٤١، ٣٦٤	محمد كرد علي

٣٢٩	محمد لطفي سعيد الحكيم
٣٤٤	محمد المحسن
٣٢٧	محمد المرشدي
٣١٤	محمد المسلماني
٦٠٤	محمد المسنجي
٣٢٧، ٣١٥	محمد مصطفى الصفاريني
٢١٢	محمد مصطفى المنصور
٣٩٨	محمد الناصح
٤١٨	محمد نجم الدين النقشبندي
٢١٤	محمد النيني
٦١٨	محمد هارون الخطيب
٦١٨	محمد هارون كريشان
٥٨٤	محمد وحيد الدين (سلطان)
٥٩٩	محمد يحيى
٤٨٦	محمد يوسف نجم
١١٢	محمود أفندي (جابي)
١١٣	محمود بك (مير مصرف)
٣٩٢، ٣٨٦، ١١٤، ١٠٤، ٨٧، ٦٤، ١١	محمود الثاني (السلطان)
٤٣٠، ٤٢٧، ٤١٤، ٤١٠، ٤٠٨، ٤٠٧	
٩٩	محمود آغا المجذوب
١٠٦	محمود أبو زينب
٣٤٥، ٣٤٤	محمود أبو غنيمة
٦٠٨	محمود الرصاعي
٣٢٩	محمود الشركسي
٩٨، ٩٤	محمود شوكت باشا

٤٢٠، ٤١٩، ٤١٨	محمود صاحب بن أحمد الميكائيلي
٣٣٤	محمود الظاهر النسور
٣٥٢، ٣٤٩	محمود قاسبوت
١٤٤	محمود كالو
٤٢٤، ٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١	محمود محمد أحمد الصاحب
١٠٧	محمود محمد خضر
٥٥٩	محمود النعامنة
٦١٧	محمود يعقوب حسين علي أبو صالح
١١٢	محيبي الدين أفندي (كاتب)
٩٢، ٩٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٥، ٤٩٣، ٤٩٤،	مدحت باشا (والي دمشق)
٥٠٧، ٤٩٨، ٤٩٥	
٢٠٨	مخايل الفار
٨٦	مراد الرابع (سلطان)
٥٧٧	مراد بايزيد
١٠٣	مردوخ شحادة نسيم
٥٩٨	مرشد عامر الدهامشة
٦٠٤	مرشد مازن
٦٠٤	مرعي عيد
٦٠٦	مرعي القاضي
٦٠٠	مرعي النجاب
٧٩	المركيز دي موسيته
٤٣٤، ٤٢٦	مريانا مراش
٣٢٣	مريم عبدالله محمد اللبايدي
٦١٧	مريم يعقوب حسين علي أبو صالح
١٢٣	مستر فرن (قنصل)

٦١٢	مسعد
٦٠١	مسعد ملحم
١٢٠	مسيو مروون (مستثمر)
٣٤٤	مشهور الفايز
١١٢	مصطفى أفندي (جابي)
٥٩٦	مصطفى باشا (أمير حج)
٥٨١	مصطفى باشا (والي)
٣٣٩	مصطفى بك (مؤلف)
٥٩٩	مصطفى (شيخ الرمثا)
٨٦	مصطفى الثالث (سلطان)
٨٧	مصطفى الرابع (سلطان)
٢١	مصطفى آغا بربر
١١٠	مصطفى الترجمان
٢٢٤	مصطفى حماد عبود
٣٢٦	مصطفى الخطاب
٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٦	مصطفى داود الجزازي
٨٨	مصطفى رشيد
٣٠٥	مصطفى زيد
٣٥١	مصطفى زيد القادري
٣١٤	مصطفى عاصم
٣١٠	مصطفى قاسم
٣١١	مصطفى التل
٣٤٤	مصطفى وهبة التل
٥٧١	مصالح الدين (أمير)
٣٤٥	مطلق الحمد

٦٠٤	المطلق كنعان الحسنة
٣٤٠	مطيع مهيار زاده
٦٠٧	معتاد سالم هداية
٤١٢	معروف النودهي
٣٠٨	مفلح الجبر
٦١٩	مقبول إبراهيم مقبول
٥٧٦	المقتدر (خليفة)
٣٥٦	مكاربوس
٤١١، ٤٠٩، ٤٠٤	مكي زاده مصطفى عاصم
٦٠٤	ملحم سعد
٣١٦	ممدوح الموسى
٦١٨	منصور محمد منصور البزايي
٣٤٦	منصور يوسف الرضي
٥٧٦	المهدي (خليفة)
٦٠٥	مهدي مجردا
٣٥٩، ٣٥٨	موريتان (الأب)
٤٠٥	موسى صفوتي
٢٢٥، ٢٢٠	موسى متري سرسق
٢٢٣	موسى محمد النمر
٨٧	مولتكه البروسي
١٠٤	ميخائيل بسترس
٢٦٠	ميخائيل درويش
٣٧٠، ٣٦٨	ميخائيل سليمان المدانات
٣٥٦	ميرل (رحالة)
٣٦١	ميشيل كرم

٢٩٠، ١٩٤، ١٩٣، ٨٦	نابليون بونابرت
٣٧١، ٣٦٩، ٣٤٦	ناصر الرضوي
٥٩٥	ناصر بن علي (الشريف)
٦٠٨	ناصر عليوه
٣٤٥	ناصر الفواز الزعبي
٤٣٤	ناصريف اليازجي
٣٠٨	نائل غرايبة
٦٠٤	نبال شديد
٤١٨، ٤١٧	نجم الدين خالد النقشبندي
٤١٦، ٣٩٤	نجيب باشا (والي)
١٠٣	نجيب الأسعد
١٣١	نجيب بكار
٣٤٥	نجيب سعيد العلي
٥٥٣، ٥٤٩، ٥٤٦، ٥٤٣، ٥٤٠، ٥٣٥، ٥٣٣	نجيب سليمان القسوس
٣٤٤، ٣٢٠	نجيب الشريدة
٣٣٤	نجيب الصغير
٢٢٤، ٢٢٠	نجيب متري سرسق
٢٣٢	نجيب يوسف سرسق
٢٣٢	نخلة إبراهيم ديمتري سرسق
٢٣٣	نخلة خليل سرسق
٩٨	نخلة الغفري
٢٢٠	نخلة موسى سرسق
٤٩١	نزار قباني (الشاعر)
٩٨	نسيم الحلو
٦٥٥	نصر محمود الشقيرات

٥٩٢	نعمان القساطلي
٤٤١	نعوم جورجي مراش
٣٧٠ ، ٣٦٨	نقولا أبو حاطوم
٣٧٠ ، ٣٦٨	نقولا إلياس المفرح
١٠٦	نقولا ربيز
٢٢٧ ، ٢٢٥	نقولا سرسق
٢٣٠	نقولا إبراهيم ديمتري سرسق
٩٣	نقولا نقاش
٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٣٩	نمر خليل طبازة
٦٨٧	نمر قبلان العدوان
٣٧٠ ، ٣٦٨	نمر القببسي
٣٧١ ، ٣٧٠	نواره الصناع
٥٥٩	نوال الحوري
٥٣٩ ، ٥٣٥ ، ٥٢٤ ، ٥٢٠	نوفان رجا الحمود السوارية
٩٣	نوفل بك
٦٠٤	نوفل مهران
٣٧١ ، ٣٦٩	نوبصر الصفدي
-هـ، و، ي-	
٥٧٦ ، ٥٠٥	هارون الرشيد
٣٢٩	هاشم أفندي
٣٧١ ، ٣٦٩	هدبا الصناع
٦١٣ ، ٦٠٣	ابن هرماس
٦١٣ ، ٦٠٣	هرماس عنسة خطارم
٥١١ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٩	هند أبو الشعر
٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٥٣ ، ٥٥١	



٦١٣، ٦٠٣	هندي عطية
٦٧٣، ٦٥٧	هنري (رحالة)
٢٢٠	هنري متري سرسق
٢٣٠	هوبر بن يوحنا الإنجليزي
٦١٨	هويل إبراهيم
١٩١	هيلاري (راهب)
٥٥٩	وائل الحجاج
٣٩٤	ولي باشا
٦٨٠ ، ٦٦٨ ، ٦٦١	وليام ليبي (رحالة)
٣٣٩	وهبي أفندي (مؤلف)
١٣٠	وود (مدرسة فنون)
٣٧٨	يحيى حسين الترك
٤٨١	يحيى سليم عيسى البشتاوي
٢٣١	يشوع بنيامين أوسوفسكي
٦٢٠	يعقوب حسين علي أبو صالح
٣٦٩	يعقوب صروف
٣١٥	يعقوب العودة الله
٣٧١ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨	يعقوب الياسين
٤٤٦	يوحنا ورتبيت (طبيب بشر)
٢١٥ ، ٩٩	يوسف أفندي (كاتب)
٤١٩ ، ٤١٧	يوسف آغا الميكائيلي
١٣١	يوسف إبراهيم سليمان
١٠٣	يوسف حايم لاوي
٣٧٨	يوسف خليل أسعد الصالح
٣٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٥٦	يوسف الخوري

٣٠٨	يوسف الداود
٢٦٠	يوسف الدبس (مطران)
٥٢٧	يوسف درويش غوانمة
٣٤٤	يوسف الشريدة
٢١	يوسف الشهابي
١١٢، ٩٣	يوسف ضياء الخالدي
٣٧٠، ٤٦٨	يوسف عودة السالم
٢١٦	يوسف الفاهوم
٢٢٢	يوسف فضول صوان
٣٧١، ٣٦٩	يوسف اللبناني
٢٢٥، ٢٢٠	يوسف متري سرسق
١٠٤	يوسف المجذوب
٣٠٦، ٣٠٥	يوسف مهيار
٦٧٨	يوسف نعيسه
٣١٦	يونس الرابعة

الأمم والجماعات والشعوب

-أ-

١٠٣، ٩٥، ٩٤	الاتحاديون
٤٦٤، ٤٣٤	الأتراك
٢٢٠، ١٩٦، ٩٠، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٢٧	الأرثوذكس
٣٥٥، ٣٥٤، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦١، ٢٥٣	
٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣٥٦	
٤٣٩، ٣٧٦، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩	
٤٣٩	الأرمن الكاثوليك
٤٣٩	الأرمن العتق
٩٤	الإصلاحيون العرب
٦٤	أغوات الإنكشارية
٤٦٩، ٤٦٣، ٤٦١	الإفرنج
٥٠٣، ١٠١	الإقطاعيون
٧٢	الألمان
٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٢٧، ١٨	الأمراء الأيوبيون
٣٨٣	أمراء بابان
٣٣، ١٨	الأمراء الشهابيون
٢٦٨	أمراء عشيرة عكار
٢٥٧، ٢٥٣	الأمريكان
٤٦٩	الأمة الإنجليزية
٤٧٠	الأمة العربية
٤٦٩	الأمة الفرنسية
٢٤٤	الأمم الأوروبية

٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ١١٩ ، ٢٤٨ ،	الإنجليز (البريطانيون)
٥٨٨ ، ٢٤٩	
٤٠	الإنكليكانية (طائفة)
٦٨٩ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ٧١	الأوروبيون
١٩٩	أهل الكتاب
٢٤٩	الإيطاليون
٥٧٦ ، ٣٨ ، ٣٦	الأيوبيون
-ب-	
٤١٤	البابانيون
٥ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ،	الباحثون
٤٨٣ ، ٦٦٦	
٦٨١ ، ٦٨٥	البدو
٥٩٠	البرتغاليون
٩٠ ، ٢٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ،	البروتستانت
٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،	
٣٧٦ ، ٤٣٩	
أنظر الإنجليز	البريطانيون
٤٤	بكوات عكار
١٨ ، ٤٦	البكوات المراعبة
١٥٧ ، ١٧٥	البوسنيون
٢٤٦	البيروتيون
-ت-	
٦٣	التجار الأجانب

١٩٦	التجار الأوروبيون
١٩٧، ٦٣	التجار البريطانيون
٧٦، ٦٨	التجار الفرنسيون
١٩٨	التجار المسيحيون
-ح،ج-	
٣٤٨	الجاجان
٣٥٢، ٣٤٨، ٣١٤، ٣١١	الجراسكة
١٧٥، ١٥٧	الجزائريون
٦٦٢	الجغرافيون
٤٨٩	الجمهورية الدمشقي
١١٥	الحاخامون
٥٩٢	الحجاج الأردنيون
٦٢٦	الحجاج المسلمون
٦٧٩، ٥٥١، ٥٣٣	الحرفيون
٢٧٤، ٢٥٨	الحكام العثمانيون
٤٤٣، ٤٤١	الحلبيون
-د،ر-	
٥٩٤، ٥٨٨، ٢٦٢، ٢٦١، ٩٠	الدروز
٤٨٩، ٤١٤، ٣٩٤، ٣٩٢	الدمشقيون
٢٥٣	راهبات ألمانيا
٢٥٣	راهبات الحبة فرنسا
٢٥٣	راهبات الناصرة
١١٥	الرهبان

٤٧٧	رواد النهضة العربية
٨٦، ٧٣	الروس
٢٨٩، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩،	الرحالة
٦٦٠، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٨٠،	
٦٨١، ٦٨٣، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩١	
٥١٥	الرحالة الأوروبيون
-س، ش-	
٤٣٩، ٢٦٤	السريان
٢٠٤	السلطين
١١، ٩٥، ١٢٧، ٣٤٤	سلطين بني عثمان
٤٠٤	الشافعيون
٢٠٣	الشدادون
١١٩	الشرقيون
١٥٧، ١٧٥	الشركس
٢٠	الشهابيون
١٧٥، ١٥٧	الشيخان
-ص، ط-	
٤٦٣	الصلبييون
٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٠، ١٢١،	الصيداويون
١٣٠	
٥	الطوائف المسيحية
٥	الطوائف اليهودية

-ع، غ-

١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥،	العثمانيون
٢٨، ٢٩، ٧٦، ٧٨، ٨٦، ٨٧، ٩٢، ٩٦،	
١٠١، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ٤١٥، ٤٢٣،	
٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٦٤، ٤٩٤، ٥٧٧،	
٥٨٢، ٥٨٦، ٥٩٦، ٦٢١،	
٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٦، ١٠٨، ٢٣٤، ٢٣٥،	العرب
٤٢٦، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٦٠،	
٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠،	
٥٠٦، ٥٩٦، ٦٩٠،	
٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٥، ٤٦١، ٤٦٤،	العرب المسيحيون
٤٦٤،	الغربيون

-ف، ق-

٥٧٦	الفاطميون
٤٧٦، ٤٧٧،	الفراعنة
٢٨، ٧٢، ٨٠، ٨٢، ٥٨٨،	الفرنسيون
١٠١	الفقهاء العثمانيون
١١١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٩،	الفلاحون
٢٢٣، ٢٢٤، ٤٥٨، ٤٧٦، ٥١١، ٥٢٣،	
٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٥٨، ٥٥٩،	
٥٦٠، ٥٦١، ٥٨٨، ٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٣،	
٦٦٥، ٦٧٠، ٦٨١، ٦٨٥،	
٢٣٤	الفلسطينيون
١١٥	القيسيون

٥	القناصل الأجانب
٤٣٥ ، ١٩٨ ، ٧٨ ، ٢٢ ، ٢٠	القناصل الأوروبيون
١٣٠	قناصل الدول الأجنبية
٤٠	قناصل الدول الأوروبية
٢١	القناصل الفرنسيون
٤١	القوى الإقطاعية
٤٧٠	القوميون السوريون
٤٧٦	القياصرة
<b>-ك، ل-</b>	
٤٠	الكورانيون
٣٥٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٠ ، ٢٥٢ ، ١٠٣ ، ٩٠	الكاثوليك
٤٤٤ ، ٤٢٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٢	
٥٩٤	الكركيون
٤٣٩	الكلدان
٤٠٤	الكورد
٣٥٩ ، ٣٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢	اللاتين
٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦١	
٤٣٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧١	
<b>-م، ن-</b>	
٢٦٤ ، ٢٦٣	المارونية
٢٧٤	المبشرون
٢٥٩	المبشرون الأمريكان
١٧ ، ١٦ ، ١٤	المتسلمون



٤٦	المراعية
٦٦٤، ٤٥٨	المزارعون
٤٨٤	المسرحيون العرب
١٢، ٢٨، ٤٥، ٤٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢،	المسلمون
١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٥، ١٩١، ١٩٩،	
٢٠٤، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٩،	
٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٠،	
٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦،	
٣٠٠، ٣٠٣، ٣١٧، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٧٦،	
٣٨٨، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١١،	
٤١٣، ٤٤١، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٩٩، ٥٧٧، ٥٨٠،	
٦٦، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٦	المسؤولون الفرنسيون
٤٣٩، ٤٢٦	مسيحيو حلب
١٩٦، ١٩٣	مسيحيو الناصرة
٩٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١٨٦،	المسيحيون
١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٤١، ٢٤٣،	
٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٤،	
٢٩٥، ٣٤٠، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٦٦،	
٩٦، ١١١، ١٦٣، ٢٧٤، ٢٩٠،	المصريون
٣١٤	معلمون جراكسة
٤٧٨	المفكرون التريبيون
٤٧٠	المفكرون العرب السوريون
٥٧٧، ٥٧٦	المماليك
٢٨٠، ٦٦٢،	المؤرخون
٨٥	المؤرخون المعاصرون

٤٣٩، ١٠٣، ٤١، ٣٥، ٢٦	الموارنة
٢٦٤	الموسوية
٤٤٤، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٣٣، ٢٧، ٢٦، ١٩	النصارى
٤٦٨	
٤٤٤، ٤٤١	نصارى حلب
٢٧٦، ٢٧٥	النصيرية
٤٨٣	النقاد
٨٦	النمساويون
-و،ي-	
٣٨٣	ولاية بغداد
٨٦	الوهابيون
٢٦٣، ٢٣٤، ١٦٧، ١١٠، ٨٢، ٧٢	اليهود

كشاف الأسر والعائلات والقبائل

٤٩٠	آق بيق (عائلة)
٦٠٠	الأحمدي (من عنزه)
٥٩٨	آل بذال
٣٩٨	آل برادعه محمد جويزي
٦٠٥	آل بريص
٦٠٥	آل بريكان
٥٩٧	آل بريكان عبد الله سوقي
٦٠٥	آل بزال حمدان
٦٠٥	آل جابر
٦٠١	آل جبر روضان
٦٠٤	آل جحيم مزيد
١٧٣، ١٦٤، ١٤٣	آل جرار
٦٠٤، ٦٠١	آل جفال
٦٠٠	آل الجمل
٦٠٤	آل جهم
٦٠١	آل جهنم
٦٠٤	آل جهيم زيد الوفج
٦٠٦	آل جودة حسنين
٥٩٨	آل جودة عوض
٦٠٦	آل جويات
٦٠٤، ٦٠١	آل حامد
٥٩٨	آل حاير
٦٠٤	آل حجاج الفقرا
١٤٦، ١٤٣	آل الحسيني

١٢٠	آل حشيشو
٤٢٤، ٤٢٢	آل الحضرة
٦٠٢	آل حمامة
٥٩٧	آل حوران
٦٠٥	آل حويان
٦٠٥	آل خضر مرشد
٥٩٧	آل خضير
٦٠٤، ٦٠٠	آل خليفة
٦٠٥	آل خليل
٥٩٧	آل خليل الموحدة
٦٠١	آل خماعة
٦٠٢	آل خميس منى الطلوع
٤٨	آل خوري
٦٠٥	آل دابل
٦٠٦، ٥٩٨	آل دخنين
٦٠٥، ٥٩٨	آل درويش
٥٩٩	آل دهامشة منصور مشعل
١٧٢	آل دودين
٦٠٢	آل راتب
٤٨	آل الراسي
٥٩٩	آل راشد سيف
٦٠٥، ٥٩٨	آل رشيد
٦٠٤، ٦٠١	آل راضي
٦٠٤	آل رافد
١٧٢	آل الريان

٦٠٦، ٥٩٨	آل زهير
٦٠٦، ٥٩٩	آل زين
٥٩٩	آل زين عثمان حمد
٦٠١	آل زبيني
٦٠٤، ٦٠٠	آل سالم
١٥٨، ١٤٢	آل سرسق
٥٩٧	آل سعد زيدان
٦٠٥	آل سعيدان مبرك
٦٠٠	آل سيف حمور
٥٩٨	آل سيف ضاحي
٥٩٨	آل سيف القاضي
٦٠١	آل شرعية
٦٠٤، ٦٠٠	آل شماس
٦٠٤	آل شمس عبد الله مطلق
٦٠٠	آل شميمس
٤٢٤، ٤٢٢	آل صاحب
٦٠١	آل صفر
٦٠٤	آل الصيلويان
٦٠٥	آل ضاحي
٦٠٤	آل ضامن (ضمن)
٤٨	آل ضاهر
٦٠٤	آل ضويحي
٦٠٢	آل طبور المرشد
١٩٠	آل طرباي
٤٩	آل طعمه

٦٠١	آل طيار
٦٠٤	آل طيار الذيعج
٦٠٤	آل طيور
٣٩، ٣٨، ٣٥	آل العازر
١٧٣، ١٦٤، ١٦٣، ١٤٢	آل عبد الهادي
٤٦٢	آل عثمان
٦٠٤	آل عجل
٦٠٦	آل عربان
٦٠٢	آل عرفة المشطة
٤٩، ٤٨	آل عطية
٥٩٨	آل علم الخوازيق
٦٠١	آل عمر الصبلوان
١٧٢	آل عمرو
٥٩٨	آل العنون محمد بريص
٥٩٨	آل عوايده
٦٠١	آل عويجر
٦٠٤	آل عينات
٣٩	آل غصن
٥٩٨	آل غيث القاضي
٦٠٤	آل فاضل
٦٠٠	آل فاضل المزيد
٦٠١	آل فاضل نوفل
٢٣٩، ٢٣٨، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤	آل الفاهوم
٦٠٥	آل فايز
٦٠٤	آل فرج

٦٠٠	آل فروج العريش
٥٩٨	آل فضول مجهم تلعب
٦٠٦، ٥٩٨	آل فضول محمد يحيى
٥٩٨	آل فطيم ضوحي
٦٠٦	آل فطيم الطوابحي
٦٠٤	آل فهد
٦٠٤، ٦٠١	آل فوزان
٦٠٦	آل فياض
١٧٢	آل القاسم
٦٠١	آل قصب
٦٠٥	آل قني
٦٠٢	آل القوالد ضويحي
١٢٠	آل كالو
٤٨	آل الكوسا
١٧٢	آل اللحام
٦٠٤	آل مازن
٦٠١	آل مازن الطلوح
٦٠٥	آل مجهم ملعب
٥٩٨	آل حمود مثنى
٦٠٠	آل فحينان
٣٩٠	آل المرادي
٦٠٤، ٦٠٠	آل مردن
٦٠٤، ٦٠١	آل مرعب
٦٠٢	آل مرعي عبدالمقبل
٥٩٨	آل مرعي القاضي

٦٠٤	آل مزان
٦٠٠، ٥٩٧	آل مزيد
٦٠٥	آل مسعد صعب
٦٠١	آل المشطة سمير بطاح
٦٠١	آل معيوف مبرك
٦٠٢	آل معيوف محمد زارع
٦٠١	آل معيوف يحيى
٥٩٩	آل المغيالين دوبلان كليب
٥٩٩	آل مغيالين الهرقد وايل ماضي
٦٠٤، ٦٠٠	آل مقبل
٦٠١	آل منابع
٥٩٧	آل موحة ديبس
٦٠٥	آل موعد
٦٠٥	آل موعد مزاحم
٦٠٠	آل نابي القريش
٤٨	آل نادر
٦٠٤	آل نداس
٦٠٠	آل نهيب
٦٠١	آل نوفل
٥٩٨	آل هدبا
٦٠٦، ٦٠٤	آل هديا
٦٠٠	آل هنيمة جديد
٦٠٤	آل هيثمي
٥٩٧	آل وابل (دابل)
٦٠٠	آل وبر العرفج



٥٩٩	آل وري
٦٠٦	آل وردى
٦٠٤	آل يعيش
١٩٠	أبناء طراباي
٢١٩	أبناء عبد المجيد الفاهوم
٦٠١	أبو لحية
٥٩٧	الأخضر
٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠	الأخوة السراسقة
٢٣٣ ، ٢٣١	
٥٨٨	الأسبعة
٤٢٦ ، ٤٢٥	أسرة مراش
١٩٠	الأسرة الحارثية
٤٢٥	الأسرة اليازجية
٩٧	الأسير (عائلة)
٥٨٣	أولاد حسن
٥٨٣	أولاد علي
٢٠٨	أولاد عودة الجبران
٢٠٨	أولاد الفار
١٢٠ ، ٩٧	البرزري (عائلة)
٦٠٤	بعمدن (من حسنة)
٦٠٢ ، ٦٠٠ ، ٥٩٧	بلي
٣٢٤ ، ٣٢١ ، ١٥٢	بنو حسن
٥٩٥	بنو حميدة
١٠١	بنو حمود
١٥٨ ، ٣٤٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨١ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥	بنو صخر
٦٧٨ ، ٦٢١ ، ٦١٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٣ ، ٥٩٩ ، ٥٩٧	

٣٤٩، ٢٧٩، ٢٧٨	بنو صعب
١٥٨	بنو صقر
٦٠٧، ٦٠٣، ٦٠٠، ٥٩٧، ٥٩١، ٥٨٢	بنو عطية
٦٧٨، ٦١٩، ٦١٣	
٥٩١، ٥٨٧	بنو عقبة
٢٢٦	بنو عيادة
١٠١	بنو كلش
٥٧٧	بنو لام
٦٠٢	التميرزعة
٥٨٢	الجازي
٣٩	الحايك
٦٧٢، ٦٦٦، ٥٩٤، ٥٨٢	الحجايا
٦١٣، ٦٠٤، ٦٠٠، ٥٩٧، ٥٨٨	الحسنة
٦٠٦، ٥٩٨	الحلبات
٦٠٤	الحمامدة
٥٨٨	الحمائدة
٦٦٥، ٦١٩، ٦١٦، ٥٩٧، ٥٩١، ٥٩٠، ٥٨٩	الحويطات
٥٩٥، ٥٨٢	الحويطات عرب التوايهة
٦٢١، ٥٩٨، ٥٩٤	الخرشان
٦٠٦	الخریشان
٣٩	خزامي
٦٠٥، ٥٩٨	الخوازيق
٣٩	خوري
٦٠٦	الدهامشة
٦٠٦	الدهاينة

٦١٩	الذيات
٢٢٧	ربع الرشيدان
٥٨٨	الرولة
١٢٠	زهرة (عائلة)
٩٧	الزين (عائلة)
٥٩٩	الزلفات
٦٠٤	زيد
٥٩٥	السردية
٦٢٩ ، ٦٣٠	السرطان
٥١٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠	سماهر
٣٩	سليمان (عائلة)
٥٩٧	الشرارات
٦١٢	الشرافات
٦٠٤	الشراعية
٣٩	شماس
٣٩	طنوس
٣٨	طالب (عائلة)
٣٢١ ، ٣٢٣	العدوان
٥٨٦	عرب آل موسى
٦١٣	عرب حرب
٥٨٥	عرب الفضل
٥٨١	عرب المفارحة
٦٢	العقيلات
٥٨٨	العمارات
٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٥٨٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ،	عنزة
٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٧٨	

العوازم	٣١٧
العوران	٥٨٨
القدعان (عشيرة)	٥٨٨
فرقة العمران (عشيرة)	٦٢٠
الفريحات	٦١٩
الفيالين (الغياالين)	٦٠٦
القبانيون	٤٩١
القضاة	٦٠٤
القلع (عربان)	٦١٣
القبيرطاي (عشائر)	٣٤٣
كتفاكو (عائلة)	١٩٥
كنعان	٦٠٤
مالك (عائلة)	٣٩
المجالبي	٥٨٨، ٣٢٢
المساعيد	٥٨٧
مفرج (عائلة)	٣٨
معلم (عائلة)	٣٩
ملكي (عائلة)	٣٨
الموزعة	٦٠٢
النجادات	٦٢٠
النسعة	٦١٦
النعيمات	٦٦٥، ٥٩٤، ٥٨٢
ولد علي (عربان)	٦١٣، ٦٠٣، ٦٠٢، ٦٠١، ٥٩٧، ٥٩٦، ٥٨٨

المواقع والبلدان

- أ -	
٦١٣	آبار الغنم
، ٤١٣، ٤٠٩، ٤٠٧، ٤٠٦، ٤٠٥، ٣٤٦	الآستانة
٥٠٣، ٥٠٢، ٤٤٠	
٨٥	آسيا
٥٥٩	أبو حامد (موقع)
٣١٥	أبو الضباع (منطقة)
٣٧٢	إجد عبرين (قرية)
٢٣٠	أدرنة
٦٤١	الأراضي الأردنية
، ٥٥٩، ٥٢٩، ٥٢٧، ٥١٥، ٥١٣، ٣٥٧، ٧٣	الأردن
، ٦٣١، ٦٢٧، ٦٢٥، ٦٢٤، ٥٩٥، ٥٧٥	
٦٩١، ، ٦٨١، ٦٧١، ٦٦٧، ٦٥١	
، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٠، ٣١٦، ٣١٥، ٣١١	إربد
، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٣٤، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٢٩	
، ٣٧٨، ٣٧١، ٣٦٧، ٣٦٦، ٣٦٢، ٣٥٢	
، ٥٢٥، ٥٢٤، ٥٢٣، ٥١٣، ٥١١، ٥٠٩	
٦٦٠، ٦٣٣، ٥٥٩، ٥٣٤	
٤١٨	أربيل
٧٣	أرمينيا
٣٠	أرواد (موقع)
٣٤٥	الأزهر
٤٦٢	إسبانيا

، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٩ ، ٣٤ ، ٢٨ ، ١٩ ، ٥	استانبول (اسطنبول)
، ١٢٧ ، ١٢١ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٧٩	
، ٢٧٠ ، ١٩٣ ، ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٤٠ ، ١٣٥	
، ٣٤٤ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٤	
، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٣٩٠ ، ٣٨٣ ، ٣٦٧ ، ٣٤٥	
، ٤١١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥	
٦٢٦ ، ٤٩٩ ، ٤٩٠ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤١٢	
٢٥٤	أسكتلندة
٣٠	الأسكلة (موقع)
٤٤٧ ، ١٢٤ ، ٦٨	الإسكندرية
٢٥١ ، ٢٢٠	أضنة
٤٢٠	الأعظمية
٨٥	إفريقيا
١٩٣	إقليم البحيرة
٢٠ ، ١٥	إقليم التفاح
٢٠	إقليم الخرنوب
٢١٧ ، ٢١٥ ، ١٨٧	إكسال
٦٢٦ ، ٩٣	ألمانيا
٢٣١	أم جبيل
٦٨٨	أم الرصاص
٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣١	أم العمد
٢٦٣ ، ٢٥٦	أم الفحم
٥١٣ ، ٣٥٢ ، ٣٤٩	أم قيس (مكيس)
٦٢٩	أم المآذن
٤٥٥ ، ٤٥٤ ، ٢٩٠ ، ٢٥٢	أمريكا

١٤٤	الأمريكيتين
٦٢٥، ٤٠٤	الأناضول
٢١٩، ٢١٥، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ١٨٧، ١٨٦	أندرو (قرية)
٤٦٣	أندلس
٣٢٨	أنطاليا
٢٧	أنفة (منطقة)
٤٧٧	الأهرام
١١٨	أوديسا
٤١٧	أورفة
، ١١٨، ١١٠، ٩٢، ٨٧، ٨٥، ٨١، ٧٣	أوروبا
، ٢٩٢، ٢٨٠، ١٩٤، ١٨٤، ١٢١، ١٢٠	
٦٨٢، ٦٢٦، ٤٨٤، ٤٧٦، ٤٤١، ٤٢٦، ٣٨٦	
٦٨	أومال (مدينة)
٤٩٧	أيا صوفيا
٣٦٥، ٣٦٢، ٣٢٤، ٣٢١	إيدون
٤٢٣، ٤٢٠، ٤٠٩، ٣٨٦، ٢٥٣، ١٦٦	إيران
٢٥٠، ١٩٥، ٩٤، ٢٩	إيطاليا
- ب -	
٤٩٤، ٤٨٩	باب توما
٤٩٧، ٤٩١	باب الجابية
١٨٣	باب الخانوق
٤٩٧	باب السريجة
١٥٨	البادية الأردنية
٣١٥	البارحة

٤٤٦، ٣٤٦، ٢٥٢، ٩٨، ٩٤، ٧٢، ٦٩	باريس
٤٦٢، ٤٥٣، ٤٥١، ٤٤٩، ٤٤٨، ٤٤٧	
٤٧٦، ٤٦٥	
٦٩	بال (مدينة)
٣٦، ٣٣، ٢٨، ٢٦، ٢٠، ١٨	البترون
٣٧	بتعبورة (قرية)
٦٢٧، ٥٢٦، ١٢٥، ١١٨، ٦٢	البحر الأبيض المتوسط
١٢٦	البحر الأحمر
١٢٦، ١١٨	البحر الأسود
٥٩٠	بحر جدة
٤٢٠	بخارى
٢٧	بد بهون (قرية)
٣٧	بدنايل (قرية)
٣٥٣، ٢٩١	بر الشام
٢٥٧	البرج (قرية)
١٢٣	برج البراجنة
٤٤٢	بردى
٥١٤	برشتا
٢٥٦	برقا
٦٩	برلين
١٣٥، ٧٢	بروسيا
١٤٥، ١٣٥، ٩٢، ٩٠، ٨٩، ٧٢، ٦٢، ١٩	بريطانيا (إنجلترا)
٥٨٨	
٣٢٤، ٣٢١	بُشرى
٢٥١، ٦٣	البصرة



٣٢٤، ٣٢٢	بصيرا
٨٠	بعلبك
٢١٧	البعينة
، ٣٨٨، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٢٥١	بغداد
، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠، ٣٨٩	
، ٤١٩، ٤١٧، ٤١٤، ٤١٢، ٤٠٦، ٤٠٣	
٦٣٣، ٦٢٥، ٤٢٣، ٤٢٠	
١٥	البقاع الشمالي
٣٤٩	بلعا
٢٥٠	البلاد الأجنبية
٦٢٦	البلاد الإسلامية
١٤٤	بلاد التكرور
، ٢٤، ٢٢، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٦، ١٤، ١٢	بلاد الشام
، ٨٨، ٨٢، ٨١، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٦٦، ٢٩	
، ١٢١، ١١٩، ١١١، ١٠٤، ١٠٠، ٩٦، ٨٩	
، ١٤٤، ١٣١، ١٢٨، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢	
، ١٩٠، ١٨٩، ١٧٦، ١٦٦، ١٦٢، ١٥٧	
، ٢٧٤، ٢٤٢، ٢٢٠، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٣	
، ٣٥٣، ٣٠١، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩	
، ٤٠٨، ٣٩٥، ٣٩٠، ٣٨٤، ٣٦٣، ٣٥٤	
، ٤٨٣، ٤٧٠، ٤٢٣، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٦	
، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٥٩، ٥٣٥، ٥٢٩-٥٢٦	
، ٥٨٨، ٥٨٦، ٥٨٥، ٥٨٤-٥٨٣، ٥٨٠	
٦٧٦، ٦٧١، ٦٦٢، ٦٥٩، ٦٥٨، ٦٢٧، ٥٩١	
٥	البلاد العثمانية

٦٥٨ ، ٦١٤ ، ٣٨٧ ، ٣٦٧ ، ٢٤٣ ، ٦٢	البلاد العربية
٣٦٤	البلاد الفلسطينية الشرقية
١٩٥	بلاد الكرج
٦٢٦ ، ١٣٥ ، ٩٢	بلجيكا
٩٦ ، ٩٤	بلغاريا
، ٣٥٣ ، ٣١٢ ، ٢٧٧ ، ٢٦٩ ، ٢٤٩ ، ٢٤٤ ، ٨٠	البلقاء
٦٧٥ ، ٦٧١	
١٠٦ ، ٩٦	البلقان
٦٨	بليدة
٥٦٠	بني عبيد (منطقة)
١١٨	بنغازي
٤٩٠	بورصة
٥٠٢	البوسفور
١٩٣ ، ١٥٧ ، ٩٤	البوسنة والهرسك
٨٦	بولونيا
١٥١ ، ١٤٩ ، ١٤٥	بئر السبع
٦٥٦	بيت امرين
٣١٦	بيت دجن
٢٥٨	بيت سباط (قرية)
٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ١٤٩	بيت لحم
٢٢٩	بيت لحم الخليلية (قرية)
٣٩٤	بيت المقدس
١٦٤	بيت ياروب
٢١٧	بير الأمير

، ٤٨، ٣٤، ٣٢، ٣١، ٢٢، ١٥، ١٢، ١٢	بيروت
، ٧٥، ٧٤، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦	
، ٩٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦	
، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ٩٨، ٩٧، ٩٦	
، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢٠، ١١٠، ١٠٩	
، ١٩٣، ١٨٦، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٦، ١٢٥	
، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٢٤، ٢٠٠	
، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣	
، ٢٥٧، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١	
، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦٠، ٢٥٩	
، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦	
، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢	
، ٣٤٣، ٢٨٥، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨	
، ٤٢٦، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٦	
٤٨٢، ٤٦٤، ٤٤٦	
٢٥٧	بينو (قرية)
- ت، ث -	
٣١٥	تبنة
٦٢٥، ٦١٣، ٦١٠، ٥٩٩، ٥٩١	تبوك
٣٢، ١٥	تدمر
٦٦١، ٦٣١، ٤١٧، ٤١٦، ٣٢٨، ٢٢٠	تركيا
٦٩	تريست (مدينة)
١٨٧	تل الحزنبييل
٢٣٦، ٢٣٣	تل الشمام (قرية)
٥٥٩	تل جحفية

٤٠٢	تل النور
٦٣٤، ٦٢٨	ثغرة الجب
- ج -	
٦٣٨	جابر
٦٣٠، ٦٢٩، ٦٢٨	جابر السرحان
٢٣٦، ٢٣٢	جباتة (قرية)
٥١٥، ١٨٣، ١٨٢	جبال الجليل
١٨٧	جبال الكرمل
٣٣	جبة
٣٦، ٣٣، ٢٨، ٢٦، ٢٠، ١٨	جبة بشري
٩٦	الجبل الأسود
١٨٧	جبل الدحي
١٥	جبل الدرروز
٢٢٧	جبل دير لبنان
١٨٧	جبل سيخ (النبي يونس)
١٥	جبل الشوف
٥١٥	جبل الشيخ
١٨٧	جبل طابور
٧٠	جبل العلويين
٤٢٠، ٤١٧، ٤١٥، ٤٠٢، ٣٩٨	جبل قاسيون
١٤٣	جبل الكرمل
١٥، ١٩، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٤،	جبل لبنان
٣٧، ٣٨، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٥،	
٨١، ٩٧، ١٢٢، ١٢٣	

٣٤٩، ٢٠٩، ١٩٦، ١٩٢، ١٨٣	جبل نابلس
٢٧٦	جبل النصيرية
٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٣٠، ١٥، ١٤	جيلة
٣٣، ٣٢، ٢٨، ٢٦، ١٩، ١٨، ١٧	جبيل
٦٦٩، ٦٢٥، ٥٩٢	جدة
١٦٤	الجربا (قرية)
٢٠، ١٥	الجرد
، ٣٦٦، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٥، ٣٢٣، ٣٢٠	جرش
٦٨٨، ٦٦٨، ٦٣٣	
٦٨	الجزائر
٦٨٨	جزيرة سيناء
، ٦٧٧، ٦٥٨، ٦٢٧، ٥٩٠، ١٦٦، ١٤٤، ٨٦	الجزيرة العربية
٦٩١	
٩٤	جزيرة كريت
٢٠، ١٥	جزين
٥٩٩	جفيمان (المدورة)
٦٦٧، ٣٤٨	جلعد
٤٤٢	جَلَق
٣١٤	جلول
٢٠٩، ١٩٥، ١٩٢، ١٩١	الجليل
١٨٧	الجليل الأسفل
٢٧٩، ٢٧٨	جماعين
١٥٢	جنصافوط
٦٩	جنوى
٦٧٧، ٦٧٢، ٦٦٥، ٦٦٢، ٥٨٧، ٥٥٣	جنوب الأردن

١٩٥	جنوة
٩٤	جنيف
١٨٦، ١٨٠، ١٥٦، ١٥٢، ١٤٣، ١٣٥	جنين
٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٠، ١٨٧	
٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٩، ٢١٥، ٢١٤	
٢٦٦، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٣٣، ٢٣١، ٢٢٨	
٢٧٩، ٢٧٨	
٥٨٢	الجوف
٥١٥	الجولان
٤٢	الجومة (منطقة) :
٦٧	جونية (مرفأ)
٢٣٦، ٢٣٣	جيدا (قرية)
٣١٤	الجيزة

-ح-

٣٥٢، ٣٥٠	حاتم (قرية)
١٨٣، ١٨٢	حارة الإسلام
٢٦٣	حارة الأشرفية
٣١٥	حارة الجمال
٢٦٣	حارة صفد
١١٢	حارة الفواخرة
١٨٣	حارة اللاتين
١٨٣، ١٨٢	حارة الروم
٣٧	حامات (قرية)
٥١٤، ٥١٣	حبراص

، ٤٢٠ ، ٤٠٨ ، ٢١٤ ، ١٧٦ ، ١٤٧ ، ١١٢	الحجاز
٦٢٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٢ ، ٥٩٠ ، ٥٧٥	
١٨٧	الحجر الأسود
٢٣٠ ، ٢١٨ ، ٢١٥	الحدثة (قرية)
، ٥٢١ ، ٥١٤ ، ٥١١ ، ٣٢٣ ، ٣٢١	حرثا
٥١٤	حريما
٦٧٥ ، ٦١٥	الحسا
، ٣٢٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢ ، ٣١	الحصن
، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٥ ، ٣٤٥	
٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٥	
٢٧٩ ، ٢٦٥ ، ٢٥٧ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٦	حصن الأكراد
٣٥٢ ، ٣٤٩	حكما (قرية)
، ١٩٠ ، ١٣١ ، ٨١ ، ٧٥ ، ٧١ ، ٦٨ ، ١٦	حلب
، ٤٢٥ ، ٤٠٨ ، ٣٩٢ ، ٣١٦ ، ٢٩٠ ، ٢٥١	
، ٤٤٣ ، ٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٢٩ ، ٤٢٨	
، ٤٦٣ ، ٤٦٠ ، ٤٤٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤	
٥٨٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٥ ، ٤٦٤	
٤٢	حلبا (بلدة)
، ٢٦٩ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٣١ ، ٢٠ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤	حماة
٥٨٣	
٥١٩	الحمرة
، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٣٢ ، ٢٠ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤	حمص
٥٨٣	
٣٧٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢١	حوارة
، ٥١٤ ، ٥١٣ ، ٣٤٠ ، ٣٢٠ ، ١٤٦ ، ٨٠ ، ٧٥	حوران
٦٦٦ ، ٦٢٥ ، ٥٨٥ ، ٥٦٠ ، ٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥١٥	

٥١٤	حوض البحر المتوسط
٣٣٣	حي الجدعة
٤٤٠	حي الصليبية
٩٩	حي السبيل
٤٩٧	حي العمارة
١٨٣ ، ١٧٤ ، ١٦٧ ، ٨٢ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١	حيفا
٢٥٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٢٨ ، ٢١٤ ، ١٩٨	
٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٣ ، ٢٦٩ ، ٢٦٧ ، ٢٥٨	
٥٨٢ ، ٥٢٠ ، ٥١٨ ، ٥١١ ، ٣٥٥	
- خ -	
٥١٣	خالد بن الوليد (بلدية)
١٨٣	خان الباشا
١٩٠ ، ١٨٣	خان التجار
٥٠٠	خان الكمرك
٦٤٠	الخربة السمرا
١٥٧	خربة الشركس
٣٦٦ ، ٣٦٢ ، ٣٥٦	خربة الوهادنة
٢٣١	خربتا كوكب (قرية)
٥١٤	خرجا
٥١٤	الخريبة
٣٥٥	الخضمر (موقع)
٥٩٢ ، ٦٦ ، ٦٢	الخليج العربي
٥٨٣ ، ٥٧٧ ، ٥٧٥ ، ٣٩٤ ، ١٧٢ ، ١٤٩	الخليل
٦٧٩ ، ٦٧٧ ، ٥٨٤	



٢٣٦	خندق الغميق الباشورة
٣٢٥، ٣٢٢	خنيزيرة
٢٣٦، ٢٣٢	خنيفيس (قرية)
- د -	
١٤	الداخل السوري
١٢	الداخل الشامي
٣١٥	دار حسن الشرع
٢٢٥، ٢١٥، ٢١١، ١٨٧	دبورية
٧٣	دجلة
٦٥	درب الحاج الشامي
٦٤٥، ٥٢٠، ٥١٨، ٥١١، ٣٥٠، ٨٢	درعا
٤٢	الدريب (منطقة)
٩٩	الدكرمان
١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ٢١، ٣١، ٣٤، ٨٦،	دمشق
٧١، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢،	
٩٣، ٩٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦،	
١٢٨، ١٣٥، ١٣٨، ١٩٠، ٢٤٤، ٢٩٠،	
٢٩٢، ٣٢٦، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٨٤،	
٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١،	
٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٢،	
٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧،	
٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤١، ٤٤٢،	
٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣،	
٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١،	

٥٣٤، ٥١٨، ٥١١، ٥٠٥، ٥٠٣، ٥٠٢	
٥٩٤، ٥٩٢، ٥٩١، ٥٨٦، ٥٧٧، ٥٥٣	
٦٣١، ٦٢٩، ٦٢٥، ٦٢٤، ٦٢١، ٥٩٦	
٦٣٣، ٦٣٢	
٦٨٦	دمياط
٣٠١، ٢٥٠، ٢٤٨، ٢٤٧، ١٧٧، ١٧٦، ٦٣	الدول الأجنبية
٥١٧	الدولة الإسلامية
٨٨، ٧٩، ٧٦، ٦٤، ٤٠، ٢٦، ١٩، ١١، ٥	الدول الأوروبية
١٩٧، ١٧٥، ١٦٦، ١٤٧، ٩٦، ٩٣، ٩٠	
٣٧٤، ٣٠٠، ٢٥٠، ٢٣٤، ٢٢٨، ١٩٩	
٥٨٩، ٥٨٨، ٤٣٨	
١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣	الدولة العثمانية
١١٥، ١١٢، ١١٠، ١٠٨	
٤٢٠، ٢٥١	ديار بكر
٣٢٤، ٣٢١، ٣٢٠	دير أبي سعيد
٤٢١، ٣٨٨	دير الزور
٣١٦	دير طريف
-و-ز-	
٦٧٥	رأس أبيل
٣٠، ١٤	راس البسيط
٣٦	رأس نحاش (قرية)
٣٦٩، ١٤٧	رام الله
٢٦٢	رامة
١٤٧	الرامة الجليلية (قرية)

رباع السرحان

٦٣٠ ، ٦٢٨

٣٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٢٨	الرصيفة
٥١٤	الرفيد
٢٦٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤	رفيديا
٥٩٩ ، ٣٤٥ ، ٣٢٩ ، ٣٢٠ ، ٣١٦	الرمثا
٣٥٥	الرملة
٣٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩	الرمعين
٩٣ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٤١ ، ١٩	روسيا
٤١٤ ، ٢٣٠	
٣٤٥ ، ٦٩	روما
٢٦٢ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ١٨٧	الرينة
٥١٤ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٠ ، ١٨	الزاوية
٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٥٦	الزبابدة
١٨٦	زرعين
٦٧١ ، ٦٢٧ ، ٦١٣ ، ٦٠٠ ، ٥٩٩	الزرقاء
٣٥٢ ، ٣٤٩	زمال (قرية)
٦٣١ ، ٦٣٠ ، ٦٢٨	زملة الطرقي

- س -

٧٤ ، ٧٣	ساحل البحر المتوسط
٤٤١ ، ١٤ ، ١٣	الساحل السوري
١٢	الساحل الشامي
٥١٨	الساحل الفلسطيني
٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٥	سارونة

٩٤	سالونيك
٣١٤	سحاب
٥١٤	سحيم
٨٩	سردينا
٥١٣	السرو (بلدية)
٣١٩، ٣١٨، ٣١٧، ٣١١، ٣٠٨، ٣٠٤	السلط
٣٣٠، ٣٢٧، ٣٢٥، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١	
٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٢، ٣٤٠، ٣٣٣، ٣٣٢	
٣٥٨، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥١، ٣٥٠	
٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٦، ٣٦٤، ٣٦٠، ٣٥٩	
٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧١، ٣٧٠	
٦٨٣، ٦٧٣، ٦٦٣، ٣٧٨، ٣٧٧	
١٥٧، ١٤٩	سلفيت
٣٢، ٢٠، ١٦، ١٥، ١٤	سلمية
٤١٤، ٤٠٣، ٣٩٤، ٣٨٩، ٣٨٤، ٣٨٣	السليمانية
٤٢٠، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧	
٦٣١، ٦٣٠، ٦٢٨	سما السرحان
٣٦٥، ٣٦٢	السماكية
٢٤٩	سمعان القانوني (مكان)
٥١٤	سمر
٣٦٥، ٣٦٢، ٣٢٤، ٣٢٠	سموع
٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٢٤	سمونية (قرية)
٦٣١	سمياً السرحان
٤٢٠	سنندرج (موقع)
١٥٨	سهل يسان

١٨٢، ١٤٩	سهل مرج بن عامر
٦٦١	سهول البلقاء
٦٦٢، ١٦٧، ٦٧	سواحل البحر المتوسط
٨٢، ٨١، ٧٤، ٧٠، ٦٦، ٦٣، ٦١، ١٩	سواحل بلاد الشام
، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٢، ١٤، ١٣	سورية
، ٧٤، ٧٣، ٧١، ٧٠، ٦٦، ٦٣، ٥٢، ٤٨	
، ١١٨، ٩٧، ٩٣، ٨٦، ٨٠، ٧٩، ٧٦، ٧٥	
، ١٩٠، ١٨٦، ١٨٥، ١٣٥، ١٢٦، ١٢٢	
، ٣٠٣، ٣٠٢، ٢٨٩، ٢٦٩، ٢٤٨، ٢٤٤	
، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨، ٣١٧، ٣٠٤	
، ٣٥٧، ٣٥٤، ٣٤٢، ٣٣٥، ٣٣١، ٣٣٠	
، ٤٧٠، ٤٦٧، ٤٤٢، ٤٤١، ٣٩٤، ٣٥٨	
، ٥٠٧، ٤٩٥، ٤٩٣، ٤٨٦، ٤٨٣، ٤٨١	
، ٦٣٠، ٦٢٩، ٥٢٧، ٥٢٣، ٥١٥، ٥١٣	
، ٦٦٩، ٦٦٨، ٦٦٠، ٦٥٩، ٦٤١، ٦٣١	
٦٨٥، ٦٨٢، ٦٧١، ٦٧٠	
٣٥٦	سوف
٢٣١	سوق الخان
٢٦٠	سوق الغرب
٢٢٧، ٢٢٦، ١٨٧، ١٨٦	سولم (قرية)
١٣٥	السويد
٥٩٢، ٥٨٩، ١٢٦، ٦٣	السويس
٦٤٥	سيل الزرقاء
٥١٤	السيلة
٥٩١، ٥٩٠، ٥٨٩	سيناء

٤١٤	سيواس
-ش-	
، ٢٤٨ ، ١٣٦ ، ٧٥ ، ٣٣ ، ٢٩ ، ٢٦ ، ٢٤	الشام
، ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٣٠٨ ، ٢٨١ ، ٢٤٩	
، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٢٩	
، ٤٩٠ ، ٤٤٢ ، ٤٢٠ ، ٤١٨ ، ٤١٦ ، ٣٩٧	
، ٥٨١ ، ٥٠٧ ، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٦ ، ٤٩٣	
، ٦٢٥ ، ٦١٠ ، ٦٠٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٢ ، ٥٨٢	
، ٦٧٠ ، ٦٥٨	
٣٥٠	الشجرة
، ٣٠١ ، ٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ١٤٩ ، ١٤٦	شرق الأردن
، ٣١٤ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢	
، ٣٣١ ، ٣٢٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣١٧	
، ٣٤٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٢	
، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٤	
، ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٥٧	
، ٦٢٥ ، ٥٢١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٠	
، ٦٦٠ ، ٦٥٩ ، ٦٥٨ ، ٦٥٧ ، ٦٥٥ ، ٦٣٣	
٦٧٠ ، ٦٦٩ ، ٦٦٨ ، ٦٦٧ ، ٦٦٦ ، ٦٦٣ ، ٦٦١	
، ٦٧٦ ، ٦٧٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧١	
، ٦٨٢ ، ٦٨١ ، ٦٨٠ ، ٦٧٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٧	
٦٩٠ ، ٦٨٨ ، ٦٨٧ ، ٦٨٦ ، ٦٨٥ ، ٦٨٤ ، ٦٨٣	
٢٤٧ ، ١١٩	الشرق الأوسط
٥٢٧	شرق البحر المتوسط
٥١٦	شريعة المنذور

٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٢، ٣٦١	شطنا
٥١٣	الشعلة (بلدية)
١٤٩	الشعراوية
١٦٤	الشعراوية الغربية
٢٦٢، ٢٣٣، ٢٣٢	شفا عمرو
٥١٩	شق البارد
٢٠	الشقيف
٢٧	شكا (قرية)
١٧٥، ١٦٦، ١٤٤	شمال إفريقيا
٦٨٩	شمال العراق
٥٠٩	شمال غرب الأردن
٥٨٦، ٣٢٤، ٣٢٢	الشوبك
٢٠، ١٥	الشوف
٢٣٣	الشيخ بريك (قرية)
- ص، ض -	
٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٧، ٣٢، ٣١، ٣٠	صافيتا
٣٩٦	الصالحية
١٤٣	صبارين (قرية)
٣٦٥، ٣٦٢، ٣٢٤، ٣٢١	الصريح
٢٥٤، ٢٣٤، ١٩٢، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧	صفد
٥١٥، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٦٧، ٢٦٦	صفورية
٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ١٨٧	صمد
٣٦٥، ٣٦٢	صمدلة
٢٢٦	

٦٢	صنعاء
٣٢٤	صنفة
٤٦٣، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧	صهيون (موقع)
٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٣، ٢٦٥، ٢٥٥، ١٩١	صور
١٥٧	الصورتين (موقع)
٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠	صويلح
، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢٠، ١٧، ١٦، ١٥، ١٢	صيدا
، ٦٦، ٥٠، ٣٥، ٣٤، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٥	
، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٦٩، ٦٨	
، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ٩٩	
، ١١٦، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠	
، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١١٩، ١١٨، ١١٧	
، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤	
، ١٩١، ١٨٨، ١٨٧، ١٧٩، ١٣١، ١٣٠	
، ٢٧٣، ٢٦٩، ٢٥٥، ٢٥٣، ١٩٥، ١٩٣	
٥٨٢، ٣٥٠، ٣٤٩، ٢٧٩، ٢٧٨	
٣٢٤، ٣٢٢	ضانا
٣٠	الضنية (موقع)

- ط -

١٥٦	طبرس (موقع)
، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ١٩٢، ١٨٩، ١٤١	طبرية (طبريا)
، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٥، ٢١٤	
، ٢٣٨، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧	
٢٧٨-٢٧٢، ٢٦٩، ٢٦٦، ٢٦٦، ٢٥٤	



٢٣٦	طبعون
٣٥٤	طرايزون
١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨،	طرابلس
١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦،	
٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤،	
٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢،	
٦٦، ٦٨، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٩٣، ٩٦، ١٠٥،	
١٢٨، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٦،	
٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٠، ٥٨٣، ٥٨٨،	
٩٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٨،	طرابلس الغرب
١٦، ٣٠، ٢٥٧،	طرطوس
٦٥٠	طريق تراجانوس
١٨٧	طريق الرهوة السلطاني
١٨٧	طريق سلطاني السيلة
٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٢،	الطفيلة
٣٥٣، ٥٨٨، ٥٩٥، ٦٦٥، ٦٨١،	
٣٦١	طلوع المصدر
١٨٦، ٢١٥،	طمرة (قرية)
٢٥٦	طوباس
١٤٩، ١٥١،	طولكرم
٣٨٩	طويلة (قرية)
١٨٦، ١٨٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٣٢١،	الطيبة
٣٢٤، ٣٦٧،	
٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٣،	الطيبة

-ع-	
٢٤٧	العالم الإسلامي
٦٧٩	العالوك (قرية)
٩٧	عبرا (قرية)
٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٠ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣٠٨ ،	عجلون
٣٥٥ ، ٣٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٣١	
٣٦٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦	
٦٢٨ ، ٥٨٣ ، ٥١٣ ، ٣٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٦٧	
٦٧٢ ، ٦٧١ ، ٦٧٠ ، ٦٦٨ ، ٦٦٧ ، ٦٣٣	
٦٨٢ ، ٦٨٠ ، ٦٧٥	
٦٣١ ، ٤١٧ ، ٣٩٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ١٦٦	العراق
٢٩	عربستان
١٥٧ ، ١٥٢	عربونة (قرية)
٦٦٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٢ ، ٣٥٦	عرجان
٥٧٦	عرفات
١٧٢	العرقوب
١٥٦	عسكر (موقع)
٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ١٩٦ ، ١٨٨	العفولة
٢٦٥	عقار
٥٩٧ ، ٥٩١ ، ٥٨٩ ، ٥٨٧ ، ٣٤٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٢	العقبة
٦٧٧ ، ٦٦٩ ، ٦١٣ ، ٦١٢ ، ٥٩٩ ، ٥٩٧	
٥١٤	عقربا
٨٠ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٣٣ ، ٣٢	عكا
١٧٩ ، ١٤٢ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٢٢ ، ١٠٥	
١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ، ١٨٠	

٢٥٣، ٢٤٤، ٢٣١، ٢٠٠، ١٩٥، ١٩٤	
٢٦٩، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٢، ٢٥٨، ٢٥٤	
٥٨٣، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٣، ٢٧٢	
٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٣٢، ٣١، ٣٠، ١٨	عَكَار
٢٦٨، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦	
٥٩١، ٥٨٩	العُلا (موقع)
٣٤٨	علان
٣٣٠، ٣٢٣، ٣٢١، ٣١٤، ٣١١، ١٤٦	عمان
٣٦٥، ٣٦١، ٣٥٢، ٣٤٨، ٣٤٣، ٣٤٢	
٦٣٥، ٦٣٣، ٦٣٢، ٦٣١، ٦٢٧، ٦٢٥	
٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٢، ٣٦١، ٣٢٤، ٣٢١	عنية
٣٦٥، ٣٦١، ٣٥٦	عنجرة
٢٢٤، ١٨٧	عيلوط
٣٢٤، ٣٢٢	عيمة
٢٥٨	عين الباراد
٦٧٤	عين بسطة
٦٥٩	عين تاب
٦٧٤، ٣٤٥، ٣٢٤، ٣٢١	عين جنة
٦٦٩	عين دلاغة
٣٤٨	عين صويلح
١٨٣	عين العذراء
٢٣١	عين العرب
٣١٩	عين الفيحة
٢١٥، ١٨٧	عين ماهل
٣١٦	عينتاب
١٨٧	عيون الشعالب

- غ -

٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٨	الغدِير الأبيض
٢٠ ، ١٥	الغرب (موقع)
٢٤٧	الغرب الأوروبي
١٤٩ ، ٢٩٠ ، ٣٥٥ ، ٤١٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٢ ،	غزة
٦٠٩ ، ٦٦٩ ، ٦٧٧	
٦٦٩ ، ٦٧٣	الغور

- ف -

١٥	فتوح بني رحال (موقع)
٣٧١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٥	الفحيص
٧٣ ، ٦٣	الفرات
١٦٤	فراسين (قرية)
١٩ ، ٦٣ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٣٥ ، ١٨٤ ،	فرنسا
٢٣١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ،	
٤٧٢ ، ٥٨٨ ، ٦٢٦	
٦٩	فرنكفورت
٢٠ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ١١٨ ،	فلسطين
١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،	
١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ،	
١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ،	
٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣٠٨ ،	
٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ،	
٥١٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ ، ٥٥٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧٧ ، ٦٩١ ،	

٢٣٦، ٢٣٢، ١٩٦، ١٨٨	الفولة
٢٣٠	فيلية (موقع)
١٤٩، ٦٩	فيثا
- ق -	
٧٣	قارص (موقع)
٦٨١، ٤٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٣، ١٨٣، ٩٤	القاهرة
١٢٠، ٩٦	قبرص
١٣٤، ١٣٣، ٩٣، ٨١، ٧٥، ٧٣، ٢٩	القدس
١٧٧، ١٦١، ١٤٩، ١٤٧، ١٤٢، ١٣٥	
٣٤٣، ٢٥١، ١٩٨، ١٩٠، ١٨٦، ١٨٣	
٣٦٠، ٣٥٥، ٣٤٩، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤	
٥٧٧، ٥٧٥، ٣٩٦، ٣٦٧، ٣٦٣، ٣٦٢	
٥٨٦، ٥٨٥، ٥٨٤، ٥٨٣، ٥٨٢	
٣٤٩	قراوة بني زيد
٤١٩	قرداغ (موقع)
٥١٤	قرقوش
٥٨٦	قريات الملح
٢٥٧	قرية الشيخ محمد
٥٧٨	القسطنطينية
٤٧٧	قصر فرساي
٥١٤	القصفة
٢٣٦	قصقص
١٥	القصير (مدينة)
٤٩٧	القيصرية

٦٧٥	القطرانة
٢٧	القلمون
٦٠٧	قلعة البلقاء
٦١١	قلعة تبوك
٦١٣، ٦١١	قلعة جغيمان (المدورة)
٦٠٧، ٥٩٩	قلعة نحا (الحسا)
٦١١	قلعة ذات حجج
٦٠٧	قلعة الزلفا
٦١٠	قلعة ظهر العقبة
٦٦٦، ٦٠٧	قلعة عنيزة
٦٣٢، ٦٣١	قلعة الفدين
٦٠٧	قلعة القطرانة
٦١٣	قلعة مداين
٦١٦، ٦١٠، ٦٠٨	قلعة معان
٦١٣	قلعة معظم
١٠١	قناة الخناسكية
٦٢٨، ٦٣٤، ٦٣٨	القهوجي (محطة)
٢٢٧، ٢٢٦، ٢١٢، ٢١١، ١٨٦	قومية (قرية)
١٥٧	قيسارية
٤٢	القيطع (منطقة)
- ك -	
٤٨٩	كازينو الطيلاني
٥٨٩	الكاف (قرية)
٣٢٥، ٣٢٢	كثربا

٢٣١	كديش (قرية)
، ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٦، ٣٠٩، ٣٠٨، ٢١٤	الكرك
، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣	
، ٣٦٢، ٣٦٠، ٣٥٥، ٣٤٦، ٣٤٢، ٣٣٢	
، ٥٨٧، ٥٨٦، ٣٧١، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٥	
٦٨١، ٦٦٦، ٦٥٩، ٦٠٧، ٥٩٥، ٥٩٤، ٥٨٨	
٢٠، ١٥	كسروان
٤٢٨	كشمير
٥٧٩	الكعبة المشرفة
، ٥١٦، ٥١٥، ٥١٤، ٥١٣، ٥١٢، ٥٠٩	الكفارات
، ٥٢٧، ٥٢٥، ٥٢١، ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٨	
٥٥٩، ٥٣٤، ٥٢٩	
٣٦٦، ٣٦٢	كفر أبيل
٢٣٦	كفر إتا
٣٢٤، ٣٢١	كفر أسد
١٥٧	كفر راعي
٣٥٢، ٣٥٠	كفر راكب
٣٤٩	كفر زيبا
٥١٤، ٣٢١	كفر سوم
٣١٥	كفر قديم
٣٦٦، ٣٦٢، ٣٢٤، ٣٢١	كفر عوان
١٥٧	كفر مصر
٢٦٢	كفر ياسيف
٣٥٦، ٣٤٥، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٠	كفر نجة
١٥٧	كفرور

١٥٦	كواكب
١٨ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ،	الكورة
٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥١	
٤١٩ ، ٣٩٩	كوردستان
- ج -	
١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،	اللاذقية
٣٤ ، ٨٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،	
٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،	
٢٨٢ ، ٢٩٠	
١٠١ ، ١٤٩ ، ٢٢٠ ، ٣٥٤ ، ٤٤١ ، ٤٢٦ ،	لبنان
٤٤٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ،	
١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ،	اللاجون
٣٥٥	اللد
٦٩ ، ٩٤ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ٣٥٧ ،	لندن
٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،	لواء بني كنانة
١١٨	ليفربول
- م -	
٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٤٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ،	مأدبا
٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٦٦١ ، ٦٧٠ ،	
٦٧٠	المأمونية (قرية)
٣٢٢	ماحص
١٦٦	مالطة
٣١٧ ، ٣٢٢ ،	ماعين
١٥ ، ٢٠	المتن



٢٦٢، ٢١٧، ٢١٥	المجيدل
٣٥١	محلة الأعراب
٣٥٦، ٣٥١، ٣٥٠، ٣٢٦، ٣١٧	محلة الأكراد
١١٥	محلة باب البلد التحتاني
٣٥١، ٣١٩، ٣١٧	محلة العواملة
٣٥١، ٣١٧	محلة القطيشات
١٠٤	محلة القناية
٣٩٢	محلة القنوات
٦٢٥	مدائن صالح
٦٨	مديحة (مدينة)
، ٥٨٦، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٧٥	المدينة
٦٢٥، ٥٩٥، ٥٩١	
، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٠، ١٨٧، ١٨٥، ١٨٣	مرج بني عامر
٢٣١، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢١٣، ٢٠٩، ١٩٦	
١٢٣	مرج الصنوبر
٢٣٦، ٢٣٣	مرج الناصرة
، ٢٧٣، ٢٦٩، ٢٦٩، ٢٦٥، ٢٥٣، ١٠٣	مرجعيون
٢٧٩، ٢٧٨	
٢٢٠	مرسين
١١٨، ٦٩، ٦٨	مرسيليا
٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧	مرقب
٣٥٢، ٣٥٠، ٣٢٤، ٣٢١	المزار
٥٩٩	مزار أبي عبيدة
٥٩٩	مزار زين الغرب
٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٢	مزرعة أم قبلي

٢٣٦، ٢٣٢	مزرعة تل طورة
٢٢٤	مزرعة الصفصافة
٦٢١، ٦٠٣، ٥٩٢، ٥١٤، ٨٢، ٨١	مزيريب
٣٩٤، ١٥٩	المسجد الأقصى
٢٣١	مسحة
١٦٤	المشاريق
١٤٣	مشاريق الجرار
٢٨٣، ٢٦٨	مشحا (قرية)
٤٨٣، ٢٥١	المشرق العربي
١١٨، ٩٦، ٨٨، ٨٦، ٦٣، ٦٢، ٦١، ١٨	مصر
١٩٣، ١٦٣، ١٦٢، ١٤٩، ١٢٥، ١٢١	
٤٩٠، ٤٨٣، ٤٤٦، ٣١٦، ٢٩٠، ٢١٤	
٥٧٧، ٥٧٦، ٥٠٦، ٥٠١، ٥٠٠، ٤٩٥	
٦٦٣، ٥٩٥، ٥٩١، ٥٨٧، ٥٨٠، ٥٧٨	
٦٩١، ٦٨٦، ٦٧٧، ٦٧١	
٣٥٤، ٣٤٢، ٣٣٢، ٣٣٠، ٣٢١، ٣١٠	معان
٥٩٤، ٥٨٩، ٥٨٨، ٥٨٤، ٥٨٢، ٥٧٩	
٦٤١، ٦٠٩، ٦٠٨، ٥٩٩، ٥٩٧، ٥٩٥	
٦٣٢، ٦٢٧، ٦٢٥، ٦١٩، ٦١٦، ٦١٥	
٦٦٩، ٦٦٦، ٦٦٥، ٦٦٣، ٦٦٢، ٦٣٥	
٦٨٣، ٦٨١، ٦٧٨، ٦٧٧، ٦٧٤، ٦٧٢	
٦٢٠، ٦١٨، ٣٣١، ٣٢٤، ٣٢٢	معان الحجازية
٦٠٨، ٦٠٩، ٣٢٤، ٣٢٢	معان الشامية
٦٣١، ٦٢٩	معبّر نصيب جابر
٤١٨	المعلاة

٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٤ ، ١٨٧	معلول (قرية)
٩٧	مغدوشة (قرية)
٦٥٨ ، ١٥٧	المغرب العربي
٦٣٠	مغير السرحان
٦١٣ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ،	المفرق
٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ،	
٦٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ،	
٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٤٤٢ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ،	مكة المكرمة
٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٦ ، ٥٩١ ،	
٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ،	
٣٢٤	مكيس (أم قيس)
٣٢١ ، ٣٢٤	ملكا
٦٨	مليانة (مدينة)
٤١٨	المملكة العربية السعودية
٤١٨ ، ٥٧٦	منى
٣١٥	منزل أبو إسماعيل النابلسي
٢٥١ ، ٦٨٩	الموصل
٥٩١	المويلح
٦٣١	منشية الكعبيير
٢٦٣	مينة الحصن بيروت

- ن -

٣٢ ، ٧٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،	نابلس
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ،	
١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ،	
٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،	
٣١٥ ، ٣٤٩ ، ٣٧٤ ، ٥٨٣ ، ٥٧٨ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ،	

١٥٨، ١٥٢، ١٣٥	ناحية بني حارثة
، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨٠، ١٧٩	الناصره
، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦	
، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢	
، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٧، ٢٠٥، ٢٠٠، ١٩٨	
، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١	
، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٧	
، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥	
، ٢٥٦، ٢٣٧، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١	
٥١٥، ٢٧٩، ٢٦٢	
٣٥٢، ٣٤٨	ناعور
٢١٣، ٢٠١، ٢٠٠، ١٨٧، ١٨٦	الناعورة
٢٦٤	النبطية
١٣٥	النرويح
٢٦٢، ٢٥٦	نصف الجبل (نص جبيل)
٣٦٦، ٣٦٢، ٣٢٠	النعيمة
٢٢٧، ٢٢٦، ٢١٢، ٢١١	نمرين
١٩٥، ١٣٥، ٩٤	النمسا
٣٢	نهر إبراهيم
٦٢٧	نهر الأردن
١١٣	نهر الأولي
١٨٤	نهر الجالود
٦٧٤، ٦٧٢	نهر الزرقاء
١١٣	نهر سينيق
١٨٤	نهر الشرار

٦٣	نهر العاصي
١٨٤	نهر المقطع
٥٢٦، ٥١٦، ٥١٥، ٥١٣	نهر اليرموك
١٨٦	نورس
٢١٤، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦	نين (قرية)

- هـ، و -

٦٩	هامبورغ
٦١٣	هديه أشمه سي (موقع)
٩٤	الهرسك
٣٣، ٣٢، ٢٦، ٢٠، ١٨	الهرمل
٣٦	الهوري (قرية)
٤٢٠، ٤١٩، ٤١٧، ٤١٠	الهند
١٥٧	هوشة (موقع)
٥٥٩	وادي الأردن
٣١٤	وادي الأكراد
٢٣٩، ٢١٨، ٢١٥	وادي البيرة
١٨٧	وادي جاموس
٥١٩	وادي حرثا
٥١٣	وادي الحمرة
٦٦١	وادي الزرقاء
٢٦٣	وادي السبيني
٦٧٤	وادي السلط
٥١٩	وادي سمرة
٦٨٠، ٦٧٣، ٣٤٣، ٣٣٠، ٣٢١، ٣١٤	وادي السير

٥١٣	وادي شريعة المناظرة
٣١٢	وادي شعيب
٥١٣	وادي الشلالة
٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٢	وادي الصفصافة
٦٦٣	وادي الضليل
٧٣	وادي العاصي
٦٨٨	وادي عربية
٥١٩	وادي عقربا
٥١٩	وادي عين التراب
١٨٧	وادي عين الميتة
٥١٩	وادي قويلبة
٥١٩	وادي كفر سوم
١٨٧	وادي المقطع
٦٧٢	وادي الموجب
٣٢٥، ٣٢٢	وادي موسى
٦٧٣	وادي النواعير
١٦٧	وادي النيل
٥٢٣، ٥١٩، ٥١٨، ٥١٧، ٥١٦، ٥١٣، ٥١١	وادي اليرموك
١٤٧، ٧٢	الولايات المتحدة الأمريكية

- ي -

٣٢١	ياجوز
٢٥٤	ياسمينة (قرية)
٥٨٢، ٢٩٠، ١٩٨، ١٦٧، ١٥٢، ١٥١، ١٤٩	يافا
٢٦٢، ٢١٧، ١٨٧	يافة الناصرة (قرية)

٥١٤	يبلا
٥١٤، ٥١٣	اليرموك الجديدة (بلدية)
١٥٧، ١٥٦	يعبد
٥٧٦، ١٠٧، ١٠٦	اليمن
١٦٢، ٩٦، ٩٤، ٨٨	اليونان

الجامعات والمدارس والمراكز العلمية

٣٤٣	الأزهر الشريف
٥٨٤	الجامعة الأردنية
٧٢	الجامعة الأمريكية في بيروت
٢٩٦	الجامعة اللبنانية
٣٥٥	الجامعة اليسوعية
٣٥٧	المدرسة الانجيليكانية
٢٦٠	المدرسة البطريركية للروم الأرثوذكس
٣١٩	مدرسة التل
٢٦٠	مدرسة ثلاثة أقمار الأرثوذكسية
٢٦٠	مدرسة الحكمة
٢٦٤	مدرسة الخوجاية
٢٦١	المدرسة الداودية
٢٦٠	مدرسة الروم
٢٦٠	مدرسة زهرة الإحسان
٣٣٣	مدرسة السلط الثانوية
٢٥٩	المدرسة السريانية
٤٨٩	مدرسة العزايزة
١٣٠	مدرسة الفنون الإنجيلية
٢٦٠	المدرسة المارونية
١٣٠	مدرسة المقاصد الخيرية
٢٥٩	المدرسة الوطنية
٥٨٤ ، ٦	مركز الوثائق والمخطوطات
٢٩٠	مطبعة بولاق
١٣	معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية



## الكتب والدوريات والوثائق

-أ-

القرآن الكريم : ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٦ ،  
٣٤٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٩١  
الأمير غانم بن أيوب وقوت القلوب (مسرحية) : ٤٨٨  
الأمير محمود نجل شاه العجم (مسرحية) : ٤٨٨  
الإنجيل : ٢٤٦

-ب،ث-

البنخيل (مسرحية) : ٤٨٢ ، ٤٨٥  
البشير (صحيفة) : ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٦٦٣ ، ٦٧٣  
بنت فكر (ديوان شعر) ، مريانا مراش : ٤٢٦  
ثمرات الفنون (جريدة) : ٢٨٠

-ج،ح-

الجنان (مجلة) : ٤٣٦ ، ٤٦٢  
الجواهر المكنونة الأنيقة في آداب الذكر والطريقة / محمد أسعد الصاحب : ٤٢١  
حكايات ألف ليلة وليلة : ٤٨٧ ، ٤٨٨

-ز-

رحلة باريس / فرنسيس مراش الحلبي : ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٧٨  
رسالة دليل الحرية الإنسانية / فرنسيس مراش الحلبي : ٤٤١ ، ٤٧٨  
رواية السمائل : ١٣١  
الزهرة (مجلة) : ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢

-ش، ص-

- الشاكرية (مجلة) : ١٣١  
الشرق العربي (صحيفة) : ٣٣٠ ، ٣٤١  
شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة/ فرنسيس مراش الحلبي : ٤٣٠ ، ٤٤٤  
الشيخ وضاح ومصباح وقوت الأرواح (مسرحية) : ٤٨٩ ، ٤٩٣  
الصاروخ المظلوم (رواية) : ١٣١  
صلاح الدين الأيوبي (مسرحية) : ١٣١

-ع، غ-

- العاصمة (صحيفة) : ٥٢١  
عايدة (رواية) : ٤٩٤  
غابة الحق/ فرنسيس مراش الحلبي : ٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،  
٤٦٦ ، ٤٧٨

-ف، ق-

- الفيوضات الخالدية/ محمد أسعد الصاحب : ٤٢١  
القول الصواب في رد حاسمي بتحريم الخطاب/ محمد أمين السويدي : ٤١٢

-ك، م-

- الكشاف (مجلة) : ٢٦٨  
كوكب الشرق (صحيفة) : ٤٢٦  
المتوكل (رواية) : ١٣١  
مرآة الأحوال (صحيفة) : ٤٢٦  
مرآة الحسناء (ديوان شعر)/ فرنسيس المراش الحلبي : ٤٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٦٣  
المرأة الصفية في المبادئ الطبيعية/ فرنسيس مراش الحلبي : ٤٤٤ ، ٤٤٦

- المشرق (مجلة) : ٤٢٧  
المشتري (جريدة) : ٤٦١  
مشهد الأحوال/ فرنسيس مراش الحلبي : ٤٣٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٧٨  
المفيد (جريدة) : ٣٣٥  
المقتبس (جريدة) : ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٦٧ ، ٥٩٤  
المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني (كتاب) / فاضل بيات : ٢٥٧

-ن، هـ، و-

- ناكر الجميل (مسرحية) : ٤٨٨ ، ٥٠٦  
نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم خواجكان/ محمد أسعد  
الصاحب : ٤٢١  
هارون الرشيد (مسرحية) : ٤٨٨  
هارون الرشيد مع أنس الجليس (مسرحية) : ٤٨٨  
الوثائق الرسمية العثمانية : ٢٣ ، ٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٣١٠ ، ٣٣١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ،  
٣٦٣

المصطلحات

١٠٨	الاتحاد والترقي (حكومة)
١٢٦	اتفاقية برن البريدية الدولية
١٩٨ ، ١٩٧ ، ٦٤ ، ٦٢	اتفاقية بالطة ليمان
١٧٨	الاحتلال الإسرائيلي
١٣٣	الاحتلال البريطاني
٦٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٢	الإدارة العثمانية
٤٣	إدارة القائمقامية
٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٠	الإدارة المصرية
١٩٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،	الإرساليات التبشيرية
٤٨٦ ، ٣٧٤ ، ٣٦٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٠	
٤٩	الأرستقراطية
١٤	الأرشيف العثماني
٥٠٢	الإرهاب الحميدي
١٧٨	الاستعمار البريطاني
٢٣٤	الاستيطان اليهودي
٨٨	أصول الالتزام
١١٤	الأعشار
٥٠٧	الأفكار الليبرالية
٢٠ ، ١٩	الإمارة الشهابية
٢٣٤	الإمبراطورية العثمانية
٦٣٠ ، ٢٣٥ ، ١٧٨	الانتداب البريطاني
٤٩٠ ، ١٠٤ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٢٩ ، ٢١ ، ١١	الانكشارية
١٤	أهل الذمة

٢٤٩، ٢٤٨، ٩٢، ٨٩، ٨٠، ٧٥، ٦٢، ٦١	الباب العالي
٤٨٢، ٤٨١، ٢٨٥، ٣٠٤، ٢٥٩	
٥٠٤، ٥٠٢، ٥٠١، ٤١، ٤٠، ٣٨	البرجوازية
٦٨٣	البعثات الكنسية
٢٩، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ١٦، ١٤، ١٣	بيورلديات (بيورلدي)
٥٢، ٣٠	
٣٦٧، ١٠٨، ٩٥	التتريك
٢٣٤	تصريح بلفور
٤٤، ٤٣، ٤٢، ٣٦، ٣٤، ٣٣، ١٩، ١١	التنظيمات العثمانية (الخيرية)
٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٥، ٦١، ٤٧، ٤٦	
١٣٣، ١٢٢، ١١١، ١٠٩، ١٠٥، ٩٩، ٩٦	
١٨٠، ١٧٥، ١٧٤، ١٧١، ١٦٩، ١٦٠	
٢٠١، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٥	
٢٤٤، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٣٤، ٢٢٨، ٢٠٣	
٣٠٢، ٢٩٢، ٢٨٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٤٥	
٤٣٥، ٤٣٤، ٤٢٧، ٤٢٥، ٣٧٦، ٣٧٤	
٦٥٩، ٦٢٨، ٦٢٣، ٤٣٨، ٤٣٧	
٣٦٢، ٢٧٠، ٩٨، ٩٤، ٤٧	جمعية الاتحاد والترقي
٢٢٩	الجمعيات الاستيطانية اليهودية
٣٥٧، ٢٤٧	الجمعيات التبشيرية
٤٦١	الجمعية السورية
٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩	جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية
٤٦	الجندرمة
٩٤	حرب البلقان
٢٧١، ٢٤٣، ١٨٦، ١٠٧، ٩٥، ٨٢، ٧٣	الحرب العالمية الأولى
٦٣٣، ٥٩٥، ٥٨١، ٣٦٧، ٣٦١، ٣٣٠، ٣١٩	

٨٩	حرب القرم
١٧١ ، ١٦٣ ، ١٥٧	الحرب القيسية اليمينة
٤٧٥	حركات التنوير
٧٢	الحركة البروتستانتية
٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣١ ، ١٨٦ ، ١٨٠	الحركة الصهيونية
٨٥	الحضارة العثمانية
٤٨٦	الحضارة العربية
٥٨٧	الحقبة العثمانية
٣٨	الحقبة القائمقاميتين
٣٣	حكم الإمارة الشهابية
٢٩ ، ١٣٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٨ ، ٢٣٤ ،	الحكم العثماني
٢٨٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٦٢٤	
١٩٨ ، ٦٧٩	الحكم المصري
٩٩ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ٢٦٠	الحكومة العثمانية
٣٣٣	الحكومة العربية
١٤	الحملة المصرية
١١ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٨٨ ، ١٦٢ ، ١٩٨ ،	خط كلخانة
١٩٩ ، ٤٢٧	
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٠٢ ، ٤٢٧	خط همايون
٢٠٢	الدفتر خانة
١٧٧	الدول الاستعمارية
٣٣٣	الدولة الأردنية
٥٧٦	الدولة الإسلامية
٥٠٤	دولة بني عثمان
٤٥٣	دولة الرومان

٥ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ،  
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،  
 ١٣٤ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،  
 ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،  
 ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،  
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،  
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،  
 ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣٢١ ،  
 ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ،  
 ٣٥٣ ، ٣٦٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،  
 ٣٩١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ،  
 ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ،  
 ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٥٠٣ ، ٥٢١ ،  
 ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ،  
 ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٢٥ ،  
 ٦٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ،  
 ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ،  
 ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٩٠

الدولة العثمانية

٤٥٣

دولة العرب والمسلمين

٤٥٦ ، ٥٩٦

الدولة العلية

٤٥٣

دولة الفرس

٥

الدولة الوطنية

٢٣٤ ، ٢٣٥

الدولة اليهودية

٤٥٣

دولة اليونان

٩٥	الرجل المريض
٥٠٣	الرجعية
٢٣٤	السلطة البريطانية
، ٢٧٥ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ١٠٦	السلطات العثمانية
٤٤١ ، ٣١٢	
، ٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨١ ، ٤٦٤ ، ٤٤٠ ، ٢٣٤	السلطة العثمانية
٥٠٧ ، ٤٩٠	
، ٤١٤ ، ٨٠ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٦١	السلطنة العثمانية
٤٢٣	
٢٠	السياسة العثمانية
٥٧٧	السيطرة العثمانية
، ٥٨٠ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٥	الصرة الهمايونية
، ٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨١	
، ٥٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٠ ، ٥٨٧	
، ٦١٧ ، ٦١٦ ، ٦١٥ ، ٦١٤ ، ٦١٣ ، ٥٩٧	
٦٨٦ ، ٦٢٩ ، ٦٢١ ، ٦٢٠ ، ٦١٩ ، ٦١٨	
٣٨ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤	العائلات السياسية
٤٦ ، ٣٦ ، ٣٢	عصر الالتزام
٥٦١ ، ٥٦٠	العصر البيزنطي
٥٦١ ، ٥٦٠ ، ٥٥٩ ، ٥٢٨	العصر الروماني
٤٩	عصر الانتداب
، ٤٣٤ ، ٣٨٨ ، ٢٧٤ ، ٢٤٢ ، ٢٠٥ ، ١١٤	العهد العثماني
٦٤٩ ، ٦٢٨ ، ٥١٣ ، ٥٠٣	
٩٣	عهد المشروطية
١٥	العصيات الدرزي



٢١	فرق القاببي قول المرابطة
٢١	فرق اليرلية
٨٦	قابو قولو(تنظيم عسكري)
١١	القانون الأساسي
٩٩	قانون الولايات
٦١	كوتاهية (صلح)
١٩٤، ٣٣	المللكانة
٢١	المتسلمية
١٧٠، ١٢٨، ١٢٧، ٩٣، ٩٢	مجلس (المبعوثان)
٢٧٥	المدارس الأجنبية
٨٧	مذبحة الواقعة الخيرية
٧١	المریاع
٢٣٤	المشروع الصهيوني
٧٣	معاهدة هنكياراسكلة - سي
١٩٣	معركة جبل طابور
١٨٣	معركة المنسي
٥١٧	معركة اليرموك
٣٩، ٣٨	المقاطعية
١١٤	الملتزمون
٧٢	مؤتمر لندن
٢٤٨	المؤسسات التبشيرية
١٨٠	نظام الإقطاع
٩٠، ٤٢، ٣٤، ١٩، ١١	نظام الالتزام
١٩٩	نظام الإقطاع
٢٩١، ٢٤٢	نظام الامتيازات

٦٤	النظام الانكشاري
١٨٠، ١٣٤، ١٣٣	نظام الطابو
٣٥	النظام الطائفي
٣٨، ٢٦	نظام القائمقاميتين
٢٧	نظام لبنان
٢٩١، ٨٥	نظام الملة
٩٠، ٧٥	نظام الولايات
٥٠٥	النظم الإقطاعية
٥	النظم الأوروبية
٢٠	النفوذ الأوروبي
٣٨٦، ٤٠	النفوذ البريطاني
٤١	النفوذ الروسي
٤١	النفوذ الفرنسي
٤٨٣	النهضة العربية الحديثة
١٦	نواب الشرع
٤٧٠، ٤٦٥	الوطن العربي
٥٠٧، ٤٢٧، ١٤٤	الولايات العثمانية
٦٢٦، ٢٨٠، ٢٧٥، ٢٤٨	الولايات العربية
١١٥، ١١٤	الويركو

قائمة منشورات مركز الوثائق والمخطوطات

ودراسات بلاد الشام

ت	العنوان	تأليف / تحرير	ثمن البيع بالدينار الأردني
١ .	المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام - المجلد الأول (باللغة الإنجليزية)، ٢٥٠، صفحة ، ١٩٨٤ م .		١٠,٥٠٠
٢ .	المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» - المجلد الأول / القدس (باللغة العربية) ، ٣٤٤، صفحة ، ١٩٨٣ م .		١١,٩٠٠
٣ .	المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» - المجلد الثاني / جغرافية فلسطين وحضارتها (باللغة العربية) ، ٥٩٤، صفحة ، ١٩٨٣ م .		١١,٩٠٠
٤ .	المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» - المجلد الثالث / تاريخ فلسطين (باللغة العربية) ، ٨٤٢، صفحة ، ١٩٨٣ م .		١١,٩٠٠
٥ .	المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» - المجلد الأول Vol. I : القدس (باللغة الإنجليزية) ، ١٨٣، صفحة ، ١٩٨٣ م .		١٠,٥٠٠
٦ .	المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» - المجلد الثاني Vol. 2 : جغرافية وحضارة فلسطين (باللغة الإنجليزية) ، ٢١٥، صفحة ، ١٩٨٤ م .		١١,٩٠٠

١١,٩٠٠		٧ . المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» - المجلد الثالث Vol. 3 : تاريخ فلسطين (باللغة الإنجليزية) ، ١٢٨ صفحة ، ١٩٨٤ م .
١٠,٥٠٠	د . محمد عدنان البخيت	٨ . بلاد الشام في العهد البيزنطي / الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام - المجلد الأول (القسم العربي) ، ٢٥٣ صفحة ، ١٩٩١ م .
١٠,٥٠٠	د . محمد عدنان البخيت ود . إحسان عباس	٩ . بلاد الشام في صدر الإسلام / الندوة الثانية من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام - المجلد الثاني (باللغة العربية) ، ٦٣٦ صفحة ، ١٩٨٧ م .
١١,٩٠٠	د . محمد عدنان البخيت	١٠ . بلاد الشام في صدر الإسلام / المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام / من أوراق الندوة الثانية - المجلد الثالث (باللغة العربية) ، ٦٣٧ صفحة ، ١٩٨٧ م .
٩,٠٠	تحرير محمد عدنان البخيت	١١ . الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين - المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الرابع : «لبنان» ، ٢٠١٠ م .
١١,٩٠٠	د . محمد عدنان البخيت	١٢ . المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام «بلاد الشام في العهد الأموي» - القسم الأول / المجلد الأول ، ٦٢٨ صفحة ، ١٩٨٩ م .
١١,٩٠٠	د . محمد عدنان البخيت	١٣ . المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام «بلاد الشام في العهد الأموي» - المجلد الثاني

	ود . روبرت شيك	(القسم الإنجليزي) ، ٢٧٧ صفحة ، ١٩٨٩ م .	
٧,٧٠٠	محمد تيسير درويش وعدول البنخيت	الكشاف التحليلي لمؤتمرات بلاد الشام (باللغة العربية ، ٢٤٠ صفحة ، ١٩٩٠ م .	١٤ .
٧,٧٠٠	د . محمد عدنان البنخيت ومحمد يونس العبادي	بحوث في تاريخ بلاد الشام «بلاد الشام في العصر الأموي» (باللغة العربية) ، ٢٤٠ ، ٢٤٠ صفحة ، ١٩٩٠ م .	١٥ .
١٤,٠٠٠	د . محمد عدنان البنخيت ود . روبرت شيك	بلاد الشام في العصر العباسي - القسم الإنجليزي والفرنسي ، ٢٨٠ ، ٢٨٠ صفحة ، ١٩٩٠ م .	١٦ .
١٤,٠٠٠	د . محمد عدنان البنخيت ومحمد يونس العبادي	المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام «بلاد الشام في العصر العباسي» / القسم العربي ، ٦٤٠ ، ٦٤٠ صفحة ، ١٩٩٢ م .	١٧ .
٤,٢٠٠	د . شاكر مصطفى تحرير : د . محمد عدنان البنخيت ومحمد يونس مرزوق	جنوب بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٣٥٧هـ/٧٥٠-٩٦٩م) (باللغة العربية) ، ١٣٤ ، ١٣٤ صفحة ، ١٩٩٢ م .	١٨ .
٧,٠٠٠	د . إحسان عباس	تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٢٥٥هـ/٧٥٠-٨٧٠م) (باللغة العربية) ، ٢٤٣ ، ٢٤٣ صفحة ، ١٩٩٢ م .	١٩ .

٤,٩٠٠	بسام عبد الوهاب الجابري	ميزانية الجامع الأموي لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م (باللغة العربية)، ١٤٤، صفحة، ١٩٩٢م.	٢٠.
٧,٠٠٠	د. محمد عدنان البخيت ومحمد يونس مرزوق	بحوث في تاريخ بلاد الشام في العصر العثماني (باللغة العربية)، ٢٢٠، صفحة، ١٩٩٢م.	٢١.
٧,٠٠٠	ميسون منصور عبيدات	التطور السياسي لشرق الأردن في عهد الإمارة (١٩٢١-١٩٤٦م) (باللغة العربية)، ٣٧٢، صفحة، ١٩٩٣م.	٢٢.
٨,٠٠٠	أمين أبو بكر	قضاء الخليل (١٨٦٤-١٩١٨م) (باللغة العربية)، ٤٦٦، ١٩٩٤م.	٢٣.
١٠,٠٠٠	عليان الجالودي	قضاء عجلون (١٨٦٤-١٩١٨م) (باللغة العربية)، ٦٠٨، صفحة، ١٩٩٤م.	٢٤.
٥,٠٠٠	د. إحسان عباس	تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، طبعة ثانية، ١٦٨، صفحة، ١٩٩٩م.	٢٥.
٦,٠٠٠	د. سليمان خرابشة	نيابة طرابلس في العصر المملوكي، ٢٥٥، صفحة، ١٩٩٣م.	٢٦.
٨,٠٠٠	د. إحسان عباس	تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، ٤٠٠، صفحة، ١٩٩٨م.	٢٧.
٧,٠٠٠	د. إحسان عباس	تاريخ بلاد الشام في عهد الأتابكة والأيوبيين (٤٩٠-٦٥٠هـ)، ٣٥٩، صفحة، ١٩٩٨م.	٢٨.

٥,٠٠٠	د. أكمل الدين إحسان أوغلي	المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية / المستشفيات وكلية طب الشام ، ١٩٩ صفحة ، ٢٠٠٢م .	٢٩ .
٣,٠٠٠	ترجمة فاضل بيات	التشريع الضريبي عند العثمانيين ، تأليف أحمد آق كوندوز ، ١١٤ صفحة ، ٢٠٠٤م .	٣٠ .
٣,٠٠٠	إعداد يوسف عبيد	دليل مواقع المدن والقرى في الأردن ، ٧٧ صفحة ، ٢٠٠٥م	٣١ .
١٢,٥٠٠	د. فاضل بيات	بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة ، الجزء الأول ، ٤٢٠ صفحة ، ٢٠٠٥م	٣٢ .
٧,٠٠٠	د. فاضل بيات	بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة ، الجزء الثاني ، ٣٥٣ صفحة ، ٢٠٠٦م	٣٣ .
٢,٥٠٠	إعداد سمير سمعان	الأردن وأقطار العالم العربي في المناهج التعليمية الإسرائيلية ، ١٥٠ صفحة ، ٢٠٠٧م .	٣٤ .
٨,٠٠٠	د. فاضل بيات	بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة ، الجزء الثالث ، ٣٦٩ صفحة ، ٢٠٠٧م .	٣٥ .
١٠,٠٠٠	تحرير محمد عدنان البخيت	الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين - المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الثالث : «فلسطين» ، ٨٠١ صفحة ، ٢٠٠٨م .	٣٦ .

٦,٠٠٠	تحرير محمد عدنان البخيت	الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين - المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، المجلد الأول: «الأردن»، ٣٧٣، صفحة ٢٠٠٨ م.	٣٧ .
٦,٥٠٠	أبحاث محمد عدنان البخيت تقديم وتحرير ثائر القاضي	Studies in the History of Bilad al-Sham in the Sixteenth Century صفحة ٣١٣، ٢٠٠٩ م.	٣٨ .
١٤,٠٠٠	تحرير محمد عدنان البخيت	الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين - المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، المجلد الثاني: «سوريا»، في قسمين، ٢٠٠٩ م.	٣٩ .
٢,٥٠٠	إعداد يوسف عبيد	دليل مواقع المدن والقرى والقبائل البدوية في فلسطين، ٥٧ صفحة، ٢٠١٠ م، الطبعة الثانية + CD	٤٠ .
٣,٠٠٠	د . محمد عدنان البخيت	بلاد الشام في صدر الإسلام / الندوة الثانية من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام - المجلد الأول (القسم الانجليزي والفرنسي)، ٢١٧ صفحة، ١٩٨٧ م.	٤١ .
٥,٠٠٠	د . كامل العسلي	ببليوغرافية بلاد الشام (باللغة العربية)، الطبعة الثانية، ٤٠٩ صفحة، ٢٠١٠ م.	٤٢ .
٦,٥٠٠	ترجمة روبرت شيك	Palestinian Life, Customs and Practices , German Articles from the Late 19th and early 20 centuries .2010.	٤٣ .



٥,٠٠٠		٤٤ . فهرس المخطوطات العربية المصورة - الجزء الأول / إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود ، عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م . (٢٢٥) ص
٥,٠٠٠		٤٥ . فهرس المخطوطات العربية المصورة - الجزء الثاني / إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود وفالح صالح حسين ، عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م . (٢١٤) ص
٥,٠٠٠		٤٦ . فهرس المخطوطات العربية المصورة - الجزء الثالث / إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود وفالح صالح حسين ، عمان : الجامعة الأردنية (١٩٨٥) م . (٢٤٦) ص
٥,٠٠٠		٤٧ . فهرس المخطوطات العربية المصورة - الجزء الرابع / إشراف نوفان رجا السوارية ، إعداد أحمد عبدالقادر خريسات ، منال عيد حداد ، عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٠ م . (٤٩١) ص
٥,٠٠٠		٤٨ . كشف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية في بلاد الشام / إعداد محمد عدنان البخيت ، وآخرين ، عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٨٤ م . (٢٩٣) ص
٣,٠٠٠		٤٩ . الفهرس المفصل للمخطوطات الفلسفية المصورة في مركز الوثائق والمخطوطات / إعداد خالد سعيد سلام ، خالد أحمد غرايبة ، عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٩١ م . (٨٤) ص

٣,٠٠٠		٥٠ . القدس الشريف : وثائقها وسجلاتها ومخطوطاتها المصورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية (١٥٢٩-١٩٨٤) / إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا السوارية ، أحمد عبدالقادر خريسات ، عمان الجامعة الأردنية ، ١٩٩١م . (٥٤) ص
١٠,٠٠٠		٥١ . الأرشيف العثماني / إعداد نجاتي أقطاش ، عصمت بينارق ، ترجمة : صالح سعداوي صالح ، عمان الجامعة الأردنية ، ١٩٨٦م . (٥٢١) ص
١٠,٠٠٠		٥٢ . معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب / تأليف أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب العرضي ، تحقيق عيسى أبو سليم ، عمان الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢م . (٥٥١) ص
٥,٠٠٠		٥٣ . وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس ١٩٤٧-١٩٤٩م ، الجزء الأول / إعداد بهجت حسين صبري ، عمان : الجامعة الأردنية ١٩٩١م . (٣٢١) ص
٥,٠٠٠		٥٤ . فهرس مخطوطات مكتبة آل القمحاوي بنابلس / إعداد محمود علي عطاالله ، عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢م . (١٦١) ص
٢٢,٥٠٠		٥٥ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١) قسم (١) جزء واحد/ إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٨م . (٨٦٢) ص

٣٠,٠٠٠		٥٦ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١) قسم (٢) جزءان/ إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية
		٥٧ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١) قسم (٣) جزءان / إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية
١٤,٠٠٠		٥٨ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (أ١) قسم (١) جزءان/ إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية
٢٣,٠٠٠		٥٩ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (أ١) قسم (٢) جزءان / إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية
٣٦,٠٠٠		٦٠ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (أ١) قسم (٣) جزءان / إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية
٤,٢٥٠		٦١ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٧ / إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٧ م . (١٤٨) ص .

١١,٠٠٠		٦٢ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٨ / إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٦ م . (٤٣٥) ص
٨,٥٠٠		٦٣ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٩ / إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٧ م . (٣٣٣) ص
١٠,٠٠٠		٦٤ . «الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ، المؤتمر التاسع لتاريخ بلاد الشام ٩ - ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ / ١ - ٥ نيسان ٢٠١٢ م (المجلد الأول) . تحرير محمد عدنان وحسين محمد القهواتي» .
١٠,٠٠٠		٦٥ . «الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ، المؤتمر التاسع لتاريخ بلاد الشام ٩ - ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ / ١ - ٥ نيسان ٢٠١٢ م (المجلد الثاني) . تحرير محمد عدنان وحسين محمد القهواتي» .
١٠,٠٠٠		٦٦ . «الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ، المؤتمر التاسع لتاريخ بلاد الشام ٩ - ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ / ١ - ٥ نيسان ٢٠١٢ م (المجلد الثالث) . تحرير محمد عدنان وحسين محمد القهواتي» .

١٠,٠٠٠		٦٧ . «الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ، المؤتمر التاسع لتاريخ بلاد الشام ٩ - ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / ١-٥ نيسان ٢٠١٢م (المجلد الرابع) . تحرير محمد عدنان وحسين محمد القهواتي» .
٣٦,٠٠٠		٦٨ . سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢ / القسم الاول / (جزأين) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهتدي ، عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠١٥م .
٦,٠٠	تحرير «محمد عدنان» البخيت وحسين محمد القهواتي	٦٩ . التنظيمات العثمانية وتطبيقاتها في بلاد الشام في القرن ١٣هـ / ١٩م ، المؤتمر الدولي العاشر لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الأول ، منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ٢٠١٨م .



# Ottoman Tanzimat and its Implementations in Bilād al- Shām

13<sup>th</sup> Century A.H / 19<sup>th</sup> Century A.D



The Tenth International Conference on the History of Bilād al – Shām

5<sup>th</sup> of Rajab, 1438 A.H / 2<sup>nd</sup> of April, 2017

**Vol . II**

Edited By

Muhammad Adnan Bakhit

Husain Muhammad al -Kahawati

Publications of Center for Documents, Manuscripts and  
Bilād al – Shām Studies – The University of Jordan  
Amman – 1439 A.H / 2018 A.D